

# أما إلى المرتضى

غُرر الفوائد وَدُرر القلائد

للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

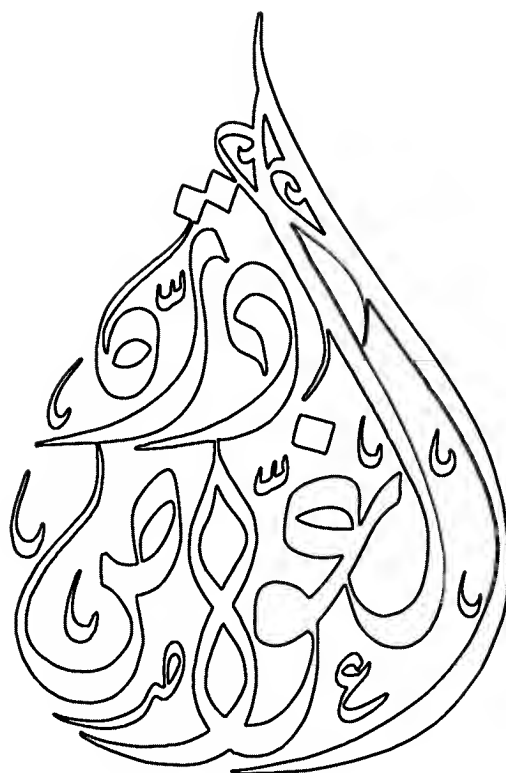
تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

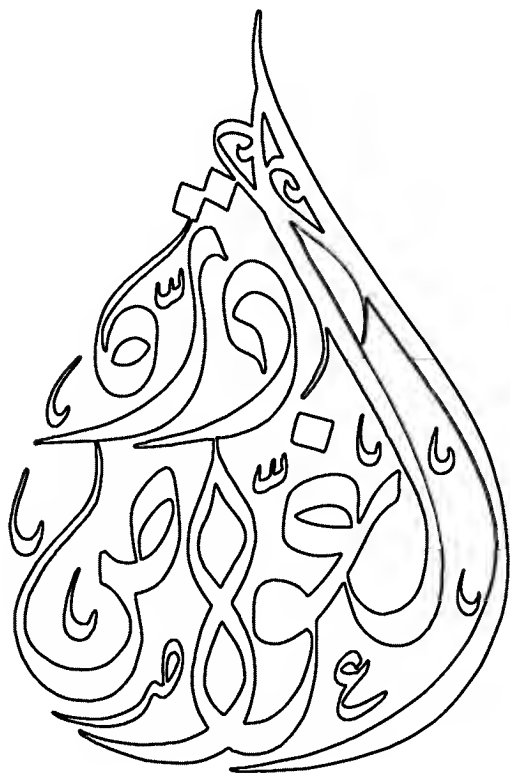
القسم الأول

مكتبة  
الدكتور زكي الدويهي

بازار الخياطة الكائن في  
عيسى البابي الحلبي وشركاه



مَكْتَبَةُ  
الدُّنْيَا وَالدِّينِ



الطبعة الأولى

« جميع الحقوق محفوظة »

[١٩٥٤م — ١٤٢٣هـ]





## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

#### ١ - الشريف المرتضى (\*)

كانت بغداد في القرن الرابع الهجري موئل العلم ، ومثابة العلماء ، وملتقى الكتاب والشعراء والأدباء ، فيها غنيت ساحات الخلفاء والملوك والرؤساء بفنون المناظرة والمساجلة والجدل ، وعمرت المكتبات بألوف الكتب المؤلفة والمترجمة ، المطوَّلة والمختصرة ؛ وغصت دور العلماء وحلقات الدروس بطلاب الأدب ، ورواد العلم والمعرفة من شتى الجهات .

وكان للكثير من ملوك بني بويه من لطافة الحس ، وزكاة الطبع ، ورهافة الذوق ،

#### مصادر الترجمة :

|                              |                                    |
|------------------------------|------------------------------------|
| أمل الآمل ٤٨٦-٤٨٧            | دمية القصر ٧٥-٧٦                   |
| لمباه الرواة ٢: ٢٤٩-٢٥٠      | الرجال لأبي العباس النجاشي ١٩٢-١٩٣ |
| بغية الوعاة ٣٣٥-٣٣٦          | روضات الجنات ٣٧٤-٣٧٨               |
| تاريخ ابن الأثير ٨: ٤٠-٤١    | سير النبلاء للذهبي ١١: ١٣١         |
| الإسلام للذهبي (وفيات ٤٣٦)   | شذرات الذهب ٣: ٢٥٦-٢٥٨             |
| بغداد ١١: ٤٠٢-٤٠٣            | الفهرست لأبي جعفر الطوسي ٩٧-١٠٠    |
| أبي الفداء ٢: ١٦٧            | لسان الميزان ٤: ٢٢٣-٢٢٤            |
| ابن كثير ١٢: ٥٣              | مرآة الجنان ٣: ٥٥-٥٧               |
| تنمة اليتيمة ١: ٥٣-٥٦        | معالم العلماء لابن شهر آشوب ٦٠-٦٣  |
| جمهرة الأنساب لابن حزم ٥٦-٥٧ | معجم الأدباء ١٣-١٤٦-١٥٧            |
| ابن خلكان ١: ٣٣٦-٣٣٨         | المنتظم (وفيات ٤٣٦)                |
|                              | النجوم الزاهرة ٥: ٣٩               |

ورجاجة العقل ماهياً لهم أن يكونوا كُتّاباً أو شعراء ؛ وما دفع بعضهم للمشاركة في العلوم ،  
والأخذ بنصيب من أطراف الفنون ؛ فخدّبوا على العلماء ، وأغدقوا على الشعراء ؛ وعرفوا  
للأدباء أقدارهم ؛ فولّوهم الوزارة والإمارة والقضاء في كثير من الأحيان .

وكانوا أيضاً من شيعة عليّ ، وعلى هوى أحفاده من أبناء الحسن والحسين ، فخصّوهم  
بالتكريم ، ومنحوهم أرفع المناصب ، وأذنوهم من نفوسهم ، وقرّبوهم في مجالسهم ،  
وظاهروهم في المناظرة ، ودفعوهم إلى الجهر بالرأى والإدلاء بالحجة ؛ وكانوا لهم ردةً حين  
يحتدم الجدال ، ويشتد اللّداد بينهم وبين أهل السّنة ؛ ومنّ يشدّ أزرهم من الأتراك وخلفاء  
بنى العباس .

في هذه الحِقبة النادرة في تاريخ العلوم ، وفي هذا العصر الحالى بأزاهير الفنون والآداب ،  
وفي تلك الدولة التي قام في أكنافها العلماء والشعراء والأدباء ؛ عاش الشريف المرتضى على  
ابن الحسين ، وأخوه الشريف الرضى محمد بن الحسين ، واتخذوا مكانهما بين ذوى المثالة ،  
وأعيان الشرف والفضل من الأعلام ؛ فكان المرتضى عالماً فقيهاً متكلماً ، خبيراً بقرض الشعر ،  
بصيراً بمذاهب الكلام ، وكان الرضى شاعراً مطبوعاً متصرفاً ، وكتّاباً بارعاً رائعاً  
الديباجة صافي الأسلوب ، مشاركاً في التأليف والتصنيف ؛ وقضيا حياتهما مرعياً الجانب ؛  
رفيعي المنزل ؛ مرموق المحلّ عظيمي الخطر والجاه عند خلفاء بنى العباس ، والملوك من بنى  
بويه على السواء .

\*\*\*

وكانا ينزِعان إلى أعرق المناصب ، وأطيب النّجار ، نجلهما أبو أحمد الحسين بن موسى  
ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛  
وأنجبتهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر الأطروش ، صاحب الديلم ، وشيخ الطالبين  
وعالمهم وشاعرهم .

وكان أبو أحمد من ذوى النباهة والصيت عند بنى بويه ، ولقبه بهاء الدولة أبو نصر ابن بويه بالطاهر الأوحـد ؛ كما كان من ذوى القدر والجاه عند بنى العباس ؛ وولّوه النظر فى المظالم ونقابة الطالبين مرات ؛ كان يقوم بالسفارة بينهم وبين آل بويه أحياناً ، وبين الحمدانيين أحياناً ، فمحض النصـح ، وبصر بمناهج الرشد ، وأبدى الرأى الأصـيل ؛ وظفر بالمسكنة منهم جميعاً . ومات فى سنة ٤٠٠ . وقد رثاه أبو العلاء المعرى بقصيدته المشهورة :

أودى فليت الحادثات كفاف مالُ السيفِ وعنبرُ المُستافِ<sup>(١)</sup>  
 الطاهرُ الآباء والأبناء والآ راب والثواب والألأفِ  
 رغت الرعود وتلك هدة واجب جبل هوى من آل عبد مناف<sup>(٢)</sup>  
 بخلت فلما كان ليلة فقده سمح الغمام بدمعه الذراف  
 ويقال إن البحر غاض وإنها ستمعود سيفاً لجة الرجاف<sup>(٣)</sup>  
 ويحق فى رزء الحسين تغيرُ الحرسين ، بله الدر فى الأصداف<sup>(٤)</sup>

وفىها يذكر الشريفين ويعزيمهما :

ولقيت ربك فاسترد لك الهدى ما نالت الأيام بالإتلافِ  
 وسقاك أمواه الحياة مخلداً وكسالك شرخ شباك الأفوافِ  
 أبتيت فينا كوكبين سنأهما فى الصبح والظلماء ليس بخافِ  
 متأنقين وفى المكارم أرتعاً متالقين بسوددٍ وعفافِ  
 قد رين فى الإرداء ، بل مطرين فى السجدهاء ، بل قرين فى الإصدافِ

(١) سقط الزند ١٢٦٤-١٣٢٠ . كفاف ، أى لبت الحوادث كفت الأذى . والمسيب : من ذهب ماله . والمستاف : الشأم . (٢) الهدى : صوت الشئ الساقط ، والواجب : الساقط ؛ ويقال إن المرثى مات فى ذات ليلة برق ورعد ومطر . (٣) السيف : الساحل . والرجاف : من نوت البحر . (٤) الحرسان : اسم الليل والنهار .

رُزِقَ العلاء فأهل نجدٍ كَلَمًا      نَطَقًا الفصاحة      مِثْلُ أَهْلِ دِيافٍ<sup>(١)</sup>  
ساوَى الرِّضَى المُرْتَضَى وتَقاسمًا      خُطَطَ العَلَا بتَنَاصِفٍ      وَتَصَافٍ

وفي آخرها يقول :

يَا مَالِكِي سَرَّحَ القَرِيضَ أَتَتَكُفًا      مِنْبِي سَحُولَةٍ مُسْنِنَتَيْنِ عِجَافٍ<sup>(٢)</sup>  
لَا تَعْرِفُ الْوَرَقَ اللَّجِينَ وَإِنْ تُسَلِّ      تُخَيِّرُ عَنِ الْقَلَامِ وَالْخِذْرَافِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنَا الَّذِي أَهْدَى أَقْلًا بِهَارَةٍ      حُسْنًا لِأَحْسَنِ رَوْضَةٍ مُثْنَفٍ<sup>(٤)</sup>

وبعد موته انتقلت وظائفه إلى الشريف الرضي ، ولما مات آلت إلى الشريف المرتضى .

\*\*\*

وكان مولد الشريف المرتضى ببغداد في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة<sup>(٥)</sup> ، وفيها تلقى العلم وشغل به في جميع أدوار حياته ؛ وكان أول عهده بالمدرسة والتأدب على الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد ، ذهبت به أمه إليه مع أخيه الرضي ؛ وهما في سن الحداثة ، وقبل أن يجاوزا حدَّ الصغر ؛ فأخذاه عنه ، وتخرّجا عليه . ثم صحب المرتضى غيره من العلماء ، وورد شُرْعَتهم ، وحمل عنهم ؛ مثل سهل بن أحمد الديباجي ، وأبي عبيد الله المرزباني ، وأبي الحسن الجندی ، وأحمد بن محمد بن عمران الكاتب ، وغيرهم .

ويبدو مِنْ تَقْصِي أخباره ؛ ومطالعة ما وصل إلينا من كتبه ورسائله أن أعظم الشيوخ الذين تأدب بهم وأفاد منهم هما الشيخ المفيد وأبو عبد الله المرزباني .

(١) دِياف : موضع فيه نبط لانصاحة لهم .

(٢) السَّرْحُ فِي الْأَصْلِ : المال الراعى ، والمُسْنَتُ : الذي أصابته السنة ؛ أي القحط . والعِجَافُ : المهازيل .

(٣) اللَّجِينَ : ورق الشجر يخالط بالنوى المروض ، ويلجن بعضه ببعض ، وهو من علف أهل الأمصار . والقَلَامُ والخِذْرَافُ : من الخُضْ ؛ وهو علف أهل البادية .

(٤) الروضة المثناة : التي لم ترع بعد . (٥) الفهرست لأبي جعفر الطوسي ١٠٠ .

فأما الشيخ المفيد فقد كان رأساً من رؤوس الشيعة ؛ وعلماً من أعلامهم ؛ لا يدرك شأوه فيهم ؛ وإليه انتهت رئاسة الإمامية في عصره ، وفي كتبه حُفِظَت أقوالهم وآراؤهم وشروحهم وتأويلاتهم ؛ وعنه تلقى السيد المرتضى الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ؛ ثم استقل بالرأى فيما بعد ؛ ووضع في ذلك الكثير من الكتب والرسائل والمقالات .

وأما المرزبانيّ فقد كان إماماً من أئمة الأدب ؛ وشيخاً من شيوخ المعتزلة ، وعلماً من أعلام الرواية ؛ وكانت داره مقصد العلماء والمتأدبين ؛ مهبطاً بالكتب والورق والمداد ؛ معدة للطعام والراحة والنوم ؛ فكان يأخذ عن يزوره من العلماء ؛ ويقرأ لمن يجلس إليه من الطلاب ، وفيما بين ذلك يؤلف الكتب ويصنفها ؛ ومعظم ما رواه السيد المرتضى في كتاب الغرر من الشعر واللغة والأخبار مما تلقاه عليه ، ورواه عنه .

ولما علّت به السنّ ، وخلع عن منكبهِ رداء الشباب عكف في منزله مُخْلِداً إلى القراءة والدرس ؛ واستنزف أيامه في التحصيل والتأليف ، مؤثراً بحالسة العلماء والمستفيدين على مخالطة الرؤساء وذوى السلطان ؛ بل إنه زهد فيما ورث أبوه من نقابة الطالبين ، والنظر في المظالم ، وآثر بها أخاه الرضى - وكان أصغر منه - ليُرَضَى ما كانت تنزع إليه همة أخيه من الرغبة في سَنَى المطالب وبلوغ الأقدار ؛ ويقضى حاجة نفسه من الانقطاع إلى العلم ، والخلوة إلى القراءة والدرس ؛ ولم يتولّ شيئاً من هذه المناصب إلا بعد وفاة أخيه . وأعانه على ما ينبغي ما تهيأ له من مكتبة عريضة واسعة ؛ تحوى ما عرف من الكتب في حياته ؛ ذكر الثعالبي أنها قُوتت بعد وفاته بثلاثين ألف دينار ، وقدرت بثمانين ألف مجلد ، بعد أن أهدى منها ما أهدى إلى الرؤساء والوزراء .

وكان السيد المرتضى في نعمة سابغة ، وخير كثير ، وثروة قلّ أن تنهياً لمثله من العلماء ؛ روى أنه كانت له ثمانون قرية بين بغداد وكربلاء ، يشقها نهر ينتهي إلى الفرات ؛ وكانت السفن تسير فيه غادية رائحة ، تحمل السّفَر والزوار ؛ وخاصة في موسم الحجيج ؛ وكان لهم فيما يساقط

من ثمار الأشجار العاطفة على النهر؛ فأكهة موقوفة عليهم ، ولغيرهم ممن تحمل السفن ؛ وقدروا ما تُغله هذه القرى بأربعة وعشرين ألف دينار في العام .

وقد تمكن بفضل هذه الثروة من أن يعيش في داره مكفول الرزق ، مقضى الحاجات ، لا يشغله ما يشغل غيره من شئون الدنيا ومطالب الحياة ؛ ولا يصرفه شيء عن القراءة والدرس والتصنيف والفتيا ؛ بل إنه تمكن من أن يقضى حاجة قلبه من البر بالناس ، ومواصلة بهم ، والعطف عليهم ؛ وخاصة من كان يمت إلى العلم بصلة ، أو يُبدل إليه برحم ماسة ، فكان منزله داراً للضيافة ، ومدرسة للتعليم والدارسة ، ينقطع فيه التلاميذ والطلاب والمريدون ، ويستروح في رحابه الوافدون من شتى الجهات ، بعد أن يكون قد أدماهم السير وأكلهم السرى ؛ بل إنه جعل للكثير من تلاميذه مرتبات منظمة ؛ وحبوساً موقوفة عليهم ؛ كان أبو جعفر الطوسي<sup>(١)</sup> من تلاميذه المنتظمين إليه ، فأجرى عليه اثني عشر ديناراً في كل شهر ، في ثلاثة وعشرين عاماً قضاها في صحبته إلى أن مات ، وكذلك رتب للقاضي عبد العزيز بن البراج<sup>(٢)</sup> ثمانية عشر ديناراً في الشهر ؛ وغيرهما كثير . ووقف قرية كاملة؛ يجري خيرها على كنف الفقهاء خاصة ؛ رغبة في النفع ، وبث العلم في الناس .

وروى أنه أصاب الناس قحط شديد فاحتال رجل يهودي على تحصيل قوت يحفظ نفسه ففزع إليه ؛ وشفاعته الرغبة في العلم : واستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم ؛ فأذن له ، وأمر بجائزة تجرى عليه في كل يوم ، فقرأ عليه برهة ثم أسلم .

ومن هذه الباب أيضاً ما حكاه ابن خالكان عن أبي زكريا التبريزي أن أبا الحسن علي ابن أحمد بن سلك الغالي الأديب كانت له نسخة من كتاب الجهرة لابن دريد في غاية الجودة ،

---

(١) هو محمد بن علي بن جعفر الطوسي ، ولد سنة ٣٨٥ ، ولزم الشيخ الفيد وتخرج عليه ولما مات سنة ٤١٣ ؛ أزم السيد المرتضى إلى أن مات ، ثم استقل بالإمامة بعده ، وتوفي سنة ٤٠٦ .

(٢) هو عبد العزيز بن نحرير بن البراج ؛ ولد بصر ونشأ بها ؛ ورحل إلى طرابلس وولى قضاءها مدة ، وتوفي سنة ٤٨١ .

فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشترها الشريف المرتضى بستين ديناراً ، وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسين الفالي ؛ وهى :

أُنِسْتُ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَبَعْتُهَا      لَقَدْ طَالَ وَجْدِي بَعْدَهَا وَحَنِينِي  
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنَّنِي سَأُبِيعُهَا      وَلَوْ خَلَدْتُنِي فِي السَّجُونِ دِيُونِي  
وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَافْتِقَارٍ وَصَبِيَّةٍ      صَغَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شُؤُونِي  
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقَ عَبْرَةٍ      مَقَالَةَ مَكُونِ الْفُؤَادِ حَزِينِ  
«وَقَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَ مَالِكٍ      كِرَائِمَ مِنْ رَبِّ بَهَنَ ضَنِينِ»

فأرجع إليه النسخة ؛ وترك الدنانير ؛ جرياً على عادته من صلته أهل العلم ، وبره بهم .

\*\*\*

وقد اجتمع إليه من فنون العلوم وضروب الآداب ما قلّ أن يجتمع لسواه ؛ وضرب فيها جميعها بسهم وافر ؛ فكان فقيهاً انتهت إليه رياسة الإمامية فى عصره ؛ بعد أن درس الأصول ، ومحض الحقائق ، واستخرج المسائل ، ونصب نفسه بعد ذلك للفتيا ، فشُدَّتْ إليه الرحال ، ووفدت إليه الناس من كل صُقعٍ ، ووضع لكلِّ كتابا ؛ فهذه المسائل الديلمية ، وتلك المسائل الطوسية ، وهذه المسائل المصرية والموصلية وهكذا . وحذق علم الكلام وأصول الجدل ، فحاجَّ النظراء والمتكلمين ، وناظر المخالفين ؛ وكتابه الشافى حجة على طول بابه فى الجدل . وله فى تفسير القرآن وتأويل الكتاب ما كشف به عن بحر لا يسبر غوره ؛ ولا ينال دركه ؛ وقد حفظ من أخبار العرب وأشعارهم ولغتهم ما جعله فى الرعيى الأول من الرواة والحفاظ والأدباء ؛ وبكل هذا كان إمام عصره غير مدافع ؛ قال ابن بسام : « كان هذا الشريف إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ؛ إليه فزع علماءها ، وعنه أخذ عظمائها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ؛ مما سارت أخباره ، وعرفت أشعاره ، وحمدت فى ذات الله مآثره ؛ إلى تواليفه فى الدين ، وتصانيفه فى أحكام المسلمين ، ممن يشهد أنه قرع

تلك الأصول ، ومن أهل ذلك البيت الجليل<sup>(١)</sup> .

وكان بعد هذا شاعرا ، وله ديوان شعر؛ قال ابن شهر آشوب: إنه يُرَبَّى على عشرين ألف بيت ، وذكر بروكلمان أن هناك نسخة منه من مكتبة مشهد . وقد أورد المرتضى طائفة منه في كتاب الغرر، والشهاب، وطيف الخيال ، وذكر الثعالبي في تتممة اليتيمة ، والباخرزي في دمية القصر قدرا منه ، فمن قوله :

أحبُّ ترى نجدٍ ، ونجدٌ بعيدٌ      ألا حبذا نجدٌ وإن لم تُقدِّقربا!<sup>(٢)</sup>  
يقولون: نجدلست من شعب أهلها      وقد صدقوا لكنني منهم حبا  
كأنى وقد فارقت نجداً شقاوةً      فتي ضلّ عنه قلبه ينشد القلب

ومنه :

يا خليلي من ذؤابة قيس      في التصابي رياضة الأخلاق<sup>(٣)</sup>  
عللاني بذكرهم تطرباني      واسقياني دمي بكأسٍ دهاق  
وخذا النوم من جفوني فإني      قد خلعت الكرى على العشاق<sup>(٤)</sup>

ومنه في الرثاء :

كأنى لما صك سمعى نعيه      صُكِتُ بمسنون الفرارين قاضٍ  
طواه الردى طى الرداء وعُطِّتْ      مغاني الحجا عنه وغر المناقبِ  
ولما بلوتُ الأصدقاء ووُدَّهم      خلصت إليه من خلال التجارب

وسئل إجازة بيت أبي دهب الجمحي :

وأبرزتها من بطن مكة عندما      أصات المنادى بالصلاة فأعما

(١) ابن خلكان: ٣٣٦ . (٢) تتممة اليتيمة ١ : ٥٤ . (٣) تتممة اليتيمة ١ : ٥٥ ،

وابن خلكان ١ : ٣٣٧ . (٤) روى ابن خلكان أنه لما وصلت هذه الأبيات إلى البصري

الشاعر قال : المرتضى قد خلع ملايملك على من لا يقبل . (٥) الغرر ١ : ١١٥ .



فقال :

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| فطّيب سراها المقام وضوأتْ     | بإشراقها بين الحطيم وزمزما      |
| فيارب إن لقيت وجهاً تحيةً     | فخى وجوهاً بالمدينة سهماً       |
| تجافين عن مسّ الدهان وطالما   | عصمت عن الحناء كفاً وممصما      |
| وكم من جليدٍ لا يخامرهُ الهوى | شنى عليه الوجد حتى تتيماً       |
| أهان لهنّ النفس وهى كريمةٌ    | وألقى إليهنّ الحديث المكمّ      |
| تسفّهت لما أن مرّرتَ بدارها   | وعوّجتَ دون الحلم أن تتجلّما    |
| فعبجت تقرّى دارساً متذكّرا    | وتسأل مصروفاً عن النطق أعجما    |
| ويوم وقفنا للوداع وكلّنا      | يعدّ مطيع الشوق من كان أحزما    |
| نُصرتُ بقلب لا يعنفُ فى الهوى | وعينٍ متى استمطرتُها قطرتُ دماً |

وتوفى الشريف المرتضى فى ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ ، وصلى عليه ابنه ، ودفن فى

داره ، ثم نقل إلى المشهد الحسينى بكربلاء .

## ٢ - مؤلفاته\*

- ١ - « إبطال القياس » ؛ ذكره الذهبي في سير النبلاء .
- ٢ - « الانتصار في الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسمياه « الانفرادات في الفقه » ، وطبع ضمن مجموعة الجوامع الفقهية لمحمد بن باقر بطهران سنة ١٢٧٦ ، وطبع منفردا سنة ١٣١٥ .
- ٣ - « إنقاذ البشر من القضاء والقدر » ، ذكره ابن شهر آشوب ، وطبع في النجف ١٩٣٥ ، وطهران ١٣٥٠ .
- ٤ « البرق » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسماه « المرموق في أوصاف البروق » .
- ٥ - « تتبع الأبيات التي تكلم عنها ابن جني في إثبات المعاني للمعتنبي » . ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٦ - « تكملة أنواع الأعراض من جمع أبي رشيد النيسابوري »<sup>(١)</sup> ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٧ - « تفسير الخطبة الشقشقية » ، نقله صاحب روضات الجنات عن كتاب رياض العلماء .
- ٨ - « تفسير قصيدة السيد الجبيري » المعروفة بالقصيدة المذهبة ، وهي القصيدة البائية في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتبلغ ١٧ بيتا ، مطلعها :

---

(\*) اقتصر في سرد كتب المرتضى هنا على ما ذكر أبو العباس النجاشي في كتاب الرجال ، وأبو جعفر الطوسي في كتاب الهرست ، وابن شهر آشوب في كتاب معالم العلماء ، وما لم يذكره واحد من هؤلاء ذكرته منسوبا إلى مصدره .

هلاً وقفت على المسكن المعشَّب بين الطوياع فاللوى من كبكب  
ذكرها أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب . وطبعت مع الشرح بمصر  
سنة ١٣١٣ بعنوان: « القصيدة الذهبية » .

- ٩ - « تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ » ، ذكره النجاشي .
- ١٠ - « تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي ﴾ » ، ذكره النجاشي .
- ١١ - « تفسير سورة الحمد ، وقطعة من سورة البقرة » ، ذكره النجاشي .
- ١٢ - « تقريب الأصول » ، ذكره النجاشي .
- ١٣ - « تكملة الفرر والدرر » ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٤ - « تنزيه الأنبياء » ، ذكره أبو جعفر الطوسي وابن شهر آشوب . وطبع بالمطبعة  
الحيدرية في النجف سنة ١٣٥٢ .
- ١٥ - « جمل العلم والعمل » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ١٦ - « جواب الملهدة في قدم العالم من أقوال المنجمين » ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٧ - « الحدود والحقائق » ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٨ - « الخطبة المقمصة » ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٩ - « الخلاف في أصول الفقه » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٢٠ - « ديوان شعره » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب على ذكر بروكلان  
أنه منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد .
- ٢١ - « الذخيرة في الأصول » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٢٢ - « الذريعة في أصول الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،  
وابن شهر آشوب .

٢٣ - « الرد على يحيى بن عدى فى اعتراض دليل الموجد فى حدث الأجسام » ، ذكره النجاشى ، وابن شهر آشوب .

٢٤ - « الرد على يحيى بن عدى فى مسألة سماها طبيعة المسلمين » ؛ ذكره النجاشى .

٢٥ - « الرسالة الباهرة فى العثرة الطاهرة » ذكره ابن شهر آشوب .

٢٦ - « رسالة فى المحكم والمتشابه » ، منقول من تفسير النعمانى ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

٢٧ - « الشافى فى الإمامة والنقض على كتاب المغنى للقاضى عبد الجبار بن أحمد » ،

ذكره أبو جعفر الطوسى وقال : « إنه لم يؤلف مثله فى الإمامة » ، وذكره أيضا

النجاشى ، وابن شهر آشوب . وقد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى

المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، وطبع الكتاب والمختصر فى العجم سنة ١٣٠١ فى جزأين .

٢٨ - « شرح مسائل الخلاف » ، ذكره النجاشى .

٢٩ - « الشهاب فى الشيب والشباب » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ،

وطبع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ .

٣٠ - « طيف الخيال » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، ومنه نسخة

مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٣١٣ز ، عن النسخة المحفوظة بمكتبة الأسكوريال .

٣١ - « غرر الفوائد ودرر القلائد » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن

شهر آشوب ، وقد اختصره عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العلائقى ، وسماه

« غرر الغرر ، ودرر الدرر » ، وأكمل هذا المختصر فى سنة ٧٦٦ هـ ، ومنه نسخة خطية

فى مكتبة طهران ؛ ذكره بروكلمان .

٣٢ - « الفرائض فى نصر الرواية ، وإبطال القول بالعدد » ، ذكره ابن شهر آشوب .

٣٣ - « الفقه الملكى » ، ذكره ابن شهر آشوب .

- ٣٤ - « الكلام على من تعلق بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ » ، ذكره النجاشي .
- ٣٥ - « ما تفرد به الإمامية » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٣٦ - « مسائل آيات » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٣٧ - « مسائل أهل مصر الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي .
- ٣٨ - « مسائل البادريات » ذكره النجاشي .
- ٣٩ - « المسائل التبتانية » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٠ - « المسائل الجرجانية » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤١ - « المسائل الحلبية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٢ - « مسائل الخلاف في الفقه » ، لم يتمه ؛ ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ؛  
وذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد ( ضمن مجموعة ) .
- ٤٣ - « المسائل الرازية » ١٤ مسألة ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٤٤ - « المسائل الرمليات » ، ذكره النجاشي .
- ٤٥ - « المسائل السلارية » ، ذكره ابن شهر آشوب ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة  
مخطوطة في مكتبة مشهد ( ضمن مجموعة ) .
- ٤٦ - « المسائل الصيداوية » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٧ - « المسائل الطبرية » ، ذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد ، وذكره  
أيضا الكنتوري في كشف الحجب .
- ٤٨ - « المسائل الطرابلسية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،  
وابن شهر آشوب .

- ٤٩ - « المسائل الطوسية » ، لم يتم . ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٠ - « المسائل الحمديات » ، ذكره النجاشي .
- ٥١ - « مسائل مفردات من أصول الفقه » ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب :
- ٥٢ - « مسائل مفردات » ، نحو مائة مسألة في فنون شتى ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٣ - « المسائل الموصالية الثلاثة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- وذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد ( ضمن مجموعة ) .
- ٥٤ - « مسائل ميفارقين » ، ذكره ابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في النجف ، في مكتبة خاصة ، وأخرى في مكتبة مشهد ( ضمن مجموعة ) .
- ٥٥ - « المسائل الناصرية في الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب « الجوامع الفقهية » لمحمد بن باقر في طهران ١٢٧٦ .
- ٥٦ - « مسألة في الإرادة » ، ذكره النجاشي .
- ٥٧ - « مسألة في دليل الخطاب » ، ذكره النجاشي .
- ٥٨ - « مسألة في التأكيذ » ، ذكره النجاشي .
- ٥٩ - « مسألة في التوبة » ، ذكره النجاشي .
- ٦٠ - « مسألة في قتل السلطان » ذكره النجاشي .
- ٦١ - « مسألة في كونه تعالى عالما » ، ذكره النجاشي .
- ٦٢ - « مسألة في المتعة » ، ذكره النجاشي .
- ٦٣ - « المصباح في أصول الفقه » ، لم يتمه ذكره أبو جعفر الطوسي والنجاشي ، وابن شهر آشوب .

٦٤ - « المقنع في الغيبة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .

٦٥ - « المخلص في الأصول » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،  
وابن شهر آشوب .

٦٦ - « المنع في تفضيل الملائكة على الأنبياء » ، ذكره ابن شهر آشوب .

٦٧ - « الموضح عن وجه إعجاز القرآن » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،  
وسمياه « كتاب الصرف » ، وذكره أيضا ابن شهر آشوب .

٦٨ - « نقض الرواية ، وإبطال القول بالعدد » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وذكره أيضا  
ابن شهر آشوب ، وسماه « مختصر الفرائض في قصر الرواية وإبطال القول بالعدد »  
وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد ( ضمن مجموعة ) .

٦٩ - « النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،  
وابن شهر آشوب .

٧٠ - « نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر » ، ذكره ابن شهر آشوب .

٧١ - « الوعيد » ، ذكره النجاشي .

### ٣ - أمالى المرتضى

وحينما يستعرض الباحث كتب العربية النفيسة التي حوت ألوان المعارف ، وزخرت بأشتات الطرائف ، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح ، وحقائق السير والتاريخ والأخبار ، ونصوص الشعر واللغة والغريب فإنه بلا مرء يعد منها كتاب أمالى المرتضى - أو كما يسميه مؤلفه غرر الفوائد ودرر القلائد - وينظمه في العقد الذي يضم كتاب الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والمقد لابن عبد ربه، والأغانى لأبى الفرج، وغيرها من الكتب التي حلقت في سماء الآداب العربية كالنجوم، وأرست قواعدها كالأطواد ، وعمرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء ؛ وتدارسها المتأدبون جيلا بعد جيل ؛ وتداولها النساخ ، وعُدّت في مكتبات الدارسين من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق .

وهي مجالس مختلفة ، أملاها في أزمان متعاقبة ؛ تنمّل فيها من موضوع إلى موضوع ، ومن غرض إلى آخر ؛ اختار بعض آى القرآن الكريم؛ مما يُعْمَلُ تأويله على الخاصة، بله العامة ؛ ويدور حولها السؤال، ويشار الاستشكال؛ وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة أصحابه من المعتزلة، أو أصحاب العدل كما كان يسميهم ؛ وحاول جهده أن يوفّق بين تأويل الآيات المتشابهة ، وما دار على ألسنة العرب من نصوص الشعر واللغة ؛ وفي هذا أبدى تفوقا عجيبا؛ وأبان عن ذهن وقاد، وذكاء متلهب، وبَصَر نافذ ؛ وأعانه فيما فسر وأوّل ووجّه وفرةُ محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام. وكان الطابع الذي يذلل عليه عرض الوجوه المختلفة؛ والآراء المحتملة، مجوّزا في ذلك إمكان الأخذ بالآراء جميعاً .

وترجع قيمة ما عرض له الشريف في هذه المجالس من تأويل الآيات إلى أنها تُعدُّ صورة لتفسير القرآن الكريم عند علماء المعتزلة ؛ مما لم يصل إلينا من كتبهم إلا القليل النادر.

واختار أيضا طائفة من الأحاديث التي يختلف العلماء في تأويلها ؛ ويبدو التعارض فيما



بينها وحاول تفسيرها وتأويلها ؛ بالمنهج الذى عالج به تأويل آى القرآن ؛ مستعيناً بشواهد الشعر واللغة ؛ موضحاً مذهب أصحابه من أهل العدل ؛ مُدلياً بحجتهم على مَنْ خالف تأويلهم من جماعة أهل السنة ، أو أهل الجبر كما كان يسميهم ؛ وناقش ابن قتيبة وأبا عبيد القاسم بن سلام وابن الأنبارى فى ذلك على الخصوص .

ثم عرض لمسائل فى علم الكلام مما اشتجر فيها رأى ، ودار حولها الجدل ؛ واصطُرعت الأفلام ، وأقيمت المناظرات ؛ مثل القول برؤية الله ، وخلق أفعال العباد ؛ وإرادة الله للقبائح ، والقول بوجوب الأصاح ، وقرر رأى أصحابه ؛ وحاجّ عنهم ، واحتج على خصومهم ؛ وكان فيما جادل وناقش رفيقاً فى الجدل عفيفاً فى المقال .

وأودع فى الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والأحاديث وعرض المسائل مختاراتٍ من المصطفى المنخول من الشعر وحرّ الكلام ؛ تناولها بالشرح والنقد والموازنة ، وذكر صدرا من تراجم الشعراء والعلماء والأدباء وأصحاب الأهواء والآراء الخاصة ؛ وأورد طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونوادرهم ، ثم استروح بذكر فيض من الطرائف النادرة ، والأجوبة الحاضرة المسكتة ، والأفاكيه الرفيعة ؛ معتمداً فيما أورده على ما وصل إليه من كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وأبى حاتم والآمدى وغيرهم ، أو مارواه عن شيوخه ، وأبى عبيد الله المرزبانى على الخصوص .

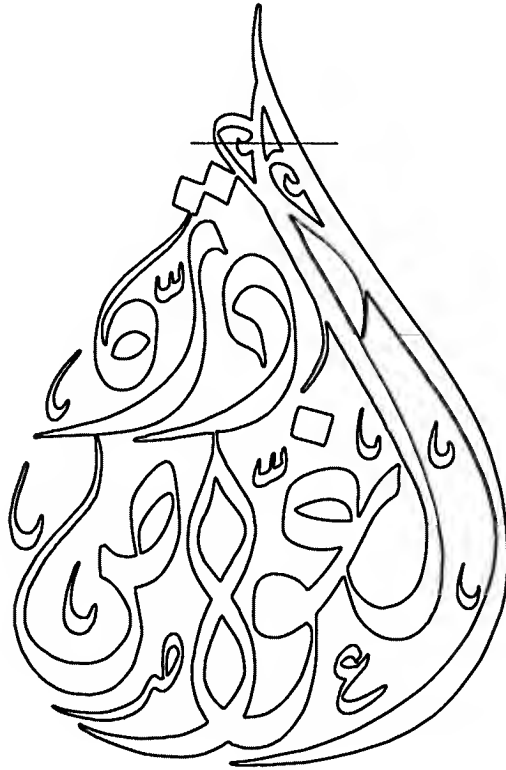
واختار أيضاً بعض الموضوعات التى كانت مقاصد شعراء العربية فى الجاهلية وصدر الإسلام ؛ كالدائى والأهاجى والمراثى والسير ووصف الشيب والطيف وغيرها ، وأورد ما قاله الشعراء فيها ؛ ووازن بين الكثير منها ، وتناولها بالنقد فى كثير من الأحيان .

وبهذه الفنون المتنوعة ؛ والفصول المختلفة ؛ والمباحث الجليلة اجتمع للكتاب ميزة كبرى بين الكتب العربية ؛ وعدّ مصدراً ينقل عنه العلماء ، ويحتج به الأدباء ؛ ويرد شرعته القارئون على ممرّ الأجيال .

\*\*\*

ويبدو أن هذه المجالس أملاها الشريف في داره على تلاميذه ومريديه ؛ في أزمنة مختلفة متعاقبة ؛ لم يصل العلم إلى التاريخ الذي بدأها فيه ؛ ولكن الثابت أنه فرغ من إملائها يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ؛ كما ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى في آخر نسخته .

أما الزيادات التي في آخر الكتاب ؛ وهي التي عرفت بتكملة الغرر فهي طائفة أخرى من المسائل التي اختارها فيما كان يمرض له في مجالسه فيما بعد ؛ وأشار بأن تضاف إلى الكتاب ، للتشابه بينهما في المنهج والمنحى ؛ وبهذه التكملة يتم الكتاب .



## ٤ - نسخ الكتاب

١ - نسخة كتبت في سنة ٥٦٧ ، ووقعت في ملك الحسين بن أبي عبد الله بن إبراهيم الخوارجي ، وقرأها علي فضل الله بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن الحسين ، وأجاز له روايتها بتاريخ ٥٦٨ عنه ، عن شيخه عبد الرحيم بن أحمد بن الإخوة البغدادى عن أبي غانم العصى عن السيد المرتضى ، وعنه أيضا عن النقيب حمزة بن أبي الأعز الحسينى عن أبي المعالى أحمد بن قدامة عن السيد المرتضى ، وعنه أيضا عن السيد المرتضى بن الداعى الحسينى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الدوريسى . وعلى النسخة حواش كثيرة ، هي مما أملاه فضل الله على تلميذه الحسين بن أبي عبد الله الخوارجي ، أو مما نقله من نسخته ، مقرونة برموز أصحابها ، أو غير مقرونة وعلى الصفحة الأولى من هذه النسخة رموز النسخ التي قابل فضل الله بن علي نسخته عليها ، وأسماء أصحابها ، كتبت على النحو الآتى :

” س : علامة نسخة مولانا الصدر الكبير العلامة ضياء الدين تاج الإسلام ، سلطان العلماء ، أبي الرضا فضل الله بن علي الحسينى الراوندى قدس الله روحه “

\*\*\*

” ص : علامة نسخة أبي الصلاح التقي نجم الدين الحلبي ، رحمه الله ، وكان سمع هذا الكتاب على السيد علم الهدى رضى الله عنه بقراءة غيره “

\*\*\*

” ش : علامة نسخة السيد أبي السعادات هبة الله بن علي بن عبد الله بن حمزة العلوى الشجرى ، وكانت نسخته بخطه رضى الله عنه “

\*\*\*

” ج : علامة نسخة الشريف أبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى رحمه الله ، وكان خليفة الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثى رضى الله عنه والجالس مكانه ، وكتب بخطه فى آخر نسخته من هذا الكتاب : هذا آخر مجلس أملاه سيدنا أدام الله علوه ثم تشاغل عنه بأمور الحج ، ووقع الفراغ منه يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة “

\*\*\*

وتبدأ هذه النسخة بصفحة فيها مقدمة الفهرست ، وبها التعريفات والرموز الخاصة التى قابل عليها صاحب النسخة واستفاد منها ، ثم يلى ذلك الفهرست ، وفيه عنوانات المجالس وموضوعاتها ، ثم صفحتان بهما نقول وأشعار ثم دعاء كتب فى سنة ٧٦١ ، ثم يلى ذلك صحيفة العنوان ، وهو مكتوب بالخط الكوفى الجميل المزخرف بحلية على شكل زهور ، تحتها اسم المؤلف ، داخل إطار ، بالخط النسخى الجميل ، ثم تحتها إطار أكبر ، به نصّ إجازة فضل الله ابن على ، وفى حواشى الصحيفة بعض التملكات وإثبات قراءة كمال الدين المرتضى المرعشى على الحسين بن أبى عبدالله الخوجانى من أول الكتاب إلى المجلس الحادى والثلاثين ، وإجازته بتاريخ ٥٨٤ . ثم يلى ذلك أبواب الكتاب ، وعنوانات المجالس فى وسط السطر بخط كبير واضح .

وفى آخر النسخة : « وافق الفراغ من نسخه فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير » .

وهى مكتوبة بقلم معتاد واضح مضبوط أكثره بالشكل ، وتقع فى ٣١٧ ورقة ، وعدد سطور الصفحة عشرون سطرا ، وأصلها المخطوط بمكتبة الإسكوريال برقم ١٤٥ .

وإلى صديق العلامة الأستاذ محمد بن تاووت الطنجيّ يرجع الفضل في إعانتى على تصوير نسخة منها .

وقد رمزت إلى هذه النسخة بكلمة « الأصل » وأثبت جميع ما فيها من الحواشى .

\*\*\*

(٢) نسخة بخط محمد بن أبي طاهر بن أبي الحسين الوراق ، فرغ من كتابتها في منتصف رجب سنة ٥٨٦ برسم مرشد الدين أبي الحسن علي بن الحسين بن أبي الحسن الواراني ، وعليها قراءة للواراني على شيخه الحسن بن الحسين بن علي الدوريسى بتاريخ سنة ٥٨٧ ، بروايته عن فضل الله بن علي بن الحسين الراوندى عن الإمام عبدالرحيم بن الإخوة عن أبي غانم العصى عن السيد المرتضى ؛ وكتب ذلك الدوريسى بخطه .

وفي آخر هذه النسخة الزيادات التي رأى السيد المرتضى إضافتها إلى الكتاب ؛ مما لم يذكر في نسخة الأصل ؛ وهي أيضا بخط محمد بن أبي طاهر بن أبي الحسين الوراق ، كتبها برسم مرشد الدين أبي الحسن الوراق المذكور في شعبان من السنة نفسها وعلى هذه النسخة ما يثبت أن الحسن بن الحسن بن الحسين انتسخ منها ومن الزيادات نسخة له .  
وفيه حواش كثيرة ؛ ومنها ما يوافق ما في حواشى نسخة الأصل .

وقد فقد منها صفحة العنوان الخارجىّ ؛ ولعله يكون قد ألصقت بها ورقة بيضاء ، وبظهرها فاتحة الكتاب ، وبرأسها حلية بالألوان وعنوانات المجالس مميزة بخط كبير واضح ، وفي آخرها اسم ناسخها وتاريخ النسخ ؛ مرة بعد المجالس ومرة بعد الزيادات . وهي مكتوبة بقلم معتاد ، مضبوطة بالشكل الكامل المتقن ؛ وعدد أوراقها ٢٤٥ ورقة وفي كل صفحة ٢٢ سطرا .

وأصل هذه النسخة مخطوط محفوظ بمكتبة فيض الله بإستانبول برقم ١٤٨٥ ؛ وهي مما

صوره معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة . وقد رمزت إليها بالحرف « ف » .

\*\*\*

٣ - نسخة كتبت لحيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن زيد بن عبد الله الحسيني، وعليها سماع لأبي البركات علي بن نصر بن علي بن الأعز الحسيني على حيدر المذكور مؤرخ سنة ٦١٩ .

والموجود منها مجلد واحد ينتهي بآخر المجلس الرابع والثلاثين ، وليس بآخره اسم الناسخ أو تاريخ النسخ ، ومن المؤكد أنها كتبت قبل سنة ٦١٩ ، وهو تاريخ السماع الموجود بالصفحة الأولى .

وبآخر المجلد سماع لحيدر بن محمد صاحب النسخة المذكور، بقراءة علي ابن الأعز وبحضور آخرين ذكرت أسماءهم ، بتاريخ سنة ٦٢٤ .

وقد عورضت هذه النسخة بنسخ أخرى، أشير إلى خلافها في الحاشية بهذا الرمز (خ) . وبها حواش يوافق الكثير منها الحواشي التي ذكرت في الأصل . ويلاحظ أن بعض هذه الحواشي نقلت عن نسخة ابن الشجري ، ويسبقها رمزها المعروف : « ش » أحياناً ، وأحياناً بلفظ « ابن الشجري » .

وقد كتبت بالخط النسخ الجلي الواضح، وضبطت بالشكل الكامل، وعدد أوراقها ٢٨٥ ورقة وعدد سطور كل صفحة ١٣ سطرا ، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٣ أدب تيمور .

وقد رمزت إليها بالحرف « ت » .

\*\*\*

٤ - نسخة بخط هاشم بن الحسين الحسيني ، فرغ من كتابتها في العاشر من شعبان

سنة ١٠٦٧ ، وذكر في آخرها أنه قابلها على الأصل الذي كتبت عنه ، وانتهى من ذلك في السادس عشر من شعبان المذكور .

وهي أربعة أجزاء في مجلد واحد . وتقع في ١٨٢ ورقة ، وفي كل صفحة ٢٣ سطرا ؛ كتبت بخط دقيق .

وقد رمزت إليها بالحرف «د»

\*\*\*

٥ - نسخة طبعت في طهران سنة ١٢٧٣ ، ومعها التكملة ، وعليها حواش ، يوافق بعضها ما في نسختي الأصل ، وف . ولم يذكر فيها ما يشير إلى الأصل الذي طبعت عليه ؛ إلا أنه ذكر في حاشية ص ٢٠٠ عند آخر المجلس الرابع والعشرين : « هذا آخر المجلدة الأولى من أصل الجعفرى - رحمه الله » . ويؤخذ من هذا أن لها علاقة بنسخة أبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى ؛ وهي إحدى النسخ التي قبلت بها نسخة « الأصل » .

وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف « ط »

٦ - نسخة طبعت في مصر بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ ؛ على نفقة السيد أمين الخانجي وأحمد ناجي الجمالي ، وعليها شروح وتعليقات للسيد محمد بدر الدين النعماني الحلبي ، ثم السيد أحمد أمين الشنقيطي .

ولم يذكر أيها ما يشير إلى الأصل الذي طبعت عليه . والعنوان الذي وضع على هذه الطبعة : «أمالى السيد المرتضى» ، وبه عرف الكتاب .

وقد أشرت إلى هذه النسخة بالحرف « م »

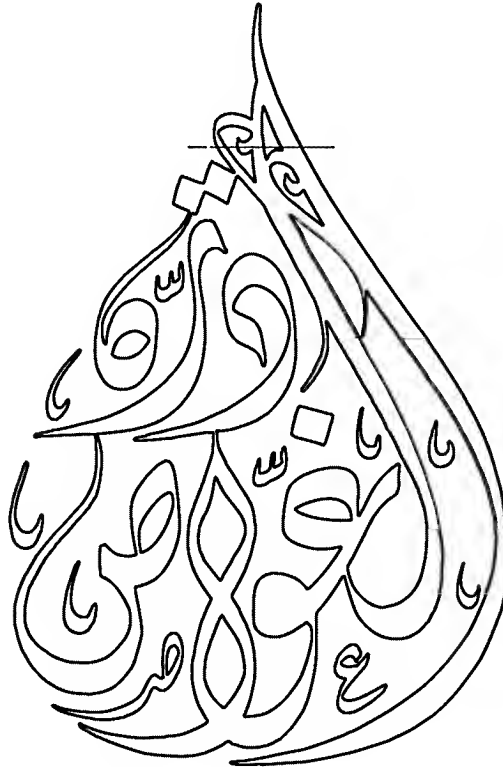
وقد اتخذت نسخة الإسكوريال أصلا للعمل ، وأثبت نصها ، ووضعت فروق النسخ

المخطوطة الأخرى ، أما النسختان المطبوعتان ، فإنني لم أذكر منهما إلا ما انفردا فيه برواية ، وهو قليل .

وقد أثبت جميع حواشي الأصل ، وبعض حواشي نسختي ت ، ف . ووضعت هذه الحواشي بين أقواس تميزها لها عما وضعت من الشرح والتعليق .  
وقد بذلت ماوسع الجهد والطاقة؛ ومن الله ألتبس الجزاء فيما قصدت؛ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر الجديدة ٨ شعبان سنة ١٣٧٣  
١٢ إبريل سنة ١٩٥٤

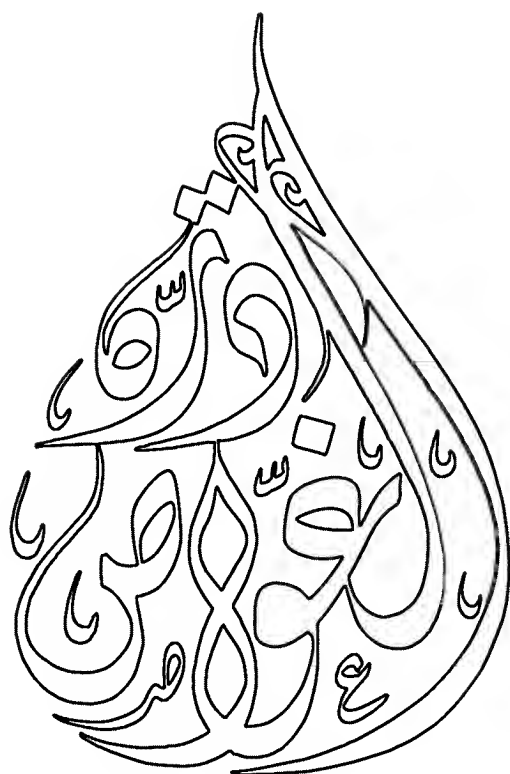








وجه الورقة الثانية من نسخة الأصل



مؤلفه

# أما إلى المتقضى

غُرُ الفوائد وَ دُرُر الفوائد  
للشرف المتقضى على بن الحسين الموسوى العلوى

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

مكتبة  
الدكتور زكي الدين



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَجَالِس

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه : إن<sup>(١)</sup> «سأل سائل» عن قول الله تعالى<sup>(٢)</sup> : [١٧] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ . [الإسراء : ١٦] .

في هذه<sup>(٣)</sup> الآية وجوه من التأويل ؛ كل منها يُبطل الشبهة الداخلة على المبطلين فيها ؛ حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه ، وصرّفوه عن بابه .

أولها : أن الإهلاك قد يكون حسناً ، وقد يكون قبيحاً ؛ فإذا كان مُسْتَحَقّاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً ، وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظُلماً ؛ فتعلق الإرادة به لا يقتضي تعلّقها به على الوجه القبيح ، ولا ظاهر الآية<sup>(٤)</sup> يقتضي ذلك ؛ وإذا علمنا بالأدلة تنزّه القديم تعالى عن القبايح علمنا أن الإرادة لم تتعلّق إلا بالإهلاك الحسن ؛ وقوله تعالى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المأمور به محذوف ؛ وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق ، وإن وقع بعده الفسق ؛ ويجرى هذا مجرى<sup>(٥)</sup> قول التائل : أمرته فعضي ، ودعوته فأبى . والمراد أنني أمرته بالطاعة ، ودعوته إلى الإجابة والقبول .

ويمكن أن يقال على هذا الوجه : ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه ؛ وإنما موضعها أن يقال : أي معنى لتقدم الإرادة ؟ فإن كانت متعلّقة بإهلاك مُسْتَحَقٍّ بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى : إذا أردنا أمرنا ؛ لأن أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته ١٥

(١-١) ت ، د ، ف : «قال الله جل من قال» . (٢) حاشية ت (من نسخة) : «لهذه» .

(٣) ش : «ولا ظاهر الآية» . (٤) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : «وإنما

يجرى» ، وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة أخرى) : «وإنما هذا يجري» .

للعقاب المستحق بما تقدم من الأفعال ، وإن كانت الإرادة متعلقة بالإهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا الذي تأبونه ، لأنه يقتضي أنه تعالى يريد لإهلاك من لم يستحق العقاب .  
والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلق الإرادة إلا بالإهلاك<sup>(١)</sup> المستحق بما تقدم من الذنوب ؛ والذي حسن قوله تعالى : وإذا أردنا أمرنا ... هو أن في تكرار الأمر بالطاعة والإيمان إغذاراً إلى العصاة ، وإنذاراً لهم ، وإيجاباً وإثباتاً<sup>(٢)</sup> للحجة عليهم / : حتى يكونوا متى خلفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار<sup>(٣)</sup> الوعيد والوعظ والإنذار ممن يحق عليه القول ، وتجب عليه<sup>(٤)</sup> الحجة ؛ ويشهد بصحة<sup>(٥)</sup> هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . [الإسراء : ١٥] .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يكون قوله تعالى : ﴿ أَمْرُنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ من صفوة القرية وصلتها ، ولا يكون جواباً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ ، ويكون تقدير الكلام : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أننا أمرنا مترفياً ففسقوا فيها<sup>(٦)</sup> ، وتكون « إذا » على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية ، للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه<sup>(٧)</sup> ؛ ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

(١) ت ، ف : « يهلك مستحق » . (٢) ساقطة من ت ، د ، ف . (٣) ت ، د : « تكرر » .  
(٤) ساقطة من ف . (٥) ت ، ف : « لصحة » . (٦) في ت ، وحاشية الأصل :  
« ويكون كأنه قال تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية مأموراً مترفوها كررنا القول عليهم ، وأعدنا الوعد لهم ، وأمرناهم ثانياً ففسقوا فيها ، فحق عليها القول . والله أعلم بالمراد » .

(٧) في ت ، ق ، حاشية الأصل ، : « يمكن أن يتمحل » لإذا « في الآية جواب ، وهو أن تجعل الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَدَمَّرْنَاهَا ﴾ زائدة ، وتعمل « دمرنا » جواباً لإذا ، ولا خلاف في مورد الفاء زائدة في كلام العرب ؛ حكى ابن جنى عن أبي على قال : حكى أبو الحسن عنهم : « أخوك فوجد » بمعنى أخوك وجد . ومن ذلك قولهم : زيدا فاضربه ، وعمرافاً كرم ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، ويكون معنى الآية على هذا إخباراً عن عزة الله تعالى وقدرته على جميع ما أراد تعالى . وحجة الفاء زائدة ، في بيت الكتاب :

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنْفِسًا أَهْلَكَتُهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَعَنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي  
الفاء في « فاجزعي » زائدة .



لَهُمْ خَزَنَتُهُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٣-٧٤﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤] ، ولم يأت « لإذا » جوابٌ في طول الكلام الاستغناء عنه<sup>(١)</sup> .

ويشهد أيضا بصحة<sup>(٢)</sup> هذا الجواب قول الهذلي :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ<sup>(٣)</sup> فِي قُتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةَ الشُّرْدَا<sup>(٤)</sup> ٥  
فَحَذَفَ جَوَابَ إِذَا ، وَلَمْ يَأْتِ بِهِ ، لِأَنَّ هَذَا الْبَيْتَ آخِرَ الْقَصِيدَةِ<sup>(٥)</sup> .

والوجه الثالث : أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً أو اتساعاً وتنبهياً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم ، وأنهم متى أُمِرُوا فَسَقُوا وخالفوا ؛ وذكرُ الإرادة يجري هاهنا مَجْرَى قَوْلِهِمْ : إِذَا أَرَادَ التَّاجِرُ أَنْ يَفْتَقِرَ أَنْتَهُ النَّوَائِبُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَجَاءَ الْخُسْرَانُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَقَوْلِهِمْ : إِذَا أَرَادَ الْعَلِيلُ أَنْ يَمُوتَ خَلَطَ فِي مَا كَلَهُ ، وَتَسَرَّعَ إِلَى كُلِّ مَا تَنَوَّقُ ١٠

(١) حاشية الأصل : « كأن التقدير : إِذَا جَاءَ وَهِيَ حَضَرُهَا وَفَتَحَتْ ؛ أَوْ هِيَ بَدْخُولِهَا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ » . (٢) كذا في الأصل ، حاشية ت (من نسخة) ؛ وفي ت ، ف : « لصحة » . (٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « سَلَكَوْهُمْ » .

وسلك لغة في أسلك ، وأورده صاحب الكشاف بهذه الرواية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ . (٤) حواشي الأصل ، ت ، د ، ف : « البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي ؛ في آخر قصيدته التي أولها :

مَاذَا يَغْيِرُ ابْنَتِي رُبْعَ عَوِيلِهِمَا لَا تَرْقِدَانِ وَلَا يُوسَى لِمَنْ رَقَدَا

قنائة : موضع ، والجمالة : أصحاب الجمال ، كالغزالة والحمار ، واتصاب « شلا » على المصدر ، ودل على فعل مضمحل يحصل بظهوره جواب « حتى إذا سَلَكَوْهُمْ » المنتظر ، وتلخيصه : حتى إذا أسَلَكَوْهُمْ هذا الموضع شَلَوْهُمُ شَلًّا ، يشبه طرد الشرد من الجمال إذا تزاخت على الماء ؛ وهذا كما يقال : طردوهم طرد غرائب الإبل . ومعنى أسَلَكَوْهُمْ جعلوا لهم مسلكا ، والسلك : إدخال شيء في شيء تسلك فيه ، ومنه ﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ . وروى أبو عبيدة : « الشرد » ( بفتح الشين والراء ) ، وقال : تقول : إبل شرد وجلب وطرد .

وانظر الكلام على هذا البيت في ( ديوان الهذليين ٢ : ٤٢ ، وأدب الكاتب ٢٤ : ٤٢٤ ، والاقتضاب ٤٠٢ ) . (٥) حاشية الأصل : « جواب الشرط جزء لا يتم المشروط دونه ؛ فإذا حذف كان أهول للكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ... ﴾ الآية ، وكقول الفائل : لو رأيت عليا بصفين ، وكقولهم : لو ذات سوار لطمعتي » .

إليه نفسه ؛ ومعلوم أن التاجر لم يُرد في الحقيقة شيئاً ، ولا العليل<sup>(١)</sup> أيضاً ، لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ، ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام ، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه<sup>(٢)</sup> . وكلام العرب وَحْيٌ وإشارات واستعارات ومجازات<sup>(٣)</sup> . ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ؛ فإن الكلام متى خلا من الاستعارة<sup>(٤)</sup> ، وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة ، برياً من البلاغة ، وكلام الله تعالى أفصح الكلام .

[ ٢ ظ ] / والوجه الرابع : أن تُحمل الآية على التقديم والتأخير ؛ فيكون تلخيصها : إذا أمرنا مَتر في قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم ؛ والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير . ومما يمكن أن يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ [ المائدة : ٦ ] ، والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ [ النساء : ١٠٢ ] ، وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ؛ لأن إقامتها هي<sup>(٥)</sup> الإتيان بجميعها على الكمال .

فأما قراءة مَنْ قَرَأَ آيَةَ بِالْتَّشْدِيدِ فقال : ﴿ أَمَرْنَا ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقراءة مَنْ قَرَأَهَا بِالْمَدِّ

(١) كذا في الأصل ، د ، وحاشية ت ( من نسخة ) ، وفي ت ، ف : « المريض » .  
(٢) في حاشية الأصل ، ت : « تصوير المجاز في الآية على أن التقدير : إذا قرب هلاك قرية أمرنا متريفيها ففسقوا ؛ وكذلك قودم : إذ أراد المريض ... التقدير : إذا قرب موت المريض خلط ، وكذلك التاجر إذا قرب افتقاره أثنه النوائب ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ أي يقرب أن ينقض ؛ وإنما كنى بالإرادة عن القرب في هذه المواضع لأن المرید للشيء ، الخلى بينه وبينه — ولا مانع هناك — ما أقرب ما يقع مراده ، والله أعلم . (٣) حاشية الأصل : « الإرادة قد تستعمل في الجماد فضلاً عن العقلاء ؛ كقوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ وكقول الراعي النبري :

فِي مَهْمَةٍ قَلَبْتُ بِهِ هَامَاتُهَا قَلَقَ الْفُؤُسَ إِذَا أَرَدَنَ نُصُولَا

(٤) كذا في الأصل ، وحاشية ت ( من نسخة ) ، وفي ت : « وإن كان الكلام متى خلا من الاستعارة » ، وفي ف : « فإن كان الكلام متى خلا من الاستعارات » . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « هو الإتيان » .  
(٦) هي قراءة شاذة ، عن أبي عثمان النهدي ، والليث عن أبي عمرو ، وأبان عن عاصم . ( وانظر الفراءات الشاذة لابن خالويه ٧٥ ) .

والتخفيف يقال : ﴿آمَرْنَا﴾<sup>(١)</sup> فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجود التي ذكرناها<sup>(٢)</sup> ؛ إلا الوجه الأول ؛ فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يُستدعى به الفعل<sup>(٣)</sup> .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهِ لَتِيَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَجْذَمٌ » .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(٤)</sup> مفسراً لهذا البيت في كتابه غريب الحديث : الأجزم : المقطوع اليد ، واستشهد بقول المتلمس<sup>(٥)</sup> :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمًا  
وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة<sup>(٦)</sup> بأبيد في تأويله هذا الخبر وقال : الأجزم وإن

(١) هي قراءة شاذة أيضاً ، عن خارجة عن نافع ؛ ( وانظر المصدر السابق ) .

(٢) حاشية الأصل : « قوله أمرنا ، بالشديد : كثرنا ، وآمرنا ، بالتخفيف : جعلناهم أمراء ؛ وإن شئت فقلعكس من ذلك ، والصحيح العكس » . (٣) ت ، د ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « يستدعى به إلى الفعل » .

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، اللغوي الفقيه المحدث ، ولد بهراة ، ثم ذهب إلى بغداد ، ودرس بها الأدب والحديث والفقه ، وولى القضاء بطرسوس ؛ وخرج منها إلى مكة ، وسكنها حتى مات سنة ٢٢٤ . وكتابه غريب الحديث جمع فيه ما في كتب أبي عبيدة وقطرب والأخفش والنضر بن شميل ، وذكر أحاديث كل رجل من الصحابة على حدة . قال ابن الأثير : « جمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ، الذي صار أولاً ؛ وإن كان أخيراً ؛ لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والقوائد الجملة ؛ فعسار فيه القدوة في هذا الشأن ، أفنى فيه عمره ؛ حتى إنه قل فيما يروى : إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمري » . ومنه نسخة مصورة بدار السكتب المصرية منقولة عن نسخة مخطوطة بمكتبة كبرى لي بالآستانة . ( وانظر إنباه الرواة ٣ : ١٢-٢٣ ، والنهاية لابن الأثير ١ : ٤-٥ . وكشف الغنون ١٢٠٤ ) . (٥) هو جرير بن عبد المسيح الضبيعي ، والبيت من قصيدة له أولها :

يُعِيرُنِي أُمِّي رَجَالٌ وَلَا أَرَى أَحَا كَرَمٍ إِلَّا بَانَ يَتَكَرَّمَا

وهي في (ديوانه ١٦٩ ، والأصمعيات ٦٤-٦٥ ، ومختارات ابن السجري ٢٨-١٩) ؛ وخبر القصيدة في (الخزانة ٤ : ٢١٥ - ٢١٦) . (٦) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ولد ببغداد ونشأ =

كان المقطوع اليد ؛ فإن هذا المعنى لا يابق بهذا الموضع . قال : لأن العقوبات من الله تعالى لا تكون إلا وفقاً للذنوب وبحسبها ، واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن ، فكيف تُعاقب فيه ! واستشهد بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وزعم أن تأويل الآية أن الربا إذا أكلوه ثقل في بطونهم ، ورباً في أجوافهم ؛ فجعل قيامهم مثل قيام<sup>(١)</sup> من يتخبطه الشيطان تعثراً وتخبلاً . واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « رأيت ليلة أُسرى بي قوماً تُقرضُ شِفَاهَهُمْ ، وكلما قُرِضَتْ وَفَتْ ، فقال لي جبريل : هؤلاء خطباء أمتك ، تُقرضُ<sup>(٢)</sup> شِفَاهَهُمْ ؛ لأنهم يقولون مالا يفعلون » . قال : والأجذم في الخبر إنما هو المجذوم ؛ وإنما جاز أن يُسمى المجذوم أجذم ؛ لأن الجذام يقطع ١٠ أعضاءه ويشذبها ؛ والجذم هو القطع .

[ ٣٠ ] قال الشريف المرتضى رضي الله عنه : قد أخطأ الرجلان جميعاً ، / وذهبا عن الصواب ذهبا بعيدا ، وإن كان غلط ابن قتيبة أخش وأقبح ؛ لأنه علل غلطه ، فأخرجه إلى أغاليط كثيرة ؛ ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أورده .

أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها ؛ وإنما أراد عليه السلام بقوله : يحشر أجذم ؛ المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال ، وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال . والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه ؛ لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل إلى كثير من المنافع إلا بها ؛ ففادها

== بها ، وأقام بالدينور مدة فذهب إليها ، وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه وطبقته ، وروى عنه ولده أحمد وابن درستوبه ؛ توفي سنة ٢٧٦ ؛ وكتابه في غريب الحديث ذكره ابن الأثير فقال : « فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ؛ حذا فيه حذو أبي عبيد ، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد ؛ إلا ما دعت إليه حاجة من شرح وبيان واستدراك ، فجاء كتابه مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر » . ( وانظر إنباه الرواة ٢ : ١٤٣-١٤٧ ، والنهاية لابن الأثير ١ - ٥ ، وكشف الظنون ١٢٠٤ ) . (١) ساقطة من ف . (٢) كذا ضبطت بالقلم في الأصل ، وفوت ، ش : « تقرر » بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء المفتوحة .

يفقد ما كان عليه من الكمال، وتفوته النافع والمرافق التي كان يجعلُ يده ذريعةً إلى تناولها؛ وهذه حالُ ناسي القرآن ومضيعة<sup>(١)</sup> بعد حفظه، لأنه يفقد ما كان لا بساً له من الجمال، ومستحقاً له من الثواب، وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة؛ يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه<sup>(٢)</sup> : فلان بعد فلان أجذع، وقد بقي بعده أجذم؛ قال الفرزدق يرثي مالك بن مسعم<sup>(٣)</sup> :  
تَضَعَّعَ طَوْدًا وَائِلٌ بَعْدَ مَالِكٍ وَأَصْبَحَ مِنْهَا مَعْطِسُ الْعِزِّ أَجْدَعًا<sup>(٤)</sup> ٥  
وإنما أراد المعنى الذي ذكرناه. وللعرب ملاحنٌ في كلامها<sup>(٥)</sup>، وإشارات إلى الأغراض، وتلويحات بالمعاني، متى لم يفهمها ويسرع إلى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم، وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه، متعدياً طوره.

ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان؛ أما أبو عبيد فإن خطأه من حيث لم يَفْظُنْ للعرض في الخبر، وضلَّ عن وجهه، وإلا فلا جذمُ هو الأقطع لا محالة كما قال؛ إلا أنه لا يليقُ بهذا الموضع، وإذا أُحْمِلَ عليه لم يُفِدْ شيئاً؛ وإن كانت<sup>(٦)</sup> شبهته التي أوقعته في هذا التأويل ظننه أن ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن، لأنَّ الجذمَ<sup>(٧)</sup> أولاً ليس بعقوبة؛ لأن الله تعالى قد يجذم<sup>(٨)</sup> أوليائه والصالحين من عباده، ويقطع أعضاءهم بالأمراض، وقد يبتدىء خلقَ من هونا قص الأعضاء؛ فليس بل لازم في الجذم أن يكون عقوبة. ثم لو كان يستحقُّ ناسي القرآن عقوبةً على نسيانه لكان حفظ القرآن ١٥ بأسره فرضاً واجباً وحنماً لازماً<sup>(٩)</sup>؛ لأن العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب، وليس

(١) كذا ضبطت بالقلم في الأصل، ت، وفي ش: «ومضيعة»، بكسر الصاد وبمدها ياء ساكنة.

(٢) في نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «ومغيته».

(٣) هو مالك بن مسعم الجعدي؛ من بكر بن وائل، كان سيد ربيعة في زمانه، وتوفي سنة ٧٣.

(المعارف: ١٨٤، وجهرة الأنساب: ٣٠١، والإصابة ٦: ١٦٤).

(٤) ديوانه: ٤١٤. (٥) حاشية ف (من نسخة): «كلامهم».

(٦) ت: «وإن كان». (٧) حاشية ت (من نسخة): «الجذام».

(٨) نسخة أبي السعادات الشجري: «يجذم». يضم الياء وفتح الجيم وتشديد الذال المكسورة؛

وضبطت في ت بالوجهين معاً، وفي حواشي الأصل، ت، ف: «الجذم القطع»، وقد جذم (بكسر الذال)

يجذم جذماً فهو أجذم، أى مقطوع اليد. (٩) حاشية الأصل: «اللازمة ممنوعة».

حفظ جميع القرآن كذلك .

- [ ٣ ظ ] وأما ابنُ قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفطن للوجه / في الخبر الذي ذكرناه ؛ من حيث ظنَّ أن العقوبة لا تكون إلا في محلِّ الذنب ، وهذا القولُ يوجب عليه ألاَّ يُجَلَّدَ ظهرُ الزاني ، وتختص العقوبة بفرجه ، وكذلك القاذف كان يجبُ أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه ؛ والخبر الذي استشهد به حجةٌ عليه ، لأننا نعلمُ أنَّ اللسانَ أقوى خطأً في باب الكلام ٥ من الشَّفة ، فلمْ لمْ يُخصَّ بالعقوبة (١) وحلَّتْ بالشفاهِ دونَه ؟ ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبحُ من كل ما تقدَّم ؛ لأنه توهم أنَّ ما تضمنته الآية من تحبُّط آكلِ الربا وتعتُّره عند القيام إنما هو في الدنيا من حيث يثقل ما أكله في معدته فيمنعه من النهوض ؛ ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك ، ونجد كثيراً من آكلِ الربا أخفَّ نهوضاً ، وأسرع قياماً ١٠ وتصرُّفاً من غيرهم ؛ يمتنَّ لم يأكل الربا قطُّ ؛ والمعنى في الآية ما ذكره المفسرون من أنَّ ما وصفهم الله تعالى به يكونُ عند قيامهم من قبورهم ، فيلحقهم العثار والزَّلُّ والتَّخَبُّلُ على سبيلِ العقوبة لهم ، وليكونَ ذلك أيضاً أمانةً لمن يعاقبهم (٢) من الملائكة والخزنة على الفرق بين الوليِّ والعدوِّ ، ومستحقَّ الجنة ومستحقَّ النار . وليس بمعروف ولا ظاهرٍ أن الأجدَمَ هو المجذوم ؛ وردَّ ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجذم الذي هو القطع يُوجب عليه ١٥ أن يكونَ كلُّ داءٍ يقطع الجسدَ ويفرق أوصاله ؛ كالجُدريِّ والأَكَاة (٣) وغيرها يسمَّى جذَماً ، ويسمى مَنْ كان عليه أجدَمٌ ، وهذا باطل .

وأما قول الشاعر (٤) :

حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبَلَا دَحْتِي إِذَا اضْطَرَمْتُ أَجْذَمَا

فليس من هذا الباب ؛ بل هو من الإجدام الذي هو الإسراع ؛ فكأنه قال : لما اضْطَرَمْتُ

(١) ف : « فلم لم تختص العقوبة به » . (٢) ف ، وحاشية ت ( من نسخة ) : « ويعاينهم »

(٣) في نسخة بحواشي الأصول ، ت ، ف : « الأكَاة » ، بالكسر : الحكة ، والأَكَاة ، بالضم :

اللقمة . (٤) هو الربيع بن زياد العبسي ، من أبيات في ( الحماسة بشرح التبريزي ٢ : ٦١ - ٦٣ ) ،

واللسان ( جذم ) .

أسرع عني ، وتباعد مني . والإجذامُ ، بالذال المعجمة والذال غير المعجمة جميعا : الإسراع ؛  
فأما قول عنترة في وصف الذئب<sup>(١)</sup> :

هَزِجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكِيبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ  
الأجذم من صفة المكيب<sup>(٢)</sup> لا من صفة الزناد ؛ فكأنه<sup>(٣)</sup> قال : قَدَحَ الْمَكِيبِ الْأَجْذَمِ  
عَلَى الزَّنَادِ ، وهذا من حَسَنِ التشبيه وواقعه<sup>(٤)</sup> .

## مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه : كان بعضُ الشيوخ المتقدمين<sup>(٥)</sup> يقول : ليس  
بممتنع أن يُمكنَ الله تعالى من الظلم مَنْ / يعلم من حاله أنه يَرُدُّ القيامة غير مستحق [ و ]  
لشيء من الأعْوَاض ، أو لما يوازى القَدْرَ المستحقَّ عليه منها ؛ فإذا أراد الانتصافَ منه  
تفضلَّ عليه بما ينقله إلى مستحقِّ العِوَضِ ، ويقول : ليس هذا ببعيد ولا مستحيل ، لأن  
العِوَضَ ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ، ولا يجزى في ذلك مجزى الثواب .

(١) من المعلقة بشرح البريزي ص ١٨٠ ، وقبلة :

وَحَالًا الذَّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ غَرِدًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « هذا من باب إجراء الصفة على غير من هي له ، كقولنا : مرتت برجل  
حسن غلامه . (٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « كأنه » . (٤) د ، م : « من أحسن التشبيه  
وأوقعه » ؛ وفي حواشي الأصل ، ب ، ف : « كثير اتفاق والفيل في هذا الحديث ، فقال بعضهم : الأجذم :  
المقصوع اليد ، وقال آخرون : هو المجذوم . وفي معنى هذا الحديث سر ، ومعناه يتضح بالحديث الآخر الذي  
روى عنه عليه السلام : إني تارك فيكم الثقلين ، أحدهما كتاب الله ، جبل ممدود من السماء إلى الأرض . الحديث  
فأما شبه الكتاب بالجبل الذي يتعلم به ، ويجعل سببا للتوقي من الفلاك عبر عن تاركه والغافل عنه بالأجذم ،  
وإنما عبر بكلمة الأجذم الثنعة ، واللفظ المستكره لأنه إذا انقطع الجبل لم يمكن أن يمك ، وإذا كانت  
اليذمء أيضا لم يمكن الإمساك ، فأراد بذلك أنه الإمساك غير حاصل ، لأنم يرجع إلى اليد الممسكة لا إلى  
الجبل لأن الجبل باق بماله ؛ فهذا أحسن ، والله أعلم . ومعنى النسيان هو ترك أحكامه ، والأخذ بمجارمه  
وحدوده ؛ ولا يريد ذهاب الحفظ » . (٥) حاشية الأصل : « أبو القاسم البلخي » .

وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود السلمي الباهلي ، أحد شيوخ المعتزلة ، ورأس طائفة منهم  
يقال لهم : السكعية ، توفي سنة ٣١٧ . ( ابن خلكان ١ : ٢٥٢ ) .

والمستقر من مذاهب الشيوخ - وهو الصحيح - أن الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يُتفضل به ؛ لأن الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خَلَى بين عباده وبين الظلم ، فلا يجوز أن يتعلّق إلا بأمرٍ واجب ، والتفضل لفاعله ألا يفعله ، فتتول الحال إلى تعدد الانتصاف . وقالوا : مَنْ يعلم الله تعالى أنه يرد القيامة - ولا أعواض له - يمنعه من الظلم ، ولا يمكنه منه لهذه العلة . ويُحيزون<sup>(١)</sup> أن يمكن من الظلم مَنْ يكون في الحال غير مستحقٍّ للعرض ، أو غير مستحقٍّ للقدر الذي يوازى الظلم من العوض ، بعد أن يكون المعلوم من حاله أنه يرد القيامة وقد استحقَّ من الأعواض ما يوازى ما عليه منها .

قال المرتضى : وهذا القول - نعى تجويز تمكين الظالم من الظلم ، وهو في الحال غير مستحقٍّ للعرض - يبطل بالعادة التي أبطلنا بها قول مَنْ أجاز الانتصاف بالتفضل ؛ لأننا نعلم أن تَبْقِيَة المكلف وغير المكلف لا تجب ، وللقديم تعالى ألا يفعلها ، فلو لم يفعلها واختُرِم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن . وقد تعلّق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب ؛ كما علّمه مَنْ قدّمنا حكاية قوله بما ليس بواجب . وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن ؛ لأن الله تعالى يعلم أنه يُبْقِيه فيستحق<sup>(٢)</sup> أعواضاً ؛ لأن عاينهم مثل ذلك إذا قيل لهم : فأجزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحقّ العرض ؛ ويعلم الله تعالى أنه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف .

فإذا قالوا : عِلْمُ الله تعالى بأنه يتفضل ، لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب ؛ وقيل لهم : وعِلْمُ الله تعالى بأنه يُبْقِي مَنْ لا عوض له ليستحقّ العرض ، لا يُخْرِج التَبْقِيَة من أن تكون غير واجبة ، فاستوى الأمران .

والصحيح أن يقال : إنه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ؛ يستقيم الكلام ويطرّد .

(١) حاشية الأصل : « أبو هاشم وأصحابه » .

وهو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي ، كان هو وأبوه من كبار أئمة المعتزلة ؛ ولهما مقالات على مذهب الاعتزال ؛ وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما ، توفي سنة ٣٢١ ، ( ابن خلكان

١ : ٢٩٢-٢٩٣ ) . (٢) ت ، وحاشية ف ( من نسخة ) : « ليستحق » .



## مَجْلِسُ آخِرْ \*

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

قال الله تعالى <sup>(١)</sup> : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ [ ط ] مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [ الإسراء : ٨٥ ] .

وقد ظنَّ قومٌ من غفلة الملحدِّين وجَهَلهم أن الجوابَ عمَّا سُئِلَ عنه في هذه الآية لم يحصلْ ، وأن الامتناع منه إنما هو لفقد العلم به ، وأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ تبكيه وتقرِّع لم يقعا موقعهما ؛ وإنما هو <sup>(٢)</sup> على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب .

وفي هذه الآية وجوهٌ من التأويل تُبطل ما ظنُّوه ، وتدُلُّ على ما جهلوه ؛ أولها : أنه تعالى إنما عدلَ عن جوابهم لعلَّه بأنَّ ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدِّين ، وأن الجواب لو صدرَ منه إليهم لازدادوا فساداً وعناداً ؛ إذ كانوا بسؤالهم متعنِّتين <sup>(٣)</sup> لا مُستفيدين ؛ وليس هذا بمنكر ؛ لأنَّا نعلم في كثير من الأحوال ممن <sup>(٤)</sup> يسألنا عن الشَّيء أنَّ العدولَ ١٠ عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره .

وقد قيل إن اليهودَ قالت لكفار قريش : سلُّوا محمداً ؛ عن الرُّوح فإنَّ أجابكم فليس بنبيٍّ ؛ وإن لم يجِبْكم فهو نبيٌّ ؛ فإنَّا نجد في كتبنا <sup>(٥)</sup> ذلك ؛ فأمره الله بالعدول عن ذلك ليكونَ عاملاً له ودلالةً على صدِّقه ، وتكذيباً لليهود الرادِّين عليه ؛ وهذا جواب أبي عليٍّ محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائي <sup>(٦)</sup> .

١٥

\* ف : « مجلس ثان » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « هذا المجلس مما افتتح به الكتاب ، على ما وجد في بعض النسخ » . (١) ف : « إن سأل سائل عن قوله تعالى » . (٢) ف : « هما » . (٣) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « معتنن » ، وفي حاشية ف : « أعنت : أتى بالعنت » . (٤) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فيمن » . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « كتابنا » . (٦) حاشية ف : « أبو علي من قرية يقال =

وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الروح : هل هي محدثة مخلوقة أو ليست<sup>(١)</sup> كذلك ؟ فأجابهم إنها من أمر ربى ، وهو جوابهم عما سألوه<sup>(٢)</sup> عنه بعينه ؛ لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب : إنها محدثة مخلوقة ، وبين قوله إنها من أمر ربى ؛ لأنه إنما أراد أنها من فعله وخلقته ، وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أم عيسى عليه السلام ، أم جبرئيل صلى الله عليه . وقد سمى الله تعالى جبرئيل رُوحاً ، وعيسى أيضاً مُسَمًّى بذلك في القرآن .

وثالثها أنهم سألوا عن الروح الذى هو القرآن ، وقد سمى الله القرآن رُوحاً في مواضع من الكتاب ؛ وإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه ، لأنه قال لهم : الروح<sup>(٣)</sup> الذى هو القرآن من أمر ربى ، ومما<sup>(٤)</sup> أنزله على نبيه صلى الله عليه ؛ ليجمعه دلالة وعلماً على صدقه ، وليس من فعل المخلوقين ، ولا ممن يدخل في إمكانهم ؛ وهذا جواب الحسَن البصرى .

[ هـ و ] ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ . [ الإسراء : ٨٦ ] . فكأنه قل تعالى : إن القرآن من أمرى وفعلى<sup>(٥)</sup> ومما أنزلته علماً على نبوة رسولى ، ولو شئت لرفعته وأنزلته ١٥ وتصرفت فيه ؛ كما تصرف الفاعل فيما يفعله .

لما جاء ؛ وهى من رستاق كارور من ناحية الأهواز ، ويقال لأهل هذه الناحية الربيعيون ؛ لأنهم كانوا استنفروا لقاتلوا الحسين عليه السلام ، فجاءوا وقد فرغ من أمره ، فطلبوا الأجرة ، فقال ابن زياد : إنكم لم تبلاؤا بلاء ، وأعطى كل واحد منهم ربع دينار . قل دامت أيامه : أخبرنى بذلك العراقى العلوى البصرى . وكانت وفاة أبى على هذا فى سنة ٣٠٦ . ( وانظر ترجمته فى ابن خلكان : ٤٨٠-٤٨١ ) .

(١) ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « أم ليست » . (٢) ت ، ف : « سألو عنه » . (٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « إن الروح » . (٤) ش : « وما أنزله » .

(٥) حاشية الأصل : « ليس فى الآية دليل على قوله : " وفعلى " ؛ كتب هذا الشيخ عبد الرحيم البغدادي رحمه الله على حواشى نسخة السيد الإمام » .

## نُصُل

قال الشَّريف المرتضى رضى الله عنه : قال أبو مُسلم محمد بن بحر الأصهباني<sup>(١)</sup> في قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. [الحجر : ١٩] ؛ قال : إنما خمسُ الموزونِ دونَ المكيلِ بالذِّكْرِ لوجهين :

أحدهما أن غايةَ المكيلِ تنتهي إلى الوزنِ لأن سائرَ المكيلات إذا صارت طعاما دخلت في باب الوزنِ وخرجت عن باب الكيل ؛ فكأنَّ الوزنَ أعمُّ من الكيل .

والوجه الآخر أن في الوزنِ معنى الكَيْل ؛ لأن الوزن هو طلبُ مساواةِ الشيء بالشيء ومقايسته إليه ، وتعديله به ؛ وهذا المعنى ثابتٌ في الكيل ، فخصَّ الوزن بالذِّكْرِ لاشتماله على معنى الكَيْل .

هذا قول أبي مُسلمٍ ، ووجهُ الآية وما يشهدُ له ظاهرٌ لفظيها غيرُ ما سلكه أبو مسلم ، وإنما أراد تعالى بالموزونِ المقدَّرَ الواقعَ بحسبِ الحاجة ؛ فلا يكونُ ناقصاً عنها ، ولا زائداً ١٠ عليها زيادةً مُضرةً أو داخليةً في باب العبث . ونظيرُ ذلك من كلامهم<sup>(٢)</sup> قولهم : كلام فلان<sup>(٣)</sup> موزون ، وأفعاله مقدَّرة موزونة ؛ وإنما يراد ما أشرنا إليه ، وعلى هذا المعنى تأوَّل المفسرون ذكرَ الموازين في القرآن على أحدِ التأويلين ، وأنها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب ، قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :

لَمَّا بَشَرَ<sup>١٥</sup> مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ رَحِيمِ الْخَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ<sup>١٥</sup>  
والهراء : الكثير ، والنزر : القليل ؛ فكأنه قال : إن حديثها لا يقلُّ عن الحاجة

(١) كان أبو مسلم الأصهباني على مذهب المعتزلة ؛ وصنف التفسير على طريقتهم ، وتوفي سنة ٣٧٠ .

(٢) لسان الميزان ٥ : ٨٩ . (٢) ش : « في كلامهم » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « زيد » .

(٤) في م ، وحاشيتي الأصل ، ف : « وهو ذو الرمة » ؛ والبيت في ديوانه : ٢١٢ .

ولا يزيدُ عليها ؛ وهذا يَجْرِي جَرِي أَنْ تَقُولَ : هو موزون . وقال مالك بن أسماء  
ابن خارجة الفزاري<sup>(١)</sup> :

وحديثُ أَلَذَّةٍ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَاعَتُونَ يُوزَنُ وَزَنًا<sup>(٢)</sup>  
منطقُ صَائِبٍ وتَلَحَّنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

[ه ظ] وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبهُ بمراد الله تعالى في الآية ، وأليقُ بفصاحة القرآن /  
وبلاغته الموفيتين<sup>(٣)</sup> على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم ؛ فأما قولُ الشاعر الذي استشهدنا  
بشعره : « وتَلَحَّنُ أَحْيَانَا » فلم يُرد اللَّحْنُ في الإعراب الذي هو ضد الصواب<sup>(٤)</sup> ؛ وإنما أراد  
الكناية عن النشء والتعريض بذكره والعدول عن الإفصاح عنه ؛ على معنى قوله تعالى :  
﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . [ محمد : ٣٠ ] ، وقول الشاعر<sup>(٥)</sup> :

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لَكَيْمَا تَفْطَنُوا وَلَحَنْتُ لِحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ<sup>(٦)</sup> ١٠

وقد قيل : إن اللحن الذي عُني في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم ؛ على ما روى عن

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ؛ شاعر إسلامي غزل . ( الشعر والشعراء

. ( ٧٥٨-٧٥٦ ) .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حديث معطوف على كلام قبله ؛ أي لها وجه ، ولها حياء ، ولها  
حديث ، أو مثل ذلك . وقوله : « أَلَذَّة » ، أي أستاذة ؛ يقال : لذت به ولذذته ، وقوله : « مما ينعت  
الناعتون » ، أي مما ينعت الناعتون . وقوله : « مما يوزن وزنا » ، أي موزونا ، فهو في موضع الحال .  
(٣) حاشية الأصل : « الموفيتين : المشرقتين » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المسألة محتمة لأنه يريد باللحن ضد صواب الإعراب ؛  
لأن مقابل المنطق الصائب الملحون ، واللحن من الغواني والفتيات غير مستكره ولا منكسر ، بل قد  
يستحب ذلك منهن ؛ لأنه بالتأنيث أشبه ، وللشهوة أدهى ، ومع الغزل أخرى ؛ والإعراب جدد ، وليس الجد  
من التعشق والتغزل بشيء ، ثم ما الموجب لأن يتمحل البيت وجه يسلبه حسن الطباق ؛ ولو أراد به الملاحنة  
التي هي الفطنة لكان ملغيا بذكر اللحن ؛ لأن اللحن في هذا المعنى صائب ، فيذهب الاتساق بذهاب الطباق ؛  
فإن لك أن المعنى هو اللحن الذي يضاد صواب الإعراب وإقامته ؛ وإن كان كذلك المعنى الثاني محتملا » .

(٥) هو القتال الكلابي ؛ والبيت في ( الأمل : ١ : ه ، واللسان - لحن ) ، وقوله :

هل من معاشر غيركم أدعوهم فلقد سئمتُ دعاء يالْكِلَاب!

(٦) حاشية الأصل : « الوحي : الإشارة والرسالة والكلام الخفي ؛ يقال : وحيث إليه في الكلام ، =

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْلَحْنُ بِحِجَّتِهِ » أى أفطن لها ، وأغوص عليها .

ومما يشهد بما ذكرناه ما أخبرنا به أبو غُبَيْد الله محمد بن عمران بن موسى المرزُبَانِي<sup>(١)</sup> قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْيَزِيدِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : تَكَلَّمْتُ هِنْدُ بِنْتُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ فَلَحَنْتُ ، وهى عند الحجاج ، فقال لها : أَتَلَحِّنِينَ وَأَنْتِ شَرِيفَةٌ فِي بَيْتِ قَيْسٍ؟! فقالت : أما سمعت قولَ أخى مالك لامرأته الأنصارية ؟ قال : وما هو ؟ قالت : قال<sup>(٢)</sup> :

مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

فقال لها الحجاج : إِنَّمَا عَنَى أَخْوَاكَ اللَّحْنَ فِي الْقَوْلِ ؛ إِذَا كُنَى الْمَحْدَثَ عَمَّا يَرِيدُ ،

وَلَمْ يَعْنِ اللَّحْنَ فِي الْعَرَبِيَّةِ<sup>(٣)</sup> ، فَأَصَاحِي لِسَانِكَ .

وقد ظنَّ عمرو بن بحر الجاحظ مثلَ هذا بعينه وقال : إِنْ اللَّحْنُ مُسْتَحْسَنٌ<sup>(٤)</sup> فِي النِّسَاءِ الْفَرَاثِ<sup>(٥)</sup> ، وَلَيْسَ بِمُسْتَحَبٍّ مِنْهُمْ كُلِّ الصَّوَابِ وَالتَّشْبُهُ بِفَحُولِ الرِّجَالِ ، وَاسْتَشْهَدُ بِأَيَّاتِ مَالِكٍ بِعَيْنِهَا ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَرَادَ بِاللَّحْنِ مَا يَخَالِفُ الصَّوَابَ<sup>(٦)</sup> . وَتَبِعَهُ عَلَى هَذَا الْفَلَطُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مُسْلِمٍ بَنُ قُتَيْبَةَ الدِّينُورِيَّ ، فَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِعَيُونِ الْأَخْبَارِ<sup>(٧)</sup> أَيْيَاتَ الْفَرَاثِيَّ ، وَاعْتَذَرَ بِهَا مِنْ لَحْنٍ إِنْ أَصِيبَ فِي كِتَابِهِ .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا المرزُبَانِي قال أخبرني محمد بن يحيى

---

= وأوحيت بمعنى ؛ وقوله: المرتاب، يجوز أن يكون المرتاب مصدرا كالارتباب، ويجوز أن يكون مفعولا ، والتقدير : ليس بالمرتاب فيه . (١) هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزُبَانِي الكاتب صاحب كتاب الموشح ومعجم الشعراء وغيرهما من المصنفات ؛ روى عن ابن دريد وطبقته ، وكان مائلا إلى التشيع ، وهو أحد شيوخ الشريف المرتضى ؛ توفي سنة ٣٨٤ . (ابن خلسكان ١ : ٥٠٧-٥٠٨) .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « قوله » . (٣) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :

« الإعراب » . (٤) في ت ، ونسخة بحاشية الأصل : « من النساء » .

(٥) حاشية الأصل : « جمع غريرة ؛ وهى التى لم تجرب الأمور » . (٦) الخبر فى ( البيان

والتبيين ١ : ١٤٧ ) . (٧) عيون الأخبار ٢ : ١٦١ .

الصُّوْلَى قَالِ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْمَنْجَمُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قُلْتُ لِلْجَاهِظِ : مِثْلُكَ فِي عَقْلِكَ وَعِظْمِكَ بِالْأَدَبِ يُنْشِدُ قَوْلَ الْفَزَارِيِّ وَيُفَسِّرُهُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ اللَّحْنَ فِي الْإِعْرَابِ ! وَإِنَّمَا أَرَادَ وَصَفَهَا بِالظَّرْفِ وَالْفِطْنَةِ وَأَنَّمَا تُورَى <sup>(١)</sup> بِمَا قَصَدْتَ لَهُ وَتَتَنَكَّبُ التَّصْرِيحَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ فُطِنْتَ لَذَلِكَ بَعْدَ ، فَقُلْتُ <sup>(٢)</sup> : فَغَيَّرَهُ مِنْ كِتَابِكَ ، فَقَالَ : فَكَيْفَ بِمَا سَارَتْ بِهِ الرِّكْبَانُ !

○ قَالَ الصُّوْلَى : فَهُوَ فِي كِتَابِهِ عَلَى خَطِّهِ .

\*\*\*

[ ١٦ ] وَمِنْ حَسَنِ اللَّحْنِ الَّذِي هُوَ التَّعْرِيفُ وَالسَّكْنَاءُ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ حَصَلَ أَسِيرًا فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، فَسَأَلَهُمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالُوا : لَا تُرْسِلْ إِلَّا بِحَضْرَتِنَا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَزَمُوا عَلَى غَزْوِ قَوْمِهِ ، فَيَخَافُوا أَنْ يَنْذَرَهُمْ ؛ فَجِئْنَا بِعَبْدٍ أَسْوَدَ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ إِنِّي لِعَاقِلٌ ، قَالَ : مَا أَرَاكَ عَاقِلًا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اللَّيْلِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا اللَّيْلُ ، قَالَ : أَرَاكَ عَاقِلًا ، ثُمَّ مَلَأَ كَفَّيْهِ مِنَ الرَّمْلِ فَقَالَ : كَمْ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ . فَقَالَ : أَيَّمَا أَكْثَرِ ؟ النُّجُومُ أَمْ النِّيرَانِ <sup>(٣)</sup> ؟ فَقَالَ : كُلُّهُ كَثِيرٌ ، فَقَالَ : أَبْلَغُ قَوْمِي التَّحِيَّةَ ، وَقُلْ لَهُمْ : لِيَكْرِهُوا فَلَانًا - يَعْنِي أَسِيرًا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَكْرِ - فَإِنَّ قَوْمَهُ لِيُكْرِمُونَهُ ، وَقُلْ لَهُمْ : إِنَّ الْعَرَفِيجَ قَدْ أَدْبَى <sup>(٤)</sup> ، وَشَكَّتِ النِّسَاءُ ؛ وَأَمُرُهُمْ <sup>(٥)</sup> أَنْ يُعْرَوْا نَاقَتِي الْجُرَاءَ فَقَدْ أَطَالُوا رُكُوبَهَا ، وَأَنْ يَرَكُوبُوا جَمَلِي الْأَصْهَبَ <sup>(٦)</sup> ، بِأَيَّةِ مَا أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا ، وَاسْأَلُوا عَنْ خَبْرِي أَخِي الْحَارِثَ .

فَلَمَّا أَدَّى الْعَبْدُ الرِّسَالَةَ إِلَيْهِمْ قَالُوا : لَقَدْ جُنَّ الْأَعْوَرُ ، وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةً حُمْرَاءَ وَلَا جَمَلًا أَصْهَبَ ، ثُمَّ سَرَّحُوا الْعَبْدَ ، وَدَعَوْا الْحَارِثَ فَقَصَّوْا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ : قَدْ أَنْذَرَكُمُ ،

(١) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « توري عما قصدت » . (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « قلت » . (٣) م : « أم التراب » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « العرفج : جنس من الشوك ، وأدب الرمث إذا أشبه ما يخرج من ورقه الدبا ، والدبا : صغار الجراد ؛ وحيث يذ يصالح أن يؤكل ، والرمث : من مراعى الإبل ؛ وهو من الحمض » . (٥) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ومرهم » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الأصهب : ما اخلط البياض بجمعرته » .

أَمَّا قَوْلُهُ : « أَذْبَى الْعَرْفَجُ » يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح ، وقوله : « شَكَتِ النِّسَاءُ » ؛ أَي اتَّخَذْنَ الشَّكَاةَ<sup>(١)</sup> لِلسَّفَرِ ، وقوله : « النَّاقَةُ الْحُمْرَاءُ » ، أَي ارتحلوا عن الدَّهْنَاءِ . وَارْكَبُوا السَّمَانَ<sup>(٢)</sup> ؛ وَهُوَ الْجُلُ الْأَصْهَبُ<sup>(٣)</sup> . وقوله : « أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا » يريد أخلاطاً من الناس قد غَزَوْكُمْ ، لِأَنَّ الْحَيْسَ يَجْمَعُ التَّمْرَ وَالسَّمْنَ وَالْأَقِطَ . فامتلأوا ما قال ، وعرفوا لَحْنَ كَلَامِهِ .

### تَأْوِيلُ خَبَرِ\*

رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي كِتَابِهِ غَرِيبَ الْحَدِيثِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٤)</sup> أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَحْبَبَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ : فَلَيْسَتْ عَدَّةٌ<sup>(٥)</sup> لِلْفَقْرِ جَلْبَابًا ، أَوْ تَجْفَافًا<sup>(٦)</sup> » .

قال أبو عُبَيْدٍ : قد تأوَّل بعض الناس هذا الخبرَ على أَنَّهُ أراد به الفقرَ في الدُّنْيَا ، قال : وليس ذلك كذلك ؛ لِأَنَّا نَرَى فِيمَنْ يُحِبُّهُمْ مِثْلَ مَا نَرَى فِي سَائِرِ النَّاسِ ، مِنْ الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَلَا تُمَيِّزُ<sup>(٧)</sup> بَيْنَهُمَا ، قال : والصَّحِيحُ أَنَّهُ أراد الفقرَ في يومِ الْقِيَامَةِ ، وَأَخْرَجَ السَّكَّامُ مُنْخَرَجَ<sup>١٠</sup> الْمَوْعِظَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْحَثَّ عَلَى الطَّاعَاتِ ، فَكَأَنَّهُ أراد : مَنْ أَحْبَبَنَا فَلْيَعِدَّ لِفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا يَجْبُرُهُ<sup>(٨)</sup> مِنَ الثَّوَابِ ، وَالْقُرْبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالزُّلْفُ<sup>(٩)</sup> عِنْدَهُ .

(١) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « جَمْعُ شَكْوَةٍ ، وَهِيَ السَّقَاءُ الصَّغِيرَةُ » . (٢) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « الدَّهْنَاءُ : هِيَ أَرْضٌ فِي بِلَادِ تِمِيمَ ، يَمُدُّ وَيَقْصُرُ . وَالصَّامِنُ : أَصْلُهُ الْأَرْضُ الْغُلِيظَةُ ، وَالصَّامِنُ : مَوْضِعٌ إِلَى جَنْبِ رَمْلٍ عَالِجٍ ؛ وَقَالَ :

حَتَّى أَتَى عَلَّمَ الدَّهْنَاءَ يُوَاعِصُهُ      وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّمَانِ مَا جَشَمُوا

قَوْلُهُ : « يُوَاعِصُهُ » ، مِنَ الْوَعَاةِ ، وَهِيَ الرَّمْلُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَي مَوَاعِصًا آخِذًا فِي الْإِثْمِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَقَوْلُهُ : « مَا جَشَمُوا » يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ « مَا » اسْتِفْهَامِيَّةً ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الَّذِي ؛ وَفِي كَلَامِ الْوُجْهِينَ يَكُونُ نَصْبًا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ « أَعْلَمُ » مِنَ الْفِعْلِ . (٣) حَاشِيَةُ ف : « أَرَادَ بِالصَّامِنِ الْأَرْضَ ؛ وَكُنِيَ عَنْهَا بِالْجُلِّ الْأَصْهَبِ » . (٤) ف : قَبْلَ هَذَا الْعَنْوَانِ : « مَجْلِسُ آخِرِ » . (٥) ت : « صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ » . (٦) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « فَلْيَعِدَّ » . (٦) التَّجْفَافُ ؛ بِكَسْرِ النَّاءِ وَفَتْحِهَا : مَا يَجْلُلُ بِهِ الْفَرَسُ مِنْ سِلَاحٍ وَآلَةٍ تَقِيهِ الْجَرَاحَ ، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الْإِنْسَانُ أَيْضًا . (٧) ت : « وَلَا تُمَيِّزُ » ، وَفِي ف ، وَحَاشِيَةُ الْأَصْلِ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « وَلَا تُمَيِّزُ » . (٨) فِي ف ، وَنَسْخَةُ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « مَا يَجْبُرُهُ » . (٩) حَاشِيَةُ ت ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « الزَّائِي » .

[٦ ظ] قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن / قتيبة : وجهُ الحديث خلافُ ما قاله أبو عبيد ، ولم يُرد إلا الفقر في الدنيا ؛ ومعنى الخبر أن مَنْ أَحَبَّنَا فليصبرْ على التَّكَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا والتَّقَنُّعِ فِيهَا ، وليأخذْ نفسه بالكَفِّ عن أحوالِ الدنيا وأعراضِها ؛ وشبهَ الصبر على الفقر بالتَّجَفُّفِ أو الجَلْبَابِ ؛ لأنه يسترُ الفقر كما يستر الجلباب أو التَّجَفُّفُ البدن . قال : ويشهدُ لصحة هذا التأويل ما رَوَى عنه عليه السلام أنه رأى قوماً على بابهِ ، فقال : يا قَنَبَر ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فقال له قَنَبَر : هَؤُلَاءِ شِيعَتُكَ ، فقال : مَالِي لَا أَرَى فِيهِمْ سِيماً <sup>(١)</sup> الشَّيْعَةُ ؟ قال : وما سِيما الشَّيْعَةِ ؟ قال : تُخْصُ البَطُونُ مِنَ الطَّوَى ، يُبْسُ الشَّفَاهُ مِنَ الظَّمَا ، تُعْمَسُ الْعِيُونَ مِنَ الْبَسَا ؛ هذا كله قول ابن قتيبة .

والوجهان جميعاً في الخبر <sup>(٢)</sup> حَسَنان ؛ وإن كان الوجهُ الذي ذكره ابن قتيبة أحسن ١٠ وأنصَح <sup>(٣)</sup> .

ويمكن أن يكون في الخبر وجهٌ ثالثٌ تشهد بصحته اللُّغة ؛ وهو أن أحدَ وجوه معنى لفظة الفقر أن يُحَزَّ أَنْفُ البعير حتى يَخْلُصَ إلى العِظْمِ أو قَرِيبٍ مِنْهُ ، ثُمَّ يُلَوَّى عَلَيْهِ حَبْلٌ ، يُذَلِّلُ بِذَلِكَ الصَّعْبَ ، يقال : فَقَرَهُ يَفْقَرُهُ فَقَرًا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، وَبَعِيرٌ مَفْقُورٌ وَبِهِ فَقْرَةٌ ، وَكُلُّ شَيْءٍ حَزَزَتْهُ وَأَثَرَتْ فِيهِ فَقَدْ فَقَرَتْهُ تَفْقِيرًا ؛ وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْفَاقِرَةُ <sup>(٤)</sup> ، وَقِيلَ سَيْفٌ مُفَقَّرٌ <sup>(٥)</sup> ؛ فَيَحْتَمَلُ <sup>(٦)</sup> الْقَوْلُ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ <sup>(٦)</sup> : مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَزِمْ نَفْسَهُ وَلِيَخْطُمْهَا وَلِيَقْدَحْهَا إِلَى الطَّاعَاتِ ، وَيَصْرِفْهَا عَمَّا تَمِيلُ طِبَاعُهَا إِلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَلِيَذِلَّهَا عَلَى الصَّبْرِ عَمَّا كَرِهَ مِنْهَا ، وَمَشَقَّةٍ مَا أُرِيدُ مِنْهَا <sup>(٧)</sup> ؛ كَمَا يُفَعَّلُ ذَلِكَ بِالْبَعِيرِ الصَّعْبِ ؛ وَهَذَا وَجْهٌ فِي الْخَبَرِ ثَالِثٌ لَمْ يَذْكُرْ ، وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يُسْتَبْعَدَ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى بَعْضِ مَا يَحْتَمَلُهُ إِذَا كَانَ لَهُ شَاهِدٌ

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « سيمياء » ، وفي حاشية الأصل : « سيما وسيمياء بمعنى » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « في هذا الخبر » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « نصع الحُضَابِ ، أَيْ لَمْ وَصَارَ سَوَادُهُ بَرَاقًا صَاعًا » . (٤) حاشية الأصل : « الْفَاقِرَةُ : الدَّاهِيَةُ ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَاسِرَةٌ فَقَارَ الظَّهْرَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ فَقَرَهُ ، إِذَا أَصَابَ فَقَارَ ظَهْرِهِ » . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « السيفُ المُفَقَّرُ : الَّذِي فِي مَتْنِهِ حَزُوزٌ أَوْ خَطُوطٌ مَنْقُورَةٌ » . (٦-٦) ت : « فَيَحْتَمَلُ الْقَوْلُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ » . (٧) ط ، م : « بها »



من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجب على مَنْ يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كلَّ ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ؛ فيجوز<sup>(١)</sup> أن يكون أرادَ المخاطبُ كلَّ واحد منها منفردًا ، وليس عليه العلمُ بمراده بعينه ؛ فإن مراده مغيبٌ عنه ، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام .

## فصل

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وممن كان من مشهري الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل ذو الرُّمة ؛ واسمه غِيلان بن عُقبة ، وكُنيتُهُ أبو الحارث ، وذو الرُّمة / [ ٧ و ] لقبٌ لقب به لبيت قاله ، وهو قوله في صفة الوتد :

\* أشعث<sup>(٢)</sup> باقى رُمّة التقليد \*

والرُّمة : القطعة البالية من الحبل ؛ يقال : حبل أرمام ؛ إذا كان ضعيفًا بليًا ؛ وقيل إنه إنما لقب بذى الرُّمة لأنه كان - وهو غلام - يتفزع ، فجاءته أمه بمن كتب له كتابا وعلقتة ١٠ عليه برُمّة من حبل ؛ فسمي ذا الرُّمة .

ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى قال حدثنا ابنُ دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشناندانى عن التّوّزى عن أبى عبيدة قال : اختصر رُوبة وذو الرُّمة عند بلال بن أبى بردة ، فقال رُوبة : والله ما فحَص طائرٌ أفحوصا ، ولا تقرمَص سبع قرموصا<sup>(٣)</sup> إلا بقضاء من الله وقدر ؛ فقال له ذو الرُّمة : والله ما قدر الله ١٥ على الذئب أن يأكل حلوبة<sup>(٤)</sup> عيايل<sup>(٥)</sup> ضرائك ؛ فقال رُوبة : أفقدته أكلها ؟ هذا كذب

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ويجوز » . (٢) حاشية الأصل : « بكسر التاء ؛ لأن قبله :

\* وغير مشجوج القفا موتود \* أشعث ....

وفى حاشية ف : « رمة التقليد ؛ أى الرمة التى يحببها منها تقليد الوتد بها » ، والبيت فى ديوانه :

١٥٥ . (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف « تقرمَص ؛ أى اتخذ قرموصا ، وهو الموضع الذى

يأوى إليه » . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الحلوبة : التى بها لبن يحلب ؛ وأكثر ذلك فى النوق ،

وقد تستعمل فى غيرها » . (٥) فى حاشيتى ت ، ف : « عيال الرجل : من يعوله ، وواحد العيال

عيل ، مثل جبد وجياد وجيائد . والضريك : الضرب البائس الفقير ؛ ولا يصرف له فعل ، ولا يقال : ضركه

بمعنى ضربه ؛ والجمع ضرائك وضركاه » .

على الذئب ثانٍ<sup>(١)</sup> ، فقال ذو الرُّمَّة : الكذب على الذئب خير من الكذب على ربِّ الذئب .  
وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه ، وبصيرته فيه ؛ فأما العيال فهو  
جمع عَيْل ، وهو ذو العيال . والضرائك : جمع ضَرِيك وهو الفقير .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا أبو عُبَيْد الله المرزُبَانِي قال حدثنا أحمد  
٥ ابن محمد المسكِي عن أبي العَيْنَاء عن الأصمعي عن إسحاق بن سُوَيْد قال : أنشدني  
ذو الرُّمَّة :

وعينانِ قال الله كُونا فكانتا فَمُولانِ بالألْبَابِ ما تفعلُ الخمرُ<sup>(٢)</sup>

فقلت له : « فمولين » خبر الكون ، فقال لى : لو سَبَّحت رِبَّحت ، إنما قلتُ : « وعينانِ  
فَمُولانِ » وصفتهما بذلك . وإنما تحرَّز ذو الرُّمَّة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل .

١٠ وقد رُوِيَ هذا الخبرُ على خلاف هذا الوجه ؛ أخبرنا أبو عُبَيْد الله المرزُبَانِي قال حدثني  
أحمد بن خالد النحاس<sup>(٤)</sup> قال حدثني<sup>(٥)</sup> محمد بن القاسم أبو العَيْنَاء قال حدثنا الأصمعي  
قال : لما أنشد ذو الرُّمَّة قوله :

وعينانِ قال الله كُونا فكانتا فَمُولينِ بالألْبَابِ ما تفعلُ الخمرُ

— وهو يريد : كونا فكانتا فَمُولينِ حيث كانتا<sup>(٦)</sup> — قال له عمرو بن عُبيد<sup>(٧)</sup> : ويحك ! قلتُ

١٥ عظيماً ، فقل : « فَمُولانِ بالألْبَابِ » ، فقال له ذو الرُّمَّة ، ما أبالي : أقلتُ هذا أم سَبَّحت ، فلما  
علم بما ذهب إليه عمرو قال : سُبْحَانَ الله ! لو عُنيتُ ما ظننتُ كنتُ جاهلاً .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله « ثان » لا يعني أنه كذب على الذئب مرتين ؛ وإنما المعنى : إنك  
كاذب على الخلق في أن أفعالهم ليست بقضاء من الله وقدر ؛ لأنه وإن ذكر الطائر والسبع ؛ فإنه يعني به الخلق ؛  
ثم لما ذكر ذو الرمة الذئب قال رؤبة : هذا كذب على الذئب ثان لذلك الكذب الأول الذي  
استشهدت عليه بالطائر والسبع » . (٢) ديوانه : ٢١٣ .

(٣) الخبر في ( الأغاني ١٦ : ١١٧ ) ، وفيه : « لوفلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،  
والله أكبر ؛ كان خيراً لك » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « النحاس » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « حدثنا » . (٦) ت « خبر كانتا » ، ولعله تحريف .

(٧) حاشية الأصل : « كان معتزلياً عدلياً » .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وَمِمَّنْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعَدْلِ مِنْ  
شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى أَعْشَى<sup>(١)</sup> قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ :

اسْتَثْنَى اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ لِي وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَ<sup>(٢)</sup>

وَمِمَّنْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْجَبْرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ أَيْضًا لَبِيدُ بْنُ رَيْمَةَ الْعَامِرِيُّ ،

وَاسْتَدْلَّ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلًا وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلًا<sup>(٣)</sup>

مِنْ هِدَاةِ سُبُلِ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وَإِنْ كَانَ لَا طَرِيقَ<sup>(٤)</sup> إِلَى نَسَبِ الْجَبْرِ إِلَى مَذْهَبِ لَبِيدٍ إِلَّا هَذَانِ الْبَيْتَانِ فَلَيْسَ فِيهِمَا دِلَالَةٌ عَلَى

ذَلِكَ ، أَمَا قَوْلُهُ :

\* وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلًا \*

١٠

فِيحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ : بَعْلَمَهُ ؛ كَمَا يَتَأَوَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا  
يَأْذَنُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؛ أَيْ بَعْلَمَهُ ، وَإِنْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، إِنَّهُ أَرَادَ : بِتَخْلِيَّتِهِ وَتَمَكُّينِهِ ،  
وَإِنْ كَانَ لَا شَاهِدَ لَذَلِكَ فِي اللَّفْظِ أَمْكَنَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِ لَبِيدٍ ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ : « مَنْ هِدَاةِ اهْتَدَى وَمَنْ  
شَاءَ أَضَلَّ » فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَصْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ الَّتِي يَتَأَوَّلُ عَلَيْهَا الضَّلَالُ وَالْهَدَى  
الْمَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ ؛ مِمَّا يَلِيقُ بِالْعَدْلِ وَلَا يَقْتَضِي الْإِجْبَارَ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَذْهَبُ ١٥  
لَبِيدٍ فِي الْإِجْبَارِ مَعْرُوفًا بِغَيْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ ؛ فَلَا يُتَأَوَّلُ لَهُ هَذَا التَّأْوِيلُ ؛ بَلْ يُحْمَلُ مَرَادُهُ عَلَى  
مُوَافَقَةِ الْمَعْرُوفِ مِنْ مَذْهَبِهِ .

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « قَبِيلَةُ الْأَعْشَى » .

(٢) دِيَوَانُهُ ١٥٥ ؛ وَفِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « اسْتَثْنَى اللَّهُ ؛ تَسْتَعْمَلُ مَعَ الْبَاءِ ؛ يُقَالُ : اسْتَثْنَى

اللَّهُ بِهِ » . (٣) دِيَوَانُهُ : ٣٩ . (٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « لَا سَبِيلَ » .

## مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : اعلم أن أصحابنا لما استدّلوا على نفى الرؤية بالأبصار عن الله تعالى بقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، وبينوا أنه تعالى تمدّح بنفى الإدراك<sup>(١)</sup> الذى هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته ؛ فيجب أن يكون فى ثبوت الرؤية له فى وقتٍ من الأوقات نقص وذم . قال لهم مخالفوهم : كيف يتمدّح بأنه لا يرى ، وقد يشاركه فى نفي الرؤية ما ليس بممدوح ؛ كالعدومات والإرادات والاعتقادات ؟ فقالوا لهم : لم يتمدّح تعالى بنفى الرؤية فقط ، وإنما تمدّح بنفى الرؤية عنه وإثباتها له ، فتمدّحه بمجموع<sup>(٢)</sup> الأمرين ؛ وليس يشاركه فى هاتين الصفتين مشارك ؛ لأن الموجودات المحدّثات على ضروب ؛ منها ما لا يرى ولا يرى كالإرادات والاعتقادات ، ومنها ما يرى ولا يرى كالألوان ، ومنها ما يرى ويرى كالإنسان وضروب الأحياء ؛ وليس فيها ما يرى ولا يرى ؛ فثبتت المدّحة لله تعالى بمتضمّن الآية .

[٨٠] فقال لهم المخالفون : وكيف / يجوز أن تكون صفة لا تقتضى المدّحة بانفرادها ، ثمّ تصير تقتضيها مع غيرها ! ولئن جاز هذا ليجوز أن يتمدّح متمدّح بأنه شىء عالم ، أو موجود قادر ؛ فإذا كان لا مدّحة فى وصف الذات بأنها شىء وموجودة<sup>(٣)</sup> ، وإن انضمت إلى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى مدّحا ، فكذلك لا مدّحة فى نفي الرؤية ١٥ عمن ثبتت<sup>(٤)</sup> له ، من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى مدحا .

فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بأن قالوا : ليس يمتنع فى الصّفة أن تكون لا تقتضى مدّحا إذا انفردت ، وتقتضيه إذا انضمت إلى غيرها ، ومثّلوا ذلك بقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وإن نفى السنّة والنوم هاهنا إنما يكون مدّحا إذا انتفى عمن هو بصفة الأحياء ، وإن كان بانفراده لا يقتضى مدّحا لمشاركة ذوات كثيرة غير

(١) ت : « بنى إدراك البصر » . (٢) ت : « جميع » ؛ وفى حاشيتها (من نسخة) : « فتمدّح بمجموع الأمرين » . (٣) د ، ونسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « بأنها شىء موجود » . (٤) ش : « ثبت » .

ممدوحة فيه ، وفصلوا بين الوصف بالشئ والوجود ، وبين ما ذكروا من حيث لا تأثير لهاتينك<sup>(١)</sup> الصفتين في المدح .

واعلم أن صفات المدح المتضمنة للإثبات ما تكاد<sup>(٢)</sup> تقتصر إلى شرط في كونها مدحا . وصفات النفي إذا كانت مدحا فلا بدّ فيها من شرط ؛ وإنما افترق الأمران من حيث كان النفي أعمّ من الإثبات ؛ فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح ، والإثبات أشدّ اختصاصا ؛ ألا ترى أن ما ليس بعالم من الدّوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها ؛ لأنّ الأول لا يكون إلا غير متنادٍ ، والثاني لا بد أن يكون متناهياً ، فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت إلى شرط يخصّها .

وأنت إذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يُتمدّح بها وجدتها مفتقرة إلى الشروط ؛ ألا ترى أن من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا بهذا النفي إذا كان حياً ذا كرا ، ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحا إذا كان أيضاً موجوداً حياً ، ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحا إذا كان قادراً على الظلم وله دواعٍ إليه ، ولا بدّ في الشرط الذي يحتاج إليه في صفات النفي حتى تكون مدحاً من أن يكون أيضاً إثباتاً أو جارياً مجرى الإثبات ، ولا يكون نفياً لأنه إن<sup>(٣)</sup> كان نفياً لم يتخصص ، وساوى<sup>(٤)</sup> فيه الممدوح ما ليس بممدوح ؛ مثال ذلك أنا إذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم ، وشرطنا في هذه المدحة أنه لم يدعه داعٍ<sup>(٥)</sup> إلى الظلم لم تحصل المدحة ، ١٥ لأنه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي إليه ما ليس بممدوح ، فلا بدّ من شرط يجري مجرى الإثبات ؛ وهو أن تقول : وهو ممن تدعوه الدواعي إلى / الأفعال ويتصرّف فيها [ ٨ ظ ] بحسب حاجته ودواعيه . فإذا صحّت هذه الجملة فالوجه أن تقول : إن المدحة في الآية إنما تتعلق بنفي الإدراك عن القديم تعالى ، لكن بشرط أن يكون مدركاً ، ولا نجعل<sup>(٦)</sup> كلّ

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « لتينك » ، وفي حاشية ت أيضاً (من نسخة أخرى) : « لهاتين » .

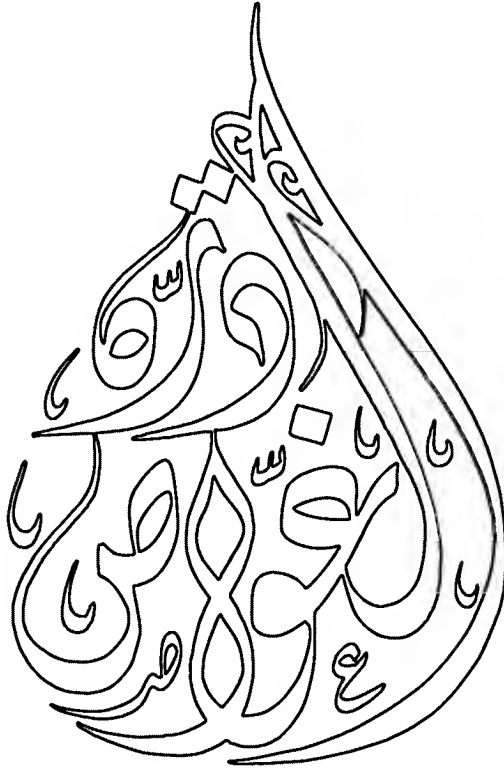
(٢) من نسخة بمحواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تكاد » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « وشارك » .

(٥) ت : « لم يدعه الداعي » . (٦) في الأصل : « ونجعل » ، وصححت في الحاشية ، وفي

حاشيتي الأصل ، ف : « في النسخة المقروءة على السيد رضى الله عنه : « ولا نجعل » ؛ كذا كان بخط الشجري ، وفي نسخة من أيضاً » .

واحدة من الصفتين تقتضى المدح مجتمعا ؛ مع أنَّ كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد.  
وليس بمنكر أن يقتضى الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المتمتضى ، وإذا لم يحصل<sup>(١)</sup>  
لم يحصل مقتضاه ، ونفى السنّة والنوم والظلم عن الله تعالى إنما كان مدحا بشروط معروفة  
على نحو ما ذكرناه ؛ وهذا التلخيص في هذا الموضع أوّل وأحسن للشبهة<sup>(٢)</sup> مما تقدّم ذكره.



---

(١) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لم يوجد » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « للشبهة » .

## مَجْلِسُ آخِرُ \*

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال : ما تقولون في قوله تعالى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [ الشعراء : ٣٢ ] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَأَنَّ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ <sup>(١)</sup> [ القصص : ٣١ ] .  
والثُعْبَانُ هُوَ الْحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ الْخَلِيقَةُ ، وَالْجَانُّ الصَّغِيرُ مِنَ الْحَيَّاتِ ، فَكَيْفَ اخْتَلَفَ الْوَصْفَانِ وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ ؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْعَصَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ صِفَةٍ مَا عَظُمَ خَلْقُهُ مِنْ ٥ الْحَيَّاتِ ، وَبِصِفَةٍ مَا صَغُرَ مِنْهَا ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تُزِيلُونَ التَّنَاقُضَ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ ؟ .

الجواب : أول ما نقوله <sup>(٢)</sup> : إن الذي ظننه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل ؛ بل الحالتان مختلفتان ؛ فالحال <sup>(٣)</sup> التي أخبر عن العصا فيها بصفة الجان <sup>(٤)</sup> كانت في ابتداء النبوة ، وقبل مصير موسى عليه السلام إلى فرعون ، والحال التي صارت العصا فيها ثعباناً كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة ؛ والتلاوة تدلّ على ذلك ؛ وإذا اختلفت ١٠ الْقِصَّتَانِ فَلَا مَسْأَلَةَ .

على أن قوماً من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال ؛ إمّا لظنهم أن القصة واحدة ، أو لاعتقادهم أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب في حالتين : تارة إلى صفة الجان ،

\* كذا في ت ، وفي الأصل ، ف : « مجلس آخر ثالث » .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « لم يعقب : لم يرجع ؛ وقيل لم يلتفت ، وقيل لم يعطف ولم ينتظر ؛ يقال : كثر على الفوم وما عقب . ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب ؛ وروى عن سفيان : لم يعقب : لم يمكث ، ويقال : عقب في الأمر إذا تردد في طلبه مجداً ؛ وقوله تعالى : ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ؛ أى لا يحكم بعد حكمه حاكم ، والمعقب : الذي يكر على الشيء ، وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ ، أى للإنسان ملائكة يعقب بعضهم بعضاً . وقال الفراء : ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ؛ يعنى أنهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً » . (٢) ت ، د : « أول ما نقوله في هذا » . (٣-٣) ت : « فالحال التي أخبر أن العصا صارت فيها بصفة الجان ... » .

وتارة إلى صفة الثعبان ؛ أو على سبيل الاستظهار في الحجة ، وأن الحال لو كانت واحدة على ما ظنَّ لم يكن بين الآيتين تناقضٌ ؛ وهذا الوجه أحسنُ ما تكلفوا الجوابَ لأجله ؛ لأن الأولين لا يكونان إلا عن غلطٍ أو غفلة ، وذكروا وجهين نزول بكل واحدٍ منهما الشبهة في تأويلها :

- ٥ أحدهما أنه تعالى إنما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها ، وكبر جسمها ، وهول منظرها ؛ وشبهها في الآية الأخرى بالجأن لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها ؛ فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاطُ الجأن ، وسرعة حركته ؛ وهذا أبهر في باب الإعجاز ، وأبلغ في خرق العادة ؛ ولا<sup>(١)</sup> تناقض معه بين الآيتين ؛ وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان ، ولا إذا شبهها بالجأن أن يكون لها جميع صفاته ،
- ١٠ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۚ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ۚ ﴾ [الذهر: ١٥، ١٦] . ولم يردَّ تعالى أن الفضة قوارير على الحقيقة ؛ وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها ؛ مع أنها من فضة ؛ وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه ؛ فيشبهون المرأة بالطبيبة والبقرة<sup>(٢)</sup> ونحن نعلم أن في الظباء والبقرة من الصفات مالا يُستحسن أن يكون في النساء ، وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة ، ومن
- ١٥ وجه دون وجه<sup>(٣)</sup> .

والجواب الثاني أنه تعالى لم يردَّ بذكر الجأن في الآية الأخرى الحيَّة ؛ وإنما أراد أحد الجن ؛ فكأنه تعالى خبر<sup>(٤)</sup> بأن العصا صارت ثعبانا في الخلق وعظم الجسم ؛ وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وإفزازها لمن شاهدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا » . (٢) ت : « والبقرة » .

(٣) ت : « دون آخر » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أخبر » .



ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ؛ إن لم يزد على الوجهين الأوّلين لم ينقص عنهما ؛ والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجّة ، وأنّ التناقض الذي توهم زائل على كل وجه<sup>(١)</sup> ؛ وهو أنّ العصا لما انقلبت حيّة صارت أولاً بصفة الجان وعلى صورته ؛ ثم صارت بصفة الثعبان ؛ على تدريج ؛ ولم تصر كذلك ضربة واحدة ؛ فتتفق الآيتان على هذا التأويل ، ولا يختلف حكمهما ، وتكون الآية الأولى التي تتضمن ذكر الثعبان ٥ إخباراً عن غاية حال العصا ، وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولّى موسى فيها هارباً ؛ وهي حال انقلاب العصا إلى خِلقة الجان ؛ وإن كانت بعد ذلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان .

فإن قيل على هذا الوجه : كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ؛ وهذا يقتضى أنها صارت ثعباناً بعد الإلقاء بلا فصل ؟ قلنا : تُفيد<sup>(٢)</sup> الآية ما ظنّ ؛ ١٠ وإنما فائدة قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ الإخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة ؛ وأنه لم يطل الزّمان في مصيرها كذلك ، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [ يس : ٧٧ ] ؛ مع تباعد ما بين [ ٩ ظ ] كونه نطفةً وكونه خصيماً مُّبِيناً ، وقولهم : ركب فلان من منزله فإذا هو في ضيعته ، وسقط من أعلى الحائط فإذا هو في الأرض ؛ ونحن نعلم أنّ بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زماناً ، ١٥ وأنه لم يصل إليها إلا على تدريج ؛ وكذلك الهابط من الحائط ؛ وإنما فائدة الكلام الإخبار عن تقارب الزّمان ؛ وأنه لم يطل ولم يمتدّ .

(١) ت : « على كل حال » . (٢) ت ( من نسخة ) : « تقدير » .

## تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [ الأعراب : ١٧٢ ، ١٧٣ ] .

وقد ظنَّ بعضُ مَنْ لا بصيرةَ له ، ولا فطنةَ عنده أن تأويل هذه الآية أن الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته ، وهم في خلق الذرِّ ، فقرَّرهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم . وهذا التأويل - مع أنَّ العقل يُبطله ويُحيله - مما يشهد ظاهرُ القرآن بخلافه ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ ﴾ ، ولم يقل : من آدم ، وقال : ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، ولم يقل : ذُرِّيَّتَه ؛ ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاثا يقولوا يوم القيامة : إنهم كانوا عن ذلك غافلين ، أو يمتدروا بِشِرْكِ آبَائِهِمْ ، وأنَّهم نشئوا على دينهم وسُنَنِهم ؛ وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول وَلَدَ آدم عليه السلام لصلبه ؛ وأنها إنما <sup>(١)</sup> تناولت مَنْ كان له آباء مشركون ؛ وهذا يدلُّ على اختصاصها ببعض ذُرِّيَّة <sup>(٢)</sup> بنى آدم ؛ فهذه شهادة الظَّاهر ببطلان تأويلهم ، فأما شهادة العقول <sup>(٣)</sup> فمن حيث لا تخلو هذه الذُرِّيَّة التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخطبت وقرَّرت من أن تكون كاملة العقل ، مستوفية لشروط التكليف ؛ أو لا تكون كذلك <sup>(٤)</sup> .

فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكُر هؤلاء بعد خَلْقِهِمْ وإنشائهم ، وإكالم عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال ، وما قرَّروا به ، واستشهدوا عليه ؛ لأنَّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى ، وإن بُعد العهد وطال الزمان ؛ ولهذا لا يجوز أن يتصرَّف أحدنا في بلد من [ ١٠ ] البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بُعد العهد جميع تصرُّفه المتقدِّم / وسائر أحواله .

(١) ساقطة من ت ، ف . (٢) ت : « ولد آدم » . (٣) ت : « العقل » .

(٤) ت : « أو لا تكون كاملة العقل مستوفية لشروط التكليف » .

وليس أيضاً لتخلّل الموت بين الحالين تأثير ؛ لأنه لو كان تخلّل الموت يُزيل الذكّر لكان تخلّل النوم والسُّكْر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يُزيل ذكّرهم لِمَا مضى من أحوالهم ؛ لأنّ سائر ما عددناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب . وليس لهم أن يقولوا : إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه ؛ وذلك أنّنا إنّما أوجبنا ذكّر العقلاء لِمَا ادّعَوْه إذا كملت عقولهم من حيث جرى لهم <sup>(١)</sup> وهم ٥ كملوا العقول ، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه .

على أن تجوز النسيان عليهم ينقضُ الغرض في الآية ، وذلك أن الله تعالى أخبر بأنّه إنّما قرّرهم وأشهدهم لثلاث يدّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك ، وسقوط الحجّة عنهم <sup>(٢)</sup> فيه ؛ فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة وزوالها ، وإن كانوا على الصّفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبّح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً ؛ ١٠ يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويل <sup>(٣)</sup> مخالفكم ، فما تأويلها الصحيح عنكم ؟ قلنا في هذه الآية وجهان :

أحدها أن يكون تعالى إنّما عني جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلّغهم وأكمل عقولهم ، وقرّرهم على السن <sup>(٤)</sup> . رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب <sup>(٥)</sup> من طاعته ، فأقرّوا ١٥ بذلك ، وأشهدهم على أنفسهم به ؛ لثلاث يقولوا يوم القيامة إنّنا كنّا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم . وإنّا أتينا من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظنّ أنّ اسم الذرية لا يقع إلّا على من لم يكن كاملاً عاقلاً ؛ وليس الأمر كما ظنّ ؛ لأنّا نسمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم ؛ وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) ، ت ، ف : « عليهم » . (٢) ت ، حاشية الأصل ( من نسخة )

« عليهم » . (٣) م : « قول » . (٤) ت ، د ، حاشية ف ( من نسخة ) : « لسان » .

(٥) د ، ت : « وما يجب عليهم » .

جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴿ [الرعد: ٢٣].  
ولفظ الصالح لا يطلق إلا على مَنْ كان كاملاً عاقلاً ؛ فإن استبعدوا تأويلنا وحمّلنا الآية على  
البالغين المكلفين ؛ فهذا جوابهم .

[ ١٠ ] والجواب الثاني أنه تعالى / لَمَّا خَلَقَهُمْ وَرَكَّبَهُمْ تَرْكِيبًا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَيَشْهَدُ بِقُدْرَتِهِ  
ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم  
على أنفسهم ، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفة وظهوره فيهم على الوجه الذي أَرَادَهُ تعالى ،  
وتعذر امتناعهم منه ، وانفكاكهم من دلالاته بمنزلة المقرّ المعترف ؛ وإن لم يكن هناك إشهاد  
ولا اعتراف على الحقيقة ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ  
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [ فصلت : ١١ ] ،  
١٠ وإن لم يكن منه تعالى قولٌ على الحقيقة ، ولا منهما جواب ، ومثله قوله تعالى : ﴿ شَهِدِينَ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ [ التوبة : ١٧ ] . ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم ؛  
وإنما (١) لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ ظُهُورًا لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ دَفْعِهِ كَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْمُعْتَرِفِينَ بِهِ ؛ ومثل  
هذا قولهم : جوارحي تشهدُ بنعمتك ، وحالي معترفَةٌ بإحسانك . وما رَوَى عن بعض  
الخطباء (٢) من قوله : سل (٣) الأرض : مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى  
١٥ ثَمَارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا أَجَابَتْكَ اعْتَبَارًا .

وهذا باب كبير ، وله نظائر كثيرة في النظم والنثر ؛ يغنى عن ذكر جميعها القدرُ الذي  
ذكرناه منها .

(١) د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وإنما ذلك » . (٢) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :

« الحكماء » . (٣) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « هذا من كلام الفضل بن عيسى بن أبان ،

ذكره في قصصه » .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». قال: أراد: يستغنى به، واحتج بقولهم: تغنيت تغنياً، وتغانت تغانياً، وأنشد بيت الأعشى:

وَكُنْتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ      عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّغْنِ<sup>(١)</sup>

وقول الآخر:

كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ      وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيًا<sup>(٢)</sup>

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غنى»، أى مُسْتغْنٍ، وبالحديث الآخر: «نعم كثر الصُّعْلُوكُ سورة آل عمران يقوم بها<sup>(٣)</sup> فى آخر الليل»؛ والصُّعْلُوكُ الفقير، واحتج بحديث آخر يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه قال: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن أحداً أُعْطِيَ أفضل مما أُعْطِيَ، لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن ١٠ أفضل مما ملكه». واحتج أيضاً بخبر يرفعه<sup>(٤)</sup> عن عبد الله بن نهيك أنه دخل على سعد<sup>(٥)</sup> بيته<sup>(٦)</sup>، فإذا مثال رث، ومتاع رث، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قال أبو عبيد: فذكره المتاع الرث، والمثال الرث يدل على أن التغنى بالقرآن الاستغناء به

(١) ديوانه ٢٢، واللسان (غنى).

(٢) إلى المفيرة بن حبناء التميمي؛ وذكره المبرد في (الكامل ٣ : ١٤ - بشرح الرصني) ضمن أبيات لعبد الله ابن معاوية، أولها:

رَأَيْتُ فُضَيْلاً كَانَ شَيْئًا مُلَفَّقًا      فَكَشَفَهُ التَّمَحْيِصُ حَتَّى بَدَا لِيَا

وقبله:

فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ      وَلَكِنَّ عَيْنَ الشُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

(٣) حاشية الأصل: «بقراءتها». (٤) في نسخة بمحاشي الأصل، ت، ف: «يروي». (٥) حاشية الأصل: «هو سعد بن أبي وقاص». (٦) كذا في الأصل، وحاشية ف: وفي

د، ف، وحاشية ت (من نسخة): «في بيته».

عن الكثير من المال والمثال هو الفِرَاش ، قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

بِكُلِّ طَوَالٍ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ الْمِثَالِ الْمُمَهَّدَا<sup>(٢)</sup>

— يعنى الفراش . قال أبو عبيد : ولو كان معناه الترجيع لمُعْظَمَتِ المِحْنَةُ علينا بذلك ؛ إذ

كان مَنْ لَمْ يُرْجَعْ بالقرآن فليس<sup>(٣)</sup> منه عليه السلام .

• وذ كر غير<sup>(٤)</sup> أبي عبيد جواباً آخر ، وهو أنه عليه السلام أراد : مَنْ لَمْ يَحْسَنْ صَوْتَهُ بالقرآن .

ولم يرجع<sup>(٥)</sup> فيه . واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال : أتيتُ سعداً

— وقد كفَّ بصره — فسأمتُ عليه ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فأخبرته . فقال : مَرَحَباً يَا بَنَ<sup>(٦)</sup> أَخِي ،

بَلَّغْنِي أَنْكَ حَسَنُ الصَّوْتِ بالقرآن ، وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إن هذا

القرآن نَزَلَ بِحُزْنٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقرآن

فليس منا » . فقله : « فابكوا أو تباكوا » دليل على أن التغنى التحنين والترجيع . وروى عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا يَأْذُنُ اللَّهُ لشيءٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا لِأَصْوَاتِ الْمُؤَذِّنِينَ ،

وَالصَّوْتِ الْحَسَنِ بِالقرآن » . ومعنى قوله : « يَأْذُنُ » يستمع له ؛ يقال : أَذِنْتُ لِلشيءِ أَذْنًا إِذَا

استمعتُ له ؛ قال الشاعر<sup>(٧)</sup> :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسَوْءٍ<sup>(٧)</sup> عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) نُسبهُ صاحب اللسان في ( مثل ) إلى الأعشى .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أَى بَدَلَ سُرَى اللَّيْلِ ؛ كَقَوْلِكَ شَرِبْتَ بِالْخَمْرِ مَاءً ، أَى بَدَلَ الْخَمْرِ » .

(٣) في نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « لَيْسَ » . (٤) د ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « وَذَكَرَ عَنْ »

غَيْرِ أَبِي عَبِيدٍ جَوَابٌ » . (٥) ت ، د ، ف : « وَيَرْجِعُ » . (٦) في نسخة بمحاشيتي الأصل ،

ت ، ف : « يَا بَنَ » . (٧) هُوَ قَعْنَبُ بْنُ ضَمْرَةَ ؛ أَحَدُ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، مِنْ أَيْيَاتِهِ فِي

(الحماسة — بشرح التبريزي ٤ — ١٢٤ ، والاقتضاب ٢٩٢ ، وشواهد المغني ٣٢٦) ، وَقَبْلَهُ :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

(٧) ف : « بَشَرٌ » .

وقال عدى بن زيد العبادي<sup>(١)</sup> :

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ      إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ<sup>(٢)</sup>

والأذن هو السماع ، وإنما حسن<sup>(٣)</sup> تكرير المعنى اختلاف اللفظ . وللعرب في هذا

مذهب معروف ، ومثله :

\* وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ \*

فأما الدَدَنْ فهو اللهو/واللعب، وفيه لغات ثلاث: دَدَ على مثال دَمَ، ودَدَا على مثال فَتَى، [ ١١ ]  
وَدَدَنْ على مثال حَزَنْ ؛ ومنه قول النبي عليه السلام: « ما أنا من دَدٍ ولا الدَدِ مِنْيَّةُ<sup>(٤)</sup> » .

فإن قيل : كيف يُحْمَلُ قوله : « لا يأذن الله لشيء » كإذنه لكذا وكذا « على معنى الاستماع ، وهو تعالى سامع لكل شيء مسموع ، فأى معنى للاختصاص ؟ قلنا : ليس

المراد ههنا بالاستماع مجرد الإدراك ، وإنما المراد به القبول ، فكأنه عليه السلام قال : ١٠  
إن الله تعالى لا يتقبلُ أو يُشِيبُ على شيء من أهل الأرض كتقبُّله وثوابه على كذا وكذا ،  
ومن هذا قولهم : هذا كلامٌ لا أسمعُه ، وخاطبتُ فلانا بكلامٍ فلم يسمعهُ<sup>(٥)</sup> ، وإنما يريدُ نفى  
القبول لا الإدراك ، والبيتُ الذي أنشدناه يشهد بذلك ، لأنه قال :

\* وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا \*

ونحن نعلمُ أنهم يستمعون الذِّكْرَ بالخير والشر معاً من حيث الإدراك ؛ فوجهُ ١٥  
الاختصاص ما ذكرناه .

(١) حاشية ت : « العباد قوم كانوا يخدمون النعمان فسماهم العباد وكان عدى هذا منهم » ؛ وحاشية

ف : « قوم اقتطعهم النعمان بخدمته ؛ فكان يقال لهم عباد النعمان ، فنسب عدى إليهم ، « وكان نصرانياً » .

(٢) حاشية الأصل : « البعد أقرب من النأي » . (٣) ش ، ف : « وإنما حسن تكرير

للمعنى لاختلاف اللفظ » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « قوله عليه السلام : « مني » هذه الهاء للاستراحة ، وهي تدل على

تأكد امتناعه من اللهو » . وفي ج ، وحاشيتي ت ، ف (من نسخة) : « مني » .

(٥) في حاشيتي ت ، ف : « ومن هذا الباب قوله : دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما

أقول ؛ أى يحيب » .

وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري وجهاً ثالثاً في الخبر ، قال : أراد عليه السلام :  
 (١) مَنْ لَمْ يَتْلُذْ بِالْقُرْآنِ ، وَيَسْتَحِلِّهِ ، وَيَسْتَعِزُّ بِهِ ، تَلَاوَتَهُ كَاسْتِحْلَاءِ أَصْحَابِ الطَّرَبِ لِلْغِنَاءِ  
 وَالتَّيْدِازِهِمْ بِهِ . وَسَمِيَ ذَلِكَ تَغْنِيّاً مِنْ حَيْثُ يُفْعَلُ عِنْدَهُ مَا يُفْعَلُ عِنْدَ التَّغْنَى بِالْغِنَاءِ ، وَذَكَرَ أَنَّ  
 ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ : الْمَهَائِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ ، وَالْحُبَا (٢) حَيْطَانُ الْعَرَبِ ، وَالشَّمْسُ حَمَامَاتُ  
 الْعَرَبِ (٣) ؛ وَأُنْشِدَ بَيْتَ النَّابِغَةِ :

بُكَاءُ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مُفَجَّعَةً عَلَى فَنٍّ تَغْنَى (٤)

فَشَبَّهَ صَوْتَهَا لَمَّا أَطْرَبَ إِطْرَابَ الْغِنَاءِ بِالْغِنَاءِ ، وَجَمَلُوا الْمَهَائِمَ لَمَّا قَامَتْ مَقَامَ التَّيْجَانِ  
 تَيْجَاناً ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْحُبَا وَالشَّمْسِ .

وَجَوَابُ أَبِي عُبَيْدٍ أَحْسَنُ الْأَجَوِبَةِ وَأَسْلَمُهَا ، وَجَوَابُ أَبِي بَكْرٍ أَمَدُهَا ؛ لِأَنَّ التَّلْذُّ  
 لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمُسْتَهَيَّاتِ ، وَكَذَلِكَ الْاسْتِحْلَاءُ وَالْاسْتَعِزُّ . وَتَلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَتَفَهُمُ مَعَانِيهِ  
 مِنَ الْأَفْعَالِ الشَّاقَةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُلْذَافاً مُسْتَهَيّاً (٥) ؟ ! فَإِنْ عَادَ إِلَى أَنْ يَقُولَ : قَدْ تُسْتَحْلَى  
 التَّلَاوَةُ مِنَ الصَّوْتِ الْحَزِينِ (٦) ، قُلْنَا : هَذَا رَجُوعٌ إِلَى الْجَوَابِ الثَّانِي الَّذِي رَغِبْتَ عَنْهُ ،  
 وَانْفَرَدَتْ عِنْدَ نَفْسِكَ بِمَا يَخَالِفُهُ .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْخَبَرِ وَجْهٌ رَابِعٌ خَطَرَ لَنَا ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
 [ ١٢ ] / « مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ » مِنْ غَنَى الرَّجُلِ بِالْمَكَانِ إِذَا طَالَ مُقَامُهُ بِهِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : الْمَغْنَى وَالْمَغَانِي ،  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ [ الْأَعْرَافُ : ٩٢ ] ، أَيْ لَمْ يُقِيمُوا بِهَا ، وَقَالَ

(١-١) ف : « مَنْ لَمْ يَتْلُذْ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَسْتَحِلِّهِ وَلَمْ يَسْتَعِزُّ بِهِ » .

(٢) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « جَمْعُ حَبْوَةٍ ( بَكْسَرِ الْحَاءِ وَضَمُّهَا مَعَا ) ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِحْتِبَاءُ  
 بِالسَّيْفِ ، وَالْإِحْتِبَاءُ : شَدُّ الْبَيْدَيْنِ أَمَامَ الرِّكْبَتَيْنِ ، وَالْإِسْمُ الْحَبْوَةُ » .

(٣) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « أَيْ يَتَنَزَّلُ مُنْزِلَةً هَذِهِ الْأَشْيَاءُ » .

(٤) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « الْمَدِيلُ : صَوْتُ الْحَمَامِ وَفَرْخِهَا ، وَيَحْتَمِلُ الْمَغْنَيْنِ ؛ أَيْ تَدْعُو دُعَاءً ،  
 صَوْتَهَا » ؛ وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ٧٩ . (٥) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) ، ف ( عَنْ ش ) : « شَيْءٌ مُلْذٌ ؛  
 أَيْ يَحْمِلُ عَلَى الْإِلْتِذَافِ بِهِ ، وَيُقَالُ : لَذْتُ بِالشَّيْءِ ، وَلَذْتُهُ ، أَوْ وَجِدْتُهُ لَذِيذًا ، أَوْ عَدَدْتُهُ كَذَلِكَ » .

(٦) تَحْتَ هَذِهِ السَّكَاةِ فِي الْأَصْلِ : « مِنْ نَسْخَةِ الشَّجَرِيِّ » ، وَفِي نَسْخَةِ بَحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت



الأسود بن يَعْفُر<sup>(١)</sup> الإيادي :

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ غُنْيَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتٍ الْأَوْتَادِ<sup>(٢)</sup>

وقول<sup>(٣)</sup> الأعشى الذي أنشده أبو عبيد وهو :

وَكُنْتُ أَمْرًا زَمَنَّا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاحِ طَوِيلَ التَّغْنِ

بطول المقام أشبه منه بالاستغناء ، لأن المقام بوصف بالطول ولا بوصف الاستغناء بذلك ،  
فكان الأعشى أراد : إنني كنت ملازماً لوطني ، مقيماً بين أهلي ، لا أسافر للانتجاع  
والطلب ؛ ويجري قوله هذا مجرى قول حسّان بن ثابت الأنصاري :

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ<sup>(٤)</sup>

أراد بقوله : « حول قبر أبيهم » أنهم ملوك لا ينتجعون<sup>(٥)</sup> ، ولا يفارقون محالهم  
وأوطانهم ؛ فيكون معنى الخبر على هذا الوجه : مَنْ لَمْ يُقِمَّ عَلَى الْقِرَآنِ ؛ فَلَا يَتَجَاوَزُهُ<sup>(٦)</sup> ١٠  
إلى غيره ، ولا يتعداه إلى سواه ، ويتخذ مَغْنًى ومنزلاً ومقاماً فليس منا .

فإن قيل : أليس قد يتعدى القرآن إلى السُّنَّةِ والإجماع وسائر أدلة الشرع ؟ فكيف  
يُحْظَرُ علينا تعدّيه ؟ قلنا : ليس في ذلك تعدٍّ للقرآن ، لأن القرآن دالٌّ على وجوب اتباع  
السُّنَّةِ وغيرها من أدلة الشرع ، فمن اعتمد بعضها في شيء من الأحكام لا يكون متجاوزاً  
للقرآن ، ولا متعدياً ؛ فأما قوله عليه السلام : « لَيْسَ مِنَّا » فقد قيل فيه : إنه لا يكون على ١٥  
أخلاقنا ، واستشهد بيت النابغة :

(١) في حاشيتي الأصل : « ويعفر ( بضم الياء والفاء ) ، ويعفر أيضا ( بضم الياء وكسر الفاء ) .

ويعفر ( بضم الياء والفاء ) ينصرف لزوال شبه الفعل عنه .

(٢) البيت من قصيدة في المفضليات ٢١٧ ، وفي دءف ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) ، والمفضليات « عيشة » .

(٣) ت : « وبيت » . (٤) ديوانه : ٨٠ ، وأولاد جفنة : ملوك غسان .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : أى لا يحتاجون إلى الانتجاع ؛ فهم مقيمون في مكانهم .

(٦) حاشية ف : « ويتجاوزوه ويتخذوه » ، وفي حاشية الأصل : « قال السيد : في هذا  
الكلام اضطراب ، والصحيح : « فيجاوزوه ويتعداه » ؛ إلا أن تكون « لا » زائدة ؛ والمعنى : من لم  
يقم على القرآن بحيث لا يتجاوز إلى غيره ، ويتعداه إلى سواه ؛ ولم يتخذ مغنى ، ويكون قوله « يتخذ »  
معطوفاً على « يقم » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي<sup>(١)</sup>

وقيل إنه أراد : ليس على ديننا ، وهذا الوجه لا يليق إلا بجوابنا الذي اخترناه ، وهو بعده بجواب أبي عبيد أليق ، لأنه محال أن يخرج عن دين النبي صلى الله عليه وسلم من لم يحسن صوته بالقرآن ، ويرجع فيه ، أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها .

## مَسْأَلَةٌ

[ ١٢ ] / اعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظننه أصحاب الرؤية في قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۚ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [ القيامة ٢٢ - ٢٣ ] ، على وجوه معروفة ، لأنهم يبتنوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ، ولا الرؤية من أحد محتملاته ، ودلوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة ؛ منها تقليب الحديقة الصحيحة حيال<sup>(٢)</sup> المرئي طلباً لرؤيته ؛ ومنها النظر الذي هو الانتظار ؛ ومنها النظر الذي هو التمطف والرحمة ؛ ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل ، وقالوا : إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعالى<sup>(٣)</sup> ، واحتجنا<sup>(٤)</sup> جميعاً إلى طلب تأويل للآية من غير جهة الرؤية . وتأولها بعضهم على الانتظار للشواب ، وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً ، والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة . وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر ، وتحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم ؛ على سبيل حذف المرئي في الحقيقة . وهذا كلام<sup>(٥)</sup> مشروح في مواضعه ، وقد بينا ١٥ ما يورد عليه ، وما يجاب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة .

وهنا وجه غريب في الآية حكى عن بعض التأخرين<sup>(٦)</sup> : لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر ، أو إلى تقدير محذوف ، ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية ،

(١) ديوانه : ٧٩ . (٢) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « في جهة المرئي » .

(٣) ف : « النلق » . (٤) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « واحتاج جميعنا » .

(٥) ت ، ف : « وهذا الكلام » . (٦) في حاشيتي ت ، ف : « يعني به الصاحب بن عباد رحمه الله » .

أو لا يحتملها ؛ بل يصح الاعتماد عليه ؛ سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب ، أو <sup>(١)</sup> الرؤية بالعين ، وهو أن يحتمل قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ على أنه أراد به نعمة ربها ، لأن الآلاء النعم ، وفي واحدتها أربع لغات : ألا مثل قفاً ، وألى مثل رمى ، وإلى مثل معى ، وإلى مثل حسى ؛ قال أعشى بكر بن وائل :

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رَحِمًا وَلَا يَخُونُ إِلَى <sup>(٢)</sup>

أراد أنه لا يخون نعمة ، فأراد « بإلى ربها » نعمة ربها ، وأسقط التنوين للإضافة .

فإن قيل : فأى فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه أريد بها <sup>(٣)</sup>

إلى ثواب ربها ناظرة ، بمعنى رائية لنعمه وثوابه ؟ قلنا : ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف ، لأنه

إذا جعل « إلى » حرفاً / ولم يعلقها بالرب تعالى ، فلا بد من تقدير محذوف ، وفي الجواب [ ١٣ ]

الذى ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف ، لأن « إلى » فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج <sup>و</sup> إلى تقدير غيره <sup>(٤)</sup> .

(١) ت . « أم » (٢) ديوانه : ١٥٥ ، والاسان ( ألى ) وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« أبيض : كريم ، والهزال كناية عن فلة ذات اليد ، وخيانة النعمة أن يبخل بها » . (٣) ف : « به » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « الوجه الأول أحسن ، وبمجارى كلام العرب أشبه ، وفي الفصاحة

أعرف ؛ وذلك أن وجه صاحب وإن كان له محل في العربية ؛ فإن إعمال اسم الفاعل فيما قبله على هذا الوجه مما يحوج الإنسان إليه مضائق الشعر ؛ والقرآن موضع فصاحة ، ومحل فصاحة ، فالأولى غير هذا الوجه ؛ والله أعلم » .

## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن قال قائل: ماتأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠] .

وظاهرُ هذا الكلام يدلُّ على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه وأمره ، وليس هذا مذهبكم ؛ وإن مُحِيل الإِذْنُ هاهنا على الإرادة اقتضى أن مَنْ لم يقع منه الإيمان لم يردّه الله منه ، وهذا أيضا بخلاف قولكم . ثم جعلَ الرَّجْسَ الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ؛ ٥ وَمَنْ كان فاقدا عقله لا يكون مُكَلَّفًا ، فكيف يستحقُّ العذاب ؟ وهذا بالضد من الخبر المروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الثُّبُلَةُ » .

الجواب ، يقال له في قوله تعالى : ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وجوه :

١٠ منها أن يكون الإِذْنُ الأمر ، ويكون معنى الكلام : إن الإيمان لا يقع إلا بعد أن يأذن الله فيه ، ويأمر به ، ولا يكون معناه ما ظنّه السائلُ من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه ، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥] . ومعلوم أن معنى قوله: ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه ، وإن كان الأشبهُ في هذه الآية التي فيها ذكرُ الموت أن يكون المرادُ بالإِذْنِ العلم .

ومنها أن يكون الإِذْنُ هو التوفيق<sup>(١)</sup> والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله يوفق

١٥ لفعل الإيمان ويلطف فيه ، ويسهّل السبيل إليه .

ومنها أن يكون الإِذْنُ العلم من قولهم : أَذِنْتُ لكذا وكذا إذا سمعته وعلمته ، وآذَنْتُ فلانا بكذا إذا أعلمته ؛ فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات ، فإنه ممن

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « في هذه » .

لا يخفى عليه الخفيات . . وقد أنكر بعض مَنْ لا بصيرة له أن يكون الإذن ( بكسر الألف وتسكين الذال ) عبارةً عن العلم ، وزعم أن الذى هو العلم الأذن ( بالتحريك ) ، واستشهد بقول الشاعر<sup>(١)</sup> :

[ ١٣ ] / \* إِنْ هَمَّيْ فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ \*  
ظ

- وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم ، لأن الأذن هو المصدر ، والإذن هو اسم الفعل<sup>(٢)</sup> ؛  
فيجرى مجرى الحذر في أنه مصدر؛ والحذر ( بالتسكين ) الاسم على أنه لو لم يكن مسموعاً  
إلا الأذن ( بالتحريك ) لجاز التسكين ، مثل مثلٍ ومثلٍ وشبهٍ وشبهٍ ونظائر ذلك  
كثيرة .

ومنها : أن يكون الإذن العلم ، ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى  
فعله ، ويكون معنى الآية : وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله لها بما يبعثها على الإيمان ، ١٠  
وما يدعوها إلى فعله .

فأما ظنُّ السائل دخولَ الإرادة في محتمل اللفظ فباطل؛ لأن الإذن لا يحتمل الإرادة  
في اللغة ، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه ، لأنه إذا قل : إنَّ الإيمان لا يقع<sup>(٣)</sup> إلا  
وأنا مُريدٌ له لم ينبَ أن يكون مُريداً لما لم يقع ، وليس في صريح الكلام ولا دلالة<sup>(٤)</sup>  
شيء من ذلك .

١٥

وأما قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فلم يَنْبَ بذلك  
الناقص العقل ، وإنما أراد الذين لم يعقلوا ويعلموا<sup>(٥)</sup> ما وجب عليهم علمه من معرفة الله  
خالقهم ، والاعتراف بنبوة رسوله والانقياد إلى طاعتهم ، ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً؛

(١) هو عدى بن زيد العبادي ؛ وقد تقدم البيت بتمامه منسوبا إليه في ص ٣٣ .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « ومن هذا الباب الصرم ؛ فإنه مصدر صرم ، والصرم ؛ بالضم اسم ذلك الفعل الذى هو القطع ؛ لا المصدر » .

(٣) د ، ف ، حاشية ت ( من نسخة ) : « لم يقع » . (٤) ف ، حاشية ت ( من نسخة ) :

« ولا في دليله » . (٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ولم يعلموا » .

كما قال تعالى: ﴿صُمُّوا بِكُمْ عَمًى﴾ [البقرة: ١٨] ، وكما يصف أحدنا مَنْ لم يَفْطُنْ لبعض الأمور، أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل .

فأما الحديثُ الَّذِي أوردَه السائل شاهداً له فقد قيل إنه عليه وآله السلام<sup>(١)</sup> لم يُردِّدْ بالبُلهِ ذَوِي الغفلة والنقص والجنون ، وإنما أراد البُلهِ عن الشرِّ والقبیح ، وسماهْمُ بُلْهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه ، لا من حيثُ فقدوا العلم به . ووجهُ تشبيهه مَنْ هذه حاله بالبُلْه ظاهر ، فإنَّ الأَبْهَةَ عن الشيء هو الَّذي لا يعرض له ولا يقصد إليه ، فإذا كان المتنزه عن الشر مُعْرِضاً عنه ، هاجرا لفعله جاز أن يوصف بالبُلْه للفائدة التي ذكرناها ؛ ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر :

وَمَقَدْ كَلِمَتْ بَطْفَلَةً مَيَّادَةً بُلْهَاءَ تُطْلَعُنِي عَلَى أَسْرَارِهَا<sup>(٢)</sup>

[ ١٤ ] / أراد أنها بُلْهَاء عن الشر والريبة ؛ وإن كانت فِطْنَةً لغيرها ؛ وقال أبو النّجْم العجليّ :

مِنْ كُلِّ عَجْزَاءٍ سَقُوطِ الْبَرْقِعِ<sup>(٣)</sup> بُلْهَاءَ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعْ

أراد بالبُلْهَاء ما ذكرناه . فأما قوله : « سَقُوطِ الْبَرْقِع » فأراد أنها تُبْرِزُ وجهها ولا تستره ، ثقة<sup>(٤)</sup> بحسنه وإدلالاً بجلاله<sup>(٥)</sup> ، وقوله : « لَمْ تُحْفَظْ » أراد أن استقامة طرائقها تُغْنِي عن حفظها ، وأنها لعفاؤها<sup>(٦)</sup> وتنعيمها وترفيها فتشقى ، ومثل قوله : « سَقُوطِ الْبَرْقِع » قول الشاعر<sup>(٧)</sup> :

(١) ت : « إن النبي صلى الله عليه وآله » ، ف : « إنه صلى الله عليه وآله » .

(٢) الأضداد ص ٢٦٢ ، واللسان ( بله ) — بلا عزو . والطفلة : الناعمة ؛ وفي ت ، د ، ف :

« ميالة » . (٣) اللسان ( بله ) .

(٤-٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « بحسنها وإدلالاً بجلالها » .

(٥) ش : « لعفاقتها » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « عف يعف عفا وعفة وعفاة » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الأولى في معنى لم تضيع أنها لا تخلو من خدم يختصون بها ؛ ليكون

هذا التضيع مطابقاً لذلك الحفظ » . وفي حاشية ت ( من نسخة ) : « في تغذيتها » .

(٧) هو عمر بن أبي ربيعة ، والبيت في ديوانه ٣٣ .

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَاتُ وَجُودَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعًا<sup>(١)</sup>  
ومثله أيضا :

بِهَاءَ شَرَقٍ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرِّدَاءُ الْمُحِبِّ<sup>(٢)</sup>  
أى رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال<sup>(٣)</sup> ، ومثله - وهو ملبح<sup>(٤)</sup> :

٥ لَهْوَنَا بِمَنْجُولِ الْبَرَّاقِعِ حِقْبَةً فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزْنَا بِالْوَصَاوِسِ<sup>(٥)</sup>  
أراد بمنجول البراقع اللاتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ، ومنه الطعنة للنجلاء ،  
والعين النجلاء ؛ ثم قال : ما بال دهرٍ أحوَجنا واضطرنا إلى القباح ، اللواتي يضيّقن عيون  
براقعهن لقبْحِهِنَّ ، والوصاوس : هى النقبُ الصغار للبراقع ؛ ومما يشهد للمعنى الأول الذى  
هو الوصف بالبَّله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدُمَيْنة :

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بَبْعِضِ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ<sup>(٦)</sup> ١٠  
- ويروى بنفسى وأهلى -

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ ضَعْفَةٌ<sup>(٧)</sup> حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ<sup>(٨)</sup>  
ومثله :

أَحِبُّ اللَّوَاتِي فِي صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحٌ<sup>(٩)</sup>

(١) فى الديوان : « أشرق » وفى حاشية ت ( من نسخة ) : « أسفرت » ، وفى حاشية الأصل  
( من نسخة ) : « تبرقا » . (٢) البيت للشماخ ، ديوانه : ٢٩ . وفى حاشية الأصل ، ت ، ف :  
« الشرق : أثر الطيب ؛ يقال : يده من الطيب شرقة . وشرق الشمس : اصفرت من الغروب ؛ ومنه  
أحمر شرق : شديد الحمرة ، وشرق الثوب بالصبيغ ، ولحم شرق : لا دسم فيه » . والمخير : النقش .  
(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « ثقة بجماها وكالها » . (٤) فى نسخة بحاشيتي الأصل ، ت :  
« حسن » . (٥) حاشية الأصل : « لزنا : أحوَجنا » . (٦) الشعر والشعراء ٤٥٩ . وفى ت :  
« بأهلى ومالى » . (٧) ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « سكتة » .  
(٨) مرهيب : أنى برية . وفى حاشية الأصل . « أصل العذر أن تتعقب ذنبا ، والبرى : لا ذنب له ؛  
لأن أن تنصه قائم مقام العذر للمجرم ؛ فكأنه عذر مجازا » .

(٩) البيتان فى مصارع العشاق ٣٤٧ ، وعزاها إلى بعض الأعراب ، ورواية البيت الأول فيه :  
أَحِبُّ اللَّوَاتِي هُنَّ مِنْ وَرَقِ الصَّبَا وَمِنْهُنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ  
ويقال : طمح ببصره ؛ إذا رى به ، وفى حاشية الأصل : « طماح : شماس » .

مُسِرَّاتِ حُبِّ مُظْهِرَاتِ عَدَاوَةٍ تَرَاهُنَّ كَالْمَرْضَى وَهُنَّ صَحَاحُ  
ومثله :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبِدِ الْمَشِّ تَى وَبُلَّةٌ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامٌ<sup>(١)</sup>

أما قوله : « يكتبين » فمأخوذ من لفظ الكِبَاء ، وهو العود ، أراد يتبخرن به ، واليَنْجُوجُ [ ١٤ ] هو / العود ، وفيه ست لغات : يَنْجُوج ، وَأَنْجُوج ، وَيَلَنْجُوج ، وَالنَّجُوج ، وَالنَّجَجِ ، وَيَلَنْجَجِ .<sup>ظ</sup>

فأما كَبِدِ الْمَشِّ ، فهو ضَيْقَتُهُ<sup>(٢)</sup> وشِدَّتُهُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [ البلد : ٤ ] ؛ وقد روى : « فِي كَبَّةِ الْمَشِّ » والمعنى متقارب ، لأن الكَبَّةَ هي الصدمة والحملة ، مأخوذ من كَبَّةٍ<sup>(٣)</sup> الخيل ؛ وأما الْوَسَامُ فهنَّ<sup>(٤)</sup> الْحِسان من الْوَسَامَةِ ، وهي الْحُسْنُ .  
ويمكن أن يكونَ فِي الْبَلَّةِ جواب آخر ، وهو أن يَحْمَلَ عَلَى مَعْنَى الْبَلَّةِ الَّذِي هُوَ الْغَفْلَةُ والنَّقْصَانُ فِي الْحَقِيقَةِ ، ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بُلَهًا فِي الدُّنْيَا ، فعندنا أن الله يَنْعَمُ الْأَطْفَالَ فِي الْجَنَّةِ وَالْمَجَانِينَ وَالْبَهَائِمِ ، وإنما لم نجعلهم بُلَهًا فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ عَلَى سَبِيلِ الْعَوَاضِ أَوْ التَّفْضُلِ<sup>(٥)</sup> لَا يَفْتَقِرُ إِلَى كَمَالِ الْعَقْلِ ، لِأَنَّ الْخَبَرَ وَرَدَ بِأَنَّ الْأَطْفَالَ وَالْبَهَائِمَ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ لَمْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا وَهُمْ عَلَى أَفْضَلِ الْحَالَاتِ ١٥ وَأَكْمَلِهَا ، وَلِهَذَا صَرَفْنَا الْبُلَّةَ عَنْهُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَرَدَدْنَاهُ إِلَى أَحْوَالِ الدُّنْيَا ، وَإِلَّا فَالْعَقْلُ لَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ كَمَنْعِهِ إِيَّاءَ فِي بَابِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ .

(١) البيت لأبي دؤاد الإيادي ، وهو في الأصمعيات ٦٨ ، وفي حاشية الأصل : « أى عقولهن بله ، وهن وسام ، وواحد الوسام وسيم » .

(٢) ت : « ضيقة » ، ش : « ضيقته » ، بكسر الضاد وفي حاشيتي ت ، ف : « الضيقة : الضر والبؤس ؛ وهو الضيق أيضا » . (٤) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « فهى » .

(٤) حاشية الأصل : « وهو ازدحامهما » .

(٥) في نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « فإن التفضل » . د : « والتفضل » .



## تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ، وَمَا نُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ . يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [هود : ١٠٣-١٠٥] . وقال في موضع آخر : ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] . وفي موضع آخر : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصافات : ٢٧ ، والطور : ٢٥] .

وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف ، لأن بعضها يُنبئُ عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ، ولا يُؤْذَنُ لهم فيه ، وبعضها يُنبئُ عن خلافه . وقد قال قوم من المفسرين في تأويل <sup>(١)</sup> هذه الآيات : إن يوم القيامة يومٌ طويلٌ مُّمتدٌّ ، فقد يجوز أن يُمنَعَ النطق في بعضه ، ويُؤْذَنُ لهم في بعض آخر <sup>(٢)</sup> ؛ وهذا الجواب يُضعف ، لأن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله ، فكيف يجوز أن تجعل الحالات فيه مختلفة ؛ وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله ١٠ تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ في بعضه ، والظاهر بخلاف ذلك .

والجواب السديد عن هذا أن يقال : إنما أراد الله تعالى / نفى النطق المسموع المقبول [ ١٥ ] الذي ينتفعون به ، ويكون لهم في مثله عُذر أو حُجّة ، ولم يَنْفِ النطق الذي ليست هذه حاله ، ويجرى هذا مجرى قولهم : خرس فلان عن حُجَّتِهِ ، وحضرنا فلانا يُناظر فلانا فلم يَقُلْ شيئاً ، وإن كان الذي وُصِفَ بالخرس عن الحُجّة ، والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير ، إلا أنه من حيث لم يكن فيه حُجّة ، ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ؛ ومثل هذا قول الشاعر <sup>(٣)</sup> :

(١) ت : « تأويلات » . (٢) ف : « في موضع آخر » .  
(٣) هو مسكين الدارمي ؛ وهو ربيعة بن عامر بن أنيف ؛ والبيتان في (معجم الأدباء ١١ : ١٣٢) .  
وفي حاشية الأصل : « قبلهما » :

ما ضرَّ جاراً لي أجاورُهُ      ألا يكونَ لِيَابِهِ سِتْرُ

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ      حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ  
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا      سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقَرُّ (١)

وقال الآخر :

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانُكَ (٢) حَتَّى كَأَنَّنِي      بَرَدَ جَوَابِ السَّائِلِ عَنْكَ أَعْجَمُ (٣)

• وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف ، لأنَّ التساؤل والتلاؤم لا حُجَّةَ فيه .. وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، فقد قيل : إنهم غيرُ مأمورين بالاعتذار ، فكيف يعتذرون ؟ ويجاب بحمل الإذن على الأمر ؛ وإنما لم يُؤْمَرُوا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليف فيها ، وانعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم إلى الاعتراف والإقرار . وأحسن من هذا التأويل أن يحمل ﴿ يُؤْذَنُ ﴾ ، على معنى أنه لا يُسْتَمْعَ لهم ، ولا يُقْبَلُ عذرهم ، والعلة في امتناع قبول عُذرهم هي التي ذكرناها (٤) .

(١) حاشية الأصل : « يريد به ؛ أي بقوله « بينهما » جاره وجارته ؛ لأنه ذكر الجار قبل الجارة في قوله : ما ضر جاراً ... البيت » ، وفي حاشية ف : « بينهما ، أي بين الجار وبين من تخاطبه ؛ والسلام يدل على متخاطبين » . (٢) حاشية الأصل : « كتمان أمرك وعشقك » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « بعده :

لِأَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَتَسْلَمِي سَلِمْتَ وَهَلْ حَتَّى عَلَى النَّاسِ يَسْلَمُ  
(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ : لا ينطقون بنطق ينفعهم ، ولا يعتذرون بعذر ينفعهم ، فيكون يعتذرون

داخلا في حيز النفي ، ولا يمكن حله على الإيجاب إلا إذا كان المعنى على أنهم ينطقون بنطق ينفعهم ؛ لأنه إن حمل على الظاهر كان في السلام تناقض ؛ لأنَّ النكير إذاً : هذا يوم لا ينطقون فيعتذرون ؛ وهذا تناقض ، لأن الاعتذار نطق ، وإن شئت كان النكير : لا ينطقون بحال ، ولا يعتذرون ؛ لأن هناك مواقف ؛ فيكون هذا في موقف ؛ ومثله قراءة الحسن والثقي : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُونَ ﴾ ، فقوله : ﴿ يَمُوتُونَ ﴾ معطوف على ﴿ لَا يُقْضَى ﴾ أي لا يقضى عليهم فلا يموتون ؛ كذلك لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؛ أي فلا يعتذرون ؛ وهذا أحسن ، والله أعلم .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: « لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ <sup>(١)</sup> هُوَ اللَّهُ » .  
وقد ذكر قومٌ في تأويل هذا الخبر أن المراد به لا تَسُبُّوا الدهرَ ، فإنه لا فِعْلَ له ، وإنَّ الله  
مَصْرُفُهُ ومُدَبَّرُهُ ، فحذف من الكلام ذكر المَصْرَفِ والمُدَبَّرِ وقال : « هو الدهر » .

وفي هذا الخبر وجهٌ هو أحسنُ من ذلك الذي حَكَيْنَاهُ ، وهو أن المَلْحِدِينَ ، وَمَنْ  
نَفَى الصَّانِعَ من العرب كانوا يَنْسُبُونَ ما يَنْزِلُ بِهِمْ من أفعال الله تعالى كالمرض والعافية ،  
والجذب والخصب ، والبقاء والفناء إلى الدَّهْرِ ، جهلاً منهم بالصَّانِعِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ، ويذنون  
الدَّهْرَ ويسبُونه في كثيرٍ من الأحوال ، من حيث اعتقدوا أنه الفاعلُ بِهِمْ / هذه الأفعال ، [ ١٥ ]  
فنهاهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن ذلك وقال لهم : لا تَسُبُّوا مَنْ فَعَلَ بِكُمْ هذه الأفعالِ مِمَّنْ  
تَعْتَقِدُونَ أنه هو الدَّهْرُ ، فإنَّ الله تعالى هو الفاعلُ لها . وإنما قال : إنَّ الله هو الدهرُ من  
حيث نسبوا إلى الدَّهْرِ أفعالَ الله ؛ وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ۖ  
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [ الجنائية : ٢٤ ] . وقال لبيد :

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ      نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْهَلَ <sup>(٢)</sup>  
أَي دَعَا عَلَيْهِمْ . وقال عمرو بن قَمَيْثٍ <sup>(٣)</sup> :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْعِينَ <sup>(٤)</sup> حِجَّةً      خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لِحَابِي <sup>(٥)</sup>  
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا      أَنُوْءُ ثَلَاثًا <sup>(٦)</sup> بَعْدَهُنَّ قِيَامِي ١٥  
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ <sup>(٧)</sup> مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى      فَكَيْفَ يَمُنُّ بِرُمَى وَلَيْسَ بِرَأْيِي

(١) كذا في الأصل ، ج ، د ، ش . وفي ت ، ف : « فإنَّ الله هو الدهر » .  
(٢) ديوانه : ٨٠ . وفي حاشية الأصل : « قروم : جمع قرم ؛ وهو سيد وشريف وكريم ؛  
وابتهل ؛ من الباهلة ، أي تضرع وذلل » . (٣) الأبيات في المعمرين ٦٢ ، وحاشية البحترى ٣٢١ .  
(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « سبعين » . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : يقول :  
« إنَّ تسعين تركبني لا أضبط أمراً ؛ فكأنني مخلوع العذار » . والضمير في بها يعود إلى تسعين .  
(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي ثلاث دفعات » .  
(٧) في حاشيتي الأصل ، ف : « بنات الدهر : بلاياه وحوادثه » .

فَلَوْ أَنَّهَا نَبَلْ إِذَا لَا تَقِيَّتُهَا      وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ  
إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ      جَلِيداً حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرَ كِهَامٍ  
وَأَفْنَى وَمَا أَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً      وَلَمْ يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سَلَكَ نِظَامٍ<sup>(١)</sup>  
وَأَهْلَكَ تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ      وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَعَامٍ

٥ وقال الأصمعي: ذم أعرابي رجلاً فقال: هو أكثر ذنباً من الدهر؛ وأنشد الفراء<sup>(٢)</sup>:

حَنَنْتُ حَايَاتِ الدَّهْرِ حَتَّى      كَأَنِّي خَاتِلٌ أَذْنُو لَصِيدٍ<sup>(٣)</sup>  
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى      وَلَسْتُ مُقِيمًا أُنَى بَقِيدٍ  
وقال كثير<sup>(٤)</sup>:

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ      وَرَجُلٍ<sup>(٥)</sup> رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ  
وقال آخر<sup>(٦)</sup>: ١٠

فَلَسْتَ تَأْتِرُ الدَّهْرُ الْغَدَاةَ بِهِمْ      وَالدَّهْرُ يَرْمِي وَمَا أُرْمَى  
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَلْتَنَا      بَسْرَانِ<sup>(٧)</sup> وَوَقَرْتَ فِي الْعَظْمِ

أما قوله: وقرت في العظم، أراد به: اتخذت فيه وقراً، أو وقيرةً، والوقر هو الحفيرة  
[ ١٦ ] العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر، والوقب أيضاً كذلك، والوقيرة أيضاً الحفيرة  
١٥ إلا أنها دون الأولين في السكبر.

وكل هؤلاء الذين رويوا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر، فحسن  
وجه التأويل الذي ذكرناه.

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لم يغن ما أفنيت من العمر بشيء حتى يخطئ».

(٢) البيتان في حماسة البحري ٣٢٣. (٣) ت، ف: «حابل»:

(٤) أمالي الفاي ١: ١٠٩، من تائيته المشهورة. (٥) ف، حاشية ت (من نسخة): «وأخرى»

(٦) هو الأعرشي، والبيتان في ملحقات ديوانه ٢٥٨، وثانیهما في اللسان (وقر) وفي حاشية

الأصل: بعدهما:

وَسَلَبْتَنَا مَا لَسْتُ نَعْقِبُنَا      يَا دَهْرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

(٧) حاشية الأصل: «جمع السرى، ورجل سرى، والفوم سرة».

## مَسْأَلَةٌ

إِعلم أن المنافع التي عرّض الله تبارك وتعالى الأحياء لها ثلاث<sup>(١)</sup> : منفعة تفضل ، ومنفعة عوّض ، ومنفعة ثواب ، فأما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداءً من غير سبب استحقاق ، ، وافعالها أن يفعلها ، وله ألا يفعلها ، وأما منفعة العوّض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها ، وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوّض تبين من التفضل بالاستحقاق ، والثواب يبين من العوّض ٥ بالتعظيم والتبجيل ، المصاحبين له ؛ فكأن التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه ؛ لأنه لا سبيل للمتنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة<sup>(٢)</sup> ، والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل ، فقد صح<sup>(٣)</sup> أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوّض والثواب إلا بعد تقدم التفضل . فأما المنفعة بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوّض ؛ لأن الآلام وما جرى مجرى الآلام<sup>(٤)</sup> مما يستحق به العوّض متى لم يكن فيها اعتبار يُفضى إلى الثواب ، ١٠ ويستحق به لم يحسن فعلها ، وجرى عندنا مجرى العبث ، ولهذا نقول : إن الله تعالى لو لم يكلف أحدا من المكلفين ما كان يحسن منه أن يبتدىء بالآلام<sup>(٥)</sup> ، وإن عوّض عليها .

والأحياء على ضروب فمنهم من عرّض للمنافع الثلاث . ومنهم من عرّض لاثنتين ، ومنهم من عرّض لواحدة ، والمكلف المعرض للثواب لابد أن يكون منفوعاً بالتفضل من الوجه الذي قلنا ؛ لأنه إذا خلق حياً وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين ، فقد ١٥ نُفّع بالتفضل ، وليس يجب فيعين هذه حاله أن يكون منفوعاً بالعوّض ؛ لأنه لا يمتنع أن يخلو المكلف من ألمٍ يُحدثه<sup>(٥)</sup> الله به ؛ فلا يكون معرضاً للعوّض ؛ فمتى عرّض له فقد تكاملت فيه المنافع ؛ فصار / المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنتين من المنافع ؛ ومجوزاً تكامل [ ١٦ ]<sup>ط</sup> الثلاث له ؛ فأما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على إحدى المنافع ، وهي التفضل من حيث

(١) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « ذاشهوة » . (٢) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « وضع » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الجارى مجرى الآلام كنقص الأموال والأولاد » .

(٤) في حاشية ت (من نسخة) : « بالآلام » . (٥) ت « يبتدئه » .

خُلِقَ حياً ، ومُكِّنَ من كثير من المنافع ، ومشكوك في تعريضه للعِوض من الوجه الذى بينا .  
وكما قطعنا على إحدى المنافع فيه ، فنحن قاطعون أيضاً على نفي التعريض للثواب عنه ، لفقد ما يوصل<sup>(١)</sup> إليه وهو التكليف ، ولا بد فى كل حىّ محدث أن يكون معرضاً لإحدى هذه المنافع ، أو لجميعها ؛ وإنما أوجبنا<sup>(٢)</sup> ذلك من جهة حكمة التقديم تعالى ؛ لامن جهة أنه يستحيل<sup>(٣)</sup> فى نفسه ، وإنما قلنا إنه ليس يستحيل<sup>(٤)</sup> ؛ لأن كونه حياً وعاقلاً وذاه شهوة وقدرة ليس منفعةً بنفسه ، وإنما يكون منفعةً ونعمةً إذا فعل تعريضاً للنفع ؛ فأما إذا فعل تعريضاً للضرر أو لأوجه من الوجوه ، فإنه لا يكون نعمة ولا منفعةً ، وأوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى ، لأنه إذا جُمِلَ الحى بهذه الصفات ، فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعه أو ضرره ، أو لم يرد بها شيئاً ، فإن كان الأول فهو الذى أوجبناه ، وإن كان الثانى أو الثالث فالقديم تعالى منزّه<sup>(٥)</sup> عنهما ، لأن الثانى يجزى تجزى الظلم ، والثالث هو العبث بعينه ، وقد يشارك القديم تعالى فى النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ، ولا يصح أن يشاركوه فى النفع بالثواب ، لأن الصفة التى يستحق المكافآت لكونه عليها الثواب ، وهى كون الفعل شاقاً عليه لا يكون إلا من قبله تعالى ، وليس لأحد أن يظن فيمن يهتدى إلى الدين ويرشد إلى الإيمان ، وما يستحق به الثواب أنه معرض للثواب ، وذلك أن<sup>(٦)</sup> المكافآت قد يكون معرضاً للثواب ، ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منّا ، ولولا الصفة التى جعله الله تعالى عليها لم يصح<sup>(٧)</sup> أن يستحقه ، فبان الفصل بين الأمرين ؛ على أن أحدنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة إلى الله تعالى ، ومضافة إليه من قبل أنه لولا نعمة ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعماً ؛ ألا ترى أنه لو لم يخلق [ ١٧ ] الحياة والشهوة / لم يكن ما يوصل إليهما مما ذكرنا منفعةً ولا نعمةً ، ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن سبيل<sup>ظ</sup> لنا إلى النفع والإنعام ؛ فبان بهذه الجملة ما قصدناه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « يوصله » . (٢) فى نسخة بمحاشيت ، ف : « وجب » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « مستحيل » ، وحاشية ف (من نسخة) : « يستحيل » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « منزّه » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « لأن » .

(٦) ساقطة من ت .

## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال : ما تأويل قوله تبارك وتعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريته نعمهم : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٨، ٢٩] .

وكيف يجوز أن يُضيف البكاء إليهما ، وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما ؟ .

الجواب ، يقال له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل :

أولها أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف في قوله : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ وفي قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد : ٤] وأراد أهل القرية ، وأصحاب الحرب ، ويجرى ذلك مجرى قولهم : السخاء حاتم ، يريدون : السخاء سخاء حاتم ؛ قال الحطبيته<sup>(١)</sup> :

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسَطٌ أَهْلُهُ كَهْلُكَ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ<sup>(٢)</sup> ١٠  
أراد شر المنايا ميته<sup>(٣)</sup> ميت ؛ وقال الآخر :

---

(١) البيت في طبقات الشعراء لابن سلام ص ٩٥ ؛ ضمن أبيات أربعة للحطبيته لم تذكر في ديوانه . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال السيد الإمام عليه السلام : طلبت هذا البيت في شعر الحطبيته فلم أجده فيه » .

(٢) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله : « شر المنايا » تقديره شر المنايا موت ميت فيما بين عشيرته ؛ كهلك هذا الفتى في حال أن أسلم الحي حاضر هذا الفتى ؛ أى أن حضاره أسلموا الحي ، ولم ينصروه ، ولم يمنعوا ذمارهم » .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « منية » .

قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ<sup>(١)</sup>

أراد: غنى رب غفور؛ وقال ذو الرمة:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُحْبُ السَّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَّةٌ أَخْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا<sup>(٢)</sup>

أراد أهل مجلس، وأما قوله: « صُحْبُ السَّبَالِ » فإنما أراد به الأعداء، والعرب تصف الأعداء بذلك، وإن لم يكونوا صُحْبُ الْأَسْبَلَةِ، وقوله: « سَوَاسِيَّةٌ » يريد أنهم مستوون متشابهون؛ ولا يقال هذا إلا في الذم.

وثانيها أنه أراد تعالى المبالغة في وصف القوم بصغر القدر، وسقوط المنزلة؛ لأنَّ العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك<sup>(٣)</sup> قالت: كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِفَقْدِهِ، وأظلم القمر، وبكاء

(١) البيت لمرؤة بن الورد، وهو في ملحقات ديوانه: ١٩٨، وهو في شرح المقامات ٢: ١٩٢، والبيان ٩٥: ١، والعقد ١: ٢١٢، وفي حواشي الأصل، ت، ف: « قال مولانا الإمام: كان السيد رضى الله عنه وهم في معنى هذا البيت. ومعنى البيت: أن الشاعر وصف إنسانا بكثرة العيوب؛ إلا أن ماله وغناه بستران عليه عيوبه، فكأنه قال: قليل عيبه، يعني يقل ظهور عيبه مع كثرة عيوبه؛ إلا أن الغنى يسترها عليه؛ كأنه رب غفور ستر للعيوب. ومعنى البيت على ما يوافق استشهاد السيد رضى الله عنه أنه يمدح إنسانا ويقول: قليل عيب هذا المدح مع كثرة العيب في الناس؛ ولكن الغنى عما يجزى للعيب هو غنى الله تعالى. والأشبه بالبيت أن يكون هجوا؛ كأنه يهجو إنسانا ويقول: يرى عيبه قليلا مع كثرة العيوب فيه، والذي يقلل عيبه غناه كأنه رب غفور، وأول القطعة:

ذَرَيْنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرُ  
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمُ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسْبٌ وَخَيْرُ  
يَبَاعِدُهُ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَبَنَاهُ الصَّغِيرُ  
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلالٌ يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ  
قَلِيلٌ عَيْبُهُ . . . . .

(٢) ديوانه ١٥٧ وفي حاشيتي الأصل، ف: « العرب إنما تسمى الأعداء صُحْبُ السَّبَالِ؛ لأنَّ أعداءهم كانوا من الروم؛ والروم صُحْبُ الْأَسْبَلَةِ، ثم اتسعوا فسموا كل عدو صُحْبُ السَّبَالِ؛ وإن لم يكن من الروم، والغريب من هذا يصفون الأعداء بالزرق العيون. »  
(٣) ف، ت (من نسخة): « بالهلك. »



الليل والنهار والسماء والأرض ، يريدون بذلك المبالغة في عظم الأمر وشمول ضرره ؛ قال جرير  
يَرْتِي عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ (١) :

(١) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال : حدثنا عبدالله ابن أخت أبي الوزير  
عن أبي محمد الشامي : كنت غلاما في خلافة عمر بن عبد العزيز ؛ فلما أخذ عمر في رد المظالم غلظ ذلك على  
أهل بيته ، وعلى جميع قريش ، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام :

فَقُلْ لِهَشَامٍ وَالَّذِينَ تَجَمَّعُوا      بِدَائِقَ مَوْتُوا لَاسِلَةً يَدَ الدَّهْرِ  
فَأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ حَتَفَكُمْ بِأَكْفَكُمْ      كَبَاحِثَةٍ عَنْ مُدَيِّقٍ وَهِيَ لَا تَدْرِي  
عَشِيَّةَ بَايَعْتُمْ إِمَامًا مُخَالَفًا      لَهُ شَجَنٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْحِجْرِ  
فَأَجَابَهُ بَعْضُ وَلَدِ مَرْوَانَ عَنْ هَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

لَنْ كَانَ مَاتَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ الرَّدَى      فَمَا أَنْتَ فِيهِ ذَا غَنَاءٍ وَلَا وَفْرِ  
فَأَنْتَ مِنَ الرَّيْشِ الذَّنَابِي وَلَمْ تَكُنْ      مِنَ الْجَزَلَةِ الْأُولَى وَلَا وَسَطِ الظَّهْرِ  
وَنَحْنُ كَفَيْنَاكَ الْأُمُورَ كَمَا كَفَى      أَبُونَا أَبَاكَ الْأَمْرَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

قال القاضي : قول عبد الرحمن بن عبد الحكم في شعره هذا : « بدائق » ، فلم يصرفه ، وفي صرفه  
وترك صرفه وجهان معروفان في كلام العرب ، والعرب تذكره وتؤنثه ؛ فمن ذكره صرفه ؛ كما قال  
الشاعر :

\* بدائقٍ وأَيْنَ مِنِّي دَائِقُ \*

ومن أنه لم يصرف ؛ كما قال الآخر :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ قَلْدُوكَ أُمُورَهُمْ      بِدَائِقٍ إِذْ قِيلَ الْعَدُوُّ قَرِيبُ  
وقوله :

\* كَبَاحِثَةٍ عَنْ حَتَفِهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي \*

هذا مثل يضرب للذي يثير بجهله ما يؤديه إلى هلاكه ، أو الإضرار به ، وأصله أن ناساً أخذوا شاة  
ليست لهم ، فأرادوا أكلها فلم يجدوا ما يذبحونها به ؛ فهموا بتخليتها فاضطربت عليهم ، ولم تزل تثير الأرض  
وتبعثرها بقوائمها ؛ فظهر لهم فيما احتفرت مديّة فذبحوها بها ، وصارت هذه القصة مثلاً سائرا . وقول  
المرواني : « وأنت من الريش الذنابي » يقال : ذنب الفرس وغيره ، وذنابي الطائر ، وذنابي الوادي وذنابته ،  
ومذنب النهر .

[١٧] الشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ<sup>(٢)</sup> ظ

وقال يزيد بن مفرغ الحميري :

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ<sup>(٣)</sup> فِي الْغَمَامَةِ<sup>(٤)</sup>

وهذا صنيعهم في وصف كل أمرٍ جلَّ خطبُهُ ، وعظمُ موقعه ؛ فيصفون النهار بالظلام ،

٥ وأن الكواكب طلعت نهاراً لفقد نور الشمس وضوئها ؛ قال النابغة :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ<sup>(٥)</sup>

وقال طرفة :

إِنْ تُنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَنَعُهُ وَتُرِيهِ النِّجْمَ يَجْرِي بِالظَّهِرِ<sup>(٦)</sup>

ومن هذا قولهم : لأريتكَ الكواكب بالنهار، ومعناه أورد عليك ما يُظلم له في عينك

١٠ النهار، فتظنُّه ليلاً ذا كواكب .

فأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر<sup>(٦)</sup> وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد أن الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفةً نجوم الليل والقمر ، لأنَّ عظمَ الرزء قد سلَّها ضوءها؛ فلم ينافِ طلوعُها ظهور الكواكب . والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم : لا أكلمك الأبد، والدهر، وطوال المسند<sup>(٧)</sup>، وما جرى مجرى ذلك ، فكأنه أخبر

(١) ديوانه ٣٠٤ .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « بضحك » .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها :

أَصْرَمْتُ حَبْلَكَ مِنْ أُمَامَةٍ مِنْ بَعْدِ أَيَّامِ بَرَامَةٍ

قال ابن قتيبة : « وهي أجود شعره » ؛ وهي في الأغاني ١٧ : ٥٤ - ٥٥ ، والخزانة ٢ : ٢١٣ -

٢١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

(٤) ديوانه ٧٢ .

(٥) ديوانه ٦٥ . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقول : إن تنوله هذه المرأة مرة نوالاً

فقد تمنعه أحياناً ، وتريه النجم ظهراً ؛ وهذا مثل للأمر الصعب » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « عظم الشيء : معظمه ، وعظمه : كبره » .

(٧) حاشية الأصل : « المسند : الزمان ؛ يقال : لا أكله أبد المسند » .

بأن الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر<sup>(١)</sup>. والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثى المفقود، فبكتهم؛ أى غلبتهم بالبكاء؛ كما تقول: باكاني عبدُ الله فبكيتهم، وكأثرني فكثرتُه، أى غلبته وفضلتُ عليه.

وثالثها أن يكون معنى الآية الأخبارَ عن أنه لا أحد أخذ بثأرهم ولا انتصر لهم، لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل إلا بعد الأخذ بثأره، وقتل من كان بواءً به من عشيرة القاتل، فكنى تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار، والأخذ بالثأر؛ على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن.

ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء. ويطابق هذا التأويل ما روى عن ابن عباس رحمة الله عليه / في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ [١٨] عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ قيل له: أوتبكيان على أحد؟ فقال: نعم، مصلاه في الأرض، ١٠ ومصعد عمله في السماء. وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من مؤمنٍ إلا وله بابٌ يصعدُ منه عمله، وبابٌ ينزلُ منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه»، ومعنى البكاء هاهنا الإخبار عن الاختلال بعده كما يقال: بكى منزلُ فلان بعده، قال ابن مقبل:

لعمري أيبكٍ لقد شأقني مكان حزنْتُ له أو حزن

وقال مزاحم القتيبي:

بكت دارهم من أجلهم وتهللت دموعي فأى الجازعين ألوم<sup>(٢)</sup>  
أستعبراً يبكي من الهون والبلوى وآخر يبكي شجوةً ويئيم<sup>(٣)</sup>

(١) حاشية الأصل: «قال مولانا عليه السلام: أراد هذه الصورة: الشمس طالعة ليست بكاسفة؛ ولسكنها مع ذلك تبكي عليك، وستبكي مدة طلوع النجوم والقمر».

(٢) ديوانه ١٥ - ١٦.

(٣) حاشية ف: «المستعبر: الذى يأتى بالعبرة، وهى سين الطلب، و«مستعبراً»، بدل الجازعين. ويئيم، أى يصير هائماً، قال الله تعالى: ﴿فِي كُلِّ وادٍ يهيمون﴾».

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقامٌ صالح في الأرض ، ولا عمل كريم يُرفع إلى السماء جاز أن يقال : فما بكت عليهم السماء والأرض .

ويمكن في الآية وجه خامس ، وهو أن يكون البكاء فيها كنايةً عن المطر والسُّقيا ؛ لأن العرب تشبه المطر بالبكاء ، ويكون معنى الآية أن السماء لم تسقِ قبورهم ، ولم تجدْ عليهم بالقطر ؛ على مذهب العرب المعروف في ذلك ؛ لأنهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أعزائهم ، ويستنبتون لمواقع خفرهم الزَّهرَ والرياض ؛ قال النابغة :

فَلَا زَالَ قَبْرُ بَيْنَ ثُبْنَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمَى طَلٌّ وَوَابِلٌ<sup>(١)</sup>  
فَيُنْبَتَ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مَنْوَرًا سَاتِبُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ<sup>(٢)</sup>

وكانوا يُجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام<sup>(٣)</sup> ، ومسألة الله تعالى لهم الرضوان ، والفعل الذي أضيف إلى السماء وإن كان لا يجوز إضافته إلى الأرض — فقد يصح عطف الأرض على السماء بأن يقدر لها فعلٌ يصح نسبه إليها ، والعرب تفعل مثل هذا ؛ قال الشاعر :

يَأْلَيْتَ زَوْجِكَ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمُوحًا<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٦٢ . والرواية فيه :

سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُضْرَى وَجَاسِمٍ بَغِيثٍ مِنَ الْوَسْمَى قَطْرٌ وَوَابِلٌ  
وتبني وجاسم : موضوعان بالشام . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الوسى : أول المطر ، وهو الذي يأتي في الحريف ، والحريف عند العرب ربيع ، والربيع صيف ، والصيف قيظ » .  
(٢) حاشية ف : « فينبت ، النصب في جواب التثني ، والخوذان : نبت ، يقال له بالعفارسية مشكك ، وعوف : نبت أيضا ، ومنورا : أخرج النور » .

وقال البطليوسي شارح الديوان : « الخوذان والعوف نباتان ؛ إلا أن الخوذان أطيب رائحة ؛ وأنشد سيبويه هذا البيت بالرفع ؛ ولم يجعله جوابا ؛ أراد : وذلك ينبت حوذانا ، أى ينبت الخوذان على كل حال » .  
(٣) حاشية الأصل : « قال مولانا عليه السلام عن ابن الأعرابي : إن العرب إنما تستسقي القبور لأنها إذا سقيت وعم القطر أعشب المكان ؛ فخره القوم للرعى ، وترحموا على الموتى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى : « قد غدا متقلدا » ؛ وإذا روى « في الوغى » كان « متقلدا » نصبا على الحال . وقوله : « في الوغى » خبر لـ « ليت » .

فقطف الرمحَ على السيف ، وإن كان الثقلُ لا يجوز فيه ، لكنه أراد حاملاً رمحاً ،  
ومثل هذا يقدَّر/ في الآية ، فيقال : إنه تعالى أراد أن السماء لم تَسْقِ قبورهم ، وأن الأرضَ [١٨] ط  
لم تُعْشِبْ عليها<sup>(١)</sup> ؛ وكلُّ هذا كنايةٌ عن حرمانهم رحمةَ الله تعالى ورضوانه .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
أَدْوَمُهَا»<sup>(٢)</sup> وَإِنْ قُلَّ ؛ فَعَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا .  
وفي وصفه<sup>(٣)</sup> - عليه السلام - الله تعالى بِالْمَلَلِ وجوهٌ أربعة :  
أَوَّلُهَا أَنَّهُ أَرَادَ نَفَى الْمَلَلِ عَنْهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَمَلُّ أَبَدًا ، فَعَلَّقَهُ بِمَا لَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِيدِ  
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ؛ الْأَعْرَابُ ٤٠ .  
وقال الشاعر :  
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنَاهَى<sup>(٤)</sup> إِذَا مَا شَبَّتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ<sup>(٥)</sup> ١٠

(١) د ، ف ، وحاشية ت ( من نسخة ) : « عليهم » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان في الأصل المقروء على المصنف « أدومها » [ بضم الواو ]  
والمعروف أدومها [ بفتح الواو ] » .

(٣) ف ، وحاشية ت ( من نسخة ) : « في صفته » .

(٤) حاشية الأصل : « تناهى : تبلغ الشيخوخة » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « البيت للناطقة الذبياني ، وقبله :

فَإِنَّ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنَّ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

يهجو عامر بن الطفيل ، يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شئت ؛ أو لعطك  
لا تحكم أبدا ؛ حتى يشيب الغراب ، وذلك لا يكون أبدا ، وتحكم ، أى تصير حكيمًا ، وفعل ، بضم العين :  
يحيى . لما يدخل على الإنسان فيصير كالطبع ؛ كقولك : سفه يسفه سفاهة ، ولم يكن سفيهاً فسفه . وتحكم  
من حكم يحكم [ بضم الكاف ] حكمة ؛ إذا صار حكيمًا .

وانظر الديوان : ١٤ - ١٥ .

أراد أنك لا تحكم أبداً . فإن قيل : ومن أين قلتم : إن ماعلقه به لا يقع حتى حكمتم بأنه أراد نفى المثل على سبيل التأييد ؟ قلنا : معلوم أن المثل لا يشمل البشر في جميع آراهم<sup>(١)</sup> وأوطارهم ، وأنهم لا يعرفون من حرص ورغبة وأمل وطمع ، فلهذا جاز أن يعلق ما عليهم تعالى أنه لا يكون بمللهم .

٥ والوجه الثاني أن يكون المعنى أنه لا يفضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له ، وتعرضوا عن سؤاله ، والرغبة في حاجتكم إلى جوده ؛ فسمى الفعلين مللاً ؛ وإن لم يكونا على الحقيقة كذلك ؛ على مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره إذا وافق معناه في بعض الوجوه ، قال عدى بن زيد العبادي :

١٠ ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ      وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرَّجَالِ<sup>(٢)</sup>  
وقال عبید بن الأبرص الأسدي :

سَأَلْتُ بِنَا حُجْرَ ابْنِ أُمِّ قَطَامٍ إِذْ      ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ<sup>(٣)</sup>  
فنسبنا اللعب إلى الدهر والقنأ تشبيهاً ؛ وقال ذو الرمة :

وَأَبْيَضَ مَوْشِي الْقَمِيصِ نَصْبَتُهُ      عَلَى خَصْرِ مِقْلَاتٍ سَفِيهِ جَدِيلُهَا<sup>(٤)</sup>

فسمى اضطراب زمامها ، وشدة تحركه سفهاً ؛ لأن السفه في الأصل هو الطيش وسرعة [ ١٩ ] الاضطراب / والحركة ، وإنما وصف ناقته بالذكاء والنشاط . فأما قوله : « وأبيض موشي القميص » فإنما عني به سيفه ، وقميصه : جفنه ، والمقلات : الناقة التي لا يعيش لها ولد .

والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتى تمتلوا من سؤاله ، ففعلهم ملل على الحقيقة ، وسمى فعله تعالى مللاً ، وليس بملل على الحقيقة للازدواج

(١) حاشية الأصل : « آراهم : جمع أرب ؛ وهو الحاجة » .

(٢) البيت في ( الأغاني ٢ : ٣٣ ) ؛ وفي حاشية الأصل : « أودى ، إذا هلك » .

(٣) ديوانه : ٦ ؛ والرواية فيه : « السمر النواهل » .

(٤) ديوانه ٥٥٣ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الجدبل : زمام من الأديم » .

ومشكلة اللفظين<sup>(١)</sup> في الصورة، وإن اختلفا في المعنى، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿مَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤] ، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الدورى : ٤٠] . ومثله قول الشاعر - وهو عمرو بن كلثوم التغلبيّ -

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا<sup>(٢)</sup>

وإنما أراد المجازاة على الجهل ، لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به .

والوجه الرابع أن يكون الراوى وهمَ وغلط من الضم<sup>(٣)</sup> إلى الفتح : وأن يكون قوله «يُمَلُّ» بالضم لا بالفتح ، وعلى هذا يكون له معنيان : أحدهما أنه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا عبادته<sup>(٤)</sup> وتعرضوا عن طاعته ، لأن الملة هي مشتوى الخبز ؛ يقال : ملّ الرجل الخبز<sup>(٥)</sup> وغيرها يملؤها ملاً إذا اشتواها في الملة . وقيل : إن الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد؛ والمعنى الثانى أن يكون أراد أنه لا يسرع إلى عقابكم<sup>(٦)</sup> ، بل يحلم عنكم ويتأني بكم<sup>(٧)</sup> حتى تملوا حلمه ، وتستعجلوا عذابه ، يركوبكم المحارم وتتأيعكم<sup>(٨)</sup> في المآثم<sup>(٩)</sup> .

\*\*\*

(١) ت ، وحاشية ف ( من نسخة ) : «اللفظين» . (٢) من المعلقة س ٢٣٨ بشرح التبريزى .  
(٣) فى الأصل : « فى الفتح إلى الضم » ، وفى ت ، د ، ف : « من الفتح إلى الضم » ، والتصويب من حواشى الأصل ، ت ، ف . (٤) ت ، د ، ف : « من عبادته » .  
(٥) الخبز : العجينة توضع فى الملة حتى تنضج ، وفى حاشية الأصل ( من نسخة ) : « الخبز » .  
(٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « رفقا بكم » . (٧) فى حاشيتى الأصل ، ف : « التنايع : التماذى فى الشر ؛ يقال : تنايع فى الخير ، وتنايع فى الشر » .

(٨) حاشية ف : « قيل فى هذا الخبر إن معناه أن الله لا يعل وإن تملوا ؛ ومثله قول الراجز :

نَحْنُ بَنَى ضَبَّةً لَا نَفَرٌ حَتَّى نَرَى جَاهِجًا تَخِرُّ

يريد : لا نفر وإن خرت جاهجا ؛ أى لا نفر أصلا . وقول الشاعر فى بعض الروايات :

وَلَمْ تَشَارِكْ كَيْ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةً لَا وَالَّذِى أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نَعَمٌ

حتى أمر على الشقراء مُعْتَسِفًا خَلَّ النَّقَا بِمُرُوحٍ لِحْمُهُ زَيْمٌ

فسر ذلك على أنه لم يشاركك لا وهو حتى أمر على الشقراء ، ولا يريد أنه إذا حل ذلك الموضع شاركك غانية .

[ قال المرتضى رضى الله عنه ] : روى أنه قيل للفرزدق : هل حسدت أحدا على شيء من الشعر ؟ فقال : لا ، لم أحسد على شيء منه إلا ليلي الأخيلية في قولها <sup>(١)</sup> :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ      بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً <sup>(٢)</sup>  
حَتَّى إِذَا بَرَزَ اللَّوَاءُ رَأَيْتُهُ      تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيماً <sup>(٣)</sup>  
لَا تَقْرُبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ      لَا ظَلِماً أَبَداً وَلَا مَظْلُوماً <sup>(٤)</sup>

— ويروى : « إن ظلما أبدا وإن مظلوما » —

على أنني قد قلت :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ      لَهَا تَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَابِ <sup>(٥)</sup>  
/ سَرَوْا وَيَخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُسُهُمْ      إِلَى شُعْبٍ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ <sup>(٦)</sup>  
إِذَا أَبْصَرُوا نَاراً يَقُولُونَ لَيْتَهَا      وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبٍ <sup>(٧)</sup>

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلي ، بل هي أجزال ألفاظها ، وأشدُّ أسراً ، إلا أن أبيات ليلي أطبع وأنصح ؛ وقد كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والإفراط في استحسان مستحسنه .

== والبيتان في الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ١٣٣ ، من قصيدة نزياد بن حمل ؛ ويعني بالشقراء فرسه ، والاعتساف : الأخذ في السير على غير هداية ولا دراية . والحل : الطريق في الرمل ، والنقا : الرمل . والمروح : النشيط ، والزيم : المكثّر اللحم . (١) من أبيات في ( الحماسة — بشرح التبريزي ٤ : ١٥٥ — ١٥٧ ) ؛ مطالعها :

يَأْتِيهَا السَّدْمُ الْمَلُوكِيُّ رَأْسَهُ      لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيماً

(٢) حاشية ( من نسخة ) : « وسط البيوت » ، وهي رواية الحماسة .

(٣) م : « رفم اللواء » ، وهي رواية الحماسة . والخميس : الجيش ، سمي بذلك لأنه يكون خمس كتاب ، أو خمسة صفوف : المقدمة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب ، والساق .

(٤) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لاتغزون الدهر » ؛ وهي رواية الحماسة . وفي حاشية الأصل : « لا ظلما أبدا ؛ لأنهم لا يجهلون ظلمك ، ولا مظلوماً لأنك لا تقدر أن تنصر منهم » .

(٥) ديوانه ١ : ٣٠ ، والتر : النار ، والعصائب : جمع عصابة ؛ وهي العمامة تعصب على الرأس .

(٦) حاشية الأصل : « الشعب : جمع شعبة ، أي جوانب الأكوار ، والأكوار : جمع كور ؛ وهو

الرحل » . (٧) حاشية ت ( من نسخة ) : « آنسوا ناراً » . خصرت : بردت ، وغالب أبو الفرزدق .



وقد روى أن الكُمَيْت بن زيد الأسدي لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته

التي أولها :

أَتَصْرِمُ الْجَبَلَ حَبْلَ الْبَيْضِ أَمْ تَصَلُّ      وكيف والشَّيْبُ في فَوْدَيْكَ مُشْتَعِلُ  
لما عَبَاتَ لِقَوْسِ الْمَجْدِ اسْتَهْمَمَا      حيثُ الجدودُ على الْأَحْسَابِ تَنْتَضِلُ<sup>(١)</sup>  
أَحْرَزْتَ مِنْ عَشْرِهَا تَسْمَاءً وَوَاحِدَةً      فَلَا أَعْمَى لَكَ مِنْ رَامٍ وَلَا الشَّلْلُ<sup>(٢)</sup>  
الْشَّمْسُ أَذْنُكَ إِلَّا أُمَّهَا امْرَأَةٌ      وَالْبَدْرُ أَذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ<sup>(٣)</sup>

حسده الفرزدق ، فقال له : أنت خطيب ، وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر . ولما بهره من حُسن الأبيات وأفرط بها إعجابه ، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها إلى معنى الخطابة<sup>(٤)</sup> .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « عَبَات : هيأت ، واجدود ، جمع الجد ؛ وهو البخت ، وتنتضل :

تناضل وتراعى » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقال للرامي المصيب : لا عَمَى ولا شَلَّ » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن أباك البدر وأمك الشمس ، وإلا تقرير » .

(٤) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي عن عبد الله بن إسحاق بن سلام قال :

أتى الكُمَيْت بن زيد بن مجلس يزيد بن المهلب يمتدحه ، فصادف على مابه أربعين شاعراً ؛ فقال للأذن : استأذن لي على الأمير ؟ فاستأذن له عليه ، فأذن له ، فقال : كم رأيت بالباب من شاعر ؟ قال : أربعين شاعراً قال : فأنت جالب التمر إلى هجر ، فقال : إنهم جلبوا دفلاً ، وجلبت زاذاً ، فقال : هات زاذك ، فأنشده :

هَلَّا سَأَلْتَ مَنَازِلًا بِالْأَبْرِقِ      دَرَسَتْ وَكَيْفَ سَوَّالُ مَنْ لَمْ يَنْطِقْ !  
لَعِبْتُ بِهَا رِيحَانُ : رِيحُ عَجَاجَةٍ      بِالسَّافِيَّاتِ مِنَ التُّرَابِ الْمَعْنِقِ  
وَالْهَيْفُ رَاحَةٌ لَهَا يَنْتَاحُهَا      طَفَلُ الْعَشِيِّ بِذِي حَنَاتِمَ شُرُقِ  
تَصِلُ اللَّقَاحَ إِلَى النَّتَاجِ مَرَبَّةً      لِحُفُوقِ كَوْكَبِهَا وَإِنْ لَمْ يَخْفِقِ  
غَيْرُنَ عَهْدَكَ بِالْدِّيَارِ وَمَا يَكُنْ      رَهْنَ الْحَوَادِثِ مِنْ جَدِيدٍ يَخْلُقُ  
إِلَّا خَوَالِدَ فِي الْحَلَةِ يَبْنِيهَا      كَالطَّيْلِ سَانَ مِنَ الرَّمَادِ الْأَوْزِقِ  
وَمُشَجَّحًا تَرَكَ الْوَلَائِدُ رَأْسَهُ      مِثْلَ السَّوَالِكِ وَدَمْنَةً كَالْمَهْرَقِ =

وحسدُ الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدلّ دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه ، وأنه كان يطرَبُ للجيد منه فضلَ طرب ، ويعجب منه فضل عجب . ويدلّ أيضاً على إنصافه فيه ، وأنه مستقلٌّ للكثير الصادر من جهته ، فإن كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الإعجاب والاستحسان لما يظهر منهم في شعر أو فضل إلى أن يعموا عن محاسن غيرهم . فيستقلّوا منهم الكثير ، ويستصغروا الكبير .

ولآيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول ، أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال : دخل الفرزدق على سليمان<sup>(١)</sup> بن عبد الملك وعنده نصيب الشاعر ، فقال له سليمان أنشدني :  
[ ٢٠ ] فأنشده الأبيات التي تقدم ذكرها ، فاسودّ وجه سليمان وغازله / فعلمه ، وكان يظن أنه ينشده مديحاً له ، فلما رأى نصيب ذلك قال : ألا أنشدك ؟ فأنشده :

= دارُ التي تركتكَ غيرَ ملومةٍ      دَنِفًا فَإِنْ لَمْ تَرَعْ قَلْبِكَ فَاشْفِقْ  
قد كنتَ قبلُ تتوقُّ من هِجْرَانِهَا      فاليوم إِذْ شَحَطَ الْمَزَارُ بِهَا تَقِ  
والحُبُّ فِيهِ حَرَارَةٌ وَمَرَارَةٌ      سَائِلُ بِذَلِكَ مِنْ تَطْعَمَ أَوْزُقِ  
ماذاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ وَنَعِيمِهَا      فِيمَا مَضَى أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعِشْ  
حتى بلغ إلى قوله :

مَنْ قَالَ بَتُّ أَخِي الْهَمُومِ وَمَنْ يَبِتُ      غَرَضَ الْهَمُومِ وَنَصَبِهَا يُورِّقُ  
بَشَّرْتُ نَفْسِي إِذْ رَأَيْتُكَ بِالْغَنَى      وَوَقَّتُ حِينَ سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِي ثِقُ  
فأمر بالخلع عليه حتى استغاث ؛ فقال : أتاك القوت ، ارفعوا عنه .

(١) حاشية ف : « قيل : بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقوش ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه ؛ فقرأه فإذا فيه : ابن آدم إنك لو أبصرت قليل مابق من أجلك لزهدت في طول أهلك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ؛ ولقصرت عن حرصك وحيلك ؛ وإنما يلقاك غدا ندمك ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلك أهلك وحشمك ؛ فبان منك الولد القريب ، ورفضك الوالد والنسب ؛ فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا في حياتك ذائد ، فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة فبكي سليمان » .

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ لَقِيَهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبٌ<sup>(١)</sup>  
 قِفُوا خَبْرُوفِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَعَاجُوا فَأَتْنُوهُ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ<sup>(٣)</sup>  
 فقال له سليمان : أنت أشعر أهل جلدتك<sup>(٤)</sup> ؛ وفي بعض الأخبار أن الفرزدق قال ذلك  
 في نصيب حين سأله عنه سليمان .

وروى أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان : أحسنت ، ووصاله<sup>(٥)</sup> ولم يصل الفرزدق  
 فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) قفاذات أوشال : خلف هذا الموضع ؛ والأوشال : جمع وشل ، بالتحريك ؛ وهو الماء القليل  
 يتخلف من جبل أو صخر . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في ديوانه : ذات أوشان ؛ بالنون » .  
 وفي معجم ما استعجم للبكري : ٢١٢ : « ذات أوشال : موضع بين الحجاز والشام » وذكر البيت .  
 وأراد بالمولى نفسه ؛ والقارب : طالب الماء ليلاً .

(٢) ودان ، بفتح الواو : قرية بين مكة والمدينة ، قريبة من الجحفة ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ت : « يعني  
 أنا من أهل ودان ، وهي أرض العرب » .  
 (٣) وبعده :

فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَلَبِي الْعُرْفِ رَاكِبٌ  
 وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيْثُ فَعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْكَ مُقَارِبٌ  
 لَقُلْنَا لَهُ شِبْهُهُ وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ سَوَالِكَ عَنْ الْمُسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبُ  
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَلَا يُشَبِّهُ الْبَدْرَ الْمَنِيرَ الْكَوَاكِبُ

(٤) الخبر في ( الكامل - بشرح المصنف ٢ : ٢١٧ - ٢١٨ ، والشعر والشعراء ٣٧٢ - ٣٧٣ ،  
 واللاكي ٢٩١ - ٢٩٢ ) ، والأبيات في ( البيان والتبيين ١ : ٨٣ ، وأمالى الغال ١ : ٩٤ ، ومعجم البلدان  
 ٨ : ٤٠٥ ) ؛ ولكنه لم يذكر « ذات أوشال » في موضعها .

(٥) حاشية ف : « حدث محمد بن أحمد عن محمد بن عبدالله عن معاذ صاحب الهروي قال : « دخلت  
 مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أر قط أتق ثياباً منه ، ولا أشد سواداً ، فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا  
 نصيب ، فقلت : أخبرني عنك وعن أصحابك ، فقال : جميل لإماننا ، وعمر أوصفنا لربات الحجال ، وكثير  
 أبكنا على الأطلال والدمع ، وقد قلت ما سمعت . قلت : فإن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، قال :  
 فأقروا لي أني أحسن المدح ؟ قلت : بلى ، قال : ولكني رأيت الناس رجلين : رجلاً لم أسأله فلا ينبغي أن  
 أهجو ، ورجلاً سأله فتعني ، فكانت نفسي أحق بالهجا ؛ إذ سولت لي أن أطلب منه » .

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ<sup>(١)</sup>

ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرّسالة على أبيات نصيب ؛ وإن كان نصيب قد غرّب<sup>(٢)</sup> وأبدع في قوله :

\* وَلَوْ سَكَنُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ \*

إلا أن أبيات نصيب وقعت موقعها ، ووردت في حال تليق بها ، وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها ؛ فلهذا قدّمت أبيات نصيب .

والفرزدق مع تقدّمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذّروة العليا ، والغاية القصوى شريف الآباء ، كريم البيت ، له ولآبائه مآثر لا تدفع ، ومفاخر لا تبحد . والفرزدق لقبه لقب به ، وليس باسمه ، وإنما لقب بذلك لجّهامة وجهه ، وغلظته ؛ لأنّ الفرزدقة هي القطعة الضخمة ١٠ من المعجين ، وقيل : إنها الخبزة الغليظة التي يتخذ منها النساء الفتوت<sup>(٣)</sup> ، واسمه همام بن غالب ، وكُنيت أبو فراس ، وقيل إنّه كان يُكنى في شبابه بأبي مكّية<sup>(٤)</sup> وهي أغرب كُنيتته<sup>(٥)</sup> .

وكان شميمي<sup>(٦)</sup> مائلا إلى بني هاشم ، ونزاع في آخر عمره عما كان عليه من القذف<sup>(٧)</sup>

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أشرفه خولا » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن نصيبا حبشي مملوك » . (٢) ل ، ونسخة في حاشيتي ت ، ف : « أغرب » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « الفتوت والفتيت بمعنى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان يكنى أبا مكّية ، ومكّية بنته ، وذكر ذلك في شعره فقال :

شاهد إذا ما كنت ذامحمةً بدارمي أمّه ضبيّة

صمّحتم مثل أبي مكّية

— الصمّح : العظام الرأس ، وأبو مكّية يعني نفسه » .

(٥) ش : « أعرف كنيته » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « النسبة إلى الشيعة شيعي ، بكسرة صحيحة على الشين ؛ كما تنسب إلى

الجزيرة جيزي ، والجزيرة محلة بمصر ؛ منها أبو الربيع الجيزي » .

(٧) حاشية ت ( من نسخة ) : « من القرف » ، والقرف : الرمي بالسوء .

والفسق، وراجع طريقة الدين ، على أنه لم يكن في خلال<sup>(١)</sup> فسقه منسايحاً من الدين جملة . ولا مُهملاً لأمره أصلاً .

ومما يشهدُ لذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن أبي حفص الفلاس عن عبد الله بن سوار/ عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال : [ ٢٠ ط ] دخلتُ على الفرزدق ، فجعلتُ أحادثه ، فسمعت صوت حديد يتققع ، فتأملت الأمر ، فإذا هو مقيد الرّجل<sup>(٢)</sup> ، فسألته عن السبب في ذلك ، فقال : إني آليتُ على نفسي ألا أنزع القيد من رجلي ، حتى أحفظ القرآن .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني أبو ذرّ القراطيسي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حَدَّثَنِي الرَّيَّاشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ سَلَامِ بْنِ مَسْكِينٍ قَالَ : قِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ : عَلَامَ تَقْدِفُ الْحَصَنَاتِ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ ، اللَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ ، أَفْتَرَاهُ يَعْذِبُنِي بَعْدَهُمَا<sup>(٣)</sup> ! . ١٠

وروي أنه تعلّق بأستار الكعبة ، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما ، وقال :

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي كَبِينٌ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامٌ<sup>(٤)</sup>

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « حال » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « الرجلين » .

(٣) حاشية ف : « ذكر المبرد في كتابه قال : دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن المنذر بن الجارود ؟ ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسري ؟ فقال له : يا أبت ؟ هذا عمر بن يزيد الأزدي ضرب آفأ ألف سوط ومات ، فشد على حمار ، فقال الفرزدق : كأنك والله يمثل هذا الحديث قد تحدثت به عن أبيك — والحسن إذ ذاك محبوس عنده — فقال له : يا أبا فراس ، فما عندك إن كان ذلك ؟ فقال : والله يا أبا سعيد ، لله أحب إلي من سمعي وبصري ، ومن مالى وولدى ، ومن أهلى وعشيرتى ؟ أَفْتَرَاهُ يَخْذُلْنِي ! فقال الحسن : كلا والله يا أبا فراس » .

وانظر الخبر في ( الكامل — بشرح المرفص ٢ : ٧٦ — ٧٧ ) .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « الرتاج : الباب المغلق ، والباب العظيم أيضا قائما ، حال بما يدل عليه لين » ، وفي ت ، د : « قائم » .

عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا      وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ <sup>(١)</sup>  
 أَطْعَمْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حَبَّةً      فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي <sup>(٢)</sup>  
 فَرِغْتُ إِلَى رَبِّي وَائْتَمْتُ أَنَّنِي      مُلَاقٍ لَأَيَّامِ الْخُتُوفِ حِمَامِي <sup>(٣)</sup>

وَرَوَى الصُّوْلَى عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَيَّاضِ عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ عِمْرَانَ قَالَ : جَاءَنِي الْفَرَزْدَقُ ،  
 ٥      فَتَذَاكَرْنَا رَحِمَةَ اللَّهِ وَسَعَتَهَا ؛ فَكَانَ أَوْثَقَنَا بِاللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَلَيْكَ هَذَا الرَّجَاءُ وَالْمَذْهَبُ  
 وَأَنْتَ تَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ ، وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ ! فَقَالَ : أَتَرُونَنِي لَوْ أَذْنِبْتُ إِلَى أَبِييَّ ، أَوْ كُنَّا يَقْذِفَانِي

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مولانا السيد : خارجا ، تقديره : ولا يخرج خروجاً ؛ وذهب  
 عيسى بن عمر إلى أنه في موضع الحال ؛ لأن قوله : لا أشتم الدهر نصب على الحال ؛ كأنه قال : عاهدت لا شاماً  
 ولا خارجاً . وقال أبو سعيد : تقديره : عاهدت على أن أحلف لا شاماً ولا خارجاً ؛ وهو حال من التام في  
 عاهدت ، أو المحذوف من المصدر ؛ وهو الفاعل . وسيبويه يجعل لا أشتم جواب القسم ؛ ولا موضع له من  
 الإعراب ، والقسم عاهدت . فقوله : ولا خارجاً ، أي لا يخرج خروجاً ؛ وهو مطوف على لا أشتم » .  
 وفي حاشية ف أيضاً : « ذكر المبرد في كتابه الكامل في قوله :

\* ولا خارجا من في زور كلام \*

إنما وضع اسم الفاعل موضع المصدر ، أراد : لا أشتم الدهر مسلماً ، ولا يخرج خروجاً من في زور كلام ؛  
 لأنه على هذا أقسم ، والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل ؛ يقال : ماء غور ، أي غائر ؛ كما قال الله تعالى :  
 ﴿ إِنَّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ ؛ ويقال : رجل عدل ، أي عادل ، فعلى هذا جاء المصدر على فاعل ؛ كما  
 جاء اسم الفاعل على المصدر ؛ يقال : قم قائماً ؛ فيوضع موضع قولك : قم قياماً ؛ قال : وكان عيسى بن عمر  
 يقول : إنما قوله لا أشتم حال ، فأراد : عاهدت ربّي في هذه الحال ، وأنا غير شاتم ولا خارج من في ...  
 ولم يذكر الذي عاهد عليه » .

وانظر ( الكامل — بشرح الرصافي ٢ : ٨١ — ٨٣ ) .

(٢) د ، ومن نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تسعين » ، وفي حاشية الأصل ، ف : « أي بلغت  
 غايتي ؛ ونسبة التمام إلى التمام ترد على معنى التأكيّد كما قال الشاعر : « جن جنونها » ، والجنون لا يجن ، وإنما المراد  
 يجن ؛ وكما قال :

جُنُونُكَ كَجُنُونٍ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ      طَيِّبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونٍ جُنُونِي

(٣) ش ، ف : « فررت » ، والأبيات في ( ديوانه ٢ : ٧٧٠ ) .

في تنور ، وتطيب أنفسهما بذلك ؟ قلنا : لا ، بل كانا يرُحمانك ، قال : فأنا والله برحمة ربِّي  
أوثقُ مني برحمتها .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم <sup>(١)</sup> قال حدثنا عبد الله بن أبي  
سمد <sup>(٢)</sup> الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي <sup>(٣)</sup> قال : حدثني أبي عن جدي  
قال : شهدت الحسن البصري في جنازة النوار ( امرأة الفرزدق ) — وكان الفرزدق حاضراً —  
فقال له الحسن وهو عند القبر : يا أبا فراس ، ما أعددت لهذا المضجع ؟ قال : شهادة أن لا إله  
إلا الله مئتان سنة ، فقال له الحسن : هذا العمودُ فأين الطنبُ ! . وفي رواية أخرى أنه  
قال له : نِعم ما أعددت ، ثم قال الفرزدق في الحال :

[ ٢١ ] / أَخْفُ وَرَاءَ الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يُعَافِنِي - أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ التَّهَابًا وَأَضْيَقًا <sup>(٤)</sup>  
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدًا عَنِيْفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا <sup>١٠</sup>  
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَقْلُولَ الْقِلَادَةِ أَرْقَا <sup>(٥)</sup>  
يُقَادُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا سَرَابِيلَ قِطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرَّقًا

قال : فرأيت الحسن يدخلُ بعضه في بعض ، ثم قال : حسبك . ويقال إن رجلاً رأى  
الفرزدق بعد موته في منامه ، فقال له ما فعل بك ربك ؟ فقال : عفا عني بتلك الأبيات <sup>(٦)</sup> .

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « محمد بن محمد بن إبراهيم » .

(٢) د ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « سميد » .

(٣) حاشية الأصل : « الطفاوي : منسوب إلى طفاوة ؛ وهم قوم » .

(٤) الأبيات في ديوانه ٢ : ٥٧٨ ، مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات ؛ وفي نسخة بحواشي

الأصل ، ف ، ت : « أشد من القبر » ؛ وهي رواية الديوان .

(٥) ف : « مشدود القلائد » ، وهي رواية الديوان .

(٦) حاشية ف : « زعم بعض النعمية أن الفرزدق رثي في النوم فقيل له : ما صنع ربك ؟ فقال :

« غفرلي ؛ قيل له : بأى شيء ؟ قال : بالكلمة التي نازعنيها الحسن البصري على شفير القبر » . وفيها أيضا :  
« في السكامل ، كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني تميم والمصاحف في حجورهم فيسرب ذلك ويجذل له =

وأما ما يدلُّ على تشييعه وميله إلى بني هاشم ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال  
حدثني عمر بن داود العُماني قال حدثنا محمد بن زكريا<sup>(١)</sup> الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق  
قال حدثنا أبو ليبيد قال : جاء السكيتُ إلى الفرزدق فقال : يا عم إني قد قلت قصيدة أريدُ  
أن أعرضَ بها عليك ، فقال له : قل ، فأنشده :

\* طَرِبْتُ وَمَاشَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ \*

فقال له الفرزدق : إلى مَنْ طَرِبْتَ ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ ! فقال :

\* وَلَا لِعَبَا مَنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ \*

ولم تُلهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مُنْزِلٌ وَلَمْ يَتَطَرَّ بَنِي بَنَانٍ مُخَضَّبُ

= ويقول : إيه فدى لكم أبي وأمي ! كذا والله كان آبؤكم ، قال : ونظر أبو هريرة الدوسي إلى الفرزدق  
فقال : مهما فعلت ففقطك الناس عليه ، فلا تقنط من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إني أرى لك قدمين  
اضيفين ؛ فابتغى لهما موقفا صالحا يوم القيامة .  
و ( انظر السكامل — بشرح المرفعي ٢ : ٧٩ ) .

(١) حواشي الأصل ، ف ، ت : « الغلابي : منسوب إلى غلاب ، اسم امرأة ؛ وكان شيعيا » .  
وفي حاشية ف أيضا : « حدث الغلابي عن محمد بن عبد الله عن علي بن محمد قال : قال أنوشروان لبرزجهر  
لما أراد قتله : إني قاتلك ؛ فتسكلم بشيء تذكر به ؛ فقال : أيها الملك ، إن الدنيا حديث حسن وقبيح ؛  
فإذا استطعت أن تكون حديثا حسنا فكنه ، قال ابن عبد الله : وذكر هذا السلام لابن عائشة فقال :  
صدق ، هو والله من قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، وأنشد ابن عائشة :  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ تَخَلَّدُ بَعْدَهُمْ أَحَادِيثُهُمْ وَالْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ  
وقال أيضا :

وإذا الفتى لاقى الحِمَامَ رَأَيْتَهُ لَوْلَا الثَّنَاءُ كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ

وروى محمد بن زكريا الغلابي : كان مريد يكنى أبا إسحاق ، وكانت له نوادر ؛ فبينما هو ذات يوم  
جالس إذ جاءه أصحابه فقالوا : يا أبا إسحاق ، هل لك في الخروج بنا إلى العقيق ، وإلى قباء ، وإلى أحد ؛  
ناحية قبور الشهداء ؛ فإن هذا يوم كما ترى طيب ؛ فقال : اليوم يوم الأربعاء ، ولست أبرح من منزلي ؛  
فقالوا له : ماتسكروه من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متى ؟ فقال : بأبي وأمي صلى الله عليه وآله ! وفيه  
التقمة الحوت ، فقالوا : يوم نصر فيه يوم الأحزاب ، فقال : أجل ! ؛ ولكن بعد إذ زاعت الأبصار ؛  
وبلغت القلوب المناجر » .



فقال له : إلى من طربت ؟ فقال :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ ؛ هَمُّهُ : أَصَاحَ غُرَابٌ أُمَّ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ<sup>(١)</sup>  
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمَرَ سَالِمُ الْقُرْنِ أُمَّ مَرٍّ أَعْضَبُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ ، وَالْخَيْرِ يُطَلَبُ

فقال له الفرزدق : هؤلاء بنو دارم ، فقال السكيت :

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ  
فقال الفرزدق : هؤلاء بنو هاشم ، فقال السكيت :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَعْضَبُ<sup>(٣)</sup>  
فقال له الفرزدق : والله لو جُزَّتْهم إلى سواهم لذهب قولك باطلا .

[ ٢١ ]  
ظ

ومما يشهد لذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني ١٠  
جدتي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال : حدثني غير واحد  
من أهل الأدب أن علي بن الحسين عليهما السلام حجَّ فاستجهر<sup>(٤)</sup> الناس جماله ، وتشوَّفوا  
له ، وجعلوا يقولون : مَنْ هذا ؟ فقال الفرزدق :

(١) ت ، د ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « في المتن ، قال المراتي رضي الله عنه : يجب الوقوف  
على الطير » ، ثم يبدأ « بهمه » ليعلم الغرض . والزجر هنا : التيمن أو التشاؤم بالطير وغيره .  
(٢) السائح من الطير : مامر من مياسرك إلى ميامنك ، والبارح عكسه ، وكان العرب يتيامنون بالسائح ،  
ويتشاءمون بالبارح ، والأعضب : مكسور القرن ، وفي ت ، ف بعد هذا البيت : « فقال : إلى من طربت  
لأُم لك ! فقال السكيت ... »

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « أعني بني هاشم ، أو إلى بني هاشم » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : جهرت الرجل واستجهرته ؛ إذا رأيته عظيم المرأة ، وما  
أحسن جهر فلان ! أي ما يجتهر من هيئته وحسن منظره ؛ وقيل : اجتهر ؛ أي حملهم بجماله على أن يجهره  
عليه السلام ، أي يدركوا جهره » .

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلَّمَهُمْ  
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِنَهُ  
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا  
بِكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ  
يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ  
أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ  
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا

هَذَا التَّقَى النَّقَى الطَّاهِرُ الْعَلَمُ  
وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ<sup>(١)</sup>  
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ  
رُكْنُ الْخَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ<sup>(٣)</sup>  
لَأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ  
فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ<sup>(٤)</sup>

٥

(١) البطحاء: أرض مكة المنبجعة، والحل، بالكسر: خارج المواقيت من البلاد، والحرم: ما بين المواقيت المعروفة؛ وأراد بهما أهل الحل والحرم.

(٢) الخطيم: الجدار الذي عليه ميزاب السكبة، واتصّب « عرفان » على أنه مفعول له، أي يكاد يمسه ركن الخطيم؛ لأنه عرف راحته. ويستلم، بمعنى يلمس الحجر الأسود.

(٣) حواشي الأصل، ت، ف: روى أبو الفرج في كتاب الأغاني الكبير هذا البيت: ينفضي...

وبينا آخر وهو:

بَكْفُهُ خَيْرُ رَانَ رِيحُهَا عَبَقُ  
مَنْ كَفَّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِيهِ شَمَمُ

للحزین الـکفانی، قال: مدح بهما الحزین عبد الله بن عبد الملك، وقد حجج، وكان أبوه عبد الملك قد وصاه بالآلا يحجب الحزین لحث لسانه، ووصفه له بهيئته، فدخل عليه وأشده البتین. قال أبو الفرج: والناس يروون هذين البتین فی أبيات الفرزدق التي مدح بها زین العابدين عليه السلام.

وقد ذكر أبو تمام فی (الحماسة - بشرح التبریزی ٤-١٦٧-١٦٩) الأبيات مذسوبة إلى الحزین اللقی. وانظر تفصیل الخبر وتحقیق نسبة الأبيات فی (الأغانی ١٤: ٧٤-٧٧).

(٤) حاشية ف: « روى أنه كان عبد الملك بن مروان لما سمع هذا من الفرزدق قال له: «أورافضو أيضا أنت! فقال الفرزدق: إن كان حب آل محمد رفضاً فأنا هناك، فقال عبد الملك: قل في مثل ماقلته فيه، وعلى أن أضعف عطاءك، فقال الفرزدق: وتجيئني بأب مثل أبيه وأم مثل أمه؛ حتى أقول فيك مثل ماقلته فيه؛ أقول هذا ولا تستحي من الله عز وجل! مر حتى تسقط اسمي من الديوان جملة، فأسقط عطاءه فبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إليه، فلما أمأه قال: يا أبا فراس؛ خذ مني جميع ما أملكه ولك الفضل بعد ذلك؛ وما كانا بك بعد! فقال: يا بن رسول الله، ماقلته فيك لرجاء مثوبة؛ وإن نوالاً على الله، وما أؤمله فيكم عند الله عز وجل أحب إلى من ملك عبد الملك؛ فقال: فكتم كان عطاؤه الله حرمته؟ قال: ألف ومائتان في السنة، فوزن له ثمانية وأربعين ألفاً، عطاء أربعين سنة، فأخذها وانصرف ».

وفي رواية الغلابي أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك - أو الوليد - وهو حديث<sup>(١)</sup> السن، فأراد أن يستلم الحجر، فلم يتمكن من ذلك لتراحم الناس عليه، فجلس ينتظر خلوة؛ فأقبل على بن الحسين عليهما السلام، وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، بين عينيه سجادة، كأنها رُكبة عَنَز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه، همية له وإجلالاً. فعاظ ذلك هشاماً، فقال رجل من أهل الشام لهشام: مَنْ هذا الذي قد هابه الناس هذه الهمية؟ فقال هشام: لأعرفه - لئلا يرغب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق - وكان هناك حاضراً - : لكني أعرفه، وذكر الأبيات، وهي أكثر مما رويناه؛ وإنما تركناها<sup>(٢)</sup> لأنها معروفة.

قال: فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بمُسْفان، بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم وقال: اعذرنا/ يا أبا فراس، [٢٢] فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به، فردّها الفرزدق وقال: يا بن رسول الله، ما قلت الذي قلت إلا غضبا لله ورسوله، وما كنت لأُرزأ<sup>(٣)</sup> عليه شيئا؛ فردّها إليه وأقسم عليه في قبولها وقال له: قد رأى الله مكانك، وعلم نيتك، وشكر لك، ونحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئا لم نرجع فيه؛ فقبلها، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس؛ فما هجاء به قوله:

١٥

تَحْبَسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي      لَهَا رِقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيرُهَا<sup>(٤)</sup>  
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ      وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادَ عُيُوبُهَا

(١) د، ف، حاشية ت (من نسخة): «حدث السن».

(٢) حاشية ت (من نسخة): «تركناها أكثرها».

(٣) ت: «أُرزأك». وفي حاشية ف: «يقال: مارزأته شيئا؛ أي لم آخذ منه شيئا».

(٤) ديوانه ١: ١٠١، وفي حاشية الأصل (من نسخة): «يحبسني»، وحاشية ف (من نسخة):

«قلوب الناس يهوي»؛ وهي رواية الديوان.

# مكتبة التنوير والدراسة

مجلد آخر

تأويل آية

إن سأل سائل فقال: ما عندكم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].  
وظاهر هذه الآية يقتضى أنه تعالى ما شاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الإيمان والهدى؛ وهذا بخلاف ما تذهبون إليه؛ ثم قال: ﴿وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فلا يخلو من أن يكون عني أنه الاختلاف خلقهم، أو للرحمة؛ ولا يجوز أن يعنى الرحمة؛ لأن الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة «ذلك»؛ ولو أرادها لقال: ولتلك خلقهم، فلما قال ﴿وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كان رجوعه إلى الاختلاف أولى. وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها؛ لأن الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها، وإذا جعلتم قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ دالاً على الرحمة فكذلك قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ دالٌّ على الاختلاف؛ على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة؛ وذلك لا يجوز على الله تعالى، ومتى تعدى بها ما ذكرناه، لم يُعْنَ بها إلا العفو وإسقاط الضرر، وما جرى مجراه<sup>(١)</sup> عن مستحقته، وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم، لأنه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومواخذة المستحقين.

الجواب، يقال له: أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ فإنما عني به المشيئة التي ينضم [٢٢] إليها الإلجاء، ولم يعن / المشيئة على سبيل الاختيار، وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته<sup>ط</sup> وأنه ممن لا يغالب، ولا يعصى مقهوراً؛ من حيث كان قادراً على إلجاء العبيد، وإكراههم ما أراد منهم.

فأما لفظ «ذلك» في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف؛ لدلي

العقل وشهادة اللفظ ، فأما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف ، والدّهاب عن الدين ، ونهى عنه ، وتوعدّ عليه ، فكيف يجوز أن يكون شائئاً له ، ومجرباً<sup>(١)</sup> بخلق العباد إليه .

وأما شهادة اللفظ فلأنّ الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف ، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب .

فأما ما طعن به السائل ، وتعلّق به من تذكير الكناية ، وأنّ الكناية عن الرحمة لا تكون إلا مؤنثة فباطل ، لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقي ، وإذا كُنِيَ عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى ، لأنّ معناها هو الفضل والإنعام ؛ كما قالوا : سرّني كلمتك ، يريدون سرّني كلامك ، وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ ؛ [الكهف : ٩٨] ؛ ولم يقل « هذه » ، وإنما أراد هذا فضل من ربّي ؛ وقالت الخنساء :

فذلك يا هِنْدُ الرّزِيَّةُ فاعلمي      وَنيرانَ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُوذُهَا<sup>(٢)</sup>  
أرادت الرّزء ؛ وقال امرؤ القيس :

بِرَهْرَهَةٍ رُوْدَةٍ رَخْصَةٍ      كَخَرْعُوْبَةِ البانَةِ المنْفَطِرِ<sup>(٣)</sup>

فقال : « المنفطر » ولم يقل المنفطرة ، لأنه ذهب إلى الغصن ؛ وقال الآخر :

هَنِيئاً لِسَعْدٍ ما قُتِضِيَ بعدَ وَقْعَتِي<sup>(٤)</sup>      بِناقَةٍ سَعْدٍ وَالْعَشِيَّةُ بَارِدُ  
فذكر الوصف : لأنه ذهب إلى العشي ؛ وقال الآخر :

قَامَتْ تُبَكِّئِهِ على قَبْرِ دِ      مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يا عامِرُ<sup>(٥)</sup>

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الإجراء يستعمل في المنكر المذموم ؛ يقال : أجرى عليه فعله ، ولا يقال إلا في الشر » .

(٢) ديوانها : ٥٩

(٣) ديوانه : ٨ . البرهرة : الرقيقة الجلد ، والرودة : الرخصة الناعمة ، والخرعوبة : الفضيض الغض ، والمنفطر : المنشق .

(٤) حاشيت ( من نسخة ) : « وقفني » .

(٥) البيتان في العقد ٣ : ٢٥٩ ، و ٥ : ٣٩٠ ؛ ونسبهما لأعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر .

تَرَ كُنْتِي فِي الدَّارِ ذَاغُرِيَّةٍ<sup>(١)</sup> قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ

فقال: « ذاغرة » ولم يقل ذات غرة ، لأنه أراد شخصا ذا غرة ؛ وقال زياد الأعجم :

[ ٢٢ ] / إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّامَةَ ضُمْنَا قَبْرًا يَمْرُوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ<sup>(٢)</sup>

فقال: « ضمنّا » ولم يقل ضمننّا ؛ قال الفرّاء: لأنه ذهب إلى أنّ السامحة والشجاعة مصدران ،

والعرب تقول : قِصَارَةُ الثَّوبِ يُعْجِبُنِي ؛ لأنّ تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل ، وهو مذكّر .

وقال الفرزدق :

تَجُوبُ بِنَا الْفَلَاةَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا<sup>(٣)</sup>

فذكر الوصف ، لأنه أراد التيس ؛ فأما الأرطاة فهي واحدة الأرطى ، وهي<sup>(٤)</sup> شجر

يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ تَسْتَظِلُ بِظِلَالِهِ الظَّبَاءُ مِنَ الْحَرِّ ، وتأوى إليه ، قال الشماخ :

١٠ إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أُرْدِيهِ خُدُودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ<sup>(٥)</sup>

(١) في العقد : « لى وحشة » .

(٢) اللآلى ٩٢١ ؛ وبمده :

فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاغْرِ بِهِ كَوْمَ الْجِلَادِ وَكُلَّ طَرَفٍ سَابِحٍ

وفى ت ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إن السامحة والشجاعة » .

(٣) ديوانه ٢ : ٦١٧ ، وروايته : « فروحت القلوب إلى سعيد » .

(٤) فى نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « وهو » .

(٥) ديوانه ٩٤ ، وفى حاشية ت ( من نسخة ) : « توسط أبرديه » ، وفى حواشى الأصل ،

ت ، ف : « قبله » .

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشْكِي هُزَالًا بَعْدَ مَقْعِدِهَا السَّيْمِينِ

إِذَا بَرَكْتَ عَلَى شَرْفٍ وَأَلْقَتْ عَسِيبَ جِرَائِنَهَا كَعَصَا الْهَجِينِ

إِذَا الْأَرْطَى . . . . .

المقعد : أصل السنام ، والشرف : النجد من الأرض ، وعسب جرائنها : صفة العنق ، والهجين :

الراعى ، والجوازى : التى اكتفت بالرطب عن الماء ، وأبردا الأرطى : الغداة والعشى ؛ وقال خالد بن

كلثوم : أبرداه : ظلاه ؛ الظل بالغداة والعشى ؛ وقال ابن دريد : معناه أن البقرة تتوسد بالغداة

الأرطى الذى بلى المغرب ، فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية المشرق تتوسد الفصون التى مالت عنها

الشمس . والعين : جمع عياء ؛ وهى الواسعة العين .

وقوله: «قالا» من القِيلُولَة لامن القول، على أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدلّ على الرحمة يدلّ أيضاً على «أن يرحم»، فإذا جملنا الكناية بلفظة «ذلك» عن أن يرحم كان التذكير في موضعه؛ لأن الفعل مذكّر، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى ﴿وَلَدَلِكْ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان، وكونهم فيه أمة واحدة؛ ولا محالة أنه لهذا خلقهم؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ [الذاريات: ٥٦]. ٥

وقد قال قوم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه أنه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة، فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾؛ [السجدة: ١٣]. في أنه أراد: هداها إلى طريق الجنة، فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن أن ترجع لفظة «ذلك» إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنة، لأنه إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها. ١٠

فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات.

وذكر أبو مسلم ابن بحر في قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر، / لأنه سواء قولك: خلف بعضهم بعضاً، [٢٣] وقولك: اختلفوا<sup>(١)</sup>، وسواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، واقتتلوا؛ ومنه قولهم: لا أفعل<sup>١٥</sup> كذا ما اختلف العصران والجديدان، أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر.

فأما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل، لكنها فعل النعم والإحسان، يدلّ على ذلك أن مَنْ أحسنَ إلى غيره، وأنعم عليه يُوصف بأنه رحيم به، وإن لم يُعلم منه رقة قلب عليه، بل وصفهم بالرحمة مَنْ لا يعمدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك؛ لأن مشقة النعمة والفضل والإحسان على مَنْ لا رقةً عنده أكبر منها على الرقيق القلب، ٢٠ وقد علمنا أن مَنْ رقق قلبه لو امتنع من الإفضال والإحسان لم يوصف بالرحمة، وإذا أنعم

(١) حاشية الأصل: «سمى الاختلاف اختلافاً لأن الكلام يخلف بعضه بعضاً».

وُصِفَ بذلك ، فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه ؛ على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الأصل ما ذكرتم<sup>(١)</sup> ، ثم انتقل بالتعارف إلى ما ذكرناه كمنظأره . وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هُدًى ورحمة من حيث كان نعمة ، ولا يتأتى في القرآن ما ظنوه<sup>(٢)</sup> ؛ وإنما وصفت رقة القلب بأنها رحمة ؛ لأنها مما تجاوزه الرحمة التي هي النعمة في الأكثر ، وتوجد عنده ، فحل محل وصف الشهوة بأنها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الأكثر ؛ وليست الرحمة مختصة بالعتو ؛ بل تستعمل في ضرب النعم ، وصنوف الإحسان ؛ ألا ترى أنا نصف النعم على غيره ، المحسن إليه بالرحمة ، وإن لم يسقط عنه ضرراً ، ولا تجاوز له عن زلة ؛ وإنما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة ؛ لأن النعمة بإسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بإيصال النفع ، فقد بان بهذه الجملة معنى الآية ، وبطلان ما ضمنه السائل ١٠ سؤاله .

فإن قيل : إذا كانت الرحمة هي النعمة ، وعندكم أن نعم الله تعالى شاملة للخلق أجمعين ، فأى معنى لاستثناء ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ من جملة المختلفين إن كانت الرحمة هي النعمة ؟ وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة ؟

قلنا : لا شبهة في أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين ؛ غير أن في نعمه أيضاً ما يختص بها بعض العباد<sup>(٣)</sup> ، إما لاستحقاق ، أو لسبب يقتضى الاختصاص / فإذا حملنا قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ على النعمة بالثواب ، فالاختصاص ظاهر ، لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقة ، فمن استحق الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ، ومن لم يستحقه لم يصل إليها . وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللطف الذى وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة ، لأنه تعالى إنما لم يُنعم على سائر المكلفين بها ؛ من حيث

(١) ت ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : ما ذكر .

(٢) س : قالوه .

(٣) ت : الخلق .



لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً، وأن في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان؛ فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعمهم آخر لهم؛ كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع <sup>(١)</sup> ما شئت » .

وفي هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة :

أحدها أن يكون معناه : إذا عملت العمل لله جلّ وعزّ وأنت لا تستحي من الناظرين إليك ، ولا تتخوفهم <sup>(٢)</sup> أن ينسبوك فيه إلى الرياء صنعت ما شئت ، لأن فكرك فيهم ، ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ، ويمنعانك من القيام بمحدوده وحقوقه ؛ وإذا طرحت الفكر توقرت على استيفاء عملك .

١٠

والوجه الثانى أن من لم يستحي من المعايير والمخازى والفضائح صنع ما شاء ، والظاهر <sup>(٣)</sup> ظاهر أمر ، والمعنى معنى تغليظ وإنكار ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠] ، وقوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٩] ؛ وهذا نهاية التغليظ والزجر والإخبار عن كبر <sup>(٤)</sup> الذنب في أطراح الحياء ؛ ويجرى مجرى قولهم : بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء ، وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء ؛ ١٥ والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه ، وقبح <sup>(٥)</sup> ما اقترفه .

والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت ؛

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « فافعل » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « خاف وتخوف بمعنى » .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « فالظاهر » .

(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « عظم الذنب » .

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « وقبيح » .

فكانَ معنى<sup>(١)</sup> الخبر إذا لم تفعلُ قبيحاً فافعل ما شئت ، لأنه لا قبيح<sup>(٢)</sup> من ضرورِ القبائح إلا والحياة يصاحبه ، ومن شأنِ فاعله إذا قرّع به أن يستحي منه ، فتى جانب [ ٢٤ ] / الإنسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبايح ، وما عدا القبيح من الأفعال ظ فهو حسن .

ويجرى هذا مجرى خبرٍ روى فيما أظن عن نبيينا عليه السلام أن رجلاً جاءه<sup>(٣)</sup> فاسترشده إلى خصلة يكون فيها جماع الخير ، فقال له عليه السلام : « أشرتُ عليك ألا تكذب بى ، ولن أسألك<sup>(٤)</sup> ما وراء ذلك » . فهان على الرجل ترك الكذب خاصة ، والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبايح ، وشرط على نفسه ذلك ، فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر<sup>(٥)</sup> ويقول : أرايتُ لو سألتُ عنه النبي صلى الله عليه وآله ما كنتُ قائلاً له ، لأننى إن صدقته افتضحتُ ، وإن كذبتُه نقضتُ العهدَ بينى وبينه ؛ فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبايح<sup>(٦)</sup> ، وهكذا معنى الخبر الذى تأولناه ؛ لأن فى اجتناب ما يُستحي منه اجتناباً لسائر القبايح .

(١) م : « المعنى » . (٢) م : « لا ضرب » . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « أتاه » .

(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « عما » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « يفكر » ؛ يأسكان الفاء وكسر الكاف .

(٦) حاشية ف : « قال السيد الإمام ضياء الدين : وفي رواية أخرى أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسلم ثم قال : أنا وأخذ من الذنوب بما ظهر ، وأنا أستر بخلال أربع : الزنا والسرقه وشرب الخمر والكذب ؛ فأيتهن أحببت تركت ، قال : دع الكذب ؛ فلما تولى من عند النبي صلى الله عليه وآله هم بالزنا ؛ فقال : يسألني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن جحدت نقضت ماجملت ، وإن أقررت حددت ، ثم هم بالسرقه ثم بشرب الخمر ؛ فنفكر في مثل ذلك ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ، تركتهن أجمع . قال السيد : إنما كتبت هذه الرواية هاهنا ؛ لأن هذه مفصلة ، وتلك مجمله ، ولأن رأيت السيد غير محقق فيما أورده » .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ آخِرِ

روى محمد بن الحنفية رحمه الله عليه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان قد كثر على مارية القبطية أم إبراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ، ويختلف إليها ، فقال لى النبي صلى الله عليه وآله : « خذ هذا السيف وانطلق ، فإن وجدته عندها فاقتله » . قلت : يا رسول الله ، أكون فى أمرك إذا أرساتنى كالسكة<sup>(١)</sup> الحماة ، أمضى لما أمرتنى ، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ فقال لى النبي صلى الله عليه وآله : « بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » . فأقبلت متوشحاً<sup>(٢)</sup> بالسيف ، فوجدته عندها ، فاخترطت السيف ، فلما أقبلت نحوه عرف أنى أريده ، فأثى نخلة فرقى إليها ، ثم رمى بنفسه على قفاه ، وشعر برجليه ، فإذا إنه أجب أمسح ، ماله مما للرجال قليل ولا كثير ، قال : فعمدت السيف ورجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته ، فقال : « الحمد لله الذى يصرف<sup>(٣)</sup> عنا أهل البيت » .

١٠

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : فى هذا الخبر أحكام وغريب ، ونحن نبدأ بأحكامه ، ثم نتلوها بغريبه .

فأول ما فيه أن لقائل أن يقول : كيف يجوز أن يأمر الرسول عليه السلام بقتل رجل على التهمة<sup>(٤)</sup> بغير بينة ولا مايجرى مجراها؟ والجواب عن ذلك أن القبطي جائر أن يكون من أهل العهد الذين أخذ عليهم أن تجرى فيهم<sup>(٥)</sup> أحكام المسلمين، وأن يكون الرسول عليه السلام [ ٢٠ ] تقدم إليه بالانتهاء عن الدخول إلى مارية، فخالف وأقام على ذلك ، وهذا نقض للعهد، وناقض

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « السكة : الحديدية التى تسكون على طرف آلة الفدان ، والفدان آلة الأكرة » . (٢) توشحت بالسيف ؛ إذا تقادته .

(٣) حاشية ت من نسخة : « صرف » ، و د : « صرف عنا الرجس أهل البيت » ، و ط ، م :

« يصرف عنا الرجس أهل البيت » . (٤) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « التهمة ؛ بالتحريك هو

الصحيح » . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « عليهم » .

المهد من أهل الكفر مؤذّن بالمحاربة ؛ والمؤذّن بها مستحقّ للقتل .

فأما قوله : « بل (١) الشاهد يرى مالا يرى الغائب (١) » فإنما عني به رؤية العلم لرؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الموضع لرؤية البصر ، فكأنه عليه وآله السلام قال : بل الشاهد يعلم ؛ ويصحّ له من وجه الرأي والتدبير مالا يصحّ للغائب ؛ ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال ، وإنما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يختير بين قتله والكفّ عنه ، ويفوض الأمر في ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق ، التي لا يجوز العفو عنها ، ولا يسمع إلا إقامتها ، لأن ناقض المهد ممّن إلى الإمام القائم بأمر (٢) المسلمين إذا قدر عليه قبل التوبة أن يقتله ، أو أن يمنّ عليه .

ومما فيه أيضا من الأحكام اقتضاؤه أن مجرد أمر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضي الجوب ، لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه ؛ وفي حسنها ووقوعها موقعها دلالة (٣) على أنها لا تقتضي ذلك .

ومما فيه أيضا من الأحكام دلالتّه على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الأمر ينزل فلا يوجد من النظر إليها بدّ إمّا لحدّ يقام ، أو لعقوبة تسقط ، لأن العلم بأنه أمسح أجبّ لم يكن إلا عن تأمل ونظر ، وإنما جاز التأمل والنظر لتبيين : هل هو ممّن يكون منه ما قرّف به أولا ، والواجب على الإمام فيمّن شهد عليه بالزنا ، وادّعى أنه محبوب أن يأمر بالنظر إليه ، وتبيين أمره ، وبمثله أمر النبي صلى الله عليه وآله في قتل مقاتلة بن قريظة ، لأنه أمر أن ينظروا إلى مؤتزر ، وكلّ من أشكل عليهم أمره ، فمن وجدوه قد أنبت قتلوه ، ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا ؛ لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها متى لم يتأمل أمرهما حقّ التأمل لم تصحّ شهادته ، ولهذا قال النبي

(١-١) حاشية ت ( من نسخة ) : « بل لا يرى الشاهد ما يرى الغائب » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « بأمر » .

(٣) ط : « وفي حسنها ووقوعها دلالة .. » ، م : « وفي حسنها ووقوعها موقعها » .

صلى الله عليه وآله لسعد بن عباد ، وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا ، أيقنته ؟ / فقال [ ٢٠ ]  
 صلى الله عليه وآله : لا ، حتى يأتي بأربعة شهداء ، ولو لم يكن للشهداء إذا حضروا تعمّد النظر إلى  
 عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ، ولم تقم شهادة الزنا ؛ لأن من شرطها  
 مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة .

فإن قيل : كيف جاز لأمر المؤمنين الكف عن القتل ، ومن أي جهة آثره لما وجده ه  
 أحب ، وأي تأثير لكونه أحب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد ؟ قلنا : إنه عليه  
 السلام لما فوّض إليه الأمر في القتل والكف كان له أن يقتله على كلّ حال ، وإن وجده  
 أحب ؛ لأن كونه بهذه الصفة لا يُخرجه من نقض العهد ، وإنما آثر الكف الذي كان  
 إليه ، ومفوضاً إلى رأيه ، لإزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ، ولأنه أشفق من أن  
 يقتله ، فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار ، فرأى عليه السلام أن الكف أولى لما ذكرناه . ١٠

فأما غريب الحديث <sup>(١)</sup> فقلوه : « شفر <sup>(٢)</sup> برجليه » يريد رفعهما <sup>(٣)</sup> ، وأصله في وصف الكلب  
 إذا رفع رجله للبول ، فأما نكاح الشغار <sup>(٤)</sup> - وقد قيل الشغار بالفتح - فهو أن يزوّج الرجل  
 من هو ولي لها من بنت أو أخت غيره ، على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر . وكان  
 أحد العرب في الجاهلية يقول للآخر : شاغرتني ؛ أي زوجني حتى أزوّجك ؛ وأظنه مأخوذاً  
 من الشفر الذي هو رفع الرجل ، لأن النكاح فيه معنى الشفر ، فسمى هذا العقد شغاراً ١٥  
 ومشاعرة ، لإفضائه في كل واحد من المزوجين <sup>(٥)</sup> إلى معنى الشفر ، وصار اسماً لهذا النكاح  
 كما قيل في الزنا سفاح ، لأن الزانيين يتساخنان الماء ، أي يسكبانه ، والماء هو النطفة ، ويمكن  
 أن يكون أيضاً الماء الذي يغتسلان به ، فكُنِيَ بذلك عن الزنا <sup>(٥)</sup> ثم صار اسماً له وعلماً  
 عليه .

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « الخبر » . ( ٢-٢ ) حاشية ت ( من نسخة ) : « برجليه »

يريد رفعهما . ( ٣ ) ت ، ف : « الشغار ، بالكسر » . ( ٤ ) ت ، ف : « المتزوجين » .

( ٥ ) حاشية ف : « الزنا والزنا كلاهما صحيح » .

ومن الشَّعْر الذى هو رُفْعُ الرجل قول زياد لابنة معاوية ، وكانت عند ابنه ، فافتخرت يوماً عليه ، وتطاولت ، فشكاها إلى أبيه زياد ، فدخل عليها بالدَّرة يضربها ، ويقول لها أَشْفَرًا وَفَخْرًا ! وأما قول الفرزدق :

شَغَارَةٌ تَقْدُ الفَصِيلَ بِرَجْلِهَا      فَطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ<sup>(١)</sup>

[ ٢٦ ] / فإنه من غريب شعره ، وفسره قال : معنى «شغارة» أنها ترفع رجلها للبول ، وقوله : «تقدُ الفصيل برجلها» ، أى تركله وتدفعه عن الذنوّ إلى الرضاع ، ليتوفّر اللبن على الحلب ، وأراد «بتقذه»<sup>(٢)</sup> ، أى تبالغ فى إيلامه وضربه ، ومنه الموقوذة<sup>(٣)</sup> ؛ فأما قوله : «فطارة لقوادم الأ Bakar» ، فالفطرُ هو الحلب بثلاث أصابع ، والقوادم هى الأخلاف ، وإنما خصّ الأ Bakar بذلك ؛ لأنّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضَبًّا<sup>(٤)</sup> ، والضَبُّ هو الحلب بالأصابع الأربع<sup>(٥)</sup> ؛ فكانه لا يمكن فيها لقصر أخلافها إلا الفطر ؛ ومعنى البيت تمييزه نساء جرير بأنهن راعيات ، وذلك مما تُعَيِّر به العربُ النساء ؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ      فدُعَاءٌ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِي<sup>(١)</sup>  
كُنَّا نَحَازِرُ أَنْ تُضَيِّعَ لِقَاحَنَا      وَلَهَا إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ<sup>(٧)</sup>

ثم تلا ذلك بقوله : شغارة ...

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وعندى أن قوله «شغارة» كناية عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه بأن يكون مراده فى هذا الموضع ، ألا ترى أنه قد وصفها بالوالة ، وترك

(١) ديوانه ٢ : ٤٥٢ .

(٢) ف حاشية ت ( من نسخة ) : « تقد » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الموقوذة : الشاة التى يرميها الراعى بالعصا فتَمُوت » .

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ضفا ؛ والضف هو الحلب » .

(٥) م : « الأربع كلها » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف . « الفدع : اعوجاج فى الزند ، وعلى تتعلق بمحذوف ، كأنه قال متخففة على » ، أو قائمة على » ، والعشار : جمع عشاء ؛ ومى الناقة التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر .

(٧) فى حاشيتى الأصل ، ف : « اللقاح : جمع لفعة ؛ ومى الناقة الحديثة العهد بالنواج » .

حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ؛ ويسار اسم لراع ؛ فكأنه قد وصفها بالولاء إلى الرنا والإسراع إليه، وترك حفظ ما استخفظته من اللقاح ؛ فالأشبه أن يكون قوله : «شغارة» - مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه - محمولا على ما أشرنا إليه .

فأما قولهم : ذهبوا شغَر بغير فليس من هذا في شيء وإنما يُراد به أنهم ذهبوا متفرقين متشتتين ، ومثله ذهبوا عباديد وعبايد ، وشعائل وشعارير وأيادي<sup>(١)</sup> سبا ؛ كل ذلك بمعنى واحد .

وأما قوله : «إذا أنه أجَبَّ» ، فيعني به المقطوع الذكر ؛ لأن الجَبَّ هو القطع ؛ ومنه بعير أجَبَّ إذا كان مقطوع السنم : وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الأَمْسَحَ ههنا هو القليل لحم الألية ، كالأَرَصَع والأَرَسَح والأَزَل<sup>(٢)</sup> ، وهذا غلط ، لأن الوصف بذلك لا معنى له في الخبر ، وإنما أراد تأكيد الوصف له بأنه أجَبَّ ، والمبالغة فيه ، لأن قوله : «أَمْسَحَ» [٢٦] ط يفيد أنه مصْطَلِم<sup>(٣)</sup> الذَّكَر ، ويزيد على معنى أجَبَّ زيادة ظاهرة .

\*\*\*

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني القاسم بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان ابن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي عن الأصمعي قال : دخلت على

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : «أيادي ، يجوز أن تكون نصبا على الحال ، وعلى المصدر أيضا ؛ فإذا كان حالا كان التقدير : تفرقوا أمثال أيادي سبا ، وإذا كان مصدرا فالتقدير : تفرقوا تفرق أولاد سبا . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضا : «يقال تفرقوا أيادي سبا ، وفي معناه قولان : أحدهما أنه سبأ بن يشجب ، والأيادي : الأولاد ، وفيه لأنه من السبي ، ووزنه فعل ؛ وحينئذ ينصرف ، ولأنما صار الأولاد أيادي ؛ لأنه يستعان بهم كما يستعان بالأيادي ، والأيادي جمع الجمع ، يد وأيد وأياد .»

(٢) حاشية ف : «الأرصع والأرسح والأزل : قليل لحم الورك .»

(٣) حاشية ف . «مصْطَلِم : مقضوع الذكر .»

الرشيدي<sup>(١)</sup> في الليل ، فتذاكرنا أحوال القمر ، فقلت : العرب تقول للقمر إذا كان ابن ليلة : ما أنت ابن ليلة<sup>(٢)</sup> ؟ قال : رضاعٌ سُخْيَلَة ، حلَّ أهلها برُمَيْلَة . قيل له : ما أنت<sup>(٣)</sup> ابن ليلتين ؟ قال : حديثُ أُمَّتَيْنِ ، بكذبٍ ومَين . قيل له : ما أنت ابن ثلاث ؟ قال : قليل اللبّاث - وقيل أيضاً : حديثُ فَتَيَاتٍ ، غير جدِّ مؤتلفات - قيل له : فما أنت ابن أربع ؟ قال : عَمَّةُ أُمِّ رُبْع - وقيل : عَمَّةُ أُمِّ الرُّبْع<sup>(٤)</sup> - غير جائع ولا مُرَضِع . قيل له : فما أنت<sup>(٥)</sup> ابن خمس ؟ قال : عَشَاءُ خَلِيفَاتِ قُعْسٍ - ويقال : حديث وأنس ، ويقال : سرٌّ ومَسٌّ<sup>(٦)</sup> - قيل له : ما أنت<sup>(٧)</sup> ابن ست ؟ قال سرٌّ وربٌّ - وقيل : تحدّث<sup>(٨)</sup> وربٌّ - قيل له : ما أنت<sup>(٩)</sup> ابن

(١) حاشية ف : « حدث عبيد الله بن محمد النيمي قال : أراد الرشيد سفراً ، وأمر الناس أن يتأهبوا لذلك ، وأعلمهم أنه خارج حد الأسبوع ؛ ففضى الأسبوع ولم يخرج ، فاجتمعوا إلى المأمون يسألونه أن يستعلم ذلك ؛ ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر ؛ فكتب إليه المأمون :

يَا خَيْرَ مَنْ خَبَّتِ الْمَطْيُ بِهِ      وَمَنْ تَقَدَّى بِسَرِّهِ فَرَسُ  
هَلْ غَايَةٌ فِي الْمَسِيرِ نَعْرِفُهَا      أَمْ أَمْرُنَا فِي الْمَسِيرِ مُلْتَبِسُ  
مَاعِلِمُ هَذَا إِلَّا إِلَى مَلِكٍ      مِنْ نُورِهِ فِي الظَّلَامِ يُقْتَبَسُ  
إِنْ سَرَتْ سَارَ الرَّشَادُ مُتَّبِعًا      وَإِنْ تَقَفَ بِالرَّشَادِ يَحْتَبَسُ

فقرأها الرشيد وسرّ بها ، ووقع فيها : يابني ، ما أنت والشعر ! أما علمت أن الشعر أرفع حالات الدنى ، وأقل حالات السرى ! والمسير إلى ثلاث إن شاء الله .

— قوله المأمون في شعره : « ومن تقدى بسرجه فرس » ، تقدى أى استمر ؛ كما قال ابن قيس الرقيات :

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ      سِوَا عَلِيَّهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا  
أى استمرت وجرت فاصدة إليك .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى أستفهمك عن نفسك في حال كونك ابن ليلة . »

(٣) ط ، م : « فما أنت . » (٤) د ، حاشية ف (من نسخة) : « أم ربيع . »

(٥) ت ، د : « ما أنت . »

(٦) في حاشيتي ت ، ف : « مس ، أى ليكن سيرك مساء للضوء . »

(٧) ط ، م : « فما أنت . »

(٨) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « حدث . »

(٩) د ، ت ، ف : « قيل : ما أنت . » ط ، م : « قيل فما أنت . »



- سبع؟ قال دَلَجَة<sup>(١)</sup> ضَبِع<sup>(٢)</sup> - وقيل هُدَى لأنس<sup>(٣)</sup> ذى الجمع ، وقيل: حديث جمع، وقيل:  
يُضْفَرُ فِي النَّسَمِ<sup>(٤)</sup>، وقيل: يُلْتَقَطُ فِي الْجَزَع - قيل: ما أنت ابن ثمان؟ قال: قرأ إضحيان<sup>(٥)</sup>.  
قيل: له: ما أنت ابن تسع؟ قال منقطع الشَّع - وقيل يُلْتَقَطُ فِي الْجَزَع ، وقيل:  
الْوَدْعُ<sup>(٦)</sup>، وقيل عَشِيَّةُ أَهْلِ جَمْع - قيل له: ما أنت ابن عشر؟ قال: مُلِّثُ الشَّهْرِ،  
- وقيل: مَخْنَقُ الْفَجْرِ، وقيل: أُوْدِيكَ إِلَى الْفَجْرِ، وقيل: أَبَادِرُ الْفَجْرِ - قيل له: ما أنت  
ابن إحدى عشرة<sup>(٧)</sup>؟ قال: أَطْلَعُ عِشَاءً، وَأَرَى بُكْرَةً - وقيل: أَغِيبُ بِسُخْرَةٍ - قيل:  
له ما أنت ابن اثنتي عشرة؟ قال: مُوْنَقُ لِلْبَشَرِ<sup>(٨)</sup>، بالبدر والحضر. قيل: ما أنت ابن ثلاث  
عشرة؟ قال: قرأ باهر، يَعْمَشِي لَهُ النَّازِر؛ قيل له: ما أنت ابن أربع عشرة؟ قال: مُقْتَبِلُ  
الشَّبَابِ، أَضِي مُدْجِنَاتِ<sup>(٩)</sup> السَّحَاب - وقيل مُضِي<sup>(١٠)</sup> للسحاب - قيل له: ما أنت ابن  
خمس عشرة؟ قال: تَمَّ الشَّبَاب، وانتصف الحِساب.

١٠

- (١) س: « بضم الدال »، ت: « بضم الدال وفتحها معا » .  
(٢) في نسخة بحاشيتي ت، ف: « الضبع » .  
(٣) ج، س: « لأنس ذى الجمع »، بتنوين السين .  
(٤) الفسح: سير مضافور مثل الأعنة .  
(٥) ت، س: « قرأ إضحيان »، بالإضافة؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة): « قرأ إضحيان »،  
بضم الهمزة . وفي حواشي الأصل، ت، ف: « قرأ إضحيان وإيلة إضحيانة، بالكسر؛ هو المعروف  
الصحيح » .  
(٦) الودع: خرز أبيض يخرج من البحر؛ معروف .  
(٧) في حاشيتي ت، ف: « يقال: إن ما بعد العشر موضوع لم يرو عن قدماء العرب » .  
(٨) في نسخة بحاشيتي ت، ف: « مونق البشر » .  
(٩) حاشية ف: « أسمى مدجنات السحاب؛ التقدير: السحاب المدجنات؛ وهذا من باب ما يقال  
له إضافة الصفة إلى الموصوف في الظاهر؛ كقول: مرت بحسان النساء، وجسام الرجال؛ أي النساء الحسنات  
والرجال الأجسام » .  
(١٠) ت، ف، وحاشية الأصل (من نسخة): « مضى السحاب » .

قيل له: ما أنت <sup>(١)</sup> ابن ست عشرة؟ قال: ناقص <sup>(٢)</sup> الخلق، بالغرب والشرق. قيل له: ما أنت ابن سبع عشرة؟ قال: أمكنت المقتفر القفرة <sup>(٣)</sup>. قيل له: ما أنت ابن ثمان عشرة <sup>(٤)</sup>؟ قال: قليل البقاء، سريع الفناء. قيل له: ما أنت ابن تسع عشرة؟ قال: بطيء <sup>[٢٧]</sup> الطلوع / بين الخشوع. قيل: ما أنت ابن عشرين؟ قال: أطلع بسجرة، وأضى بالبهرة <sup>(٥)</sup> - وقيل: ثم أهجر <sup>(٦)</sup> بالبهرة - قيل: ما أنت ابن إحدى وعشرين؟ قال: كالقبس؛ يرى بالغلس. قيل: ما أنت ابن اثنين وعشرين؟ قال: لا أطلع إلا ريثما أرى. قيل: ما أنت ابن ثلاث وعشرين، قال: أطلع في قُتمة، ولا أجلو الظلُمة. قيل له: ما أنت ابن أربع وعشرين؟ قال: لا قر ولا هلال. قيل: ما أنت ابن خمس وعشرين؟ قال: دنا الأجل، وانقطع الأمل. قيل: ما أنت ابن ست وعشرين؟ ١٠ قال: دنا مادنا؛ فلا يرى مني إلا شفا. قيل: ما أنت ابن سبع وعشرين؟ قال: أطلع بكراً، ولا أرى ظهرا. قيل: ما أنت ابن ثمان وعشرين؟ قال: أسبق شعاع الشمس. قيل: ما أنت ابن تسع وعشرين؟ قال: ضئيل صغير، فلا يراني إلا البصير. قيل: ما أنت ابن ثلاثين؟ قال: هلال مُستَئير <sup>(٧)</sup>.

قال الأصمى: ثم قلت للرشد: يقال إنه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال إلا عاقل،

(١) ت، ف: «قيل ما أنت». (٢) م: «ناقص الخلق».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «المقفرة».

(٤) في نسخة حاشيتي الأصل، ف: «ثمان عشرة».

(٥) في حاشيتي الأصل، ف «البهرة: نصف الليل؛ يقال إبهار الليل؛ إذا انتصف، وبهرة كل شيء وسطه». س: «البهرة البهرة: الوسط من كل شيء، وكأنه إشارة إلى نصف النهار؛ ويدل عليه ذكر التهجير؛ والله أعلم».

(٦) في حاشيتي الأصل، ف: «معنى قوله: «أهجر بالبهرة»، أي أطلع نصف الليل، واستعمل الهجير؛ وهو نصف النهار في الليل استعارة».

(٧) ف، وحاشية ت (من نسخة): «مستسر»، وفي نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «مستسر»، وفي حاشية

ف: «مستسر، من السرار؛ وهو آخر الشهر». وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة): «مستين».

فقال : خذه علىّ ، قلت : هاتِ ، فأعاده حتّى بَلَغَ : « قيل له : ما أنت ابن ثمان ؟ قال : قرأ أُضْحِيان » .

- أما قوله : « رَضاعُ سُخَيْلَةٍ » أراد تصغيرَ سَخْلَةٍ ، والمعنى أن القمرَ يَبْقَى بقدر ما ينزل قوم ، فتَضَعُ شائهم سَخْلَةً ، ثم تُرَضِعُها ويرتحلون ، فبقاؤه بالأفق بمقدار هذا الزمان . وقوله : « حَلَّ أَهْلُهَا بِرُمَيْلَةٍ » أظنّ أن المعنى فيه الإخبارُ عن قلة اللَّبَّاث وسرعة الانتقال ؛ لأن الرَّمَلَ ليس بمنزل مُقام للقوم ؛ لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جَلَدَ<sup>(١)</sup> الأرضِ وهَضْبَها والأما كنّ التي لا تستولى السيولُ عليها ، فَخَصَّ الرُّمَيْلَةَ لهذا المعنى . وقوله « حديثُ أُمْتَيْنِ ، بكذبٍ ومِثْنٍ » يريد أن بقاءه قليل بمقدار ما تَنَقَّى الأُمَّةُ الأُمَّة ، فتَكْذِبُ لها حديثاً ثم تَفْتَرِ قان . وقوله : « حديثُ فُتَيَاتٍ ، غيرِ جِدٍّ مؤتلفات » ، أراد أنه يَبْقَى بقاء فُتَيَاتٍ اجتمعن على غير ميعاد ، فتحدثن ساعة ثم انصرفن غيرَ مؤتلفات . وقوله « عَتَمَةُ أُمِّ رُبْعٍ<sup>(٢)</sup> » ، يقال : عَتَمَتْ إبْلَهُ ١٠ إذا تأخرتُ عن العشاء ، ومن هذا سَمِّيَتْ صلاة العَتَمَةِ ؛ لأنها آخرُ الوقت في العِشاء ، وقوله « أُمُّ رُبْعٍ » يعنى الناقة ، وهو تأخير حَلْبِها ؛ يريد أن بقاءه بمقدار ما تُحَلَبُ<sup>(٣)</sup> ناقة لها ولد ولدته في أول الربيع ؛ وهو أول النَّتاج ، والولد في هذا الوقت يُسَمَّى رُبْعاً ، إذا كان ذكراً ، [ ٢٧ ط ] فإن كان أنثى قيل رُبْعَةٌ ، فإن كان في آخر النَّتاج قيل هُبْعٌ للذكر وللأنثى هُبْعَةٌ . وقوله : « عِشَاءُ خَلِيفَاتٍ قُعْسٍ » ؛ فالخَلِيفَاتُ اللواتي قد استبان حمْلُهن ، واحدها خَلِيفَةٌ ، وهى المخاض ؛ ١٥ ولأواحد للمخاض من لفظها<sup>(٤)</sup> ، وإنما قال : « عِشَاءُ خَلِيفَاتٍ » ؛ لأنها لا تُعَشَّى إلى أن يغيب القمر في هذه الليلة ، والقُعْسَاءُ الداخلة الظَّهَرُ الخارجة البطن . وقوله : « سِرٌّ وَبَتْ » يريد أنه لا يبقى إلا بقدر<sup>(٥)</sup> ما يبيت الإنسان ثم يسير<sup>(٥)</sup> ، يريد أنه يبقى بقدر ما يسير الإنسان ثم يبيت ،

(١) الجلد من الأرض : الصلب المستوى .

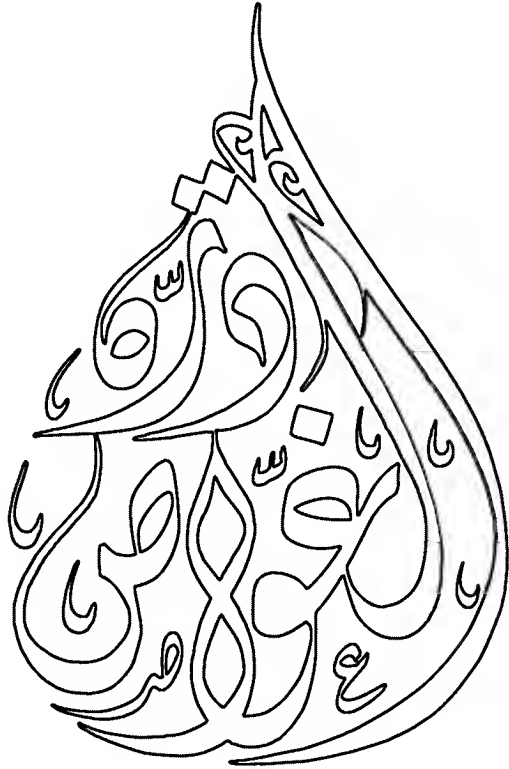
(٢) ط ، م : « أُمُّ الرُّبْعِ » . (٣) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « حلب ناقة » .

(٤) كذا في ش ، وفي ج : « لفظه » .

(٥-٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ما الإنسان ثم يسير يبيت » .

فقلب المعنى لأنه يسير في الضوء .

وقوله : « قرّ إضحيانٌ » ؛ أى ضاحٍ وبارز ، ويقال : « قرّ إضحيانٌ » بالتنوين فيهما  
جميعاً ، و « قرّ إضحيانٌ » بالإضافة ، ومنه قيل : ليلة إضحيانة ، إذا كانت نقيّة البياض .  
وقوله : « منقطع الشّسع » ، أراد أنه يبقى بقدر ما تبقى شسع من قدّ يمشى به حتى ينقطع .  
وقوله : « يلتقط فيّ الجزع » ، أى أنه مضى أبلج ، لو انقطعت مِخْنَقَة فتاة فيها شدورٌ  
مفصلة بجزع ماضع منها شيء لضياؤه ونقائه . وقوله : « أضيء بالهرة » ، يعنى به وسط  
الليل ، لأن هرة الشئ وسطه . وقوله : « أمكنت المفتفر القفرة » ؛ فالمفتفر الذى يتبع  
الآثار ، ومفتفراته مواضعه التى يقصدها <sup>(١)</sup> .



(١) فى نسخة بمحاشينى الأصل ، ت : « وقفرته : موضعه الذى يقصده » .

## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ [الإسراء: ٧٢] فقال: كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عمياً ، وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه وآله السلام بأن الخلق يُحْشَرُونَ كما بُدِئُوا سالِمين من الآفات والمآهات ، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾؛ [الأعراف : ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾؛ [الأنبياء : ١٠٤]، وقال جل وعلا: ﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾؛ [ف : ٢٢] . ٥

الجواب ، يقال في هذه الآية أربعة أجوبة<sup>(١)</sup>:

أحدها أن يكون العمى الأول إنما هو عن تأمل الآيات ، والنظر في الدلالات والمعبر التي أراها الله المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ، ويكون العمى الثاني هو عن الإيمان بالآخرة ، والإقرار / بما يُجَازَى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب ، وقد قال قوم: [٢٨] إن الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ [الإسراء : ٦٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾؛ [الإسراء : ٧]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ يعني<sup>(٢)</sup> في هذه النعم ، وعن هذه المعبر ، فهو في الآخرة أعمى ؛ أي هو عَمَّا غِيبَ عنه من أمر الآخرة أعمى ، ويكون قوله: ﴿فِي هَذِهِ﴾ كناية عن النعم ١٥ لاعتناء الدنيا ويقال : إن ابن عباس رحمه الله عليه سأله سائل عن هذه الآية فقال له: اتل ما قبلها، ونهه على التأويل الذي ذكرناه .

(١) م : د أوجه . . (٢) د ، ف ، حاشية ت ( من نسخة ) : د يعني عن هذه النعم . .

والجواب الثاني: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ يعنى الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الإيمان بالله والمعرفة بما أوجب عليه المعرفة به ؛ فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب ؛ بمعنى أنه لا يهتدى إلى طريقتهما<sup>(١)</sup> ، ولا يوصل إليهما ، أو عن الحجة<sup>(٢)</sup> إذا سئل<sup>(٣)</sup> ووقف ، ومعلوم أن مَنْ ضلّ عن معرفة الله تعالى والإيمان به يكون في القيامة منقطع الحجة ، مفقود المعاذير .

٥. والجواب الثالث: أن يكون العمى الأول عن المعرفة والإيمان ، والثاني بمعنى المبالغة في الإخبار عن عِظَم ما يناله<sup>(٤)</sup> هؤلاء الكفار الجهال من الخوف والغم والحزن الذى أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ؛ [يونس : ٦٢] ، ومن عادة العرب أن تُسمّى مَنْ اشتدَّ همُّه وقوى حزنه أعمى سخين العين ، ويصفون المسرور بأنه قير<sup>(٥)</sup> العين ، قال الله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ؛ [السجدة : ١٧] .

والجواب الرابع: أن العمى الأول يكون<sup>(٦)</sup> عن الإيمان ، والثاني هو الآفة في العين على سبيل العقوبة ؛ كما قال الله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ؛ [طه : ١٢٤ - ١٢٦] . ومن يُجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَهُ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ على أن المعنى / فيه الإخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الإعادة ؛ كما أنها معدومة في الابتداء ، ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ﴾<sup>(٧)</sup> عليه ؛ [الروم : ٢٧] ، ويتأول قوله تعالى ﴿فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ على أن معناه الإخبار عن قوة المعرفة ، وأن الجاهل بالله في الدنيا يكون عارفا به في الآخرة ؛ والعرب

(١) ت ، ف : « طريقتهما » . (٢) ت ، ف : « يفقد الحجة » . حاشية الأصل من نسخة :

« لفقد الحجة » . (٣) ت ، حاشية ف ( من نسخة ) : « سئل ووقف » .

(٤) في نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « ما ينال » . (٥) ت ، د ، ف : « أنه » .

(٦) ساقطة من ف . (٧) حاشية ف : « أهون هاهنا بمعنى الهين ، وإن حمل على المبالغة فهو

على مجاز كلام العرب » .

تقول: فلان بصير بهذا الأمر؛ وزيد أبصر بكذا من عمرو، ولا يريدون إِبْصَارَ العين، بل العلم والمعرفة؛ ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، أى: كُنْتُمْ غَافِلِينَ أَنْتَ الْآنَ عَارِفٌ بِهِ، فلما أَنْ كَشَفْنَا عَنْكَ الْغِطَاءَ بَانَ أَعْلَمُنَاكَ وَفَعَلْنَا فِي قَلْبِكَ الْمَعْرِفَةَ عَرَفْتَ وَعَلِمْتَ.

فأما الخبر الذى تُدْعَى روايته فهو خبر واحد، ولا حجة<sup>(١)</sup> فى مثله؛ وإذا عرف لفظه هـ ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب، وَمَنْ<sup>(٢)</sup> ذهب إلى الأجوبة الأولى يجعل العمى الأول والثانى معاً غير الآفة فى العين، فإن عورض بقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(٣)</sup> تأوله على العمى عن الثواب أو عن الحجة، وقال فى قوله تعالى: ﴿لِمَ حَشَرْتُ نَسِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ إن معناه: كُنْتُ بصيراً فى اعتقادى وظنى، من حيث كُنْتُ أرجو الهداية إلى الثواب وطريق الجنة.

١٠

والحاصل من هذه الجملة أنه لا يجوز أن يُراد بالعمى الأول والثانى جميعاً الآفة فى العين؛ لأنه يؤدى إلى أن كلَّ مَنْ كان مثوف<sup>(٤)</sup> البصر فى الدنيا؛ من مؤمن وكافر وطائع وعاصٍ يكون كذلك فى الآخرة، وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظة ﴿أَعْمَى﴾ الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان، ويبطله أيضاً أن العمى الذى هو الخِلَاقَةُ لا يُتَعَجَّبُ منه بلفظة «أفعل» وإنما يقال: ما أشدَّ عماء! ولا يجوز أن يُراد بالعمى الأول العين<sup>(٥)</sup> والثانى العمى عن الثواب ١٥ والجنة أو الحجة، لأننا نعلم أن فيمن<sup>(٦)</sup> عميت عينه فى الدنيا مَنْ يستحق الثواب، ويوصل إليه، ولا يجوز أن يراد بالأول والثانى العمى عن المعرفة والإيمان، لا على طريقة<sup>(٧)</sup> المبالغة والتعجب / ولا على غير ذلك؛ لأننا نعلم أن الجهال بالله تعالى، المعرضين فى الدنيا عن معرفته [ ٢٩ ] و

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة): «واحد لاجبة». (٢) فى نسخة بحاشيتى ت،

ف: «يذهب». (٣) فى حاشيتى ت، ف: «روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله: يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة. وفى حديث آخر: غرلا؛ والأغزل: الأكلف؛ ورواه غيره: أن ناسى القرآن يحشر يوم القيامة أعمى». (٤) المثوف: الذى أصابته الآفة، وفى م: «مكفوف». (٥) ف، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عمى العين»

(٦) ت، حاشية ف (من نسخة): «فمن». (٧) حاشية ت (من نسخة): «طريق».

لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك ؛ فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية ، يشترك فيها جميع الناس ، فلم يبق بعد الذي أبطلناه إلا ما دخل في الأجوبة . وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه ؛ لأن عمى القلب وضلاله يتمتع منه بلفظة « أفعل » وإن لم يجز ذلك في

٥ عمى الجارحة

ولن أجب بالجواب الرابع ألا يجعل قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ لفظه تعجب ، بل يجعله إخباراً عن عماءه من غير تعجب ، وإن عطف عليه بقوله تعالى : ﴿ وَأَضْلَ سَبِيلًا ﴾ ويكون تقدير الكلام : ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل سبيلاً<sup>(١)</sup> .

- ١٠ فإن قيل : ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة « أفعل » ؟ . قلنا : قد قال النحويون في ذلك : إن الألوان والعيوب لا يتمتع منها بلفظ التعجب وإنما يعدل فيها إلى أشد وأظهر وما جرى مجراها ؛ قالوا : لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء ، وصارت خِلقة كاليد والرجل ونحو ذلك ؛ فلا يقال : ما أسوده وما أعوره ، كما لا يقال : ما أيده<sup>(٢)</sup> وما أرجله ؛ ويقال : ما أشد سواده ! كما يقال : ما أشد يده ورجله ! واعتلوا بعلّة أخرى ، قالوا : إن الفعل من الألوان والعيوب على « افعل » و « افعال » ، نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ<sup>(٣)</sup> ، والتعجب لا يدخل فيما<sup>(٤)</sup> زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ؛ ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودخرج لزيادته على ثلاثة أحرف<sup>(٥)</sup> ؟

(١) حاشية ت ، ف : « لو ذكر رحمه الله المبالغة في الموضعين لكان صواباً ، لأن أفعل في التعجب فعل ؛ وهو ما هنا اسم كالمبالغة ؛ أولاً ترى أنا نقول في التعجب « ما أحسن » والتقدير : شيء أحسنه » .  
(٢) في حاشيتي ت ، ف : « إنما يبنى التعجب من الأفعال دون الأسماء واليد والرجل أسماء » .  
(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « على ما زاد » ،

(٤) حاشية ف : « إنما امتنعت صورة التعجب في الرباعي ؛ لأن فعل التعجب يكون أبداً رباعياً أحرف ؛ أحدها الب النقل والثاني الفعل ؛ فإذا أدخلت على الرباعي لم يكن بد من طرح أحد الحروف ولا يمكن ذلك لأن كلها أصول فعلاها ؛ إذ التعجب يختص الثلاثي لغسب » .



فإن قيل لهم فقد قالوا : عَوِرتُ عينُهُ وحوِلتُ ، قالوا : هذا منقول من «أفعل» وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف ، يدلّ على ذلك صحة الواو فيه ؛ كما صحت في اسودّ وبيضّ ولولا أنه منقول منه لاعتلت الواو ، فقلت : عارتُ وحالتُ ، كما قيل : خاف وهاب .

وحكى عن الفراء في ذلك جوابان : أحدهما أنّ «أفعل» في التعجب فيه زيادة على وصف قبله إذا قال القائل أفضل وأجمل ، فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ، فلم يقولوا : ما أبيض ه زيدا ! لئلا يسقط / التزيد<sup>(١)</sup> ، ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه ، يخالف لفظه [ ٢٩ ] لفظه ؛ كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا ، فلما فاتهم في أبيض وأحمر علّم التزيد<sup>(٢)</sup> أدخلوا عليه ما تبين الزيادة فيه ، وقالوا : ما أظهر حمرة زيد : وما أشد سواد عمرو ! لأن «أظهر» زيد على ظاهره ، و«أشد» زيد على شديد<sup>(٣)</sup> .

والجواب الآخر أنّ التعجب مبنى على زيادة فصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي ، فقالوا : ما أعلم زيدا ! ليدلّوا على زيادة علمه ؛ لأنهم في قولهم : عالم وعليم لم يبلغوا في التناهي مبلغ «أعلم» ، ولم يقولوا : ما أبيض زيدا ! لأن البياض لا تأتي<sup>(٤)</sup> منه زيادة بعد نقص ، فعدلوا إلى التعجب بأشدّ وأبين وما جرى مجراها ، وهذا الجواب ليس بسديد ؛ لأنّ الألوان قد تتأتّى فيها الزيادة بعد نقص ، وقد تدخل فيها المفاضلة ، ألا ترى أنّ ما حلّه قليل أجزاء البياض يكون أخصّ حالا في البياض مما حلّه الكثير من الأجزاء !

١٥ والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب ، وإن كان ما قدمناه عن البصريين هو المتمد<sup>(٥)</sup> وقد أنشد بعضهم ممترضا على ما ذكرناه قول الشاعر :

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « التزايد » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « المزيد » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « متقرر في علم الأصول أن السواد لا يكون أزيد في كونه سواداً من سواد آخر ؛ وإنما تتكاثر الأجزاء ، فيقال : هذا أشد سواد من ذلك » .

(٤) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تتأتى » .

(٥) حاشية ف : « قال ابن الشجري : هذان الوجهان متقاربان ، والسيد يفضل الأول ، ولا أدرى ما بينهما ، إلا أن الأول اعتبار باللفظ والثاني اعتبار بالمعنى » ، وفي حاشية ت : « الجواب الأول مشتمل على نفي المبالغة في أبيض ، والملة ألا يسقط التزيد ، ، والجواب الثاني مشتمل على طرف من ذلك الجواب ؛ إلا أنه يقول إنما لا يمال أبيض على طريق المبالغة ؛ لأن التزايد في البياض لا يتأتى » .

يَا لَيْتَنِي مِثْلُكَ فِي الْبَيَاضِ أبيضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضٍ<sup>(١)</sup>  
وَأُنْشِدُوا أَيْضاً قول الشاعر<sup>(٢)</sup> :

أَمَّا الْمُدُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمُّهُمُ لَوْ مَّا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالُ طَبَّاحٍ  
فأما البيت الأول فإن أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ ، وقال : إن الشاذ النادر لا يطعن  
في المعمول عليه ، والمتفق على صحته ، ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك ، وقد  
قيل في البيت الثاني إن أبيض فيه ليس هو الذي للمفاضلة ، وإنما هو أفعِل الذي مؤنثه فعلا ،  
كقولك أبيض وبيضاء ؛ ويجري ذلك بحرى قولهم هو حسن<sup>(٣)</sup> القوم وجهاً ، وشریفهم<sup>(٤)</sup>  
خلقاً ؛ فكان الشاعر قال :<sup>(٥)</sup> ومبيضهم ، فلما أضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم ، وهذا  
أحسن من حمله على الشذوذ<sup>(٥)</sup> .

١٠ ويمكن فيه وجه آخر وهو أن أبيض في البيت وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون  
[ ٣٠ ] فهو في المعنى / كناية عن اللؤم والبخل ، فحمل لفظُ التعجب على المعنى دون اللفظ ،

(١) البيت في اللسان ( بيض ) ، وروايته فيه :

جَارِيَةٌ فِي دِرْعِهَا الْفَضْفَاضِ أبيضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضِ

وفي حاشية ف : « أبيض ، بالرفع على تقدير : أنت أبيض ، وبالفتح على أنه حال من أنا أو أنت  
وإياض : اسم رجل » .

(٢) في حاشيتي ت ؛ « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : هو اخرفة ؛ وإنما أراد ذمه بقلة الفرى  
في بيته ، فطباخه نقي الثوب » .

والبيت في ديوانه : ١٥ ، وروايته فيه :

إِنْ قَلْتَ نَصْرٌ فَنَصْرُهُ كَانَ شَرَفَتِي قَدِمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالُ طَبَّاحٍ

وهو أيضاً في اللسان ( بيض ) ، وروايته فيه :

إِذَا الرِّجَالُ اسْتَوَوْا وَاسْتَدَّ أَكْثَرُهُمْ فَأَنْتَ أَبْيَضُهُمْ سِرْبَالُ طَبَّاحٍ

(٣-٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « هو أحسن القوم وجهاً وأشرفهم خلقاً » .

(٤) حاشية ف : « مبيضهم ؛ أى أبيضهم ، لا بمعنى المبالغة » .

(٥) حاشية ف : « تحقيق ما قدره السيد أن يكون أبيضهم سربال طباح » ليس معناه التعجب  
والمعنى مبيضهم سربال طباح ، ويؤول المعنى إلى أن سربال طباحه أبيض لحسب ولا يعنى أنه أشد بياضاً من  
سربال غيره » .

ولو أراد بأبيضهم بياض الثوب وتقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة «أفعل» ، فالذى جَوَزَ تعجُّبه بهذه اللفظة ما ذكرناه .

فأما قول المتنبي :

أَبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَأَبْيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ<sup>(١)</sup>

فقد قيل فيه إن قوله : «لأنت أسود في عيني» كلام تام ، ثم قال : «من الظلم» أى من جملة الظلم؛ كما يقال: حرٌّ من أحرار<sup>(٢)</sup>، ولثيم من لثام ؛ أى من مُجَلَّتِهِمْ ، وقال الشاعر<sup>(٣)</sup> :  
وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَا كَرُهُ  
كأنه قال: وأبيض كائن من ماء الحديد ، وقوله : « من ماء الحديد » وصف لأبيض ، وليس يتصل به كاتصال « من » بأفضل في قولك : هو أفضل من زيد ، ولفظة « من » في بيت المتنبي مرفوعة الموضع ، لأنها وُصِفَ لَأَسْوَدُ ؛ وإذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة ١٠ الموضع بأسود<sup>(٤)</sup> كما تقول زيد خير منك ، فمنك في موضع نصب بخير ، كأنه قال : قد خارك بخيرك ، أى فضلك في الخير؛ وهذا التأويل المذكور في بيت المتنبي يمكن أن يقال في قول الشاعر :

\* أبيضُ من أختِ بنى إِباضِ \*

ويحمل على أنه أراد من جملة ومن قومها ، ولم يرد التعجب وتأوله على هذا الوجه أولى ١٥ من تحمله على الشذوذ ، فأما قول المتنبي :

\* أَبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَأَبْيَاضَ لَهُ \*

(١) ديوانه ٤ : ٣٥ ؛ وهو يخاطب الشيب ، وقوله

ضَيْفُ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ وَالسَّيْفُ أَصْدَقُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللَّمَمِ

(٢) ش ، ف ، وحاشية ت ( من نسخة ) : « حر من الأحرار ولثيم من اللثام » .

(٣) البيت في شرح العكبرى لبیت المتنبي ، أورده من غير عزو .

(٤) حاشية ف : « إذا قلت زيد أضرب من عمرو كان الجار مع المجرور في موضع نصب على المفعول

من حال الجار والمجرور ؛ لأنه على تقدير : غالب زيد عمرا في الضرب فقلبه ؛ فيكون إذا « من عمرو » في موضع نصب ؛ لأنه في معنى المفعول على ما ذكرنا » .

فالعلمى الظاهر للناس فيه أنه أراد: لا ضياء له ولا نور ولا إشراق، من حيث كان  
حُلُولُهُ محزنا مؤذنا بتقضى الأجل؛ وهذا كعمري معنى ظاهر؛ إلا أنه يمكن فيه معنى آخر؛  
وهو أنه يريد إنك بياض لا لون بعده، لأن البياض آخر ألوان الشعر، فجعل قوله:  
« لا بياض له » بمنزلة قوله: لا لون بعده، وإنما سَوَّغَ ذلك له أن البياض هو الآتى بعد  
السواد، فلما نفى أن يكون للشيب بياض كان نفياً لأن يكون بعده لون.

٥١

وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ﴾  
[٣٠] / فَهَوَىٰ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ، فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو بفتح الميمين معا، وقرأ عاصم  
في رواية أبي بكر وحمة والكسائي بكسر الميم فيهما معا<sup>(١)</sup>، وفي رواية حفص عن عاصم:  
لا يكسرها، وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة: ولكل وجه، أما مَنْ ترك إمالة الجميع؛  
١٠ فإن قوله حسن، لأن كثيراً من العرب لا يميلون هذه الفتحة، وأما مَنْ أمال الجميع فوجه  
قوله أن ينحو بالألف نحو الياء، ليعلم أنها تنقلب إلى الياء<sup>(٢)</sup>، وأما قراءة أبي عمرو بإمالة الأولى  
وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعَل من كذا مثل أفضل من فلان، وإذا جعلها  
كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة؛ لأن آخرها إنما هو من كذا، وإنما تحسن الإمالة في  
الأواخر، وقد حذف من «أفعَل» الذى هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا، وهما رادان في المعنى  
١٥ مع الحذف، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَمْلِكُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾؛ [طه: ٧]، المعنى  
وأخفى من السر، فكذلك قوله تعالى: ﴿فَهَوَىٰ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾، أى أعمى منه في الدنيا  
أو أعمى من غيره، ويقوى هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾  
فكما أن هذا لا يكون إلا على «أفعَل من كذا» كذلك المعطوف عليه.

(١) ت، ونسخة بحاشيتي ت، ف: «جميعا».

(٢) في حاشيتي الأصل، ف: «على هذا الوجه لا تميل بحال؛ إلا إذا كانت الكلمة من بنات

الياء؛ فأما إذا لم تسكن من بنات الياء فلا تميل، والأعمى أصله عمى، فهو إذاً من بنات الياء».

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « تَقَى ۖ الأرضُ أفلاذَ كَبِيدِها مثلَ الأسطُوان من الذَّهَبِ والفضة ، فيجى ۖ القاتِلُ فيقول في مثل هذا : قتلْتُ ، ويجى ۖ القاطعُ الرَّحِمِ <sup>(١)</sup> فيقول في مثل هذا : قطعْتُ رَحِمِي ، ويجى ۖ السارقُ فيقول في مثل هذا : قَطَعْتُ يَدِي ، ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً » .

- معنى « تَقَى ۖ » أى تخرج ما فيها من الذهب والفضة ، وذلك من علامات قُرْبِ الساعة ، وقوله : « تَقَى ۖ » تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجا وإظهاراً ؛ وكذلك تسميته <sup>(٢)</sup> مافى الأرض من الكنوز « كِيداً » تشبيهاً <sup>(٣)</sup> بالكبد التى فى بطن البعير وغيره ؛ وللعرب فى هذا مذهب معروف ؛ قال مُرَّة بن مُحْكَن <sup>(٤)</sup> السَّعْدِيُّ يصف قِدْراً نصَّها للأضياف :
- لها أَرِيزٌ يُزِيلُ اللحمَ أَرْمَلُهُ عَنِ العِظَامِ إِذَا مَا اسْتَحْمَشَتْ غَضَباً <sup>(٥)</sup>  
/ تَرْمِي الصَّلَاةَ بِنَبْلٍ غَيْرِ طَائِشَةٍ وَفَقاً إِذَا آنَسَتْ مِنْ تَحْتِهَا لَهَباً <sup>(٦)</sup> [ ٣١ ]
- فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ، فأما الأريز فهو الغليان ، والعرب تقول : لجوفه أريزٌ مثل أريز الرجل ، والأرملُ : الصوت ، واستحْمَشَتْ ، أى غضبت ؛ يقال : حمَّشه أى أغضبه ، وقال النابغة الجعديّ فى معنى الاستعارة :

(١) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « للرحم » .

(٢) د ، وحاشية ت ( من نسخة ) : « تسمية » .

(٣) ش ، ونسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « تشبيه » .

(٤) ضبط بالقلم فى ت بفتح الميم ، وفى ف بالفتح والكسر معا .

(٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « استحْمَشَتْ » ، بالبناء للجهول وفى حاشيتي ت ، ف « أحشت

الرجل وحشته ؛ أى أغضبته فاحتمش واستحْمَشَ ، والحشة الاسم كالحشة ؛ واحتمش الديكان : اقتتلا . وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قبله :

نَصَبْتُ قِدْرِي لَهُمْ وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ مِنْ الصَّيِّعِ مَلَاءً جِدَّةً قُسْباً

— ملاء : جمع ملاءة ، قسبا : جمع قشيب ؛ وهو الجديد » .

(٦) فى حاشيتي الأصل ، ف : « الصلاة : جمع صال . غير طائشة : غير مخضعة . وفقاً ، أى رميا وفقاً ؛ شبه

ما ترى به النار من ثقيانها بالنبل ؛ أى كلما اشتدت النار تحت القدر اشتد غليها بقدر اشتداد انار تحتها » .

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرَ عَلَيْهِمْ وَأَكَلُوا<sup>(١)</sup>  
فوصف الدهر بالأكل والشرب تشبيها واستعارة . وقال قوم : معنى البيت شرب  
أهل الدهر بعدهم وأكلوا .

واختلف أهل اللغة في الأفلاذ ، فقال يعقوب بن السكيت : الفلذ لا يكون إلا للبعير ،  
وهو قطعة من كبده<sup>(٢)</sup> ، ولا يقال فلذ الشاة ، ولا فلذ البقرة ، ويقال : أعطني فلذاً من  
الكبد ، وفلذاً من الكبد ، قال أعشى باهلة :

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلِذَا إِنَّ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ الْغَمَرُ<sup>(٣)</sup>

الغمر : القدح الصغير ؛ وقال يعقوب : ولا يقال : أعطني حُرَّةً من سنام ولا من لحم ،  
وإنما الحُرَّة في الكبد خاصة ؛ فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا : أعطني<sup>(٤)</sup> حَذِيَّةً  
١٠ من لحم ؛ وهي القطعة الصغيرة ، وفِلَقَةٌ من سنام ، وقال الطوسي<sup>(٥)</sup> عن أبي عبيد عن  
الأصمعي قال : يقال : أعطني حَذِيَّةً<sup>(٦)</sup> من لحم ، وحُرَّةً من لحم ؛ إذا كانت مقطوعة طولاً ،  
فإذا كانت مجتمعة قلت : أعطني بَضْعَةً من لحم ، وهَبْرَةً من لحم ، ووَذْرَةً من لحم .

ومثل هذا الحديث قوله : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [ انزلال : ٢ ] . معناه  
أخرجت ما فيها من الكنوز ، وقال قوم : عني به الموتى ، وأنها أخرجت موتاها ، فسمي

(١) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « بأناس » .

(٢) حاشية الأصل : « ذكر ابن الشجري : الفلذ كبد البعير خاصة ؛ وليس بقطعة من الكبد ؛  
وكذا ذكره ابن السكيت » . (٣) من قصيدة له يرثي بها المنتشر بن وهب الوائلي ، أولها :

إِنِّي أَتَيْتُ بِشَيْءٍ لَا أُسْرُ بِهِ مِنْ عُلُوٍّ لَا عَجَبُ فِيهِ وَلَا سَخَرُ

وهي في (أمالى اليزيدي ١٣ - ١٨ ، وجهرة الشعر ٢٨٠ - ٢٨٣ ، والأصمعيات ٣٢ ، ٣٥ ،  
والسكامل - بشرح المرصني ٨ : ٢١١ - ٢١٢ ) ويذكرها المؤلف فيما بعد .

(٤) ش ، س : « حذية » ؛ بضم الحاء وكسرها .

(٥) حاشية ت : « أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي » .

(٦) كذا ضبط بالقلم في الأصل ، ت ، ف ، وفي الحواشي : « المعروف : الحذية ، بالكسر ؛ وهي  
القطعة من اللحم على الطول . والحذوة ( مثلة الحاء ) : العطية » .

تعالى الموتى ثِقَلًا<sup>(١)</sup> تشبيها بالحمل الذى يكون فى البطن ، لأن الحمل يسمى ثِقَلًا ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ ؛ [ الأعراف : ١٨٩ ] . والعرب تقول : إن للسيد الشجاع ثِقَلًا على الأرض ، فإذا مات سقط عنها بموته ثِقَلٌ ، قالت الخنساء تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا : أَمْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا<sup>(٢)</sup>

معناه أنه لما مات حلَّ عنها بموته ثِقَلٌ لسؤدده<sup>(٣)</sup> وشرفه ، وقال قوم : معنى « حَلَّتْ » [ ٣١ ] ظ  
زَيَّنَتْ مَوَاتَهَا بِهِ ، وهو مأخوذ من الحِلْيَةِ ؛ وقال الشَّمرُ دلَّ اليربوعى يَرَى أَخَاهُ : وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالَهَا الْأَرْضُ وَأَنْتَهَى لِمَثْوَاهُ مِنْهَا وَهُوَ عَفٌّ شَمَائِلُهُ<sup>(٤)</sup>

وروى هشام بن المنذر<sup>(٥)</sup> قال : قال زهير بن أبى سلمى المُرْنِىَّ بَيْتًا ثُمَّ أَكْدَى ، ومِرَّ به النابغة الذبيانيّ فقال له : يَا أَبَا أُمَامَةَ ، أَجِزْ ، قال : ماذا ؟ قال :

نَزَالُ الْأَرْضُ إِمَامًا خِفًا وَتَحْيَا مَاحِيَتَ بِهَا ثَقِيلًا<sup>(٦)</sup>  
نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا . . . . .

فماذا قال ؟ فأكدى والله النابغة أيضا ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له

(١) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أَثْقَالًا » .

(٢) ديوانها ٢٠١ .

(٣) ت ، ج ، ف : « بسؤدده » .

(٤) البيت من قصيدة مذكورة (فى أمالى اليزيدى ٣٢ - ٣٤ ، والأذغانى ١٢ : ١١٣ - ١١٤ ، وأبيات منها فى ابن أبى الحديد ٤ : ٣٨٣ ، وحماسة ابن الشجرى ٨٣ ) وفى حاشيتى الأصل ، ف : شمائله : أخلاقه ، والواحد شمال ، بالكسر ، قال الشاعر :

\* وَمَا لَوْمِى أَخِي مِنْ شِمَالِيَا \*

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « نسخة ابن قدامة : وروى أبو المنذر همام بن محمد بن السائب قال قال زهير . » والذى فى الأصل يوافق ش ، س . وفى م : « أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب » .

(٦) ت ، د ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « تراك » ، وفى حاشيتى الأصل ، ت : « يقول : لمن مت صارت الأرض خفيفة بموتك ، وإن تحيا بقيت ثقلة » .

أبوه : أجز يا بُنيّ ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ، ومن الثانى قوله : « بِسْتَقَرَّ العزّ منها » ؛ فقال كعب :

\* فتمنعُ جارِئِها أن يَزُولَا \*

فقال زهير : أنت والله ابنى .

• وإنما خصّ الكَبيد من بين ما يشتمل عليه البطن ، لأنه من أطايب الجزور ، والمغرب تقول : أطايب الجزور : السنام ، والملاح<sup>(١)</sup> ، والكبيد .

\*\*\*

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ، أدام الله علوه : وإنى لأستحسن قول الخنساء<sup>(٢)</sup> ، وقد قيل لها : ما مدحت أخاك حتى هجّنت<sup>(٣)</sup> أباك ، فقالت :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً الْحُضْرِ<sup>(٤)</sup>  
حَتَّى إِذَا نَزَتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ لَزَّتْ هُنَاكَ الْعَذْرُ بِالْعَذْرِ<sup>(٥)</sup>  
وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا ؟ قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرِ  
بَرَزَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوائِهِ يَمْجُرَى  
أَوَّلَى فَأَوَّلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكُبَرِ  
وَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّآ إِلَى وَكْرِ

١٠

(١) الملحاء : وسط الظهر ؛ ما بين الكاهل إلى العجز .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كانت الخنساء كثيرة المدح لأخيها ، فقيل لها : قد فضله على أهلك ، فقالت هذه الأبيات » . وهى فى (زهر الآداب) ٤ : ٦٧ وسحاسة ابن الشجرى ١٠٤ ، والبيت الأول فى خزانة الأدب ٣ : ٢٧٧ .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « هجوت » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « وروى : ما أبنت أخاك حتى هجنت أباك » .

(٤) فى حاشيتي الأصل ، ف : « بارى أباه ، تعنى أخاها ، ويتعاوران : يتداولان ، والحضر العدو » .

(٥) فى حاشيتي الأصل ، ف : « نزت : ارتفعت ، ولزت : لصقت ، يعنى : حتى تحرك قلوب النظارة ، والعذر : جرم العذار ؛ يعنى عذارى فرسيهما فى التسابق ؛ وهو استعارة » .



ويقال : إنه قيل لأبي عُبَيْدة : ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء ، فقال أبو عُبَيْدة : العامة أسقط من أن يُجد عليها بمثل ذلك .

ولعمري إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير إزراء على أبيها / النهاية ، لأنها جعلت [ ٣٢ ]  
تَقْدَمُ أبيه له عن قُدْرَةٍ منه على المساواة ، وعن غير تقصير منه ، وإنما <sup>(١)</sup> أفرج له عن السبق معرفةً بحقه ، وتسليماً لكُبره وسنه ، وكأنَّ الخنساء نظرت في هذا المعنى إلى قول زهير •  
يصف حمار وحش <sup>(٢)</sup> :

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ فَهِيَ تَهْوِي هُيُورِي <sup>(٣)</sup> الدَّلُو أَسْلَمَهَا الرَّشَاءُ <sup>(٤)</sup>  
فَلَيْسَ لِحَاقِهِ كَلْحَاقِ الْفِ وَلَا كَنَجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءُ <sup>(٥)</sup>  
يُقَدِّمُهُ إِذَا احْتَفَلَتْ عَلَيْهَا تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَا <sup>(٦)</sup>

ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله في مَخْلَدِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ :  
مَا إِنُّ أَرَى كَأَيْبِكَ أَدْرَكَ شَأْوَهُ أَحَدٌ وَمِثْلَكَ طَالِبًا لَمْ يُدَلِّحْ  
تَتَجَاذِبَانِ ؛ لَهُ فَضِيلَةٌ سِنِّهِ وَتَلَوْتَ بَعْدَ مُصَلِّيٍّ لَمْ تُسَبِّحْ <sup>(٧)</sup>

(١) ت : « وإنه » . (٢) الأبيات في ديوانه : ٦٧ - ٦٩ . (٣) ضبطت في ت بضم الهاء وفتحها معا . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أي شج الحمار بالأتن الأماعز ، أي علا الأماعز بهن ، والأمعز : الأرض الصلبة ، وكذلك المعزاز ، والهوى : السقوط إلى أسفل ، وكذلك الهوى في السير . وبعد هوى من الليل ؛ أي هزيع ؛ وقيل : الهوى [ بالضم ] الارتفاع » .  
(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : ليس يلحق شيء في السرعة كما يلحق الحمار في سرعته ، والمراد بالإنف صاحبه . ولا كنجائها ؛ أي ليس شيء ينجو كنجائها ، أي ليس شيء ينجو كنجاء الاثنان ؛ أي لا يهرب هارب كهربها ، ولا يلحق لاحق كالحوقه » .

(٦) احتفلت : اجتمعت وتأهبت ؛ ورواية الديوان :

يُقَضِّلُهُ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَا

(٧) د ، ش ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تنجاريان » ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قوله تنجاذبان ، في موضع الحال من قوله : « ما إن أرى كأبيك » ، ومثلك ، أي مارأيت مثلك ومثل أبيك في حال مجاذبتهما ومجاراتهما في المجد والشرف . وقوله : « له فضيلة سنه » جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر ؛ المعنى يقول : إن سبقك أبوك فلا غرو ، فإنه لم يسبق قط ، وإن سبقته فأنت جدير بالسبق » .

إِنْ تَنْزِعَا وَلَهُ فَضِيلَةٌ سَبَقَهُ  
وَلَنْ لَحِقَّتْ بِهِ عَلَى مَا قَدْ مَضَى  
فَبِمِثْلِ شَأْنِ أَبِيكَ لَمْ يُتَعَاقَرِ  
مِنْ بُعْدِ غَايَتِهِ فَأُحْجِرَ وَأُخْلِقَ

ويشبهه هذا المعنى قول المؤمل بن أميل الكوفي المخاريبي يمدح المهدي في حياة المنصور:

لَنْ فُتَّ الْمُلُوكُ وَقَدْ تَوَافَوْا  
لَقَدْ فَاتَ الْمُلُوكَ أَبُوكَ حَتَّى  
إِلَيْكَ مِنَ السَّهُولَةِ وَالْوُغُورِ (١)  
بَقُوا مِنْ بَيْنِ كَابٍ أَوْ حَسِيرِ (٢)  
وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تَجْرِي حَثِيثًا  
وَمَا بِكَ حَيْثُ تَجْرِي مِنْ فُتُورِ

(١) خبر هذه الأبيات في أمالي الزجاجي : ٦٠ - ٦٢ : « وفد المؤمل بن أميل على المهدي بالري فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ؛ فاتصل الخبر بالمنصور ؛ فكتب إليه يعذله ويقول : إنما كانت سبيلك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ؛ وكتب إلى كاتبه بإنفاذ الشاعر إليه ، فسأل عنه ف قيل له : قد شخص إلى مدينة السلام ، فكتب إلى المنصور بخبره ، فأقصد المنصور قائدا من قواده إلى التهروان يتصفح وجوه الناس ؛ حتى وقع بيده المؤمل ، فأثنى به المنصور ، فقال له : أثبت غلاماً غراً نخدعته ! قال : نعم يا مير المؤمنين ! أثبت غلاماً غراً كريماً نخدعته فانخدع لي ؛ فكأن ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدني ما قلت فيه ؛ فأنشده :

هُوَ الْمَهْدِيُّ إِلَّا أَنْ فِيهِ  
تَشَابَهٌ ذَا وَذَا فِهِمَا إِذَا مَا  
فَهَذَا فِي الظَّلَامِ سِرَاجٌ نَارٍ  
وَلَكِنْ فَضَّلَ الرَّحْمَنُ هَذَا  
وَبِالْمُلْكِ الْعَزِيزِ فَذَا أَمِيرٌ  
وَنَقَصَ الشَّهْرَ يَخْمَدَا وَهَذَا  
فِيَا بْنَ خَلِيفَةِ اللَّهِ الْمُصَفَّى  
لَنْ فُتَّ الْمُلُوكُ . . . .

فقال : أحسنت ، ولكن لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال : أين المال ؟ فقال : هاهو ذا ، قال ياربيع : أعطه منه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي ، ففعل ؛ فلما صارت الخلافة إلى المهدي رفع المؤمل إليه يذكر قصته ، فضحك ، وأمر برد المال إليه ، فرد .

(٢) السكابي : المتغير اللون ، والخسير : المعيب .

فَقَالَ النَّاسُ مَا مِنْ ذِي إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْخَلِيقِ مِنَ الْجَدِيرِ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبَقٍ لَهُ فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ  
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَى كَبِيرٍ فَقَدْ خَلِقَ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ  
ومن هذا المعنى قول الشاعر :

جِيَادٌ جَرَتْ فِي حَلْبَةٍ فَتَفَاضَلَتْ عَلَى قَدَرِ الْأُسْنَانِ وَالْعِرْقُ وَاحِدٌ<sup>(٢)</sup> ٥

ومما له بهذا المعنى بعضُ الشَّبه ، وإن لم يُذكر فيه السُّنَّ وتفضيل الكبير قول زهير :

[ ٣٢ ] / هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَأْخُذْ بِشَاوِهِمَا عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقًا<sup>(٣)</sup> ظ

أَوْ يَسْبِقْهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

وروى أنه عُرِضَتْ عَلَى جَعْفَرٍ<sup>(٤)</sup> بَنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ جَارِيَةٌ شَاعِرَةٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَبْلُوهَا

فَقَالَ لَهَا : قُولِي فِي مَعْنَى بَيْتِي زَهِيرُ الَّذِينَ ذَكَرْنَاها ، فَقَالَتْ :

(١) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلُ ، ف : « أَى لَمْ يَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَتْيِكَ مِنَ الْفَرْقِ وَالْفَاوِتِ إِلَّا مِثْلُ مَا بَيْنَ الْخَلِيقِ وَالْجَدِيرِ ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ » .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلُ : « أَى عَلَى الْكَبِيرِ وَالضَّعِيفِ فِي السُّنَنِ . وَالْعِرْقُ : الْأَصْلُ » .

(٣) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ : ٥١ — ٥٢ ؛ وَقَبْلَهُمَا :

يَطْلُبُ شَاوُ امْرَأَتَيْنِ قَدَّمَ حَسَنًا نَالًا الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَزِي السُّوْقَا  
وَالشَّأَوُ : الْغَايَةُ ، وَأَرَادَ بِالْمُرَأَيْنِ أَبَاهُ وَجَدَهُ .

(٤) حَاشِيَةُ ف : « قِيلَ : لَمَّا قَتَلَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَصَلَ بِبَابِ الْجَسْرِ ، رَأْسُهُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَجَسَدُهُ فِي نَاحِيَةٍ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَلَى حِمَارٍ فَارِهِ ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى النَّاسِ فَقَالَتْ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ : وَاللَّهِ لَأَنْ صَرْتُ الْيَوْمَ آيَةً ؛ لَقَدْ كُنْتُ فِي الْمَسْكَارِ غَايَةً ؛ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ خَالِطَ جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخُلَيْفَةِ فِي يَحْيَى  
بَكَيْتُ عَلَى يَحْيَى وَأَيَقَنْتُ أَنَّهَا قُضَارَى الْفَتَى يَوْمًا مَفَارِقَةُ الدُّنْيَا  
وَمَا هِيَ إِلَّا دَوْلَةٌ بَعْدَ دَوْلَةٍ تُخَوِّلُ ذَا نِعْمَى وَتُعَقِّبُ ذَا بَلْوَى  
إِذَا أَنْزَلْتُ هَذَا مَنَازِلَ رِفْعَةٍ مِنَ الْمَلِكِ حَطَّتْ ذَا إِلَى غَايَةِ سُفْلَى  
ثم حركت الحمار ؛ فبَكَتُهَا كَانَتْ رِيحًا لَمْ تَعْرِفْ » .

بَلَّغْتَ - أَوْ كِدْتَ - يَحْيَى أَوْ لَحِقْتَ بِهِ      فَنِلْتُمَا خَالِدًا فِي شَأْوٍ مُسْتَبِقٍ  
لَكِنْ مَضَى وَتَلَا يَحْيَى فَأَنْتَ لَهُ      تَالِي تَعَلَّيْتُ دُونَ الرَّكْضِ بِالْعَنْقِ<sup>(١)</sup>

ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة - وهو داخل في هذا المعنى، مناسب له - قول عبّاد ابن شبّيل :

٥      إِذَا اخْتَرْتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَارَ خِيَارِهِمْ      فَكُلُّ بَنَى عَبْدٍ الْمَدَانِ خِيَارُ  
جَرَوْا بَعْنَانٍ وَاحِدٍ فَضْلُ بَيْنِهِمْ      بَأْنُ قِيلَ قَدْ فَاتَ الْعِذَارَ عِذَارُ<sup>(٢)</sup>  
وقول الكميت بن زيد :

مُصَلِّ أَبَادُ لَهُ سَابِقٌ      بَأْنُ قِيلَ فَاتَ الْعِذَارُ الْعِذَارُ<sup>(٣)</sup>  
ومثله قول العتّابي - وهو مليح<sup>(٤)</sup> جداً :

١٠      كَمَا تَقَاذَفُ جُرْدٌ فِي أُعْنَتِهَا      سَبَقًا بَادَانِيَا مَرًّا وَبِالْعُذْرِ<sup>(٥)</sup>  
وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطايرة البازي القطة<sup>(٦)</sup> ومقاربتة لها:  
دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا      عِنْدَ الذَّنَابِي فَلَا قَوْتُ وَلَا دَرَكُ<sup>(٧)</sup>  
وقد لاحظ أبو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ، ويذكر مقاربتة لأبيه  
في الفضل<sup>(٨)</sup> والسودد :

- 
- (١) ش ، وحاشية ت ( من نسخة ) : « تمل » . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العنق دون الركض ، أى أنك تنعل بالعنق لإبقاء وحشمة لأبيك وجدك ، ولوسرت ركضا لسبقتهما » .  
(٢) العذار من اللجام : ماسال على خد الفرس .  
(٣) المصلى : الثانى من خيول السبق .  
(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « حسن » .  
(٥) ج ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تقاذف » ، بفتح الفاء . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « تقاذف ، أى تتسابق في عنان واحد ، على حد واحد ؛ لانسبق إحداها على الأخرى إلا بأذن أو بعنان » وفسر أجرد ؛ قصير الشعر رقيقه .  
(٦) د ، حاشية ت ( من نسخة ) : « للقطة » .  
(٧) ديوانه : ١٧٤ ، الذنابي : الذنب ، وفي حاشيتي ت ، ف : « عند الذنابي مستأنف ، أى الصقر عند ذنابي القطة » .  
(٨) ف ، ونسخة بحاشية ت : « المجد » .

ثُمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَاثْنَى قُدَمًا دُونَ مَدَادٍ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيْقٍ (١)  
فَقِيلَ رَاشَا سَهْمًا يُرَادُ بِهِ الدَّ غَايَةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفَوْقِ (٢)

ويشاكل ذلك قولُ البحتري في ابن أبي سعيد الثغري :

جَدُّ كَجَدِّ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهُ تَرَكَ السَّمَاءَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرِفِ (٣)  
قَاسَمَتُهُ أَخْلَاقَهُ وَهِيَ الرَّدَى لِلْمُعْتَدِي ، وَهِيَ النَّدَى لِلْمُعْتَنِي  
/ فَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةٍ وَجَرَيْتَ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَأْوَا كَمَا فِي الْمُنْصَفِ

ويشبهه أيضاً قوله :

وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَائِلَ ابْنِي صَاعِدٍ أَدَّتْ إِلَيْكَ شَمَائِلَ ابْنِي مُخْلَدٍ (٤)  
كَالْفَرْقَدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاطِرٌ لَمْ يَعْلَمْ مَوْضِعُ فَرْقَدٍ عَنْ فَرْقَدٍ

فأما قول الخنساء: «يتعاوران مُلَاءَةُ الْخُضَرِ»، فهي تعني بالملأاة الغبار ، وإن عدى بن الرقاع كأنه نظر إليها في قوله يصف حماراً وأنانا :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاءَةٌ بَيْضَاءُ مُحْدَثَةٌ هُمَا نَسَجَاهَا (٥)

(١) ديوانه: ٩١ ، وفي حاشيتي الأصل ، ت : « أى من غير مدانة أو لحوق » .

(٢) راش السهم : وضع عليه الريش ، والنصل : حديدة السهم ، والفوق : موضع الوتر من السهم

(٣) ديوانه ٢ : ١٢٢ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « أى جد كجد أبي سعيد مذكور ، أى جعل السماء غير عال ؛ كأنه قد علاه وفاقه » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « يسوى بين ابني صاعد وابني مخلد » ، والبيتان في ديوانه ١ : ١٧٢ ، وروايته : « ... شمائل ابن محمد » .

(٥) البيتان من قصيدته التي مطلعها :

مَا هَاجَ شَوْقُكَ مِنْ مَعَانِي دِمْنَةٍ وَمَنَازِلِ شَغَفِ الْفَوَادِ بِلَاهَا

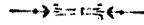
وهي في الطرائف الأدبية : ٩٢-٩٧ ، والبيتان في (معاني المسكرى ٢ : ٣١ ، وحاسة ابن الشجري :

٢٧٦-٢٧٧ ، ومعجم المرمزاني ٢٥٣ ، وشرح المختار من شعر بشار ٣١٧ ، وزهر الآداب ٤ : ٦٨ .

ومجموعة الماني : ٢٠٣) . ويتعاوران ؛ أى تصير الغبرة للعير مرة ، وللاثنان مرة .

تُعْلَوِي إِذَا وَطِئًا مَكَانًا جَاسِيًا      وَإِذَا السَّنَابِكُ أُسْهِلَتْ نَشَرَاهَا<sup>(١)</sup>  
وهذا المعنى ، وإن كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة ،  
صار من أجلها بالمعنى أحقَّ منها . وقد ابتدأ بهذا المعنى رجلٌ من بني عُقِيل فقال  
من قصيدة<sup>(٢)</sup> :

٥      يُشِيرَانِ مِنْ نَسْجِ الثَّرَابِ عَنِهِمَا      قَمِيصَيْنِ أَسْمَالًا      وَيَرْتَدِيَانِ




---

(١) الجاسي : الغليظ من الأرض ، وأسهلت : صارت إلى سهولة الأرض .  
(٢) أبيات منها في الخزاعة ٣ : ٢٧٦ ، منسوبة إلى ابن مقبل ، وفي زهر الآداب ٤ : ٦٨  
منسوبة لأعرابي من بني عُقِيل .

وقبله :

قِفَارٌ مَرُورَةٌ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا      وَيُفْجِي بِهَا الْجَأْبَانِ يَفْتَرِقَانِ  
المروراة : المغازاة التي لاشيء فيها ، والجأبان : مثنى جئب ؛ وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش ، وأراد  
بالجأبين الذكر والأنثى .

## مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ \*

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ قَالَ : بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ . [يوسف ١٨] .  
فَقَالَ : كَيْفَ وَصَفَ الدَّمُ بِأَنَّهُ كَذِبٌ ، وَالكَذِبُ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْوَالِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ؟  
وَأَيُّ مَعْنَى لَوْصَفَهُ الصَّبْرَ بِأَنَّهُ جَمِيلٌ ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ صَبْرَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فَقْدِ ابْنِهِ يُوسُفَ لَا يَكُونُ إِلَّا جَمِيلًا ؟ وَلِمَ ارْتَفَعَ الصَّبْرُ ؟ وَمَا الْمُقْتَضَى لِرَفْعِهِ ؟

وَالْجَوَابُ ، يُقَالُ لَهُ : أَمَّا ﴿ كَذِبٍ ﴾ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مَكْذُوبٌ فِيهِ وَعَلَيْهِ ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ : هَذَا مَاءٌ سَكَبَ وَشَرَابٌ صَبَّ ؛ يَرِيدُونَ مَصْبُوبًا وَمَسْكُوبًا ؛ وَمِثْلُهُ : مَاءٌ غَوْرٌ ، وَرَجُلٌ صَوْمٌ ، وَامْرَأَةٌ نَوَّاحٌ <sup>(١)</sup> ، قَالَ الشَّاعِرُ :

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوَّاحًا عَلَيْهِمْ مُقَدَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا <sup>(٢)</sup>

أَرَادَ بِقَوْلِهِ : « نَوَّاحًا » أَيُّ نَائِحَةٍ عَلَيْهِمْ ، وَمِثْلُهُ : مَا لِفُلَانٍ مَعْقُولٌ ؛ يَرِيدُونَ عَقْلًا ، ١٠  
وَمَا لَهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مَجْلُودٌ ، يَرِيدُونَ جَلْدًا <sup>(٣)</sup> ، قَالَ الشَّاعِرُ :

\* وَرَدَ هَذَا الْعَنْوَانُ فِي ت ، ف ، وَلَمْ يَرِدْ فِي سَائِرِ الْأَصُولِ .

(١) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « الْوَصْفُ بِالْمَصْدَرِ يَفِيدُ قُوَّةَ ذَلِكَ الْفِعْلِ ؛ كَقَوْلِهِمْ : رَجُلٌ صَوْمٌ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ لِكَثْرَةِ صَوْمِهِ كَأَنَّهُ صَارَ بِكَلِيَّتِهِ صَوْمًا ، وَمِنْ ذَلِكَ : مَاءٌ سَكَبَ وَصَبَ » .

(٢) صُفُونَا : جَمْعُ صَافٍ ؛ وَالصَّافُونَ مِنَ الْحَيْلِ : الْقَائِمُونَ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ ، وَقَدْ أَقَامَ الرَّابِعَةَ عَلَى طَرَفِ الْحَاظِرِ ، وَالْبَيْتَ لِعَمْرُو بْنِ كَلثُومٍ ، مِنْ الْمَعْلُوقَةِ ، وَرَوَاتِيهِ فِيهَا :

تَرَكَمْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَدَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا

( وَانْظُرِ الْمَعْلُوقَاتِ — بَشْرَحِ التَّبْرِيزِيِّ : ٢١٧ ) .

(٣) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « بَيْنَ السَّيِّدِ وَرَضَى اللَّهِ عَنْهُ أَنَّهُ كَمَا يَكُونُ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ ؛ فَقَدْ يَكُونُ الْفِعْلُ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ؛ وَهِيَ مُتَدَاخِلَانِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ؛ فَإِذَا كَانَ الْمَفْعُولُ بِلَفْظِ الْمَصْدَرِ فَلَأَنَّ الْمَفْعُولَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْمَصْدَرُ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : ضَرَبْتُ زَيْدًا فَقَعْلُكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الضَّرْبُ لِزَيْدًا ، وَإِذَا جَاءَ الْمَصْدَرُ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ فَلَأَنَّهُ سَبَبٌ لَهُ ؛ وَالْفِعْلُ لَهُ طَرَفَانِ : أَحَدُهُمَا إِلَى الْمَفْعُولِ ، وَالْآخَرُ إِلَى الْفَاعِلِ » .

/ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ كَوَا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا  
وَأَنشَد أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ :

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ بُلِغَ الْعَزَاءُ وَأُدرِكَ الْمَجَاوِدُ

وقال الفرّاء وغيره : يجوز في النحو : « بدم كذباً » بالنصب على المصدر ؛ لأنَّ ﴿جَاءُوا﴾ فيه معنى كذبوا كذباً ، كما قال تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [ العاديات : ١ ] فنصب ضَبْحًا<sup>(١)</sup> على المصدر ؛ لأنَّ العاديات بمعنى الضابحات ، وإنما كان دماً مكذوباً فيه ؛ لأنَّ إخوة يوسف<sup>(٢)</sup> ذبحوا سَخْلَةً ، ولطخوا قميصَ يوسف بدمها ، وجاءوا أباهم بالقميص ، وادَّعوا أكلَ الذئب له ، فقال لهم يعقوب<sup>(٣)</sup> : يَا بَنِيَّ ، لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ، ولم يُحَرِّقْ قميصه ؛ قالوا : بل قتله اللصوص ، قال : فكيف قتلوه وتركوا قميصه ، وهم إلى قميصه أحوجُّ منهم إلى قتله ! . وقد قيل : إنه كان في قميص يوسف ثلاثُ آيات : حين قُدَّ قميصه من دُبُر ، وحين أُلْقِيَ على وجه أبيه فارتد بصيراً ، وحين جاءوا عليه بدم كذب ؛ فتنبه أبوه على أنَّ الذئب لو أكله لَحَرَّقَ قميصه<sup>(٤)</sup> .

وأما وصف الصبر بأنه جميل ، فلأنَّ الصبرَ قد يكون جميلاً وغير جميل ، وإنما يكون جميلاً إذا قُصِدَ به وجهُ الله ، وفُعِلَ للوجه الذي وَجِبَ ، فلما كان في هذا الموضع واقماً على الوجه المحمود صحَّ وصفه بذلك . وقد قيل إنه أراد صبراً لا شكوى فيه ولا جَزَع ، ولو لم يصفه بذلك لظُنَّ مصاحبةُ الشكوى أو الجزع له . وأما ارتفاع قوله : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فقد قيل إنَّ المعنى : فشأنى صبرٌ جميل ، أو الذي أعتقده صبر جميل<sup>(٥)</sup> . وقال قطرب : معناه فصبري صبر جميل ؛ وأنشدوا :

(١) الضبيح : صوت يسمع من جوف الفرس حال العدو . (٢) ت : « يوسف عليه السلام » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وقد قرئ : ﴿بَدَمٍ كَذِبٍ﴾ وهو »

الدم المسفوح » . (٤) في حاشيتي ت ، ف : « يجوز أن يكون « صبر » مبتدأ وخبره محذوف »

ويمحتمل أن يكون « صبر » مبتدأ و« جميل » خبره ، وفي حاشية ف أيضاً : « وهو وإن كان نكرة يفوق مقام المعرفة ؛ وذلك أن أى صبر كان فهو المراد » .



شَكَا إِلَى جَمَلِي طَوَّلَ الشَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَى الْمُشْتَكَى  
الدَّرْهَانِ كَلَّفَانِي مَا تَرَى <sup>(١)</sup> صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكِلَانَا مُبْتَلَى

معناه: فليكن منك صبر جميل . وقد رُوي أن في قراءة أبي: ﴿ فَصَبْرًا جَمِيلًا ﴾  
بالنصب ، وذلك يكون على الإغراء <sup>(٢)</sup> ، والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً ، قال ذو الرُّمة :  
أَلَا إِنَّمَا مَيَّ - فَصَبْرًا - بَلِيَّةٌ وَقَدْ يُبْتَلَى الْخِرُّ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ <sup>(٣)</sup> ٥  
وقال الآخر :

أَبَى اللَّهُ أَنْ تَبْقَى لِحَى بَشَاشَةٍ فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَهُ اللَّهُ لِي صَبْرًا

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

في الحديث أن قيس بن عاصم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « هذا <sup>[٢٤]</sup>  
سيد أهل الوبر »؛ فقلت : يا رسول الله ، ما المال الذي ليست على فيه تبعه من طالب  
ولا ضيف ؟ فقال عليه السلام : « نِعَمَ الْمَالُ أَرْبَعُونَ ، وَالْكَثْرُ سِتُونَ ، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ ١٠  
الْمُنَنِ ! إِنْ مَنْ أَعْطَى الْكَرِيمَةَ ، وَمُنَحَ الْغَزِيرَةَ <sup>(٤)</sup> ، وَنَحَرَ السَّمِينَةَ ، فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ  
وَالْمُعْتَرَّ - وفي رواية أخرى : « إِنْ مَنْ أَعْطَى مِنْ رِسْلِهَا ، وَأَطْرَقَ فَلَهَا ، وَأَفْقَرَ ظَهْرُهَا ،  
وَمُنَحَ غَزِيرَتَهَا ، وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ »؛ قلت : يا رسول الله : ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها !  
إنه لا يُحَلُّ بِالْوَادِي الذي فيه إبل من كثرتها . فقال : « فكيف <sup>(٥)</sup> تصنع في العظيمة <sup>(٦)</sup> ؟  
قلت : أعطى البكر ، وأعطى الناب . قال : « فكيف تصنع في المنحة ؟ » ، قات : إني ١٥  
لأمنح المائة . قال : « فكيف <sup>(٥)</sup> تعطى الطرقة ؟ » ، قات : يقدُّو الناس بإبلهم فلا بورع

(١) هذا البت ورد في ت ، وحاشية ف .

(٢) حاشية ف : « معنى الإغراء أن يغربه القائل بانترام الذي أشار إليه ؛ كقولهم : عليك به » .

(٣) ديوانه : ٢٢٥ . (٤) الغزيرة كثيرة اللبن .

(٥) ت ، د ، حاشية ف ( من نسخة ) : « كيف » .

(٦) ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) « العطية » .

رجل عن جمل يخطمه<sup>(١)</sup> فيمسكه مابدا له، حتى يكون هو الذى يرده. وفي الرواية الأخرى قال: « فكيف تصنع فى الإطراق ؟ »، قلت: يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به . قال: « فكيف تصنع فى الإفطار؟ »، قلت: إني لأفقرُ الناب المدبرة والضرع<sup>(٢)</sup> الصغيرة، قال: « فكيف تصنع فى المنيحة؟ » قلت: إني لأمنح فى السنة المائة، قال: « فمالك أحب إليك أم مال مواليك؟ »<sup>(٣)</sup>، قلت: لا، بل مالى، قال: « فإن مالك ما أكلت فأفنت، وأعطيت فأمضيت » . وفي الرواية الأخرى: « ولبست فأبليت، وسائر مواليك »، قلت: لا جرم ! والله لن رجعت لأقن عددها . فلما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بني خذوا عني، فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني، لا تنوحوا على فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينح عليه، وقد سمعته ينهى عن النياحة، وكففتوني فى ثيابي التي كنت أصلي فيها، وسودوا أكابركم، فإنكم إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس، وزهدوا فيكم، وأصلحوا من<sup>(٤)</sup> عيشكم؛ فإن فيه غنى عن طلب إلى الناس، وإياكم والمسألة؛ فإنها آخر<sup>(٥)</sup> كسب المرء، وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن بكر بن وائل، فقد كانت بيننا مخاشات فى الجاهلية، فلا [ ٣٤ ] آمن سفيها منهم أن يأتى / أمراً يدخل عليكم عينا<sup>(٦)</sup> فى أبيكم<sup>(٧)</sup> .

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة): « يخطمه ».

(٢) رواية ابن الأثير فى النهاية (ضرع): إني لأفقر البكر الضرع، والناب المدبر، أى أعيرهما للركوب؛ يعنى الجمال الضعيف، والناقاة الهرمة .

(٣) حاشية ف: « المولى من يليك؛ من ابن العم والمعتق؛ ويملك؛ أى يقريك، وأصل الولى

القرى .

(٤) م: « وأصلحوا عيشكم »، وحاشية ف (من نسخة): « وأصلحوا من أمر عيشكم » .

(٥) ف، ونسخة بمحاشيتي الأصل، ت « أخس » .

(٦) من نسخة بمحاشيتي ت، ف: « عينا » .

(٧) الخبر بهذه الرواية فى (الفائق ٣: ١٣٥)، وفى رواية أخرى فيه أيضا: « وإذا مت فقبوا

قبري من بكر بن وائل، فإنى كنت أنا وشهم فى الجاهلية — وروى: أهاونهم — وروى أغاؤهم » .

فأما قوله : « الكُثْرُ سِتُّون » فمعناه الكثير ، تقول العرب : نسأل الله الكُثْرَ ، ونعوذ به من القُلِّ ؛ أى نسأله الكثير ، ونعوذ به من القليل ؛ وقال الشاعر :

فإنَّ الكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا      ولمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أُنَى غَلَامٍ<sup>(١)</sup>

وقال الآخر :

وقدْ يَقْصُرُ الْقُلُّ الْفَتَى ذُونَ هَمٍّ      وقدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُّ طَلَّاعَ أَنْجِدٍ<sup>(٢)</sup>

والكريمة ، يعنى بها كرائم ماله . و«أمنح الغزيرة» ، أى أعطيها مَنْ يحلبها ويردها ، ومن ذلك الحديث : «العارية مؤداة ، والمنحة»<sup>(٣)</sup> مردودة ، والزعيم<sup>(٤)</sup> غارم ، والدَيْنُ مقضى<sup>(٥)</sup> . « فالمنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل إلى مَنْ يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه ، والزعيم : الكفيل ، ويقال له أيضا القبيل<sup>(٥)</sup> والصَّيِّر والجَمِيل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ ؛ [يوسف : ٧٢] ، قال الشاعر :

١٠

فَلَسْتُ بِأَمِيرٍ فِيهَا بِسَلَمٍ      وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمٌ<sup>(٦)</sup>

وقال آخر :

قُلْتُ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَا      فَزُعْمَى يَاهِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجَبَ<sup>(٧)</sup>

معناه اكفلى ، ويروى : «فاقبل» ، من القبيل الذى هو الكفيل أيضا .

(١) البيت فى اللسان (كثر) ، ونسبه إلى رجل من ربيعة ، وفى حاشيتى ت ، ف : «أى لم أكن قبل مكثرا ولا مقثرا ، يصف حاله بالنوسط ، والإفتار : الفقر» .

(٢) البيت فى اللسان (قل) ، ونسبه إلى خالد بن علقمة الدارمى ، وأشد قبله :

ويل أم لذات الشباب معيشه      مع الكُثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى الْمُتْلَفُ النَّدى

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « المنحة » ، وهى والمنحة بمعنى .

(٤-٤) حاشية ت (من نسخة) : « والدَيْنُ مقضى ، والزعيم غارم » .

(٥) القبيل : الكفيل والعريف ، وقد قبل بقبل قبالة ؛ أى يكفل .

(٦) حاشية ف : « معناه لأملك إلا نفسى » .

(٧) البيت لعمر بن أبى ربيعة ؛ وهو فى ديوانه ٣٧٨ ، وفى حاشية ف : « أى ضمنت وحلفت على نفسى ألا أجاوز رضاك ، فافعل مثله » .

وقال الفراء : القانع هو الذى يأتىك فيسألك ؛ فإن أعطته قبل ، والمتمتر : الذى يجلس عند الذبيحة ، ويمسك عن السؤال ، كأنه يُعرّض فى المسألة ولا يصرّح بها ، يقال قنع الرجل قناعة إذا رضى ، وقنع قنوعاً إذا سأل .

فأما قوله : « لا جرم » فقال قوم : معنى جرم كسب ، وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ لا جرم أن لهم النار ﴾ [النحل : ٦٢] ، أن « لا » ردّ على الكفار ، ثم ابتداء فقال : ﴿ جرم أن لهم النار ﴾ بمعنى كسب قولهم أن لهم النار ، وقال الشاعر :

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جَذْعٍ      بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا <sup>(١)</sup>

أى : بما كسبت . وقال آخرون : معنى « جرم » حق ، وتأول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار ؛ وأنشدوا :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً      جَرَمْتُ فَزَارَةً بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا <sup>١٠</sup>

أراد : حققت فزارة ، وروى الفراء « فزارة » ، بالنصب على معنى كسبت <sup>(٢)</sup> الطعنة [ ٣٥ ] فزارة الغضب / ، وقال الفراء : لا جرم فى الأصل مثل لا بُدَّ ، ولا محالة ، ثم استعملته العرب فى معنى حقاً ، وجاءت فيه بجواب الأيمان ، فقالوا : لا جرم لأقومن ؛ كما قالوا : والله لأقومن ، وفيها لغات ، يقال : لا جرم ، ولا جُرم ، بضم الجيم وتسكين الراء ، ولا جَرَمَ <sup>١٥</sup> بحذف الميم ، ولا ذا جَرَم ؛ قال الشاعر :

إِنَّ كِلَاباً وَالِدِي لَا ذَا جَرَمٍ <sup>(٣)</sup>      لِأَهْدِرَنَّ الْيَوْمَ هَذِرًا فِي النَّعَمِ <sup>(٤)</sup>

\* هَذَرَ الْمَعْنَى <sup>(٥)</sup> ذَى الشَّقَاشِقِ اللَّهُمَّ <sup>(٦)</sup> \*

(١) البيت فى اللسان ( جرم ) ، ونسبه إلى أبى أسماء بن الضريبة . (٢) د : « أ كسبت »

(٣) البيت فى اللسان ( جرم ) من غير عزو . (٤) لأهدرن : لأصوتن ؛ من الهدير ، و

تردد صوت البعير فى حنجرتة . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « المعنى » .

(٦) حواشى الأصل ، ت ، ف : المعنى : الذى يدخل العنة من الإبل ؛ وهى الخطيرة ؛ وذلك أن

اللثيم إذا هاج حبس حتى لا يضرب فى النوق السكرام ، ومنه قول الوليد بن عتبة :

قَطَعْتُ الدَّهْرَ كَالسَّدِيمِ الْمَعْنَى      تَهْدَرُ فِي دَمِشْقَ فَلَا تَرِيمُ

والناب : الناقة الهرمة ، وجمعها نيب ، ومثلها الشارف ، قال الشاعر :  
 لَا أَفْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا جِئْتُ الذِّيبُ أَوْحَنْتُ إِلَى بَلَدٍ<sup>(١)</sup>  
 ويقال للبعير أيضا إذا كبر عَوْدٌ ، وللاُنثى عَوْدَةٌ ، قال الشاعر :  
 عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقُدَمِ الْأَوَّلِ يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ<sup>(٢)</sup>  
 وهذا من أبيات المعاني ، ومعناه بعيرٌ عَوْدٌ على طريق متقادم ، وسُمِّيَ الطريقُ بأنه ٥  
 عَوْدٌ لتقادمه تشبيها بالبعير ، وقوله :

\* يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ \*

أراد أنه إذ سَلَكَ وطَرِقَ ظهرت أعلامه ، ووضحت طرقه ، واهتدى سالكه لسلكه ،  
 ولم يَضِلَّ عن قصده ، فكان هذا كالحياة له ، وإذا لم يُسَلِّكْ طمست آثاره ، وَاَمَّحَتْ<sup>(٣)</sup>  
 معالنه ، فلم يَهْتَدِ فيه راكب لقصد ، وكان ذلك كاللوت له .

١٠

فأما « الخُمَاشَات » فهي الجنائيات والجراحات ، : قال ذو الرُّمَّة يذكر الحمار والأتُن :  
 رَبَاعٍ لَهَا مُذْ أَوْرَقَ الْعَوْدُ عِنْدَهُ خُمَاشَاتُ ذَخَلٍ مَا يُرَادُ امْتِثَالُهَا<sup>(٤)</sup>

== وأصله « المعن » : فقلبت لإحدى النونات ياء ، كقولك : تفنيت ، وفي التنزيل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، والشقاشق : جمع شقشقة ؛ وهي كالرئة تخرج من فم البعير إذا هاج واغتم ، واللهم : الذي يلتهم كل شيء ؛ أي يبتلع ، وفرس لهم : سريع ؛ كأن يلتهم الأرض .  
 (١) في حاشيتي الأصل ، ف : لا أفتأ ؛ أي لأزال أبكيهم بأربعة ؛ أي بأربعة شئون ؛ وهي مجارى الدمع من الدماغ ؛ ومثله قول الآخر :

\* جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجِرَاحِ \*

وقيل بأربعة آفاق من موق العين ، واجتريت : إذا أكلت الجرة . والجرة : ما يخرج البعير من بطنه لينتلمه .

(٢) البيتان في اللسان ( عود ) ، ونسبهما إلى بشير بن النسكث .

(٣) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أنهجت » ؛ أي بليت .

(٤) ديوانه : ٥٣٣ ؛ وفي حاشيتي ت ، ف : « الرباع من الغنم ماله أربع سنين ، ومن الحافر ماله

سبع سنين ، ومن الخف ماله سبع سنين والجمع ربع ، وقد أربع . »

يريد بقوله : « ما يراد أمثالها » ، أى ما يراد اقتصاصها ، يقال : أمثلنى من هذا الرجل ، وأقِدْنى وأقِصْنى بمعنى واحد .

فأما قوله : « لا يُورَع » ، أى لا يحبس ، ولا يمنع ، يقال ورَّعت الرجل توريعاً إذا منعتُه وكففته ، والورِع هو المتخرج <sup>(١)</sup> المانع نفسه مما تدعوه إليه ، يقال ورِعَ ورعاً ورعةً ؛

٥ قال لبيد :

أَكَلَّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعَةً <sup>(٢)</sup> لَا يَمْنَحُ الْفَتَيَانَ مِنْ حُسْنِ الرَّعَةِ <sup>(٣)</sup>

ويقال : ما ورَّع أن فعل كذا وكذا ، أى ما كَذَب <sup>(٤)</sup> ، فأما الورع بالفتح فهو الجبان ، [ ٣٥ ] وأما الطَّرُوقَةُ / فهي التى قد حان لها أن تُطْرَقَ ، وهى الحِقَّة . وقوله فى الرواية الأخرى <sup>ظ</sup>

« إِنْ مَنْ أَعْطَى مِنْ رِسْلِهَا » فالرَّسْل اللبن . والإفقار : هو أن يُركبها الناس ، ويحملهم على ظهورها ، مأخوذ من قَمَرَ الظهر ، والإطراق : للفحول هو أن يبذلها لمن يُنْزِيها على إناث إبله . وذكر الإطراق فى هذه الرواية أحبُّ إلى من الطَّرُوقَةُ لأنه قد تقدم من قوله : « إنه يعطى الناب والبكر والضرع والمائة » فلا معنى لإعادة ذكر الطَّرُوقَةُ . وقوله فى الجواب « ينفذُ الناسُ فلا يورَع رجلٌ » عن جمل يخطمه فيمسكه قائداً له <sup>(٥)</sup> ثم يرده « لا يحتمل غير الإطراق ولا يليق بمعنى الطَّرُوقَةُ .

\*\*\*

١٥ وكان قيس بن عاصم شريفاً فى قومه ، حليماً ويكنى أبا على ، وكان الأحنف بن قيس يقول

(١) ت : « هو الرجل المتخرج » .

(٢) من أرجوزة فى ديوانه ٧-٨ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « المعنى : أكل يوم أحارب وألبس الله حتى ذهب شعر مقدم رأسى ، والأفزع : الأصلع ؛ إلا أن الأفزع الذى أدى صلعه إلى وسط رأسه »

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن يكون المعنى إن هامته المقزعة التى قزعها أعداؤه ترك الفتيان من قبيلته على حسن الرعة والتخرج . وهذا الحديث خارج مخرج التذم » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله : ما كذب [ بالتخفيف ] أى مالبث أن فعل كذا ، كذب [ بالتشديد ] ، أى ماجن ، وحمل فلان فما كذب [ بالتشديد ] أيضاً ، أى صدق الحملة فى الحرب »

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « ما بداله » .

إنما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ؛ أتى بقاتل ابنه فقال : زَعَبْتُمُ الْفَتَى ، وأقبل عليه فقال : يا بُنَيَّ لقد نقصتَ عددَكَ ، وأوهنتَ ركنَكَ ، وفَتَّتَ في عَضُدِكَ ، وأشمتَ عَدُوَّكَ ، وأسأتَ بقومِكَ ؛ خلّوا سبيله ؛ وما حلَّ حُبُّوتُهُ ، ولا تغيّر وجهَهُ .

وقال ابن الأعرابي : قيل لقيس : بماذا سُدتْ ؟ فقال بثلاث : بَذَلِ الندى ، وكفّ الأذى ، ونصّر المولى .

وذكر المدائني قال : كان قيس بن عاصم يقول لبنيه : إياكم والبغى ، فما بَغَى <sup>(١)</sup> قوم قط إلا قَاوَا وذَلُّوا . وكان الرجل من بنيهِ يَظْلِمُهُ بعضُ قومه فيَنْهِي إِخْوَتَهُ أَنْ يَنْصُرُوهُ .

وقيس بن عاصم هو الذي حَفَزَ الحوفزان <sup>(٢)</sup> بن شريك الشيباني بطعنة في يوم جدود <sup>(٣)</sup> ، فسمى الحارث الحوفزان ؛ وقال سَوَّار بن حَيَّان <sup>(٤)</sup> المُنْقَرِي <sup>(٥)</sup> :

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الحَوْفَزَانَ بطعنة سَقَتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الجَوْفِ أَشْكَلا <sup>(٦)</sup>  
وَحُمْرَانٍ قَسْرًا أَثْرَلَتْهُ رِمَاحُنَا فعالج غُلًّا فِي ذِرَاعِيهِ مُثْقَلًا <sup>(٧)</sup>

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فإنه ما بغى » . (٢) حفزه ، أى طعنه من خلفه ، وفي اللسان عن التهذيب أن الحوفزان لقب لجرار من جرارى العرب ؛ وكانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفا جراراً . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « جدود : موضع فيه ماء يسمى بالسكلاب ، وكانت فيه وقعة مرتين ؛ ويقال للسكلاب الأول يوم جدود ؛ وهو لتغلب على بكر بن وائل »

( وانظر خبر يوم جدود فى العقد ٥ : ١٩٩-٢٠١ ، وابن الأثير ١ : ٣٧٢ ) .

(٤) كذا ضبط بالفلم فى جميع الأصول ، وضبطه ابن السيد فى الاقتضاب ص ١٣٩ : « بجاء مكسورة غير معجمة وباء معجمة بواحدة » ، والبيتان فى ( الأغانى ١٢ : ١٤٧ ، وابن الأثير ١ : ٣٧٢ ، واللائى ٢٥٦ ، واللسان - حفز ، شكل ) .

(٥) م : « ... المنقرى فى ذلك » .

(٦) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « كسته نجيماً » ، والشكاة : حمرة يخاطبها بياض ؛ ويسمى الدم أشكل للحمرة والبياض المختلطين فيه .

(٧) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « مقفلا » ؛ وهو حمران بن عمرو بن بشر بن عمرو ؛ وكان على شيبان وذهل والهازم ؛ حينما خرجوا لقتال بنى يربوع .

وفي يوم جَدود يقول قَيْسُ بنِ عاصم :  
 جَزَى اللهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَأِ سَعِيهَا      إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا<sup>(١)</sup>  
 ويومَ جَدودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ      وسالتمُ والخيلُ تَدْمِي نُحُورُهَا  
 / سَتَحِطُّمُ سَعْدُ والرَّابُّ أُنُوفَكُمْ      كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا

[ ٣٦ ]

و

٥

القَضِيبُ : الناقة المقتضبة الصعبة ؛ وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب :  
 عَلَيْكَ سَلَامٌ اللهُ قَيْسَ بنَ عَاصِمٍ      وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَخَّمَا<sup>(٢)</sup>  
 سَلَامٌ أَمْرِي جَلَّتْهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ<sup>(٣)</sup>      إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا  
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ وَاحِدٍ      وَلَكِنَّهُ بُيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : ذاكرني بعضُ الأصدقاء بقول أبي دَهْبَل  
 الجُمَحِيِّ وهو يعنى ناقتة :

١٠

(١) الأبيات في ( الأغاني ١٢ : ١٤٧ ) .

(٢) الأبيات في ( الأغاني ١٢ : ١٤٨ ، والحامسة - بشرح التبريزي ٢ : ٢٨٥-٢٨٦ ) .

(٣) رواية التبريزي :

\* تَحِيَّةٌ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى \*

(٤) قال التبريزي في شرحه لهذا البيت : « يجوز أن يروى « هلك » بالنصب وبالرفع ؛ فإذا نصبته  
 كان هلكه في موضع البدل من قيس ، وهلك ينتصب على أنه خبر كان ؛ كأنه قال : فسا كان هلك قيس  
 هلك واحد من الناس ؛ بل مات لموته خلق كثير ؛ وإذا رفعته كان هلكه في موضع المبتدأ وهلك واحد  
 في موضع الخبر ، والجملة في موضع النصب على أنه خبر كان ، ويشبه هذا البيت قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً      وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسًا

إذا رويت « تساقط » بضم التاء .



وَأَبْرَزْتُهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِنْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا<sup>(١)</sup>  
وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه وأجمل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة  
لا عن ناقة، فقلت في الحال :

فطِيبَ مَسْرَاهَا الْقَامُ وَضَوَّاتُ<sup>(٢)</sup> بِإِسْرَاقِهَا بَيْنَ الْحَظِيمِ وَزَمَرَمَا<sup>(٣)</sup>  
فِيَارَبِّ إِنْ لَقِيتَ وَجْهًا تَحِيَّةً فَحَيَّ وَجُوهًا بِالْمَدِينَةِ سُهَمًا<sup>(٤)</sup>  
تَجَافِينَ عَنْ مَسِّ الدَّهَانِ وَظَالِمَا عَصَمْنَ عَنِ الْحِنَاءِ كَفًّا وَمِعْصَمًا<sup>(٥)</sup>  
وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهَوَى شَنَّ عَلَيْهِ الْوَجْدَ حَتَّى تَنَيَّا<sup>(٦)</sup>  
أَهَانَ لَهْنُ النَّفْسِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ وَأَلْقَى إِلَيْهِنَّ الْحَدِيثَ الْمُكْتَمًا<sup>(٧)</sup>  
تَسَفَّهَتْ لَمَّا أَنْ مَرَرْتُ بِدَارِهَا وَعُوجِلَتْ دُونَ الْحِلْمِ أَنْ تَتَحَلَّمَا<sup>(٨)</sup>

(١) أصات: نادى، وأعتم: دخل في العتمة؛ والبيت من قصيدة جيدة؛ ذكر منها أبو الفرج هذه  
الآيات :

أَلَا عَلِقَ الْقَلْبُ الْمَتَمَّ كُلَّمَا لَجَاجًا وَلَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْحَبِّ مَلْزَمًا  
خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا  
فَمَا نَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا ارْتَدَّ سَامِرٌ مِنْ الْحَيِّ حَتَّى جَاوَزْتُ بِي يَلْمَلَمًا  
وَمَرْتُ بِبَطْنِ اللَّيْلِ تَهْوِي كَأَنَّمَا تَبَادَرُ بِالْإِذْلَاجِ نَهْبًا مُقَسَّمًا  
وَجَازَتْ عَلَى الْبَزْدَاءِ وَاللَّيْلِ كَاسِرٌ جَنَاحِينَ بِالْبَزْدَاءِ وَرَدًّا وَأَذَاهَا  
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبِينَتْ بِمُغْلِبٍ نَحْلًا مُشْرِفًا أَوْ مَخِيًا  
وَمَرَّتْ عَلَى أَشْطَانِ رَوْنَقٍ بِالضُّحَا خَزَرَتْ لِلْمَاءِ عَيْنًا وَلَا فَمَا  
وَمَا شَرِبْتُ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَامَهَا وَخَفْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَخَرَّ وَتُكَلَّمَا  
فَقُلْتُ لَهَا قَدْ بَنَتْ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ وَأَصْبَحَ وَادِي الْبِرْكِ غَيْثًا مُدَيَّمًا

(واظفر الأغاني ٦ : ١٦٣ ، ومعجم البلدان ٦ : ٢١٢-٢١٣ ، والشعر والشعراء ٥٩٧) .

(٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « فطيب رباها » . وضوأت : أضاعت .

(٣) سهما : جمع ساهم ؛ وهو المتغير الوجه . (٤) شننن : صبين . (٥) م : « وقفت بدارها » .

فَعُجَّتْ تَقَرَّى دَارِسًا مُتَمَكِّرًا      وَتَسْأَلُ مَصْرُوفًا عَنِ النُّطْقِ أَعْجُمًا<sup>(١)</sup>  
وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلْوِدَاعِ وَكَلَّنَا      يَمُدُّ مُطِيعُ الشَّوْقِ مَنْ كَانَ أَحْزَمًا  
نُصِرْتُ بَقَلْبٍ لَا يُعَنَّفُ فِي الْهَوَى      وَعَيْنٌ مَتَى اسْتَمَطَرَتْهَا فَطَرَتْ دَمًا<sup>(٢)</sup>

وكان أبو دَهَبَل<sup>(٣)</sup> من شعراء قریش ، ومن جمیع إلى الطبع التجويد ، واسمه وهب بن زَمْعَةَ بن أُسَيْد<sup>(٤)</sup> / بن أَحِيحَةَ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جَحَج ، واسمه تَيْم [ ٣٦ ] ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى بن غالب ، وكان اسمُ جَحَج تَيْمًا ، واسم أخيه زيدًا ؛ وهما ابنا عمرو بن هُصَيْص ، فاستبقا إلى غاية ، فمضى تَيْمٌ عن الغاية ، فقليل جَحَج تَيْمٌ فسمى جَحَج ، ووقف عليها زيد فقليل سَهَم<sup>(٥)</sup> زيد ، فسمى سَهَمًا<sup>(٦)</sup> ؛ فأما كُنْيَتُهُ فهي مشتقة من الدَّهْبَلَةِ ، وهي المشى الثقيل ، يقال دَهْبَل الرجل دَهْبَلَةً إذا مشى ثَقِيلًا .

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال : قيل لأبي عمرو بن الملا ما يعجبك من شعر أبي دَهْبَل الجَحِجِي ؟ فقال قوله :

يَا عَمْرَ حُمِّ فِرَاقِكُمْ عَمْرًا      وَعَزَمْتَ مِنَّا النَّأْيَ وَالْهَجْرًا<sup>(٧)</sup>  
يَا عَمْرَ شَيْخُكَ وَهُوَ ذُو شَرَفٍ      يَرْعَى الزَّمَارَ وَيُكْرِمُ الصَّهْرًا<sup>(٨)</sup>  
وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ مُحِبَّكُمْ      لَا تَبِيًّا خُلِقْتُ وَلَا بَكْرًا<sup>(٩)</sup> ١٥

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : تقرى : « تتبع » أراد تقرى ؛ وهو تتفعّل من قولك : قروت الأرو والشئ ؛ إذا تتبعته . (٢) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « مطرت دما » . (٣) وانظر ترجمة أبي دَهْبَل في (الشعر والشعراء ٥٩٦-٥٩٩ ، والاشتقاق ٨١ ، والمؤلف والمختلص للآمدى ١١٧ ، والأغاني ٦ : ١٤٩-١٦٥) .

(٤) في ص : « أُسَيْد » ، بفتح الهمزة وكسر السين . (٥) « سَهَم » ، بالفتح : تغير وجهه ، وسهم ، بالبناء للمجهول : غلب ؛ وضبط في ت : بهما ما (٦) حاشية ف : سهم : « قبيلة من باهلة ، ومن قریش أيضا » . (٧) الأبيات في ( الأغاني ٦ : ١٥٣ ) ، وفي حاشية الأصل ( من نسخة ) « وعزمت منى » . (٨) شَيْخُكَ ؛ يعنى أباه (٩) حاشية ف : « تقدير البيت : ما أحببت تَبِيًّا ولا بَكْرًا كحبي لياكم »

إِنْ كَانَ هَذَا السَّخَرُ مِنْكَ فَلَا  
 إِحْدَى بَنِي أَوْدٍ كَلِفْتُ بِهَا  
 وَتَرَى لَهَا دَلَالًا إِذَا نَطَقَتْ  
 كَتَسَاقُطِ الرُّطَبِ الْجَنِيِّ مِنْ أَلَا  
 وَمَقَالَةٍ فِيكُمْ عَرَكَتُ لَهَا  
 وَمُرِيدُ سِرِّكُمْ عَدَلْتُ بِهِ  
 قَالَتْ يُقِيمُ لَنَا لِنَجْزِيَهُ  
 مَا إِنْ أَقِيمُ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ  
 وَإِذَا هَمَمْتُ بِرَحْلَةٍ جَرَعَتْ  
 إِنِّي لَأَرْضَى مَا رَضَيْتَ بِهِ  
 / وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ لِأَبِي دَهْبَلٍ :  
 يَالَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ الْمَعْرُوفَ يُمْنَعُهُ  
 وَلَيْتَ رِزْقَ رِجَالٍ مِثْلُ نَائِلِهِمْ  
 - وَرَوَى : « ضَيْقُ كَضِيقٍ وَوَسْعُ كَالْدَى اتَّسَعُوا » .  
 وَلَيْتَ لِلنَّاسِ خَطًّا فِي وُجُوهِهِمْ  
 وَلَيْتَ ذَا الْفُحْشِ لَاقَى فَاحِشًا أَبَدًا  
 تَبِينُ أَخْلَاقُهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا  
 وَوَافَقَ الْحِلْمُ أَهْلَ الْحِلْمِ فَاتَدَعُوا<sup>(٧)</sup>

٥

١٠

[ ٢٧ ]

و

حَتَّى يَذُوقَ رِجَالٌ غِيبًا مَا صَنَعُوا<sup>(٥)</sup>  
 قُوْتَ كَقُوْتٍ وَوُسْعٌ كَالْدَى وَسِعُوا<sup>(٦)</sup>

١٥

(١) الإرعاء : الإبقاء ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى أسرارها ماثلة إليها » .

(٣) الأقناء : جمع قنؤ ؛ وهو غصن الخيل .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « نقرا ؛ أى قليلا ؛ وهو صوبت يسمع من وقع الإبهام على

الوسطى ؛ يقال : مأعضاه نقرا ونقرة ؛ أى شيئا ؛ ولا يستعمل إلا فى النفى » .

(٥) الأبيات فى المؤلف والمختلف ١١٧ .

(٦) حاشية ف : « يجوز أن يكون « قوت » خبر المبتدأ ؛ أى هو قوت ؛ ويجوز أن يكون بدلا

من مثل نائلهم » .

(٧) حاشية ف : « فأتدعوا : فاستراحوا » .

ولأبي دَهْبَلٍ في قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما :  
 تَبَيَّتُ النَّشَاوَى مِنْ أُمِّيَّةٍ نُومًا      وبالطَّفِّ قَتَلْتَنِي مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا<sup>(١)</sup>  
 وما ضَيَّعَ الإسلامَ إِلَّا عَصَابَةً      تَأَمَّرَ نَوَكاها وَدَامَ نَعِيمُهَا<sup>(٢)</sup>  
 وصارت قناةُ الدينِ في كَفِّ ظالمٍ      إذا مالَ مِنْها جَانِبٌ لا يُقِيمُهَا

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَرْزَبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ رَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ لِأَبِي دَهْبَلٍ قَالَ - وَيُقَالُ إِنَّهَا لِلْمَجْنُونِ :

أَتَرَكْتُ لَيْلِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      سِوَى كَلْبَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ<sup>(٣)</sup>  
 هَبُونِي إِمْرَأًا مِنْكُمْ أَضِلَّ بَعِيرَهُ      لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرُ  
 وَلَصَّاحِبُ التَّرْوُكُ أَعْظَمُ حُرْمَةً      عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَفْضَلَ بَعِيرُ<sup>(٤)</sup>  
 عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا      إِذَا وَلَّيْتُ حَكَمًا عَلَى تَجْجُورُ

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دَهْبَلٍ - وقد رواه أبو تمام في الحماسة له<sup>(٥)</sup> :

أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائُهُمْ      وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّشْوَةِ السَّهَرُ<sup>(٦)</sup>  
 يَالَيْتَ أَنِّي بَأْتُوا بِي وَرَاحِلَتِي      عَبْدٌ لَأَهْلِكَ طُغُولَ الدَّهْرِ مُؤْتَجَرُ<sup>(٧)</sup>  
 إِنْ كَانَ ذَا قَدَرٍ يُعْطِيكَ نَافِلَةً      مِنَّا وَيَحْرِمُنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ<sup>(٨)</sup>

(١) الأبيات في (الأغاني ٦ : ١٦٢ ، ومعجم البلدان ٦ : ٥٢) ، والطف : أرض في ضاء الكوفة ، كان فيها مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وحميمها : أفرباؤها .

(٢) في الأغاني ومعجم البلدان : « وما أفسد الإسلام ... » .

(٣) الأبيات في الأغاني ( ٦ : ١٦٤ ، وديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٧٢-٢٧٣

(٤) حاشية ف : « أصليت بعيري إذا شذ عنك وذهب ، وضلت الطريق إذا شذت عنه وذهب

(٥) الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٩٦-٢٩٧ . (٦) الحماسة : « كأس النشوة »

(٧) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « هذا الشهر مؤتجر » ، وهي رواية الحماسة .

(٨) وورد بعد هذا البيت في الحماسة :

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جَنٌّ يَعْلَمُهَا      رَمَى الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَالِهَا وَتَرَّ

وأخبرنا المرباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : مثل قول أبي دهب :  
 ولو تركونا لا هدى الله أمرهم فلم يذبحوا قولاً من الشر ينسج<sup>(١)</sup>  
 لأوشك صرف الدهر تفريق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج !  
 قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره ، وتمنى موته :

لما رآني أرعيت أطرافي<sup>(٢)</sup> استعجل الدهر وفيه كاف  
 يخترم الإلف عن الألف

قال ومثله :

عدمت ابن عم لا يزال كأنه وإن لم أثره منطوي على وتر  
 يعين على الدهر والدهر مكتف وإن استعنه لا يعنى على الدهر

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه ومثل الجميع قول أبي أحمد عبید الله بن عبد الله

ابن طاهر :

إلى كم يكون العتب في كل ساعة وكم لا تملن القطيعة والهجرة  
 رؤيدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهر

(١) من قصيدة في ( الأغاني ٦ : ١٥١-١٥٢ ، والشعر والشعراء ٥٩٨-٥٩٩ ) ، مطلعها :

تطاول هذا الليل ما يتباجج وأعيت غواشي الهم ما تتفرج

(٢) ديوانه : ٣٩ .

# مَجْلِسِ آخِر

## تَأْوِيلُ آيَةٍ \*

إن سأل سائل فقال : ما وجهُ التَّكرارِ في سورة الكافرين ، وما الذي حَسَّنَ إعادةَ النفي لكونه عابدا ما يعبدون ؛ وكونهم عابدين ما يعبد ، وذكرُ ذلك مرة واحدة يُغْنِي . وما وجه التكرار أيضا في سورة الرحمن لقوله تعالى : ﴿ فَبَأَى آلاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؛ [سورة الرحمن] ، الجواب ، يقال له : قد ذكر ابن قتيبة في معنى التَّكرارِ في سورة الكافرين وجهها ، وهو أنَّ

٥ قال : القرآن لم ينزل دَفْعَةً واحدة ؛ وإنما كان نزوله شيئا بعد شيء ، والأمر في ذلك ظاهر ، فكان المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له : استلم<sup>(١)</sup> بعضَ أصنامنا حتى نؤمن بك ؛ ونصدِّقَ بنبيوتك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ [ ٣٢ ] مَا أَعْبُدُ ﴾ ، ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه / فقالوا له : اعبد بعضَ آلهتنا ، واستلم بعضَ أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولا ، لنفعل مثلَ ذلك بإلهك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ أى إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً .

وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال : إنه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام ، وهو شَرْطُهُ في قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقاً غير مشروط ، فكذلك ما عطفه عليه . وهذا الطعن غير صحيح ، لأنه لا يمتنع إثباتُ شرط بدليل ، وإن لم يكن في ظاهر الكلام ، ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة .

وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة ؛ كلُّ واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة .

\* لم يذكر في الأصل ، وأثبتته عن ت .

(١) حاشية ف : « من استلام الحجر ، وهو التمسح ، ويقال : استلام الحجر ، والأصل ترك الهمز

لأنه من السلة ؛ وهى الحجر ؛ إلا أن استلام الحجر جرى في كلامهم مبهوماً . » .

أولها ما حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: إنما حَسُنَ التكرار؛ لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى، وتلخيص الكلام: قل: يأيها الكافرون: لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال، ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضا، فاختصَّ الفعلان منه ومنهم بالحال، وقال من بعد: ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون، فاختلف<sup>(١)</sup> المعاني وحسن التكرار لاختلافها، ويجب أن تكون السورة على هذا الجواب<sup>(٢)</sup> مختصةً بمن المعلوم من حاله<sup>(٣)</sup> أنه لا يؤمن. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد؛ والمستهزئون هم: العاص ابن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعدى ابن قيس.

والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد؛ كقول الحبيب مؤكداً: ١٠  
بلى بلى، والممتنع مؤكداً: لا لا؛ ومثله قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٢، ٣]، وأنشد الفراء:

وكانن وكم عندى لهم من صنيعه  
أيادى تنوها على وأوجبوا  
وأنشد أيضاً:

١٥ كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ وَكَمْ

وقال آخر:

نَفَقَ الْغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى غُدْوَةً كَمْ كَمْ وَكَمْ بِفِرَاقٍ لِبْنَى يَنْفِقُ<sup>(٤)</sup> [٣٨ ط]

وقال آخر:

(١) ط: «فاختلفت المعاني».

(٢) ساقطة من ط، م.

(٣) ساقطة من ت، م.

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأَوَّلِي لِنَفْسِي أَوَّلِي لَهَا! (١)

والجواب الثالث - وهو أغربها - أننى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ؛ أى : أنتم غير عابدين الله الذى أنا عابده إذ أشركتكم به ، واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه ، وإنما يكون يكون عابداً له مَنْ أخلص له العبادة دون غيره ، وأفرده بها ؛ وقوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ؛ أى لست أعبد عبادتكم ، ومافى قوله : ﴿مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ٥ فى موضع المصدر كما قال تعالى : ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ؛ [الشمس : ٧٦] ، أراد : وطَّحَّاهُ إياها وتسويتها لها ، وقوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ؛ [غافر : ٧٥] ، يريد : بفرحكم ومرحكم ؛ قال الشاعر :

يَا رُبَّعَ سَلَامَةٍ بِالْمُنْحَى بِخَيْفٍ سَلَعٍ جَادِكَ الْوَابِلُ (٢)

١٠ إِنَّ نَفْسٍ وَحْشًا فَمَا قَدْ تَرَى وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهَا أَهْلُ (٣)

أراد فبرؤيتك معموراً أهلاً ، ومعنى قوله : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ ، أى لستم عابدين عبادتى على نحو ما ذكرناه ، فلم يتكرر الكلام إلا لاختلاف المعانى .

وتلخيص ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله قال للكفار لا أعبد آلهتكم ، وَمَنْ تَدْعُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ إلهى ، فإن زعمتم أنكم عابدون إلهى فأنتم كاذبون ، إذ كنتم ١٥ من غير الجهة التى أمركم بها تعبدونه ، فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم ما دتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتى .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أولاك : كلمة تحذير ، قل الأصمى : معناه قاربك مانكره والولى : القرب ، وقد وليه بليه . وقال ثعلب : أصبح ما ذكر فى « أولى » قول الأصمى ، وقد قيل فى غير ذلك ، وكان محمد بن الحنفية عليه السلام إذا مات جاره ليقول : أولى لى ! كدت أكون السواء المحترم » .

(٢) المنحى : حيث ينحى السيل ؛ أى يعبل . والخيف : ما انحدر عن الجبل وارتفع عن المسيل ، وسمى خيف متى . وسلع : يطلق على جملة مواضع فى ديار باهلة وأسد .

(٣) وحشاً : خالياً ، وبما ترى ؛ أى بما كنت قد ترى ، وآهل : ذو أهل ؛ وفى حاشية ف « وأنت معمور بها ، يجوز أن يتعلق « بها » بمعمور وبآهل جميعاً . وفى د ، م : « به أهل » .



فإن قيل : أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه ، فما الوجه في اختلاف العبادة ؟ قلنا : إنه صلى الله عليه وآله كان يعبد مَنْ يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئاً ، وهم يشركون ، فاختلقت عبادتهما<sup>(١)</sup> ، ولأنه أيضاً كان يتقرب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة ، وهم لا يفعلون تلك الأفعال ، ويتقربون بأفعال غيرها ، يعتقدون جهلاً أنها عبادة وقربة .

و  
/ فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، وظاهر هذا الكلام يقتضى إباحتهم المقام على أديانهم ؟ قلنا في هذا ثلاثة أجوبة : أولها أن ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر ؛ كما قال تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠] . وثانيها أنه أراد لكم جزاء دينكم ، ولي جزاء ديني ، فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ، وثالثها أنه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي ؛ لأن نفس الدين هو الجزاء ؛ ١٠ قال الشاعر :

إِذَا مَا لَقُونَا لَقِينَاهُمْ      وَدَنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرَضُونَا

فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المدة ، فكما ذكر نعمة أنعم بها قرّر عليها<sup>(٢)</sup> ، ووبّخ على التكذيب بها ؛ كما يقول الرجل لغيره : ألم أحسن إليك بأن خولتكَ الأموال ! ألم أحسن إليك بأن خلصتكَ من المسكاره ! ألم أحسن إليك ١٥ بأن فعلت بك كذا وكذا ! فيحسن منه التكرير<sup>(٣)</sup> لاختلاف ما يقرره به ، وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم ، قال مهمل بن ربيعة يرثي أخاه كليلاً<sup>(٤)</sup> :

(١) ف ، حاشية ت ( من نسخة ) : « عبادتهما » .

(٢) ت ، ف : « بها » .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « التكرار » .

(٤) من قصيدة مشهورة ، مطلعها :

أَلَيْلَتْنَا بَذَى حُسْمٍ أُنِيرِي      إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْجُورِي  
وهي في ( أمالي القالي ٢ : ١٢٩-١٣٣ ) وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبل هذا البيت :  
وَهَمَامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكَنَا      عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ النُّسُورِ

على أن ليس عدلاً من كليب إذا طرد<sup>(١)</sup> اليتيم عن الجزور<sup>(١)</sup>  
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ماضيم جيران المجير  
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا رجف العضاء من الدبور<sup>(٢)</sup>  
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا خرّجت مخبأة الخدور  
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما أعلنت نجوى الأمور  
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا خيف الخوف من الثغور  
 على أن ليس عدلاً من كليب غداة تلاتل الأمر الكبير<sup>(٣)</sup>  
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما خام جار المستجير<sup>(٤)</sup>

وقالت ليلي الأخيلية ترثي توبة بن الحمير :

[ ٢٩ ] / ولنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت صدور الأعالى واستشال الأسافل<sup>(٥)</sup>  
 ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبق يوماً كنت فيه تحاول<sup>(٦)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « اللئيم » .

وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مهلهل في هذه القطعة قبل هذا البيت مرثية أخيه ؛ وهو الذي ثارت لأجله حرب البسوس ؛ وكان سبب تلك الحرب أن كليبا رمى ضرع ناقة البسوس ، فانتظم ضرعها ، فقتل كليب ، وبقيت الحرب فيهم أربعين سنة ، وكان في أواخر تلك الحروب يوم التحلاق ، وعلى أن ليس عدلاً ؛ يعنى : ليس همام عدلاً من كليب ؛ ويقال : عندى غلام عدل غلامك [ بكسر العين ] وهذا المال عدل غلامك [ بالفتح ] ؛ أى قيمته ؛ قال الفراء : العدل [ بالفتح ] : ما عادل الشئ من غير جنسه ، والعدل [ بالكسر ] المثل » . (٢) رجف : تحرك حركة شديدة ، والعضاء : كل شجر له شوك ؛ وفي حاشية الأصل : « أى كان الزمان شتاء » .

(٣) التلاتل : الشدائد ، وفي ت ، ف : « بلابل » ، وفي الأصل ذكر الوجهان معا ، وفي الحاشية :

« البلابل : الهفن ، والتلاتل : الشدائد ، وفي شعره بالبلاء » .

(٤) خام : جبن ، وفي نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « خار » .

(٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « في ديوانها : « العوالى » ، وهى رواية ف أيضا .

(٦) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تحاول » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « في

نسخة شعرها :

ونعم الفتى يا توب كنت قديمة على الخيل تمرّيها ونعم المنازل

وقدعة ؛ أى مدة قدعة ، ويجوز أن تكون قدعة بمعنى مقدامة . وتمرّيها ، تحملها الجرية .

- وَنِعْمَ الْفَتَى يَا تَوْبَ كُنْتَ لِخَائِفٍ  
وَنِعْمَ الْفَتَى يَا تَوْبَ جَارًا وَصَاحِبًا  
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ  
[لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ  
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ  
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ  
أَبِي لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا  
أَبِي لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا  
فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا  
وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّهَا  
وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ وَالتَّقَى
- أَتَاكَ لَكِي يُحْمَى وَنِعْمَ الْمُجَابِلُ<sup>(١)</sup>  
وَنِعْمَ الْفَتَى يَا تَوْبَ حِينَ تَفَاضِلُ<sup>(٢)</sup>  
بِحِدِّ وَلَوْ لَامَتْ عَلَيْهِ الْعَوَاضِلُ  
وَيَكْثُرُ تَسْهِيْدِي لَهُ لَا أَوَائِلُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَوْ لَامَ فِيهِ نَاقِصُ الرَّأْيِ جَاهِلُ<sup>(٤)</sup> ٥  
إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُحْجَمِينَ التَّلَاتِلُ<sup>(٥)</sup>  
ذُكِرَتْ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَامِلُ  
ذُكِرَتْ سَمَاحٌ حِينَ تَأْوِي الْأَرَامِلُ  
لَقِيتَ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ  
كَذَلِكَ الْمَنِيَا عَاجِلَاتٌ وَآجِلُ ١٠  
عَلَيْكَ الْعَوَادِي الْمُدْجَنَاتُ الْهَوَاطِلُ<sup>(٦)</sup>

فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددناها على نحو ما ذكرناه<sup>(٧)</sup>.

(١) كذا في الأصل ، ف ؛ وفي ت : « المحامل » ، وفي حاشيتها : « المحامل ؛ من الحالة ؛ وهي الدية » .

(٢) ف ، وحاشية ت ( من نسخة ) : « تناضل » ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « تقايل » .

(٣) زيادة من م وحاشيتي ط ، ف .

(٤) م : « ناقص العقل » .

(٥) ت : « البلبال » ، وفي حاشية ف : « المنتجم : الذي أشرف على القتل ؛ فكأنه جعل الحما ، والتلال : جمع تلتلة ، وهي مضاعف من الرباعي ، يقال : تلتة وتلتلة ؛ كما يقال : كبة وكبيكة ؛ قال تعالى : فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ » ، والتلال : الأمور العظام » .

(٦) المدجنات : السحاب المظلمة ، والهطلان : تتابع المطر والدمع .

(٧) حاشية ف : « في الجاليس والأنيس : من أعجب ما روى في قصتهما أن لبلى الأخيلية بعد موت توبة تزوجت ، ثم إن زوجها بعد ذلك مرّ بقبر توبة ولبلى معه ، فقال لها : يالبي ؛ هل تعرفين هذا القبر ؟ فقالت : لا ، فقال : هذا قبر توبة فسلمى عليه ، فقالت : امض لأشأنك ؛ فأتريد من توبة وقد بليت عظامه ؟ =

وقال الحارث بن عباد - :

قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنْ حِيَالٍ<sup>(١)</sup>  
ثم كرر قوله : «قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ» في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذى ذكرناه.

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترى زوجها :

وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكًا أَقَامَ وَنَادَى صَحْبُهُ بِرَحِيلِ ٥  
وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكًا ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ نَكُولِ  
وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكًا جَوَّازٌ بِمَا فِي الرَّحْلِ غَيْرُ بَخِيلِ  
وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكًا خَفِيفٌ عَلَى الْحُدَاثِ غَيْرُ ثَقِيلِ  
وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكًا صَرُومٌ كَمَاضَى الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ [٤٠]

وهذا المعنى أكثر من أن نحصىه . وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات

بقوله تعالى : ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

== قال : أريد تكذيبه؛ أليس هو الذى يقول :

وَلَوْ أَنَّ لِيَنَّ الْأَخِيلَةَ سَلَمْتُ عَلَى وَدُونِي تُرْبَةً وَصَفَائِحُ  
لَسَلَمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقًا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

فوالله ، لا برحت أو تسلمى عليه ؛ فقالت : والسلام عليك يا نوبة ورحمك الله ، وبارك لك فيما صرت إليه ؛ فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها ، فشبهت شهقة فانت ، فدفنت إلى جانب قبره ، فنبئت على قبره شجرة ، وعلى قبرها شجرة ، فطالنا والتفتنا .

(١) مربوط ؛ ضبطت بالقلم في الأصل ، بالفتح والكسر معا ، وفي حاشية ف : « ما كان على فعل يفعل ، بالضم فالمصدر والموضع منه فعل بالفتح ، وما كان على فعل يفعل بالكسرة فالمصدر فعل ، بالفتح ، والموضع مفعول ، بالكسر ، وما كان على فعل يفعل بالفتح فكلاهما فيه بالفتح » . وفي حاشية الأصل : « الحيال : ألا تحمل الناقة أو الفرس ؛ يعنى أن الحرب لقيحت بعد أن كانت لا تحمل » .

وقد ورد هذا البيت في ( أمالي القالى ٣ : ٢٦ ) ، وبهذه :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّـهُ وَإِنِّي بِمَجْرَّهَا الْيَوْمَ صَالٍ  
قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي إِنْ بَيْعَ الْكِرَامِ بِالشُّعْرِ غَالٍ

فإن قيل: إذا كان الذى حسن التكرار فى سورة الرحمن ما عدده من الآله ، ونعمه فقد عدّ فى جملة ذلك ما ليس بنعمة، وهو قوله : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ [آية : ٣٥] ، وقوله : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آِنٍ ﴾ <sup>(١)</sup> [آية : ٤٣، ٤٤] . فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا : ﴿ فَبَأَى آَلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم ؟ قلنا : الوجه فى ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن ٥ نعمة فقد كرّه ووصفه والإنذار به من أكبر النعم ، لأن فى ذلك زجراً عمماً يستحق به العقاب وبما على ما يستحق به الثواب ، فإنما أشار بقوله تعالى : ﴿ فَبَأَى آَلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمته بوصفها والإنذار بعقابها ، وهذا مما لا شبهة <sup>(٢)</sup> فى كونه نعمة .

## فصل

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ذو المجدين أدام الله علوه : وكما أنه كان فى الجاهلية وقبل الإسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدهر ، وينفون الصانع ، وآخرون مشركون ١٠ يعبدون غير خالقهم ، ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه ، وضرب لهم الأمثال ، وكرّر عليهم البينات والأعلام ، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول فى جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون ، وكفار مشركون ؛ فمنهم <sup>(٣)</sup> عزّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة ، وألجأهم خوف القتل إلى الساترة ؛ وبليّة هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ ، لأنهم يُبدِغون فى الدين ، ويموّهون ١٥ على المستضعفين ، بجأشٍ رابط ، ورأى جامع ؛ فعُمل من قدامين الوحشة ، ووثق بالأنسة ، بما يظهره <sup>(٤)</sup> من لباس الدين ، الذى هو منه على الحقيقة عارٍ ، وبأثوابه غير متوار ، كما يحكى أن عبد الكريم بن أبى العوّاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان ، وهو والى الكوفة من قبل

(١) حاشية ف : « الحميم : الماء الحار ، والآنى : الذى بلغ نهايته » .

(٢) ش : « وهذا لا شبهة » . (٣) ش : « فمنهم » . (٤) ش : « فيما يظهره » .

[ ٤٠ ] المنصور، وأحضره / للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة<sup>(١)</sup> : لئن قتلتُموني لقد وضعتُ في أحاديثكم  
أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة<sup>(٢)</sup> .

والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، والحمادون : حماد الراوية ، وحماد  
ابن الزُّبرقان ، وحماد عَجْرَد ؛ وعبد الله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ،  
وبشار بن بُرْد ، ومُطِيع بن إياس ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وصالح بن عبد القدوس  
الأزديّ ، وعليّ بن خليل الشَّيباني ، وغير هؤلاء ، ممن لم نذكره ؛ وهم وإن كان عددهم كثيراً  
فقد أقلهم الله وأذلهم<sup>(٣)</sup> بما شهدت به دلائله الواضحة ، وحججه اللائحة على عقولهم من  
الضعف ، وآرائهم من السُّخف .

ونحن نذكر من أخبار كلِّ واحدٍ ممن ذكرناه وتهمته في دينه بُبْذَة<sup>(٤)</sup> ، ونومى فيها  
١٠ إلى جملة<sup>(٥)</sup> . والذي دعانا إلى التشاغل بذلك - وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى - مسألة مَنْ  
نرى إجابته ، ونؤثر موافقته ، فتكلفناه له ومن أجله ، مع أنه غير خالٍ من فائدة ينفعُ علمها  
ويُتأدب بروايتها وحفظها .

\*\*\*

أما الوليد<sup>(٦)</sup> - فكان مشهوراً بالإلحاد ، متظاهراً بالعناد ، غير محتشم في أطراح الدين أحداً

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « الدنيا » .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « موضوعة » .

(٣) في ت ، د : « وأذلهم وأرذلهم » .

(٤) بُبْذَة ، بفتح النون وضمة هاء . (٥) في ت ، د : « جملة كافية » .

(٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ؛ ويكنى أبا العباس

قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان المتولى لذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وكانت ولاية

الملعونة سنة وشهرين ونيفاً وعشرين ليلة ، وقتل وقد بلغ من السن اثنتين وأربعين سنة ، وقتل معه ولداً

الحكم وعثمان ، وكان يقال لهما الجملان » . وانظر أخبار الوليد في ( الأغاني ٦ : ٩٨ - ١٣٧

والعقد ٤ : ٤٥٢ - ٤٦٣ ) .

ولا مراقب فيه بشراً ؛ وفي الحديث أنه وُلِدَ لأُخَى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله غلام فسمّوه الوليد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : «سمّيتوه بأسماء فراعنتكم ! ليكوننَّ في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لهو شرٌّ على هذه الأمة من فرعون على قومه». قال الأوزاعي : فسألت الزُّهري عنه فقال : إن استُخْلِيفَ الوليد بن يزيد ، وإلاَّ هو الوليد بن عبد الملك .

أخبرنا أبو عبيد الله المَرْزُبَانِيُّ قال : حدَّثني محمد بن إبراهيم قال : حدَّثنا محمد بن يزيد النحوي قال : كان الوليدُ بنُ يزيدَ بن عبد الملك قد عَزَمَ على أن يبنَى فوق البيت الحرام قُبَّةً يشرب عليها الخمر ، ويُشْرِف على الطَّواف ، فقال بعض الحِجَّبة<sup>(١)</sup> : لقد رأيتُ المجوسَ البَنَاءَ فوق الكعبة ؛ وهو يقدِّر مواضع أركان القبة ، فلم تُمَسَّ<sup>(٢)</sup> تلك الليلة حتى وافى الخبرُ بقتل الوليد .

وأخبرنا أبو عبيد الله المَرْزُبَانِيُّ قال أخبرني عبدُ الله بن يحيى العسكري / عن أبي إسحاق [ ٤١ ]  
الطَّلحي قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي العالية عن بعض أهل العلم قال : قال يزيد بن الوليد - وهو الملقَّب بالناقص<sup>(٣)</sup> لما ولى : نشدتُ الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد إلا أخبر به ! فقام ثور بن يزيد فقال : أشهد لسمعتُه<sup>(٤)</sup> وهو يقول :

اسقياني وابنَ حَرْبٍ واسْتُرَانَا بِإِزَارِ  
واترُكَا مَنْ طَلَبَ الْجَنَّةَ يَسْعَى فِي خَسَارِ  
سأسوسُ النَّاسَ حَتَّى يَرْكَبُوا دِينَ الْحِمَارِ<sup>(٥)</sup>

وأخبرنا المَرْزُبَانِيُّ قال : أخبرني أحمد بنُ خالد النخَّاس قال : حدَّثنا محمد بن مكحول قال :

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « بعض الطواف » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « فلم تمس » .

(٣) ش : « الملقب بالناقص » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قيل له الناقص لأنه كان نقص أعطياتهم » .

(٤) ش : « لقد سمعته » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي حتى ينزوا بعضهم على بعض كما تتنازى الحمير » .

نَشَرَ الْوَلِيدُ بْنُ يُزَيْدٍ يَوْمًا الْمَصْحَفَ ، وَكَانَ خَطُّهُ كَأَنَّهُ أَصَابِعُ ، وَجَعَلَ يَرْمِيهِ بِالسَّهَامِ وَهُوَ يَقُولُ <sup>(١)</sup> :

تَذَكَّرْنِي الْحِسَابَ وَلَسْتُ أُدْرِي أَحَقًّا مَا تَقُولُ مِنَ الْحِسَابِ  
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي

• قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : ويله من هذه الجرأة على الله وبلا طويلا ! وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته ! وما أولاه اللعين باليم العذاب وشديد العقاب ! لولا ما تيم به المحنة ، وينتظم به التكليف ؛ من تأخير المستحق من الثواب والعقاب ، وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصي .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني أحمد بن كامل قال : كان الوليد بن يزيد زنديقا ١٠ وإنه فتح <sup>(٢)</sup> المصحف يوما فرأى فيه : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ؛ [إبراهيم : ١٥] ، فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالنبل حتى مرّقه ؛ وهو يقول :

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ  
فَإِنْ لَاقَيْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَّقَنِي الْوَلِيدُ <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) ت : « وهو يقول » .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « افتتح » .

(٣) حاشية ف : « أخبر أبو حاتم عن العتيبي قال : كان الوليد بن يزيد قد نظر إلى جارية من أهيا النساء يقال لها : سفري ، فجن بها ، وجعل يرأسها وتأتى عليه ؛ حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب ، وأنها ستخرج فيه ، وكان في موضع العيد بستان حسن ، وكان النساء يدخلنه ، فصانع الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها ؛ فتأبمه ، وحضر الوليد وقد نقشف وغير حليته ، ودخلت سفري البستان ، فجعلت تمتشي حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ قل لها : رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر إليها ومن حديثها ؛ فقبل لها : ويلك ! أتدريين من ذلك الرجل ؟ قالت : لا ، =



وأما حماد الراوية فكان مُنْسَلِخاً من الدين ، زارياً على أهله ، مُدْمِناً لشرب الخمر وارتكاب الفجور .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان مُنْقِذُ بن زياد الهلاليّ ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وحفص بن أبي وَدَّة<sup>(١)</sup> ، وقاسم بن زُنْقُطَة ، وابن المقفّع ، ويونس بن أبي فروة ، وحماد مجرد / وعلى بن الحليل ، وحماد بن أبي ليلي الراوية ، وحماد بن الزُّبْرَقَان ، ووالبة بن [٤١] <sup>ظ</sup> الحُبَاب ، وعمارة بن حمزة بن ميمون ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ المهلبيّ ، وبشار ابن بُرْد المرعّث ، وأبان اللاحقى؛ يجتمعون على الشرب وقول الشعر ، ويهجو بعضهم بعضاً ، وكلّ منهم مُتَمِّمٌ في دينه<sup>(٢)</sup> .

== فقيل لها: الوليد بن يزيد؟ وإذ انكشف حتى ينظر إليك؛ فجت بعد ذلك ، وكانت عليه أحر منه عليها ، فقال الوليد في ذلك :

|                                  |                                     |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| أضحى فؤادك يا وليدُ عميداً       | صَبّاً قديماً للحسان صيوداً         |
| من حُبِّ واضحة العوارض طفلةٍ     | برزتُ لنا نحو الكنيسة عيداً         |
| مازلتُ أرمقها بعيني وَاَمَقِ     | حتى بَصُرْتُ بها تُقبِّلُ عوداً     |
| عود الصليب ، فويحَ نفسى مَنْ رأى | منكم صليبا مثله مَعْبُوداً!         |
| فسألتُ ربّي أنْ أكونَ مكانه      | وأكونَ في لَهَبِ الجَحِيمِ وَقُوداً |

قال القاضي: لم يبلغ مدرك الشيبانيّ هذا الحد من الخلاعة؛ إذ قال في عمرو النصراني:

|                                |                            |
|--------------------------------|----------------------------|
| يا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ صليبا | فكنتُ معه أبداً قريبا      |
| أبصرُ حُسْناً وأشمُ طيباً      | لا واشياً أخشى ولا رَقيباً |

فلما ظهر أمره وعلمه الناس قال :

|                              |  |
|------------------------------|--|
| ألا حَبِذا سفرى وإن قيل إننى | كَلِفْتُ بنصرانية تشربُ الخمرَا              |
| يهونُ علىَّ أنْ تظلَّ نهارها | إلى اللَّيْلِ لا أُولَى نُصَلَّى ولا عَصْرَا |

(١) ش : « ودة » ، بفتح الواو ، وضبط في الأصل بالفتح والضم معا .

(٢) حاشية ف : « حدث أبو الحسن بن راهويه قال : صلى يحيى بن معلى الكاتب - وكان في مجلس فيه أبو نواس ، ووالبة بن الحباب ، وعلى بن الحليل ، والحسين بن الخليلع - صلاة ، فقرأ فيها =

وعمل يونس بن أبي فرّوة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وصار به إلى ملك الروم ، فأخذ منه مالاً . وقال أحمد بن يحيى النحويّ قال رجل يهجو حمّاد الراوية :

نِعَمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ      وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَّادُ  
بَسَطَتْ مَشَافِرُهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ      مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْتَهِيَ الْحَدَّادُ  
وَأَبْيَضَ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ      فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ  
لَا يُعْجِبَنَّكَ بَرُّهُ وَلِسَانُهُ      إِنَّ الْمَجُوسَ يَرَى لَهَا أَسْبَادُ<sup>(١)</sup>

وكان حمّاد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر ، وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسه في أشعارهم ؛ حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حمّاد الشعر ، لأنه كان رجلاً يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم<sup>(٢)</sup> ما يشاكل طريقته ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم ؛ وهذا الفعل منه ، وإن لم يكن دالاً على الإلحاد فهو فسقٌ وتهاون بالكذب في الرواية<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وأما حمّاد بن الزُّبرقان فهذه طريقته في التخرُّم<sup>(٤)</sup> والتهتك ؛ أخبرنا أبو الحسن عليّ

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » فغلط ، فلما سلم ، فقال أبو نواس :

أَكْثَرَ يَخْيِي غَلْطًا      فِي « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ »

فقال والبة :

قَامَ طَوِيلًا سَاكِتًا      حَتَّى إِذَا أَعْيَا سَجَدَ

فقال على بن الخليل :

يَزْجِرُ فِي مِخْرَابِهِ      زَحِيرَ حُبْلَى لِلْوَلَدِ

فقال الحسين بن الخليم :

كَأَنَّمَا      لِسَانُهُ      شُدَّ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ

(١) حاشية الأصل : « جمع سبد ؛ وهو المال ، وهما اكناية عن الثياب واللباس » . (٢) ساقط من م . (٣) توفي حمّاد الراوية سنة ١٥٥ . ( وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ١٦٤-١٦٥ ) .  
(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « الفجور » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « التخرم التهتك ، وهو أيضا التدين بدين الحرمة ؛ وهم أهل التناسخ » .

ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْد قال أخبرنا الأشعث بن دُرَيْد قال : دعا حماد بن الزبير<sup>(١)</sup> قال :  
أبا الغول التَّهْلِيلِيَّ إلى منزله وكانا يتقارضان<sup>(٢)</sup> ، فأنهرا أبو الغول ، فلم يزل المفضل به حتى  
أجابه ، وانطلق معه ، فلما رجع إلى المفضل قال : ما صنعت أنت وحماد ؟ قال : اصطلحنا  
على ألا أمره بالصلاة ، ولا يدعوني إلى شرب الخمر ، وأنشد المفضل قوله :

نَعَمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ \*  
٥

وذكر الأبيات التي تقدّمت في الرواية الأخرى منسوبة إلى هجاء حماد الراوية .

\*\*\*

فأما حماد عَجْرَد فشهرته في الضلالة / كشهرة الحمّادين ، وكان يُرْمَى مع ذلك بالتَّثْنِيَّة . [ ٢ : ٢ ]  
أخبرنا أبو عُبَيْد الله المَرْزُبَانِيّ قال حدثني عليّ بن عبد الله الفارسيّ قال أخبرني أبي قال حدثني  
ابن مَهْرُوبٍ<sup>(٣)</sup> قال حدثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدثني السريّ بن الصّباح الكوفيّ  
قال : دخلت على بشار بالبصرة ، فقال لي : يا أبا عليّ ، أما إنّي قد أوجعتُ صاحبكم ، ١٠  
وبلغت منه - يعني حماد عَجْرَد - فقلت : بماذا يا أبا مُعَاذٍ ؟ فقال : بقولي فيه :

يَا بَنَ نِهْيَا رَأْسٌ عَلَى ثَقِيلٍ وَاحْتِمَالُ الرَّأْسَيْنِ خَطْبٌ جَلِيلٌ  
فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبَّيْنِ فَإِنِّي بَوَاحِدٍ مَشْفُوعٌ

فقلت لِمَ<sup>(٤)</sup> أدعته في عماء ؟ ثم قلت له : قد بلغ حماداً هذا الشعر ، وهو يرّويه على خلاف  
هذا قال : فما يقول ؟ قلت يقول :

فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبَّيْنِ فَإِنِّي عَنْ وَاحِدٍ مَشْفُوعٌ  
قال فلما سمعه أطرق وقال : أحسنَ والله ابنُ الفاعلة ! ثم قال : إنني لأحتشمك ، فلا تُنشد  
أحدًا هذين البيتين ؛ وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال : ما هما لي !

(١) انظر ترجمته ومراجعتها في (إنباء الرواة ١ : ٣٣٠-٣٣٢) . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« يتقارضان : يتجازيان ؛ ويقال ذلك في الخير والشر جميعا ، أى يقرض بعضهم بعضا الهجاء » .

(٣) م : « مهرويه » ، بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء وبعدها واو ساكنة وياء مفتوحة .

(٤) م : « لن أدعه » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاذ الأرقط قال قال بشار: بلغني أن رجلاً كان يقرأ القرآن وحماد يُنشد الشعر، فاجتمع الناس على القارى فقال حماد: علام تجتمعون؟ فوالله ما أقول<sup>(١)</sup> أحسن مما يقول! فمقتة الناس على هذا.

٥ وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال: كان حماد عجراً يُعير بشاراً بالقبح؛ لأنه كان عظيم الجسم، مجدوراً، طويلاً، جاحظ العينين، قد تغشاهما لحم أحمر؛ فلما قال حماد فيه:

والله ما الحنيرُ في نَنِّهِ      برُبْعِهِ في النَّتَنِ أو حُمِّهِ  
بَلْ رِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِهِ      وَمَسَّهُ أَلْيَنُ مِنْ مَسِّهِ  
وَوَجْهُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ      وَنَفْسُهُ أَفْضَلُ مِنْ نَفْسِهِ  
وَعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ      وَجَنَسُهُ أَكْرَمُ مِنْ جَنَسِهِ

١٠

[٤٢] / فقال بشار: ويل علي الزنديق! لقد نفث بما في صدره، قيل: وكيف ذاك؟ قال: ما أراد الزنديق إلّا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ [التين: ٤]؛ فأخرج الجحودَ بها مخرج هجائي، وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف.

وأول من جعل نفي الإلحاد تأكيذاً للوصف به، وأخرج ذلك مخرج المبالغة مُساوٍ

١٥ الوراق في حماد مجرد فقال:

لَوْ أَنَّ مَانِي وَدَيْصَانًا وَعُصْبَتَهُمْ      جَاءُوا إِلَيْكَ لَمَّا قُلْنَاكَ زَنْدِيقُ  
أَنْتَ الْعِبَادَةُ وَالتَّوْحِيدُ مَذْخُلًا      وَذَا الزَّيْنَدُوقُ نِيرَانُ مَخَارِيقُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

فأما ابن المقفع<sup>(٣)</sup> فإن جعفر بن سليمان روى عن المهدي أنه قال: ما وجدتُ كتاباً

(١) ش: «لما أقول». (٢) توفي حماد عجرد سنة ١٦١؛ (وانظر ترجمته في ابن خلدون

١٦٥:١-١٦٦) حاشية ف: «هو الذي يقول:

قَدْ سَلِمَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ      كَلَامُ رَاغِي الْكَلَامِ قَوْتُ  
لَا تُنْفِشُ سِرًّا إِلَى جَدَارٍ      فَرَبَّمَا كَمَّتِ الْبُيُوتُ  
وَأَعْجَبَا لِمَرَى ضُحُوكِ!      مُسْتَيْقِنٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

رَزَنْدَقَةُ قَطْ إِلَّا وَأَصْلُهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ . رَوَى ابْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ الْمُقَفَّعِ وَقَدْ  
حَرَبِيَّتَ نَارَ الْمُجُوسِ<sup>(١)</sup> بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ ، فَلَمَحَهُ وَتَمَثَّلَ :

يَا بَيْتَ عَاتِكِ الذِّى أَتَعَزَّلُ      حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَادُ مُوَكَّلُ<sup>(٢)</sup>  
إِنِّى لَأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّى      قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمَّيْلُ<sup>(٣)</sup>

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ قَالَ : قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ يَرْتِى يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ - وَقَالَ الْأَخْفَشُ : ه  
وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَرْتِى بِهَا ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ :

رُزَيْنًا أَبَا عَمْرٍو وَلَا حَيَّ مِثْلُهُ      فَلَهُ رَبُّ الْحَادِثَاتِ بَمَنْ وَقَعَ !  
فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَنَا وَتَرَكْتَنَا      ذَوِي خَلَّةٍ مَا فِى انْسِدَادٍ لَهَا طَمَعُ  
لَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْ نَا لَكَ أَنَّنَا      أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ

قَالَ ثَعْلَبُ : الْبَيْتُ الْأَخِيرُ بَدَلٌ عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِى أَنَّ الْخَيْرَ مَمْزُوجٌ بِالشَّرِّ ، وَالشَّرُّ مَمْزُوجٌ ١٠  
بِالْخَيْرِ .

وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَغِيرَةُ بْنُ  
مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ مِنْ حَفَظِهِ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ قَالَ : كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى

(١) ش : « نَار » الْمُجُوسِ .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « هَذَانِ الْبَيْتَانِ لِلْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي الْأَنْقَلَجِ حَمَى الدَّبْرِ ، وَكَانَ  
حَمَى الدَّبْرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبْلَى ذَاتَ يَوْمٍ بَلَاءً حَسَنًا فَاضْطَعْنَ الْمَشْرُكُونَ عَلَيْهِ ،  
وَلَمَّا قُتِلَ أَرَادَ الْمَشْرُكُونَ أَنْ يَمْلُؤُوا بِجَنَّتِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ الْحَارَبَةِ ، قَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : الْمَاهِمُ أَحْفَظُ جَنَّتِي مِنَ  
الْمَشْرُكِينَ ، فَلَمَّا قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعَثَ اللَّهُ جَمَاعَةً مِنَ النُّجَلِ ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ تَحْمِيهِ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ الْمَلِيلُ ، فَجَاءَ سَبِيلُ  
خَاطَمَتِهِ ، فَلَمْ يَرِ الْمَشْرُكُونَ جَنَّتَهُ » .

وَالْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَمْدَحُ فِيهِمَا عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ وَهِيَ فِي ( الْأَغَانِي ١٨ : ١٩٦ - ١٩٧ )  
وَأُيُوتٌ مِنْهَا فِى الْخَزَانَةِ ( ١ : ٢٤٨ ) ؛ وَهِيَ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ . وَأَتَعَزَّلُ :  
أَتَجَنَّبُ وَأَكُونُ بِمَعَزَلٍ ، وَالْعِدَا : جَمْعُ عَدُوٍّ ؛ يُقَالُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ .

(٣) أَمْنَحُكَ : أَعْطَيْكَ ؛ وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ السَّكَافِيَّةِ ، عَلَى أَنَّ « قَسَمًا » تَأْكِيدٌ لِلْقِسْمِ الْمَفْهُومِ مِنْ  
قَوْلِهِ : « إِنِّى لَأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ » .

عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحب ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبى فتحادثا ثلاثة أيام وليالين ، فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : ما رأيت مثله ، وعلمه أكبر [ ٤٣ ] من عقله ، / وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيت مثله ، وعقله أكبر من علمه . قال المغيرة : فصدقا ، أدّى <sup>(١)</sup> عقل الخليل الخليل إلى أن مات أزهد الناس <sup>(٢)</sup> ، وجعل ابن المقفع أداه إلى أن كتب أمانا لعبد الله بن عليّ فقال فيه : ومضى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله ففسأوه طوالق ؛ ودوابه حبس <sup>(٣)</sup> ، وعبيده أحرار ، والمسامون في حل من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر البيعة ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبى وهو أمير البصرة من قبله بقتله ، فقتله .

وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام ، فصيح العبارة ، له حكم وأمثال مستفادة ؛ ١٠ من ذلك ما روى من أن يحيى بن زياد الحارثى كتب إليه يلتمس معاودة الإخاء والاجتماع على المودة والصفاء ، فأخّر جوابه ، فكتب إليه كتابا آخر يستترّثه ، فكتب إليه عبد الله : إن الإخاء رِقٌّ ؛ فكرهت أن أمّلك رِقّى قبل أن أعرف حُسن ملكتك . وكان يقول : « ذلّل نفسك بالصبر على الجار السوء ، والعشير السوء ، والجلس السوء ، فإنّ ذلك لا يكاد يُخطئك » .

١٥ وكان يقول : « إذا نزل بك أمرٌ مهمّ فانظر ؛ فإن كان ممّا له حيلة فلا تعجز ، وإن كان ممّا لا حيلة فيه فلا تجزع » .

ودعاه عيسى بن عليّ إلى الغداء فقال : « أعزّ الله الأمير ! لست يوى للكرام أكيلا » ، قال : ولم ؟ قال : « لأنّى مزكوم والزّكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار » . وكتب إلى بعض إخوانه : « أمّا بعد ، فتعلّم العلم ممّن هو أعلم به منك ، وعلمه من

(١-١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فإن عقل الخليل أداه إلى أن مات أزهد الناس » .  
(٢) الحبس ، بالضم : ما وقف ؛ وهو جمع الحبس ؛ وفي الحديث : « ذلك حبس في سبيل الله » ؛ أى موقوف على الغزاة ، يركبونه في الجهاد .

أنت أعلمُ به منه ، فإنك إذا فعلتَ ذلكَ عَلِمْتَ ما جَهِلْتَ ، وحفظت ما عَلِمْتَ .  
وقال لبعض الكتّاب : « إياك والتَّبَعِ لَوْ خَشِيَ الكلامَ طمعاً في نَيْلِ البلاغة ، فإن ذلك هو العيُّ الأكبر » .

وقال لآخر : « عليك بما سَهَّلَ من الألفاظ ؛ مع التجنُّب لألفاظ السَّفلة » .  
وقيل له : ما البلاغة ؟ فقال : « التي إذا سمعها الجاهلُ ظنَّ أنه يُحسِّنُ مثلها » .  
وقال : « لا تحدِّثْ مَنْ تخافُ تكذِيبه ، ولا تسألْ مَنْ تخافُ منعه ، ولا تعدَّ بما لا تقدر على <sup>(١)</sup> إنجازه ، ولا تضمَّنْ ما لا تثقُ بالقدرة عليه ، ولا ترجُ ما تُعَنَّفُ برجائه ، ولا تُقدِّم <sup>(٢)</sup> على ما تخافُ العجز عنه » .

وقال لبعض إخوانه / : « إذا صاحبتَ مَلِكاً فاعلم أنَّهم قد يُنسَبون إلى قلة الوفاء ، [ ٤٣ ]  
فلا تُشعرَنَّ قلبَكَ استبطاءه ، فإنه لم يشعرْ أحداً قلبه إلا ظهر على لسانه إن كان سخيّاً <sup>(٣)</sup> ، ١٠  
وعلى وجهه إن كان حليماً » .  
وكان يقول : « إنَّ مما سَخَى بنفس العالم عن الدنيا علمه بأن الأرزاق لم تُقسَمَ فيها على قدر الأخطار » <sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

فأما ابن أبي العوّاء فقد ذكرنا ما رُوِيَ من اعترافه بدسّهِ في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله أحاديث مَكذوبة . ورُوِيَ أنه رأى عدلاً قد كُتِبَ عليه آية الكرسيّ فقال لصاحبه : ١٥  
لَمْ كُتِبَ هذا عليه ؟ فقال : لئلا يُسْرَق ، فقال : قد رأينا مصحفاً سرق ! .  
ولبشارٍ فيه :

قُلْ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ يابنِ أَبِي الْعَوِّ جَاءَ بَعَثَ الْإِسْلَامَ بِالْكَفْرِ مُوقاً <sup>(٥)</sup>

(١) ش : « ولا تعد ما لا تقدر عليه » .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « لا تتقدم » .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « سفيها » . (٤) توفي ابن المقفع سنة ١٤٢ ، وانظر ترجمته وأخباره في كتاب أمراء البيان ( ١ : ٩٩-١٢٩ )

(٥) الأبيات في الأغاني ( ٣ : ٢٥ ) ، والموق : الحق في غباوة .

لَا تُصَلِّيْ وَلَا تَصُومُ فَإِنْ صُمْتَ فَبَعْضَ النَّهَارِ صَوْمًا رَقِيقًا<sup>(١)</sup>  
لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخَمِّ رِ عَتِيقًا أَلَّا تَكُونَ عَتِيقًا  
لَيْتَ شِعْرِي غَدَاةً خُلِّيتُ فِي الْجَنَّةِ دِر حَنِيفًا خُلِّيتُ أَمْ زِنْدِيقًا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

فَأَمَّا بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ فَرَوَى الْمَازَنِيَّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِبَشَارٍ : أَتَا كُلُّ اللَّحْمِ وَهُوَ مَبَايِنٌ  
لِدِيَانَتِكَ؟ - يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ تَنَبَّأَ<sup>(٣)</sup> - فَقَالَ بَشَارٌ : إِنَّ هَذَا اللَّحْمَ يَدْفَعُ عَنِّي شَرَّ هَذِهِ  
الظَّلَامَةِ .

قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَيُرْوَى أَنَّ بَشَارًا كَانَ يَتَعَصَّبُ لِلنَّارِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَصُوبُ رَأْيَ إِبْلِيسَ  
فِي الْامْتِنَاعِ عَنِ السَّجُودِ ، وَرُوِيَ لَهُ :  
النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

وَرَوَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَالَ : كُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ نَقُومُ إِلَيْهَا ، وَيَقْعُدُ بَشَارٌ ، فَتَجْعَلُ  
حَوْلَ ثِيَابِهِ<sup>(٤)</sup> تَرَابًا ؛ لِنَنْظُرَ : هَلْ يَصَلِّي ، فَنَعُودَ وَالتَّرَابُ بِحَالِهِ وَلَمْ يَثْمُ إِلَى الصَّلَاةِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَارَسِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي  
قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُويهَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَلَادٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كُنْتُ أَكَلَمُ بَشَارًا وَأَرَدْتُ  
عَلَيْهِ سُوءَ مَذْهَبِهِ بِمِثْلِهِ إِلَى الْإِلْحَادِ ، فَكَانَ يَقُولُ : لَا أَعْرِفُ إِلَّا مَا عَايَنْتُ أَوْ عَايَنَهُ مُعَايِنٌ ؛  
١٥ وَكَانَ الْكَلَامُ يَطُولُ بَيْنَنَا ، فَقَالَ لِي : مَا أَظُنُّ الْأَمْرَ<sup>(٥)</sup> يَا أَبَا مَخْلَدٍ إِلَّا كَمَا يَقَالُ : إِنَّهُ خَذْلَانٌ ؛  
وَلِذَلِكَ أَقُولُ :

(١) : ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « رقيقاً » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « المحلى : العارض للجبش ، أى أن العارض إذا كتب اسمه كتبها  
مسلمًا أو زنديقًا » .

(٣) النوبة : فرقة من الكفرة تزعم بالثنائية الإلهية ؛ إله للخير وهو النور ، وإله للشر وهو الظلمة ؛  
وانظر ( الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ : ١٩٨-١٩٩ ) .

(٤) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) « حوالى ثوبه » .

(٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ما ظن ما الأمر ... » .



[٤٤] طِبِعْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا  
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِدْ وَغَيْبَ عَنِّي أَنْ أُنَالَ الْمَغِيْبَا  
وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُبْصِرٌ فَأُمْسِي وَمَا أَعَقَّبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا

قال الجاحظ : كان بشار صديقاً لواصل بن عطاء الغزّال قبل أن يُظهر مذاهبه المكروهة ، وكان بشار مدح واصل بن عطاء ، وذكر خطبته التي نزع منها الرأء<sup>(١)</sup> ، وكانت على البديهة ٥ فقال :

تَكَلَّفَ الْقَوْمُ وَالْأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا وَحَبَرُوا خُطْبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطَبٍ !  
فَقَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِي بِدَاهْتُهُ كَرَجَلِ الْقَيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ<sup>(٢)</sup>  
وَجَانِبَ الرِّأءِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالْإِغْرَاقِ فِي الطَّلَبِ

ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء :

وَيَجْعَلُ الْبُرَّ قَمَحًا فِي تَكَلُّمِهِ وَجَانِبَ الرِّأءِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ  
وَنَهْمٌ يَقُلُّ مَطَرًا وَالْقَوْلُ يُعْجِلُهُ فَعَاذَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتَفَ<sup>(٣)</sup> به واصل ، وقام بذكره وتكفيره وقعد ، فقال بشار فيه :

١٥ مَالِي أَشَايِعُ غَزَاً لَهُ عُنُقٌ كَنَفْنَقِ الدَّوِّ إِنْ وَلَّى وَإِنْ مَثَلَا<sup>(٤)</sup>  
عُنُقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ تُكْفَرُونَ رِجَالًا أَوْ كُفَرُوا رِجَالًا<sup>(٥)</sup>

(١) نشرها الأستاذ عبد السلام هارون في المجموعة الثانية من نواذر المخطوطات .

(٢) حاشية الأصل : ( من نسخة ) : « فقال مرتجلا » ؛ والقين في الأصل : الحداد ؛ ثم قيل لاسكل حامل بالنار : قين ، وأراد بالقين هاهنا الصباغ .

(٣) هتف به : فضحه ، والهتاف في الأصل الصياح .

(٤) النقفن بكسر النونين : ذكر النعام ، والدو والدوية والدواية : الغلاة .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « عنق ، نصب على الظم ؛ شبه واصل بالزرافة ، والزرافة : الحيوان المعروف ، وعنقه أصحابه ؛ يقال : هم إليه عنق ؛ أى متتابعون » .

فلما تتابع على واصل ما يشهد بإلحاده قال عند ذلك : أما لهذا الأعمى المَلْحِد ! أما لهذا  
 المشنّف المَكْتَنِي<sup>(١)</sup> بأبي معاذٍ مَنْ يَقتله ! أما والله لولا أَنَّ الغيلة سَجِيَّةٌ من سجايا الغالية  
 لدسستُ إليه من يَمِجْ بطنه في جوف منزله على مَضْجعه ، أو في يوم حَفْلِهِ ، ثم كان لا يتولّى  
 ذلك إِلَّا عُقِيلٌ أو سَدُوسِيٌّ ، فعدل واصل بن عطاء من الضّرير إلى الأعمى ، ومن الكافر  
 إلى المَلْحِد ، ومن المرعث إلى المشنّف ، ومن بشار إلى أبي معاذ ، ومن الفراش إلى المضجع  
 وزاد قوم فقالوا : ومن أُرْسأتُ إلى دسست ، ومن يبقّر إلى يبعج ، ومن داره إلى منزله ،  
 [ ٤٤ ] ومن المغيرة<sup>(٢)</sup> إلى الغالية / ، والأول أشبه بأن يكون مقصوداً ، وما ذَكَرْتُ<sup>(٣)</sup> ثانياً قد  
 يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء .

فأما قوله : « لا يتولّى ذلك إِلَّا عُقِيلٌ<sup>(٤)</sup> أو سَدُوسِيٌّ<sup>(٥)</sup> » : فلأن بشاراً كان مولّى لهم ،  
 ١٠ وذكره بنى سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم . فأما لقبُ بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة  
 أقوال : أحدها أنه لَقِبَ بذلك لبيت قله وهو :

قَالَ رِيْمٌ مُرْعَثٌ فَاتَرُ الطَّرْفِ وَالنَّظَرُ  
 لَسْتُ وَاللَّهِ قَاتِلِي<sup>(٥)</sup> قُلْتُ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ

والقول الثاني أنه كان لبشار ثوبٌ له جِيَّان : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ،  
 ١٥ فكان إذا أراد لبسه يضمّه عليه ضمّاً ، من غير أن يدخل رأسه فيه ، فشبه استرسال الجييين  
 وتدلّيهما بالرّعات ، وهى القِرْطَة ، فقيل : المرعث ، وقال أبو عبيدة : إنما سُمّي المرعث لأنه  
 كان يلبس في صباه رِعَاتاً ، وهذا هو القول الثالث .

وكان بشار مقدما في الشعر جداً حتى إن كثيراً من الرّواة يُلَحِّقُه بمن تقدّم عصره عليه

(١) ت ، د ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « المكنى » .

(٢) المغيرة : فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، وكان مولى لخالد بن عبد الله

القسرى ، وادعى النبوة لنفسه . ( وانظر مفاتيح العلوم ٢٠ ، والفرق بين الفرق ٢٢٩ ) .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « وما ذكر » .

(٤-٤) ساقط من م .

(٥) ت ، ج ، ش : « فائلى » .

من المجودين . وأخبرنا الرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسين  
اليشكري<sup>(١)</sup> قال : قيل لأبي حاتم : مَنْ أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

ولها مَبْسِمٌ كغُرِّ الأَقاحي وحديثُ كالوشى وشى البرودِ  
نَزَلَتْ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ القَا بٍ وَنَالَتْ زِيَادَةَ المُسْتَرِيدِ  
عندَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعندي زَفَرَاتُ يَا كُنَّ صَبْرَ الجَلِيدِ

- يعني بشاراً ؛ قال : وكان يقدمه على جميع الناس ، ولما قال بشار :

بَنَى أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ<sup>(٢)</sup>  
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمَ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّقِّ وَالْعُودِ<sup>(٣)</sup>  
فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه ، وكان ذلك سبب قتله<sup>(٤)</sup> .

(١) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « محمد الحسن السكري » .

(٢) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدي ، ( وانظر أخباره وتفصيل أسباب قتله ، في

الفغري ١٦٠-١٦٣ ) . (٣) ت ، ج ، د ، ف : « الناي والعود » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان حماد مجرد قال في بشار :

لَهُ مُقَلَّةٌ عَمِيَاءُ وَاسْتَبَصِيرَةٌ إِلَى الْأَيْرِ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ تُشِيرُ

فقال بشار : - وكتب بها إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان حماد يعلم ولده :

يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَنْمَ وَقَعَ الذُّبُّ فِي الْغَنَمِ

إِنَّ حَمَادَ عَجَزِدِ إِنَّ رَأْيَ سَوْءَةٍ هَجَمَ

بَيْنَ فَخْذَيْهِ حَرَبَةٌ فِي غِلَافٍ مِنَ الْأَدَمِ

كَلَّمَا غَبَّتْ سَاعَةٌ بِجَمَجَجِ الْمِيَمِ بِالْقَلَمِ

فقال العباس : مالي ولبشار ! اصرفوا حماداً عني ، فقال حماد : لقد فرق بيني وبين رزقي بشعره ،

وسوف أفرق بينه وبين حياته بشعر أقوله ، فقال :

بَنَى أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدِ

ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمَ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّقِّ وَالْعُودِ

ونسبهما إلى بشار ، فبلغ ذلك المهدي فقتله « وكان مقتل بشار سنة ١٦٧ . ( وانظر ترجمته ومراجعتها في الشعر والشعراء : ٧٣٣-٧٣٦ ) .

## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ \*

فأما مطيع بن إلياس الكِنَاني<sup>(١)</sup> فأخبرنا أبو عُبَيْدِ اللَّهِ المرزباني عن علي بن هارون [ ٤٠ ] عن عمه يحيى بن / علي عن أبي أيوب المدني عن أحمد بن إبراهيم الكاتب قال أخبرني أبي قال: رأيت بنتاً لمطيع بن إلياس قد أتت بها في أول أيام الرشيد ، فأقرت بالزَّندقة وقراءتها وتابت ، وقالت : هذا شيء علمنيه أبي ، فقبِل الرشيد توبتها ، وردّها إلى أهلها .

٥ وقال محمد بن داود بن الجراح في أخبار مطيع بن إلياس أنه كان يرمى بالزَّندقة ، وروى أنه لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته ، فأقبلوا يقولون له : قل يا مطيع : لا إله إلا الله ، فلا يقول حتى إذا صارت نفسه في <sup>(٢)</sup> ثغرتِه كَرَّتْ نَفْسُ <sup>(٢)</sup> ، ثم أهوى إلى الكلام ، فقالوا له : قل لا إله إلا الله ، فتكلم كلاماً ضعيفاً فتسمّعوا له ، فإذا هو يقول :

كَلَفَ نَفْسِي عَلَى الزَّمانِ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ دَهَتْنِي الْأَزْمَانُ  
١٠ حِينَ جَاءَ الرَّبِّيعُ وَاسْتَقْبَلَ الصَّيْفُ وَطَابَ الطَّلَاءُ وَالرِّيحَانُ<sup>(٣)</sup>  
قال المرزباني : وهذا الحديث يرويه<sup>(٤)</sup> الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد .

\*\*\*

فأما يحيى بن زياد الحارثي<sup>(٥)</sup> فهو يحيى بن زياد بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عبد المَدَّانِ

(١) انظر مطيع بن إلياس وأخباره في (الأغاني ١٢-٧٥-١٠٥) .

(٢-٢) ت ، د ، ف : « ثغرتِه نَفْسُ » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « في ثغرة نحره

نَفْسُ » . ط : « في ثغراته نَفْسُ » .

(٣) الطلاء : الخمر .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « رواه » .

(٥) انظر يحيى بن زياد في (معجم الشعراء للمرزباني ٤٩٧-٤٩٨) .

ابن الديان الحارثي السكوفي . وزيد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ، ويكنى يحيى  
أبا الفضل ، وكان يُعرف بالزُّنديق : وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظُّرف قالوا : هو أظرف من  
الزُّنديق - يعنون يحيى - لأنه كان ظريفاً ، وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله :

\* تَبِهَ مُعَنَّ وَظُرْفُ زَنْدِيقٍ \*<sup>(١)</sup>

قال الصولي : وإنما قال ذلك لأن الزُّنديق لا يَرِغُ عن شيء<sup>(٢)</sup> ولا يمتنع مِمَّنْ يُدْعَى<sup>(٣)</sup>  
إليه ، فنسبه إلى الظُّرف لمساعدته على كل شيء ، وقلة خلافه .

وروى أنه قيل ليحيى بن زياد - وهو يجود بنفسه - قل : لا إله إلا الله ، فقال :

\* لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغُبُطُ وَالْجَلَّاجُ \*<sup>(٤)</sup>

ثم أغمى عليه ، فلما أفاق أعيد عليه القول فقال :

\* وَبَازِلٌ تَغْلَى بِهِ الْمَرَّاجِلُ \*<sup>(٥)</sup>

١٠

وروى محمد بن يزيد قال : قال مطيع بن إلياس يرثي يحيى بن زياد - وكانا جميعاً مرميين

بالخروج عن الملة :

يَا أَهْلَ بَكْوَا تَقْلَبِي الْقَرَحِ وَلِلدُّمُوعِ الْهَوَامِلِ السُّفْحِ<sup>(٦)</sup>

رَاحُوا بِيَحْيَى إِلَى مُغَيَّيَةِ فِي الْقَبْرِ بَيْنَ الثَّرَابِ وَالصَّفْحِ<sup>(٧)</sup>

(١) ديوانه : ٨٩ ، صدره :

\* وَصِيفُ كَأْسٍ مُحَدِّثُهُ مَلِكٌ \*

(٢) في حاشيتي ت ، ف : « يقال : ورع ورع ورعا ، ورعة ، فهو ورع ؛ أي تقى . »

(٣) م : « لا يدع شيئاً . »

(٤) ت ، ش ، ف : « وإخلاخل » ، د : « القرط وإخلاخل » . والغبيط : الرجل ؛ وهو للنساء

يُشَدُّ عَلَى الْهُودَجِ . وفي حاشيتي الأصل : « الغبيط : قتب يأخذ جميع ظهير البعير » .

(٥) البازل : البعير إذا كان في التاسعة ؛ سمي بذلك لأنه يزل نابه ؛ أي ينشق .

(٦) ت ، ف ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « السواكب » .

(٧) الصفح : جمع صفيحة ؛ وهي الحجارة العراض .

[ ٤٥ ]  
 ط  
 / راحُوا بِحَيِّ وَلَوْ تُسَاعِدُنِي أَلْ—  
 يا خَيْرَ مَنْ يَحْسُنُ الْبُكَاءَ لَهُ الْ—  
 قَدْ ظَفِرَ الْحُزْنَ بِالْشُرُورِ وَقَدْ—  
 أَدِيلَ مَكْرُوهُنَا مِنَ الْفَرَحِ—  
 ولمطيع يرثيه :

•  
 انْظُرْ إِلَى الْمَوْتِ كَيْفَ بَادَهُهُ وَالْمَوْتُ مُقَدَّامَةٌ عَلَى الْبُهِمِ (٢)  
 لَوْ قَدْ تَدَبَّرْتَ مَا صَنَعْتَ بِهِ قَرَعْتَ سِنًّا عَلَيْهِ مِنْ نَدَمِ  
 فَذَهَبَ بَمَنْ شِئْتَ إِذْ ذَهَبْتَ بِهِ مَا بَعْدَ يَحْيَى لِلرُّزْءِ مِنْ أَلَمِ

\*\*\*

وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ، ويقال إن أبا الهذيل  
 العلاف ناظره فقطعه ، ثم قال له : على أى شيء تعزم يا صالح ؟ فقال : أستخير الله وأقول  
 ١٠ بالاثنتين ، فقال أبو الهذيل : فأيهما استخرت لا أم لك !!

وروى أن أبا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتزاج الذى ادَّعوه بين النور والظلمة  
 فأقام عليه الحجة فانقطع ، وأنشأ يقول :

أبا الهذيل هَذَاكَ اللَّهُ يَا رَجُلُ فَأَنْتَ حَقًّا لَعَمْرِي مُعْضِلٌ جَدِلُ

وروى أنه رُؤِيَ يصلى صلاةً تامة الرُّكُوع والسجود ، فقيل له : ما هذا ومذهبك  
 ١٥ معروف ! قال : سنة البلد ، وعادة الجسد ، وسلامة الأهل والولد .

ويقال إنه لما أراد المهديّ قتله على الزندقة دحا إليه بكتاب وقال له : اقرأ هذا ، قال :  
 وما هو ؟ قال : كتاب الزندقة ، قال صالح : أوتعرفه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأته ؟ قال :  
 لا ، قال : أفقتناني على مالا تعرف ! قال : فإني أعرفه ، قال صالح : فقد عرفته ولست بزنديق  
 وكذلك أقرؤه ولست بزنديق .

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « لم تتبكر ولم ترح » .

(٢) البهم : جمع بهمة ؛ وهو الشجاع .

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال : ذكر بعض الرواة أن صالحاً لما نواظروا فيما قذف به من الزندقة بمحضرة المهدي قال له المهدي : ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه :

رُبَّ سِرٍّ كَتَمْتُهُ فَكَاثِي      أَخْرَسْتُ أَوْ ثَنِي لِسَانِي خَبْلُ  
/ولو أنني أبديتُ للنَّاسِ عِلْمِي      لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلُ

[٤٦]

قال صالح : فإني أنوب وأرجع ، فقال له المهدي : هيهات ! ألسنت القائل :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ      حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ  
إِذَا ارْعَوَى عَاوَدَهُ جَهْلُهُ (١)      كَذَى الضَّنَى عَادَ إِلَى نَكْسِهِ (٢)

ثم قدّم قَتِيل ، ويقال إنه صلبه على الجسر ببغداد .

ومن شعره (٣) وهو في الحبس :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا      فَلَسْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى  
إِذَا دَخَلَ السَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ      عَجَبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا  
وَنَفَرَحُ بِالرُّوْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا      إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّوْيَا (٤)

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عاد إلى جهله » .

(٢) حاشية الأصل : « عاد إلى نكسه ؛ أي عاد إلى غيه رجوع الناقه من المرض » .

(٣) وردت هذه المقطوعة في إنباه الرواة ١ : ٦٢ ، ومعجم الأدباء ٣ : ١٥٥ ، منسوبة إلى صالح ابن عبد القدوس ، وفي المحاسن والأضداد ٤٥-٤٦ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية ، وفي عيون الأخبار ١ : ٨١-٨٢ ، من غير عزو ، وورد منها البيت الأول والثاني في رسالة الغفران ١٤٢ منسوبين لولد صالح ، وفي مقدمة التزويجات : ٢٧ منسوبين لرجل كان في السجن على عهد ملوك بني العباس ، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس ، ومطلعها :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنَّهُ مَوْضِعُ الشَّكْوَى      وَفِي يَدِهِ كَشْفُ الْمَصْرَةِ وَالْبَلْوَى

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هذا المعنى الأحنف المعكبر وإن كان قريب اللفظ :

وَأَعْلَمُ فِي الْمَنَامِ بِكُلِّ خَيْرٍ      فَاصْبِرْ لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي

وإن أبصرتُ شرًّا في منامِي      لَقِمْتُ الشَّرَّ مِنْ قَبْلِ الْأَذَانِ

فَإِنْ حَسَنْتَ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ      وَإِنْ قَبَحْتَ لَمْ تَحْتَبَسْ وَأَنْتَ عَجَلَى  
طَوَى دُونَنَا الْأَخْبَارَ سَجْنُ مُنَمَّعٍ      لَهُ حَارِسٌ تَهْدَا الْعُيُونُ وَلَا يَهْدَا  
قَبْرُنَا وَلَمْ نُدْفَنْ فَنَحْنُ بَعِزْلٍ      مِنَ النَّاسِ لَا نَخْشَى، فَنُغْشَى وَلَا نَغْشَى  
أَلَا أَحَدٌ يَاوِي لِأَهْلِ مَحَلَّةٍ      مُتَمِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا

قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجدين أدام الله غلوه : وأظن أن ابن الجهم لحظ قول صالح : « فَنُغْشَى وَلَا نَغْشَى »<sup>(١)</sup> في قوله يصف الحبس :  
بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً      وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُخْفَدُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وأما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال : كان علي بن الخليل - وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ، ويكنى أبا الحسن ، وهو كوفي - متهمًا بالزندقة ، فطلبه الرشيد عند قتله ١٠ الزنادقة ، فاستتر طويلا ، ثم قصد الرقة<sup>(٣)</sup> وبها الرشيد ، فمدحه ومدح الفضل بن الربيع .

وروي<sup>(٤)</sup> أنه لما قدم الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة ، حسن الخضاب ، معه قصيدة ، فأشار بها ، فأمر الرشيد بأخذها منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحسن [٤٦] قراءة لها من غيري ، / فأذن لي في قراءتها ، ففعل ، فقال : إني شيخ كبير ، ولا آمن ط

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حمله السيد رضي الله عنه على أن قوله : « فَنُغْشَى ... » كلام مستأنف ، وأن الغشيان واقم ، والبيت الذي ذكر أنه نظر إليه يدل على ذلك ؛ ومراد الشاعر غير هذا - والله أعلم ؛ وهو أن يكون « نغشى » منصوبا بإضمار أن بعد الغاء التي تجيء بعد النفي ، ويكون غشيان الناس إياهم منفيًا .

(٢) يخفد : يخدم ، وفي م : « يحمد » ، والبيت من قصيدة قلها في الحبس حين حبسه المتوكل ؛ وهي في ديوانه مره ٤ ، والمحاسن والأضداد ٤٣ ، وأولها :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي      حَبْسِي وَأَيْ مُهَنْدٍ لَا يُعْمَدُ

(٣) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر للفرات بولاية حلب ؛ وهي وطن ربعة الرق الشاعر ■

المشهور .

(٤) الخبر في ( الأغاني ١٣ : ١٣-١٤ ) .



الاضطراب إذا قت ، فإن رأيت أن تأذن لي في الجلوس فعلت ، فقال : اجلس ، فجلس ، ثم أنشأ يقول :

يا خيرَ مَنْ وَخَدَتْ بَارُخْلُهُ  
تَطْوِي السَّبَاسِبَ فِي أَرْمَتِهَا  
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً  
خَيْرُ الْخَلَائِفِ (١) أَنْتَ كَلَامُهُمْ  
وَكَذَلِكَ لَا تَنْفَكُ خَيْرَهُمْ  
مِنْ غَضَبَةٍ طَابَتْ أَرْوَمُهَا  
فَوْقَ النُّجُومِ فُرُوعُ نَبْعَتِهِمْ  
إِنِّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَرْعٍ  
مَازَاكَ إِلَّا أَنْتَى رَجُلٍ  
بَقَرٍ أَوَانِسَ لَا قُرُونَ لَهَا  
وَأَجَازِبُ الْفَتَيَانِ بَيْنَهُمْ  
لِالماءِ فِي حَافَتِهَا حَبَبٌ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَنِيَّتِهِ  
نَجَبُ الرِّكَابِ بِمَهْمَةٍ جَالِسِ (٢)  
طَيَّ التَّجَارِ عَمَائِمَ الْبَرَسِ (٣)  
سَجَدَتْ لَوُجْهِكَ طَانَعَةُ الشَّمْسِ  
فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسٍ  
نَمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُنْمِسِي  
أَهْلَ الْعَقَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ  
وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفَرَسِ  
كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تَرْسِي  
أَصْبُو إِلَى بَقَرٍ مِنَ الْإِنْسِ  
يَقْتَنَانِ بِالتَّطَوُّلِ وَالْحَبْسِ  
صَهْبَاءَ مِثْلَ مُجَاجَةِ الْوَرَسِ  
نَظْمٌ كَطَيِّ صَحَائِفِ الْفَرَسِ (٤)  
مَا إِنْ أَضَعْتُ إِفَامَةَ الْخَمْسِ

فقال له هارون : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق ، قال : أَنْتَ آمِنٌ ، وكتب إلى محمدويه ألا يعرض له .

ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر ممن ذكرناه ، وإنما اعتمدنا من كان بهذه البليّة

(١) وخذت : أسرع ، ونجب : جمه نجيب ، وهو وصف للنافة الخفيفة السريعة ، والمهمه : البلد القفر ، والجلس : الغليظ من الأرض .

(٢) السباسب : جمع سبب ؛ وهي الفلاة ، والتجار : جمع تجر ، وتجرجر : جمع تاجر ؛ كقولهم : صاحب وصحب وصحاب ، والبرس : القطن .

(٣) م : « الخلائق » .

(٤) حاشية الأصل : « ذكر س : الحباب طرائق الماء ، واخب ما يعلو المائعات من النفاخات » .

أشهر ، وأمره فيها أظهر ، وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير ، وجملة من تفصيل .

\*\*\*

وإذ قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة ، والمفادين للجهالة ، حسب ما سئلنا ، فنحن ننبعها بشيء من أخبار أهل التوحيد والعدل ، ومُلحح حكاياتهم ، ومستحسن ألفاظهم ، [ ٤٧ ] لِيُعْلَمَ الفرق بين من رَجَحَتْ / بَيَعَتْهُ ، وبين من خَسِرَتْ صَفْقَتُهُ ، فقد سئلنا أيضا ذلك .

٥ اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وخُطبه ، فإنها تتضمن من ذلك مالا زيادة عليه ، ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه ، إنما هو تفصيل لتلك الجمل ، وشرح لتلك الأصول ، ورؤي عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما يكاد لا يحاط به كثرة ، ومن أحب الوقوف عليه ، وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير ، الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ، ونتاج للعقول العقيمة ؛ ونحن نقدم على ما يزيد ذكره شيئا ١٠ مما روي عنهم في هذا الباب .

فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام <sup>(١)</sup> وهو يصف الله تعالى : « بمضادته <sup>(٢)</sup> بين الأشياء علم أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له ، ضاد النور بالظلمة ، والخشونة باللين ، واليبوسة بالبلل ، والصَّرد <sup>(٣)</sup> بالحرور ؛ مؤلف بين متعادياتها <sup>(٤)</sup> ، مفرق بين متدانياتها » . ١٥

(١) ت : « ... عليه السلام أنه قال وهو يصف ... » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي ينصب المضادة بين الضدين يستدل على أن لا ضد له ؛ لأن لا يقدر على ذلك لا بد أن يكون متوحداً بصفات الجلال ، التي تحيل أن يكون للموصوف بها ضد » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الصرد : البرد ؛ وهو فارسي معرب ، يقال : يوم صرد وصرد [ بـسـكـو ] الرءاء وفتحها ] ، وصرد الرجل [ بكسر الراء ] بصرد صردا [ بفتحها ] » .

(٤) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « متعاداتها » .

وروى عنه عليه السلام أنه سئل : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ فقال : بما عَرَفَنِي بِهِ ، قيل : وكيف عَرَفْتَكَ ؟ فقال : « لا تشبّهه صورة ، ولا يُحَسَّنَ بالحواس الخمس ، ولا يقاس بقياس الناس » . وقيل له عليه السلام : كيف يحاسب الله الخلق ؟ فقال : كما يرزقهم ، فقيل : كيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ فقال : كما يرزقهم ولا يرونه .

وسأله رجل فقال : أين كان ربُّك قبل أن يخلق السماء والأرض ؟ فقال عليه السلام : هـ  
أين سؤالٌ عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

وروى عن أبي عبد الله الصادق<sup>(١)</sup> عليه السلام أنه سأله محمد الحلبي فقال له : هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه ؟ قال : نعم رآه بقلبه ، فأما ربُّنا جلّ جلاله فلا تدركه أبصار الناظرين ، ولا تحيط به أسماع السامعين .

وروى صفوان بن يحيى قال : دخل أبو قرّة المحدث على أبي الحسن الرضا<sup>(٢)</sup> عليه السلام ١٠  
فسأله<sup>(٣)</sup> عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض ، حتى بلغ إلى التوحيد ، فقال له أبو قرّة : إنا رؤونا أن الله تعالى قسم الكلام والرؤية ، فقسم لموسى الكلام ، ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية ، فقال الرضا عليه السلام : فمن المبلغ عن الله تعالى إلى الثقلين : الجن والإنس أنه لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ؟ أليس محمد عليه السلام نبياً صادقاً ؟ قال : بلى ، قال : فكيف يحيى رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله تعالى يدعوه ١٥  
إليه بأمره ، ويقول : لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، ثم يقول :

(١) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ولد بالمدينة سنة ٨٠ ، وروى عن أبيه وجده القاسم وطبقتهما ، وقد ألف تلميذه جابر بن حباب الصوفي كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائله ؛ وتوفي سنة ١٤٨ ، ودفن بالبقيع ؛ ( شذرات الذهب ١ : ٢٢٠ ) .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ثامن الأئمة الاثني عشر ، توفي بطوس سنة ٢٠٤ ، وصلى عليه المؤمنون ؛ ودفن بجانب الرشيد . ( شذرات الذهب ٦ : ٦ ) . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « فساء له » .

سأراه بعيني وأحيط به علماً ؛ أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله تعالى بشيء ، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر ! قال أبو قرّة : فإنه يقول : ﴿ وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [ النجم : ١٣ ، ١٤ ] ، فقال عليه السلام : ما بعد هذه الآية يدلّ على ما رأي ؛ حيث يقول : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [ النجم : ١١ ] ، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ، ثم أخبر بما رأى ، فقال : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [ النجم : ١٨ ] ، وآيات الله غير الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [ مائدة : ١١٠ ] ، فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم . فقال أبو قرّة : فأكذب بالرؤية ؟ فقال الرضا عليه السلام : إذن القرآن كذبها ، وما أجمع عليه المسلمون أنه لا يحاط به علماً ، ولا تدركه الأبصار ، وليس كمثل شيء .

١٠ وأتى أعرابيّ أبا جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام<sup>(١)</sup> فقال له : هل رأيت ربّك حين<sup>(٢)</sup> عبّدته ؟ فقال : لم أكن لأعبّد شيئاً لم أره ، فقال : كيف رأيتّه ؟ فقال : لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيان ، بل رأته القلوب بحقائق الإيمان ؛ لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بالآيات ، منعموت بالعلامات ، لا يجور في قضيتّه ؛ هو الله الذي لا إله إلا هو . فقال الأعرابيّ : الله أعلم حيث يجعل رسالته !

١٥ وروى أن شيخاً حضر صيّقين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أخبرنا يا أمير المؤمنين [ ٤٧ ] عن مسيرنا إلى الشام ، أكان بقضاء من الله تعالى وقدّر ؟ قال له : / نعم يا أخا أهل الشام ، والذي فاق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما وطئنا موطناً ، ولا هبطنا وادياً ، ولا علونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدّر ، فقال الشاميّ : عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين ، وما أظن أن لي أجراً في سعيي إذ كان الله قضاؤه عليّ وقدّره ! فقال له عليه السلام : إن الله قد أعظم

(١) هو الإمام أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ؛ أحد الأئمة الاثني عشر ؛ عوفي

بيغداد سنة ٢٢٠ ؛ ( شذرات الذهب ٢ : ٤٨ ) .

(٢) ش : و حتى .

لَكُمْ الأجر على مسيركم وأنتم سائرون ، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليها مضطرين ، ولا عليها مجبرين .

فقال الشاميّ : وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا ؟ فقال له عليه السلام : يا أبا أهل الشام ، لعلك ظننت قضاءً لازماً ، وقدراً حتماً ؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والمقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء ، والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن ؛ تلك مقالة عبدة الأوثان ، وحزب الشيطان ، وخُصماء الرحمن ، وشهداء الزور ، وقدريّة هذه الأمة ومجوسها ؛ إنّ الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُطع مكرهاً ، ولم يُعصَ مغلوباً ، ولم يكلف عسيراً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب إلى عباده عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ؛ ذلك ظنّ ١٠ الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار !

قال الشاميّ : فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما ؟ قال : الأمر من الله بذلك والحكم ، ثم تلا : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [ الأحزاب : ٣٨ ] ، فقام الشاميّ فراح مسروراً لتسمع هذا المقال ، وقال : فرّجت عني فرّج الله عنك يا أمير المؤمنين ، وأنشأ يقول :  
 أنتَ الإمامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ      يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا <sup>(١)</sup>  
 أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا <sup>(٢)</sup> مَا كَانَ مُلْتَبِسًا      جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا <sup>(٣)</sup>

وروي أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال : دخلت المدينة ، فرأيت أبا عبد الله [ جعفر ابن علي ] <sup>(٤)</sup> عليه السلام ، فسلمت عليه ، وخرجت من عنده ، فرأيت <sup>(٥)</sup> ابنه موسى <sup>(٦)</sup> عليه السلام

(١) حاشية ف : « في رواية \* يوم النشور من الرحمن رضوانا \* » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أوضحت من ديننا » .

(٣) حاشية ف : « في رواية : جزاك ربك عنا فيه إحسانا \* » .

(٤) تسكلة من ت . (٥) ت ، ش : « فأيت » .

(٦) هو المعروف بموسى الكاظم ، أحد الأئمة الاثني عشر ؛ توفي سنة ١٨٣ ؛ (شذرات الذهب ١ : ٤ : ٣٠٤)

[ ٤٨ ] في دِهْلِيْزِه، قَاعِدًا فِي مَكْتَبِه، / وَهُوَ صَغِيرُ السِّنِّ فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ يُحَدِّثُ <sup>(١)</sup> الْغَرِيبَ إِذَا كَانَ <sup>(٢)</sup> عِنْدَكُمْ وَأَرَادَ ذَلِكَ ؟ فَنَظَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : يَتَجَنَّبُ شَطُوطَ الْأَنْهَارِ ، وَمَسَاقِطَ <sup>(٣)</sup> الثَّمَارِ ، وَأَفْنِيَةَ الدُّوَرِ ، وَالطَّرِيقَ النَّافِذَةَ ، وَالْمَسَاجِدَ ، وَيَضَعُ وَيَرْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ حَيْثُ شَاءَ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْقَوْلَ نَبُلَ فِي عَيْنِي ، وَعَظُمَ فِي قَلْبِي . فَقُلْتُ لَهُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَمَنْ الْمَعْصِيَةُ ؟ فَنَظَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ حَتَّى أَخْبِرَكَ ، فَجَلَسْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا يَبْدَأُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ أَوْ مِنْ رَبِّهِ ، أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعًا ؛ فَإِنْ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَعْدَلُ وَأَنْصَفُ مِنْ أَنْ يُظْلِمَ عَبْدَهُ ، وَيَأْخُذَهُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمَا فَهُوَ شَرِيكُهُ ؛ وَالْقَوَى أَوْلَى بِالْإِنْصَافِ عَبْدُهُ الضَّعِيفُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ وَحْدَهُ فَعَلِيهِ وَقَعَ الْأَمْرُ ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ النَّهْيُ ، وَلَهُ حَقُّ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَوُجِبَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قُلْتُ : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [ آ نْ عَمْرَان : ٣٤ ] .

١٠ وَقَدْ نَظِمَ هَذَا الْمَعْنَى شِعْرًا فَقِيلَ :

|   |  |
|---|--|
| لَمْ تَخْلُ أَعْمَالُنَا اللَّاتِي نَذْمُ لَهَا | إِحْدَى ثَلَاثَ خِلَالٍ حِينَ نَأْتِيهَا                       |
| إِذَا تَفَرَّدَ بَارِينَا بِصُنْعِهَا           | فَيَسْقُطُ اللَّوْمُ عَنَّا حِينَ نُنْشِئُهَا                  |
| أَوْ كَانَ يَشْرُكُنَا فِيهَا فَيَلْحَقُهَا     | مَا سَوْفَ يَلْحَقُنَا مِنْ لَأْمٍ فِيهَا                      |
| أَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِلَهِ فِي جَنَابِهَا      | ذَنْبٌ فَهَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبُ جَانِبِهَا <sup>(٤)</sup> |

\*\*\*

١٥ وَأَحَدُ مَنْ تَظَاهَرَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِالْقَوْلِ بِالْعَدْلِ ، الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، وَاسْمُ أَبِيهِ يَسَارٌ ، مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ ، مَوْلَى لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ خَيْرَةَ ، مَمْلُوكَةٌ لِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَيُقَالُ إِنَّ أُمَّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَأْخُذُ الْحَسَنَ إِذَا بَكَى فَتَسْكَتُهُ بِثَدْيِهَا ،

(١) حَاشِيَةُ ت ( مِنْ نَسْخَةِ ) : « يَضَعُ » .

(٢) م : « الرَّجُلِ » .

(٣) حَاشِيَةُ ت ( مِنْ نَسْخَةِ ) : « وَمَسَقَطُ » .

(٤) فِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « زِيَادَةٌ فِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ :

سَيَعْلَمُونَ إِذَا الْمِيزَانُ شَالَ بِهِمْ      أَهْمُ جَنَوْهَا أَمْ الرَّحْمَنُ جَانِبُهَا

فكان يَدِرّ عليه ، فيقال إن الحكمة التي أوتيتها الحسن من ذلك ، وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة .

فمن تصريحه بالعدل ما رواه علي بن الجعد<sup>(١)</sup> قال : سمعت الحسن يقول : مَنْ زَعَمَ أَنَّ  
المعاصي من الله عز وجلّ جاء يوم القيامة مسوداً وجهه ، ثم قرأ : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى  
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾ [ الزمر : ٦٠ ] . وقال داود بن أبي هند : ه  
سمعت الحسن يقول : كلُّ شَيْءٍ بقضاء وقدر<sup>(٢)</sup> إلا المعاصي .  
[ ٤٨ ] ط

وكان الحسن بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ ، كثير العالم . وجميع كلامه في الوعظ  
وذم الدنيا أو جلّه مأخوذ لفظاً ومعنى ، أو معنّى دون لفظ ؛ من كلام أمير المؤمنين عليّ  
ابن أبي طالب عليه السلام ، فهو القدوة والغاية<sup>(٣)</sup> .

فمن ذلك قوله عليه السلام : « شيثان أحدهما مأخوذ من الآخر ، أحدهما أكثر شيء ١٠  
في الدنيا ، والآخر أقل شيء في الدنيا : العبر والاعتبار » .

وقوله عليه السلام : « مثّل الدنيا والآخرة ، مثّل المشرق والمغرب ، متى ازدادت من  
أحدهما قرباً ، ازدادت من الآخر بُعداً » .

وقوله : « شتان بين عمليّن : عمل تذهب لذّته ، وتبقى تبعته ، وعمل تذهب مؤنته  
ويبقى أجره » .  
١٥

وقوله في وصف الدنيا : « ما أصف من دارٍ أولها عناء ، وآخرها فناء ، في حلالها  
حساب ، وفي حرامها عقاب ، مَنْ صَحَّ فيها أَمِنَ<sup>(٤)</sup> ، وَمَنْ فَرَّطَ فيها ندم ، ومن استغنى

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « علي بن الجعد لم يلبى الحسن ؛ فإن علياً مات سنة ثلاثين ومائتين ،  
والحسن مات سنة عشر ومائة ، وولد عليّ بن الجعد سنة أربع وثلاثين ومائة . قال القتيبي : علي بن الجعد  
مولى أم سلمة الخزومية ، امرأة أبي العباس أمير المؤمنين ، وولد سنة ست وثلاثين ومائة ، ومات ببغداد  
سنة ثلاثين ومائتين ، وفيها مات عبد الله بن طاهر » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « بقضاء الله وقدره » . (٣) ت : « فهو في ذلك القدوة والغاية » .

(٤) حاشية ف : « قوله : من صح فيها أَمِنَ ، يعني أن الإنسان إذا صح جسمه أَمِنَ الأحوال الدنيوية  
والآخروية ، وإذا مرض ندم على التقصير » .

فيها فُتِنَ ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ .  
 وقوله في كلام له : « فَيَأْيُهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا ، وَالْمَعْتَلُّ <sup>(١)</sup> بفرورها ، مَتَى اسْتَدَمَّتْ <sup>(٢)</sup> إِلَيْكَ ؟  
 بَلْ مَتَى غَرَّتْكَ ؟ أَمْضِاجُ آبَائِكَ مِنَ الثَّرَى ؟ أَمْ بِمَنْزِلِ أُمَّهَاتِكَ مِنَ الْبَلَى ؟ كَمْ مَرَضَتْ  
 بِكَفِّكَ ؟ وَكَمْ عَاجَلَتْ بِيَدَيْكَ ؟ تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطْبَاءَ ؛ مَثَلَتْ لَكَ بِهِمُ  
 الدُّنْيَا نَفْسَكَ ، وَبِمَصْرِعِهِمْ مَصْرَعَكَ . »

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وهذا باب إن واجنأه اغترفنا من ثبج <sup>(٣)</sup>  
 بحر زاهر ، أو شؤبوب <sup>(٤)</sup> غمام ماطر ؛ وكلُّ قولٍ في هذا الباب لقائل إذا أُضِيفَ إليه ،  
 أو قُورِسَ به كان كإضافة القطرة إلى الغمرة <sup>(٥)</sup> ، أو الحصاة إلى الحرة <sup>(٦)</sup> ، وإنما أشرنا  
 إليه إشارة ، وأومأنا إليه إيماء ، ثم نعود إلى ما كنا فيه .

١٠ روى أن أعرابياً سمع كلام الحسن البصري فقال : المؤمن فصيح إذا لفظ ، نصيح  
 إذا وعظ .

وروى أن الحسن تلا يوماً : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَالْجِبَالِ ۖ ﴾ [ الأحزاب : ٧٢ ] ، ثم قال : « إِنَّ قَوْمًا غَدَوْا فِي الْمَطَارِفِ <sup>(٧)</sup> الْعِتَاقَ ، وَالْعَمَاءَ  
 الرَّاقِقَ ، يَطْلُبُونَ الْإِمَارَاتَ ، وَيَضِيْعُونَ الْأَمَانَاتَ ، يَتَعَرَّضُونَ لِلْبَلَاءِ وَهُمْ مِنْهُ فِي عَافِيَةٍ ؛ حَتَّى  
 إِذَا أَخَافُوا مَنْ فَوْقَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِفَّةِ ، وَظَلَمُوا مَنْ تَحْتَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ أَهْزَلُوا <sup>(٨)</sup> دِينَهُمْ  
 [ ٤٩ ] وَأَسْمَنُوا بَرَادِيْنَهُمْ ، وَوَسَّعُوا دَوْرَهُمْ ، وَضَيَّقُوا قُبُورَهُمْ ؛ أَلَمْ تَرَهُمْ قَدْ جَدَّدُوا / الثِّيَابَ  
 وَ

(١) ت ، ف ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « المغتر » .

(٢) حاشية الأصل : « قوله عليه السلام استدمت ، أي فعلت ما نالام عليه » .

(٣) ثبج البحر : وسطه أو معظمه . (٤) الشؤبوب : الدفعة من الطر .

(٥) الغمرة : الماء الكثير الذي يغمر من خاض فيه .

(٦) الحرة : أرض سوداء ذات حصى .

(٧) المطارف : جمع مطرف ؛ وهو كساء من خز ذو أعلام .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هزلوا » .



وأَخْلَقُوا الدِّينَ ، يَسْكِي أَحَدُهُمْ عَلَى شِمَالِهِ ، فَيَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ ؛ طَعَامُهُ غَضَبٌ ، وَخَدْمُهُ سُخْرَةٌ ؛ يَدْعُو بِحُلُوٍّ بَعْدَ حَامِضٍ ، وَبِحَارٍ بَعْدَ بَارِدٍ ، وَرَطْبٍ <sup>(١)</sup> بَعْدَ يَابِسٍ ؛ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْهُ الْكِظَّةُ ، تَجَشَّأَ مِنَ الْبَشَمِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، هَاتِي حَاطُومًا ( يَعْنِي هَاضُومًا ) يَهْضِمُ الطَّعَامَ ؛ يَا أَحْيَمِقُ ! لَا وَاللَّهِ لَنْ تَهْضِمَ إِلَّا دِينَكَ ، أَيْنَ جَارِكَ ! أَيْنَ يَتِيمُكَ ! أَيْنَ مَسْكِينُكَ ! أَيْنَ مَا أَوْصَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ ! » .

وَذَكَرَ يَوْمَا الْحِجَاجِ فَقَالَ : « أَتَانَا أُعْيِمِشُ أُخَيْفِشُ ، لَهُ جُمَيْمَةٌ يُرَجِّلُهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْنَا بَنَانًا قِصَارًا ، وَاللَّهِ مَا عَرِقَ فِيهَا عِنَانٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا عُمُونِي ، فَبَايَعْنَاهُ ، ثُمَّ رَقِيَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا بِالتَّصْغِيرِ ، وَنَنْظُرُ إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ ؛ يَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَيُجْتَنِبُهُ ، وَيَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُرْتَكِبُهُ » .

وَرَوَى عِيسَى بْنُ عِمْرٍ قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : « إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ طَلَمَةٌ <sup>(٢)</sup> فَاقْدَعُوهَا ، ١٠ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُطِيعُوهَا تَنْزِعُ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ ، وَحَادِثُوا هَذِهِ النُّفُوسَ ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ » . قَالَ عِيسَى بْنُ عِمْرٍ : لَخَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ ، فَعَجِبَ مِنْ فَصَاحَتِهِ . وَكَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : « مَا يَشَاءُ أَنْ تَرَى أَحَدَهُمْ أُبَيَّضَ بَضًّا ، يَمْلُخُ فِي الْبَاطِلِ مَلَخًا ، يَنْفُضُ مَذْرُوبَهُ وَيَقُولُ : هَآنَذَا فَاغْرِفُونِي » .

قَالَ : فَالْبُضُّ ، هُوَ الرَّخْصُ اللَّحْمُ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْبَيَاضِ عَلَى مَا يَظُنُّهُ قَوْمٌ ؛ لِأَنَّهُ ١٥ قَدْ تَكُونُ الرَّخْصَةُ مَعَ الْأُدْمَةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ « يَمْلُخُ » فَإِنَّ الْمَلَخَ هُوَ التَّدْنَى وَالتَّكْسُرُ ، يَقَالُ مَلَخَ الْفَرَسُ إِذَا لَبَّ <sup>(٣)</sup> ؛ قَالَ رُوْبَةُ يَصِفُ الْحِمَارَ :

\* مُعْزَرِمُ التَّجْلِيحِ مَلَاخُ الْمَلَقِ <sup>(٤)</sup> \*

(١) ف ، ونسخة بحاشيتي ت ، ف : « ورطب » .

(٢) الطلعة : الكثيرة الطلع إلى الشيء ؛ أي أنها كثيرة الميل إلى هواها تشبهه حتى تهلك صاحبها ، قال في اللسان : « وبعضهم يرويه بفتح الطاء وكسر اللام ، وهو بمعناه ، والمعروف الأول » .

(٣) في اللسان ( ملخ ) وحاشيتي ت ، ف : « يملخ في الباطل ملخا ؛ أي يمر فيه مرا سريعا » .

(٤) الاعتزام : انفضى على جهة واحدة ، والتجليح : شدة الإقدام ، والملاق : المستوى من الأرض . =

والمذروان<sup>(١)</sup> : فرعا الأليتين : قال عنتره :

أَحُولِي<sup>(٢)</sup> تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوِيَهَا لَتَقْتُلَنِي فَهَانَذَا نُمَارَا

هذا قول أبو عبيد ؛ وقال ابن قتيبة ردًا عليه : ليس المذروان فرعى الأليتين حسب ؛

بل هما الجانبان من كل شيء ؛ تقول العرب : جاء فلان يضرب أضدرية ، ويضرب عطفية ،

وينفض مذرويه ، وهما منكباه. وذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ يَقُولُ : قَنَّعَ

الشَّيْبَ مِذْرَوِيَهُ ، يَرِيدُ جَانِبِي رَأْسِهِ ، وَهِيَ فَوْدَاهُ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا يَذْرِيَانِ ؛ أَيْ

== وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : وقوله :

\* إِذَا تَنَلَّاهُنَّ صَلَّالُ الصَّعَقِ \*

— أى تلا الحمار الأثنى ، والصلصال : المصوت ، والضعق : شدة الصوت ؛ وحار صعق : شديد

الصوت ؛ وبعده :

\* يَرِمِي الْجَلَامِيدَ بِجُلْمُودٍ مَدَقٍ \*

والبيت من أرجوزته التي مطلعها :

\* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِي الْخُتْرِقِ \*

وهي في ( ديوانه ١٠٤—١٠٨ ) ، وأبيات منها مشروحة في ( الخزانة ١ : ٣٨—٤٤ ) .

(١) حاشية ف : « قوله للمذروان ؛ أى أطراف الأليتين ، وليس بمعنى على واحد هو مذرى ، خلافا لما

يقوله أبو عبيد ؛ إذ لو كان ذلك كذلك لكان مذرّيان ؛ لأن الواو إذ وقعت رابعة فصاعدا قلبت ياء قياسا

على « مذرّيان » ، ألا ترى إلى المذرى الذى يميز به الضعاع إذ انثى يقال « مذرّيان » ؛ فقول : « مذروان » لأطراف

الأليتين ، كذا ورد عنهم فى صورة التثنية ، وإن لم يكن تثنية لواحد مذكور .

(٢) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « أنحوى » ، وهو يخاطب عمارة بن زياد العيسى

وكان بلغه أنه يقول لقومه : قد أكثرتم ذكر هذا العبد ؛ وددت أنى لقيته خاليا حتى يعلم أنه

عبد ؛ وبعده :

مَتَى مَاتَلَقَنِى فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

والروانف أعلى الأليتين ؛ والبيتان من قطعة فى ( حماسة ابن الشجرى : ٨ ، واللى ٨٣ ، والخزانة

يَشِيْبَانِ ، وَالذَّرَى وَالذَّرْوَةُ<sup>(١)</sup> الشَّيْبُ ، قَالَ : وَهَذَا أَصْلُ الْحَرْفِ ، ثُمَّ اسْتَعْمِرَ الْمُنْكَبِينَ ، وَالْأَلْيَتَيْنِ ، وَالطَّرْفَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ الْهَدَلِيُّ يَذْكُرُ قَوْسًا :

عَلَى عَجَسٍ هَتَافَةٍ الْمَذْرُوءَيْنِ زَوْرَاءَ مُضْجَعَةٍ فِي الشَّمَالِ<sup>(٢)</sup>

أَرَادَ قَوْسًا يَنْبِضُ<sup>(٣)</sup> طَرَفَاهَا . قَالَ : فَلَا مَعْنَى لَوْصَفِ الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَسَنُ بِأَنَّهُ يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَلَا مِنْ شَأْنٍ مِنْ يَبْدُخُ<sup>(٤)</sup> وَيَتِيهِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ : هَإِنْدَا فَاغْرَفُونِي أَنْ يَحْرُكَ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ يَضْرِبُ عِطْفِيهِ ، وَهَذَا مِمَّا يَوْصَفُ بِهِ الْمَرِيحُ الْمُخْتَالُ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : جَاءَنَا يَنْفُضُ مَذْرُوءِيهِ ، إِذَا تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ ، لِأَنَّهُ إِذْ تَكَلَّمَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ نَفَضَ قُرُونَهُ فَوَدِيَهُ ، وَهِيَ مَذْرُوءَاهُ .

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ الْأَجَلُ الْمُرْتَضَى أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ : لَيْسَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ بِبَعِيدٍ ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الَّذِي يُزْهَى بِنَفْسِهِ أَنْ يَهْتَزَّ وَيَتَقَشَّى ، فَتَتَحَرَّكُ أَعْطَافُهُ وَأَعْضَاؤُهُ ؛ وَمِذْرُوءَاهُ ١٠ مِنْ جُمْلَةِ مَا يَهْتَزُّ وَيَتَحَرَّكُ ، لِأَنَّهُمَا بَارِزَانِ مِنْ جِسْمِهِ ، فَيُظْهِرُ فِيهِمَا الْاهْتِرَازَ ، وَإِنَّمَا خُصَّ الْمِذْرُوءَانِ<sup>(٥)</sup> بِالذِّكْرِ مَعَ أَنْ غَيْرَهُمَا يَتَحَرَّكُ أَيْضًا ، عَلَى طَرِيقِ التَّقْبِيحِ عَلَى هَذَا الْمُخْتَالِ وَالتَّهْجِينَ لِفَعْلِهِ . وَقَوْلُ ابْنِ قَتَيْبَةَ لَيْسَ مِنْ شَأْنٍ مَنْ يَبْدُخُ أَنْ يَحْرُكَ أَلْيَتَيْهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الْبَدَاحُ الْاهْتِرَازُ وَتَحْرِيكُ الْأَعْطَافِ ؛ عَلَى أَنَّ هَذَا يُلْزِمُهُ فِيمَا قَالَهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ

(١) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : الْعَجَبُ مِنْ ابْنِ قَتَيْبَةَ كَيْفَ خَلَطَ الْمَهْمُوزَ بِالْمَعْتَلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ الذَّرَاءُ بِالْمَهْمُوزِ شَيْبُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ ، وَقَدْ ذَرَى يَذْرَأُ ، وَرَجُلٌ أَذْرَأُ وَامْرَأَةٌ ذَرَاءٌ ؛ وَهِيَ الذَّرَّةُ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي إِصْلَاحِ غَلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ . وَفِي حَاشِيَةِ فٍ أَيْضًا : « الذَّرَاءُ : هُوَ شَيْبُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ ؛ وَهُوَ مَهْمُوزٌ لِغَيْرِهِ ، وَأَصْلُ الْمَذْرُوءَيْنِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرُو الرِّيحِ ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الشَّيْبِ كَانَ ذَرَاءً ، مَهْمُوزًا ، فَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّرَّةِ الَّتِي هِيَ الشَّيْبُ لَكَانَ مَذْرَأَيْنِ » .

(٢) دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ ٢ : ١٨٥ . وَالْعَجَسُ : مَقْبِضُ الْقَوْسِ ، وَهَتَافَةُ الْمَذْرُوءَيْنِ ؛ أَيْ لَطْرَفَيْهَا صَوْتُ نَفْضٍ ، وَزَوْرَاءَ : مَعْوِجَةٌ .

(٣) الْإِنْبَاضُ : النُّصُوتُ .

(٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « يَتْبَدُّخُ » .

(٥) ش : « خَمْسُ الْمَذْرُوءَيْنِ » .

من شأن كل متوعد أن يحرك رأسه ، وَيَنْفُضْ مَذْرُوءَهُ ؛ فإذا قال : إن ذلك في الأكثر قيل له مثله .

وكان الحسن يقول : « يا ابن آدم ، جَمْعًا جَمْعًا ، سِرْطَاسِرْطًا <sup>(١)</sup> ، جَمْعًا في وعاء ، وشَدًّا في وكاء ، وركوبَ الذَّلُولِ ، ولبسَ اللَّيْنِ ؛ حتى قيل مات ، فأفضى والله إلى الآخرة ، فطال حسابه » .

وكان يقول : « مسكين <sup>(٢)</sup> ابن آدم ، مكتوم الأجل ، مكنون العِلل ؛ أسير جوع ، صريع شَبَع ، إنَّ مَنْ تَوَلَّاهُ الْبَقَّةُ ، وتقتله الشَّرْقَةُ ، لبادي الضَّعْفِ ، فريسة الحُتَفِ » .  
وكان يقول : « ما أطال أحد الأمل ، إلا أساء العمل » .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « أما بعد ، فإن طول البقاء إلى فناء ، نفذ من فوائك الذي ١٠ لا يبقى ، لبقائك الذي لا يفنى ، والسلام » .

وكان يقول : « إذا رأيت رجلا ينافس في الدنيا فنافس في الآخرة » . وسأله رجل : ما حالك ؟ فقال : بأشدَّ حال ، ما حال مَنْ أصبح وأمسى ينتظر الموت ، ولا يدرى ما يفعل الله به !! .

[ ٥٠ ] / وكان يقول : « يا ابن آدم ، بُسِطَتْ لك صحيفة ، ووَكِّلَ بك ملكان كريمان ، يكتبان عملك ١٥ فأَمِلْ ما شئت ، وأَكْثِرْ وأَقِلْ » . وفي خبر آخر : « ووَكِّلَ بك ملكان كريمان ، ريقك مدادهما ، ولسانك قلمهما » .

روى أبو بكر الهذلي قال : لما وفد <sup>(٣)</sup> عمرُ بن هبيرة والياً على العراق نزل واسطاً ، فبعث

(١) السرط : الباع .

(٢) حواشي الأصل ، ت . ف : يجوز : « مسكينُ ابن آدم » ، ويكون قد حذف التنوين لانتفاء الساكنين ؛ من باب قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ، وقول الشاعر :

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ النَّزِيدَ لِقَوْمِهِ      ورجالُ مَكَّةَ مَسْنِيُونُ عِجَافُ

(٣) من نسخة مباحثي الأصل ، ت : « قدم » .

إلى الشعبي وإلى الحسن البصري ، فقال لهما : إن يزيد بن عبد الملك عَبْدُ اللَّهِ أَخَذَ اللَّهَ مِيثَاقَهُ ،  
وانتجبه لخلافته ، وقد أخذ بنواصينا ، وأعطينا عهدنا وموائيقنا وصفقة أيدينا ، فوجب علينا  
السمع والطاعة ، وإنه بمعنى إلى عِراقكم غير سائل إياه ، إلا أنه لا يزال يبعث إلينا في القوم  
نقتلهم ، وفي الضياع نقبضها ، أو في الدور نهديمها ، فنؤليه من ذلك ما ولّاه الله ، فما تريان ؟  
فأما الشعبي فقال قولاً فيه بعضُ الدين ؛ وأما الحسن فإنه قال له : يا عمر ، إني أنهأك عن  
الله أن تتعرض له ، فإن الله ما ذمك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله ؛ إنه يوشك أن ينزل  
إليك <sup>(١)</sup> مَلَكٌ من السماء ، فيستنزلك من سريرك ، ويُخْرِجُكَ من سَمَةِ قَصْرِكَ إلى ضيق  
قبرك ؛ ثم لا يوسعُه عليك إلا عَمَلُكَ ، إنَّ هذا السلطان إنما جُعِلَ ناصراً لدين الله ، فلا تركبوا  
دينَ الله وعباد الله بسلطان الله تُدَلُّونَهُمْ به ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل وعزّ .  
وذكر عن الشعبي أنه قال : كان والله الحسنُ أَكْرَمَنَا عليه .

وروى أبو بكر بن عياش قال : قال مسامة بن عبد الملك للحسن : عِظْنِي فقال : إذا  
نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به ، فقال : عظمي ، فقال : أو ليت قط ؟ فقال : نعم ، قال :  
فما كنت تحب أن يؤتى إليك فأنته إلى مَنْ وَرَيتَه .

وعن ثابت البناني قال : قال رجل للحسن : آخذ عطائي أم أدعه حتى آخذه من حسناتهم  
يوم القيامة ؟ فقال له : قم ويحك خذ عطائك ! فإن القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة . ١٥  
وولد للحسن غلام ، فنهأ بعض أصحابه ، فقال الحسن : « نحمد الله على هيبته ، ونستريده من  
نعمه ، ولا مرجباً بمن إن كنت غنياً أذهلني ، وإن كنت فقيراً أتعبنى ؛ لا أرضى بسَمِيٍّ  
له سَمِيٌّ ، ولا بكَدِيٍّ له في الحياة كَدٌ ، أشفقُ عليه من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حالٍ  
لا يصل إليّ / من همّة حزن ، ولا من فرحة سرور » .

[ ٥٠ ]

ظ

وكان الحسن يقول : « لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلى أحب خلق الله إلى الله  
فأفسده ، لكان ينبغي للماقل أن يتركه » - يعني العقل .

وعزى جازاً له يهودياً فقال : « جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحدا من أهل مِلَّتِكَ » . وهذا تخاضع منه ملبس ، لأنه لم يدع له بالثواب الذى لا يستحقه الكفار ، وأراد بالجزاء العوض الذى يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب .

وكان الحسن يقول : « ليس للفاسق المعين بالفسق غيبة ، ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة ، ولا للسلطان الجائر غيبة » .

وقال فى قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال العلم ، ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [ البقرة : ٢٠١ ] قال : الجنة .

وخرج الحسن فى جنازة معها نوائح ، فقال له رجل : أما ترى يا أباسعيد هذا ؟ وهم الرجل بالرجوع ، فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك فى دينك : وذكرته عنده الدنيا فقال :

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كِظْلٌ زَائِلٌ إِنَّ اللَّيْبَ بِمَثَلِهَا لَا يُخْدَعُ  
وكان يتمثل :

اليَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لَغَيْرِكَ كَفُّهَا وَالْعِصْمُ<sup>(١)</sup>

وعن أبى عبيدة قال : لما فرغ الحجاج من خضراء<sup>(٢)</sup> واسط نادى فى الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة ، فخرج الناس ، وخرج الحسن ، فاجتمع عليه الناس ، فخاف أهل الشام على نفسه أن يقتلوه ، فرجع وهو يقول : قد نظرنا يا أخبت الأخبتين ، وأفسق الفاسقين !

(١) حاشية ب : « قبله :

لَا تَأْمَنَنَّ أَثَى حَيَاتِكَ وَاعْلَمَنَّ أَنَّ النِّسَاءَ وَمَا لَهُنَّ مُقَسَّمٌ

وبعده :

كَالْبَيْتِ يُصْبِحُ خَالِيًا مِنْ أَهْلِهِ وَيَحُلُّ بِعَدِّكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

(٢) حاشية الأمل : « خضراء واسط : بنية كان ابتناها الحجاج » ، وفى م : « قصر واسط

فأما أهل السماء فمقتوك ، وأما أهل الأرض ففرثوك ، ثم قال : أبى الله تعالى للميثاق الذى أخذه على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه . ثم انصرف وبلغ الحجاج ذلك فقال : يا أهل الشام - وهم حوله : الله (١) ليقومن (٢) عبيد من عبيد أهل البصرة ، ويتكلم فى بما يتكلم ، ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير ! قالوا : ومن ذاك أصلحك الله ! اسقنا دمه ، فقال : على به ، وأمر بالنطع والسيف فأحضرا ، ووجه إليه ، فلما دنا الحسن من الباب ، ٥  
حرك شفتيه والحاجب ينظر إليه ، فلما دخل قال له الحجاج : هاهنا ، وأجاسه قريبا من فرشه ، وقال له : ما تقول فى على وعثمان ؟ قال : أقول قول من هو خير منى عند من هو شر منك ، قال موسى عليه السلام لفرعون إذ قال له : ﴿ مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى . قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [ طه : ٥١ - ٥٢ ] ؛ عليم على وعثمان عند الله تعالى ، فقال له الحجاج : أنت سيد العلماء يا أباسعيد ، ثم دعا بغالية فغلل بها لحيته ، فلما خرج ١٠  
الحسن اتبعه الحاجب ، فقال : يا أباسعيد ، لقد دعاك لغير ما فعل بك ، ولقد أحضر السياف والنطع ، فلما أقبلت رأيتك قد حررت شفتيك بشيء ، فما قات ؟ قال : قات يا معدتى عند كرتى ، ويا صاحبى عند شدتى ، ويا ولى نعمتى ، ويا إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أرزقنى مودته ، واصرف عني أذاه ومعرفته ؛ ففعل ربي عز وجل ذلك .

١٥

وكان الحسن يقول : ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامة ؛ وقُلْدُ سيفاً .  
- يعنى الحجاج .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « هم كثيرا ما يتصرفون فى القسم ؛ وذلك لكثرة تردده فى كلامهم فتارة يحذفون الفعل ، كقولك بالله ، وأخرى يحذفون خبر المبتدأ ، كقولك لعمري ، وتارة يحذفون حرف القسم من غير عوض ، كقولك : الله لأفعلن ؛ بالنصب ، والله لأفعلن بالجر ، وتارة يحذف الحرف عن عوض ، كقولك الله ، وهاته . »

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لابد من النون فى صيغة اللام فى جواب القسم ؛ وحذفها ضعيف ؛ ومع ضعفه جائز ؛ كقولك : والله ليقوم زيد ، والفصيح بالنون ؛ وإنما تحرى ذلك فيه لأن الغرض بالقسم التوكيد ؛ فينبغى أن يكون مؤكدا . »

وروى أبو بكر الهذلي أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، إن الشيعة تزعم أنك تبغض علياً عليه السلام، فأكب يميني طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقتكم بالأمس رجلاً كان سهماً من مراي ربنا عز وجل على عدوه، رباني هذه الأمة، ذو شرفها وفضلها، وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله قريبة، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالغافل عن حق الله، ولا بالسروقة من مال الله، أعطى القرآن عزائمها فيما له وعليه، فأشرف منها على رياض موقنة، وأعلام بينة، ذلك ابن أبي طالب يا لكع! وكان الحسن إذا أراد أن يحدث في زمن بني أمية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال أبو زينب.

وشهد الحسن جنازة فقال: إن أمراً هذا<sup>(١)</sup> آخره لينبئني أن يزهد فيه، وإن أمراً هذا أوله لينبئني أن يحذر منه<sup>(٢)</sup>. وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن ابنته، وكنت السفير بينهما - فرضيه، وأراد أن يزوجه فأثنت عليه ذات يوم وقلت: وأزيدك يا أبا سعيد، إن له خمسين ألفاً، قال: أقات له خمسون ألفاً! ما اجتمعت من حلال - قات: يا أبا سعيد، إنه والله ما علمت لو رع مسلم، فقال: إن كان جمعها من حلال، لقد ضن بها عن حق! لا يجري بيني وبينه صهر أبداً.

وقيل لعل بن الحسين عليهما السلام: قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا! فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا؛ وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله!

وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقص عند الحجير فقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا؛ قال: فتم دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فله في أرضه مماذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن التطواف<sup>(٣)</sup>.

(١-١) م: «إن أمراً هذا أوله لينبئني أن يحذر منه، وإن أمراً هذا آخره لينبئني أن يزهد فيه»

(٢) كذا في الأصل، ت، ج، ش، ف، وفي نسخة بحاشيتي ت، ف: «الطواف».

وكانت وفاة الحسن البصري سنة ١١٠؛ (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١: ١٢٨-١٢٩)



## مَجْلِسُ آخِر

وَمَنْ تَظَاهَرَ بِالْعَدْلِ وَاشْتَهَرَ بِهِ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءِ الْغَزَّالِ ، وَيَكْنَى أبا حُذَيْفَةَ ، وَقِيلَ :  
إِنَّهُ مَوْلَى بَنِي ضَبَّةَ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي مَخْزُومَ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ .

وَرَوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَزَّالًا ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَكْثُرُ الْجُلُوسَ فِي الْغَزَّالِينَ ،  
وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي الْغَزَّالِينَ عِنْدَ رَضِيعٍ لَهُ يَعْرِفُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْغَزَّالِ . وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ :  
أَنَّ<sup>(١)</sup> وَاصِلًا كَانَ يَلْزِمُ الْغَزَّالِينَ ، لِيَعْرِفَ الْمُتَعَفِّفَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَيَصْرِفَ صَدَقَتَهُ إِلَيْهِنَّ<sup>(٢)</sup> ،  
وَلَقَّبَ بِذَلِكَ كَمَا لَقَّبَ أَبُو سَلَمَةَ حَفْصُ بْنُ سَلِيمَانَ بِالْخَلَّالِ ، وَهُوَ وَزِيرُ أَبِي الْعَبَّاسِ<sup>(٣)</sup> السَّفَّاحِ ،  
وَلَمْ يَكُنْ خَلَّالًا ، وَإِنَّمَا كَانَ مَنْزِلُهُ بِالْكَوْفَةِ بِقَرْبِ الْخَلَّالِينَ ، وَكَانَ يَجْلِسُ عِنْدَهُمْ فَسُمِيَ خَلَّالًا ،  
وَمِثْلُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَرَمَازِيُّ<sup>(٤)</sup> ، وَهُوَ مَوْلَى ابْنِ هَاشِمٍ ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ فِي  
بَنِي الْحَرَمَازِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الْخُوزِيِّ ، وَلَيْسَ بِخُوزِيٍّ ، وَلَسَكُنْهُ كَانَ يَنْزِلُ<sup>(٥)</sup> بِمَكَّةَ  
بِشُعْبِ الْخُوزِ ، وَأَبُو سَعِيدِ الْمُقْبِرِيِّ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ<sup>(٦)</sup> الْمَقَابِرَ .

١٠

وَكَانَ وَاصِلٌ أَتَمَّ فِي الرَّأْيِ ، قَبِيحُ اللَّشَعَةِ ؛<sup>(٧)</sup> فَكَانَ يَخْلُصُ مِنْ كَلَامِهِ الرَّأْيَ<sup>(٨)</sup> ، يَعْدِلُ  
عَنْهَا فِي سَائِرِ مُحَاوَرَاتِهِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ<sup>(٩)</sup> .

(١) انظر السكامل بشرح المرفعي ٧ : ١١٤ . (٢) في السكامل : « فيجعل صدقه لهن » .

(٣) حاشي الأصل ، ت ، ف : « أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال هو الذي قيل فيه :

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَأَكَ كَانَ وَزِيرًا

إِنَّ السَّلَامَةَ قَدْ تَبَيَّنُ وَرَبَّمَا كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهَتْ جَدِيرًا

وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . » وانظر أخباره في الفخرى : ١٣٣ .

(٤) هو أبو علي الحسن بن علي الحرمازي ؛ أعرابي راوية ، وكان أيضًا شاعرًا ، والحرماز : أبو حنيفة بن قيس ؛ وهو الحارث بن مالك بن عمرو بن قيس ؛ ( وانظر الفهرست : ٤٨ ) .

(٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « منزله » .

(٦) حاشية ت ( من نسخة ) : « ينزل بالمقابر » .

(٧-٨) حاشية ت ( من نسخة ) : « فكان يخلص كلامه من الرأي » .

(٨) انظر ص ١٣٩-١٤٠ من هذا الجزء .

وذكر أبو الحسن البرذعي المتكلم أن إنساناً سأل عمرو بن عُبيد أو غيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطاء ، فتكلم السائل بشيء أغضب عمرًا ، فأجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل ، فقال له واصل : إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة ، والشيطان يكون معها ، [ ٥٢ ] وله في تضاعيفها همزة <sup>(١)</sup> ، وقد أوجب الله جلّ وعز على نبيه / عليه السلام أن يستعيد من هزات الشيطان ، وأن يكونوا معه بقوله : ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ [ المؤمنون : ٩٧ ] ؛ إلى خاتمة الآية ، <sup>(٢)</sup> وقلما شاهدت أحداً أجاب فتثبت في جوابه <sup>(٣)</sup> ، <sup>(٤)</sup> وما يُطلق به لسانه <sup>(٥)</sup> فالحقّه لوم .

قال البرذعي : انظر إلى واصل كيف كلم عمرًا ، فأخرج الرأى من كلامه ، فقال في موضع « والشيطان يحضرها » : « يكون معها » . وقال : « قد أوجب الله على نبيه » ، ولم يقل : « أمره » . وقال : « وأن يكونوا معه » بدلا من قوله . « ويحضره » ثم قال : « إلى خاتمة الآية » ولم يقل : « إلى آخر الآية » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أيده الله : ومما لم يذكره البرذعي أنه عدل عن افتتاح الآية من أجل الرأى أيضاً ، لأن أولها : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ ولولا قصده إلى العدول لكان ذكرها واجبا من ابتدائها <sup>(٦)</sup> ؛ لاسيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستمادة به . ١٥

وقيل إن رجلا قال له : كيف تقول أسرج الفرس ؟ قال : ألبس الجواد . وقال له آخر : كيف تقول : ركب فرسه ، وجرّ رحله ، قال : استوى على جواده وسحب عامله .

وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلًا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ٢٠ ومولده سنة ثمانين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « همز الشيطان وسوسته وغلبته على العقل » .  
(٢-٢) نسخة بمحاشية ت : « وقلما شاهدت أحداً أجاب فتثبت في جوابه » .  
(٣-٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « وما ينطلق به لسانه » .  
(٤) ش : « من حيث ابتدأ بها » .

وكان واصل ممن لقي أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه ، وأخذ عنه ، وقال قوم : إنه لقي أباه محمداً عليه السلام ، وذلك غلطاً ؛ لأن محمداً توفي سنة ثمانين أو إحدى وثمانين ، وواصل وُلد في سنة ثمانين .

وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين ؛ لأن الناس كانوا في أسماء أهل الكبار من أهل الصلاة على أقوال ؛ كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك ، والمرجئة تسميهم بالإيمان ، وكان الحسن وأصحابه يسمونهم بالنفاق ، فأظهر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ، ولا كفار ، ولا منافقين .

وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه ، فجموع بينه وبين واصل لينظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فلما ووقفوا على الاجتماع ذكر أن واصل أقبل ومعه جماعة من أصحابه إلى حنقة الحسن ، وفيها عمرو بن عبيد جالس ، فلما نظر إلى واصل ، وكان / في عنقه [ ٥٢ ] طول واعوجاج قال : أرى غمماً لا يفلح صاحبها ! فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له : يا بن أخي ، إن من عاب الصنعة عاب الصانع ، للتعليق الذي بين الصانع والمصنوع <sup>(١)</sup> ؛ فقال له عمرو بن عبيد : يا أبا حذيفة ، قد وعظت فأحسنست ، ولن أعود إلى مثل الذي كان مني .

وجلس واصل في الحلقة ، وسئل أن يكلم عمرأ فقال واصل لعمرو : لم قلت إن من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق ؟ فقال عمرو : لقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [ النور : ٤ ] ، ثم قال في موضع آخر : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [ النوبة : ٦٧ ] ، فكان كل فاسق منافقاً ؛ إذ كانت ألف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق ؛ فقال له واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [ المائدة : ٤٥ ] ، وأجمع أهل العلم على أن صاحب ٢٠

(١) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « بين الصنعة والصانع » . ومن نسخة بحاشية ت أيضاً :

« بين الصنعة والصانع » .

الكبيرة يستحق اسم ظالم ؛ كما يستحق اسم فاسق ؛ فالألا كَفَرَتْ صاحبَ الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ؛ [ البقرة : ٢٥٤ ] ، فعرّف بألف ولام التعريف اللتين في قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، كما قال في القاذف : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، فسمّيته منافقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ! فأمسك عمرو ، ثم قال له واصل : يا أبا عثمان ؛ أيُّما أولى أن يُستعمل في أسماء المحدثين من أمتنا؟ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختلف فيه؟ فقال عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولى ، فقال له واصل : أأست تجدُّ أهلَ الفرق على اختلافهم يسمون صاحبَ الكبيرة فاسقاً ، ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه ؛ لأن الخوارج تسميه مشركاً فاسقاً ، والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقاً ! - قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : يعنى بالشيعة الزيدية<sup>(١)</sup> - والحسنُ يسميه منافقاً فاسقاً ، والمرجئة<sup>(٢)</sup> تسميه مؤمناً فاسقاً ؟ فاجتمعوا على تسميته بالفسق ، واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه ، فالواجب أن يُسمّى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق ؛ لاتفاق المختلفين عليه ، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها ، فيكون صاحب الكبيرة / فاسقاً ، ولا يقال فيه إنه مؤمنٌ ولا منافقٌ ، ولا مشركٌ ولا كافر نعمة<sup>(٣)</sup> ، فهذا أشبهُ بأهل الدين .

١٥ فقال له عمرو بن عُبيد : ما بيني وبين الحق عداوة ، والقولُ قولُك ، فليشهدْ عليَّ مَنْ حضر أني تارك المذهب الذي كنت أذهب إليه ؛ مِنْ نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ،

(١) الزيدية : ثلاث فرق ؛ الجارودية والسيمانية ، والإبرية ؛ يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ في أيام خروجه في زمان هشام بن عبد الملك ؛ ( وانظر الفرق بين الفرق : ١٦ ، والمُلل والنحل للشهرستاني ٨٧ ، ومفاتيح العلوم ٢١ ) .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « المرجئة في القديم غير الذين لا يؤيدون العقاب ؛ بل هم الذين كانوا يؤخرون علماً عليه السلام عن غيره من الصجاية ؛ والإرجاء : التأخير » .

وانظر ( الفرق بين الفرق ١٩ ، والمُلل والنحل للشهرستاني ٧٨ ، ومفاتيح العلوم ٢٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨ ) .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « ولا كافر » .

قائلٌ بقول أبي حُدَيْفَةَ في ذلك ، وأُتِيَ قد اعترلت مذهبَ الحسن في هذا الباب . فاستحسنَ الناس هذا من عَمَرُو .

وقيل إن اسمَ الاعتزال إنما اختصَّت به <sup>(١)</sup> هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن أبي الحسن في تسمية مُرْتَكِب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق ؛ وحسكى غير ذلك .

وقيل إن قَتَادَةَ بعدموت الحسن البصري كان جَلَسَ مَجْلِسَهُ ، وكان هو وعمرو بن عُبيد • جميعاً رئيسين متقدِّمين <sup>(٢)</sup> في أصحاب الحسن ، فجرت بينهما نفرة ، فاعتزل عمرو مجلس قَتَادَةَ ، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن ، فكان قَتَادَةُ إذا جالس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول : ما فعلتِ المعتزلة ؟ فسمُّوا بذلك .

قال سيدنا الشريف المرتضى ذوالمجددين أدام الله علوه : أما ما أُلْزِمَهُ واصل بن عطاء <sup>(٣)</sup> لعمرو بن عبيد أولاً فسيدي لآزم <sup>(٤)</sup> ، وأما ما كَلَّمَهُ به ثانياً فغير واجب ولا لازم ؛ لأن الإجماع وإن ١٠ لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق أو غيره من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمَّى بذلك لدليل غير الإجماع ، ووجودُ الإجماع في الشيء وإن كان دليلاً على صحته ، فليس فقدُه دليلاً على فساده ؛ وواصل إنما أُلْزِمَ عمرًا أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ، ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه ، وهذا باطل ، ولو لزم ما ذكره للزمه أن يقال : قد انفق أهل الصلاة على استحقات صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذمَّ ١٥ والعقاب ، ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب ، أو نقول إنهم اجمعوا على استحقاقه العقاب ، ولم يجمعوا على فعل المستحق به ، فيجب القول بما اتفقوا عليه ، ونفى ما اختلفوا فيه . فإذا قيل استحقاقه <sup>(٥)</sup> للخلود ، أو فعل المستحق به من العقاب ، وإن لم يجمعوا عليه ،

(١) ت : « إنما اختص » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « مقدمين » .

(٣) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « عمرو بن عبيد » .

(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « واجب » .

(٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « استحقاق الخلود » .

[ ٥٣ ] فقد علم بدليل غير الإجماع؛ قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه ، وبطل على / كل حال أن يكون الاختلاف في القول دليلاً على وجوب الامتناع منه ، وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول .

على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها ، لأن الإجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل ، والإجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه واصل تعمراً في مكانين ؛ لأن الإجماع هو على تسميته بالفسق ، والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الأسماء ، فلا تعارض بينهما ؛ وله أن يأخذ بالإجماع في موضعه ، ويعوّل فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الإجماع ، لأن فقد الإجماع من القول لا يوجب بطلانه .

وحتى أن واصل كان يقول : أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ، ثم يعلموا ، قال الله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ ، فعرفه نفسه ، ثم قال : ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ ؛ [ طه : ١٢ ] ، فبعد أن عرفه نفسه أمره بالعمل . قال : والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ - يعني صدقوا - ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ . وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . ﴾ علموا وعملوا وعلموا .

وروى المبرّد قال : حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رُقَّةٍ فأحسّوا بالخوارج ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقال واصل لأهل الرقّة : إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، فقالوا : شأنك ، فقال الخوارج له : مانت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام الله ، وقيموا حدوده ، فقالوا : قد أجرناكم ؛ قال : فعلمونا أحكامه ، فجمعوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معي ، قالوا : فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا ؛ قال لهم : ليس ذلك لكم ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ؛ [ النوبة : ١ ] ، فأبلغونا مأمننا ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمان <sup>(١)</sup> .

وحكى أن محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاها<sup>(١)</sup> واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حجَّ واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة<sup>(٢)</sup> .

وحكى أبو القاسم البخاري أن عبد الله قال لابنه محمد : كلَّ خصالك محمودتي ابنيَّ إلا قولك بالقدر ، قال : يا أبة ، أَفَشَى أَقْدِرَ على تركه / (٣) ألا أقدر على تركه<sup>(٣)</sup> ؟ فورد الكلام على رجل [ ٥٤ ] عاقل فقال : لا عاتبُكَ عليه أبدا . قال أبو القاسم : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولي ، وإن كنت لا أقدر فلم تُعاتبني على شيء لا أقدر عليه .

\*\*\*

فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان ، مولى لبني العدوية ، من بني تميم ، قال الجاحظ : هو عمرو بن عبيد بن باب . وباب نفسه من سبى كابل ؛ من سبى عبد الرحمن بن سمرة ، وكان باب مولى لبني العدوية قال : وكان أبوه عبيد شريطاً ، وكان عمرو مزهداً ، فكانا إذا اجتازا معاً على الناس قالوا : هذا شرُّ الناس أبو خير الناس ، فيقول عبيد : صدقتم ؛ هذا إبراهيم ، وأنا تارخ .

قال علي بن الجعد : وهو عبيد بن باب ، وكان بوّاباً للحكم بن أيوب ، قال : وكان باب مكارياً ، له دكان معروف يقال له دكان باب ، وكان فارسياً ، وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه .

وذكر أبو الحسين الخياط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً في سنة ثمانين ، ١٥ قال : ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين ؛ وهو ابن أربع وستين سنة .

روى أن عمراً استأذن على المنصور ، فدخل عليه الربيع<sup>(٤)</sup> فقال له : بالباب رجلٌ

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « ممن دعاها » .

(٢) وانظر ترجمة واصل في ( معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٦-٢٤٧ ، وابن خلكان ٢ : ١٧٠ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣٩٥-٣٩٦ ، ولسان الميزان ٦ : ٢١٤-٢١٥ ، وعيون النوارخ وشذرات الحب - وفیات سنة ١٣١ ) . ( ٣-٣ ) ساقط من م .

(٤) هو الربيع بن يونس بن محمد ، حاجب أبي جعفر المنصور ، ووزيره بعد أبي أيوب المدرياني . ( ٤ ) سنة ١٧٠ ، ( وانظر ترجمته وأخباره في ابن خلكان ١ : ١٨٥-١٨٦ ) .

قال: إني عمرو بن عبيد، وكانت على المنصور جُبَّةٌ يمانية مُحَقَّقة<sup>(١)</sup>؛ فقال: ويلك يا ربيع! عمرو بالباب؟ قال: نعم، قال: هات لي قميصاً أبيض، فأتاه به، فألقاه عليه، ثم قال: دُرٌّ من خلفي؛ ففط الجبة وازدُرُّ على—قال الربيع: ولم أكن أرى أحداً يوقِّره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد—فدخل عليه رجل آدمٌ مربع الكدنة<sup>(٢)</sup>، بين عينيه أثر السجود، حسن الأدب، حسن اللسان؛ كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة، وإعظامه إياه، قال: فسلم، فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبى، وطرح نفسه بين يديه، فسأله واحتفى<sup>(٣)</sup> به، فلما أراد عمرو القيام قال له: عِظْنِي يا أبا عثمان وأوجز، قال له: إن ما في يدك لست بوارثه عن أحد، وإنما هو شيء صار إليك، وقد كان في يد غيرك قبلك، ولو دام لك لبقى في يد الأول، والسلام. وروى الأصمعيّ قال: قال مطر الوراق لعمر بن عبيد: إني لأرحمك ١٠ مما يقول الناس فيك، فقال عمرو: أسمعني<sup>(٤)</sup> أقول فيهم شيئاً؟ قال: لا، قال: فإياهم فارحم!

[٥٤] وقال خالد بن صفوان لعمر بن عبيد: لم لا تأخذ مني فتقضى ديننا إن كان عليك؟ وتصلُ رحمك؟ فقال له عمرو: أما دينٌ فليس عليّ، وأما صلّةٌ رَحِمِي فلا يجب عليّ، وليس عندي. قال: فما بمنعك أن تأخذ مني؟ قال: يمنعني أنه لم يأخذ أحدٌ من أحد شيئاً إلا ١٥ ذلّ له، وأنا والله أكره أن أذلّ لك.

ويقال إن ابن لهيعة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام، فسلم عليه، وجلس إليه، وقال له يا أبا عثمان ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]؟ فقال: ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها<sup>(٥)</sup>، فأما العدلُ بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مُطَبَّقٌ لذلك، وقد كلفه بقوله

(١) حاشية الأصل: «محقة»، يعني أن نسبتها إلى الين صحيحة. وفي م: «مخففة».

(٢) الكدنة: غلظ اللحم على الجسم.

(٣) حاشية ت (من نسخة): «وأحني به».

(٤) ت: «أسمعني». (٥) ت: «ولا تكلفها».



تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ فيما تطيقون ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ ؛ بمنزلة مَنْ ليست أيتها ، ولا ذات زوج . فقال ابن كهيعة : هذا والله هو الحق .

ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له ، فقال له : إن أباك كان أصلك ، وإن ابنك كان فرعك ، وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لخرى أن يقل بقاءه . وقيل إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال :

صَحِبْتُكَ قَبْلَ الرُّوحِ إِذْ أَنَا نُطْفَةٌ      ثَمَانُ فَمَا يَبْدُو لَعَيْنٍ مَصُونُهَا  
أَرَى الْمَرْءَ دَيْنًا لِلْمَنَابِيا وَمَالِهَا      مِطَالٌ إِذَا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيُونُهَا  
فَمَاذَا بَقَاءُ الْفَرْعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ      سَتَأْتِي الَّذِي لَاقَى الْأَصُولَ غُصُونُهَا  
وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله :

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عَاذَلْتِي فَإِنِ      سَتُعْنِينِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي<sup>(١)</sup>  
إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجْتِ عُرُوقِ      وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْأَلُنِي شَبَابِي  
وأخذ ذلك لبيد في قوله :

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فَاتَّسِبْ      لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ<sup>(٢)</sup>  
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِدًا      وَدُونَ مَعِدٍّ فَلْتَزَعْكَ الْعَوَائِلُ<sup>(٣)</sup>  
/ وأخذه أيضاً في قوله :

[ ٥٥ ]

تَوَدُّ ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا      وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ<sup>(٤)</sup>  
ونظر إليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولي ؛ أما محمود ففي قوله :  
إِذَا مَا اتَّسَبَتْ إِلَى آدَمِ      فَأَمَّ يَكُ بَيْنَكُمَا مِنْ أَبِ  
وَجَازَتْ سِنُوكَ بَكَ الْأَرْبَعِينَ      وَصِرَتْ إِلَى الْجَانِبِ الْأَجْنَبِ

(١) ديوانه : ١٣٣ . (٢) ديوانه : ٨٨ .

(٣) حاشية الأصل : « وجد بخط ابن السكيت رحمه الله : فلتزعك ، و لتزعك (بضم الزاي في الثانية وضعها في الأولى) ؛ وهو من زاع يزوع بمعنى وزع ، و فلتزعك من الروع ، و وزع من السكف . »

(٤) ديوانه : ١ : ٢٨ .

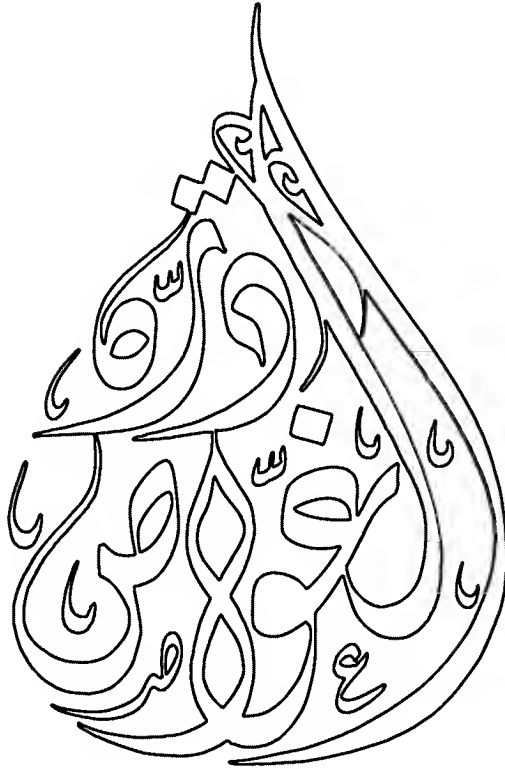
وَدَبَ الْبَيَاضُ خِلَالَ السَّوَادِ      فَأَصْبَحْتَ فِي شِمَةِ الْأَشْهَبِ  
وَكَيْفَ تُؤَمِّلُ طُولَ الْحَيَاةِ      إِذَا كَانَ حِلْمُكَ لَمْ يَعْزُبِ

وأما إبراهيم في قوله :

نَعَى نَفْسِي إِلَى أَبِي      وَخَبَّرَ أَيْنَ مُنْقَلَبِي <sup>(١)</sup>  
لَوْ عِظَةً رَأَاهَا فِي      أَبِيهِ كَمَا رَأَيْتُ أَبِي

وَكُنْ أَبَا نَوَاسٍ لِحَظِ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ      وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيق <sup>(٢)</sup>  
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ      لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ



## مجلد آخر

قال: رَوَى أَنْ عَمْرُو بْنَ عُبَيْدٍ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّعْلَانِيِّ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ :  
إِنَّ اللَّهَ تَعَبَّدَكَ فِي حَالِ الصَّحَّةِ بِالْعَمَلِ بِجَوَارِحِكَ وَقَلْبِكَ ، وَوَضَعَ عَنْكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَمَلَ  
الْجَوَارِحِ ، وَلَمْ يَكْلِفْكَ إِلَّا الْعَمَلَ بِقَلْبِكَ ، فَأَعْطِهِ بِقَلْبِكَ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْكَ .

وَرَوَى أَنْ قَوْمًا اجْتَمَعُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ ، فَتَذَاكَرُوا السَّخَاءَ فَأَكْثَرُوا فِي وَصْفِهِ ،  
وَعَمْرُو سَاكِتٌ ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا عِنْدَهُ فَقَالَ : مَا أَصْبَحْتُ صَفْتَهُ ؛ إِنَّ السَّخِيَّ مَنْ جَادَ بِمَالِهِ تَبَرُّعًا ،  
وَكَفَّ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ تَوَرُّعًا .

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيُّ قَالَ : إِنِّي لَعَلَى بَابِ الْمَنْصُورِ يَوْمًا ، وَإِلَى جَنْبِي  
عُمَارَةُ<sup>(١)</sup> بْنُ حَمْزَةَ ، إِذْ طَلَعَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى حِمَارٍ ، فَتَزَلَّ عَنْ حِمَارِهِ ، ثُمَّ دَفَعَ<sup>(٢)</sup> الْبَسَاطَ  
بِرِجْلِهِ وَجَلَسَ دُونَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَارَةَ فَقَالَ : لَا تَزَالِ / بَصُرْتُكُمْ تَرْمِينَا مِنْهَا بِأُحْمَقٍ ؛ [٥٦] ط  
فَمَا فَصَلَ كَلَامَهُ مِنْ فِيهِ حَتَّى خَرَجَ الرَّبِيعُ وَهُوَ يَقُولُ : أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ ! قَالَ : ١٠  
فَوَاللَّهِ مَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى أُرْشِدَ إِلَيْهِ ، فَأَتَكَّأُ<sup>(٣)</sup> يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَرَّ مَتَوَكَّنًا<sup>(٤)</sup> عَلَيْهِ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَارَةَ فَقُلْتُ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اسْتَحْمَقْتُ<sup>(٥)</sup>

(١) هُوَ عُمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ مَيْمُونٍ ، مِنْ وَلَدِ عِكْرَمَةَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ؛ أَحَدُ الْكُتَّابِ  
الْبُلَاءِ ، وَكَانَ سَخِيًّا جَوَادًا ، وَلَهُ أَخْبَارٌ مَأْثُورَةٌ فِي الْكُرَمِ وَالْجُودِ وَالتَّيْبَةِ ، قُلْدَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ ضِيَاعَ  
أَلِ مَرْوَانَ ، وَقُلْدَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ دِيوَانَ خَرَجِ الْبَصْرَةِ وَنَوَاحِيهَا . ( وَانْظُرْ تَرْجُمَتَهُ وَأَخْبَارَهُ فِي كِتَابِ  
الْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابِ لِلْجَهْشِيَارِيِّ : ٩٠ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادِ ١٢ : ٢٨٠ - ٢٨٥ ) .

(٢) ش ، وَحَاشِيَةُ ت ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « رَفَعَ » .

(٣) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « أَتَكَّأُ يَدَهُ ؛ كَأَنَّهُ جَعَلَهُ مَتَكًّا عَلَيْهَا ، وَأَصْلُ النَّاءِ فِي هَذِهِ  
الْكَلِمَةِ بِالْوَاوِ ؛ يُقَالُ : أَوْكَأْتُ فَلَانًا إِذَا جَعَلْتُ لَهُ مَتَكًّا » .

(٤) مِنْ نَسْخَةِ بَحَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « مَتَكًّا » .

(٥) ف ، وَحَاشِيَةُ ت ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « اسْتَحْمَقْتُهُ » .

قدْ أُدْخِلَ وَتُرِكَنا ، فقال : كثيراً ما يكون ذلك ، فأطال اللَّبَثُ ، ثم خرج الربيع وهو متوكئٌ عليه . والربيع يقول : يا غلام ، حمار أبي عثمان ، فما برح حتى أتى بالحمار ، فأقره على سرجه ؛ وضمَّ إليه كُشْرَ<sup>(١)</sup> ثوبه ، واستودعه الله .

فأقبلُ عُمارة على الربيع فقال : لقد فعاتم اليومَ بهذا الرجلِ ما لو فعاتموه بولَى عهدكم لقضيتُمَ ذِمَّاهُ . قال : فما غاب عنك ممَّا فُعلَ به أكثرُ وأعجب ، قال عُمارة : فإن اتَّسع لك الحديثُ خُذْنا .

فقال الربيع : ما هو إلَّا أن سَمِعَ الخليفةُ بمكانه ، فما أمهلَ حتى أمرَ بمجلسٍ ففرَّش لبُودًا ، ثم انتقل إليه والمهديُّ معه عليه سَوادُه وسيفُه ؛ ثم أذن له ، فلما دخلَ عليه سلَّم بالخلافة ، فردَّ عليه وما زال يُدنيه حتى أتكَأه فَنَحَذَه وتحفَّى به ، ثم سأله عن نفسه وعن عياله ،

١٠ يُسمِّيهم رجالاً رجلاً ، وامرأة امرأة ، ثم قال : يا أبا عثمان ، عظنا فقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم<sup>(٢)</sup> بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(٣)</sup> : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ ١ ۝ ﴾

[ الفجر : ١ - ٣ ] ، ومَرَّ فيها إلى آخرها ، وقال : إن ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد ، قال : فسكى بكاءً شديداً ؛ كأنه لم يسمع تلك الآيات إلَّا تلك الساعة ، ثم قال : زِدْنِي ، فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها

فاشترَ نفسَكَ منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمرَ الذي صارَ إليك إنما كان في يدٍ مَنْ كان قبلك ، ثم أفضى إليك ، وكذلك يخرج منك إلى مَنْ هو بعدَكَ ، وإني أحذرك ليلةَ تَمَخَّضُ<sup>(٣)</sup> صبيحتها عن يوم القيامة . قال : فسكى أشدَّ من بكائه الأول حتى رَجَفَ جَنَبَاهُ .

وفي رواية أخرى أنه لما انتهى إلى آخر السورة قال : إن ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ، أن يُنزلَ به مثل ما نزلَ بهم ، فاتَّقَ الله ، فإنَّ من وراء بابك نيراناً تأجَّج من الجورِ ؛

(١) النشر ، بالتحريك : المنتشر من كل شيء .

(٢-٢) ساقط من ط ، ف ، م .

(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « تمخض » .

ما يُعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله<sup>(١)</sup> . فقال : يا أبا عثمان ؛ إنا لنكتب إليهم في الطوامير<sup>(٢)</sup> ، / نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة ، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع ! فقال له : [ ٥٦ ]  
مثل أذن الفأرة يُجْزِيكَ من الطوامير ، الله تكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها ،  
وتكتب إليهم في حاجة الله فلا ينفذونها ؛ إنك والله لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل إذاً  
لتقرب إليك به مَنْ لا نيةَ له فيه .

قال سيدنا أدام الله علوه : رجعنا إلى نسق الحديث ، فقال له سليمان بن مجالد : رفقاً بأمر  
المؤمنين ، فقد أتعبتهم منذ اليوم ، فقال له : بمثلك ضاع الأمر وانتشر ، لا أبال لك ! وماذا خفت  
على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله ! .

وفي رواية أخرى أن سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له : من أنت ؟  
فقال أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عثمان ؟ قال : لا ، ولا أبالي ألا أعرفه ! فقال : هذا أخوك ١٠  
سليمان بن مجالد ، فقال : هذا أخو الشيطان ، ويليكَ يا بن أم مجالد ! خَزَنْتَ نصيحتك عن أمير  
المؤمنين ، ثم أردت أن تحولَ بينه وبين من أراد نصيحتَه ! يا أمير المؤمنين ؛ إن هؤلاء اتخذوك  
سليماً لشهواتهم ، فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرُك يَحْلِبُ ، فاتَّقِ الله فإنك ميتٌ وحدك ، ومحاسب  
وحدك ، ومبعوثٌ وحدك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئاً ! فقال له المنصور : يا أبا عثمان ؛  
أعني بأصحابك أستعين بهم ، فقال له : أظهر الحق يتبعك أهله ، قال : بلغني أن محمد بن عبدالله ١٥  
ابن الحسن<sup>(٣)</sup> كتب إليك كتاباً ، قال : قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه ، قال : فماذا  
أجبتَه ؟ قال : أو لست قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا ؟ وإني لا أراه ،  
قال : أجل ! ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي ! قال : لئن كذبتك تقيّة لأحلفن لك تقيّة ،  
قال له : أنت الصادق البار ، وقد أمرت لك بمشرة آلاف درهم ، تستعين بها على زمانك ؛

(١) م : « رسوله » . (٢) الطوامير : جمع طومار ؛ وهو الصحيفة .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ الملقب بالنفس الزكية ؛ وكان من  
أفضل أهل بيته ؛ علماً وفقهاً وشجاعةً وجوداً ؛ قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ ( وانظر ترجمته وأخباره  
في مقاتل الطالبين ٢٣٢-٢٩٩ ) .

فقال : لا حاجة لى فيها ، قال المنصور والله لتأخذنّها ، قال : والله لا أخذنّها ، فقال له المهدي :  
يخلف أمير المؤمنين وتحلف ! فترك المهدي وأقبل على المنصور وقال : من هذا الفتى ؟ فقال :  
هذا ابني محمد ، وهو المهدي وهو ولي العهد ، فقال : <sup>(١)</sup> والله لقد سميتّه اسماء ما استحقّها  
بعمل <sup>[٥٦]</sup> ، وألبسته كبوساً ماعو من كبوس الأبرار / ولقد مهّدت له أمراً أمتع ما يكون به  
أشغل <sup>(٢)</sup> ما تكون عنه ! ثم التفت إلى المهدي فقال : نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك حلف  
عمك ؛ لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك ؛ قال المنصور : يا أبا عثمان ، هل من حاجة ؟  
قال : نعم ، قال ما هي ؟ قال : ألا تبعث إليّ حتى آتيك ؛ قال : إذا <sup>(٣)</sup> لا نلتقي ، قال : عن  
حاجتي سألتني ، ثم ودّعه ونهض ؛ فلما ولّى أتبعه بصره وأنشأ يقول :  
كلُّكم طالبُ صيْدٍ كلُّكم ماشٍ رُوَيْدٌ <sup>(٤)</sup>  
غَيْرَ عَمْرٍو بنِ عُبيدٍ

١٠

وروي أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأثى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو  
لا يعرفه ، فقال لعمرو : أليس قد جعل الله لك عينين ؟ قال : بلى ، قال : ولم ؟ قال : لأنظر  
بهما في ملكوت السموات والأرض فأعتبر ، قال : وجعل لك فماً ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟  
قال : لأذوق الطعوم <sup>(٥)</sup> ، وأجيب الداعي ؛ ثم عدّد عليه الحواس كلها ، ثم قال : وجعل  
لك قلباً ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : لتؤدي إليه الحواس ما أدركته ، فيميز بينها ، قال :

١٥

(١-١) ت : « والله لقد سميتّه اسماء ما استحقّه بعمل » .  
(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « قوله : « أمتع » مبتدأ ، و « أشغل » نصب على الحال ؛ وهو  
ساد مسد خبر المبتدأ كقولك : أخطب ما يكون الأمير قائماً » .  
(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « إذا انتصب » إذا لم يكن الفعل الذي بعدها معتمداً على ما قبلها ؛ يقول  
لك الفائل : أنا أكرمك ؛ فنقول : إذا أحبك ؛ فإن قلت : أنا إذا أحبك رفعت ؛ لا اعتماداً على الابتداء التي  
هو أنا ؛ وكذلك : إن تكرمني [ بالجزم ] إذا أكرمك ، وإذا وقعت على فعل الحال أنغيت أيضاً ؛ هـ  
لم يتحدث بحديث : إذا أظنك كاذباً ؛ فنخبر عن حال الظن » .  
(٤) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « يمشي رويد » .  
(٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « المطعوم » .

فَأَنْتَ لَمْ يَرْضَ لَكَ رَبُّكَ تَعَالَى إِذْ خَلَقَ لَكَ خَمْسَ حَوَاسٍ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَامًا تَرْجِعُ إِلَيْهِ ؛  
أَتَرْضَى<sup>(١)</sup> لِهَذَا الْخَلْقِ الَّذِينَ<sup>(٢)</sup> جَشَّابَهُمُ الْعَالَمَ إِلَّا يَجْعَلُ لَهُمْ إِمَامًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو :  
ارْتَفِعْ حَتَّى نَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِكَ ، وَعَرَفَهُ ؛ ثُمَّ دَارَ هَشَامٌ فِي حَقِّ الْبَصْرَةِ فَمَا أُمِسَى حَتَّى  
اِخْتَلَفُوا .

وروى أبو عُبَيْدَةَ قَالَ : دَخَلَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ عَلَى سَلْيَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ٥  
بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ لَهُ سَلْيَانُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صَاحِبِكَ - يَعْنِي الْحَسَنَ - حِينَ يَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ  
السَّلَامُ قَالَ : « إِنِّي وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ آكُلُ الْحَشَفَ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ أَشْهَدْ مَشْهَدِي هَذَا » يَعْنِي :  
يَوْمَ صِفِّينَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ : لَمْ يَقُلْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَّ ،  
وَلَكِنَّهُ يَقُولُ : وَدَّ أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ الْحَشَفَ بِالْمَدِينَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ ؛ فَقَالَ : فَقَوْلُهُ فِي  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « يُقْتَدِنَا فِي الْقَمَلَةِ وَالْقَمِيلَةِ ، وَطَارَ بِأَمْوَالِنَا فِي لَيْلَةٍ » ؟ فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ ١٠  
يَقُولُ هَذَا ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَمْ يَفَارِقْ عَلِيًّا حَتَّى قُتِلَ وَشَهِدَ صَلَاحَ الْحَسَنِ ؟ وَأَيُّ مَالٍ  
يَجْتَمِعُ فِي بَيْتِ الْمَالِ بِالْبَصْرَةِ مَعَ حَاجَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَمْوَالِ / وَهُوَ يَفْرُغُ بَيْتَ مَالٍ [ ٥٧ ]  
السَّكُوفَةِ فِي كُلِّ خَمِيسٍ وَيَرْضُشُهُ ؟ قَالُوا : إِنَّهُ كَانَ يَقِيلُ فِيهِ ، فَكَيْفَ يَتْرَكُ الْمَالَ يَجْتَمِعُ بِالْبَصْرَةِ ؟  
وَهَذَا بَاطِلٌ .

قَالَ الْجَاهِظُ : نَازَعَ رَجُلٌ عَمْرُو بْنَ عَبِيدٍ فِي الْقَدَرِ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ ١٥  
مَآزِيلَ الشَّكِّ عَنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ  
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ أَخْبَر : ٩٢ - ٩٣ ] ، وَلَمْ يَقُلْ : لَنَسْأَلَنَّهُمْ عَمَّا قَضَيْتُ عَلَيْهِمْ أَوْ قَدَرْتُهُ  
فِيهِمْ ، أَوْ أَرَدْتُهُ مِنْهُمْ ، أَوْ شِئْتُهُ لَهُمْ ؛ وَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْإِقْرَارُ بِالْعَدْلِ أَوِ السَّكُوتِ عَنِ  
الْجَوْرِ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(١) ت : « فَكَيْفَ يَرْضَى ... » . (٢) ت : « وَلَنْدَى »

قال خلاد الأرقط : حدثني زميلُ عمرو بن عبيد قال : سمعته في الليلة التي مات<sup>(١)</sup> فيها يقول : اللهم إن كنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط ؛ أحدهما لك فيه رضا ، والآخر لي فيه هوى إلا قدّمتُ رضاك على هوى فاعفر لي .

ومرَّ أبو جعفر المنصور على قبره بمَرَّان - وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة -

فأنشأ يقول :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانِ  
قَبْرًا تَضُمَّنَ مُؤْمِنًا مُتَخَشِّعًا عَبْدَ الْإِلَهِ وَدَانَ بِالْفُرْقَانِ<sup>(٢)</sup>  
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي شُبْهَةٍ فَصَلَّ الْحِطَابَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ  
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا أَبْقَى لَنَا عَمْرًا أَبَا عُثْمَانَ

\*\*\*

١٠ فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد<sup>(٣)</sup> الله بن مكحول العبدى -

وقال أبو القاسم البلخي : هو من موالى عبد القيس ، وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة ،

وقال أبو الحسين الخياط : ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وقيل : إنه توفي في أول أيام التوكل

سنة خمس وثلاثين ومائتين وسنة مائة سنة .

قال البرذعي : لحق أبا الهذيل في آخر عمره خَرَفٌ ؛ إلا أنه لم يكن يذهب عليه معرفة

١٥ المذهب والقيام<sup>(٤)</sup> بحجته ، وكُفَّ بصره قبل وفاته ؛ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان

الطويل صاحب واصل بن عطاء .

[ ٥٧ ] وقيل إن أبا الهذيل في حديثه بَلَّغَهُ أَنْ / رجلاً يهودياً قدم البصرة ، وقطع جماعةً من

متكلميها ، فقال لعمه : ياعم ، امض بي إلى هذا اليهودي حتى أكلمه ، فقال له عمه : يا بني ،

(١) توفي عمرو بن عبيد سنة ١٤٤ ، وانظر ترجمته أيضاً في (ابن خلكان ١ : ٣٨٤-٣٨٥) .

والعارف ٢١٢ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦-١٨٨) .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « بالقرآن » .

(٣) ت : « ابن عبد الله » . (٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « ولا القيام » .



كيف تكلمه وقد عرفت خبره ، وأنه قطع مشايخ التكلمين ! فقال : لا بدّ من أن تمضى بي إليه ، فمضى به قال : فوجدته يقرّر الناس على نبوة موسى عليه السلام ، فإذا اعترفوا له بها قال : نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على مائدّعونه ؛ فتقدّمت إليه ، فقلت : أسألك أم تسألني ؟ فقال : بل أسألك ، فقلت : ذاك إليك ، فقال لي : أتعترف بأن موسى نبيّ صادق ، أم تنكر ذلك فتخاف صاحبك ؟ فقلت له : إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشرّ بنبيّ عليه السلام ، وشهد بنبوته ، وصدّقه فهو نبيّ صادق ، وإن كان غير من وصفته ؛ فذلك شيطان لا أعترف بنبوته ؛ فورد عليه ما لم يكن في حسابه . ثم قال لي : أقول إن التوراة حق ؟ فقلت : هذه السألة تجرى تجرى الأولى ، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيّ عليه السلام فتلك حق ، وإن لم تكن كذلك فليست بحق ، ولا أقرّها بها . فبُهِتَ وأفحِمَ ولم يدّر ما يقول ، ثم قال لي : أحتاج أن أقول لك شيئاً بيني وبينك ، فظننتُ ١٠ أنه يقول شيئاً من الخير ، فتقدّمتُ إليه فسارّني فقال لي : أمك كذا وكذا ، وأمّ من علّمك لا يكتي ، وقدّر أني أثبُّ به ، فيقول : وتبوا بي ، وشغبوا عليّ ، فأقبلتُ على من كان في المجلس فقلت : أعزكم الله ! أستمّ قد وقفتم على سؤاله <sup>(١)</sup> إياي ، وعلى جوابي إياه ؟ قالوا : بلى ! قلت : أفليس عليه أن يرّد جوابي أيضاً ؟ قالوا : بلى ، قلت لهم : فإنه لما سارّني شتّمني بالشتّم الذي يوجب الحدّ ، وشتّم من علّمني ، وإنما قدّر أني أثب عليه ، فیدعی أننا واثبناه ، ١٥ وشغبنا عليه ، وقد عرّفتمكم شأنه بعد الانقطاع ، فانصروني ، فأخذته الأيدي من كل جهة ، فخرج هارباً من البصرة .

وعن أبي العيّن قال : قال لي أبو الهذيل : مامعني الخسّف ؟ فقلت : أن تنقلب الأرض ؛ أعلاها أسفلها ، فقال : إلّا يَكُنْ هذا اليوم بالأرض فإنه لبيّ الناس .

وقال أبو الهذيل : قال لي المذلل بن غيلان العبديّ ، وكان من سادات عبد القيس ، ٢٠ وكان يجتمع إليه أهل النظر : يا أبا الهذيل ، إن في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة ،

[ ٥٨ ] فَبَيَّنَ لِي / مَا يَذْهَبُ بِالرَّيْبِ عَنِّي ، فَقَالَ : خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٩] ، هَلْ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ أَكْذَبَهُمْ لِأَنَّهُمْ مُسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ <sup>(١)</sup> وَهُمْ تَارِكُونَ لَهُ ، فَاسْتَطَاعَةَ الْخُرُوجِ فِيهِمْ وَلَيْسَ يَخْرُجُونَ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَيُّ هُمْ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ <sup>(٢)</sup> وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَيَقُولُونَ : لَسْنَا نَسْتَطِيعُ ، وَلَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، أَوْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ آخَرَ : يَقُولُ : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَيُّ إِنْ أُعْطِيَهُمُ الْاسْتَطَاعَةُ لَمْ يَخْرُجُوا ؛ فَتَكُونُ مَعَهُمُ الْاسْتَطَاعَةُ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا يَخْرُجُونَ ؛ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ قَدْ كَانَتْ الْاسْتَطَاعَةُ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا يَكُونُ الْخُرُوجُ ، وَلَا يُعْمَلُ لِلآيَةِ مَعْنَى ثَلَاثَ غَيْرِ الْوَجْهِينَ الَّذِينَ وَصَفْنَا <sup>(٣)</sup> .

١٠ وَحَكَى سَلِيمَانُ الرَّقِّي أَنَّ أَبَا الْهَذِيلَ لَمَّا وَرَدَ سُرَّ مَنْ رَأَى نَزَلَ فِي غُرْفَةٍ إِلَى أَنْ يُطْلَبَ لَهُ دَارُهُ تَصْلُحُ لَهُ ، قَالَ : فَهَرَرْتُ بِهِ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْهَذِيلَ ، أَنْزِلْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَنْزِلِ ! فَأَنْشَدَنِي : يَقُولُونَ زَيْنُ الرَّءِ يَا مَحْيُ رَحْلُهُ أَلَا إِنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَا مَحْيُ رَاكِبُهُ  
وَعَنْ مُجَالِدٍ <sup>(٤)</sup> قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا ، وَقَدْ سَأَلَ أَبَا الْهَذِيلَ وَهُوَ فِي الْوَرَّاقِينَ بِقَصْرِ وَضَّاحٍ فَقَالَ لَهُ : مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الزَّانِئَيْنِ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَابْنَ أَخِي ، أَمَّا بِالْبَصْرَةِ فَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ :  
١٥ الْقَوَادُونَ ؛ وَلَا أَحْسِبُ أَهْلَ بَغْدَادٍ يَخَالِفُونَهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، فَمَا تَقُولُ أَنْتَ ! قَالَ : نَحْفِلُ الرَّجُلُ وَسَكَتَ .

وَقَالَ أَبُو الْهَذِيلَ : قُلْتُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَنْفِي الْحَرَكَةَ - وَلَمْ يَسْمَعْهُ ، وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ الْأَصَمُّ - : خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢] ، وَذَكَرَ الْقَاضِي فَقَالَ : فَاجْلِدُوهُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً <sup>(٥)</sup> ، فَأَيُّهُمَا أَكْثَرُ ؟ فَقَالَ : حَدُّ <sup>(٦)</sup>  
(١) ت : « للخروج » (٢-٢) ساقط من م . (٣) ت ، ج ، ش : « الذين ذكرنا » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عن أبي مجالد » .  
(٥) يشير إلى قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ » [النور: ٤] ، (٦) حاشية ت (من نسخة) : « جلد الزاني » .  
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ؛ [النور: ٤] .

الزَّائِي ، قلت : بَكَمْ ، قال : بعشرين ، قلت : فخذُني <sup>(١)</sup> عن الجلد ، أهو يدُ الجَلَادِ ؟ قال : لا ، قلت : أهو السَّوْطُ ؟ قال : لا ، قلت : فهو ظهر المجلود ؟ قال : لا ، قلت : أهو الانفراجُ الذى بين السَّوْطِ وظهر المجلود ؟ قال : لا ، قلت : أفشَمَّ شَيْءٌ غير هذا هو الجلدُ ؟ قال : لا ، قلت : فإنما تقولُ أن لا شَيْءَ أَكْثَرُ من لا شَيْءَ بعشرين ! فانقطع .

وقال أبو الهذيل : قلت لجوسى : ما تقول فى النار ؟ قال : بنت الله ، قلت : فالبقر ؟ قال : ٥ ملائكة الله ؛ قَسَّ أَجْنَحَتَهَا ، وحطَّهَا / إلى الأرض يُحِثُّ عليها ، فقالت : فإلما ، قال : نُورٌ [ ٥٨ ] ظ الله ، قلت : فما الجوعُ والعطش ؟ قال : فَتَرَّ الشَّيْطَانُ وفاقَتْهُ ، قلت : فَمَنْ يَحْمِلُ الأرضَ ؟ قال : بَهْمَنُ الْمَلِكِ ، قلت : فما فى الدنيا شرٌّ من الجوس ، أخذوا ملائكةَ الله فذبجوها ، ثم غسَلوها بنور الله ، ثم شَوَّوْهَا بِنْتِ اللَّهِ ، ثم دفعوها إلى فَتَرِ الشَّيْطَانِ وفاقَتْهُ ، ثم ساجَّوْهَا على رأسِ بَهْمَنِ الْمَلِكِ أعزَّ ملائكةَ الله ! فانقطع الجوسى ، وخِجِلَ مما لزمه . ١٠

ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفم الصَّلَحِ <sup>(٢)</sup> ، وعنده فتى قد رَفَعَ مَجْلِسَهُ ، فقال أبو الهذيل : مَنْ هَذَا الْفَتَى الَّذِى قَدْ رَفَعَهُ الْأَمِيرُ ، لِنُوفِيَّتِهِ بِمَعْرِفَتِهِ حَقَّهُ ؟ قال : رجل من أهل النجوم ، قال : مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْحِسَابِ أَمْ الْأَحْكَامِ ؟ قال : الْأَحْكَامِ ، قال : ذَلِكَ عَمَلٌ يَبْطُلُ ، أَفَأَسْأَلُهُ ؟ قال : سَلْ فَأَخَذَ أَبُو الْهَذِيلِ تَفَاحَةً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَقَالَ : آ كُلْ هَذِهِ التَّفَاحَةَ أَمْ لَا ؟ قَالَ : تَأْكُلُهَا ، فَوَضَعَهَا أَبُو الْهَذِيلِ وَقَالَ : لَسْتُ آكُلُهَا ، قَالَ : فَتَعِيدُهَا إِلَى ١٥ يَدِكَ وَأَعِيدَ النَّظَرَ ، فَوَضَعَهَا وَأَخَذَ غَيْرَهَا ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : لِمَ أَخَذْتَ غَيْرَهَا ؟ قَالَ : لِثَلَا يَقُولَ لِي : لَا تَأْكُلْهَا فَآكُلْهَا خِلَافًا عَلَيْهِ فَيَقُولَ لِي : قَدْ أَصَبْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى .

وقال النعمان المَنَانِي يوماً لأبِي الْهَذِيلِ : دُلَّ عَلَى حَدُوثِ الْعَالَمِ بِغَيْرِ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ ، فقال له أَبُو الْهَذِيلِ : مِثْلُكَ مِثْلُ رَجُلٍ قَالَ لَخَصْمِهِ : احْضُرْ مَعِيَ إِلَى الْقَاضِي وَلَا تَحْضُرْ بَيْنَتَكَ .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « نخبرنى » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « فم الصلح :

موضع قريب من واسط » .

وذكر محمد بن الجهم<sup>(١)</sup> صاحب الفراء قال : رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيئون أن يكتب له كتاباً في حاجة له إلى حفصويه صاحب الجيش ، ونهض أبو الهذيل ؛ فأملى على سهل بن هرون :

٥      إِنَّ الضَّمِيرَ إِذَا سَأَلْتُكَ حَاجَةً      لِأَبِي الْهَذِيلِ خِلَافُ مَا أُبْدَى  
 فَإِذَا أَنَاكَ لِحَاجَةٍ فَا مَدُّ لَهُ      حَبْلَ الرَّجَاءِ بِمُخْلَفِ الْوَعْدِ  
 وَأَلِنْ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ      فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا رِفْدِ  
 حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ      وَرَجَا الْغَنَى فَاجْبِهِهُ بِالرَّدِّ  
 وَإِنْ اسْتَطَعْتَ لَهُ الْمَضَرَّةَ فَاجْتَهِدْ      فِيمَا يَضُرُّ بِأَبْلَغِ الْجَهْدِ  
 / وَانْظُرْ كَلَامِي فِيهِ فَا رَمِّ بِهِ      خَلْفَ الثَّرِيَّا مِنْكَ فِي الْبُعْدِ<sup>(٢)</sup>  
 ١٠      وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ      إِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ فِي أَبِي الْهِنْدِيِّ<sup>(٣)</sup>

قال سيدنا المرتضى أدام الله تأييده : ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن أبي الأزهر قال : حدثنا أبو العيناء قال : كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل ، وأحببت أن تكون معي إليه وسيلة ، وقد سألت من صديقه ، فقبل لي : أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك ، فأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية ، قال : فصرت إلى الجاحظ ، فقال لي : في أي شيء جاء أبو عبدالله ؟ فقلت : مُسَلِّماً وقاضياً الحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا ، فقال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة ، فإني في غد أوجه إليك بالكتاب ، فلما كان من الغد وجهه إلي بالكتاب مختوماً فقلت لابني : وجه هذا الكتاب إلى فلان ، ففيه حاجته ، فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضّه وتنظر مافيه ، ففعل فإذا في الكتاب : « كتابي إليك مع من لا أعرفه ،

(١) حاشية الأصل : « محمد بن الجهم السمرى » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « أى أخف كلامي هذا » .

(٣) حاشية ت : « أبو الهندي اسم رجل كان خاصاً به وملازماً له » .

وقد كلنى فيه مَنْ لا أَوْجِبَ حَقَّهُ ، فإن قُضِيَتْ حاجته لم أَحْمَدُكَ ، وإن رددته لم أَذُمَّكَ » .  
فلما قرأت الكتاب مضيتُ من فوري إلى الجاحظ ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد علمتُ أَنَّكَ  
أنكرت ما فى الكتاب ، فقلت : أو ليس موضع نَكِرة ! فقال : لا ، هذه علامة بينى  
وبين الرجل فيمن أعتنى به ، فقلت : لا والله ، ما رأيتُ رجلاً أعلمَ بطبعك وما جُيِلَتْ عليه من  
هذا الرجل ! - أعنى صاحب الحاجة - أعلمتُ أَنَّهُ لما قرأ الكتاب قال : أمّ الجاحظ عشرة ٥  
آلاف ، وأمّ مَنْ يسأله... فقلت : يا هذا ؟ أنشِمْ صديقنا ؟ فقال : هذه علامتى فيمن أشكره !  
وفى رواية أخرى أَنَّ أبا العيناء سَلَّمَ الكتاب إلى صاحب الحاجة وقال له : فضِرَّ  
الكتاب ، فقال : إنه محتومٌ فقال : طِينَةٌ أَهونُ من ظِنَّة .

\*\*\*

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأظن أن أبا العيناء تنبّه على فضّ الكتاب وقراءته  
بمخبر طرفة بن العبد والمتلمّس الضَّبْعِيّ<sup>(١)</sup> ، وذلك أَنهما وَفَدَا على عمرو بن هند ونادماه ، ١٠  
واحتظيا به ، ثم أفضى الأمر إلى أن هجاء كلُّ واحد منهما وعرض به بالشعر  
المشهور<sup>(٢)</sup> فَحَنَقَ عليهما ، وهَمَّ بقتلِهما ، ثم أشفق من ذلك ، وأراد قتلَهما بيدٍ غيره ،  
وكان على طرفة أحنق ، فعلم أَنه إن قتله هجاء المتلمّس : فكتب لهما كتاباً إلى البحرين ،  
وقال لهما : إني قد كتبت لكما بَصِلة ، فاشخصا لقبضها ؛ فخرجا من عنده ، والكتابان فى  
أيديهما ، فمرّاً بشيخ جالس على ظهر الطريق ، مُتَكَشِّفاً يتبرز ، ومعه كسرة خبز يأكل ١٥  
منها ، ويتناول القمل من ثيابه فيقصّعه ، فقال أحدهما لصاحبه : ما رأيتُ أعجب من هذا  
الشيخ ! فسمع الشيخ مقالته فقال : وما ترى من عَجَبِي<sup>(٣)</sup> ! أُدْخِلْ طَيِّباً ، وأخرج خبيثاً ،  
وأقتل عدوّاً ، وإن أعجبَ منى لَمَنْ يَحْمِلُ حَتْفَهُ بيده ، وهو لا يدرى ! فأوجس المتلمّس فى

(١) فى حاشيتى الأصل ، ت : « هو من بنى ضبيعة بن ربيعة ، واسمه جرير بن عبد الغزى ، وقيل  
ابن عبد المسيح » . (٢) انظر تفصيل الخبر وأبيات الهجاء فى ( الأغانى ٢١ : ١٢٧ ، والشعر  
والشعراء ١٣١ - ١٣٢ ، و ١٣٧ - ١٣٨ ، ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ، والخزانة ١ : ٤١٢ - ٤١٧ .  
٤٤٦ ، و ٧٣ : ٣ وجمع الأمثال ١ : ٣٥٠ - ٣٥٢ وديوان طرفة : ٦ - ٥ ، وديوان المتلمّس ١٧٢ -  
١٧٦ ) . (٣) م : « عجب » .

نفسه خيفة ، وارتاب بكتابه ، ولقيه غلام من أهل الحيرة ، فقال له : أنقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففَضَّ خاتم كتابه ، ودفعه إلى الغلام فقرأه ، فإذا فيه : « إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، واصلبه حياً » .

فأقبل على طرفه فقال له : تَمَنَّيْتُ<sup>(١)</sup> والله لقد كتبَ فيكَ بمثلِ هذا ، فادفع كتابك إلى الغلام يقرؤه عليك ، فقال : كلاً ، ما كان ليحسُرَ على قومي بمثل هذا ، ولم ياتفت إلى قول المتلمس ، فألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة ، وقال :

قَذَفْتُ بِهَا بِالشَّيْءِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ      كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطِّ مُضِلٍّ<sup>(٢)</sup>  
رَضِيتُ لَهَا بِالماءِ لَمَّا رَأَيْتُهَا      يَجُولُ بِهَا التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدُولٍ  
كافر : نهر بالحيرة ، وأقنو : أقتنى ، والقِطُّ : الكتاب : والتَّيَّارُ : معظم الماء وكثيرته .  
وقال المتلمسُ أيضاً :

مَنْ مُبْلَغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمْ      نَبَأٌ فَتَصَدَّقْتُهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسِ<sup>(٣)</sup>  
أَوْدَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا      وَنَجَا حِذَارَ حَيَاتِهِ الْمُتَلَمَّسُ  
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورُهُ      وَجَنَاهُ مُجَمَّرَةٌ الْمَنَاسِمِ عِرْمَسُ<sup>(٤)</sup>  
عَيْرَانَةُ طَبَخَ الْمَوَاجِرُ لَحْمَهَا      فَكَأَنَّ نِقَبَتَهَا أَدِيمٌ أَمْلَسُ<sup>(٥)</sup>  
أَطْرِيفَةُ بَنِ الْعَبْدِ إِنَّكَ حَائِنٌ      أَبْسَاحَةِ الْمَلِكِ الْمُهَمَّمِ تَمَرَّسُ !  
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ      يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ النَّقَرَسُ

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تعلم » .

(٢) ديوانه : ١٧٦ . (٣) الأبيات في ديوانه ١٩١-١٩٢ ، والحزاة ٣ : ٧٣ والأغاني

٢١ : ١٢٧ وأخوهم : طرفه والمتلمس . (٤) الوجناء : الناقة الصلبة ؛ مشتقة من الوجين ؛

وهي الأرض الصلبة ، ومجرة : مجنعة ، والمناسم : جمع منسم ، ومنسما خف البعير كالظفرين في مقدمة ؛

بهما يستبان أثر البعير الضال . والعرمس في الأصل : الصخرة ؛ شبهت بها الناقة ؛ ورواية الديوان :

أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ      عَنَسُ مَدَاخِلَةِ الْفَقَارَةِ عِرْمَسُ

(٥) العيرانة : الناقة الصلبة التي تشبه غير الوحش لقوتها ، والنقبة هاهنا : اللون .

النقرس هاهنا : الداهية ، ومضى طرفه بكتابه إلى البحرين ، فأمر به المعلّى بن حنّس<sup>(١)</sup> العبدىّ فقتل ؛ فقال المتلمس<sup>(٢)</sup> :

عَصَانَا<sup>(٣)</sup> فَمَا لَأَقَى رَشَادًا وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ<sup>(٤)</sup> فِي أَمْرِ الْغَوِيِّ عَوَاقِبُهُ  
فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آلَةٍ تَمْجُ نَجِيعَ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهُ  
فَالَا تَجَلَّلَهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تُوقِي<sup>(٥)</sup> ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ !  
وَاجِئَ التَّمَلُّسِ بِلَادِ الشَّامِ ، وَهَجَا عَمْرًا ، وَبَلَغَهُ أَنْ عَمْرًا يَقُولُ : لئن وجدته بالعراق  
لَيَقْتُلَنَّهُ ، فَقَالَ :

آيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمُهُ وَالْحَبُّ يَا كُنْهُ بِالْقَرِيَةِ الشُّوسُ<sup>(٦)</sup>  
وَجَرَى الْمَثَلُ بِصَحِيفَةِ التَّمَلُّسِ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَذْكُرُ الشُّعْرَاءَ الَّذِينَ أَوْرَثُوهُ أَشْعَارَهُمْ<sup>(٧)</sup> :  
وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ<sup>(٨)</sup> مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ  
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهَنَّ قَتْلَنَهُ وَمُهَاجِلُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ  
يعنى بالنوابغ : النابغة الذبياني والجمعدى ، ونابغة بنى شيبان ، ويعنى : بأبى يزيد الحبلى  
السعدى ، وجرول هو الخطيئة ، وذوالقروح امرؤ القيس ، وأخو بنى قيس هو طرفه . ومعنى  
قوله : « وهن قتلته » ، يعنى : القصائد التى هجا بها عمرو بن هند ، ويقال إن صاحب التملّس  
وطرفة فى هذه القصة هو النعمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طرفه :

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي<sup>(٩)</sup>  
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَتْمَانِيكَ<sup>(١٠)</sup> بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ  
وَأَبُو مُنْذِرٍ هُوَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، وَكَانَ النُّعْمَانُ بَعْدَ عَمْرٍو بْنِ هِنْدَ ، وَقَدْ مَدَحَ طَرْفَةُ النُّعْمَانَ  
فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَمْرٍو قَتَلَهُ ، فَيُشَبِّهُهُ أَنْ تَكُونَ الْقِصَّةُ مَعَ النُّعْمَانِ .

(١) من نسخة بجوانى الأصل ، ت ، ف : « حنّس » . (٢) ديوانه : ١٩٣-١٩٤ .  
(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « عصانى » . (٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « بين » .  
(٥) ش : « توقى » ، بكسر القاف المشددة . (٦) ديوانه : ١٨٠ ؛ و « حب » ،  
منصوب على نزع الخافض ؛ والبيت من شواهد ( الكتاب ١ : ١٧ ) ، ومن نسخة بمحاشنى الأصل :  
« فى القرية » . (٧) ديوانه ٢ : ٧٢٠ . (٨) حاشية الأصل : « من نسخة » : « كلمهم » .  
(٩) ديوانه : ٤٨ . (١٠) حاشية الأصل : « حنانيك ؛ أى تخننا بعد تخنن » .

## مَجْلِسُ آخِرِ

وكان أبو سهل بشر<sup>(١)</sup> بن المعتز من وجوه أهل الكلام ، ويقال إن جميع معتزلة

بعد ٦٠ ] / من مستجيبيه .

وقال أبو القاسم البلخي : إنه من أهل بغداد ، وقيل : من أهل الكوفة ، وذكر الجاحظ أنه كان أبرص .

وَحُكِيَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ ، وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ وَمَعَهُ مُجْتَبِرٌ يَسْأَلُهُمْ وَيَقُولُ : أَنْتُمْ تَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى إِيمَانِكُمْ ؟ وَهُمْ يَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : فَكَيْفَ يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَى مَا لَمْ يَفْعَلْ ، وَقَدْ ذَمَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : إِنَّمَا ذَمَّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ عَلَى مَا لَمْ يَفْعَلْ ؛ مِمَّنْ لَمْ يَعْنُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ ؛ وَهُوَ يَشْغَبُ إِذَا قَبِلَ ثَمَامَةَ<sup>(٢)</sup> بَنَ أَشْرَسَ ، فَقَالَ بَشْرٌ لِلْمُجْتَبِرِ : قَدْ سَأَلْتَ الْقَوْمَ وَأَجَابُوكَ ، وَهَذَا أَبُو مَعْنٍ فَاسْأَلْهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ يُحِبُّ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ هُوَ يُحْمَدُنِي عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ أَمَرَنِي بِهِ فَفَعَلْتُهُ ، وَأَنَا أَحْمَدُهُ عَلَى الْأَمْرِ بِهِ ، وَالتَّقْوِيَةِ عَلَيْهِ ، وَالِدَعَاءِ إِلَيْهِ ؛ فَانْقَطَعَ الْمُجْتَبِرُ . فَقَالَ بَشْرٌ : شَنْعَتُ فَسَهَلْتُ .

قَالَ الْجَاحِظُ : وَكَانَ بَشْرٌ يَقَعُ فِي أَبِي الْهَذِيلِ ، وَيَنْسُبُهُ إِلَى النِّفَاقِ ، فَقَالَ وَهُوَ يَصِفُهُ : أَبُو الْهَذِيلِ لِأَنَّهُ يَكُونُ لَا يَعْلَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ ، وَيَكُونُ عِنْدَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ ، وَلِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ السُّفْلَةِ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الْعِلْمَةِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعِلْمَةِ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ السُّفْلَةِ ، وَلِأَنَّهُ يَكُونُ نَبِيلَ الْمَنْظَرِ ، سَخِيفَ الْخَبَرِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَكُونَ نَبِيلَ الْخَبَرِ ، سَخِيفَ الْمَنْظَرِ ؛ وَهُوَ بِالنِّفَاقِ أَشَدَّ عُجْبًا مِنْهُ بِالْإِخْلَاصِ ، وَكَبَاطِلٍ مُقْبُولٍ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ مَدْفُوعٍ .

(١) بشر بن المعتز ؛ انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد ؛ وتوفي سنة ٢١٠ . ( لسان الميزان ٢ : ٣٣ ) .

(٢) ثمامة بن الأشرس النخعي ؛ مولى بني نمير ؛ كان زعيم القدرية في زمن المأمون والعنصر والواقع ، وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال ؛ توفي سنة ٢١٣ ؛ ( لسان الميزان ٢ : ٨٣ ، والفرق بين الفرق ١٥٧ ) .



ولبشر أشعار كثيرة ، يحتج فيها على أهل المقالات . وذكر الجاحظ أنه لم ير أحداً أقوى<sup>(١)</sup> على الخمس والمزدوج<sup>(٢)</sup> على ما قوى عليه بشر ، وإنه كان أكثر في ذلك وأقدر من أبان اللاحق<sup>(٣)</sup> ، وهو القائل :

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقْوَى      لَوْ مَا تَقُولُ فَأَنْتَ عَالِمٌ  
أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ ذَا وَذَا      لَكَ فَكُنْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لَازِمٌ  
أَهْلُ الرِّيَاسَةِ مَنْ يُدْ      أَرْغَبُهُمْ رِيَاسَتُهُمْ فَظَالِمٌ  
سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْ      تَعْنِ الدَّيْ قَاسُوهُ حَالِمٌ  
لَا تَطْلُبَنَّ رِيَاسَةً      بِالْجَهْلِ أَنْتَ لَهَا مُخَاصِمٌ  
/ لَوْ لَا مَمَامُهُمْ رَأْيَ      تَعْنِ الدَّيْنِ مُضْطَرِبَ الدَّعَائِمِ

[٦١]

\*\*\*

فأما أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام ؛ فإنه كان مقدماً في العلم بالكلام ، حسن الخاطر ، شديد التدقيق والغوص على المعاني ؛ وإنما أدّاه إلى المذاهب الباطلة التي تفرّد بها واستشيعت منه تدقيقه وتغلّله . وقيل : إنه مولى الزيايين من ولد العبيد ، وإن الرّقّ جرى على أحد آبائه .

وقيل للنظام : ما الاختصار ؟ فقال : الذي اختصاره فساد . وقال لرجل : أتعرف فلاناً المجوسى ؟ فقال : نعم ، ذاك الذي حلق وسط رأسه ، كما يفعل اليهودى ، فقال النظام : لا مجوسى عرفت ، ولا يهودى وصفت .

قال الجاحظ وذكر عبد الوهاب الثقفى فقال : هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبر بعد سقم ،

(١) حاشية الأصل : « من نسخة » : « قوى » .

(٢) حاشية الأصل : « الخمس من الشعر : ما كان خمسة مصارع مقفاه ، يخالفها الخامس أو يوافقها ، والمزدوج : هو المتنوى » . (٣) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق ؛ شاعر مكثر ؛ وأكثر شعره مزدوج ومسمط ؛ ( وانظر الفهرست ١٦٣ ) . (٤) هو أبو إسحاق بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ ، وأحد رموس المعتزلة ؛ وإليه تنسب الفرقة النظامية ؛ ( وانظر آراءه في الفرق بين الفرق ١١٣ ) .

وَحِصْبٍ بَعْدَ جَدْبٍ ، وَغْنَى بَعْدَ فَقْرٍ ، وَطَاعَةَ الْمَحْبُوبِ ، وَفِرْجَ الْمَكْرُوبِ ، وَمِنْ الْوَصْلِ <sup>(١)</sup>  
الدَّائِمِ ، مَعَ الشَّبَابِ النَّاعِمِ ؛ وَلِلنِّظَامِ شِعْرٌ كَثِيرٌ صَالِحٌ ، فَمِنْهُ :

يَا تَارِكِي جَسَدًا بِغَيْرِ فُؤَادٍ      أَسْرَفْتَ فِي الْهُجْرَانِ وَالْإِبْعَادِ  
إِنْ كَانَ يَمْتَعُكَ الزِّيَارَةُ أَعْيُنُ      فَادْخُلِي عَلَى بَعْلَتِ الْعَوَادِ  
كَيْمَا أُرَاكَ وَتِلْكَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ      مَلَكَتْ يَدَاكَ بِهَا مَنِيْعَ قِيَادِي  
إِنَّ الْعِيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ إِذَا جَنَّتْ      كَانَتْ بَلِيَّتَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ

وله :

تَوَهَّمَهُ <sup>(٢)</sup> طَرَفِي فَآلَمَ خَدَّهُ      فَكَانَ <sup>(٣)</sup> مَكَانَ الْوَهْمِ مِنْ نَظَرِي أَثَرُ  
وَصَافِحَهُ قَلْبِي فَآلَمَ كَفَّهُ      فَمِنْ صَفْحِ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عَثَرُ  
وَمَرَّ بِقَلْبِي خَاطِرًا فَجَرَحَتْهُ      وَلَمْ أَرَ خَلْقًا <sup>(٤)</sup> قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ  
يَمُرُّ فَمِنْ لَيْنٍ وَحُسْنٍ تَعَطَّفُ      يُقَالُ بِهِ سُكْرٌ وَلَيْسَ بِهِ سُكْرُ

ويقال إن أبا العتاهية ، قال : أنشدت النظام شعراً :

إِذَا هَمَّ النَّدِيمُ لَهُ بِالْحِظِّ      تَمَشَّتْ فِي مَحَاسِنِهِ الْكَاوُمُ

فقال : ينبغي أن ينادم هذا أعمى .

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأبيات النظام تتضمن معنى بيت أبي العتاهية ،  
[ ٦١ ] واسنأ ندرى أيهما أخذ من صاحبه ، والنظام يكرر هذا المعنى / كثيراً في شعره ، فمن ذلك  
ط قوله :

رَقَّ فُلُوْهُ بُرَّتْ سَرَائِلُهُ      عَلَقَهُ الْجَوْوُ مِنَ اللَّطْفِ <sup>(٥)</sup>  
يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرُّرِهِ      وَيَشْتَكِي الْإِيْمَاءُ بِالطَّرْفِ

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « الوصال » . (٢) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت

« تأمله » . (٣) من نسخة بحاشية ت : « فصار » . (٤) من نسخة بحاشية الأصل

« جسماً » . (٥) حاشية ت : « يعني أن في سراييله نفلا واعتمادا باقيا ، فلو برت لعلقه الجو » ،

وحكى أن أبا النظام<sup>(١)</sup> جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ، ليعلمه ، فقال له الخليل يوماً يمتحنه ، وفي يده قَدَح زجاج : يا بني ، صف لي هذه الزجاج ، فقال : أتمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : نعم ، تريكَ القَدَى ، لا تقبل الأذى ، ولا تستر ماورا ؛ قال : فذمها ، قال : سريع كسرُها ، بطي جبرُها ، قال : فصِف هذه النخلة ، وأومأ إلى نخلة في داره ، فقال : أتمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : هي حُلُو مجتناها ، باسق منتهأها ، ناضر أعلاها ؛ قال : فذمها قال : هي صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، محفوفة بالأذى ؛ فقال الخليل : يا بني ، نحن إلى التعلم منك أحوج .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وهذه بلاغة من النظام حسنة ، لأن البلاغة هي وصف الشيء ذمًا أو مدحًا بأقصى ما يقال فيه .

\*\*\*

وشبه بهذا المعنى خبر لبيد<sup>(٣)</sup> المشهور في هجائه<sup>(٤)</sup> البقلة ، التي امتحن بهجائها ، ١٠ واختبر بدمها ، فقال فيها أبلغ ما يقال في مثلها ، وذلك أن عماراً وأنساً وقيساً والربيع بن زياد العبسين وفدوا على النعمان بن المنذر ، ووفد عليه العامريون بنو أم البنين<sup>(٥)</sup> ، وعليهم أبو البراء عامر بن مالك جعفر بن كلاب ، وهو ملاعبُ الأُسنة ، وكان العامريون ثلاثين رجلاً ،

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان النظام شاعراً فصاحراً متكاملاً ، وبالعكس منه أبو نواس » .

(٢) من نسخة بحاشية ت : « بعيد » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان لبيد صحابياً مخضرمًا ، ووقع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله زماناً ، وكان مستبصراً حسن الطريقة ، وكان لا يقول الشعر بعد إسلامه ويقول : عوضني الله البقرة وآل عمران والمخضرم : الذي أدرك الجاهلية والإسلام » .

وانظر الخبر ضمن ترجمة لبيد وكرنسيه وأخباره في ( الأغاني ١٤-٩٠-٩٨ ، والخزانة ٤ : ١١٧ ، ومجالس ثعلب ٤٤٩-٤٥٠ ، وشعراء النصرانية ٧٩٠ ، والعمدة ١ : ٢٧ ، والحيوان ٥ : ١٧٣ ) .

(٤) من نسخة بحاشية ت : « وهجائه » . (٥) هي فاطمة بنت الخرشب الأثمارية ؛ إحدى المنجيات من العرب ؛ وكان يقال إنها الكاملة ؛ روى أن عبد الله بن جلدان لقيها وهي تطوف بالكعبة ؛ فقال لها : نشدتك الله برب هذه البنية ! أي بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ؛ لابل عمار ؛ لابل أنس ؛ فمكلمهم إن كنت أدرى أيهم أفضل » ، ( وانظر الأغاني ١٦ : ١٩ ) .

وفيهمْ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غَلَامٌ لَهُ ذُوَابَةٌ ، وَكَانَ الرَّبِيعُ ابْنُ زِيَادٍ الْعَبْسِيُّ يَنَادِمُ النِّعْمَانَ ، وَيَكْثُرُ عِنْدَهُ ، وَيَتَتَمُّدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ، وَكَانَ يُدْعَى السَّكَّامِلَ ، لَشَطَاطِهِ <sup>(١)</sup> وَبَيَاضِهِ وَكَمَالِهِ .

فَضْرَبَ النِّعْمَانُ قُبَّةً عَلَى أَبِي بَرَاءٍ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ الثَّرْلُ ، فَكَانُوا يَحْضُرُونَ النِّعْمَانَ لِحَاجَتِهِمْ ، فَافْتَخَرُوا يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ ، فَكَادَ الْعَبْسِيُّونَ يَغْلِبُونَ الْعَامِرِيِّينَ ، وَكَانَ الرَّبِيعُ إِذَا خَلَا بِالنِّعْمَانِ طَمَعَنَ فِيهِمْ ، وَذَكَرَ مَعَايِبَهُمْ ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا لِمَدَاوَتِهِ لِبْنِي جَعْفَرٍ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْرَوْهُ ، فَصَدَّ النِّعْمَانُ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَعَ الْقُبَّةَ عَنْ أَبِي بَرَاءٍ ، [ ٦٢ ] وَقَطَعَ / الثَّرْلَ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا فَأَرَاوْا مِنْهُ جَفَاءً ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَكْرَهُهُمْ ، وَيَقْدَمُ مَجَاسِمَهُمْ ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ غَضَابًا ، وَهَمُّوا بِالْإِنْصِرَافِ ، وَلَبِيدٌ فِي رِحَالِهِمْ يَحْفَظُ أُمْتَعَتَهُمْ ، وَيَعْدُو بِإِبْلِهِمْ فِيرْعَاهَا ، فَإِذَا أَمْسَى أَنْصَرَفَ بِهَا .

فَأَنَاهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَمْرَ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ <sup>(٢)</sup> تَتَنَاجَوْنَ ؟ فَكْتُمُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِلَيْكَ عِنَّا ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي ، فَلَعَلَّ لَكُمْ عِنْدِي فَرَجًا ، فَزَجَرُوهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُحْفَظُ لَكُمْ مَتَاعًا ، وَلَا أُسْرَحُ لَكُمْ بَعِيرًا <sup>(٣)</sup> أَوْ تُخْبِرُونِي ؟ وَكَانَتْ أُمُّ لَبِيدٍ عَبْسِيَّةً فِي حِجْرِ الرَّبِيعِ ، فَقَالُوا لَهُ : خَالُكَ قَدْ غَابَنَا عَلَى الْمَلِكِ ، وَصَدَّ <sup>(٤)</sup> عِنَّا وَجْهَهُ ، فَقَالَ : هَلْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَدًا حِينَ يَقْعُدُ الْمَلِكُ فَأَرْجِزَ بِهِ رَجْزًا مُمِضًا مُؤَلَّمًا ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ بَعْدَهُ أَبَدًا ؟ قَالُوا لَهُ : وَهَلْ عِنْدَكَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : فَإِنَّا نَبْلُوكَ بِشْتَمٍ <sup>(٥)</sup> هَذِهِ الْبَقْلَةُ — وَقَدَامَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قَلِيلَةُ الْوَرَقِ ، لَاصِقَةٌ فُرُوعُهَا بِالْأَرْضِ ، تَدْعَى التَّرْبَةَ — فَاقْتَلَعُوهَا مِنَ الْأَرْضِ وَأَخْذَهَا بِيَدِهِ ، وَقَالَ : « هَذِهِ الْبَقْلَةُ التَّرْبَةُ التَّفِيلَةُ الرِّذْلَةُ ، الَّتِي لَا تَذُكِّي نَارًا ، وَلَا تُؤْهِلُ دَارًا ، وَلَا تَسْتَرُ جَارًا ، عَوْدُهَا ضَعِيفٌ ، وَفَرْعُهَا ذَلِيلٌ ، وَخَيْرُهَا قَلِيلٌ ، بَلَدُهَا شَاسِعٌ وَنَبْتُهَا خَاشِعٌ ، وَآكَلُهَا

(١) حاشية الأصل : « الشطاط هو استواء القامة وحسنها ، والشطط : الخلاف والجدل » .

(٢) حاشية الأصل : « مالكم » . (٣) من نسخة بمحاشيتي ت : « إبل » .

(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « وأصدعنا » . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « فاشتم » .

جائع ، والمقيم عليها قانع ؛ أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعى وأشدّها قلعاً ، فحزباً<sup>(١)</sup> لجارها وجدعا ! القوابي<sup>(٢)</sup> أخا بني عبس ، أرجعه عنكم بتعس ونكس ، وأتركه من أمره في لبس . فقالوا له : نصبح ونرى فيك رأينا .

فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإن رأيتموه نأثما فليس أمره بشيء ، إنما تكلم بما جرى على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم ، فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رحلاً يكدم واسطته ؛ حتى أصبح فلما أصبحوا ، قالوا : أنت والله صاحبه ، فخلعوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حلة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغذى ومعه الربيع ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة ، بالوفد فلما فرغ من الغداء أذن للجمع فريين فدخلوا عليه ، والربيع إلى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام ليبد : وقد دهن أحد شقي رأسه ، وأرخى إزاره ، وانتعل نعلًا واحدة . وكذلك [ ٦٢ ]  
كانت الشعراء تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء . فمثل بين يديه ، ثم قال :

يَارُبَّ هَيْجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ<sup>(٣)</sup>      إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مُقَرَّعَةً  
نَحْنُ بَنَى أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةَ      وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةٍ  
الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ<sup>(٤)</sup>      وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « خربا » [ بفتح الراء ] ، وفي حاشية ت ( من نسخة ) : « غزريا » .  
(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « فألقوا » . (٣) الأرجوزة في ديوانه ١ : ٧-٨ ، وقبل هذا البيت في رواية ثعلبي :

\* لَا تَزَجِرِ الْفَتَيَانَ عَنْ سُوءِ الرَّعَةِ \*

والرعة : حالة الأحق التي رضى بها . (٤) كذا في ت ، وفي الأصل ، دف : « المددعة »  
بالدال المعجمة . وفي حاشية الأصل : « حقه » المددعة » بالدال غير المعجمة ؛ وهي المملوءة ، والددعة تحريك المكيا ، ونحوه ليسم الشيء ، ودعدعت الشيء ملأته ، وجفنة مددعة أي مملوءة ، قال ليبد أيضا يصف ماء بين القيا من السيل :

فَدَعَدَا سُرَّةَ الرِّكَاءِ كَمَا      دَعَدَعَ سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَا

- والركاء : واد معروف ، أما الددعة ؛ فهو التفریق ؛ ولم يسم في معنى اللد بالذال ، والله أعلم .

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنَّ اسْتَهْ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّمَةٍ  
وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُؤَارِيَ أَشْجَمَهُ  
كَأَنَّهُ يُطَلِّبُ شَيْئًا ضَيَّعَهُ

فَلَمَّا فَرَّغَ لِبَيْدِ التَّفْتِ النِّعْمَانُ إِلَى الرَّبِيعِ يَرْمُقُهُ شَرَرًا ، وَقَالَ : كَذَلِكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : كَذِبٌ  
٥ وَاللَّهِ ابْنَ الْحَقِّ اللَّيِّيمُ ! فَقَالَ النِّعْمَانُ : أَفَ لِهَذَا الطَّعَامُ ، لَقَدْ خَبَثَ عَلَيَّ طَعَامِي ! فَقَالَ  
الرَّبِيعُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! أَمَا إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ بِأُمِّهِ لَا يَكْنَى ، وَكَانَتْ فِي حِجْرِهِ - فَقَالَ لِبَيْدِ : أَنْتَ  
لِهَذَا السَّكَّامُ أَهْلٌ ، أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ غَيْرِ فُفْعِلَ ، وَأَنْتَ الْمَرْءُ قَالَ هَذَا فِي يَتِيمَتِهِ (١) .

قَالَ سَيِّدُنَا أَدَامُ اللَّهُ عَلَوَّهُ : وَجَدْتُ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ فُفْعِلَ ، وَإِنَّمَا قَالَ  
ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ الرَّبِيعِ ، فَنَسَبَهَا إِلَى الْقَبِيلِ ، وَصَدَّقَهُ عَلَيْهِ تَهْجِينًا لَهُ وَلِقَوْمِهِ .

١٠ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِهِمْ جَمِيعًا فَأَخْرَجُوا ، وَأَعَادَ عَلَى أَبِي بَرَاءِ الْقُبَّةَ ، وَانْصَرَفَ الرَّبِيعُ إِلَى مَنْزِلِهِ ،  
فَبَعَثَ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ بَضْعٍ مَا كَانَ يُحِبُّهُ بِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْانْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي  
قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَ لِبَيْدِ ، وَلَسْتُ بِرَأْسٍ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ  
يَجْرِدُنِي ، لِيَعْلَمَ مَنْ حَضَرَكَ مِنَ النَّاسِ إِنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ لَسْتَ صَانِعًا  
بِاتِّفَاقِكَ مِمَّا قَالَ لِبَيْدِ شَيْئًا ، وَلَا قَادِرًا عَلَى رَدِّ مَا زَلَّتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، فَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ

١٥ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ فِي جُمْلَةِ أُبَيَّاتٍ جَوَابًا عَنْ أُبَيَّاتٍ (٢) كَتَبَهَا إِلَيْهِ الرَّبِيعُ مَشْهُورَةً :

(١) مِنْ نَسْخَةِ بَحَاشِي الْأَصْلِ ، ت : « رَبِيبَتِهِ » .

(٢) الْأُبَيَّاتُ بِرِوَايَةِ صَاحِبِ الْأَغَانِي :

|   |  |
|---|--|
| لَمَّا رَحَلْتُ جِمَالِي إِنَّ لِي سَعَةً     | مَامَثَلُهَا سَعَةً عَرَضًا وَلَا طُولًا         |
| بِحَيْثُ لَوْ وَزَنْتُ لَحْمًا بِأَجْمَعِهَا  | لَمْ يَعْدِلُوا رِيْشَةً مِنْ رِيْشِ سَمُوِيَلَا |
| تَرَعَى الرِّوَاءُ أَحْرَارَ الْبَقُولِ بِهَا | لَا مِثْلَ رَعِيْكُمْ مِلْحًا وَغَسُوِيَلَا      |
| فَأَبْرِقْ بِأَرْضِكَ يَا نِعْمَانُ مُتَكِنًا | مَعَ النَّظَامِيِّ يَوْمًا وَابْنَ تَوْفِيَلَا   |

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقَّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَذَرُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَ! (١)

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا / [ ٦٣ ]  
أبو حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرنا به أيضا المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال :  
حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال : أخبرنا محمد بن زياد بن زبَّان عن الكلبي عن  
عبد الله بن مسلم البكاوي (٢) — وكان قد أدرك الجاهلية — وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ،  
ولم نأت بجميع الخبر على وجهه ، بل أسقطنا منه ما لم نحتاج إليه ، وأوردنا ما أوردنا منه  
بألفاظه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ » فإنه نصبٌ  
على المدح ، والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً . وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة  
ابن صَعَصَعَة ، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ، فولدت له منه عامر بن مالك مُلَاعِب ١٠  
الأسنَّة ، وطُفَيْل بن مالك فارس قُرْزُل ، وهو أبو عامر بن الطُفَيْل ، وقرزلُ فارس كانت له ،  
وربيعة بن مالك أبا لبید ، وهو ربيع المقتريين ، ومعاوية بن مالك معوّد الحُكَّام ، وإنما سمي  
معوّد الحُكَّام بقوله :

أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحُكَّامَ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاءِ نَابَا

(١) البيت من مقطوعة ذكرها صاحب الأغاني ؛ وهي :

|  |   |
|--|---|
| شَرُّدَ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا    | تُكْثِرُ عَلَيَّ وَدَعَّ عَنْكَ الْأَبَاطِيلَا        |
| فَقَدْ ذُكِرْتَ بِشَيْءٍ لَسْتُ نَاسِيَهُ        | مَاجَاوَرَتْ مَعْرَ أَهْلَ الشَّامِ وَالنَّيْلَا      |
| فَمَا اتَّقَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا جَرَعْتُ     | هُوجُ الْمَطِيِّ بِهِ نَحْوُ ابْنِ سَمُوَيْلَا        |
| قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقَّا وَإِنْ كَذِبًا     | فَمَا اعْتَذَرُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا!           |
| فَالْحَقُّ بِحَيْثُ رَأَيْتِ الْأَرْضَ وَاسِعَةً | وَانْشَرِبَهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرْضَاوْا إِنْ طَوَلَا |

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « البكاوي »

وولدتْ عُبَيْدَةَ الوَضَّاحَ ؛ فهؤلاء خمسة ، وقال لبيد : « أربعة » ، لأن الشعر لم يمكنه من ذلك <sup>(١)</sup> .

وأما الجفنة المدَّعْدَعَة <sup>(٢)</sup> فهي المملوءة . وأما الخَيْضَمَة ، فإن الأصمعيّ يذكر أن لبيداً قال : « تحت الخَضَمَة » ؛ يعنى الجلبة ، فسوّته الرواة . وقيل : إن الخَيْضَمَة أصوات وقع السيوف ، والخَيْضَمَة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس ، والخَيْضَمَة الغبار ، والقول يحتمل كل ذلك .  
وأما : « أبيت اللعن » ، فإن أبا حاتم قال : سألتُ الأصمعيّ عنه فقال : معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تُلعن عليه .

وأما : « الأشاجع » ؛ فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكف .  
وقد روى : \* أكل يوم هامتي مُقَرَّعة \*

والقَزَع : تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه ، يقال : كبش أقزع ونعجة قزعاء .

\*\*\*

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، مولى لأبي التماس عمرو بن قلع الكِنَانِيّ ثم الفُقَيْمِيّ . وذكر المبرّد أنه ما رأى أحراًص على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي ؛ فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره ، أيّ كتاب كان . وأما الفتح / بن خاقان <sup>(٣)</sup> فإنه كان يحمل الكتاب في خُفّه ، فإذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يعيش حتى يباغ الموضع الذي يريده ، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ

(١) قال صاحب الخزنة ( ٤ : ١٧٤ ) : قول السيد المرتضى : إن لبيدا إنما قال أربعة وهم خمسة ضرورة الشعر ؛ هذا قول الفقهاء ؛ وهو قول فارغ ؛ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر : لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط ؛ وإنما قال ذلك لأن أباه كان قد مات وبقى أعمامه وهم أربعة .

(٢) في الأصل : « المدعذعة » ، وصوابه من ت ؛ وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩١ ، من هذا الجزء .

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ؛ قتل معه سنة ٢٧٤ ؛ ( النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٥ ) ؛



مجلسه . وأما إسماعيل بن (١) إسحاق فأبى ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه ، أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه .

قال البخاري : تفرد الجاحظ بالقول بأن المعرفة طباع ، وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة ، وكان يقول في سائر الأفعال إنها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً ، وأنها وجبت بإرادتهم ، وليس بجاز أن يبلغ أحدٌ فلا يعرف الله تعالى ؛ والكفار عنده بين معانٍ ، وبين عارفٍ قد استغرقه حبه لمذهبه وشفقه به وإفقه وعصبيته ؛ فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه .

وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات (٢) ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، للعداوة التي كانت بين أحمد ومحمد ، فلما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور ! يريد : ما صنع ١٠ بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير ، كان هو صنعه ليعذب الناس فيه ، فعذب به حتى مات .

وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة ، وهو مقيد في قيص صم ، فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قال : والله ما علمتُك إلاً متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنعة ، معدناً للمساوىء ، وما فتئتني باستصلاحك (٣) لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ١٥ لفساد طويتك ، ورداءة دخيلتك (٤) ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك ؛ فقال الجاحظ : خففْ عليك أيديك الله ! فوالله لأن يكون لك الأمر على خيرٍ من أن يكون لي عليك ، ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحداث عنك من أن أحسن قنسي ، ولأن تعفو عني في حال قد رتك

(١) هو إسماعيل بن إسحاق القاضي البصري الفقيه المالكي ؛ صنف في الفراءات والفقه ؛ وكان إماماً في العربية ؛ قال المبرد : هو أعلم بالتصريف مني ؛ وتوفي سنة ٢٨٢ ؛ ( شذرات الذهب ٢ : ١٧٨ ) .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ؛ كان وزير المعتصم ، وله شعر سائر جيد ، وديوان رسائل ، وتوفي سنة ٢٣٣ ؛ ( ابن خلكان ٢ : ٥٤ ) . (٣) حاشية الأصل : « أي ما فوتني استصلاحك ، والباء للتعدي » .

(٤) ت : « داخلتك » .

أَجَلُ بكَ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ : قَبِّحَكَ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كَثِيرَ تَرْوِيقِ اللِّسَانِ ، وَقَدْ جَعَلْتَ بَيَانَكَ أَمَامَ قَلْبِكَ ، ثُمَّ اضْطَغْنْتَ فِيهِ النِّفَاقَ وَالْكَفَرَ ؛ يَا غِلَامَ صِرْ بِهِ إِلَى الْحِمَامِ ، وَأَمِطْ عَنْهُ الْأَذَى . فَأَخَذَتْ عِنْدَ السَّلْسَلَةِ / وَالْقَيْدِ ، وَأَدْخَلَ الْحِمَامَ ، وَأَمِطَ عَنْهُ الْأَذَى ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ تَحْتَ مِنْ ثِيَابٍ وَطَوِيلَةٍ وَخَفٍّ ، فَلَبِسَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ فَصَدَّرَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هَاتِ الْآنَ حَدِيثَكَ يَا أَبَا عَثْمَانَ !

وَقَالَ الْمُبَرَّدُ : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ : احْذَرِ مَنْ تَأْمَنُ ؛ فَإِنَّكَ عَلَى حَذَرٍ مِنْ تَخَافِ .  
وَقَالَ الْجَاهِظُ : قُلْتُ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخُرَيْمِيِّ الشَّاعِرِ : مَنْ خَلَقَ الْمَعَاصِيَ ؟ قَالَ : اللَّهُ ، قُلْتُ : مَنْ عَذَّبَ عَلَيْهَا ؟ قَالَ : اللَّهُ ، قُلْتُ : فَلَمْ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي وَاللَّهِ !  
وَكَانَ الْجَاهِظُ يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَكُونَ رَقِيقَ حَوَاشِي السِّكَاكِمِ ، عَذَبَ يَنْبِيعِهِ ، إِذَا حَاورَ سَدَّدَ سَهْمَ الصَّوَابِ إِلَى غَرَضِ الْمَعْنَى .

وَقَالَ : لَا تَكَلِّمِ الْعَامَّةَ بِكَلَامِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا الْخَاصَّةَ بِكَلَامِ الْعَامَّةِ .  
وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ أَبِي سُرَاعَةَ : كُنْتُ عِنْدَ الْجَاهِظِ ، فَرَأَى أَنْ كَتَبَ خَطًّا رَدِيئًا فِي وَرْقٍ رَدَى ، مُتَقَارِبِ السُّطُورِ ، فَقَالَ لِي : مَا أَحْسَبُكَ تَحِبُّ وَرِثَتَكَ ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرَاكَ تُسَيِّءُ بِهِمْ فِيمَا تَخْلُقُهُ !

وَذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ قَالَ : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ لِرَجُلٍ آذَاهُ : أَنْتَ وَاللَّهُ أَحْوَجُ إِلَى هَوَانٍ مِنْ كَرِيمٍ إِلَى إِكْرَامٍ ، وَمِنْ عِلْمٍ إِلَى عَمَلٍ ، وَمِنْ قُدْرَةٍ إِلَى عَفْوٍ ، وَمِنْ نِعْمَةٍ إِلَى شُكْرٍ .

وَقَالَ الْمُبَرَّدُ قَالَ لِي الْجَاهِظُ يَوْمًا : أَتَعْرِفُ مِثْلَ قَوْلِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ .  
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُؤْطِنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ  
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قَوْلُ كَثِيرٍ ، وَمِنْهُ أَخَذَ :  
فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وروى يموتُ بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجَمَّاز<sup>(١)</sup> يهجوهُ :

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُورٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ  
تَنْتَهَى الْأَحْسَابُ بِالنَّاسِ وَلَا تَمْدُو قَفَاهُ  
يَتَحَاجِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ فِيهِ كَاتِبَاهُ  
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ إِلَّا مَنْ يَرَادُ

٥

/ أخبرنا المرباني قال: أخبرنا علي بن هرون قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء [ ٦٤ ]

قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخطاب :

زُرْتُ فَتَاةً مِنْ بَنِي هِلَالٍ فَاسْتَعَجَلَتْ إِلَيَّ بِالسُّؤَالِ  
مَالِي أَرَاكَ قَانِي السَّبَالِ كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جِرْيَالِ<sup>(٢)</sup>  
مَا يَبْتَغِي مِثْلَكَ مِنْ أَمْثَالِي تَنَحَّ قُدَّامِي وَمِنْ حِيَالِي

١٠

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه: قوله : « كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جِرْيَالِ » مليح

قوى، ولا يشبه شعر الجاحظ لئنه وضعف كلامه .

وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أنشدني الجاحظ يمدحني :

بَدَا حِينَ أَثَرِي بِإِخْوَانِهِ فَقَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَابَةَ الْعَدَمِ  
وَذَكَرَهُ الْحَزْمُ رَبِّبَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ

١٥

قال إبراهيم : فذا كرتُ بهما أحمد بن أبي دؤاد فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، ثم

لقيت محمد بن الجهم فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، وقال يموت بن المزرع : سمعت خالي

الجاحظ يقول : لا أعرف شعراً يفضلُ قول أبي نواس :

(١) الجَمَّاز ؛ لقب له ؛ ومعناه الوئاب ؛ واسمه محمد بن عمرو بن عطاء ؛ شاعر أديب  
بصري ؛ وكان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة ؛ وكان أكبر سن من أبي نواس ؛ دخل بغداد في أيام المتوكل ؛  
وقد أعجب به المتوكل يوماً فأمر له بمشرة آلاف درهم ؛ فأخذها وانحدر ، فأت فرحاً بها ؛ ( تاريخ بغداد  
٣ : ١٢٥ - ١٢٦ ) . (٢) السكرع : أن يشرب الرجل بفيه من النهر ، والجريال : صفوة الخمر .

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلَوْهَا وَأَذَلَّجُوا      بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ<sup>(١)</sup>  
 مَسَاحِيبُ مِنْ جَرِّ الزُّقَاقِ عَلَى الثَّرَى      وَأَضْعَاثُ رِيحَانٍ : جَنَى وَبَابِسُ  
 حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فُجِدَّتْ عَهْدَهُمْ      وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسُ  
 وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ      بَشَرِقِي سَابَاطَ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ<sup>(٢)</sup>  
 أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا      وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ  
 تَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسَجِدِيَّةٍ      حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ  
 قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا      مَهًا تَدَّرِيهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ<sup>(٣)</sup>  
 / فَلِلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا      وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ  
 [ ٦٥ ]  
 قال الجاحظ : فأنشدتها أباشعيب القلال<sup>(٤)</sup> فقال : يا أبا عثمان ، لو نُقِرَ هذا الشعر لطن !

١٠ قلت : ويلك ! ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت ! .

قال سيدنا أبيه الله : أخذ أبو نواس قوله :

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ      بَشَرِقِي سَابَاطَ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ  
 من قول أبي خراش الهذلي :

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ      سِوَى<sup>(٥)</sup> أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جَدِّ مَحْضُ  
 ١٥ ويقال إن أباخراش أول من مدح من لا يعرفه ، وذلك أن خراش بن أبي خراش أسر  
 هو وعروة بن مرة ، فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة  
 ونجّاه . فلما تفرغوا له قال : أفلت مني ، ويقال : بل رآه في الأسر رجل من بني عمه ،  
 فألقى عليه رداءه ليُجِيرَه به ، وقال له : النجاء ويلك ! فقال أبو خراش في ذلك :  
 حَمِدْتُ الْإِلَهَ<sup>(٦)</sup> بَعْدَ عُرْوَةِ إِذْ نَجَا      خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(١) ديوانه : ٢٩٥ ، والكامل - بشرح المرصني ٢ : ٥٤ . (٢) البسابس : الخوالب ، وساباط : موضع

ببلاد فارس . (٣) تدرجها : تختلها . (٤) حاشية ت : « أبو شعيب هذا صقر بن عبد الرحمن القلال » .

(٥) ت : « ولكنه » . (٦) الأبيات من قصيدة في ( ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧ - ١٥٨ )

وأمالى الغالى ١ : ٢٧١ ، ديوان الحماسة ٢ : ٢٨٠ - ٢٨٤ ، والشعر والشعراء ٦٤٧ - ٦٤٨ ) .

(٧) من نسخة بحاشية ت : « إلهي » .

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى قَتِيلًا رُزِئَتْهُ بِجَانِبِ قَوْسَى <sup>(١)</sup> مَامَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ  
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا نُؤْكَلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي  
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جَدَّ مَحْضٍ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المَرْزَبَانِيّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شَهَابٍ قَالَ  
حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْبَرْذَعِيِّ الْمَتَكَلِمُ قَالَ : صِرْتُ إِلَى مَنْزِلِ الْجَاهِظِ فِي أَوَّلِ ٥  
مَاقِدِمَتُ مِنْ بَلَدِي ، وَقَدْ اعْتَلَّ عِلَّتَهُ الَّتِي فُلِجَ فِيهَا ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ مِنْ  
مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ لِي : يَقُولُ لَكَ : وَمَا تَصْنَعُ بِشِقِّ مَائِلٍ ، وَلُعَابِ سَائِلٍ ! فَانصرفت عنه .

وَذَكَرَ يَمُوتُ بْنُ الْمَرْزَعِ قَالَ : وَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا أَنْ يُجْمَلَ إِلَيْهِ الْجَاهِظُ  
مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَسَأَلَهُ الْفَتْحُ ذَلِكَ ، فَوَجَدَهُ لَا فَضْلَ فِيهِ <sup>(٢)</sup> ، فَقَالَ لِمَنْ أَرَادَ حَمْلَهُ : وَمَا تَصْنَعُ بِأَمْرِي  
أَيْسَ بَطَائِلٍ ، ذِي شِقِّ / مَائِلٍ ، وَلُعَابِ سَائِلٍ ، وَفَرَجِ بَائِلٍ ، وَعَقْلِ زَائِلٍ ، وَلَوْنِ حَائِلٍ ! . [ ٦٥ ]  
ظ

وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ : أَنَا مِنْ جَانِبِ الْأَيْسَرِ مَفْلُوجٌ ، فَلَوْ قَرِضَ  
بِالْقَارِيضِ مَا عَمِلْتُ ، وَمِنْ جَانِبِ الْأَيْمَنِ مُنْقَرَسٌ ، فَلَوْ مَرَّ بِهِ الذَّبَابُ لَأَلَمْتُ ، وَبِىْ حِصَاةٌ  
لَا يَنْسَرِحُ لِي الْبُولُ مَعَهَا ، وَأَشَدُّ مَا عَلَيَّ سِتٌّ وَتَسْعَمُونَ !

وَقَالَ يَوْمًا لِمَتَطَبِّبٍ يَشْكُو إِلَيْهِ عَاتِيَهُ : قَدْ اصْطَلَحْتَ الْإِضْدَادَ إِلَى جَسَدِي ، إِنْ أَكَلْتُ  
بَارِدًا أَخَذَ بَرَجْلِي ، وَإِنْ أَكَلْتُ حَارًّا أَخَذَ بِرَأْسِي . وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ . ١٥

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي ت ؛ بَظَمَ الْقَافَ وَفَتَحَ السِّينَ ؛ وَضَبَطَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ  
الْوَاوِ ؛ وَزَانَ « سَكْرِي » ، وَهِيَ بَلَدٌ بِالسَّرَافَةِ .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « مِنْ نَسْخَةٍ » : « لَا فَضْلَ عِنْدَهُ » .

## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

٥ إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝﴾ [البقرة : ١٧٧].

١٠ فقال : كيف ينبغي كَوْنُ تَوَايَةِ الوجوه إلى الجهات من البرِّ ، وإنما يفعل ذلك في الصلاة، وهي برٌّ لا محالة ؟ وكيف خَبَرَ عن البرِّ «بِمَنْ» والبرُّ كالصدر ، و«مَنْ» اسم مَحْضٌ ؟ وعن أىِّ شَيْءٍ كُنِيَ بالهاء في قوله تعالى : ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ۝﴾؟ وما لخصوصُ بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة ؟ وعلى أىِّ شَيْءٍ ارتفع ﴿الْمُوفُونَ ۝﴾؟ وكيف نَصَبَ ﴿الصَّابِرِينَ ۝﴾ ، وهم معطوفون على الوافين ؟ وكيف وَحَدَ الكناية في مواضع وَجَمَعَهَا في آخر ؟ فقال : ﴿مَنْ آمَنَ ۝﴾ و﴿وَآتَى الْمَالَ ۝﴾ و﴿أَقَامَ الصَّلَاةَ ۝﴾، ثم قال : ﴿وَالْمُوفُونَ ۝﴾، و﴿الصَّابِرِينَ ۝﴾؟.

يقال له : فيما ذكرته أولاً جوابان :

١٥ أحدهما أَنَّهُ أراد تعالى : ليس الصَّلَاةُ هي البرُّ كُلُّهُ ؛ لكنه ما عُدِّدَ في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات ، فلا تظنوا أنكم إذا توجهتم إلى الجهات بصلاتكم ، فقد أحرزتم البرَّ بأسره ، وحزتموه بكماله ، بل يبق عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره .

والجواب الثاني أَن النصارى لما توجَّهوا إلى المشرق ، واليهود إلى بيت المقدس، واتخذوا

هاتين الجبهتين قبايتين ، واعتقدوا في الصلاة إليهما أنهما / برّ وطاعة خلافاً على الرسول صلى [ ٦٦ ]  
الله عليه وآله أكذبهم الله تعالى في ذلك ، وبَيَّن أن ذلك ليس من البر ، إذ كان منسوخاً<sup>١</sup>  
بشريعة النبي صلى الله عليه وآله؛ التي تلزم الأسود والأبيض ، والعربي والعجمي ، وأن البرّ  
هو ما تضمنته الآية .

٥ فأمّا إخباره « بمن » ففيه وجوه ثلاثة :

أولها أن يكون معنى « البرّ » ههنا البارّ وذا البرّ ، وجعل أحدهما في مكان الآخر ؛ والتقدير :  
ولكن البارّ من آمن بالله ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ  
غُورًا ﴾ [ الملك : ٣٠ ] ، يريد غائراً ، ومثل قول الشاعر :

تَرَ تَعُمَارَ تَعَتْ حَتَّى إِذَا دَا دَ كَرَّتْ      فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ<sup>(١)</sup>

١٠ أراد أنها مقبلة مدبرة ، ومثله :

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ      مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا<sup>(٢)</sup>

أراد نائحة عليهم ، ومثله قول الشاعر :

هَرَبِيحِي مِنْ دُمُوعِهِمَا سِجَامًا      ضُبَاعَ<sup>(٣)</sup> وَجَاوِي نَوْحًا قِيَامًا

والوجه الثاني أن العرب قد تُخبر عن الاسم بالمصدر والفعل ، وعن المصدر بالاسم ،

فأمّا إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، وقول ١٥  
العرب : إنما البرّ الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا ، وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر  
والفعل فمثل قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبَتَ اللَّحَى      وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فَتَى نَدٍ<sup>(٤)</sup>

(١) البيت للخنساء ؛ ديوانها : ٧٨ ، والكامل - بشرح الرصافي ٨ : ١٧٦ ، واللسان ١٩ :

١٣٥ ، وتاج العروس ٨ : ٧٣ ، وخزانة الأدب ١ : ١٣٨ ، وهو في وصف بقرة وحشية ، وقبله :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تَطْيِيفٍ بِهِ      لَهَا حَنِينَانِ إِصْغَارٌ وَإِكْبَارٌ

(٢) البيت لعمر بن كلثوم ؛ من المنقة - بشرح التبريزي : ٢١٧ ؛ وانظر ص ١٠٥ من هذا الجزء .

(٣) ضباع : اسم امرأة ؛ وأصله : « ضباعة » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « مقرر »

فجعل « أن تنبت » وهو مصدر خبراً عن الفتیان .

والوجه الثالث أن يكون المعنى : ولكن البرُّ برٌّ مَنْ آمَنَ ؛ فحذف البرَّ الثاني ، وأقام « مَنْ » مقامه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ ؛ [البقرة : ٩٣] ، أراد : حبَّ العجل ، قال الشاعر :

وكيفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خُلَا لَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ <sup>(١)</sup>

أراد : كخلالة أبي مرَّحَبٍ ؛ وقال النابغة :

[ ٦٦ ] / وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعِلِّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ <sup>(٢)</sup>

أراد على مخافة وَعِلٍ . وتقول العرب : بنو فلان يطوُّهم الطريق ، أى أهل الطريق .  
وَحِكِي عَنْ بَعْضِهِمْ : أَطِيبُ النَّاسِ الزُّبْدُ ، أى أطيبُ ما يأكلُ <sup>(٣)</sup> الناس الزُّبْدُ ، وكذلك قولهم : حَسِبْتُ صَبَاحِي زَيْدًا ، أى صَبَاحَ زَيْدٍ ، وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ ؛ [النور : ٦١] ، أى ليس على مَنْ أَكَلَ مع الأعمى حرج ، وفى قوله تعالى : ﴿ رَأَيْبُهُمْ كُلُّهُمْ ﴾ ، [الكهف : ٢٢] ، وذكروا أنه كان راعياً تَبِعَهُمْ .  
فأما مَنْ كُنِيَ عنه بالهاء فى قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِ الْقُرْبَى ﴾ ففيه وجوه أربعة :

== فى الصناعة أن يكون المبتدأ والخبر هو هو ؛ أو ما يقوم مقام ذلك ويمجرى مجراه ؛ وهو احتراز من قولك مثلا : أبو يوسف أبو حنيفة ؛ يعنى يقوم مقامه ؛ فإذا كان كذلك فالواجب أن يكون الجزءان من المبتدأ والخبر جثتين أو حدثين ؛ حتى لا ينخرم هذا الأصل الذى أصلوه ؛ فإذا وجدت شيئا من ذلك قد اختلف فإنما هو على ضرب من الاحتمال والمجاز ؛ كقولك : الهلال الليلة ؛ لأن التقدير حدوث الهلال الليلة ؛ كأن التقدير : حدوث الهلال وقع الليلة ؛ فالواقع هو الحدث ، والحدث هو الواقع . والبيت المستشهد به ، التقدير فيه : لعمرِكَ مافتوة الفتیان ، فحذف المضاف وأقام المضاف مقامه ، والتقدير : مافتوة الفتیان نبتة الاحمى . (١) خللته : مودته ، وأبو مرحب كناية عن الفضل ، والبيت للناطقة الجعدى ، وقبله :

وبعضُ الأَخْلَاءِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالرُّزْءُ أَرْوَعُ مِنْ ثَعْلَبٍ

وانظر اللسان (رحب) . (٢) ديوانه : ٦٤ ، ومعجم البلدان ٨ : ٨٤ . وذو المطارة :

اسم جبل ؛ وعاقِل : متحصن ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن تجعل « ما » فى البيت زيادة ، والتقدير : حتى تزيد : ويمكن أن يكون على القلب ؛ أى ما تزيد مخافة وعِل على مخافتي ؛ وهو كثير ، والوعِل : الضأن الوحشى » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ما أكل الناس » .



أَوْهَآ : أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ رَاجِعَةً عَلَى الْمَالِ الَّذِي تَقْدَمُ ذِكْرُهُ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبٍّ الْمَالَ ، وَأُضِيفَ الْحُبُّ إِلَى الْمَفْعُولِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْفَاعِلُ : كَمَا يَقُولُ لِلْقَائِلِ : اشْتَرَيْتَ طَعَامِي كَاشْتَرَاءَ طَعَامِكَ ، وَالْمَعْنَى كَاشْتَرَاكَ طَعَامَكَ .

وَالْوَجْهَ الثَّانِي أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ رَاجِعَةً إِلَى ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، فَيَكُونُ الْمَصْدَرُ مُضَافًا إِلَى الْفَاعِلِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَفْعُولُ لظُهُورِ الْمَعْنَى وَوُضُوحِهِ .

وَالْوَجْهَ الثَّلَاثُ أَنْ تَرْجِعَ الْهَاءُ إِلَى الْإِيتَاءِ الَّذِي دَلَّ ﴿ آتَى ﴾ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْنَى : وَأَعْطَى الْمَالَ عَلَى حُبٍّ الْإِعْطَاءَ ، وَيَجْرِي ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِ الْقَطَامِيِّ :

هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ <sup>(١)</sup> وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأَوَّلُ <sup>(٢)</sup>

فَكَتَبَى بِالْهَاءِ عَنِ الْمَلِكِ ، لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ : « الْمُلُوكُ » عَلَيْهِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِذَا نُهِى السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافٍ <sup>(٣)</sup>

أَرَادَ : جَرَى إِلَى السَّفِيهِ الَّذِي دَلَّ ذِكْرُ السَّفِيهِ عَلَيْهِ .

وَالْوَجْهَ الرَّابِعَ : أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ تَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَهُ تَعَالَى قَدْ تَقَدَّمَ ، فَيَكُونُ

الْمَعْنَى : وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبٍّ اللَّهُ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى . فَإِنْ قِيلَ : فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ عَلِمْنَا

الْفَائِدَةَ فِي إِيتَاءِ الْمَالِ مَعَ مَحَبَّتِهِ وَالضَّنِّ بِهِ ، وَأَنَّ الْعَطِيَّةَ تَكُونُ أَشْرَفَ وَأَمْدَحَ ، فَمَا الْفَائِدَةُ

فِيمَا ذَكَرْتُمُوهُ ؟ وَمَا مَعْنَى مَحَبَّةِ اللَّهِ ، وَالْمَحَبَّةُ عِنْدَكُمْ هِيَ الْإِرَادَةُ ، وَالْقَدِيمُ تَعَالَى لَا يَصِحُّ أَنْ يَرَادَ ؟ .

قُلْنَا : أَمَّا الْمَحَبَّةُ عِنْدَنَا فَهِيَ الْإِرَادَةُ ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهَا كَثِيرًا مَعَ حَذْفِ مُتَعَلِّقِهَا بِجَزَاءٍ

[ ٦٧ ]

وَتَوْسَمًا ، فَيَقُولُونَ : فَلَانُ يُحِبُّ زَيْدًا ، إِذَا أَرَادَ مَنَافِعَهُ ، وَلَا يَقُولُونَ : زَيْدٌ / يُرِيدُ عَمْرًا ؛ بِمَعْنَى

(١) حَاشِيَةٌ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « هُم » . (٢) جَهْرَةُ الْأَشْعَارِ : ٣١٦ ؛ وَهُوَ آخِرُ قَصِيدَتِهِ

الَّتِي مَطْلَعُهَا :

إِنَّا حَمِيُوكَ فَاسْلَمَ أَشْهَاءُ الطَّلَلِ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطُّوُلُ

(٣) حَاشِيَةٌ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « الْخِلَافُ » . وَحَاشِيَةُ الْأَصْلِ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « اخْتِلَافٌ » .

أنه يريد منافعه ، لأن التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة ، وإن كان المعنى واحداً .

وقد ذكر أن لقولهم: زيد يحب عمراً مزيةً على قولهم: يريد منافعه، لأن اللفظ الأول ينبيء عن أنه لا يريد إلا منافعه ، وأنه لا يريد شيئاً من مضاره ، والثاني لا يدلُّ على ذلك ، فخصت له مزيةٌ ؛ وعلى هذا المعنى نصَّفُ الله تعالى بأنه يحب أوليائه والمؤمنين من عباده ؛ والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير ، من التعظيم والإجلال والنعم ؛ فأما وصف أحدنا بأنه يحب الله تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ، ولا يصحَّ المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضاً ؛ لاستحالة المنافع عليه . ومن جَوَّز عليه تعالى الانتفاع لا يصحُّ أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعنى ، لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفاً به ، فمحبتته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه ؛ كما تقول في أصحاب التشبيه : إنهم إذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى .

فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة ؛ لأن إعطاء المال متى قارنته إرادة وجه الله وعبادته وطاعته استحقَّ به الثواب ، ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحقَّ الفاعل به ثواباً ، وكان ضائعاً . وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حبِّ المال والضمَّن به ؛ لأن الحبَّ للمال / الضنين به متى بذله وأعطاه ، ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحقَّ به شيئاً [ ٦٧ ]<sup>ظ</sup> من الثواب ؛ وإنما يؤثر حُبُّه للمال في زيادة الثواب ؛ متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ، ولو تقرب بالعطية ، وهو غيرُ ضنين بالمال ، ولا محبٍّ له لاستحقَّ الثواب . وهذا الوجه لم يُسبق<sup>(١)</sup> إليه في هذه الآية ، وهو أحسن ما قيل فيها .

وقد ذكر وجه آخر ؛ وهو أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ أيضاً ، وينتصب ذوى القربى بالحبِّ ، ولا يجمل « لآتى » منصوباً لوضوح المعنى ، ويكون تقدير الكلام : وأعطى المال في حال<sup>(٢)</sup> حبه ذوى القربى واليتامى ، على محبَّته أيهم ؛ وهذا الوجه ليس فيه

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « لم يسبق » . (٢) ت « على حبه » ، وفي حاشية ت أيضاً

( من نسخة ) : « على حال حبه » .

مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عنها<sup>(١)</sup> السؤال ، وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوى القربى بالحب ، وذلك غير ما وقع السؤال عنه ؛ والأجوبة الأولى أقوى وأولى .

فأما قوله: ﴿وَالْمُؤْفُونَ﴾ ، ففي رفعه وجهان :

أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح ؛ لأنَّ النعت إذا طال وكثر رُفِعَ بعضُهُ ، ونُصِبَ بعضُهُ على المدح ؛ ويكون المعنى : وهم المؤفون بمهدم ، قال الزجاج : وهذا أجود الوجهين . ٥  
والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على ﴿مَنْ آمَنَ﴾ ، ويكون المعنى : ولكن ذا البرِّ وذوى البرِّ المؤمنون والمؤفون بمهدم .

فأما نصب ﴿الصَّابِرِينَ﴾ ففيه وجهان :

أحدهما المدح ، لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها<sup>(٢)</sup> بالمدح أو الذم ، ليميزوا الممدوح أو المذموم ويفردوه ، فيكون غير متبع لأول الكلام ؛ من ذلك ١٠ قول الخرنق بنت بدر بن هفان :

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْمَدَادِ وَآفَةُ الْجُزْرِ<sup>(٣)</sup>  
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

فنصبت ذلك على المدح ، وربما رفعوها جميعاً ، على أن يتبع آخر الكلام أوله ؛ ومنهم من ينصب « النازلين » ويرفع « الطيبين » ، وآخرون يرفعون « النازلين » وينصبون ١٥ « الطيبين » ؛ والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ، ومن ذلك قول الشاعر ، أنشده الفراء :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرَمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْتَ الْكِتَابَةِ فِي الْمُزْدَحَمِ  
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَغْمُ الْأُمُورُ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّجْمِ

فنصب « ليت الكتابية وذا الرأي » على المدح . وأنشد الفراء أيضاً :

(١) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « عنها » .

(٢) ش ، حاشية ت ( من نسخة ) : « فيها » . (٣) ديوانها : ١٢ ، والآلي : ٨ ، ٥ .

ونوادر أبي زيد ١٠٨ ، والكامل — بشرح المرصفي ٦ : ١٥٨ .

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَتْ      عَلَى كُلِّ غَثٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينٍ  
غُيُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَلَزَبَةٍ      أُسُودُ الشَّرَى يَحْمِينَ كُلَّ عَرَبِينَ<sup>(١)</sup>

ومما نصب على الذم قوله :

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي      عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ<sup>(٢)</sup>

و الوجه الآخر في نصب : ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أن يكون معطوفاً على ذوى القربى ، ويكون  
[ ٦٨ ] المعنى : وآتى المال على / حبه ذوى القربى والصابرين ؛ قال الزجاج : وهذا لا يصلح إلا أن  
يكون ﴿والموفون﴾ رفيع<sup>(٣)</sup> على المدح للمضمرين ، لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف  
على الموصول ، وكان يقوى الوجه الأول .

وأما توحيد الذِّكْر في موضع وجمعه في آخر ؛ فَلِأَنَّ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ لفظه لفظ  
١٠ الوَحْدَةِ ، وإن كان في المعنى للجميع<sup>(٤)</sup> فالذِّكْر الذي أتى بعده موحداً أُجْرِيَ على اللفظ ،  
وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾  
فعلَى المعنى .

وقد اختلفت قراءة القراء<sup>(٥)</sup> السبعة في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى : ﴿لَيْسَ  
الْبِرُّ﴾ ، فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بنصب الراء ، وروى هبيرة عن  
١٥ حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع ، وقرأ الباقر بالرفع ، والوجهان جميعا  
حسنان ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ : اسم ليس وخبرها معرفة ، فإذا اجتمعا في التعريف

(١) اللزبة : الشدة ، والشرى : مأسدة بناحية الفرات . (٢) البيت لعروة بن الورد ،  
ديوانه : ٤٨ ؛ وهو في (الكتاب ١ : ٢٥٢) ؛ من أبيات يصف فيها ما كان من فعل قوم امرأته  
حين احتالوا عليه وسقوه الخمر ؛ حتى أجابهم إلى مفاداتها ؛ وكانت سبية عنده ؛ ( وانظر الخبر والأبيات  
في الأغاني ٣ : ٧٥-٧٧ - طبعة دار الكتب المصرية ) . (٣) ش ، وحاشية ت ( من نسخة )  
« رفعا » . (٤) من نسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « للجمع » .  
(٥) ت : « القراءة » .

تكافأ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً ؛ كما تتكافأ الفكرات <sup>(١)</sup> .

وحجة مَنْ رُفِعَ «البرُّ» أنه : لأنَّ يكونَ «البرُّ» <sup>(٢)</sup> الفاعلَ أَوَّلَى ؛ لأنَّه ليس يشبهه الفعل ، وكونُ الفاعل بعد الفعل أَوَّلَى من كون المفعول بعده ؛ ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : قام زيد ، فإنَّ الاسمَ يَلِي الفعل . وتقول : ضرب غلامه زيدٌ ، فيكون التقدير في الغلام التأخير ، فلو لا أنَّ الفاعلَ أَخَصَّ بهذا الموضع لم يجوز هذا ؛ كما لم يجوزْ في الفاعل : ضرب غلامه زيداً ، حيث لم يجوزْ في الفاعل تقديرُ التأخير ؛ كما جاز في المفعول به ، لوقوع الفاعل موقعه المختص به .

وحجة مَنْ نصبَ «البرَّ» أن يقول : كون الاسم أن وصلتْها أَوَّلَى لشبهها بالمضمر في أنها لا توصف ، كما لا يوصف المضمر ؛ فكأنه اجتمع مضمرٌ ومظهرٌ ؛ والأوَّلَى إذا اجتمعا أن يكون المضمرُ الاسم من حيث كان أذهبَ في الاختصاص من المظهر .

\*\*\*

حدثنا أبو القاسم عُبَيْدُ اللَّهِ بن عثمان بن يحيى بن جَنِيْقَا الدقاق قال أخبرنا أبو عبد الله ١٠ محمد بن أحد الحكيمَيِّ الكاتب قراءةً عليه قال أُمِلْ علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويُّ ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابيُّ قال قال ابن الكلبيُّ : لما كان بعدَ يومِ الهَبَاءِ جاوز قَيْسُ ابن زهير النَّمِرِ بن قاسط فقال لهم : إني / قد جاورْتُكم واختَرْتُكم ، فزوَّجوني امرأةً قد [ ٦٨ ] أدَّبها الغنى ، وأدَّلها الفقر ، في حَسَبٍ وجمالٍ ؛ فزوَّجوه ظُبيَّة بنت السكيس النَّمريِّ . وقال لهم : إنَّ فيَّ خلالاً ثلاثاً ؛ إني غيورٌ ، وإني فخورٌ ، وإني أنفٌ ، ولست أفخرَ حتى أبداً ، ١٥ ولا أغارَ حتى أرى ، ولا أنفَ حتى أظلم .

فأقام فيهم حتى وُلِدَ له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال : إني موصيكم بخِصال ، وناهيكم عن خِصال ؛ عليكم بالأناة ، فإنَّ بها تنال الفرصة ، وتَسْوِدُ من لاتعابون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ؛ فإنَّ به يعيش الناسُ ، وبإعطاء مَنْ تريدون إعطاءه قبْلَ المسألة ، ومنع مَنْ تريدون

(١) حاشية ت : « لا يجوز أن يكون اسم ليس وخبرها نكرتين ؛ فلا أدري كيف يتكافأان ! ولله يريد التكافؤ في غير هذا الموضع » . (٢) ت : « الاسم » .

منعه قبل الإلحاح ، وإجازة الجار على الدهر ، وتنقيس المنازل عن بيوت الأياشي<sup>(١)</sup> ، وخلط الضيف بالعمال ؛ وأنها كم عن الرّهان ؛ فإن<sup>(٢)</sup> به شككت مالكاً أخى ، والبغى ، فإنه قتل زهيراً أبى ، وعن الإيعاء فى الفضول فتمجّزوا عن الحقوق ، وعن الإسراف فى الدّماء ، فإن يوم الهباءة ألزمنى العار حقه ، ومنع<sup>(٣)</sup> الحرّم إلا من الأ كفاء ؛ فإن لم تصيبوا لها<sup>(٤)</sup> الأ كفاء فإن خير منّا كها القمور ، أو خير منّا زها ؛ واعلموا إنى كنت ظالماً مظلوماً ؛ ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكاً أخى ، وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « أنها كم عن الرّهان » فأراد المراهنة فى سباق الخيل ، وذلك أن قيس بن زهير راهن خديفة بن بدر الفزارى على فرسيه : داحس والغبراء ، وفرسى خديفة : الخطار والحنفاء - وقال بعض بنى فزارة : بل قرّزل والحنفاء - وكان قيس كارهاً لذلك ؛ وإنما هاجه بينهما بعض بنى عبد الله بن غطفان - وقيل : بل رجل من بنى عيس - والخبر فى شرح ذلك مشهور<sup>(٥)</sup> ؛ ثم وقع الانفاق على السباق ، وجعلوا الغاية من واردات<sup>(٦)</sup> إلى ذات الإصا<sup>(٧)</sup> ، وجعلوا التّصبة<sup>(٨)</sup> فى يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد ، يقال له حصين ، وبدر رجل من بنى المشرء من بنى فزارة ، وملثوا البركة ماء ، وجعلوا السابق أول الخيل بكرع فيها . ثم إن خديفة بن بدر وقيس بن زهير أنيا المدى الذى أرسلت الخيل منه<sup>(٩)</sup> ينظران إليها وإلى خروجها ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال خديفة : خدعتك

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « الينامى » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « فإنى » .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « وعليكم بمنع الحرّم » . (٤) حاشية ت ( من نسخة )

« لهن » . (٥) هو خبر الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء ؛ وهى تشمل يوم المريقب ، ويوم

ذى حسا ، ويوم اليمعرية ، ويوم الهباءة ، ويوم الفروق ، ويوم قطن ، ويوم غدير قلهى ، وانظر تفصيل

الخبر وما قيل فيه من الشعر فى ( العقد ٥ : ١٥٠-١٦٠ ، والأغانى ١٦ : ٢٣-٣٢ ، وسيرة ابن هشام

١ : ٣٠٦-٣٠٨ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١-٣٩٧-٣٩٨ ، ٣ : ٣٤-٤٢ ، وابن الأثير ١ : ٣٤٣-٣٥٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ٥١-٦١ ، وشرح العيون ٨٩-٩١ ، ومعجم البلدان - إصا ، هباءة ،

وشرح القائض ٨٣-١٠٨ ) . (٦) واردات : موضع عن يسار طريق مكة . (٧) ذات الإصا : ردة فى

ديار عيس . (٨) حاشية ت ( من نسخة ) : « الفضية » وهو تحريف (١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فيه » .

ياقيس ، فقال قيس : « تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مائة » ؛ يعنى من مائة غلوة ، فأرسلها مثلاً ، ثم / ركضاً ساعة ، فجعات خيلٌ حذيفةً تتقدمُ خيلَ قيس ، فقال حذيفة : « سَبَقَتْ [ ٦٩ ] يا قيس ؛ فقال قيس : « جَرَى المذَكِّيَاتِ غِلاب » ، فأرسلها مثلاً - والمذَكِّيَاتِ : المسانُّ من الخيل <sup>(١)</sup> - وروى : « غِلاب » كما يتغالى <sup>(٢)</sup> بالقبيل . ثم ركضاً ساعة ، فقال حذيفة : « إناك لا تَرْكُضُ مَرَكِضًا ، سَبَقَتْ خَيْلُكَ ؛ فقال قيس : « رُوَيْدَ يَعْلُونِ الْجَدَد » . فأرسلها مثلاً ٥ وروى : « يَعْدُونِ الْجَدَد » ، أى يتعدون الجَدَد إلى الوَعَث <sup>(٣)</sup> .

وقد كان بنو فزارة أكرموا بالثنية كميناً لينظروا ؛ فإن جاء داحسٌ سابقاً أمسكوه وصدّوه عن الغاية ؛ فجاء داحسٌ سابقاً ، فأمسكوه ، ولم يعرفوا الغبراء ، وهى خلفه مصلية حتى مضت الخيلُ ، وأسبّات من الثنية ، ثم أرسلوه فتمطّر <sup>(٤)</sup> فى آثارها ، فجعل يندرها <sup>(٥)</sup> فرساً فرساً ، حتى انتهى إلى الغاية مصلياً <sup>(٦)</sup> ، وقد طرّح الخيلَ غيرَ الغبراء ، ولو تباعدت ١٠ الغايةَ سَبَقَهَا <sup>(٧)</sup> . فاستقبلتها بنو فزارة فاطمواها ، ثم حلّوها <sup>(٨)</sup> عن البركة ، ثم لطموا داحساً ، وقد جاء متوالين ، ثم جاء حذيفة وقيس فى آخر الناس ، وقد دفعهم بنو فزارة عن سبقهم ، ولطموا فرسهم <sup>(٩)</sup> ، وجرى من الخلف فى أخذ السبق ماقد شرحته الرواة . وقد قيل فى بعض الروايات : إن الرهان والسبق <sup>(١٠)</sup> كان بين حَمَلِ بنِ بدر وبين قيس ، وفى ذلك يقول قيس :

(١) أى أن المذكى يغالب مجاربه فيغلبه لغوته ، وفى جمع الأمثال ( ١ : ١٤٤ ) : « يجوز أن يراد أن ثانى جريه أبداً أكثر من باديه وثانته أكثر من ثانيه ؛ فسكانه يغالب بالثانى الأول والثالث الثانى ؛ فجريه أبداً غلاب » . ( ٢ ) حاشية الأصل : « الماءة : الرمى فى الهواء » .

( ٣ ) الجدد : الأرض الصلبة ، والوعث : السهلة . ( ٤ ) يقال : تمطرت الخيل إذا ذهبت مسرعة .

( ٥ ) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « يندرها » ، أى يسقطها .

( ٦ ) المصلى من الخيل : التالى للسابق . ( ٧ ) ت : « لسبقها » .

( ٨ ) حلّوها عن البركة ؛ أى منعوها من ورد الماء . ( ٩ ) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت :

« فرسيهما » . ( ١٠ ) ش ، ونسخة بحاشية الأصل : « السابق » .

كَمَا لَأَقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ  
هُمْ فَخَرُوا عَلَى بَغِيرِ فَخْرٍ وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي  
وَقَدْ دَلَفُوا إِلَى بِفَعْلٍ سَوْءٍ فَأَلْفَوْنِي لَهُمْ صَعْبَ الْقِيَادِ<sup>(١)</sup>  
وَكُنْتُ إِذَا مُنِيتُ بِخَصْمٍ سَوْءٍ دَلَفْتُ لَهُ بِدَاهِيَةِ نَادٍ<sup>(٢)</sup>

ثم إن قيساً أغارَ على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله ، فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال ،  
فحمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف ، مائة عُشْرَاءِ مُتْلِيَةٍ<sup>(٣)</sup> .

ويقال إن قيساً قتل ابناً لحذيفة ، يقال له مالك ، وأن حذيفة كان أرسله إليه يطلب منه السَّبَقَ<sup>(٤)</sup> ،  
فقطعنه فدقَّ صُلْبَهُ ، وإن الربيع بن زياد حمل ديتته مائة عُشْرَاءِ ، فسكن الناس عن القتال .  
[ ٦٩ ] ثم إن مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللَقَّاطَةُ<sup>(٥)</sup> / قريباً من الحاجر ، ونكح امرأة يقال  
لها مُلَيْكَةُ بنت حارثة ، من بني غراب من فزارة ، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فدسَّ إليه  
فُرساناً فقتلوه ، وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر ، وكانت تحت الربيع مُعَاذَةُ  
بنت بدر ، فلما وقف على الخبر قال :

نَامَ الْخَلِيُّ وَمَا أُغْمَضُ<sup>(٦)</sup> حَارِ مِنْ سَمِيِّ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِي  
مِنْ مِثْلِهِ تُعْمِسِي النِّسَاءَ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُعُولَةً مَعَ الْأَسْحَارِ<sup>(٧)</sup>

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدلوف : تقارب الخطو ؛ مثل مشى الشيوخ ؛ ولا يستعمل إلا في  
الذم » . (٢) ناد : صعبة . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « العشراء : الناقة التي يأتي على

حملها عشرة أشهر ؛ فتكون أقوى بولدها ؛ وجمها : عشار . ومتلية ؛ أي تتلوها أولادها » .  
(٤) سبق : المال المخاطر عليه . (٥) اللقطة : موضع قريب من الحاجر ؛ من منازل بني فزارة .

ذكره ياقوت ؛ وقال إنه قتل فيه مالك بن زهير .

(٦) رواية الحماسة : « لم أغمض » ، والفماس : النوم بعينه .

(٧) م : « تمسى » ؛ قال التبريزي : « وتمسى أجرد ؛ لأن طبعه : « وتقوم معولة مع الأسحار » ،  
فكانه قال : « تمسى حواسر وتصبح بواكي » ، « وحواسر » ؛ أي يأتي عليهن المساء وقد طرحن خرهن ؛  
فعل النساء يصبن بكبار قومهن .



مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ      فَلَیَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ <sup>(١)</sup>  
يَحِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ      يَضِرُّ بَنَ أَوْجُهُنَّ بِالْأَحْجَارِ <sup>(٢)</sup>  
قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا      فَالْيَوْمَ حِينَ بَدُونَ لِلنَّظَارِ <sup>(٣)</sup>  
أَفْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ      تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ <sup>(٤)</sup>  
مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لَذْوَى الْحِجَى      إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ <sup>(٥)</sup>  
وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً      يَفْدُقْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ <sup>(٦)</sup>  
وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ      فَكَلَّأْنَا طُلَى الْوُجُوهِ بِقَارٍ <sup>(٧)</sup>

\*\*\*

فأما مقتل زهير بن جزيمة العبسي أبي قيس ، فاختلفت الرواة في سببه ، فيقال إن هوازن

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد عليه ذكر الإتيان مع النسوة » ؛ ورواية المروزقي في الحماسة : « فليأت ساحتنا » ، قال : وأكثر من رأيناه يروى : « فليأت نسوتنا » ؛ ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد يقول : « لاني لأتمجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما يختاره من الأبيات ، وغسله من درن الألفاظ ، كيف ترك تأمل قوله : « فليأت نسوتنا » ؛ وهذه لفظة شنيعة » : ووجه النهار : صدره . (٢) ت : « بالأسحار » ، وهي رواية الحماسة ، وفي نسخة بمحاشية الأصل : « بالأسيار » . (٣) ف ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « برزن » ؛ وهي رواية الحماسة . ت : « قدأبرزن » .

(٤) المراد بعواقب الأطهار مراجعة الأزواج إلى أزواجهن بمقب أطهارهن ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف ، تعليقا على قوله : « زهير » ، بإسكان الياء : « جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة ، وردها من متفاعلين إلى فعلاتن » ؛ وهذا الحذف يسميه المتأخرون القطع ، وسماه الخليل الإقصاء ؛ وسماه ابن قتيبة الإقواء ؛ لأنه نقص من عروضه قوة ، ( وانظر العمدة ١ : ٩٤ ، والشعر والشعراء ٤٣ ، وشرح سقط الزند ١١٤٦ ) . (٥) رواية الحماسة — بشرح التبريزي : « لذوى النهى » . وتشد بالأكوار ، أي تشد عليها الأكوار . (٦) المجنبات هنا : الخيل تجنب إلى الإبل في الغزو . والعذوف والعذوفة أدنى ما يؤكل ، ورواية الحماسة : « عذوفا » ، والمهرات : جمع مهرة ؛ قال التبريزي في معنى البيتين : « ما أرى في قتل مالك بن زهير رأيا لذوى العقول ؛ إلا أن تركب الإبل وتجنب الخيل ، ويسار بها سيرا عنيفا ؛ حتى ترى أجنحتها ، فتبالم بنا إلى عدونا ، فنغير عليهم ، ونسفك دماهم » .

(٧) المساعر : جمع مسعر ، والمسعر : هو الشجاع ؛ كأنه آلة في إسماع الحرب وإيقادها ؛ وصدأ الحديد آت من اتصالهم بالدروع ولبسها .

ابن منصور كانت تؤتى الإناوة زهير بن جذيمة ، ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد ، فهم أذل من يد في رحم ، فأت عجز من هوازن زهير بن جذيمة بسمن في نجي ، واعتذرت إليه ، وشكت السنين اللواتي تابعت على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها - أي دفعها - بقوس في يده عطل<sup>(١)</sup> ، في صدرها ، فسقطت فبدت عورتها ، ففضبت من ذلك هوازن ، وحقته إلى ما كان في صدرها<sup>(٢)</sup> من الفيض ، وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة - أي كثرت - فآلى جعفر بن كلاب قتال : والله لأجعلن ذراعى هذه وراء عنقه<sup>(٣)</sup> حتى أقتل أو يقتل<sup>(٤)</sup> ؛

وفي ذلك يقول خالد بن جعفر :

أَرِيْفُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِي وَحَذَفَةَ كَالشَّجَى تَحْتَ الْوَرِيدِ<sup>(٥)</sup>  
مُقَرَّبَةً / أَوَاسِيهَا بِنَفْسِي وَالْحِفْهَ رِدَائِي فِي الْجَمِيدِ  
أَمَلَّ اللَّهُ يُمَكِّنِي عَلَيْهَا جِهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيْدِ  
فَأَمَّا تَتَقَفُونِي فَاقْتَلُونِي فَمَنْ أَتَقَفَ فَلَيْسَ إِلَى خَالِدٍ<sup>(٦)</sup>

ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غنى من قتل بابنه شأس وافى عكاظ ، فلقبه خالد بن جعفر بن كلاب - وكان حدثا - قتال : يا زهير ، أما أن لك أن تستفي ونكف ! - يعني مما قتل بشأس - فأغلظ له زهير وحقره ، فقال خالد : اللهم أمكن<sup>١٥</sup> يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ، ثم أعنى عليه ، فقال زهير : اللهم أمكن يدي هذه البيضاء<sup>(٧)</sup> الطويلة من عنق خالد ، ثم خل بيننا ، فقالت قريش : هلك

(١) قوس عطل : لاوتر عابها . (٢) حاشية ت : من نسخة ( ) : « صدورها » .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « من وراء » .

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « أو أقتله » . (٥) أريفوني : أي اطلبوا لي ، والشجا :

ما اعتراض في الحلق من عظم وغيره . وفي حاشيت ، ف : « حذفة : اسم فرس خالد ؛ وذكره الجوهري

في صحاح اللغة ، ويتخلل للناظر فيه أن يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر وقوله : « كالشجا تحت الوريد »

شبه نفسه بالشجا ، وجعل حذفة كالوريد ؛ و « مقربة » في البيت الثاني مفعول « أريفوني » فرسا مقربة

والله أعلم . (٦) إما تتقفوني ؛ أي إما تصادفوني ؛ وفي اللسان : ثقفته ثقفا ؛ أي صادفته ؛ وأنشد

فَأَمَّا تَتَقَفُونِي فَاقْتَلُونِي فَإِنْ أَتَقَفَ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي

(٧) ت : « السماء » .

والله يزهير ، قال : أنتم والله الذين لا علم لهم . ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله .  
 واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر ، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد  
 امرأة زهير بن جذيمة وأم ولد ، فرى به أحوها الحارث بن عمرو بن الشريد ، فقال زهير لبنيه : إن  
 هذا الحارث أطمعنا عليكم فأوثقوه ، فقالت أخته لبنيها : أيزوركم خالكم فتوثقونه ؟ وقالت تماضر  
 لأخيها الحارث بن عمرو بن الشريد : إنه <sup>(١)</sup> لا يريدني أكيدناك وقروك - وإلا أكيدناك الغم ،  
 والقروت <sup>(٢)</sup> - السكوت - فلا يأخذن فيك ما قال زهير ، فإنه رجل بيذار غيذار شئوة .  
 - فالأثرم : البذار : الكثير الكلام ، والغذار : السبي الخلق - ثم حابوا له وطباً ،  
 وأخذوا عليه يميناً ألا يُخبر <sup>(٣)</sup> عليهم ، ولا يُنذِرهم أحداً ؛ فخرج الحارث حتى أتى  
 بني عامر ، فقمعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر ، وألقى الوطب تحتهما والقوم ينظرون ، ثم  
 قال : أيتها الشجرة الذليلة ، اشربني من هذا اللبن ، وانظري ما طعمه . فقال قوم : هذا رجل  
 مأحود عليه . وهو يخبركم خبراً ، فذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرئ بعد ، فقالوا : إنه يخبرنا  
 أن مطلبنا قريب ، فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة ، وكان راكباً فرسه حذفة ،  
 فلقوا زهيراً ، فاعتنق خالد زهيراً ، وخرّاً عن فرسيهما ، ووقع خالد فوق زهير ونادى :  
 يا بني عامر ، اقتلوني والرجل ، واستغاث زهير ببنيه ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير يشد <sup>(٤)</sup> بسيفه ،  
 فضرب خالد ثلاث ضربات ، فلم تنف شيئا ، وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ، ثم ١٥  
 ضرب خنجر رأس زهير فقتله ، ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ فَأَقْبَأْتُ أَسْمَى كَالْمَجُولِ أَبَادِرُ <sup>(٥)</sup>  
 [إِلَى بَطْلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلَاهِمَا يُرِيدَانِ نَصْلَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ دَارِ] <sup>(٦)</sup> [٧٠]

(١) ت : « إني » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قرت الدم يقرت قروتا إذا ماتت تحت الجلد ؟ وقرت إذا تغير من حزن يصيبه ، والقروت : السكون » .  
 (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « ألا يخبر عنهم » . (٤) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) :  
 « يشد » . (٥) المجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها .  
 (٦) تسكئة من ت ، والأغاني ، والمقد .

فَسَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا وَيَسْرُهُ مِنْنِي الْحَدِيدُ الْمَظَاهِرُ<sup>(١)</sup>  
فَيَأْلِيَتَ أَنِي قَبْلُ<sup>(٢)</sup> ضَرْبَةِ خَالِدٍ وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُمَاضِرُ !

\*\*\*

فأما خبر الهباءة فإن بنى عبس وبنى فزارة لما التقوا إلى جنب جعفر الهباءة<sup>(٣)</sup> في يوم قانظ ، فاقتتلوا - ولخبرهم شرح طويل معروف - استجار حذيفة ومن معه بجعفر الهباءة ليتبرد<sup>(٤)</sup> فيه ، فهجم عليه القوم ، فقال حذيفة يابني عبس ، فأين العود<sup>(٥)</sup> ؟ وأين الأحلام ؟ فضرب حمّل بن بدر بين كتفيه وقال : « اتق ماثور القول بعد اليوم » ، فأرسلها مثلاً ، وقتل قرّ وراش ابن هُمَيّ حذيفة بن بدر ، وقتل الحارث بن زهير حملاً ، وأخذ منه ذا النون ، سيف مالك بن زهير أخيه ، وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل ، فقال قيس في ذلك :

تَعَلَّمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ      عَلَى جَعْفَرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ  
وَلَوْ لَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي      عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ  
وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلُ بْنُ بَدْرِ      بَغَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ<sup>(٦)</sup>  
أُظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي      وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ  
وَمَارَسْتُ الرُّجَالَ وَمَارَسُونِي      فَمُعْوجٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ  
وقال قيس أيضاً :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ      وَسِيفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي  
فَإِنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَالِي      فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي<sup>(٧)</sup>

(١) المقد ، ونسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف ، : « ويعننه » . ويراد بالحديد هنا الدرع ؛ ويقال : ظاهر الدرع ؛ إذا لأم بعضها على بعض .  
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « يوم ضربة خالد » .  
(٣) الهباءة : أرض في بلاد عطفان ؛ وجعفر الهباءة : مستنقع فيها .  
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ليتبرد » .

(٥) حاشية الأصل : « يقال سودد عود ، أى قديم » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « مصرعه خيم » . (٧) حاشية ت من نسخة : « شفيت بهم » ، وروى ياقوت بعد هذا البيت :

فلا كانت الغبرا ولا كان داحسٌ ولا كان ذاك اليوم يوم دَهَانِي

# مَجْلِسُ آخِرُ

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْيَهُودِ بْنِعُزٍّ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءً/صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ [البقرة: ١٧١]. [٧١] و

فَقَالَ: أَيْ وَجْهٍ لَتَشْبِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالصَّاعِ<sup>(١)</sup> بِالْغَنَمِ، وَالْكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى ذَمِّهِمْ وَوَصْفِهِمْ بِالْغَفْلَةِ وَقِلَّةِ التَّأَمُّلِ وَالتَّمْيِيزِ، وَالنَّاعِقُ بِالْغَنَمِ قَدْ يَكُونُ مُمِيزًا مُتَامِلًا مُحْصَلًا؟

يَقَالُ لَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَمْسَةُ أَجَوِبَةٍ:

١. أَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: مَثَلُ وَاعِظِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالدَّاعِي لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ كَمَثَلِ الرَّاعِي الَّذِي يَنْعِقُ بِالْغَنَمِ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ مَعْنَى دَعَائِهِ، وَإِنَّمَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا تَفْهَمُ غُرَضَهُ؛ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ وَعِظَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَدَعَاءَهُ وَإِنذَارَهُ فَيَنْصَرِفُونَ<sup>(٢)</sup> عَنْ قَبُولِ ذَلِكَ، وَيُعْرِضُونَ عَنْ تَأَمُّلِهِ، فَيَكُونُونَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَمْقَاهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ. وَجَازٌ أَنْ يَقُومَ قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٠ بِمَقَامِ الْوَاعِظِ وَالدَّاعِي لَهُمْ؛ كَمَا يَقُولُ الْعَرَبُ: فَلَانِ يَخَافُكَ خَوْفَ الْأَسَدِ؛ وَالْمَعْنَى نَخَوْفُهُ<sup>(٣)</sup> الْأَسَدُ، فَأُضَافَ الْخَوْفُ إِلَى الْأَسَدِ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُضَافٌ إِلَى الرَّجُلِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ

أَرَادَ بِتَسْلِيمِي عَلَى الْأَمِيرِ، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

١٥. وَالْجَوَابُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْغَنَمِ الَّتِي لَا تَفْهَمُ نِدَاءَ النَّاعِقِ، فَأُضَافَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَثَلُ الثَّانِي إِلَى النَّاعِقِ؛ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُضَافٌ إِلَى الْمُنْعُوقِ بِهِ،

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ): «النَّاعِقُ»، وَفِي ت: «الصَّاعُ: النَّاعِقُ»

(٢) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ): «يَضْرِبُونَ». (٣) م: «كَخَوْفِهِ مِنَ الْأَسَدِ».

على مذهب العرب في قولها : طلعت الشمري ، وانتصب المؤد على الجرباء<sup>(١)</sup> ، والمعنى وانتصب الجرباء على المؤد ؛ وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى ؛ وأنشد الفراء :

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهُ تَحَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرُهُ<sup>(٢)</sup>  
معناه يَحَلَّى بِالْعَيْنِ ؛ فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ . وأنشد الفراء أيضاً :

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّانَا فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرَّجْمُ فَرِيضَةَ الزَّانَا ، وأنشد أيضاً :

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ<sup>(٣)</sup>

/ أراد ما تزيد مخافة وَعَلٍ على مخافتي ، ومثله :

[ ٢١ ]  
ط

\* كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَآؤُهُ<sup>(٤)</sup> \*

أراد كَأَنَّ لَوْنَ سَمَآئِهِ أَرْضُهُ ، ومثله :

١٠

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسُهُ وَسَاطِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ<sup>(٥)</sup>

أراد مُدْخِلَ رَأْسِهِ الظِّلِّ ، وقال الراعي :

فَصَبَّحَتْهُ كِلَابُ الْغَوْتِ يُؤْسِدُهَا مُسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْعَيْنَ كَالْأَثَرِ<sup>(٦)</sup>

يريد أنهم يرون الأثر كالعَيْنِ ؛ وقال أبو النجم :

(١) الحرباء : حيوان كالغذاء ؛ يدور مع الشمس . (٢) يقال حلَّى فلان بعيني وفي عيني إذا

أعجبك ؛ والبيتان في اللسان ( حلا ) ، وفي م : « تحلَّى » ، تصحيف .

(٣) البيت للباغية ، وقد مر ذكره ص ٢٠٢ ، وانظر ما سبق في تفسيره . (٤) الرجز لرؤبة ، وقوله :

\* ومهمه مغبرة أرجأوه \* (٥) البيت من شواهد (الكتاب ١ : ٩٢) ؛ قال

الأعلم : « الشاهد فيه إضافة مدخل إلى الظل ، ونصب الرأس به على الاندفاع والقلب ، وكان الوجه أن

يقول : مدخل رأسه الظل ؛ لأن الرأس هو الداخل في الظل ، والظل المدخل فيه ؛ وهو وصف هاجرة

قد أجنأت الثيران إلى كنسها ، فتري أنور مدخلا لرأسه في ظل كناسه لما يجود من شدة الحر ، وسائر

بارز للشمس » . (٦) يذكرون ، والغوت : قبيلة من طيء ، ويوسدها : يفرها ؛ ومستوضحون :

صيادون ينظرون : هل يرون شيئاً ؛ يقال استوضح الرجل ، إذا نظر ليرى شيئاً أو أثراً ، يريد أن أثر

الصيد عندهم إذا رآه يكون بمنزلة الصيد نفسه لا يخفى عليهم . ( وانظر معاني الشعر لابن قتيبة ٧٤٢ )

\* قَبْلَ دُنُو الْأُفُقِ مِنْ جَوَازِئِهِ \*

فَقَلَبَ ، وقال العباس بن مرداس :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي      وَلَا آلُوهُ إِلَّا مَا يُطِيقُ

أراد فديت بنفسى نفسه ، وقال ابن مقبل :

وَلَا تَهَيَّبْنِي الْمَوْمَةَ أُرْكَبُهَا      إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ<sup>(١)</sup>  
أراد لا أتهيب المومة ؛ وهذا كثير جداً<sup>(٢)</sup> .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا ومثلنا ، أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذى ينطق ؛ أى مثلهم فى الإعراض ومثلنا<sup>(٣)</sup> فى الدعاء والتنبيه والإرشاد كمثل الناقى بالغنم ، فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ آسَكُمْ سِرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ ﴾ [ النحل : ٨١ ] ، أراد الحر والبرد ، فاكتفى بذكر الحر من البرد ، وقال ٩٠ أبو ذؤيب :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِلَى لَأْمَرِهَا      مُطِيعٌ فَمَا أُدْرِى أُرْشِدُ طِلَابُهَا<sup>(٤)</sup>  
أراد أُرْشِدُ أم غى ، فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر .

والجواب الرابع أن يكون المراد : ومثل الذين كفروا فى دعائهم للأصنام التى يعبدونها من دون الله وهى لا تعقل ولا تفهم ، ولا تضر ولا تنفع كمثل الذى ينطق دعاءً ونداءً بما ١٥

(١) معانى ابن قتيبة ١٢٦٤ ، واللسان - هيب ؛ يقال : تهيبنى الشيء بمعنى تهيبته أنا ؛ كذا ذكره

صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمومة : المفاضة ؛ والأصداء : جمع صدى ؛ وهو البوم .

(٢) حاشية ت : « ومن المألوف قوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ ﴾ ، وإنما هو :

تنوء العصبة بها ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ ﴾ ؛ يريد مخلف رسله وعده ؛ وإنما جرى القلب فى كلام العرب انشاعاً فى الظاهر ؛ لأن المعنى فيه لا يشكل .

(٣) د ، حاشية ت ( من نسخة ) : « ومثلك » . (٤) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ؛

والرواية فيه :

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ      سَمِيعٌ فَمَا أُدْرِى أُرْشِدُ طِلَابُهَا

لا يسمع صوته جملة ، والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان ينعق ، وإلا توكد الكلام ؛  
ومعناها الإلغاء ؛ قال الفرزدق :

[ ٧٢ ] هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سِيُوفَهُمْ / وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُجِلٍّ وَمُحَرِّمٍ <sup>(١)</sup>  
والمعنى : هم القوم حيث سلُّوا سيوفهم .

٥ والجواب الخامس أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام <sup>(٢)</sup>  
وعبادتهم لها واسترزاقهم إياها كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم ويناديها ؛ فهي تسمع  
دعاءه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه ، فشبه من يدعو الكفار من العبودات دون الله جل  
اسمه بالغنم ، من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ، ولا نفع عندها فيه ولا مضرة .

وهذا الجواب يقارب الذي قبله ، وإن كانت بينهما مزية ظاهرة ؛ لأن الأول يقتضى  
ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ، ويجب أن يكون مصروفاً إلى غير الغنم  
وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم . وهذا الجواب يقتضى ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء  
وإن لم يفهمهما ، والأصنام من حيث كانت لا تسمع النداء <sup>(٣)</sup> جملة يجب أن يكون داعيها  
ومناديها أسوأ حالاً من منادى الغنم . ويصح أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك  
في السماع ، ويخالف في الفهم والتمييز .

١٥ وقد اختلف الناس في ﴿ يَنْعِقُ ﴾ فقال أكثرهم : لا يقال نَعَقَ يَنْعِقُ إِلَّا فِي الصَّبَاحِ  
بالغنم وحدّها ؛ وقال بعضهم نَعَقَ يَنْعِقُ بالغنم والإبل والبقر ؛ والأول أظهر في كلام العرب ؛  
قال الأخطل :

فَانْعِقْ بِضَانِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا <sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ٢ : ٧٦٠ ، وفي ت ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « حين » ، وفي حاشية الأصل

أيضاً : « نظير هذا في مورد « إلا » للتوكيد دون الاستثناء قولهم : « أسألك إلا غفرت لى » .

(٢) م : « للأصنام » . (٣) ت : « الدعاء والنداء » ، ف : « الدعاء » .

(٤) ديوانه : ٥٠



ويقال أيضاً: نَعَقَ الغراب ونَعَقَ؛ بالغين المعجمة؛ إذا صاح من غير أن يمدَّ عنقه ويحركها؛ فإذا مدها وحركها ثم صاح قيل: نَعَبَ، ويقال أيضاً: نَعَبَ الفرس ينمب وينعب نعباً ونعيباً ونعباناً، وهو صوته؛ ويقال: فرسٌ منعبٌ، أى جواد، وناقاة نعباءة؛ إذا كانت سريعة.

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى طَعَامٍ دُعُوا إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>؛ فَإِذَا<sup>(٢)</sup> بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ مَعَ صَبِيَّةٍ فِي السَّكَّةِ، فَاسْتَنْتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَامَ الْقَوْمِ، فَطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفِرُّ مَرَّةً هَاهُنَا، وَمَرَّةً هَاهُنَا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُضَاحِكُهُ،<sup>(٣)</sup> ثُمَّ أَخَذَهُ<sup>(٤)</sup>، فَجَمَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَالْأُخْرَى / تَحْتَ فَأْسِ رَأْسِهِ، [٧٢] وَأَقْنَعَهُ قَبْلَهُ، وَقَالَ: «أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ وَحُسَيْنٌ مِنِّي، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ».

قال الشريف أدام الله علوه: معنى استنّتل تقدّم، يقال: استنّتل الرجل استنّتلاً،<sup>(١)</sup> وإبرئاً إبرئاً<sup>(٢)</sup>، وإبرئذع إبرئذعاً؛ إذا تقدم، هكذا ذكره ابن الأثير.

ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال: تقول: "استنّلت الأمر استنّتلاً إذا استعددت له"، واستنّتل الرجل تفرّد من القوم، ويقال: استنّتل أشرف. والمعاني تقارب، والخبر يليق بكل واحد منها. وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في إبرئناً وإبرئذع أيضاً أنه من الاستعداد.

١٥

فأما السكّة، فهي المنازل المصطفة، والنخل المصطف.

(١) ت، د: د له. (٢) في حاشيتي الأصل، ف: «تقول خرجت فإذا زيد على الطريق؛ إذا همى الوقت؛ والتقدير: خرجت والوقت وقت حضور زيد على الطريق؛ وكذلك أكرمك إذا أنت صديق؛ ليست إذا مضى من الزمان؛ بل هي تعليلية، والتقدير: أكرمك لأنك صديق».

(٣-٢) ساقط من م. (٤) ص: «إبرئاً».

ومعنى طفق ما زال ، قال الشاعر :

طَفِقَتْ تَبْكِي وَأُسْعِدُهَا فَكَلَامًا ظَاهِرُ الْكَمَدِ<sup>(١)</sup>

وفأس الرأس : طرف القمجدوة<sup>(٢)</sup> المشرف على القفا .

ومعنى « أقنعه » رفعه ، هكذا ذكر ابن الأنباري . وقال غيره : يقال أقنع ظهره إقناعاً إذا طأطأه ثم رفعه برفق .

فأما الأسباط فأصلها في ولد إسحاق عليه السلام كلقبائل في بني إسماعيل عليه السلام . وقال ابن الأنباري : هم الصبية والصبوة ، بالياء والواو معاً .

\*\*\*

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيبة قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيم قراءة عليه قال أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي ١٠ أنه قيل لابنة الخُسّ : ما مائة من المعز ؟ قالت : « مويل يشفُ العقر من ورائه ، مالُ الضعيف ، وحرقة العاجز » . قيل لها : فما مائة من الضأن ؟ قالت : « قرية لا حمى بها » ، قيل : فما مائة من الإبل ؟ قالت : « بَخ<sup>(٣)</sup> ! جمال ومال ، ومُنَى الرجال » ، قيل لها : فما مائة من الخيل ؟ قالت : « طغى عند من كانت ، ولا توجد » . قيل : فما مائة من الحُمُر ؟ قالت : « عازبة الليل ، وخزى المجلس ، لا كبن فيحلب ، ولا صوف فيجتر<sup>(٤)</sup> » ، إنزُرْ بطير غير هادلي<sup>(٥)</sup> ، ولا ١٥ أُرْسِل وَلَى<sup>(٦)</sup> .

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : قيل لابنة الخُسّ - والخُصّ والخُسف ، قال : كل ذلك يقال - : ما أحسنُ شيء ؟ قالت : « غادية ، في أثر سارية ، في نبخاء قاوية » - قال : / نبخاء ، أرض مرتفعة ، لأن النبات في موضع مشرف أحسن - . وقالوا أيضاً : « نَفَخاء » ، أى رابية ،

(١) ت : « الجلد » . (٢) القمجدوة : الهنة الناشرة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين

(٣) د ، ت ، ج : « بخ » ، بتنوين الحاء . (٤) د : « فيجز » . (٥) من نسخة بمولته

الأصل . ت ، ف : « أدلى » . (٦) ت : « وإن أرسلته » ، والخبر في المهر ٢ : ٤٥٠ .

ليس بها رمل ولا حجارة ، قال : والجمع التَّفَاخَى <sup>(١)</sup> ، ونبتُ الرابية أحسنُ من نبت الأودية ، لأن السيلَ يصرعُ الشجرَ فيمتدِّفه في الأودية ، ثم يُلقَى عليه الدَّمَنُ <sup>(٢)</sup> .

قال الشريف أدام الله علوه : ومما يدل أن نبت الرابية أحسن قول الأعشى :

مارَوْضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ <sup>(٣)</sup>

وقال كثير :

فَمَارَوْضَةُ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّوَى يَمِجُّ النَّدى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا <sup>(٤)</sup>

(١) في حاشيتي ت ، ف : « قال الجوهري : التَّبَخُّاءُ : الأكمة ، والتَّبَخَاءُ من الأرض مثل التَّبَخَاءِ ، وأبوت النار وفويت ؛ أى خلت » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدمن : جمع دمنة ؛ وهو ما يبلد من التراب والقش وكسار العيدان ؛ والخبر في (مجالس) ثلث ٣٤٣ ، والمختص ١٠ : ١٤٣ ، واللسان - نبيح ، نقيح ) . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بعده :

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِمَعْمِرٍ النَّبْتُ مُكْتَهِلٌ  
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا تَشْرَ رَائِحَةٌ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذَا دَنَا الْأَصْلُ

— كوكب الشيء : معضمه ، والنبت إذا عم وكثر قيل اكتهل ، وقوله : « إذا دنا الأصل » ، يعني أن الزهر إذا كان في الأصل كان أحسن للبعد عن برد الغداة » . والأبيات في ديوانه : ٤٣ :  
(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « الجَنَجَاتُ والعَرَارُ : نبتان ، وسمده :

بَأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبُ نَارُهَا

ولابتين قصة ؛ وهى أن كثيرا أقبل ذات يوم راكبا ، فاعترضت له في الطريق عجوز قد أوقدت في روثه ، فتضجر عليها كثير ، وتأفف في وجهها ؛ فقالت : أنت القائل :

فَمَارَوْضَةُ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّوَى يَمِجُّ النَّدى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا

بَأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانٍ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبُ نَارُهَا

قال : نعم ؛ قالت : والله لو أوقد بالمندل على هذه الروثة لطابت ! هلا قلت كما قال سيدك ومولايك  
أمرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كُتِلِمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ !

فانسكسر كثير وخجل . وقيل إنه أعضاها مطرفا كان معه وقال : « استريحه على » ؛ ( وانظر ديوان  
أمرؤ القيس ٧٣ ، وديوان كثير ١ : ٩٣ ) .

فخصاً الحزن للمعنى الذى ذكرنا .

\*\*\*

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادى وليده ؛ إذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ، ووقع في أمر لا ينادى وليده ؛ يقول لا يدعى إليه الصبيان ، ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه .

٥ قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وفي ذلك قولان آخران ؛ أحدهما عن الأصمعي قال : أصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ، ثم صار مثلاً لكل شدة ، ولكل أمر عظيم . والقول الآخر عن الكلبي قال : أصله من الكثرة والسعة ، فإذا أهوى الوليد إلى شيء لم يُزجر عنه حذر الإفساد ، لسعة ما هم فيه ، ثم صار مثلاً لكل كثرة ؛ قال الفراء : وهذا القول يستعان به في كل موضع يراد به الغاية ، وأنشد :

لقد شرعت كفوّاً يزيد بن مزيّد شرائع جود لا ينادى وليدها

\*\*\*

وبالإسناد الذى تقدم عن ابن الأعرابي قال : دخل ودقة<sup>(١)</sup> الأسدى على معن بن زائدة الشيباني فقال : إن رأيت أكرمك الله أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك ؛ فإنك قد بلغت حالاً لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصف<sup>(٢)</sup> الرجال بعدك .

١٥ لم يكن كثيراً ، وإنّي قد قدّمتُ الرجاء ، وأحسنُ الثناء ، ولزمت الحِفاظ ، ثم أنشأ يقول :

يا معنُ إنك أم تُنعم على أحدٍ فشابُ نَمَاكَ تَنغِيصٌ ولا كَدَرُ

/ فانظرُ إلى بطرفٍ غيرِ ذِي مَرَضٍ فرُبّما صَحَّ لِي مِن طَرَفِكَ النَّظَرُ

أَيَّامَ وَجْهِكَ لِي طَلَقٌ يُخَبِّرُنِي إِذَا سَكَتَ بِمَا تُخْفِي وَتَضَطَّمُرُ

وَمِنْ هَوَاكَ شَفِيعٌ لَيْسَ يُغْفِلُنِي وَإِنْ نَأَيْتُ وَإِنْ قَلَّتْ بِيَ الذِّكْرُ

[ ٧٣ ]  
ظ

(١) ودقة ؛ بالفاء ، وضبط في الأصل ، ت بفتح الدال وإسكانها معا .

(٢) حاشية ت ، ف : « التنصف : الخدمة ؛ يقال تنصفه إذا خدمه ، والنصيف : الخادم » .

قَدْ كُنْتَ أَثَرْتَ عِنْدِي مَرَّةً أَثَرًا      فَقَدْ تَقَارَبَ يَعْفُو ذَلِكَ الْأَثَرُ  
فاجْبُرْ بِفَضْلِكَ عَظْمًا كُنْتَ تَجْبُرُهُ      واجمعْ بفعلك ماقدْ كَادَ يَنْتَشِرُ<sup>(١)</sup>  
مَا نَازَعَ الْعُسْرُ فِي الْيُسْرِ مُذْ عَلِقَتْ      كَفَى بِحَبْلِكَ إِلَّا ظَفَرَ الْيُسْرِ  
وَقَدْ خَشِيتُ وَهَذَا الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ      بَأْنُ يُدَالِ لِطُولِ الْجَفْوَةِ الْعُسْرِ<sup>(٢)</sup>  
وَأَيَّمَا<sup>(٣)</sup> كَانَ مِنْ عُسْرٍ وَمَيْسَرَةٍ      فَإِنَّ حَظَّكَ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ ٥

فقال معن : أو ما كننا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا ، قال : أما الذهبُ والفضةُ فليسنا عندنا ، ولكن هات تخناً<sup>(٤)</sup> من ثيابي يا غلام ؛ فدفعه إليه ، وقد كان تحمل عليه<sup>(٥)</sup> بابت عيَّاش وحبيب بن بُدَيْل ، فأعطاها معه تختين ، وقال : غرمتني يا ودفة تختي ثياب ! .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ، ويكنى أبا الوليد ، وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر ، ١٠ وهو أخو الحوفزان بن شريك ، وكان معن من أصحاب ابن هُبيرة<sup>(٦)</sup> ، فلما قُتِلَ رثاه معن فقال :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ      عَلَيْكَ بِجَارِي دَمِهَا لَجَمُودُ<sup>(٧)</sup>  
عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ      جُيُوبُ بَأْيَدِي مَأْتَمٍ وَخُدُودُ<sup>(٨)</sup>  
فَإِنَّ تَمْسَ مَهْجُورَ الْفَنَاءِ فَطَالَمَا<sup>(٩)</sup>      أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ  
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ      بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ<sup>(١٠)</sup> ١٥

(١) ت : « بفضلك » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « بظول الجفوة » .

(٣) م : « وإن ما » . (٤) التخت : وعاء تصان فيه الثياب :

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إليه » ، وتحمل إليه ؛ أى تشفع .

(٦) حواشي الأصل ، ت ف : « قتل ابن هبيرة السفاح » . (٧) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« روى أبو تمام هذه القطعة في الحماسة لأبي عطاء السندی » . ( و انظر ديوان الحماسة - بشرح التبريزي

٢ : ٢٩٥-٢٩٦ ) . (٨) حاشية الأصل : « المأتم : جماعة النساء للزء » .

(٩-٩) م : « مهجور الجناب فطالما » ، ورواية الحماسة : « مهجور الجناب فرجما » ؛ قال التبريزي :

والرواية المختارة : « وربما » بالواو ؛ وذلك أن جواب الشرط من قوله : « فإن تمس مهجور الفناء »

« فإنك لم تبعد على متعهد » ، وبصير : « ربما أقام » بيان الحال فيما تقدم من رياسته .

(١٠) أى على متعهد يتعهدك بالذكر والبكاء .

أخبرنا أبو غنيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال : كان معن بن زائدة / من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة ، وكان مستتراً ، حتى كان يوم الهاشمية <sup>(١)</sup> ، فإنه حضر وهو معتم متلثم ، فلما نظر إلى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فأخذ بلباس بقلته ، ثم جعل يضربهم بالسيف قدّامه ، فلما أفرجوا له وتفرّقوا عنه قال له : مَنْ أَنْتَ وَيَحْك ! قال : أنا طليبتك معن بن زائدة . فلما انصرف المنصور حباذ وكساه ورتبه ، ثم قلده اليمن ، فلما قدم عليه من اليمن قال له : هيه يامعن ! تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على أن قال لك :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرْفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ  
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا يَوْمُهُ : يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طِعْمَانِ ١٠

فقال : كلاً يا أمير المؤمنين ، ولكن أعطيته على قوله :

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعْلِنًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ  
فَمَنْعْتَ حَوَازَتَهُ ، وَكُنْتَ وَقَاهُ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانِ

فقال له : أحسنت يامعن !

١٥ وفي خبر آخر أنه دخل على المنصور ، فقال له : ويلك <sup>(٢)</sup> ! ما أظن ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلا حقاً ! قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغني أنك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألف دينار ، وهذا من السرف الذي لا شيء مثله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات <sup>(٣)</sup> رزقي ، وكففتُه عن عرضي ، وقضيت الواجب من حقه على وقصده إلى وملازمته لي ، قال : ٢٠ فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب في يده الأرض ولم يعاوده القول .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ، والخبر في ( ابن خلدون ٢ : ١٠٩ )

(٢) ت : « ويلك يامعن ! » . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « وفضالات » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعد الوراق عن خالد ابن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله<sup>(١)</sup> بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان - وكان من ولاية الرشيد - قال : حدثني معن بن زائدة قال : كنا في الصحابة سبعمائة رجل ، فكنا ندخل على المنصور في كل يوم ، قال : فقلت للربيع : اجعاني في آخر من يدخل عليه ، فقال لي : لست بأشرفهم فتكون في أولهم ، ولا بأخسهم نسبا فتكون في آخرهم ، وإن مرتبتك [ ٧٤ ]<sup>ظ</sup> لتشبه<sup>(٢)</sup> نسبك . قال : فدخلت على المنصور ذات يوم ، وعلى دراعة فضفاضة ، وسيف حنفي<sup>(٣)</sup> أفرع بنعله الأرض ، وعمامة قد أسدلها من قدامي وخلفي ، فسلمت عليه وخرجت ، فلما صرت عند الستر صاح بي : يا معن ! صيحة أنكرتها ، فلبيته فقال : إلى ، فدنوت منه ، فإذا به قد نزل عن فراشه إلى الأرض ، وجثا على ركبتيه ، واستل عموداً من بين فراشين ، واستحال لونه ، ودرت أوداجه ، وقال : إليك لصاحبي يوم واسط ، لا نجوت إن نجوت مني ! قال : ١٠ قلت : يا أمير المؤمنين ، تلك نصرتي لباطلهم ، فكيف نصرتي لحقك ؟ قال : فقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه القول ، فما زال يستعيني حتى ردَّ العمود إلى مستقره ، واستوى متربعاً ، وأسفر لونه وقال : يا معن ، إن باليمن هنأت ، قالت : يا أمير المؤمنين ، « ليس لمكتوم رأي » - وهو أول من أرساها مثلاً - فقال : أنت صاحبي ، فاجلس ، قال : فجلست ، وأمر الربيع بإخراج كل من كان في الدار ، وخرج الربيع ، فقال لي : إن صاحب اليمن قد همَّ بالمصيبة ، وإني أريد أن ١٥ آخذه أسيراً ، ولا يفوتني شيء من ماله ، قلت : ولني اليمن وأظهر أنك قد ضمنتني إليه ، ومُرِّ الربيع أن يريح عنتي في كل ما أحتاج إليه ، ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر ، قال : فاستل عهداً من بين فراشين ، فوقع فيه اسمي وناولنيه ، ثم دعا الربيع فقال : يا ربيع ، إنا قد ضممننا معنًا إلى صاحب اليمن ، فأزح عنته فيما يحتاج إليه من السلاح

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « عبيد الله » . (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) :

« كنسبة نسبك » . (٣) السيوف الحنفيه : نوع منها ينسب إلى الأخنف بن قيس ؛ لأنه أول من أمر باتخاذها ، والقياس أحنفية ؛ ( القاموس ) .

والسكرع، ولا يُمنسى إلا وهوراحل، قال : ثم ودّعني فودعته، وخرجت إلى الدّهليز، فلقيني أبو الوالي فقال : يامعن؛ أعزّزْ عليّ أن تُضمَّ إلى ابن أخيك ! قال : فقلت له : إنّه لا غضاضة على الرجل يضمّه سلطانه إلى ابن أخيه . وخرجت إلى اليمن، فأثيت الرجل ، فأخذته أسيراً ، وقرأت عليه العهد ، وقعدت في مجلسه .

• وروى عمر بن شبّة قال : اجتمع عند معن بن زائدة ابنُ أبي عاصية وابنُ أبي حفصة والضمرى، فقال: لِيُنشِدْنِي كُلُّ واحدٍ منكم أمدح بيت قاله فيّ ، فأنشده ابنُ أبي حفصة :  
مَسَحَتْ رَيْعَةً وَجَهَ مَعْنٍ سَابِقًا      لَمَّا جَرَى وَجَرَى ذَوُو الْأَحْسَابِ  
/ فقال له معن : الجواد يعثرُ فَيُمسَحَ وجهه من العثار والغبار وغيرها . [ ٧٠ ]  
وأنشده الضمرى :

أنت امرؤُ هَمُّكَ المَعَالَى      ودَلُّوْكَ مَعْرُوفِكَ الرَّبِيعُ      ١٠

— وروى : « ودون معروفك الربيع » —

وَشَأْنُكَ الْحَمْدُ      تَشْتَرِيهِ      يُشِيعُهُ عَنْكَ مَا يُشِيعُ<sup>(١)</sup>

فقال له : ما أحسن ما قلت ! إلا أنك لم تُسمِنِي ولم تذكُرْنِي ، فمن شاء انتحله .  
وأنشده ابنُ أبي عاصية :

١٥      إن زالَ مَعْنُ بنِ زِيَادٍ<sup>(٢)</sup>      لَمْ يَزُلْ      لِنَدَى إِلَى بَلَدٍ بَعِيرٍ مُسَافِرٍ<sup>(٣)</sup>  
ففضله عليهم .

وروى أنّه أتى معنُ بن زائدة بثلاثمائة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم ، فقال له شاب منهم : يا أخا شيبان<sup>(٤)</sup>، نُنَاشِدُكَ الله أن تقتلنا عطاشا ! فقال : اسقوهم ماء ، فلما

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « من يشيع » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « شريك » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « التقدير :

إن زال معن بن زياد لم يزل لندي بعير مسافر إليه ؛ يعني أن عفاته بعد زواله يتودعون ولا يسافرون لعدم من يقصد » . (٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « يا أخا بني شيبان » .



مربوا قال : يا أخا شيبان ، نناشدك الله أن تقتل أضيادك ! فقال : أطلقوهم .

وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة (١) .

وروى أن عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون ، فقال له : يا أبا العباس ، مَنْ أشعرُ مَنْ قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعرف بهذا مني ، قال : قلْ على كلِّ حال ، قال عبدُ الله : أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة :

أيا قبرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ      مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّاحَةِ مَضْجَعًا (٢)  
أيا قبرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ      وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا  
بَلَى قَدْ وَسَعَتْ الْجُودُ وَالْجُودُ مَيَّتٌ      وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَيَّقَتْ حَتَّى تَصَدَّعًا

والآيات للحسين بن مطير الأسدي ، وهي تزيد على هذا المقدار ، وأولها :  
أَلِمَّا بِمَعْنٍ (٣) ثُمَّ قُولَا لِقَبْرِهِ      سَقَّتْكَ الْغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا  
وفيها :

فَتَى عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ      كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ جَبْرَاهُ مَرْتَمًا  
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى      وَأَصْبَحَ عَرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

(١) وانظر ترجمة معن وأخباره في ( تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٥-٢٤٤ ، وابن خلكان ٢ : ١٠٨ )  
(٢) ( ١١٢ ) . ( ٢ ) الأبيات في ( ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٢ : ٣٩٠-٣٩٢ ) ، وهي أيضا في تاريخ بغداد وابن خلكان .  
( ٣ ) حاشية الأصل ( من نسخة : ) « ألاما على معن » .

## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

[ ٧٥ ] قال سيدنا الشريف الأجل ذوالمجدين / أطال الله بقاءه : إن سأل سائل فقال : ما الوجهُ  
ظ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛  
[ آل عمران : ٢١ ] ، وفي موضع آخر : ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [ آل عمران : ١٨١ ] ؛  
وظاهرُ هذا القول يقتضى أن قتلهم قد يكون بحق . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ  
إِنَّمَا آخِرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [ المؤمنون : ١١٧ ] . وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ  
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ ؛ [ الرعد : ٢ ] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا  
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [ البقرة : ٤١ ] ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ؛ [ البقرة : ٢٧٣ ] ؛  
والسؤالُ عن هذه الآيات كلها من وجهٍ واحد وهو الذى تقدم .

الجواب ، أن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادةٌ معروفةٌ ، ومذهباً  
١٠ مشهوراً ، عند مَنْ تَصَفَّحَ كلامهم وفَهِمَ عنهم . ومرادهم بذلك المبالغة فى النفي وتأكيد  
فمن ذلك قولهم : فلان لا يُرْجى خيره ؛ ليس يُريدون أن فيه خيراً لا يُرْجى ، وإنما غرضهم  
أنه لا خيرَ عنده على وجه من الوجوه ؛ ومثله : قلما رأيتُ مثلَ هذا الرجل ، وإنما يُريدون  
أن مثله لم يرَ لا قليلاً ولا كثيراً ؛ وقال امرؤ القيس :

على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ <sup>(١)</sup> إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافَى جَرَّ جَرًّا <sup>(٢)</sup>

١٥ يصف طريقاً ؛ وأراد بقوله : « لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ » أنه لا منارَ له فَيُهْتَدَى بها .

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « بمنارة » . (٢) ديوانه : ١٠١ ، واللاحب : الطريق

المنقاد الذى لا ينقطع . والمنار : جمع منارة ؛ وهى العلامة التى تجعل بين الحدين ؛ ورواية الديوان : « النباطى »

والعود : المسنن من الإبل ، والدِّيافي : منسوب إلى دِياف ، قرية بالشام معروفة<sup>(١)</sup> .  
وسافه : شمة<sup>(٢)</sup> ، والجرجرة مثل المديرة ؛ وإنما أراد أن العود إذا شمه عرفه فاستبعده ،  
وذكر ما يلحقه فيه من المشقة ، فجر جَر لذلك ؛ وقال ابن أحر :

لا تفرغ الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجر

أراد : ليست بها أهوال فتفرغ الأرنب ؛ وقال النابغة :

يحفه جانبا نيسق وتنبهه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد<sup>(٣)</sup>

أراد : ليس بها رمد فتكحل له ؛ وقال امرؤ القيس أيضا<sup>(٤)</sup> :

وصم حوام ما يقين من الوجى كأن مكان الردف منه على رال

/ يصف حوافر فرسه . وقوله : « ما يقين من الوجى » فالوجى هو الحفا ، و « يقين » [ ٧٦ ]

أى يتوقن ، يقال : وقى الفرس إذا هاب المشى ، فأراد أنه لا وجى بحوافره فيتهيب<sup>١</sup> .  
الأرض من أجله ، والرأل : فرخ النعام ، وشبه إشراف عجزه بعجز الرأل ؛ وقال الآخر<sup>(٥)</sup> :

(١) ت : « وهى قرية » ، وفي معجم البلدان : د وقيل من قرى الجزيرة ، وأهلها نبط الشام .

(٢) م : « شمه وعرفه » . (٣) حاشية ت : « الهاء فى يحفه للحمام ، والنبيق : أرفع موضع

فى الجبل ، ومثل الزجاجية عين المرأة التى وصفها » ، وفى حاشية الأصل : « وقوله :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام سراعٍ وارد الشمد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

— والنمذ : الماء القليل .

وفتاة الحى : هى بنت الحس ، عن الأصمى ، وعن أبي عبيدة : زرقاء اليمامة . وذكر أبو حاتم أنه كان

لهافاة ، ومر بها سرب من القضا بين جبلين ؛ فقالت : ليت هذا الحمام لى ، ونصفه إلى حمامي فيتم لى مائة ؛

فنظروا فإذا هى كما قالت ، وأرادت بالحمام القضا ، وكانت جملة الحمام ستا وستين . وانظر الأبيات وشرحها

فى ديوان النابغة — بشرح البطلينوس ٢٣ ، ٢٤ . (٤) ت ، وحاشيتى الأصل ، ف « يصف

فرسا ، وقوله :

سليم الشظا عبل الشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفالى

— الشظا : عظم مستدق لاصق بعظم الذراع . والحجبة على الورك ، وهما حجبتان مشرفتان على الحاصرتين

فجعهما بما حوا اليهما . والفالى يعنى به الفائل ؛ فقلبه ، والفائل : لحم على خربة الورك ؛ وانظر الديوان : ٦٥ .

(٥) هو أعشى باهلة ؛ من قصيدة يرى بها المنتشر بن وهب .

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ<sup>(١)</sup>  
أَرَادَ : لَيْسَ بِسَاقِهِ أَيْنٌ وَلَا وَصَبٌ فَيَغْمِزُهَا مِنْ أَجْلِهِمَا ؛ وَقَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :  
مِنْ أَنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ<sup>(٢)</sup>

وَلَمْ يَرِدْ أَنْ فِي أَخْلَاقِهِمْ فُحْشًا آجِلًا<sup>(٣)</sup> وَلَا جَزَعًا<sup>(٤)</sup> ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ نَفَى الْفُحْشِ  
وَالْجَزَعِ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فَلَانْ غَيْرُ سَرِيعٍ إِلَى الْخَنَاءِ ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنَّهُ  
لَا يَقْرَبُ الْخَنَاءَ ، لَا نَفَى الْإِسْرَاعِ حَسَبُ . وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ وَهُوَ يَهْجُو ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ كَلَّابٍ ،  
وَيَعْتَرِهُمُ بِقَتْلِ مَنْهُمْ أَصِيبُوا فِي حُرُوبِهِمْ ، فَحَمَلَتِ النِّسَاءُ هَؤُلَاءِ الْقَتْلَى حَتَّى أَتَيْنَ بِهِمْ الْحَى<sup>(٥)</sup> :  
وَلَمْ تَأْتِ عَيْرٌ أَهْلَهَا بِالَّذِي<sup>(٦)</sup> أَنْتَ بِهِ جَعْفَرًا يَوْمَ الْهَضَيْبَاتِ عَيْرُهَا<sup>(٧)</sup>  
أَنْتَهُمْ يَعِيرُ لَمْ تَكُنْ هَجْرِيَّةً وَلَا حِنْطَةَ الشَّامِ الْمَزِيَّتَ خَيْرُهَا

١٠ . يَعْنِي أَنَّ الْعَيْرَ إِنَّمَا تَحْمِلُ التَّمْرَ أَوِ الطَّعَامَ إِلَى الْحَى ، فَحَمَلَتِ عَيْرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْقَتْلَى ، وَقَوْلُهُ :  
« لَمْ تَكُنْ هَجْرِيَّةً » ؛ أَيْ لَمْ تَحْمِلِ التَّمْرَ ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ التَّمْرِ بِهَجَرَ ، ثُمَّ قَالَ : « وَلَا حِنْطَةَ  
الشَّامِ الْمَزِيَّتَ خَيْرُهَا » ، وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ هُنَاكَ حِنْطَةً لَيْسَ فِي خَيْرِهَا زَيْتٌ ؛ لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنَّهَا لَمْ  
لَمْ تَحْمِلْ تَمْرًا وَلَا حِنْطَةً ، ثُمَّ وَصَفَ الْحِنْطَةَ وَمَا يُجْعَلُ فِي خَيْرِهَا مِنَ الزَّيْتِ .

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ ؛ وَهُوَ يُوَافِقُ مَا فِي اللَّائِي : ٧٥ ، وَالْكَامِلِ - بِشَرْحِ الْمَرْصُفِيِّ ٨ : ٢١٢ ؛  
وَرَوَايَةُ جَهْرَةَ الْأَشْعَارِ ٢٨٢ ؛ وَفِي مَلَحَفَاتِ دِيوَانَ الْأَعَشَى ٢٦٨ :

لَا يَتَارَى لِمَا فِي الْقَدْرِ بَرَقْبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ  
لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ

وَهِيَ تُوَافِقُ رَوَايَةَ الْمَوْأَلَفِ فَمَا بَعْدَ . وَالتَّأْرِي : التَّحْبِيسُ وَالْمَكْتُ ، وَالصَّفَرُ : حَبَّةٌ فِي الْبَطْنِ تَعْصُ  
الْمَرْسُوفَ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ . وَلَا يَغْمِزُ السَّاقَ : لَا يَمْنِيهَا وَالْإِفْتِقَارُ : أَنْ يَوْكُلَ الْحَبْزَ قَفَارًا .

(٢) الْفَضْلِيَّاتُ : ١٩٥ . (٣) ت ، د : « خُشَا عَاجِلًا وَلَا آجِلًا » .

(٤) ت ، د ، ف : « وَلَا جَزَعًا غَيْرَ سَيِّئٍ » . (٥) دِيْوَانُهُ ٢ : ٤٥٩ .

(٦) ت ، د ، وَنَسْخَةُ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « كَالَّذِي » . (٧) الْمَضِيَّاتُ : مَوْضِعٌ كَانَ فِيهِ يَوْمٌ  
مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ ؛ هُوَ يَوْمٌ طَخْفَةٌ ؛ ذَكَرَهُ الْبَكْرِيُّ فِي مَعْجَمِ مَا اسْتَمْعَمَ : ١٣٥٤ ، وَأُورِدَ الْبَيْتُ .

وعلى هذا يقع تأويل<sup>(١)</sup> الآيات التي وقع السؤال عنها ، لأنه تعالى لما قال : ﴿ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ دلّ على أن قتلهم لا يكون إلاّ بغير حق ، ثم وصف<sup>(٢)</sup> القتل بما لا بد أن يكون عليه من الصفة ، وهي وقوعه على خلاف الحق ؛ وكذلك : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ، إنما<sup>(٣)</sup> هو وصف لهذا الدعاء ، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان<sup>(٣)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ وجهه أيضا أنه لو كان هناك عمَد / رأيتموه ، فإذا نفى رؤية العمَد نفى وجود العمَد ؛ كما قال : « لَا يَهْتَدِي [ ٧٦ ] بِمَنَارِهِ » ، أي لا منار له من حيث علم أنه لو كان له منار لا هتدي به ، فصار نفى الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ تغليظ وتأكيّد في تحذيرهم الكفر ، وهو أبلغ من أن يقول : « ولا تكفروا به » ، ويجرى مجرى قولهم : فلان لا يسرع إلى الخفا ؛ وقلما رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيّد نفى الخفا ونفى رؤية مثل ١٠ المذكور . وكذلك قوله : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا ﴾ ، معناه لا مسألة تقع منهم ، ومثل الأول : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ والفائدة أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا ، فصار نفى الثمن القليل نفيا لكل ثمن ، وهذا واضح بحمد الله ومّنه .

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « تأويل » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « ولما وصف » .

(٣-٣) ساقط من م .

## بَابُ

فِي ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ الْمُعَمَّرِينَ وَأَشْعَارِهِمْ وَمُسْتَحْسِنِ كَلَامِهِمْ

أَحَدُ الْمُعَمَّرِينَ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَغْلَةَ بْنِ خَالِدٍ<sup>(١)</sup> بْنِ مَالِكِ بْنِ أَدَدٍ<sup>(٢)</sup> الْمَذْحِجِيِّ، وَمَذْحِجٌ<sup>(٣)</sup> هِيَ أُمُّ مَالِكِ بْنِ أَدَدٍ، نَسَبٌ وَلَدَ مَالِكٍ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَذْحِجًا<sup>(٤)</sup> لِأَنَّهَا وَلِدَتْ عَلَى أُكْمَةٍ تَسْمَى مَذْحِجًا، وَاسْمُهَا مُدَلَّةٌ بِنْتُ ذِي مَنَجَشَانَ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ: جَمَعَ الْحَارِثُ<sup>(٦)</sup> بْنُ كَعْبٍ بَنِيهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقَالَ:

«يَا بَنِي، قَدْ أَتَى عَلَى سِتُونَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، مَا صَاحَتُ بِيَمِينِي<sup>(٧)</sup> يَمِينَ غَادِرٍ، وَلَا قَنَمْتُ<sup>(٨)</sup> نَفْسِي بِخُلَّةٍ فَاجِرٍ، وَلَا صَبَوْتُ بِابْنَةٍ عَمٍّ وَلَا كَنَنَةٍ، وَلَا طَرَحْتُ عِنْدِي مُوسِمَةَ قِنَاعِهَا، وَلَا بَحْتُ لَصَدِيقٍ بَسَرٍ، وَإِنِّي لَعَلِّي دِينَ شَعِيبِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرِي، وَغَيْرَ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَتَمِيمِ بْنِ مُرَّةٍ، فَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي، وَمُوتُوا عَلَى شَرِيعَتِي: إِلَهُكُمْ فَاتَّقُوهُ يَكْفِيكُمْ الْمَهْمَ مِنْ أُمُورِكُمْ، وَيُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ؛ وَإِيَّاكُمْ وَمَعْصِيَتَهُ<sup>(٩)</sup>، لَا يُحِلُّ بِكُمْ الدِّمَارَ، وَيُبْوَحِشُ مِنْكُمْ الدِّيَارَ. يَا بَنِي، كُونُوا جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا فَتَكُونُوا شَيْعًا، وَإِنْ مَوْتًا فِي عَزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ، وَكُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ كَائِنٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَمِيعٌ إِلَى تَبَايُنٍ. الدَّهْرُ<sup>(١٠)</sup> صَرْفَانُ: فَصَرْفٌ رَخَاءٌ، وَصَرْفٌ بِلَاءٌ<sup>(١١)</sup>، وَالْيَوْمُ يَوْمَانُ: فَيَوْمٌ حَبْرَةٌ، وَيَوْمٌ

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ: «ذَكَرَ س: هَذَا سَهُوٌ، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو

ابْنِ عُلْبَةَ بْنِ جُلْدِ بْنِ مَالِكٍ. وَوَعْلَةُ وَخَالِدٌ تَصْخِيفٌ وَغُلَطٌ».

(٢) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ، ت: «صَرَفَتِ الْعَرَبُ «أَدَا»، وَلَمْ يَجْمُلُوهُ مِنْ بَابِ عَمْرِ وَزَفَرٍ».

(٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ: «ذَكَرَ س: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ: مَذْحِجٌ هِيَ أُخْتُ مُدَلَّةٍ، وَاسْمُهَا

مُدَلَّةٌ بِنْتُ مَنَجَشَانَ بْنِ كَلَةَ بْنِ زَدْمَانَ. مِنْ حَمِيرٍ». (٤) حَاشِيَةُ ت: «بُخَطَ ش: الصَّوَابُ أَلَّا تَصْرِفَ

مَذْحِجٌ لِلتَّأْنِيثِ وَالنَّعْرِيفِ». (٥) س: «مَهْجَشَانُ»، ت: «هَمْجَشَانُ».

(٦) لَمْ يَذْكُرْ فِيمَا طُبِعَ مِنْ أَخْبَارِ الْمُعَمَّرِينَ لِأَبِي حَاتِمٍ. (٧) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ): «

«مَا صَاحَتُ يَمِينِي». (٨) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ): «قَعَتُ»، بِاسْكَانِ التَّاءِ.

(٩) ت: «وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ». (١٠-١١) ش: «وَالدَّهْرُ ضَرْبَانُ: فَضَرْبٌ رَخَاءٌ، وَضَرْبٌ بِلَاءٌ».

عَبْرَة ، والناس رجالان : فرجل مَعَكَ ورجل عَلَيْكَ ، وتزَوَّجُوا الأَكْفَاءَ ، وليستَعْمِلْنَ فِي  
فِي طَيِّبِهن الماء ، وتجنَّبُوا / الحَمَاءَ ؛ فَإِنْ وَلَدَهَا إِلَى أَفْنٍ مَا يَكُونُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَارَاحَةَ لِقَاطِعِ الْقِرَابَةِ ، [٧٧]  
وإذا اختلف القومُ أَمَكْنُوا عَدُوَّهُمْ مِنْهُمْ ، وآفَةُ الْعِدَدِ اخْتِلَافُ الْكَلِمَةِ ؛ وَالتَّفَضُّلُ بِالْحُسْنَةِ يَبْقَى  
السَّيِّئَةِ ، وَالْكَافَأَةُ بِالسَّيِّئَةِ الدَّخُولُ فِيهَا . الْعَمَلُ السَّوْءُ يُزِيلُ النِّعَمَاءَ ، وَقِطِيعَةُ الرَّحِمِ تُورِثُ  
الْهَمَّ ، وَانْتِهَاكَ الْحَرَمَةِ يُزِيلُ النِّعْمَةَ ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ يَمُقِبُ النَّسَكُ ، وَيَحِقُّ الْعِدَدُ ، وَيُخْرِبُ ٥  
الْبَلَدَ ، وَالنَّصِيحَةُ تَجْرُ الْفَضِيحَةَ ، وَالْحَقْدُ يَمْنَعُ الرَّفْدَ ، وَلِزُومِ الْخَطِيئَةِ يَمُقِبُ الْبَلِيَّةُ ، وَسَوْءُ الرَّعَّةِ  
يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمَنْفَعَةِ ، وَالضَّغَائِنُ تَدْعُو إِلَى التَّبَايُنِ » ؛ ثُمَّ أُنْشَأَ يَقُولُ :

أَكَاثُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ دُهُورٍ دُهُورًا  
ثَلَاثَةُ أَهْلَيْنَ صَاحِبَتُهُمْ فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخًا كَبِيرًا  
قَلِيلَ الطَّعَامِ عَسِيرَ الْقِيَامِ قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ خَطَوِي قَصِيرًا  
أَيُّتُ أَرَاغِي نُجُومَ السَّمَاءِ أَقْلَبُ أُمْرِي بُطُونًا ظُهُورًا ١٠

قوله : « وَلَا صَبُوتٌ بَابِنَةِ عَمٍ وَلَا كِنَّةٌ » ، الصَّبُوتُ هِيَ رَقَّةُ الْحُبِّ ، <sup>(١)</sup> وَالْكِنَّةُ . أَمْرًا  
أَخَى الرَّجُلِ وَامْرَأَةُ ابْنِ أَخِيهِ <sup>(٢)</sup> .

فَأَمَّا الْمَوْسَةُ ، فَهِيَ الْفَاجِرَةُ الْبَغْيِيَّةُ ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « إِنَّهَا لَمْ تَطْرَحْ عِنْدَهُ قِنَاعَهَا » أَيْ لَمْ  
تَقْبَلْ <sup>(٣)</sup> عِنْدَهُ وَتَتَبَسَّطْ ، كَمَا تَفْعَلُ مَعَ مَنْ يَرِيدُ الْفِجْجُورَ بِهَا . ١٥

وقوله : « فَيَوْمَ حَبْرَةٍ وَيَوْمَ عَبْرَةٍ » ، فَالْحَبْرَةُ : الْفَرَحُ وَالسَّرُورُ ، وَالْعَبْرَةُ تَكُونُ مِنْ  
مِنْدَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْعَبْرَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ مُحْزَنٍ مَوْءَلُمٍ .

وَأَمَّا الْأَفْنُ ، فَهُوَ الْخُتْمُ ؛ يُقَالُ : رَجُلٌ أَفْنٌ ؛ إِذَا كَانَ أَحْمَقَ ؛ وَمِثْلُ مَنْ أَمْثَلَهُمْ :  
« وَجَدَانُ الرِّقِينَ يُغَطِّي عَلَى أَفْنِ الْأَفْنِ » ، أَيْ وَجَدَانُ الْمَالِ يَنْطَوِّي عَلَى مُخْمَقِ الْأَحْمَقِ ،  
وَوَاحِدُ الرِّقِينَ رِقَّةٌ ، وَهِيَ الْفَضَّةُ . ٢٠

(١-١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) « وَالْكِنَّةُ هِيَ امْرَأَةُ ابْنِ الرَّجُلِ وَامْرَأَةُ أَخِيهِ » .

(٢) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت : « لَمْ تَقْبَلْ » .

فأما قوله : « النصيحة تَجِرُ الفضيحة » ، فيشبه أن يكون معناه أن النَّصِيحَ إذا نَصَحَ لمن لا يقبل نصيحته ، ولا يُصْغِي إلى موعظته فقد افتضحَ عنده ؛ لأنه أفضى إليه بسرّه وباح بمكنون صدره .

فأما « سوء الرّعة » ، فإنه يقال : فلان حَسَنُ الرّعة والتورّع ، أى حَسَنُ الطريقة .

\*\*\*

٥ ومن المعمرين المستوغر ، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ابن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وإنما سمى المستوغر بيت قاله ، وهو :

[ ٧٧ ] / يَنْشُ الْمَاءُ فِي الرَّبْلَاتِ مِنْهَا نَشِيشَ الرَّضْفِ فِي اللَّبَنِ الْوَغِيرِ<sup>(١)</sup> ط

الرّبْلَات : واحدتها ، رَبْلَة ، ورَبْلَة ، بفتح الباء وإسكانها ، وهى كلّ لحمة غليظة ؛

١٠ هكذا ذكر ابن دريد .

والرّضْف : الحجارة المحماة ، وفى الحديث : « كأنه على الرّضْف » ؛ واللبن الوغير : لبن تُنْقَى فيه حجارة مُحَمَّاة ثم يشرب ، أَخَذَ مِنْ وَغْرَةِ الظَّهيرة ، وهى أشد ما يكون من الحرّ ؛ ومنه : وَغِرَ صدر فلان يَوْغَرُ وَغْرًا ، إذا التهب من غضبٍ أو حقد .

وقال أصحاب الأنساب : عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين ، وأدرك الإسلام أو كاد

١٥ يدرك أوله .

وقال ابن سلام : .. كان<sup>(٢)</sup> المستوغر قديماً ، وبقي بقاءً طويلاً حتى قال :

وَلَقَدْ سَمِئْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعَمَرْتُ<sup>(٣)</sup> مِنْ عَدَدِ السَّنِينَ مِثْلَيْنَا  
مِائَةً أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا  
هَلْ مَا نَقَى<sup>(٤)</sup> إِلَّا كَمَا قَدْ فَاتَنَا يَوْمٌ يَكُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

(١) ت : « ذى الربلات » ، د : « بالربلات » والبيت فى اللسان ( وغر ) ، والمعمرين ٩-١٠

(٢) طبقات الشعراء : ٢٩٠-٣٠٠ . (٣) فى الطبقات : « وازددت » .

(٤) نقى ؛ بالألف ، يريد نقى ، بالياء : لغة طائية .



وهو القائل :

إِذَا<sup>(١)</sup> مَا الْمَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ<sup>(٢)</sup> وَأُودَى سَمُّهُ إِلَّا نِدَايَا<sup>(٣)</sup>  
وَلَاعَبَ بِالْعَشِيِّ بَنَى بَنِيهِ كَفَعَلَ الْهَرُّ يَحْتَرِشُ الْعِظَايَا  
يَلَاعِبُهُمْ وَوَدَّوْا لَوْ سَقَوْهُ مِنَ الذَّبَّانِ مُتَرَعَّةً مِلَايَا<sup>(٤)</sup>  
فَلَا ذَاقَ النَّعِيمَ وَلَا شَرَّابًا وَلَا يُشْفَى مِنَ الْمَرَضِ الشَّفَايَا ٥

أراد بقوله : « صَمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ » ، أى لم يسمع ما يكلم به ، فاختصر ؛ ويجوز أن يريد أنه لم يكلم للناس من استماعه فأعرض عن خطابه لذلك . وقوله : « وَأُودَى سَمُّهُ إِلَّا نِدَايَا » أراد أن سممه هلك ؛ إلا أنه يسمع الصوت العالى الذى ينادى به .

وأما قوله : « وَلَاعَبَ بِالْعَشِيِّ بَنَى بَنِيهِ » ، فإنه مبالغة فى وصفه بالهرم والحرف ، وأنه قد تنافى إلى ملاعبة الصبيان وأنسهم به . ويشبه أن يكون خصَّ العشي بذلك لأنه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها .

وقوله : « يَحْتَرِشُ الْعِظَايَا » / أى يصيدها ، والاحتراش أن يقصد الرجل إلى جُحْر<sup>[٧٨]</sup> ، الضَّب فيضربه بكفه ليحسبه الضب أفعى ، فيخرج إليه فيأخذه ، يقال : حَرَشْتُ الضَّبَّ ، واحترشته ؛ ومن أمثالهم : « هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرَشِ » ، يضرب عند الأمر يُستعظم ، ويتكلم بذلك على لسان الضب . قال ابن دريد : قال الضب لابنه : اتَّقِ الْحَرَشَ ، قال : ١٥ وما الحرش ؟ قال : إذا سمعت حركة بباب الجُحْرِ فلا تخرج ؛ فسمع يوماً وقع الحِخْفَار فقال : يَا أَبَتِ ، أَهَذَا الْحَرَشُ ؟ فقال : « هَذَا أَجَلٌ مِنَ الْحَرَشِ » ؛ فجعل مثلاً للرجل إذا سمع الشئ الذى هو أشد مما كان يتوقعه .

(١) الأبيات فى طبقات الشعراء : ٣٠ ، وحلقة البحترى ٣٢٤ ( ورواها همزية ) ، ومعجم الشعراء : ٢١٣ ، وفى حاشية الأصل : « ذكر س قال : « قرأت س قال : قرأت بخط عبد السلام البصرى رحمه الله أن هذه القطعة : إذا ما المرء ... لعسكلان بن ذى كواهن الحميرى » . (٢) فى الطبقات ومعجم الشعراء : « فلم ياجى » . (٣) فى حاشية الأصل ، ت : « إنما قلب الهمزة فى ندايا وشفايا وغيرها ياء لأنه لو قال : شفاءا لكانت تحصل همزة يكتنفها ألفان ، والألف قريب من الهمزة ، فإذا اجتمع ألفان مع همزة صار كأنه قد حصل قريب من الهمزتين ؛ فلما كان كذلك أبدل من الهمزة ياء » .

والذَّيْفَان: السَّم . والعظايا : جمع عَظَايَا ، وهى دَوَّيَّة صغيرة معروفة<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وأحد المَعْمَرَيْن دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد بن زَيْد بن لَيْث بن سُود<sup>(٢)</sup> بن أَسْلَم<sup>(٣)</sup> بن الْحَافِ<sup>(٤)</sup> بن قُضَاعَةَ بن مَالِك بن مَرَّة بن مَالِك بن حَمِير .

قال أبو حاتم : " عاش دُوَيْد بن زَيْد أربعاً مائة سنة وستاً وخمسين سنة " قال ابن ذريرد : لما حضرت دُوَيْد بن زَيْد الوفاة وكان من المَعْمَرَيْن ، قال : ولا تَعُدُّ العرب مَعْمَرًا إِلَّا مَنْ عاش مائة وعشرين<sup>(٥)</sup> سنة فصاعداً - قال لَبْنِيه : « أوصيكم بالناس شراً ، لا تَرْتَحِمُوا لَهُمْ عَبرَةً ، ولا تُقِيلُوهُمْ<sup>(٦)</sup> عَثْرَةً ، قَصِّرُوا الأَعْنَة ، وطولُوا<sup>(٧)</sup> الأَسَنَةَ ، وأطعمُوا<sup>(٨)</sup> شِزْرًا ، واضربوا هَبْرًا ؛ وإذا أردتم المحاجزة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجز لا المحالة ، بالجد لا بالكد . التجلُّد ولا التبلُّد ، والمنية ولا الدَّنيَّة . لا تأسوا على فائت وإن عزَّ فَقْدُهُ ، ولا تحنوا إلى ظاعن ١٠ وإن أَلِفَ قُرْبُهُ ، ولا تطعموا فتطمعوا ، ولا تهنؤا فتخرعوا ، ولا يكون<sup>(٩)</sup> لكم المثلُ السوء ؛ إنَّ الموصيَّ بنو سَهْوان . إذا مِتُّ فارجبوا<sup>(١٠)</sup> خطَّ مضجعي ، ولا تَضُنُّوا على رُحبي الأرض ، وما ذلك بمؤدٍّ إلى رَوْحًا<sup>(١١)</sup> ؛ ولكن راحة نَفْسٍ<sup>(١٢)</sup> خامرها الإشفاق . » ثم مات

قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر إنه قال :

- 
- (١) وانظر أخبار المستوفى في العمرين : ٩ ، وطبقات الشعراء : ٢٩ - ٣٠ ، ومعجم الشعراء : ٢١٣ - ٢١٤ .  
 (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « سويد » . (٣) حاشية الأصل : « بضم اللام » .  
 (٤) حاشية الأصل : « الحاف » ، بقطع الألف كأنه جمع خف ؛ كذا وجدته مضبوطاً في النسخة المقروءة على ابن خروازد الجيرى ؛ وهو الصحيح ، والحاف موصولاً أيضاً يقال « .  
 (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « مائة وستا وعشرين » . (٦) ت : « ولا تقبلوا لهم »  
 (٧) ت : « وأطولوا » . (٨) حاشية ت : طعن بالرمح يطعن [ بضم العين ] ، وباللسان يطعن [ بفتح العين ] . (٩) ش : « ولا يكن » . (١٠) حاشية ت : « بخط ش : « فارجبوا »  
 بالقطع وكسر الحاء . (١١) حاشية ت ( من نسخة ) : « نفما » . (١٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « حاجة نفس » .

اليَوْمَ يُبْنَى (١) لِدَوْدَ بَيْتُهُ يَارُبَّ هَبْ (٢) صَالِحِ حَوَيْتُهُ  
وَرُبَّ قِرْنٍ (٣) بَطَلَ أَرْدَبَتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ  
وَمِعَصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْتُهُ  
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

ومن قوله أيضا :

[ ٧٨ ]  
ظ

/ ألقى على الدهر رجلاً وبدأ والدهر ما أصلح يوماً أفسدًا  
يفسد ما أصلحه اليوم غدا

قوله : « اطعنوا شزراً ، واضربوا هبراً » ، معنى الشزُر أن يطعنه من إحدى ناحيتيه ،  
يقال: قتلَ الجبلَ شزراً إذا قتلته على الشمال ، والنظر الشزُر : نظرٌ بمؤخر العين ؛ وقال الأصمى :  
نظر إلى شزراً إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله ، وطعنه شزراً كذلك .  
وقوله : « هبراً » ، قال ابن دريد : يقال هبرت اللحم أهبرُهُ هبراً إذا قطعتَه قطعاً  
كباراً ، والاسم الهبرة والهبرة ، وسيف هبارٌ وهابرٌ ، واللحم هبيرٌ ومهبورٌ . والمُحالة :  
الحيلة (٤) .

وقوله : « بالجَدِّ لا بالسكِّد » ؛ أى يدرك الرجل حاجته وطيبته بالجَدِّ ، وهو الحظ  
والبخت ، ومنه رجل مجدودٌ ، فإذا كسرت الجيم فهو الانكاش في الأمر والمبالغة فيه .  
وقوله : « التجلد ولا التبلد » ؛ أى تجلِّدوا ولا تتبلِّدوا .

وقوله : « فتطبعوا » ، أى تدنَّسوا ، والطَّبعُ الدنس ، ويقال طَبِعُ السيفُ يطبعُ  
طَبْعاً ، إذا ركبهُ الصِّدأ ؛ قال ثابت قطنة (٥) العتكي :

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ وَغُفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي (٦)

(١) حاشية ف ( من نسخة ) : « بدنى » . (٢) النهب : الغنيمة تنهب .  
(٣) القرن : الذى يلقاك لبقاً وملك . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ت : « قد قيل إن المحالة يعى  
بها الآلة التى يستقى عليها ، وهى مثل البكرة » . (٥) حاشية ت : « ويقال : قطبة » .  
(٦) الغفة : البلغة من العيش ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

وقوله : « ولا تهنوا فتخرعوا »؛ فالوهن الضعف ، والخراع وانحرأة: اللين ، ومنه سميت الشجرة الخروع للينها، وقوله : « إنَّ الوصَّين بنو سهوان »؛ فالوصون جمع موصى، وبنو سهوان ضربه مثلاً ، أى لا تكونوا ممن تُقدِّم إليهم فسَّهَوْا وأعرضوا عن الوصية ، وقالوا : إنه يُضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ذمة؛ ومعناه أن الذين يحتاجون أن يوصَّوا بحوائج إخوانهم هم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم ؛ وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتى .  
وقوله : « فارحبوا »؛ أى أوسعوا، والرَّحْب السعة ، والروح : الراحة .  
وقوله فى الشعر : « ورب غَيْل »؛ فالغَيْل الساعدُ الممتلئ . والمعصم : موضع السوار من اليد<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن  
١٠ عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن  
الحاف بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

[ ٧٩ ] / قال أبو حاتم : " عاش زهيرُ بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتي وقعة ،  
وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى قومه ، ويقال : كانت فيه عَشْرُ خِصال لم يجتمعن فى غيره من أهل  
زمانه ، كان سيدَ قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم  
١٥ — والطَّبُّ فى ذلك الزمان شرف — وحازى قومه — والحِزاة الكُهان — وكان فارسَ قومه ، وله  
البيت فيهم ، والعدد منهم " .

وأوصى بنيه فقال : « يا بنى ، قد كبرت سنّى ، وبلغتُ حَرَساً من دهرى ، فأحكمتنى  
التجارب ، والأمورُ تجربةً واحتيالاً ؛ فاحفظوا عني ما أقول وعُوه ، إياكم والخور عند المصائب  
والتواكل عند النوائب ، فإنَّ ذلك داعيةٌ لانم ، وشمانةٌ للعدو ، وسوء ظن بالرب

(١) وانظر ترجمة دويد وأشعاره فى (طبقات الشعراء ٢٧-٢٨ ، والمعمرين ٢٠-٢١ ، والمختلفة  
والمؤتلف من الشعراء ١١٤-١١٥ ، والاشتقاق ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥١ ، والقاموس - دود)

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ماسخِر قومٍ قطُّ  
إلا ابتلوا ، ولكن توعموها ، فإنما الإنسان في الدنيا غرض تماوره الرّماة ، فمقصرٌ دونه  
ومجاوزٌ لموضعه ، وواقعٌ عن يمينه وشماله ؛ ثم لا بدّ أنّه مصيبه .

قوله : « حرّساً من دهرى » ، يريد طويلاً منه ، والحرس من الدهر : الطويل ،  
قال الراجز :

\* في سنّبة عشنا بذلك حرّساً \*

السنّبة : المدة من الدهر . والتواكل : أن يكِل القومُ أمرهم إلى غيرهم ، من قولهم :  
رجلٌ وِكِلٌ ، إذا كان لا يكفي نفسه ، ويكِلُ أمره إلى غيره ؛ ويقال : رجلٌ وُكَلّةٌ تُكَلّة .  
والغرض : كلُّ ما نصبته للرمى . وتماوره ، أى تداوله .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وقد ضمّن ابن الرومى<sup>(١)</sup> معنى قول زهير بن جناب : ١٠  
« الإنسان في الدهر غرض تماوره الرّماة ، فمقصرٌ دونه ومجاوزٌ له ، وواقعٌ عن يمينه  
وشماله ، ولا بدّ أن يصيبه » أبياتاً ، فأحسن كلّ الإحسان ؛ والأبيات :

كفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ<sup>(٢)</sup> الْمَنَايَا لِيَايَا  
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِرَايِ الْمَنَايَا تَحْسِبِي نَاجِيَا  
غَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي<sup>(٣)</sup> أَخْلِقُ أَنْ يُصِيبَنَ سَوَادِيَا ١٥  
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلَا يُرَى فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا

أما البيت الأخير ، فإنه أبدع فيه وغرّب<sup>(٤)</sup> ، وما علمتُ أنّه سبق إلى معناه ؛ لأنه [ ٧٩ ]  
جَلَّ الشَّبابُ كاللَّيْلِ السَّاتِرِ عَلَى الْإِنْسَانِ ، الْحَاجِزِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ أَرَادَ رَمِيَهُ لظُلْمَتِهِ

(١) حاشية الأصل : « كان ابن الرومى متشيعاً ، وكان مقلداً للشعر واللغة ؛ بحيث يقول لتلامذته :  
أعرضوا شعري على نعلب ، فما أنكر من نحوه فخذوه ، وما أنكر من لفته فلا تلقوا إليه ؛ فإنى أعلم منه  
باللغة » . (٢) ش : « إلى من أضلته » . حاشية ت ( من نسخة ) : « له من أضله » .

(٣) ت ، ونسخة بحاشية الأصل : « لشخصى وأخلق » . (٤) ت : « وأغرب » .

والشيبَ مبدئاً لمقاتله، هادياً إلى إصابته لضوئه وبياضه ، وهذا في نهاية حسن المعنى .

وأراد بقوله : « رمانى » أى أصابنى ؛ ومثله قول الشاعر :

فلَمَّا رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوَادَهُ      وَلَا بَدَأَ أَنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يُرْمَى

وكان زهيرُ بن جَنَابٍ على عهدِ كُثَيْبٍ وائل ، ولم يكن فى العرب أنطقُ من ز  
• ولا أوجَه عند الملوك ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً، ولم تُجَمَّع قُضَاعَةٌ إلَّا عليه وعلى  
ابن ربِيعَة .

وسمع زهيرٌ بعضَ نسائه تتكلم بما لا ينبغى لمرأة تتكلم<sup>(١)</sup> به عند زوجها ، فنه  
فقلت له : اسكتْ عَنى وإلَّا ضربْتُك بهذا العمود ، فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تَعِ  
فقال عند ذلك :

١٠      أَلَا لَقَوْمٍ لَا أَرَى النَّجْمَ طَالِمًا      وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا حَاجَتِي يَمِينِي  
مُعَزَّتِي بَنَى عِنْدَ الْقَفَا بَعْمُودَهَا      يَكُونُ نَكِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي  
أَمِينًا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا      أَكُونُ عَلَى الْأَسْرَارِ غَيْرَ أَمِينِ  
فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجٍ<sup>(٢)</sup> مُوْطَأٍ      مَعَ الظَّعْنِ لَا يَأْتِي الْمَحَلَّ لِجِينِي

وهو القائل :

١٥      أَبْنَى إِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ      أَوْرَثْتُكُمْ مَجْدًا بَنِيَّةً  
وَتَرَكْتُكُمْ أَرْبَابَ سَا      دَاتٍ زِنَادُكُمْ وَرِيَّةً  
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى      قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّجِيَّةَ  
وَلَقَدْ رَحَلْتُ الْبَازِلَ الـ      كَوْمَاءَ نَيْسَ لَهَا وَلِيَّةً  
وَخَطَبْتُ خُطْبَةً حَازِمَ      غَيْرِ الضَّعِيفِ<sup>(٣)</sup> وَلَا الْعِيَّةِ

(١) ت : « أن تتكلمه » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الحدج : مركب من مرا

النساء ؛ كالخفة ؛ وجمعه أحداج وحدوج ؛ والحداجة لغة فيه ؛ عن يعقوب ، والجمع الحدائج » .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « لا بالضعيف » .

فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى  
فَلَيْسَ لَكَنْ وَهَ بَيْتِيَّةُ  
لَ وَقَدْ يُهَادَى بِالْمَشِيَّةِ

/وهو القائل :

[ ٨٠ ]

و

لَيْتَ شِعْرِي وَالدهرُ ذُو حَدَثَانِ  
أَيَّ حِينٍ مَذِيبَتِي تَلْقَانِي !  
أَسْبَاتٌ عَلَى الْفِرَاشِ خُفَاتُ  
أَمْ بَكَفَى مُفْجَعِ حَرَّانِ (١) !

٥

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره :

لَقَدْ عُمِرْتُ حَتَّى مَا أُبَالَى  
أَحْتَقِي فِي صَبَاحِي أَمْ مَسَائِي !  
وَحَقٌّ لِمَنْ أَتَتْ مَائَتَانِ عَامًا  
عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ التَّوَاءِ

قوله : « مُعْرِبَتِي » يعني امرأته ، يقال : معرَّبة الرجل وظلمته وحنَّته ؛ كل ذلك امرأته .

١٠

وقوله : « أَمِينَا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ » ، السرّ : خلاف العلانية ، والسرُّ أيضا : النكاح ، قال الحطيئة :

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارِهِمْ عَلَيْهِمْ  
وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ (٢)

وقال امرؤ القيس :

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِّي  
كَبِرْتُ وَالْأَيُّحُسْنُ السَّرَّ أَمْثَالِي (٣)

١٥

(١) حاشية الأصل : « السبات ، أصله النوم ، ويريد به الموت ، وقد قيل : النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ؛ يقول : ليت شعري : أألموت حنط أنفي على فراشي ، أم يقتلني متأثر عطشان إلى دمي ! » .  
(٢) ديوانه : ٩٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « أنف الفصاع أول ما يعرف من الفدر فيكون أدم » ، وفي شرح الديوان : « يقول : يؤثرون جارهم بالطمع على أنفسهم ، فيأكل صفوة طعامهم قبلهم ، وأنف كل شيء أوله . (٣) ديوانه : ٣ » ، وقد ضبط قوله : « لا يحسن » ، بالضممة والفتحة معا ، في الأصل ، وفي حاشيتهما : « الرفع على إضمار الهاء ، والنصب على اللفظ » ، وفي حاشية الأصل ( من نسخة ) : « وألا يشهد » .

وكلام غير يحتمل الوجهين جميعاً ، لأنه إذا كبر وهريم لم تهيبه النساء أن <sup>(١)</sup> يتحدثن بحضرتة بأسرارهن <sup>(٢)</sup> ، تهاونا به ، أو تعويلا على ثقل سمعه ، وكذلك هريمه وكبره يوجبان كونه أمينا على نكاح النساء امجزه عنه .

وقوله : « حِداجٌ مُوطَّأٌ » ، الحِداج <sup>(٣)</sup> : مَرَكَبٌ من مراكب النساء ، والجمع أحداج

٥ وُحدوج .

والظُّمُنُ والأُظمان : الهودج ، والظعينة المرأة في الهودج ؛ ولا تُسمى ظعينة حتى تكون في هودج ، والجمع ظلعائن ؛ وإنما خبر عن هريمه ، وأن موته خيرٌ من كونه مع الظُّمُن في جملة النساء .

وقوله : « زنادكم وريته » : الزناد : جمع زندي وزندة ، وهما عودان يُقدحُ بهما النار ، وفي ١٠ أحدهما فروض ، وهي تُقَبُّ ؛ فالتى فيها الفروض هي الأنثى ، والذى يُقدح بطرفه هو الذَّكَرُ ، ويسمى الزند الأب ، والزندة الأم . وكنتى « بزنادكم وريته » عن بلوغهم مأربهم ؛ تقول العرب : وريت بك زنادى ؛ أى نلت بك ما أحب من النجج والنجاة ، ويقال لارجل الكريم : وارى الزناد .

[ ٨٠ ظ ] / فأما التحية ، فهي المُلك ، فكأنه قال : من كل ما نال الفتى قد نالته إلا المُلك ؛ وقيل ١٥ التحية هاهنا : الخلود والبقاء .

والبازل : الناقة التى بلغت تسع سنين ، فهي أشدُّ ما تكون ، ولفظُ البازل فى الناقة والجمل سواء .

والكُوماء : العظيمة السنام . والولية : برذعة تُطرح على ظهر البعير تلى جلده .  
والبَجال : الذى يُبجِّلُه قومُه ويمظِّمونه . وقوله : « يهادى بالمشية » ، أى يمشيه الرجال ٢٠ فيُسندونه لضعفه . والتهادى : المشى الضعيف .

(١-١) ت : « تتحدث بحضرتة بأسرارها » (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « القياس

حدج [ بضمين ] فى جمع حداج ؛ إلا أن يكون نادرا ؛ كظروف فى جمع ظريب .



وقوله: «أسُبَّاتٌ»، فالسُّبَّات : سكون الحركة ، ورجل مسبوت ، والخُفَّات : الضعف  
أيضا ، يقال : خَفَّتْ<sup>(١)</sup> الرجل إذا أصابه ضَمَفٌ من مرض أو جوع .  
والفَجَّع : الذى رَجَعَ بولده أو قرابة . والحرَّان : العطشان المتهب<sup>(٢)</sup> ، وهو هاهنا  
المحزون على قتله .

ومما يروى لزهير بن جناب :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيبًا      فَأَكْثَرُ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي  
فَمَا سَلَى حَبِيبَكَ مِثْلُ نَأَى      وَمَا أَبْلَى جَدِيدَكَ كَأَبْتَدَالِ<sup>(٣)</sup>



(١) ش : « خفت » ؛ بالبناء للمجهول . (٢) ش : « المتهب » .

(٣) وانظر ترجمة زهير بن جناب وأشعاره وأخباره في (أخبار المعربين ٢٤-٢٩ ، والأوتل والخلف  
من أسماء الشعراء ١٣٠ ، وطبقات الشعراء : ٣٠ ، والأغاني ٢١ : ٦٣-٦٨ ، والشعر والشعراء ٣٣٩-٣٤٢ ،  
وتاريخ ابن الأثير ١ : ٢٩٩-٣٠١) .

## مَجْلِسُ الْخَرِّ

ومن المعمّرين ذو الإصبع العدواني ، واسمه حُرثانُ بْنُ مُحَرَّرِ بْنِ الحارثِ بْنِ ربيعةِ ابنِ وَهَبِ بْنِ ثعلبةِ بْنِ ظَرِبِ بْنِ عمرو بْنِ عِيَادٍ<sup>(١)</sup> بْنِ يَشْكُرَ بْنِ عَدُوَانَ . وهو الحارثُ بْنُ عمرو بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ بْنِ مَضَرَ<sup>(٢)</sup> .

وإنما سُمي الحارثُ عَدُوَانَ ، لأنه عَدَا على أخيه؛ فهِمَّ<sup>(٣)</sup> بقتله ، وقيل : بل قَتَمَا عينه ، وقيل : إن اسمَ ذُو الإصْبَعِ مُحَرَّرُ بْنُ حُرْثَانَ ، وقيل : حُرْثَانُ بْنُ حَوْبَرِثَ ، وقيل : حُرْثَانُ ابنِ حارِثَةٍ ، ويكْتَنى أبا عدوان .

وسبب لقبه بذِي الإصْبَعِ أَنَّ حِيَةَ نَهَشَتْهُ على إصْبَعِهِ فَشَتَّتْ ، فسمى بذلك . ويقال : إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاش ثلاثمائة سنة .

وهو أحد حكام العرب في الجاهلية . وذكر الجاحظ أنه كان أَثَرَمَ<sup>(٤)</sup> وروى عنه :

لَا يَبْعَدُنْ عَهْدُ الشَّبَابِ وَلَا لَذَائُهُ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ<sup>(٥)</sup> ١٠

لَوْلَا أُولَئِكَ مَا حَقَلْتُ مَتًى غُولِيْتُ فِي حَرَجٍ<sup>(٦)</sup> إِلَى قَبْرِى

(١) ش : « عباد بن يشكر » . (٢) حاشية الأصل : « قال ش : هو قيس عيلان ؛ وليس

بقيس بن عيلان ، وهو لقب للناس بن مضر ، والناس أخو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقيل : عيلان اسم فرسه فغلب عليه ، وقيل : بل عيلان لقب مضر بن نزار ، لأنه يقال قيس بن عيلان ؛ قال زفر بن الحارث :

أَلَا إِنَّمَا قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ بَقَّةٌ إِذَا وَجَدَتْ رِيحَ الْمُصِيرِ تَغَنَّتْ

(٣) ش : « فهم فقتله » . (٤) حاشية الأصل : « الأثرم : الذي سقطت مقادير أسنانه » .

(٥) في حاشية الأصل ، ت : « إن جررت النضر بدلا من الماء في » نباته « تخلصت من الإقواء ؛ ولك

أن تقول : « النضرى » مندوبا كقوله : « والدهر بالإنسان دوارى » ، ويجوز أن يعطف على الشباب » .

(٦) حاشية ت ( من نسخة ) : « حرجى » والخرج : سرير الموتى .

[ ٨١ ] / هَزَيْتُ أَثِيَّاتُ أَنْ رَأَتْ هَرَمِي وَأَنْ ائْحَى لِتَقَادُمِ ظَهْرِي

وكان<sup>(١)</sup> لدى الإصباح بنات أربع ، فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن : خِدْمَتُكَ وقربك أحبُّ إلينا . ثم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه ، فقلن : لَتَقُلَّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَّا مَا فِي نَفْسِهَا ، فقالت الكبرى :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيعُهَا أَثَمُّ كَنْصَلِ السِّيفِ عَيْنُ مُهَنْدٍ<sup>(٢)</sup> .  
عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا انْتَمَى مِنْ سِرِّ أَهْلِي وَمَحْتَدِي<sup>(٣)</sup> .  
ويروى « من أهل سري ، ومن أصل سري ومحتدي » .

فقلن لها : أنتِ تريدين ذا قرابة قد عرفته . ثم قالت الثانية :  
أَلَا كَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنْاسٍ أَدْلَى عَدْدِي<sup>(٤)</sup> حَدِيثُ الشَّبَابِ طَيْبُ الثَّوْبِ<sup>(٥)</sup> وَالْعِطْرِ  
ويروى : « أولى غنى » .

لَصُوقُ بَأْ كِبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَى وَتَرٍ<sup>(٦)</sup> .  
ويروى : « لا ينام على هَجْرِي » .

فقلن لها : أنتِ تريدين فتًى ليس من أهلك . ثم قالت الثالثة :

(١) الخبر في الأغاني ٣ : ٩٤-٩٦ ( طبع دار الكتب المصرية ) ، ومع شرحه في السكامل - بترج  
الرصني ٥ : ٩٤-١١١ ، مع اختلاف في الرواية ونسبة الأبيات .  
(٢) حاشية ت ( من نسخة ) :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيعُهَا أَغْرُ كَنْصَلِ السِّيفِ غَيْرُ مُهَنْدٍ  
ورواية الأغاني :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيعُهَا أَثَمُّ كَنْصَلِ السِّيفِ غَيْرُ مُبَدِّدٍ

(٣) رواية الأغاني : « طيب بأدواء النساء » ، ورواية السكامل : « بأدواء النساء كأنه » .

(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « ذوى غنى » ، وهى رواية الأغاني والسكامل .

(٥) رواية السكامل : « طيب الذنر » ، ورواية الأغاني : « طيب الربع » .

(٦) حاشية ت ( من نسخة ) : « خليفة جان » .

أَلَا لَيْتَهُ يُكْسَى الْجَمَالَ نَدِيَّهُ<sup>(١)</sup> لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَى بِهَا الْمَعْرُ<sup>(٢)</sup> وَالْجُزُرُ  
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ تَشِينُ ؛ فَلَا فَنٍ وَلَا ضَرَعُ غَمْرُ  
فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تَرِيدِينَ سَيِّدًا شَرِيفًا .

وقلن للرابعة : قولى، فقالت : لا أقول شيئاً، فقلن لها : يا عدوة الله، علمت ما فى أنفسنا ولا

٥ تعلميننا ما فى نفسك! فقالت : « زوج من عود خير من قعود »؛ فمضت مثلاً .

فزوجهن أربعهن، وتركهن حوْلاً، ثم أتى الكبرى فقال: يا بُنَيَّةُ، كيف ترين زوجك؟  
قالت : خيرُ زوج ، يُكْرِمُ الحَلِيلَةَ ، وَيُعْطِي الوسيلة . قال : فما مآلكم ؟ قالت : خير مال ،  
الإبل نَشْرَبُ ألبانها جُرْعاً-ويروى : « جُرْعاً »، بالراء غير المعجمة- ونا كل أحنائها مُزْعاً ،  
وتحملنا وضعيفنا<sup>(٣)</sup> معاً ؛ فقال : يا بُنَيَّةُ ، زوج كريم ، ومال عظيم .

١٠ ثم أتى الثانية فقال: يا بُنَيَّةُ، كيف زوجك؟ قالت : خيرُ زوج ؛ يُكْرِمُ أهله ، وَيَنْسَى  
فَضْلَهُ ، قال : وما مآلكم ؟ قالت : البقر تألف الفناء ، وتملأ الإناء ، وتودك<sup>(٤)</sup> السقاء ،  
ونساء مع النساء<sup>(٥)</sup> ، فقال لها : حظيتِ وبِطِيتِ<sup>(٦)</sup> .

ثم أتى الثالثة فقال: يا بنية، كيف زوجك؟ قالت : لا سمحْ بذر<sup>(٧)</sup> ، ولا بخيل حكر<sup>(٨)</sup>

(١) رواية الأغاني :

\* أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجَفْنَانَ لِضَيْفِهِ \*

ورواية الكامل :

\* أَلَا لَيْتَهُ يَعْطَى الْجَمَالَ بِدَيْئَةٍ \*

(٢) فى الأغاني : « اليب » .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « وضعفتنا » . (٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « تودك » ،

بتشديد الدال مكسورة ؛ وكذا ضبطت بالفلم فى الكامل . (٥) ش : « مع نساء » ، وهى رواية

الأغاني والكامل . (٦) حاشية ت ( من نسخة ) : « رضيت » .

(٧) بذر : يسط ماله بالذر ؛ وهو وصف للمبالغة . (٨) حكر : هو الذى لا يزال يحبس

سلعته حتى يبيع بالكثير من شدة حكره .

قال: فإمالكم؟ قالت: المعزى، قال: وماهى؟ قالت: لو كنّا نولدها فطماً، ونسلخها أدمًا - ويروى: «أدمًا» بالفتح - لم نبيع بها نعمًا فقال لها: جذوة<sup>(١)</sup> مغنية - ويروى: جذوى<sup>(٢)</sup> مغنية.

ثم أتى الصغرى فقال: كيف زوجك؟ قالت: شرُّ زوج؛ يكرّم نفسه، ويهين عرسه؛ قال: فإمالكم؟ قالت: شرُّ مال، قال: وماهو؟ قالت: الضأن، جوف لا يشبعن، وهيم لا ينقمن، وصم لا يسمعن، وأمر مغويهن يتبعن. فقال أبوها: «أشبه امرؤ<sup>(٣)</sup> بعض بزّه»، فضت مثلاً.

أما قول إحدى بناته في الشعر: «أشم»، فالشم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها؛ يقال: رجل أشم، وامرأة شماء، وقوم شم، قال حسان بن ثابت:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول<sup>(٤)</sup>

والشم: الارتفاع في كل شىء؛ فيحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة؛ لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجاة. ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن زاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها؛ وخص الأنوف بذلك؛ لأن الحمية والغضب والأنف<sup>(٥)</sup> فيها؛ ولم يرد طول أنفهم؛ وهذا أشبه بأن يكون مراده؛ لأنه قال: «بيض الوجوه» ولم يرد بياض اللون في الحقيقة، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، وجمل أخلاقهم وأفعالهم؛ كما يقول القائل: جاءنى فلان بوجه أبيض؛ وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا، وإنما يعنى ما ذكرناه. وقول المرأة: «أشم كنضل السيف» يحتمل الوجهين أيضا. وقول حسان «من الطراز الأول»، أى أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم، وأنهم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجارهم وأسولهم. وقولها: «عين مهند»؛ أى هو المهند بعينه، كما يقال: هذا هو بعينه، وعين

(١) حاشية ت (من نسخة): «حذوة».

(٢) حاشية ت (من نسخة): «حذوى».

(٣) حاشية ت (من نسخة): «أشبه امرؤ بعض بزّه»، والبر في الأصل: مانع البيت من الثياب خاصة؛ كنى به عن الضأن؛ وهى متاع؛ والمثل يضرب للمتشابهين أخلاقاً. (٤) ديوانه: ٨٠. (٥) حاشية ت (من نسخة): «والأنفة».

الشيء نفسه . وعلى الرواية الأخرى : « غير مهنّد » أى ليس هو السيف المنسوب إلى الهند في الحقيقة ، وإنما هو يُشبهه في مضائه . وقولها : « من سرّ أهلى » ، أى من أكرمهم وأخلصهم ، يقال : فلان فى سرّ قومه ، أى فى صميمهم وشرفهم ، وسرّ الوادى : أطيئه تراباً . والمحتد : الأصل .

[ ٨٢ ] وقول الثانية : « أولى عدّى » / فإتما معناه أن يكون لهم أعداء ، لأنّ من لا عدوّ له هو الفسل الرذل الذى لا خيرَ عنده ، والكريمُ الفاضل من الناس هو المحسّد المعادى <sup>(١)</sup> .

وقولها : « لصوقٌ بأكباد النساء » تعنى فى المضاجعة ، ويحتمل أن تكون أرادت فى المحبة والمردّة ، وكنتُ بذلك عن شدّة محبّتهن له ، وميلهنّ إليه ، وهو أشبه . وقولها : « كأنه خليفةُ جانٍ » أى كأنه حيّةٌ للصوّقه ، والجان : جنس من الحيات <sup>(٢)</sup> ، تخففت ١٠ لضرورة الشعر .

وقول الثالثة : « يكسّى الجمالَ نديّه » فالندى هو المجالس . وقولها : « له حركات الدهر » تقول : قد أحكمته التجاربُ ، وجعلته حكيماً . فأما الضرع فهو الضعيف . والنمّر : الذى لم يجرب الأمور .

وقول الكبرى : « ويكرم الحليلة ، ويعطى الوسيلة » ، فالليلة هى امرأة الرجل ، والوسيلة ١٥ الحاجة . وقولها : « نَشْرَبُ ألبانها جُزْعاً » فالجُزْع جمع جُزْعة ، وهو الماء القليل يبقّى فى الإناء ، وقولها : « مُزْعاً » ، المَزْعَة : البقية من دَسَم ، ويقال : ماله جُزْعة ولا مَزْعَة ، هكذا ذكر ابنُ دريد ، الضمّ فى جُزْعة ، ووجدت غيره يكسرّها فيقول جِرْعة ، وإذا كسرت فينبغى

(١) حاشية ت : « الأولى أن يكون العدى هاهنا الغراء ؛ لما تقدم من : استدلاهن ؛ وهو قولهن « فنى ليس من أحلك » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « لأن يكون من الجناية أحسن وأقرب إلى الصواب ، ويكون من باب قوله :

\* إِذَالَمْ أَجْنِرْ كُنْتَ بِجَنِّ جَانٍ \*

أن يكون « نشرب ألبانها جزعاً » وتكسر المِزْعَة أيضا ليزدوج الكلام ، فقول :  
« ونأكل لُحْبانها مِزْعاً » ، قال : المِزْعَة ، بالكسر : هى القطعة من الشحم ، والمِزْعَة  
بالكسر أيضا من الرّيش والقطن وغير ذلك ، كالْمِزْقَة من الخِرق ، والتَّمْزِيع : التقطيع  
والتشقيق ؛ يقال إنه لَيْسَ كَادَ بتمزّع من النّيظ ، ومَزَعَ الظَّبْيُ فى عَدُوّه يَمْزَع مَزْعاً ؛ إذا  
أسرع ، وقوله : « مال عميم » : ، أى كثير .

وقول الثمانية : « تُودِكُ السَّقاء » ، من الودك الذى هو <sup>(١)</sup> الدّسم .

وقول الثالثة : « نُوكِدُهَا فَطْماً » ، الفطْم : جمع فَطِيمٍ ، وهو المقطوع من الرضاع . وقولها :  
« نسلخها أَدَمًا » ، فالأدُم : جمع إدام ، وهو الذى يؤكل ؛ تقول : لو أنا فطمناها عند الولادة  
وسلخناها للأدُم من الحاجة لم نبغ بها نَعَمًا . وعلى الرواية الأخرى : أَدَمًا ، من الأديم .  
وقوله : « جِذْرَةٌ مُغْنِيَةٌ » ، فالجذوة : القطعة .

وقول الصغرى : « جُوفٌ لَا يَشَبَعْنَ » ، الجوف : جمع جَوَفَاء ، وهى العظيمة الجوف .  
والهيم : المطاش ، ولا يَنْبَعُ من ؛ أى لا يروى ، ومعنى قولها : « وأمر مُغَوْرِيَتَهُنَّ يَنْبَعْنَ » ، لأنّ  
القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزِل واحدة فتقع فى الماء ، فيتمنّ كُأُهنّ إتباعا لها ،  
والضأن يوصف / بالبلادة .

[ ٨٢ ]  
ط

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن ١٥  
أبى عُبَيْدة عن يونس . قال ابن دريد وأخبرنا به العُكَلَى عن أبى خالد <sup>(٢)</sup> عن الهيثم بن عديّ  
عن مسعر بن كدام قال حدثنى سعيد بن خالد الجدلى قال : لما <sup>(٣)</sup> قدم عبدُ الملك  
ابن مروان الكوفة بعد قتل مُصْعَب ، دعا الناس على فرائضهم <sup>(٤)</sup> ، فأتيناه فقال :

(١) حاشية الأصل : « بخط ابن الشجرى على الحاشية : وجدت فى بعض الروايات : « تودل السقاء »

باللام مأخوذ من الأذل ؛ وهو الهم الحامض . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « عن أبى خالد » .

(٣) الخبر فى الأمانى ٣-٩١-٩٢ ؛ ( طبع دار الكتب المصرية ) .

(٤) ت : « إلى فرائضهم » ، والفرائض : العطايا .

(١) «مَنْ الْقَوْمُ؟ فقلنا: جَدِيلَةٌ» ، فقال: جَدِيلَةٌ عَدَوَانٌ؟ قلنا: نعم ، فتمثل عبد الملك:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ (٢)

بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُرْعُوا عَلَى بَعْضٍ

وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْوُفُونَ بِالْقَرَضِ

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ فِي السَّنَةِ وَالْقَرَضِ (٣)

ثم أقبل على رجلٍ كُنَّا قَدَّمْنَاهُ أَمَامَنَا جَسِيمٌ وَسِيمٌ ، فقال: أَيُّكُمْ يقول هذا الشعر؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه: يقوله ذو الإصبع ، فتركني وأقبل على ذاك الجسيم فقال: وما كان اسمُ ذِي الإصْبَعِ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه: حُرْثَانٌ ، فأقبل عليه ١٠ وتركني ، فقال: لِمَ سَمَّيْتَ ذَا الإصْبَعِ؟ فقال: لا أدري ، فقلت: أنا من خلفه نَهَشْتَهُ حَيَّةٌ فِي إصْبَعِهِ ، فأقبل عليه وتركني فقال: مِنْ أَيُّكُمْ كَانَ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه من بنى ناجٍ ، فأقبل على الجسيم فقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة (٤) ، ثم أقبل على فقال: كم عطاؤك؟ قلت: أربعمائة (٥) فقال: يا بن الزُّعَيْرَةِ ، حطَّ من عطاء هذا ثلاثمائة ، وزدها في عطاء هذا ، فرُحْتُ وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائة .

١٥ وفي رواية أخرى أنه قال له: من أَيُّكُمْ كَانَ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه: من بنى ناجٍ ، الذى يقول فيهم الشاعر:

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرْنَهُمْ وَلَا تُتَبِعَنَّ عَيْنِكَ مَنْ كَانَ هَالِكَا

(٦) إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِتُصْلِحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهُيْبُ لَا أَسْلِمُ (٧) ذَلِكَا

(١-١) ت: «مَنْ الْقَوْمُ؟ فقلنا: من جديلة». (٢) حاشية الأصل: «عذير: مصدر يقوم مقام الاستفهام؛ والتقدير: من يعذرهم؟». (٣) قال أبو الفرج: «قوله «ومِنْهُمْ مَنْ يَجِيزُ النَّاسَ»؛ فإن إجازة الحج كانت الحزاعة ، فأخذتها منهم عدوان» ، وانظر القصيدة في الأغاني مع اختلاف الرواية وعدد الآيات. (٤) حاشية ت (من نسخة): «سبعمائة درهم». (٥) حاشية ت (من نسخة): «أربعمائة درهم». (٦-٦) حاشية ت: «إذا قلت معروفاً لأصالح بينهم» ، وهي توافق رواية الأغاني. (٧) م: «لأسلم».



ويروى « لا أحاول ذلكا » .

[ ٨٣ ] / فأضحى كظَهْرِ العودِ (١) جُبَّ سَنَامُهُ تَحُومُ عَلَيْهِ الطيرُ أَحَدَبَ بَارِكًا و

وقد رُويت هذه الأبيات لذي الإصبع أيضا :

ومن أبيات ذى الإصبع السائرة قوله :

أَكْثَرُ ذَا الضُّغْنِ الْمُبَيَّنِ مِنْهُمْ وَأَضْحَكَ حَتَّى يَبْدُوَ النَّابُ أَجْمَعُ (٢) ٥  
وَأَهْدِنُهُ بِالْقَوْلِ هَدْنًا وَلَوْ يَرَى سَرِيرَةً مَا أَخْفَى لَبَاتَ يُفَزَّغُ  
ومعنى « أَهْدِنُهُ » أسكنه .

ومن قوله أيضا :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ شَرَّاشِرُهُ أَنَاخَ بَاخَرِينَا (٣)  
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَلِقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا ١٠  
ومعنى « الشراشر » هاهنا الثقل ، يقال ألقى عليه شراشره وجراميزه ، أى ثقله .

ومن قوله :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُوا إِلَى وَرَحَبُوا بِالْمُقْبِلِ  
وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا حَمَلْتُ حِمَالَةً (٤) وَلَقِيَهُمْ فَكَأَنِّي لَمْ أَحْمِلِ  
ومن قوله وهى مشهورة (٥) : ١٥

(١) العود هنا : السن من الإبل ، ورواية للأغاني : « الفعل » . ورواية أخرى : « فأضحوا كظهور العود » ، وبعده :

فَإِنْ تَكْ عَدُوَانُ بْنُ عَمْرٍو تَفَرَّقَتْ فَقَدْ غَنَيْتُ دَهْرًا مُلُوكًا هُنَالِكَ

(٢) البيتان فى حماسة البجترى ١٤٠ ، ونسبهما إلى معن بن أوس .

(٣) نسب البيتان فى الشعر والشعراء : ٥٠ ، والحماسة ٣ : ١٩١ ، وعيون الأخبار ٣ : ١١٤ ،

للفرزدق ؛ وفى حماسة البجترى : ١٤٩ نسبا إلى مالك بن عمرو الأسدى .

(٤) الحمالة : الدية . (٥) القصيدة فى الفضليات — بشرح ابن الأنبارى ٣٢١-٣٢٧ ، والأمالى

٢٥٤-٢٥٧ ، والخزانة ٣ : ٢٢٦-٢٢٨ ، وشرح شواهد التنقى ١٤٧-١٤٨ ، وأبيات منها فى

الشعر والشعراء ٦٨٩ ؛ بم اختلاف فى الرواية وعددا لأبيات .

لِإِبْنِ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ  
أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نِعَامَتُنَا  
لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلَتْ فِي حَسَبِ  
إِنِّي لَمَمْرُكُ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ  
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأُذُنِ بِمُنْطَلَقٍ  
مَاذَا عَلَىَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمَى (٥)  
يَا عَمْرُؤُ! إِلَّا تَدْعُ (٧) شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي  
وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ (٩) عَلَى مِائَةٍ  
لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَأْيَةٍ  
/ قوله « شالت نِعَامَتُنَا »، معناه تماقرنا (١١)، فَضَرَبَ النِّعَامَ مَثَلًا؛ أَي لَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ (١١)،  
وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَيَّ، يُقَالُ: شَالَتْ نِعَامَةُ الْقَوْمِ إِذَا جَلَّوْا (١٢) عَنْ الْمَوْضِعِ.

وقوله: « لَا إِبْنَ عَمِّكَ »؛ قَالَ قَوْمٌ: أَرَادَ اللَّهُ إِبْنَ عَمِّكَ. وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ: أَقْسَمَ وَأَرَادَ  
اللَّهُ إِبْنَ عَمِّكَ. وقوله: « عَنِّي » أَي عَلَى (١٣)، وَالِدَيَّانِ: الَّذِي يَلِي أَمْرَهُ. وَمَعْنَى: « فَتَخَزُونِي »  
أَي تَسْؤُسُونِي. وَالْمُحَوَّنُ: الْمُحَوَّنُ.

- (١) حاشية الأصل: «أَي نَحْنُ مُخْتَلِفَانِ». (٢) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «وخلته»؛  
وهي رواية الأملی وأزرى بنا: قصر بنا. (٣) لا أفضلت؛ أي ما بعثت بفضل.  
(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «عن الصديق»، وممنون: منقطع؛ أي لا أنقطع عنه فظلي.  
(٥) حاشية ت (من نسخة): «رحم». (٦) ش: «إن»  
(٧) حاشية الأصل (من نسخة): «إن لم تدع». (٨) م: «حتى».  
(٩) زيد: زيادة. (١٠) حاشية الأصل (من نسخة): بعد هذا البيت:

كُلُّ أَمْرِي صَائِرٌ يَوْمًا لِشَيْبَتِهِ وَإِنْ تَحَقَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ

- (١١-١١) ت: «فصرت لأطمئن إليه». (١٢) حاشية ت (من نسخة): «أجلوا».  
(١٣) في حاشيتي الأصل، ت: «الأحسن أن يقدر هاهنا فدل يعاقب «عن» به؛ هكذا هو عند

وقوله : « أَضْرَبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي » ، قال الأصمعيّ : العطشُ في الهامة ، فأراد أضربك في ذلك الموضع ، أي على الهامة حتى تعطش . وقال آخرون : العرب تقول : إن الرجل إذا قُتِلَ خرجت من رأسه هامة تدورُ حول قبره ، وتقول : اسقوني ، اسقوني ! فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثأره ؛ وهذا باطل ؛ ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب .  
وقوله : « لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَائِيَّة » ، فالتَمَسَ : التهر ، أي إن أخذت قسراً لم أزد إلا إباءاً<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

ومن المعمرين مَعْدِي كَرِبَ الحِمِيرِيّ ؛ من آل ذِي رُعَيْن « قال ابن سلام : ” وقال مَعْدِي كَرِبَ<sup>(٢)</sup> الحِمِيرِيّ . وقد طال عمره :

أَرَانِي كَلَّمَا أَفْنَيْتُ يَوْمًا      أَتَانِي بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيدُ  
يَعُودُ بَيَاضُهُ<sup>(٣)</sup> فِي كُلِّ فَجْرٍ      وَيَأْبَى لِي شَبَابِي مَا يَمُرُّ

\*\*\*

ومن المعمرين الربيع بن ضَبْع<sup>(٤)</sup> الفَزَارِيّ ، ويقال إنه بقي إلى أيام بني أمية . ورؤي أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : ياربيع ، أخبرني عمّا أدركت من العمر والمدى ، ورأيت من الخطوب الماضية ، قال : أنا الذي أقول :

هَآنَذَا آمَلُ الْخُلُودَ      وَأَدْرَكَ عَتَلِي وَمَوْلِدِي حُجْرًا<sup>(٥)</sup>

فقال عبد الملك : قد روت هذا من شعرك وأنا صبي ، قال : وأنا القائل :

(١) وانظر ترجمة ذِي الإصبع وأخباره وأشعاره في (الاشتقاق ١٦٣ ، والمعمرين ٩٠ ، والأغاني

٣ : ١١ ، والنلّ ٢٨٩-٢٩٠ ، والخزانة ٢ : ٤٠٦-٤٠٩ ، والشعر والشعراء ٦٨٨-٦٩٠) .

(٢) حاشية الأصل : « معدى كرب ، بافتح ، ويكون معدى مضافاً إلى كرب » .

(٣) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « ضياؤه » . (٤) ت : « ضبع ، النونين ، وفي

حاشية الأصل : « في نسخة مقروءة من كتاب سيبويه . وقد قرئ على أبي علي الفارسي رحمه الله - وفي

أخرى مقروءة على ابن أخته أبي الحسن : الربيع بن ضبع ، منونا بآخره » . (٥) حاشية الأصل :

« حجر أبو امرئ القيس » .

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاءُ<sup>(١)</sup>  
 قال: قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام، وأبيك يا ربيع، لقد طلبك<sup>(٢)</sup> جد غير عار،  
 ففصل لي عمرك، قال: عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام، وعشرين ومائة في الجاهلية،  
 [ ٨٤ ] وستين سنة في الإسلام. قال: أخبرني عن فتية من قريش متواطئ الأسماء، قال: سل  
 عن أيهم شئت، قال: أخبرني عن عبد الله بن العباس، قال: فهم وعلم، وعطاء جدم<sup>(٣)</sup>،  
 ومقرري ضخم. قال: فأخبرني عن عبد الله بن عمر قال: حلم وعلم، وطول كظم، وبعد  
 من الظلم. قال: فأخبرني عن عبد الله بن جعفر، قال: ريحانة طيب ريحها، لين مشها، قليل  
 على المسلمين ضررها. قال: فأخبرني عن عبد الله بن الزبير، قال: جبل وعمر، ينحدر<sup>(٤)</sup>  
 منه الصخر. قال: لله درك يا ربيع! ما أعرفك بهم! قال: قُرب جوارى، وكثر  
 ١٠ استخباري.

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه: إن كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه أن يكون  
 سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية، لافي أيام ولايته، لأن الربيع يقول في الخبر:  
 «عشت في الإسلام ستين سنة»<sup>(٥)</sup>، وعبد الملك وُلِّي في سنة خمس وستين من الهجرة، فإن  
 كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه؛ فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية؛ ويقال: إن الربيع لما  
 ١٥ بلغ مائتي سنة قال:

(١) البيت من شواهد الرضى على السكانية، وهو في (الخرانة ٣ : ٣٠٦)، وأورده شاهداً  
 على أنه قد يفرد ميم المائة وينصب؛ وأورده سيدي في موضعين: الأول في باب العفة المشبهة بالفاعل وذكر  
 أسماء العدد وعملها في الأسماء؛ (الكتاب ١ : ١٠٦)، والثاني في باب كم (١ : ٣٠٦).  
 وأورده ابن قتيبة في (أدب الكاتب : ٢٩٥)، في باب «أسماء يتفق أفعالها وتختلف معانيها»، قال:  
 «والفتاء من السن ممدود، وروى البيت. وذكره البطلبوسي في الانضاب : ٣٦٩، وأورد بيتين بعده.

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «لقد طار بك».  
 (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «خدم»، بالخاء، وأصل الخدم الإسراع.  
 (٤) حاشية الأصل (من نسخة): «ينحدر منه»، وفي حاشية ت (من نسخة): «ينحدر عنه».  
 (٥) ت: «حجة».

أَلَا أَبْلَغُ بَنِيَّ بَنِي رَيْسِ  
بَأْتِي قَدْ كَبُرْتُ وَدَقَّ عَظْمِي  
وَأَنَّ كَنَائِي لِنِسَاءِ صِدْقِي  
إِذَا كَانَ (٣) الشَّتَاءُ فَأَدْفِنُونِي  
وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ  
إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا  
فَأُشَرَّارُ الْبَنِينَ لَكُمْ فِدَاهُ (١)  
فَلَا تَشْغَلْكُمْ عَنِّي النِّسَاءُ  
وَمَا آلِي بَنِيَّ وَلَا أَسَاءُوا (٢)  
فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشَّتَاءُ  
فَسِرُّ بَالٍ خَفِيفٌ أَوْ رِدَاءُ  
فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ (٤) وَالْفَتَاءُ

وَقَالَ حِينَ بَلَغَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً :

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ قَدْ حَسَرَ (٥)  
وَدَعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَّعَهُ  
هَآ أَنَا ذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ  
أَبَا أَمْرِي الْقَيْسَ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ !  
/ أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا  
إِنْ يَنَّا (٦) عَنِّي فَقَدْ ثَوَى عُصْرًا  
لَمَّا قَضَى مِنْ جِمَاعِنَا وَطَرًا  
أَدْرَكَ عَقْلِي (٧) وَمَوْلِدِي حُجْرًا  
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا  
أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

[ ٨٤ ]  
ط

(١) المقطوعة في (شرح أدب السكاتب للجوالقي ٢٦٦ ، والمعمرين ٦-٧ ، وذيل الأملاني : ٢١٤ ،  
والخزانة ٣ : ٣٠٦) . قال الجوالقي : « قوله : « فأشار البنين لكم فداء » ، وصفهم بالبر » ،  
وفي الخزانة : « أنذار البنين » . (٢) السكائن : جمع كنة ؛ بالفتح والتشديد ؛  
وهي امرأة الابن والأخ ؛ يريد أنهن نعم النساء ، وفي حاشية ت ( من نسخة ) : « آلى » ، بتشديد اللام  
قال : « وهو الصحيح ؛ ومعنى « آلى » ، قصر في قول بعضهم ، والألف الأخرى « ألا » ، مخففا ؛ يقال : ألا  
الرجل بألو ؛ إذا قصر ونتر ؛ فأما « آلى » في البيت فلا وجه له ؛ لأنه بمعنى حلف ، ولا معنى له هاهنا .  
وفي المعمرين لأبي حاتم : « ويروى : « وما آلى » ، والبالغة : القصير ، ومن قال : « وما آلى » فالمدني  
ما أقسموا ألا يبروني » ، وروى عن أبي عمرو الشيباني قال : سأني القاسم بن معن عن قوله :

\* وما آلى بَنِيَّ وما أَسَاءُوا \*

قلت : أبطأوا ، قال : ماتدع شيئا ! وانظر اللسان ( ألا ) . (٣) كان هاهنا تامة ، لاسم لها ولا  
خبر ، وفي المعمرين : « جاء » . (٤) في الاقتصاب : « النخيل » ، وقال في شرحه : النخيل :  
الحيلة ، ويروى : « المسرة » ، ويروى : « المروعة » ، (٥) في حاشيتي الأصل ، ت : « يقال :  
حسر البعير يحسر إذا أعيا ، وتحسر واستحسر كذلك ، وحسرتة أنا ، يتعدى ولا يتعدى » .  
(٦) ت : « بان عني » . (٧) ش : « سني » ، وفي م : « علفي » .

وَالذَّبَّ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحَدِي وَأَخْشَى الرِّيحَ وَالْمَطَرَ  
 مِنْ بَعْدِ مَا قُوَّةُ أَسْرُ<sup>(١)</sup> بِهَا أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعْلَجُ الْكِبَرِ<sup>(٢)</sup>  
 قوله : « عطاء جَذَم » أى سريع ، وكلّ شئ ، تسرّعت فيه فقد جَذَمته ، وفي الحديث :  
 « إِذَا أَذْنَتْ فَرَسَلْ ، وَإِذَا أَقَتَ فَأَجْذِم » ، أى أسرع . والمِقْرَى : الإِنَاء الذى يُقْرَى فيه .  
 وقوله : « فما إلى بنى ولا نساءوا » ، أى لم يَقْصُرُوا ، والآلَى : المقصّر<sup>(٣)</sup> .

(١) حاشية ت من نسخة : « أنوء » . (٢) وردت هذه الأبيات فى حاشية البحرى : ٣٢٢ ،  
 ونوادى أبى زيد ١٤٨ ؛ ونقل صاحب الخزانة ( ٣ : ٣٠٩ ) عن ابن السيد فى شرح الجمل قال : « روى  
 الرواء أن الربيع بن ضبع عاش حتى أدرك الإسلام ، وأنه قدم الشام على معاوية بن أبى سفيان ومعه حفدته ،  
 ودخل حفيدته على معاوية فقال له : أقعد ناشيج ؛ فقال له : وكيف يقعد من جده بالباب ؟ فقال له معاوية :  
 لعلك من ولد الربيع بن ضبع ، فقال : أجل ؛ فأمره بالدخول ، فلما دخل سأله معاوية عن سنه فقال :  
 أَفْقَرُ مِنْ مَيَّةِ الْجَرِيبِ إِلَى الزُّجَّيْنِ إِلَّا الطَّبَاءُ وَالْبَقَرَا  
 كَأَنَّهَا دُرَّةٌ مُنَمَّمَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ كُنَّ قَبْلَهَا دُرَرًا  
 أَصْبَحَ مَنِ الشَّبَابُ مَبْتَكِرًا إِنْ يَنَأَ عَنِي فَقَدْ ثَوَى عُصْرًا  
 إلى آخر الأبيات المتقدمة ؛ فقرأ معاوية ، ﴿ وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ .

(٣) وانظر ترجمة الربيع بن ضبع وأخباره وأشعاره فى ( المعربين ٦-٧ ، والآل ٢٠٢ ، والخزانة  
 ٣٠٦-٣٠٩ ، والإسابة ، ٢ : ٢٠٩ ) .

## مَجْلِسُ آخِرِ

ومن المَعْمَرَيْنِ أَبُو الطَّمَّحَانِ الْقَيْنِيَّ ، واسمُه حنْظَلَةُ بْنُ الشَّرْقِيِّ ، من بني (١) كِنَانَةَ  
ابن القَيْنِ ؛ قال أبو حاتم : ” عاش مائتي سنة ، فقال في ذلك :

حَنَنْتُنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى      كَأَنِّي خَاتِلٌ (٢) أَدْنُو لِيصِيدُ  
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى      - وَلَسْتُ مُقَيِّدًا - أَنِّي بِقَيْدِ “

وَيُرْوَى : « قَرِيبُ الْخَطْوِ » .

قال أبو حاتم : ” حَدَّثَنِي عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّهُمْ سَمِعُوا يُونُسَ بْنَ حَبِيبٍ يُنْشِدُ هَذَيْنِ  
الْبَيْتَيْنِ ، وَيُنْشِدُ أَيْضًا :

تَقَارَبَ خَطْوُ رَجُلِكَ يَا سُوَيْدُ (٣)  
وَقَيْدَكَ الزَّمَانُ بَشَرٌ قَيْدِ “  
وهو القائل :

وَأَنَّى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ      إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ قَامَ صَاحِبُهُ (٤)  
نَجُومُ سَمَاءٍ كَلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ      بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ  
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ      دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهُ  
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُسَوَّدٌ (٥)      تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كِتَابَتُهُ (٦)

ومعنى البيتين الأولين يشبه قولَ أَوْسَ بْنِ حَجْرٍ :

(١) حاشية (من نسخة) : « من كِنَانَةِ » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حَابِلٌ » .

(٣) ت ، ش : « يَادَوِيدُ » . (٤) ش : « مِنْهُمْ سَيِّدٌ » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حَيْثُ كَانُوا مَتَوَجَّحِينَ » . (٦) من نسخة بحاشيتي

الأصل ، ت : « رَكَائِبُهُ » .

- [ ٨٠ ]  
 إذا مُقَرَّمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ / وَلَطْفِيلُ الْعَنَوَى مِثْلَ هَذَا ، وَهُوَ :  
 تَحْمَطُ فِينَا نَابُ آخِرِ مُقَرَّمٍ<sup>(١)</sup>  
 كَوَا كَبُ دَجْنٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوَكَبُ<sup>(٢)</sup> / وَانْجَلَتْ عَنْهُ الدَّجْنَةُ كَوَكَبُ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَدْ أَخَذَ الْخَرِيمِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :  
 إِذَا قَمَرٌ مِنَّا تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا  
 بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

ومثل ذلك :

خِلَافَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِينَا وَرِاثَةُ / إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ  
 ومثله :

- إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ / أَقَامَ عَمُودَ الْمُلْكِ<sup>(٣)</sup> آخِرُ سَيِّدٍ  
 وَكَانَ مَزَاحِمًا الْعَمِيلَى / نَظَرَ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّمْحَانِ :  
 \* أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ \*

في قوله :

- وُجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُدَّجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا / صَدَّ عَنْ الدَّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي<sup>(٤)</sup>  
 وَيُقَارِبُ ذَلِكَ قَوْلَ حُجَّيَّةِ بْنِ الْمَضَرِّبِ الْكِنْدِيِّ :  
 أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ / لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالْبَدْرُ<sup>(٥)</sup>  
 وَأَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوَلِيُّ فِي مَعْنَى بَيْتِ أَبِي الطَّمْحَانِ :

(١) ديوانه : ٢٧ ، واللسان (خط) وفي حاشيتي الأصل ، ت : ذرا الشيء : سقط ، وذروته : طيرته . وتخط الفحل ؛ إذا انتفخ عند الهيام . (٢) ديوانه : ١٩ (٣) حاشية ت (من نسخة) الدين . (٤) ديوانه : ٦ ، مجالس ثعلب : ٢٧٧ . (٥) من أبيات ذكرها الغالي في (الأمالي : ١ : ٥٣-٥٤) ، وقال : « يمدح فيها يعفر بن زرة ، أحد الأملاك أملاك ردمان » ؛ وأولها :

إِذَا كُنْتَ سَائِلًا عَنِ الْمَجْدِ وَالْعَلَا / وَأَيْنَ الْعَطَاءُ الْجَزْلُ وَالنَّائِلُ الْعَمْرُ  
 فَتَقَبُّ عَنِ الْأَمْلُوكِ وَاهْتَفِ لِحَمِيرِ / وَعِشْ جَارَ ظِلٍّ لَا يُغَالِبُهُ الدَّهْرُ  
 وَالْأَمْلُوكُ : قبيلة من حمير ، و ردمان : مدينة باليمن .



مِنَ الْبَيْضِ الْوَجُودِ بَنَى سِنَانٍ      لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِي بِهِمْ أَضَاءُ (١)  
هُمْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى      وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُ (٢)  
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لَمَجِدٍ      وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ (٣)  
وأبو الطمحان القائل:

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِخْنَةٌ      فَلَا تَسْتَشِيرْهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينُهَا (٤)  
وهو القائل:

إِذَا شَاءَ رَاعِيهَا اسْتَقَى مِنْ وَقِيعَةٍ      كَمِئِنِ الْغُرَابِ صَفْوُهَا لَمْ يُكَدَّرِ (٥)  
ويروى: «صفية لم يكدر» ، والوقية: المستنقع في الصخرة للماء ، ويقال للماء إذا  
زل (٦) من صخرة فوق / في بطن أخرى ماء الوقائع ، وأنشدوا لذي الرثمة:  
[ ٨٥ ]  
وَنِلْنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ      جَسَنَى النَّحْلِ مَمَزُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ (٧)  
١٠  
ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج ، وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل  
ماء المفاصل ، وأنشدوا لأبي ذؤيب:

(١) من أبيات ثمانية، نسبها أبو تمام إلى أبي البرج القاسم بن حنبل المري؛ يقولها في زفر بن أبي هاشم  
ابن مسعود بن سنان؛ وأولها:

أَرَى الْخِلَآنَ بَعْدَ أَبِي حَبِيبٍ      وَحُجْرٍ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءُ  
وهي في الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ١٩٧-١٩٨ ، وأبيات منها في الحيوان ٢ : ٢-١ ،  
والمؤتلف والمختلف ٦٢ ، ومعجم الرزباني ٣٢٣ . (٢) في الحماسة : « حسب العشيرة » .  
(٣) في الحماسة : « لكم السماء » . (٤) البيت في اللسان (أحن) ، نسبة إلى الأقبيل القيني ؛  
وذكر قبله :

مَتَى مَا يَسُوْ ظَنُّ امْرِئٍ بِصَدِيقِهِ      يُصَدِّقُ بَلَاغَاتٍ يَجْنُهَا يَقِينُهَا  
وهو أيضا بهذه النسبة في المؤتلف والمختلف : ٢٣ ؛ وفي الفائق ١ : ١٦ ؛ من غير عزو .  
(٥) ت : « كعين العذاب » ، قال : وذكر فوقها : « وهو اسم موضع » وعن الغراب يضرب بها المثل  
في الصفاء . (٦) ت : « عن صخرة » . (٧) ديوانه : ٣٥٨ .

مطافيل أبكارٍ حديثٍ نتاجها يُشابُ بماءٍ مثل ماء المفاصل<sup>(١)</sup>  
وأنشد أبو محمَّد السعدي لأبي الطمَّحان :

بنيَّ إذا ما سامَكَ الذَّلَّ قَهْرٌ عَزِيزٌ فَبِمَضِّ الذَّلِّ أَبْقَى وَأَحْرَزُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا تَحَمَّ<sup>(٣)</sup> مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا فَقَدْ يُورِثُ الذَّلَّ الطَوِيلَ التَّعَزُّزُ  
وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفرى .

وروى لأبي الطمَّحان أيضا في مثل هذا المعنى :

يَارُبَّ مَظْلَمَةٍ<sup>(٤)</sup> يَوْمًا لَطِيتُ لَهَا تَمْضَى عَلَى إِذَا مَا غَابَ نُصَارِي<sup>(٥)</sup>  
حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَتْ عَنِّي غَيَايَتَهَا وَثَبْتُ فِيهَا وَثُوبَ الْمُخْدِرِ الضَّارِي<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

ومن المعمرين عبدُ المسيح بن بُقيلة الغَسَّانِي ، وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس  
١٠ ابن حيان بن بُقيلة ، و بُقيلة اسمه ثعلبة ، وقيل الحارث ؛ وإنما سُمِّي بُقيلة لأنه خرج في بُرْدَيْنِ  
أخضرين على قومه ، فقالوا له : ما أنت إلا بُقيلة ، فسمى لذلك .

وذكر السكبي وأبو مخنف وغيرهما أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام  
فلم يُسلم ، وكان نصرانياً .

وروى أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة ، وتحصَّن منه أهلها أرسل إليهم : ابعثوا إليَّ  
١٥ رجلاً من عقلائكم ، وذوى أسنانكم<sup>(٧)</sup> . فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بُقيلة ، فأقبل يمشى

(١) حاشية الأصل : « قبله :

وإنَّ حديثاً مِنْكَ لو تَبَدُّلَينَهُ جَنَى النَّجْلِ فِي أَلْبَانِ عُودِ مُطَافِلٍ

« مضافيل أبكار » ، بدل من قوله : « عود مضافل » ، ومطافل : جمع مضفل ؛ وهى التى معها ولدها .  
وانظر ديوان الهذليين ١ : ١٤٠ . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « أتقى وأحرز » .

(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « ولا تجن » . (٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) :

« مظلمة » ، بضم الميم . (٥) ش : « أنصارى » . (٦) الغاية : كل ما أظَل الإنسان فوق

رأسه . وانظر ترجمة أبي الطمَّحان وأخباره وأشعاره فى ( الشعر والشعراء ٣٤٨ - ٣٤٩ ، والمعمرين

٥٧ ، والاشتقاق ٣١٧ ، والمؤنث والمختلف ١٤٩ - ١٥٠ ، والأغاني ١١ : ١٢٥ - ١٢٨ ، والآل

٣٣٢ ، والإصابة ٢ : ٦٦ ، والخزانة ٤٢٦ : ٣ ) . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « أنسابكم » .

حتى دنا من خالد ، فقال له : **إِنَّمُمْ صَباحاً أَيها الملك !** قال : **قد أغنانا الله عن تحيَّتك هذه ، فمن أين أقصَى أثرِكَ أَيها الشيخ ؟** قال : **مِنْ ظَهْر أَبِي ،** قال : **فمن أين خرجت ؟** قال من بطن أمي ، قال : **فعلام أنت ؟** قال : **على الأرض ،** قال : **ففيم أنت ؟** قال : **في ثيابي ،** قال : **أتمقل - لا عقلت ؟** قال : **إي والله / وأقيّد ،** قال : **ابنُ كم أنت ؟** قال : **ابنُ رجل واحد ،** قال [ ٨٦ ] خالد : **ما رأيت كالليوم قطُّ ،** إني أسأله عن الشيء <sup>(١)</sup> وينجو في غيره <sup>(٢)</sup> ، قال : **ما أجبتك إلاَّ ٥** عما سألت ، فسَلَّ عَمَّا بدا لك .

قال : **أعربُ أنتم أم نبيطُ** <sup>(٣)</sup> ؟ قال : **عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا ،** قال : **أخربُ أنتم أم سلِّم ؟** قال : **بل سلِّم ،** قال : **فما هذى الحصون ؟** قال : **بنيناها للسَّفيه** <sup>(٤)</sup> نَحْذَرُ منه حتَّى يجيء الحليم فينهاه ، قال : **كم أنى لك ؟** قال : **ستون وثلاثمائة سنة ،** قال : **فما أدركت ؟** قال : **أدركت سفن البحر تَرْفَأُ** <sup>(٥)</sup> في هذا الجرف ، ورأيت المرأة تخرج من الحيرة ، وتضع ١٠ مِسْكَنَها على رأسها ، لا تَرْوُدُ إلاَّ رَغِيْفاً واحداً حتى تأتى الشام ، ثم قد أصبحتُ خراباً يباباً ، وذلك دأب الله في البلاد والعباد .

قال - ومعه سَمٌّ ساعة يقبّله في كفه - : **فقال له خالد : ما هذا في كفِّك ؟** قال : **هذا السَّم ،** قال : **ما تصنع به ؟** قال : **إن كان عندك ما يُوافق قومي وأهل بلدي حمِدَت الله وقبلته ، وإن كانت الأخرى لم أكن أول مَنْ ساق إليهم ذلاًّ وبلاءً ، أشربه فأستريح من الدنيا ،** فإنما ١٥ بَقِيَ من عمري اليسير ، قال خالد : **هاته ،** فأخذه ثم قال : **بسم الله وبالله رب الأرض والسماء ،** الذي لا يضر مع اسمه شيء ، ثم أكله ، فتجلّثته غشية ، ثم ضرب بدقنَه في صدره طويلاً ، ثم عَرِقَ فأفاق ، كأنما أنشِطَ من عقال .

فرجع ابن بُقيلة إلى قومه فقال : **جئتكم من عند شيطان ، أكل سَمٌّ ساعة فلم يضرّه ،**

(١-١) حاشية ت ( من نسخة ) : « وينجو إلى غيره » .

(٢) ش : « نبط » ، وهو بمعنى النبيط : « وفي حاشية الأصل : « أصل النبط قوم كانوا

يستنبطون الماء ويحتفرون الآبار للعرب ؛ فقبل لأهل السواد النبط » . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) :

« لسفيه » . (٤) في حاشية الأصل ، ت : « أرفأت السفينة : قربتها من الشط ، وذلك الموضع مرفأ » .

صانعو القوم وأخرجوهم عنكم ، فإن هذا أمر مصنوع<sup>(١)</sup> لهم ، فصالحوهم<sup>(٢)</sup> على مائة ألف درهم ، وأنشأ ابن بُقَيْلَةَ يقول :

أَبْعَدَ الْمُنْذِرِينَ أَرَى سَوَامًا تَرَوَّحُ بِالْخَوَزَنْقِ وَالسَّدِيرِ<sup>(٣)</sup>  
[ أَبْعَدَ فَوَارِسِ النُّعْمَانِ أُرْعَى مَرَاعَى مَهْرٍ مُرَّةً فَالْخَفِيرِ ! ]<sup>(٤)</sup>  
تَحَامَاهُ فَوَارِسُ كُلِّ قَوْمٍ مَخَافَةَ ضَيْغَمٍ عَلَى الزَّئِيرِ  
وَصَرْنَا بَعْدَ هُلَاكِ أَبِي قُبَيْسٍ كَمِثْلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

— يريد أبا قابوس ، فصغر ، ويروى « كمثل المعز » —

تَقَسَّمْنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ عِلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ<sup>(٥)</sup>  
نُودِيَ الْخَرْجَ بَعْدَ خَرَاكِ كَسْرَى وَخَرَجَ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ  
كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاءٍ<sup>(٦)</sup> أَوْ سُورُورِ

١٠

[ ٨٦ ]  
ظ

/ ويقال إن عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقَيْلَةَ قال :

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ حِصْنًا لَوْنُ الْمَرْءِ تَنْفَعُهُ الْحُصُونُ  
طَوِيلَ الرَّأْسِ أَقْعَسَ مُشْمَخِرًا لِأَنْوَاعِ الرِّيَّاحِ بِهِ حَنِينُ<sup>(٧)</sup>

ومما يروى لعبد المسيح بن بُقَيْلَةَ :

وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُوٌّ وَمَهْجُورُ<sup>(٨)</sup>  
وَهُمْ بَنُونَ لِأُمِّ إِنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَخْفُورُ

١٥

وهذا يشبه قول أوس بن حَجَر :

(١) حاشية الأصل : « أى كأن الله صنعه لهم » . (٢) ت ، د : « فصانعوهم » .

(٣) الأبيات في معجم البلدان ٣ : ٨٥ ، وفي حاشية ت ( من نسخة ) « تروح » ، بفتح الحاء : والخوزنق والسدير : موضعان بالحيرة . (٤) تسكلة من ت . (٥) معجم البلدان : « كَأْ : بعض أجزاء الجزور » . (٦) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « من مساء أو سرور » .

(٧) م : « أنين » . (٨) قال في اللسان ( علل ) : « أبناء علات ، يستعمل في الجماعة المختلفين » ، واستشهد بالبيتين ؛ وأصله في الأولاد تختلأ أمهاتهن . وفي حاشية الأصل : « بنو العلات : بنو الضرائر » ، وفي م : « فمجفوء ومخفور » ؛ وهي رواية اللسان .

بَنَى أُمَّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ — وَإِنْ كَانَ عَبْدًا — سَيِّدَ الْأَمْرِ جَعْفَلًا<sup>(١)</sup>  
وَهُمْ لِمُقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مُحَضًّا فِي الْعُمُومَةِ مُخَوَّلًا

وَذِكْرُ أَنَّ بَعْضَ مَشَايِخِ أَهْلِ الْحَيْرَةِ خَرَجَ إِلَى ظَهْرِهَا يَخْتَطُّ دِيرًا<sup>(٢)</sup>، فَلَمَّا احْتَفَرَ مَوْضِعَ  
الْأَسَاسِ، وَأَمْعَنَ فِي الْإِحْتِفَارِ أَصَابَ كَهَيْئَةَ الْبَيْتِ<sup>(٣)</sup>، فَدَخَلَهُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى سُرِيرٍ مِنْ  
رِخَامٍ<sup>(٤)</sup>، وَعِنْدَ رَأْسِهِ كِتَابَةٌ: «أَنَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيَّةَ

حَنَنْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ حَيَاتِي وَنِلْتُ مِنَ الْمَسْنَى بُلْعَ الْمَزِيدِ<sup>(٥)</sup>  
وَكَافَيْتُ الْأُمُورَ وَكَافَيْتُنِي فَلَمْ أَحِفَلْ بِمَعْضِلَةٍ كَكُودِ  
وَكِدْتُ أَنْالُ فِي الشَّرَفِ الثَّرِيَا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

وَمِنَ الْمُعَمَّرِينَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّ، وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ  
جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَيَكْنَى أَبَا كَيْلٍ.  
وَرَوَى أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ قَالَ: "كَانَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّ أَسْنَى مِنَ النَّابِغَةِ الدَّيَّانِيَّ،  
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ:

تَذَكَّرْتُ وَالَّذِي كَرَى تَهَيَّجُ عَلَى الْهَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ تَتَذَكَّرَا<sup>(٧)</sup>  
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرَّرٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ رَضٍ أَقْفَرَا  
/ كَهُولٌ وَفَتِيَانٌ كَيْانٌ وَجُوهَهُمْ دَنَا نِيرُ مِمَّا شَيْفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا<sup>٨٧</sup>

(١) ديوانه: ٢٢، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «سيد الملك». ويقال: رجل جعفل؛ أي  
سيد عظيم القدر؛ ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت. وفي حاشيتي الأصل، ت: «قوله»:  
وَإِنِّي وَجَدْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ خِفَافَ الْعَهْدِ يَكْتَرُونَ التَّنَقُّلاً  
(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «داراً». (٣) حاشية ت (من نسخة): «الكهف». (٤)  
(٥) ش: «زجاج». (٥) حاشية الأصل: «أي البالغ من الزبد». (٦) وانظر ترجمة عبد المسيح بن بَقِيَّةَ أيضًا في المعمرين ٣٧-٣٨.  
(٧) من قصيدة طويلة، ٧٦ بيتاً، ذكرها صاحب جمهرة الأشعار في ٣٠١-٣٠٧.

فهذا يدلُّ على أنه كان مع المنذر بن محرق ، والنابعة الذُّبيانيّ كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق .

قوله : « شيف » يعنى جُلّى ، والمشوف المجلوّ .

ويقال : إن النابعة غبَرَ ثلاثين سنة لا يتكلم<sup>(١)</sup> ، ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين و مائة سنة بأصهبان ، وكان ديوانه بها ، وهو الذى يقول :

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي      مِنْ الْفَتَيَانِ أَيَّامَ الْخُنَانِ  
— وَأَيَّامَ الْخُنَانِ : أيام كانت للعرب قديمة ، هاج بها فيهم مرض فى أنوفهم وحلوقهم —

مَضَتْ مِائَةٌ لِعَامٍ وَلِدْتُ فِيهِ      وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ<sup>(٢)</sup>  
فَأَبْقَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنِّي      كَمَا أَبْقَى مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِ  
تَقَلَّلَ وَهُوَ مَأْتُورٌ جُرَّازٌ      إِذَا جُمِعَتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ<sup>(٣)</sup>

وقال أيضا فى طول عمره :

لَبِستُ أَنَسًا فَأَفَنَيْتُهُمْ      وَأَفَنَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسًا  
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفَنَيْتُهُمْ      وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأَسَا

(١) حاشية الأصل : « أى لا يتكلم بالشعر ، وسميت القصيدة كلمة » .

(٢) فى حاشيتي الأصل ، ت : « ذكر المبرد فى قول النابعة :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا      وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصَحُّ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

أنه يجوز فى « حين » النصب والجر . وذكر بعض المتأخرين أنه إذا أضيف الظرف إلى المبنى لم يجوز

فيه إلا النصب ، وإنما يجوز الجر إذا أضيف إلى المرب ؛ كقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾

صِدْقُهُمْ ﴾ ، و ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقول النابعة : « لعام ولدت فيه » لا يحتاج إلى « فيه »

بل هو كالزيادة المستغنى عنها ؛ لأنه إذا أضيف « العام » إلى « ولدت » كان المضاف إليه مع المضاف فى

حكم الشئ الواحد ؛ فلا يحتاج إلى المائد ؛ بخلاف أن تكون الجملة صفة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا ﴾

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ؛ وكأنه للبيان والتحقيق ، على تقدير : « لعام ولدت » ، ثم أضمر :

« ولدت » ، أخرى ، والجار والمجرور يتعلق بولدت المضمرة . وانظر الكامل — بشرح المصنف ٢ : ٢٢٠

(٣) مأثور : بنى أثره . والجرّاز : الماضى النائد فى الضريبة ، وانظر طبقات الشعراء : ١٠٤

معنى المستأس : المتعاض<sup>(١)</sup> .

وروى عن هشام بن محمد الكلبي أنه عاش مائة وثمانين سنة .

وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر أن النابغة الجعدي عاش مائتي سنة، وأدرك الإسلام، وروى له :

قالت أُمّامة كم عَمِرتَ زَمَانَةً      وَذَبَحْتَ مِنْ عَتَرٍ عَلَى الْأَوْثَانِ !  
— العتيرة<sup>(٢)</sup> : شاة تذبح لأصنامهم في رجب في الجاهلية —

ولقدْ سَهَدْتُ عُكَاظَ قَبْلِ مَحَامَا      عَنْهَا وَكُنْتُ أَعْدُ مِلْ فَتِيَانِ<sup>(٣)</sup>  
وَالْمُنْذِرَ بْنَ مُحَرَّقٍ فِي مُنْكَه      وَشَهِدْتُ يَوْمَ هَبْجَائِ النُّعْمَانِ<sup>(٤)</sup>

(١) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « المستعاض » ، وهو من العوض .

(٢) حاشية الأصل : « العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة » . (٣) ش : « فيها » ، وفي حاشية

الأصل : « محلها فيها » أي نزولها في عكاظ ، ومحلها عنها ، أي نزولها فيما عدا عكاظ ، و « عن » لما عدا الشيء وجاوزه . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو ابن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمي . وعمرو بن عدى هو ابن أخت جذيمة بن مالك الأبرش ؛ وقيل له الأبرش والوضاح لبرص به ؛ وكان يقال لامرئ القيس أبي المنذر محرق ؛ وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل مُحَرَّقٍ —      تَرَكَوا مَنَازِلَهُمْ — وَبَعْدَ إِيَادِ

والنعمان بن امرئ القيس هو النعمان الأكبر ؛ ويقال إن أنوشروان بن قباد هو الذي ملكه ؛ وقيل ملكه قباد . والنعمان هذا هو الذي بنى الخورنق ؛ وهو الذي لبس المسوح وتزهد وساح في الأرض ، ثم ملك أخوه المنذر بن امرئ القيس ؛ ملكه أنوشروان ، وأمه من النمر بن قاسط ؛ ويقال لها ماء السماء لجالها ، وأبوها عوف بن جشم . ومن أئزد رجل يقال له ماء السماء أيضا ؛ وهو عامر أبو عمرو بن عامر ، وعمرو هو الذي يقال له مزريقاء ثم ملك المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ، ثم ملك عمرو بن هند مضرط الحجازة ؛ وهو محرق أيضا لأنه أحرق من بني دارم ثمانية وتسعين رجلا ، وكلهم مائة برجل من البراجم وبامرأة نهشلية ؛ ولذلك قيل : « إن الشقي وائد البراجم » . ثم ملك بعده النعمان بن المنذر بن المنذر ابن امرئ القيس ؛ وكان يكنى أبا قابوس ؛ وهو صاحب النابغة الذبياني ؛ وكان له يومان : يوم نعيم ويوم بؤس ، ومحرق أيضا لقب الحارث بن عمرو ، ملك الشام من آل جفنة ؛ وهو أول من حرق العرب في ديارهم وامرأة هجان ؛ أي حرة كريمة لم يعرفها الإماء ، من نسوة هجان ؛ قال أبو زيد : والهجان من الإبل : البيض ؛ يوصف به الواحد والجمع ؛ فإذا كان واحدا فهو مثل كتاب ، وإذا كان جمعا فهو مثل كلاب ؛ ويقال ناقة هجان ويعبر هجان ، والجمع على هجائن أيضا . وهجائن النعمان معروفة ؛ وهي نجائبه ؛ =

وَعَمِرْتُ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهَدَى وَقَوَارِعُ تَتْلَى مِنَ الْقُرْآنِ (١)  
/ وَلَبِستُ مِلَّ إِسْلَامِ ثَوْبًا وَاسِعًا مِنْ سَيْبٍ لَا حَرِيمٍ وَلَا مَنَانٍ (٢)

[ ٨٧ ]  
ط

وله أيضاً في طول عمره :

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَعِيشَ وَطُولُ عَيْشٍ مَا يَضُرُّهُ (٣)  
تَفَنَّى بِشَاشَتِهِ وَيَبْقَى بَعْدَ خُلُوعِ الْعَيْشِ مُرَّةً  
وَتَتَابَعُ الْأَيَّامِ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَمَسُّهُ  
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَقَائِلٍ لِلَّهِ دَرَّةً !

٥

ويروى أن النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنشدته :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » قلت : الجنة يا رسول الله ،

١٠

فقال : « أجل إن شاء الله » ، ثم أنشدته :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا  
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَايِمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أُصْدَرَا

فقال صلى الله عليه وآله : « لا يفضض الله فاك ! » ، وفي رواية أخرى : « لا يُفَضِّضُ

فوك ! » فيقال : إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة ، لم تسقط له سنٌ ولا ضِرْس . وفي رواية

١٥

أخرى عن بعضهم قال : فرأيتُه وقد بلغ الثمانين ترفٌ غروبُه ، وكان كما سقطت له ثنية نبتت

له أخرى مكانها ، وهو أحسن الناس تفرًا .

معنى ترفٌ تبرق ، وكان الماء يقطر منها .

== وكان يقال لها عصفير النعمان لحُمَيَّا في سيرها . وفي كلام حسان بن ثابت : فا حسدت أحداً حسدى  
النابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريشها من بنوق عصفيره ، وجام وآنية من فضة ، وكانوا  
إذا حبا الملك بعضهم بنوق يغمزون في أسنمتها ريش النعام ؛ ليعلم أنها حبا الملك .

(١) القوارع من القرآن : آيات الوعد والوعيد .

(٢) الرجل الحرم : المانع . (٣) ش : « قد يضره » .



قال المرتضى أدام الله علوه : ومما يشاكل قوله : « إلى الجنة » في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله : « أين المظهر يا أبا ليلى » - وإن كان يتضمن العكس من معناه - ما روى من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان ، مستغيثاً من فعل الجحاف السلمي ، وأنه أنشده :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمُعول<sup>(١)</sup>  
/ فإن لم تُغيّرْها قرّيشٌ بملكها يكن عن قرّيشٍ مُستمازٍ ومزحل<sup>(٢)</sup> [ ٨٨ ]  
و

فقال عبد الملك له : إلى أين يا بن اللّخناء ؟ فقال : إلى النار ، قال : لو قلت غيرها لقطعت لسانك .

فقوله : « النار » تخلّص مليحٌ على البديهة ، كما تخلّص الجعدي بقوله : « إلى الجنة » .  
وأول قصيدة الجعدي الذي ذكرنا منها الأبيات :

١٠ خليلي غصنا ساعةً وتهجّراً<sup>(٣)</sup> ولوما على ما أحدث الدهرُ أو ذرا  
ولا تسألاً ، إنّ الحياة قصيرةٌ فطيراً لروعاتِ الحوادثِ أو قرّاً  
وإن كان أمرٌ لا تطيقان دفعه فلاً تجزّعا مما قضى الله واصبراً  
ألم تعلمّا أنّ السلامة نفمها قليلٌ إذا ما الشئ ولّى فأدبراً<sup>(٤)</sup>  
لوى الله عِلمَ الغيبِ عمّن سواه ويعلّمُ منه ما مضى وتأخراً  
وفيها يقول :

١٥ وجاهدتُ حتّى ما أحسّ ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثمّ تغوّراً  
- يريد : إلى كنت بالشام ، وسهيل لا يكاد يرى هناك ، وهذايت معنى - وفيها يقول :  
ونحنُ أناسٌ لا نعوذُ خيلنا إذا ما التقينا أنّ تحيدَ وتنفرا

(١) ديوانه : ١٠ والطبقات : ٤١٢ ، والبشر : جبل بالجزيرة ، يمتد من عرض الفرات إلى أرض الشام ، وهو الجحاف بن حكيم السلمي ، وانظر خبره وقصة يوم البشري الأغانى ١١ : ٥٥ - ٦٠ .

(٢) يقال : امتاز الغوم إذا تنجى عصابة منهم ناحية ، وكذلك استماز ؛ ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمزحل : الموضع : الذي يترحل إليه ؛ أى يتنجى ويتباعد . وانظر اللسان ( ميز - زحل ) .

(٣) التهجر : السير في الهاجرة . (٤) حاشية ت : • بعده :

يهيئُ اللحاء والملامة ثم ما يقرب منّا غير ما كان قدراً

وَنَسْكَرُ<sup>(١)</sup> يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا      مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ<sup>(٢)</sup> الْجَوْنَ أَشْقَرَا  
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا      صَاحِحًا وَلَا مُسْتَنْكَرَ<sup>(٣)</sup> أَنْ تُعْمَرََا

وأخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال :  
أنشدنا محمد بن سلام وغيره للناطقة الجمعدى :

٥      تَلُومُ عَلَى هُلْكِ الْبَعِيرِ ظَمِئَتِي      وَكُنْتُ عَلَى لَوْمِ الْعَوَازِلِ زَارِيَا<sup>(٤)</sup>  
أَلَمْ تَعْلَمْ أُنِّي رُزِئْتُ مُجَارِبًا<sup>(٥)</sup>      فَمَا لِكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا  
وَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ رُزِئْتُ بِوَحْوَاحٍ<sup>(٦)</sup>      وَكَانَ ابْنُ أُمِّي وَالْخَلِيلُ الْمُصَافِيَا  
فَتَنِي كَمَلْتُ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ      جَوَادُ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا<sup>(٧)</sup>  
فَتَنِي تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ      عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا  
١٠      — وَيُرْوَى : « فَتَنِي كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ » —

أَشْمُ طَوِيلُ<sup>(٨)</sup> السَّاعِدَيْنِ سَمِيدُغٍ      إِذَا لَمْ يَرُحْ لِلْمَجْدِ أَصْبَحَ غَادِيَا  
السَّمِيدُغُ : السَّيْدُ .

ومما يروى للناطقة الجمعدى :

عُقَيَّيَّةٌ أَوْ مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ      بَذَى الرَّمْثِ مِنْ وَادِي الْمَنَارِ خِيَامُهَا<sup>(٩)</sup>  
إِذَا ابْتَسَمَتْ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ دُونَهَا      أَضَاءَ دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ابْتِسَامُهَا      ١٥

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « وَتَنْسَكِرُ » ، بالبناء للمجهول . (٢) حاشية ت ( من نسخة )  
« وَبِحَسْبِ الْجَوْنِ » ، بالبناء للمجهول . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « وَلَا مُسْتَنْكَرَا »  
بالعطف على المعنى . (٤) من أبيات يرثي فيها أخاه لأمه ، وقد ذكرت متفرقة في ديوان الحماسة ٣ : ١٩ ،  
والخزانة ٢ : ١٢-١٣ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٠٩ والأمالى ٢ : ٢ ، والآلى : ٦٣٧ .

(٥) هو محارب بن قيس بن عدس ؟ كان من أشراة قومه . (٦) هو وحوح بن عبد الله ؟ قال  
أبو عبيد البكري : « هُوَ أَخُو النَّاطِقَةِ لِأُمِّهِ » .

(٧) رواية البيت في ت :

فَتَنِي كَمَلْتُ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ      جَوَادُ فَمَا بَقِيَ مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

(٨) حاشية ت ( من نسخة ) : « طَوَالِ السَّاعِدَيْنِ » . (٩) ش : « وَادِي الْمِيَاهِ » .

وذكر الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال: سئل الفرزدق بن غالب عن الجعديّ فقال: صاحب خُلُقَان؛ يكون عنده مُطَرَفٌ بألف دينار، وخمار بوافٍ<sup>(١)</sup>.

قال الأصمعيّ: وصدق الفرزدق ، بينا<sup>(٢)</sup> النابغة في كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب، ثم أنشد له :

سَمَا لَكَ هُمٌّ وَلَمْ تَطْرُبِ      وَبَتَّ يَبَثٌّ وَلَمْ تَنْصَبِ  
وَقَالَتْ سُلَيْمَى أَرَى رَأْسَهُ      كِنَاصِيَةِ الْفَرَسِ الْأَشْهَبِ  
وَذَلِكَ مِنْ وَقَعَاتِ الْمَنُونِ      فَفَمَيْئِي إِلَيْكَ وَلَا تَعْجَبِي  
أَتَيْنَ عَلَى إِخْوَتِي سَبْعَةً<sup>(٣)</sup>      وَغُدُنَ عَلَى رَبْعِي الْأَقْرَبِ

ثم يقول فيها بعدها :

فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ بَرْدَ الْجَنَّا      نِ جَدْلَانِ فِي مَدْخَلٍ طَيِّبٍ

فلان كلامه ؛ حتى لو كان أبا الشمقمق قال هذا البيت كان رديئاً ضعيفاً .

قال الأصمعيّ: وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان ، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان عَلاً في الجاهلية والإسلام ، فلما أدخل شعره في باب الخير من مرأى النبي صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر<sup>(٥)</sup> عليهما السلام / وغيرها لان شعره<sup>(٤)</sup> !

[ ٨٩ ]  
و

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « من كلامهم : مطرف بآلاف ، وخمار بواف ؛ أي بدرهم واف » .

(٢) حاشية ت : « بينا وبيننا يتلقيان بالفعل ؛ ولا يتلقيان بإذا ؛ هذا هو الفصيح العالي ، كقوله :

\* فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ \*

وكقوله :

بَيْنَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ      فَالْقَا عِرْ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوَى هُوِيًّا  
خَطَرْتُ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ وَهَنًا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا

(٣) ش : « إخوة سبعة » ، بالجر والتنوين فيهما . (٤) ش : « فيها » . (٥) وانظر ترجمة

النابغة الجعدي وأخباره وأشعاره في (الشعر والشعراء ٢٤٧-٢٥٥ ، والاستيعاب ٣٢٠-٣٢٥ ، وأسد الغابة ٥ : ٢-٤ ، والإصابة ٦ : ٢١٨-٢٢١ ، والمعمرين ٦٤-٦٦ ، والأغانى ٤ : ١٢٧-١٣٩ ، والخزانة ١ : ٥٩-٥١٥ ، والمؤتلف والمختلف ١٩١ ، ومعجم الشعراء : ٣٢١ ، واللائى : ٢٤٧) .

# مَجْلِسُ آخِر

## مَسْأَلَةٌ

تتعلق بما ذكرناه . إن سأل سائلٌ فقال : كيف يصحُّ ما أوردتموه ، من تطاولِ الأعمار وامتدادِها ، وقد علمتم أنَّ كثيراً من الناس ينكر ذلك ويحمله ويقول : إنه لاقدرةٌ عليه ، ولا سبيلَ إليه ؛ وفيهم<sup>(١)</sup> مَنْ ينزل في إنكاره درجة فيقول : إنه - وإن كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان - فإنه مما يُقَطَّع على انتفائه ؛ لكونه خارقاً للعادات ؛ وإنَّ العادات<sup>(٢)</sup> إذا وثِّقَ الدليلُ بأنَّها لا تنخرقُ إلَّا على سبيلِ الآيَةِ<sup>(٣)</sup> والدَّلالةِ على صدقِ نبيِّ من الأنبياء عليهم السلامُ علمُ أن ما رُوي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يُلتَفَتُ إلى مثله .

الجواب ، قيل له : أما مَنْ أبطل تطاولَ الأعمار من حيث الإحالة ، وأخرجَه عن<sup>(٥)</sup> باب الإمكان فقولُه ظاهرُ الفساد ، لأنه لو عَلم ما العمرُ في الحقيقة ، وما المقتضى لدوامه إذا دام ، وانقطاعه إذا<sup>(٦)</sup> انقطع لعَلم من جواز امتداده ما علمناه . والعمر هو استمرار كونٍ مَنْ يجوز أن يكون حياً وغير حَيٍّ حياً . وإن شئتَ أن تقول : هو استمرار كون الحَيِّ الذي لكونه على هذه الصفة<sup>(٧)</sup> ابتداءً حياً .

وإنما شرَطْنَا الاستمرار ؛ لأنه يَبْعُدُ أن يوصَفَ مَنْ كان حالةً واحدةً حياً بأنَّ له عمراً ؛ بل لا بدَّ من أن يُراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار ، وإن قلَّ .

وشرَطْنَا أن يكونَ مَمْنٌ يجوز أن يكون غير حَيٍّ ، أو يكون لكونه حياً ابتداءً لثلاثاً<sup>(٨)</sup> ١٥ يلزم عليه القديم<sup>(٩)</sup> تعالى ؛ لأنه تعالى جَلَّتْ عَظَمَتُهُ مِمَّنْ لا يُوصَفُ بالعمر ؛ وإن استمر كونه

(١) ت : « منهم » . (٢) ت : « ولأن العادات » . (٣) ت ، وحاشية الأصل

( من نسخة ) : « الإبانة » ، (٤) ت : « جميع ما روى » . (٥) م : « من باب الإمكان » .

(٦) ت : « متى انقطع » . (٧) م : « الصفات » . (٨-٨) حاشية ت ( من نسخة ) :

« احترازاً من أن يلزم عليه القديم تعالى » .

حيًا؛ وقد علمنا أن المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل، ولا يدخل إلا تحت مقدوره؛ كالرطوبة وما يجري مجراها؛ فمضى فعل القديم تعالى الحياة وما تحتاج إليه من البنية - وهي مما يجوز عليه البقاء - وكذلك ما تحتاج إليه فليست<sup>(١)</sup> تنتفى إلا بضد يطرأ عليها، أو بضد ينفي ما تحتاج إليه؛ والأقوى أنه لا ضد لها في الحقيقة<sup>(٢)</sup>؛ وإنما ادعى قوم أنه ما يحتاج إليه، ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يُجِلَّ • بما نقصده / في هذا الباب .

[ ٨٩ ]  
ط

فهما لم يفعل القديم تعالى ضدها، أو ضد ما تحتاج إليه، ولا نقض ناقض بنية الحى استمر كون الحى حيا . ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحاً، لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فحالا، ويوالى بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه، فيستمر كون الحى حيا .

١٠

فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الإنسان، فليس مما لا بد منه، وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك، ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه، وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله، وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل، وإنما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون الحى حياً موجب عن طبيعة وقوة لها مبلغ من المادة، ١٥ متى انتهتا إليه<sup>(٣)</sup> انقطعتا، واستحال أن تدوما<sup>(٤)</sup>. ولو أضافوا ذلك إلى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة .

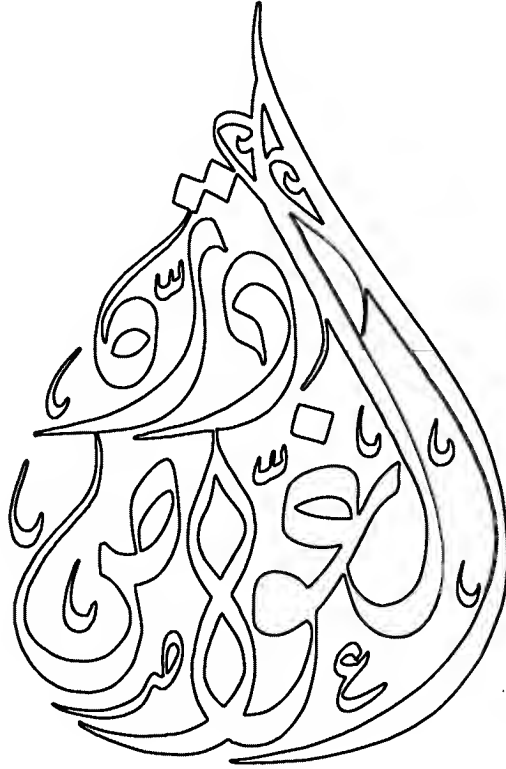
٢٠

فأما الكلام في<sup>(٥)</sup> دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها، فلا شك في أن العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متقاربة يُعدُّ الزائد عليها خارقاً للعادة؛ إلا أنه قد ثبت أن العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً، ويجب أن يُراعى في العادة إضافتها إلى من هي عادة له في المكان والوقت .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فليس ينتفى » . (٢) ت : « وربما » .

(٣-٣) ت : « بطل واستحال أن تدوما » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « على ذلك » .

وليس يمتنع أن يقلَّ ما كانتِ العادةُ جاريةً به على تدريجٍ؛ حتى يصير حدوثُهُ خارقاً للعادة  
بغير خلاف ، ولا يكثر<sup>(١)</sup> الخارق للعادة ، حتى يصير حدوثُهُ غير خارق لها على خلاف فيه .  
وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكونَ العاداتُ في الزمان الغابرِ كانت جاريةً بتطاوُل الأعمار  
وامتدادِها ، ثم تناقصَ ذلك على تدريجٍ ، حتى صارت عادتنا الآن جاريةً بخلافه ، وصار ما بلغ  
• مبلغَ تلك الأعمار خارقاً للعادة ؛ وهذه جملة فيما أردناه كافية .



---

(١) ش : د وأن يكثر .

## بَاب

في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يُسمِّيها قوم المسكتة

/ اعلم أن أجوبة المحاور والمناظرة إنما تُستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب سرعة [٩٠] و الحضور؛ فكم من جواب أتى بعد لأي، وورد بعد تقاعس، فلم يكن له في النفوس وقع، ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع؛ وإن كان المتناقل أعرق في نسب الإصابة، وآخذ بأطراف الحجة، ولهذا قيل: أحسن الناس جواباً وأحضرهم قريش، ثم العرب، وإن المولى تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية .

وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان، فقال صحار العبدى لمعاوية بن أبى سفيان - وقد سأله عن البلاغة - فقال: أن تصيب فلا تخطئ، وتسرع ولا تبطل، ثم اختصر ذلك فقال: لا تخطئ ولا تبطل .

ولطول الفكرة والإغراق في الروية مذهب وأوان لا يُحمد فيهما<sup>(١)</sup> التسرع والتعجل، كما لا يُحمد في أوان السرعة التثاقل والتأيد؛ وإنما تحمد السرعة في أجوبة المحاور والمناظرة، وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة؛ التي على الإنسان فيها مهلة، وله في تأملها فسحة، ولا عيب عليه معها في إطالة التأمل، وإعادة التصفح؛ ولهذا قال الأحنف ابن قيس بصفين: أغبوا الرأي، فإن ذلك يكشف لكم عن محضه .

وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له: لا خير في الرأي الفطير، والكلام القضيبي .

وشوور ابن التوعم الرقائمي<sup>(٢)</sup> فأمسك عن الجواب وقال: ما أحب الخبز إلا بائناً .

(١) حاشية ت (من نسخة) : وفيه . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « الرؤاسي » .

فأما قولهم : ثلاثٌ يُعْرَفَنَّ في الأحمق : سرعةُ الجواب ، وكثرةُ الالتفات ، والثقةُ بكل أحد ؛ فمحمولٌ على إسرعه بالجواب عند الرأي والمشاورة ، والأحوال التي يستحب فيها التأيّد والتثبت ، أو على الإسراع من غير تحصيلٍ ولا ضبط ؛ وذلك مذمومٌ لا إشكال فيه . ثم نعود إلى ما قصدناه .

٥ روى أن بعضَ أزواج النبي صلى الله عليه وآله سألته : متى يعرف الإنسان ربّه فقال : « إذا عَرَفَ نفسه » . وقال له صلى الله عليه وآله رجلٌ : إني أكره الموت ، فقال : « ألك مال ؟ » ، قال : نعم ، قال : « قدّم مالك ؛ فإن قلب كلِّ امرئ عند ماله » .

وقال يهودىٌّ لأمير المؤمنين عليه السلام : ما دفنتم نبيّكم حتى اختلفتم فيه ، فقال عليه السلام : إنا اختلفنا عنه ، لا فيه <sup>(١)</sup> ؛ ولكنكم ماجّفت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون .

وروى أنه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلوات الله عليه وآله ، سأل عن خبر السقيفة فقيل له : إن الأنصار قالت : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال عليه السلام : فهلا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وآله : « نقبلُ من مُحسِنهم ، ونتجاوز عن مسيئهم » ! فكيف يكون الأمرُ فيهم والوصاة بهم !

١٥ وقال له عليه السلام ابنُ الكوّاء : يا أمير المؤمنين ، كم بين السماء والأرض ؟ فقال : دعوةٌ مستجابة . وقيل له : ما طعمُ الماء ؟ فقال : طعم الحياة . وقيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال : مسيرة يومٍ للشمس . وأثنى عليه رجل — وكان له متهماً — فقال : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك . وكان عليه السلام إذا أطراه رجلٌ قال : اللهم إنك أعلمُ بي منه ، وأنا أعلمُ منه بنفسى ، فاغفر لي ما لا يعلم .

٣٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدّثنى عبدُ الواحد بن محمد الخصبى قال : حدّثنى

(١) حاشية ت (من نسخة) « ولم نختلف فيه » .



أبو عليّ أحمد بن إسماعيل قال : حدثني أيوب بن الحسين الهاشمي قال : قدم على الرشيد رجلاً من الأنصار ، يقال له نُفَيْع - وكان عَرِيضاً - قال : فحضرَ بابَ الرشيد ، ومعه عبدُ العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، وحضرَ موسى بن جعفر عليهما السلام على حمّارٍ له ، فتلَقَّاهُ الحاجب بالبَرِّ<sup>(١)</sup> والإكرام ، وأعظمه مَنْ كان هناك ، وعَجَّلَ له الإذن ، فقال نُفَيْع لعبد العزيز : مَنْ هذا الشيخ ؟ قال : أَوْ ما تعرفُهُ ؟ قال : لا ، قال : هذا شيخ آل أبي طالب ، هذا موسى بن جعفر ، قال : ما رأيت أعجَزَ مِنْ هؤلاء القوم ! يفعلون هذا برجل<sup>(٢)</sup> يَقْدَرُ أَنْ يُزِيلَهُمْ<sup>(٣)</sup> عن السَّرِير ! أَمَّا لَيْنُ خُرجَ لَأَسْوَأَ نَه ، فقال له عبد العزيز : لا تفعل ، فإن هؤلاء أهلُ بيت قَلَّمَا تَعَرَّضَ لَهُمْ أَحَدٌ فِي خُطابٍ إِلَّا وَسَّموهُ بالجواب<sup>(٤)</sup> سِمَةً يَبْقَى عَارُهَا<sup>(٥)</sup> عليه مَدَى الدهر .

قال : وخرج موسى بن جعفر عليهما السلام ، فقام إليه نُفَيْع الأنصاري ، فأخذ بِإِجامِ حمّارِهِ ثم قال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال له : يا هذا ، إِنْ كُنْتَ تَريدُ النَّسَبَ فَأَنَا ابنُ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ ١٠ ابنُ إسماعيلَ ذَبِیحِ اللَّهِ بنِ إِبْراهيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَريدُ الْبَلَدَ ، فَهُوَ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ - إِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ - الْحِجَّ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَريدُ الْمَفَاخِرَةَ ، فَوَاللَّهِ مَا رَضِيَ مَشْرُكُو قَوْمِي<sup>(٦)</sup> / مُسْلِمِي قَوْمِكَ أَكْفَاءَ لَهُمْ حَتَّى قَالُوا : يَا مُحَمَّد ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا [ ٩١ ] أَكْفَاءَ نَا مِنْ قُرَيْشٍ<sup>(٧)</sup> ؛ خَلَّ عَنْ الْحَمَارِ ، قَالَ : نَفَخَی عَنْهُ وَيدُهُ تُرْعَدُ ، وَانصَرَفَ بِخُزْمَى ، فقال له عبد العزيز : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ ! .

١٥

وَيُقَالُ إِنْ مَعَاوِيَةَ اسْتَشَارَ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ فِي عَقْدِ الْبَيْعَةِ لابْنِهِ يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَعْلَمُ بِلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ .

وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخريمي : مَدْحُكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ أَجُودُ مِنْ مَرَاتِيكَ

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بالبشر » . (٢-٢) حاشية ت ( من نسخة ) : يقدر أن

يزيلهم . (٣-٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « وسما يبق عاره » . (٤) حاشية ط : « يعني

بقوله : « مشركو قومي » شعبة وعتبة وعمرو بن عبدود (٥) ورد بعد هذه العبارة في م ، ومن

نسخة بحاشيتي ت ، ف : « وإن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوات

المفروضة بقوله : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فنحن آل محمد » .

فيه ، فقال : كُنَّا نعمل للرجاء ، واليوم للوفاء ، وبينهما بونٌ .

ودخل مُطِيع بن إياس على الهادي في حياة المهديّ فدُهِش وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل له : مه ! فقال : بعدُ أمير المؤمنين .

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب - وكان جيّد الجواب حاضره - : أنا خيرٌ لك من أخيك ، فقال عقيل : إن أخى آثر دينه على دنياء ، وأنت آثرت دنياءك على دينك ؛ فأخى خيرٌ لنفسه منك ، وأنت خيرٌ لى منه . وقال له يوماً : إن فيكم لشبَعاً يا بني هاشم ، فقال : هو منّا في الرجال ، ومنكم في النساء . وقال له يوماً وقد دخل عليه : هذا عقيل ، عمّه أبو لهب ، فقال عقيل : هذا معاوية ، عمته حمالة الحطب . وعمّة معاوية أمٌ جميل<sup>(١)</sup> بنت حرب بن أمية ، وكانت امرأةً أبا لهب . وقال له يوماً : يا أبا يزيد ، أين ترى عمّك أبا لهب ؟ فقال له عقيل : إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجدّه مفترساً عمّتك ، فانظر أيّهما أسوأ حالاً ، الناكح أم المنكوح ! وقال له ليلة الحرير بصيفين : يا أبا يزيد ، أنت معنا الليلة ، قال : ويوم بدرٍ كنتُ معكم .

وقيل لسميد بن المسيّب - وقد كفّ بصره : ألاّ تفتح<sup>(٢)</sup> عينك ؟ قال : حتى أفتحها على من !

١٥ ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له : كبريت يا معن ، قال : في طاعتك ، قال : وإنك لتتجأّد ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقيّة ، قال : هي لك .

وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل : والله لأقتلنك قِتلةً يُتحدّث بها بعدك ، فقال مسلم : أشهد أنك لا تدعُ سوء القِتلة ولؤم القُدرة لأحد أولى بهما منك .

وقال رجل لعمر بن العاص : لأتفرّغن لك ، قال : إذا وقعت<sup>(٣)</sup> في الشغل .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أم جميل هي ابنة حرب ، أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس » . (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ألا تفتح عينك ؟ » . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « إذا وقع » .

وقال معاوية لعمر بن سعيد بن العاص المنقّب بالأشدق : إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟  
فقال : إنَّ أبى أوصى إلىَّ ولم يُوصِ بى .

وقال عبید الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته / الوفاة : قد أوصيتُ بك فلاناً [ ٩١ ]  
فألقه بعدى ، فقال : يا أبة ، إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت ، فالحي هو الميت .

وقال الوليد بن يزيد لابن الرِّقَاع العاملي : أنشدنى بعض قولك فى الخمر ، فأنشده :  
كُميتُ إذا شُجِّتْ وفى الكأسِ وَرْدَةٌ لها فى عِظامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ  
فقال له : شربتها وربُّ الكعبة ! فقال ابنُ الرِّقَاع : لئن كان نعتى لها بذلك رابك ،  
لقد رايتنى معرفتك بها .

ولما أتى معاوية نعى الحسن بن علىّ عليهما السلام بعث إلى ابنِ عباس رضى الله عنه -  
وهو لا يعلمُ الخبر - فقال له : هل عندك خبر من المدينة <sup>(١)</sup> ؟ قال : لا ، قال : أنا <sup>(٢)</sup> نعى ١٠  
الحسن - وأظهر سروراً - فقال ابنُ عباس : إذا لا يُنسأ <sup>(٣)</sup> فى أجلك ، ولا تُسدُّ حفرتك ،  
قال : أحسبه قد ترك صبية صغاراً ، قال : كلُّنا كان صغيراً وكبيراً ، قال : وأحسبه قد كان  
بلغ سنّاً ، قال : مثلُ مولده لا يُجهل ، قال معاوية : وقال قائل إنك أصبحتَ سيِّدَ قومك ،  
قال : أما وأبو عبد الله الحسينُ بن علىّ حىّ فلا ؛ فلما كان من غدٍ أتى يزيدُ بن معاوية  
ابنَ عباس ، وهو فى المسجد يعزى <sup>(٤)</sup> ، فجلس بين يديه جلسة العزى ، وأظهر حزناً <sup>(٥)</sup> ١٥  
وغماً ، فلما انصرف أتبعه ابنُ عباس بصره وقال : إذا ذهب آل حرب ذهب حلُم قريش .  
وروى أن وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فأراد فتى منهم الكلام ، فقال عمر :  
ليتكلم أ كبركم ، فقال الفتى : إن قريشاً لترى فيها مَنْ هو أسنّ منك ، فقال له :  
تكلّم يا فتى .

(١) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « ماجاءك من المدينة خبر ؟ » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « أتى ناعى الحسن » . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) :

« إذا لا ينسأ أجلك » . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كان ذلك بالشام ؛ وروى أن ابن عباس

رضى الله عنه عقد بالشام عزاء على الحسن صلوات الله عليه » . (٥) ت : « تحزنا » .

وروى محمد بن سلام الجُمُحِيّ قال: "أُنشد<sup>(١)</sup> كُثَيِّرَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ شِعْرًا :  
 عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمُسَدَّى نَسَجَهَا فَأَذَاهَا<sup>(٢)</sup>  
 فَقَالَ لَهُ : هَلَا قَلْتَ كَمَا قَالَ الْأَعَشَى :  
 وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ شَبَابٌ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِيهَا<sup>(٣)</sup>  
 كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَا بَسَ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِمًا أَبْطَالَهَا<sup>(٤)</sup>  
 فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ وَصَفَهُ بِالْخُرْقِ وَوَصَفْتُكَ بِالْحَزْمِ<sup>(٥)</sup> .

وَيُشَبِّهُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ<sup>(٦)</sup> عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ لَقِيَ ذَا الرُّثْمَةِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْشَدْنِي  
 قَصِيدَتَكَ :

\* مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ<sup>(٧)</sup> \*

(١) طبقات الشعراء ٤٥٨-٤٥٩ ؛ ورواه المَرْزُبَانِيُّ فِي الْمَوْشِجِ : ١٤٥ ؛ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الرَّوَايَةِ .  
 (٢) ابْنُ أَبِي الْعَاصِي هُوَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِي بْنِ أُمِيَّةَ ، وَدِلَاصٌ : وَصَفٌ  
 لِلدَّرْعِ اللَّيْنَةِ . وَالْحَصِينَةُ : الْحِكْمَةُ الْمُتَدَانِيَةُ الْخَلْقِ ؛ يَكُونُ صَاحِبُهَا فِي حَصْنٍ مِمَّا يَصِيبُهُ . وَسَدَى الدَّرْعِ :  
 نَسَجَهَا . وَيُقَالُ أَذَالَ الدَّرْعَ ؛ إِذَا أَطَالَ ذِيلُهَا وَأَطْرَافُهَا .  
 (٣) دِيَوَانُهُ : ٢٧ . الْكَتِيبَةُ : الْفُطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَيْشِ ، وَكَتِيبَةٌ مَعْلُومَةٌ : مَجْتَمِعَةٌ مَضْمُونٌ بَعْضُهَا  
 إِلَى بَعْضٍ . وَشَبَابٌ : بَيَاضٌ صَافِيَةٌ الْخَدِيدِ . وَالذَّائِدُ : الَّذِي يَحْمِي الْحَرَمَ وَيُدَوِّدُ عَنْهَا ، وَالتَّهَالُ : الْعَطَاشُ .  
 (٤) الْمَقْدَمُ : شَدِيدُ الْإِقْدَامِ عَلَى الْعَدُوِّ . وَالْجُنَّةُ هُنَا : الدَّرْعُ تَسْتُرُ لَابِسَهَا . وَالْمُعَلِمُ : مَنْ يَعْلَمُ مَكَانَهُ  
 فِي الْحَرْبِ بَعْلَامَةً أَعْلَمَ بِهَا نَفْسَهُ . (٥) رَوَايَةُ الْمَرْزُبَانِيِّ : « فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَصَفَ الْأَعَشَى صَاحِبَهُ  
 بِالضَّيْشِ وَالْخُرْقِ وَالتَّغْرِيرِ ؛ وَوَصَفْتُكَ بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ ، فَأَرْضَاءُ » ؛ وَقَدْ فَاضَلَ الْمَرْزُبَانِيُّ بَيْنَ هَذَيْنِ الشَّعْرَيْنِ  
 فَقَالَ : « رَأَيْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَفْضُلُونَ قَوْلَ الْأَعَشَى فِي هَذَا الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِ كَثِيرٍ ؛ لِأَنَّ الْمُبَالَغَةَ أَحْسَنُ عِنْدَهُمْ  
 مِنَ الْإِقْتِصَارِ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوْسَطِ ؛ وَالْأَعَشَى بَالِغٌ فِي وَصْفِ الشَّجَاعَةِ حَتَّى جَعَلَ الشَّجَاعَةَ شَدِيدَ الْإِقْدَامِ غَيْرَ جُنَّةٍ  
 عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لِبَسِ الْجُنَّةِ أَوَّلَى بِالْحَزْمِ وَأَحَقُّ بِالْعَوَابِ ؛ فَنِي وَصَفَ الْأَعَشَى دَلِيلَ قُوَى عَلَى شِدَّةِ شَجَاعَتِهِ  
 صَاحِبِهِ » . (٦) الْخُبْرُ فِي الْمَوْشِجِ ١٧٤-١٧٥ ، وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٥١٧-٥١٨ ، وَالْأَغَانِي ١٦ : ١١٨ ؛  
 وَاللَّاتِي : ٨٩٨ ؛ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الرَّوَايَةِ وَالشَّعْرِ . (٧) بَقِيَّتُهُ :

\* كَأَنَّهُ مِنْ كَلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ \*

وَالْكَلَى : جَمْعُ كَلِيَّةٍ ؛ وَهِيَ رُقْعَةٌ تَكُونُ فِي أَصْلِ عُرْوَةِ الْمَرَاةِ . وَمَفْرِيَّةٌ : مَقْطُوعَةٌ . وَسَرِبُ  
 سَائِلٌ ؛ وَالْقَصِيدَةُ فِي دِيَوَانِهِ ١ - ٣٥ .

[٩٢]

/ فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله :  
تُصْنِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً      حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرْزِهَا تَثِبُ  
فَقَالَ لَهُ أَبُو عمرو بن العلاء : قول الراعي أحسن مما قلت  
تَرَاهَا إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا      كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ  
وَلَا تُعِجِلُ الْمَرْءَ عِنْدَ الْوُورِ      لَكَ وَهْيَ بِرِكْبَتِهِ أَبْصَرُ<sup>(١)</sup>  
فَقَالَ ذُو الرُّمَةِ : إِنَّ الرَّاعِيَ وَصَفَ نَاقَةَ مَلِكٍ ، وَأَنَا وَصَفْتُ نَاقَةَ سَوَاقَةٍ .

وحكى الصُّوْلِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يُنْشِدُ بَيْتَهُ الَّذِي حَكَمِيْنَاهُ ، فَقَالَ : سَقَطَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ .  
فَأَمَّا الْغَرْزُ فَهُوَ لِلنَّاقَةِ مِثْلُ الرَّكْبِ لِلدَّابَّةِ ، وَهُوَ نِسْعٌ مَضْفُورٌ . وَقَوْلُهُ : « تُصْنِي »  
يُرِيدُ تُمِيلُ رَأْسَهَا ، كَأَنَّهَا تَسْمَعُ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَفُورٍ ، بَلْ مُؤَدَّبَةٌ مَقُومَةٌ . وَالْكُورُ : الرَّحْلُ .  
وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو نَوَاسٍ فَأَحْسَنَ نِهَایَةَ الْإِحْسَانِ ، فَقَالَ يَصِفُ النَّاقَةَ فِي مَدْحِهِ .  
الْخَصِيبُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ :

فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِّتُسْمِعَهُ      بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقُرُ  
فَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ وَصَفَهَا بِالْإِصْغَاءِ حَتَّى وَصَفَهَا بِالْوَقْرِ ، وَهُوَ الثَّقَلُ فِي الْأُذُنِ ، لِأَنَّ الثَّقِيلَ  
السَّمْعَ يَكُونُ إِصْغَاؤُهُ وَمِثْلُهُ إِلَى جِهَةِ الْحَدِيثِ أَشَدَّ وَأَكْدَّ<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ : وَإِنِّي لِأَسْتَحْسِنَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا الْبَيْتُ<sup>١٥</sup>  
الَّذِي أَوْرَدَنَاهُ لِأَبِي نَوَاسٍ ؛ لِأَنَّهَا دُونَ الْعَشْرِينَ بَيْتًا ، وَقَدْ نَسَبَ فِي أَوَّلِهَا ، ثُمَّ وَصَفَ النَّاقَةَ  
بِأَحْسَنِ وَصْفٍ ، ثُمَّ مَدَحَ الرَّجُلَ الَّذِي قَصَدَ مَدْحَهُ وَاقْتَضَاهُ حَاجَتَهُ ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِطَبِيعٍ يَتَدَفَّقُ ،  
وَرَوْثًا يَتَرَقَّقُ ، وَسَهْوَةً مَعَ جَزَالَةٍ ؛ وَالْقَصِيدَةُ<sup>(٣)</sup> :

(١) الْبَيْتَانِ فِي الْآلِئِ : ٨٩٨ . الْوُورُوكُ : أَنْ يَثْنِيَ الرَّجُلُ لِاحْدَى وَرَكَبِهِ لِيَنْزِلَ مِنْ فَوْقِ السَّرَجِ ، وَالْبَيْتُ  
الثَّانِي فِي الْأَسَانِ ( وَرَك ) ، وَفِي ت : « الرُّكُوب » ، وَمِنْ نَسْخَةِ بَحَاشِيْنِي الْأَصْلِ ، ت : « الْزَوَل » .  
(٢) مِنْ نَسْخَةِ بَحَاشِيَّةِ ت : « وَأَوْكَد » . (٣) دِيَوَانُهُ : ١٠١ .

يَا مِنَّةً اِمْتَنَيْهَا السُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مِنِّي لَهَا الشُّكْرُ  
 اَعْطُتْكَ فَوْقَ مُنَاكَ مِنْ قَبْلِ قَدْ كُنَّ قَبْلُ، مَرَامُهَا وَغُرُ  
 يَثْنِي إِلَيْكَ بِهَا سَوَالِفَهُ رَشَاءُ صِنَاعَةٍ عَيْنِهِ السَّجَرُ  
 ظَلَّتْ مُحِيًّا الْكَأْسَ تَبْسُطُنَا<sup>(١)</sup> حَتَّى تَهْتِكَ بَيْنَنَا السُّتْرُ  
 / فِي مَجْلِسِ ضِحْكَ السُّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

[ ٩٢ ]  
ط

أما قوله : « حَلَّتِ الْخَمْرُ » فيحتمل أن يُريد به أن ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور<sup>(٢)</sup> المأمول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر ، ومُلْجِئاً إلى تناولها ، ورافعاً للخرج فيها ؛ على مذهب الشعراء في المبالغة ؛ وتكون فائدة وصفها بأنها « حَلَّتِ » المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب . ويحتمل أن يكون عَقَّدَ على نفسه ، وآلَى ألا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع مع محبوبه ، وكان الاجتماع معه مُخْرِجاً له عن يمينه ، على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم ، إلى أن يأخذوا بثأرهم ؛ ويجرى ذلك مجرى قول الشَّنْفَرَى :  
 حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا      وَبَلَّأِي مَا أَلَمْتُ تَحِلُّ<sup>(٣)</sup>

ويحتمل أن يريد « بَحَلَّتْ » نزلت وأقامت ؛ من الحُلُول الذي هو المقام ؛ لا مِنْ الْحَلَالِ ؛ فكأنه وصف بلوغ جميع آرايه وحضور فنون لذاته ، وأنها تكاملت بحلول الخمر ؛ التي فيها جميع اللذات ؛ وهذا الوجه وإن لم يُشِرْ إليه أحدٌ ممن تقدم في تفسير هذا البيت ؛ فالقول يحتمله ، ولا مانع من أن يكون مُراداً . وقد قيل إنه أراد استحللنا الخمرَ لسُكْرِنَا ، وفَقَدْنَا المَقُولَ التي كنا نمتنع لها من الحرام ؛ والوجه المتقدم أشبه وأقرب إلى الصواب

(١) د : « تنشطنا » . (٢) د ، ف : « وحصول » . (٣) من قصيدة مضمها :

إِنَّ بِالشُّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لِقَتِيلًا دُمُهُ مَا يُطَلُّ

وفي نسبها خلاف كبير ؛ نسبها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٣١٣-٣١٩ إلى تأبطشرا ، وقال التبريزي : « إنها لحلف الأحمر ؛ وقيل إنها لابن أخت تأبطشرا » ؛ ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى خلف ؛ وقال : « إنه لخلف ابن أخت تأبطشرا ؛ وكان يقول الشعر وينحله المنقدمين » ، ومن نسبها إلى الشنفرى صاحب الأغاني ( ٥ : ١٦٢ ) .

ولقد تجوبُ بى الفلاة إذا صامَ النهارُ وقالتِ العُفْرُ  
أراد «بصام»، وقف، وذلك وصف له بالامتداد والطول. والعُفْر: الظباء اللواتي<sup>(١)</sup>  
فى ألوانهنَّ حمرة يخالطها كُدرة<sup>(٢)</sup>. و «قالت» من القائلة، وهى وقتُ نصف النهار؛  
لا من القول.

شَدَنِيَّةٌ رَعَتْ الحِمَى فَأَتَتْ مَاءَ الجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصْرُ  
شَدَنِيَّة: منسوبة إلى شَدَن، وهو موضع باليمن؛ يقال لِمَلِكِهِ: ذو شَدَن.  
تَشْنَى عَلَى الحَاذِينَ ذَا خُصَلٍ تَعْمَلُهُ الشَّدَرَانُ وَالْخَطْرُ  
الحَاذُ: مؤخر الفخذ. والشَّدَرَان: رفع الناقة ذَنبها من المَرَح<sup>(٣)</sup>. والخطران، معروف  
من خطرَ يخطرُ / . وتَعْمَلُهُ، أى عمله.

أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِدَةً فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ  
يعنى بشامدة، أى مبالغة فى رفع ذَنبها. ويقال، رَنَقَ الطائرُ؛ إذا نشرَ جَنَاحه<sup>(٤)</sup>  
طائرًا من غير تحريك.

أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ خَافِضَةً فَتَقُولُ أَرْخَى خَلْفَهَا سِتْرُ  
وَتَسِفُ أحيانًا فَتَحْسِبُهَا مُتَرَسِّمًا يَقْتَادُهُ أَثَرُ<sup>(٥)</sup>

معنى «تَسِفَ»، أى تُدْنِي رأسها من الأرض. والمتَرَسِّم: الذى يتتبع الرِّسْمَ ويتأمله؛ ١٥  
ومعنى «يقْتاده أَثَرُ»، أى هو معنى يُبْطِلُ الأثرَ وموَكَّلٌ بَتَبْعِهِ. ويقال: أَثَرُهُ وَأَثَرُهُ وَإِثَرُهُ؛

(١) حاشية ت (من نسخة): «التي». (٢) حاشية ت (من نسخة): «كدورة». (٣) فى حواشى الأصل، ت، ف: «فى كتاب ابن فارس: تشذرت الناقة إذا رفعت رأسها من النشاط». (٤) ت، ش، ف: «جناحيه». (٥) فى حاشيتى الأصل، ت: «الأثر [بضم الهمزة والثاء]، والأثر [بفتح الهمزة والثاء] سواء؛ قال امرؤ القيس:

وإنْ أَدْبَرْتَ قَلْتَ أَثْفِيَّةً مُكَلِّمَةً لَيْسَ فِيهَا أَثَرُ

ثلاث لغات ؛ وقد وهم الصُّوليّ في تفسير هذا البيت ؛ لأنّه قال : إن أبا نُوَاس جمع الأثرِ  
آثَارًا ، ثم جمع الآثَارَ أَثْرًا ، ثم خَفَّفَ فقال : « أَثْرٌ » . وليس يحتاج إلى ما ذكره مع  
ما أوردناه ؛ وإنما ذهب عليه أنه يقال في الأثر: أَثْرٌ .

فَإِذَا قَصَرْتَ لَهَا الزَّمَامَ سَمَا      فَوْقَ الْمَقَادِمِ مِلْطَمٌ حُرٌّ<sup>(١)</sup>  
فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِّلْتُسْمِيعِ      بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقُرْ  
تَبْرِى لَأَنْقَاضٍ أَضَرَّ بِهَا      جَذْبُ الْبُرَى فَيُخْذُودُهَا صَعْرٌ

معنى تَبْرِى ، تَنْبْرِى ، أى تعرض لهذه الأنقاض ، والأنقاض : جمع نَقَضَ ؛ وهو البعير  
الذى قد هزله السفرُ والكَدُّ . والْبُرَى : جمع بُرَّة ؛ وهى الحائِثَةُ التى تكون فى أنف البعير  
يُذَلِّلُ بِهَا .

يَرْمِى إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ      عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ<sup>(٢)</sup> بِكَ الدَّهْرُ  
أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ      فَتَدَقَّتَا فَكَلَاكُمَا بِحَرِّ  
لَا تَقْعُدَا بَى عَنْ مَدَى أَمَلِ      شَيْئًا فَمَا لَكُمَا بِهِ عُذْرُ  
وَيَحِيقُ لِي إِذْ صِرْتُ بَيْنَكُمَا      أَلَّا يَحِلَّ بِسَاحَتِي قَقَرٌ<sup>(٣)</sup>



## مَجْلِسُ آخِر

قال سيدنا أدام الله علوه: ثم نعود إلى ما كنّا آخذين فيه من ذكر مُسْتَحْسَنِ الجوابات.  
رُوى أن رجلاً نظر إلى كُثَيِّر الشاعر راكباً / وأبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام يمشي ، [ ٩٣ ]  
فقال له : أتركبُ وأبو جعفر يمشي ! فقال : هو أمرّني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب  
أفضلُ مني في عصياني إياه بالمشي <sup>(١)</sup> .

ورُوى أن دعاةَ خُرَاسان صاروا إلى أبي عبد الله الصادق عليه <sup>(٢)</sup> السلام فقالوا له : أردنا هـ  
ولد محمد بن عليّ <sup>(٣)</sup> ، فقال : أولئك بالسَّراة ولست بصاحبكم ، فقالوا له : لو أراد الله بنا خيراً  
كنتُ صاحبنا ، فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله : أردتَ الخروج علينا ، فقال : نحن ندلُّ  
عليكم في دولة غيركم ، فكيف نخرج عليكم في دولتكم !

وقال عبد الملك بن مروان لنصيب : هل لك في الشراب؟ فقال له نُصَيْب : الشعر مفلّجٌ ،  
واللون مرمدٌ <sup>(٤)</sup> ، وإنما قرَّبَني إليك عقلي ، فبهه لي . ١٠

وقال مروان الملقَّب بالحِمَار لحاجبه - وقد ولّى منهزماً - : كرَّ عليهم بالسيف ، فقال :  
لا طاقةَ لي بذلك ، فقال : والله لئن لم تفعل لأسوءَ نَك ، فقال : ودِدْتُ أنك تقدر على ذلك .

وقال يحيى بن خالد لشريك : علّمنا مما علّمك الله يا أبا عبد الله ، فقال له شريك : إذا  
علّمتم بما تعلّمون ، علّمناكم ما تجهلون .

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « في المشي » . (٢) ت : « أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق  
عليه السلام » . (٣) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ؛ جد الخلفاء العباسيين ؛ وهو الذي  
ابتدأت الدعوة على يديه ؛ وكان ذلك في حياة أبيه ؛ ( وانظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١١٨ ) .  
(٤) الرمدة : لون إلى الغبرة ؛ ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف : « مرمد » .

وقال المأمون لمحمد بن عمران : بلغني أنك بخيل ، فقال : ما أجد في حقّ ، ولا أذوب في باطل (١).

وقيل لأبي دؤاد الإياديّ - ونظر إلى بنته تسوس فرسه : أهنتها يا أبا دؤاد ! فقال : أهنتها بكرامتي ، كما أكرمتها بهواني ؛ ومثل ذلك قول أعرابيّ لحقه ذلٌّ على باب الساطان :  
أهين لهم نفسي لأكرّمها بهم      ولن تُكرّم النفس التي لا تُهينها

ودخل عُمارَة بن حمزة على المنصور ، فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فقام رجلٌ إلى المنصور فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، فقال : مَنْ ظلمك ؟ فقال : عُمارَة غصبني ضيعتي ، فقال المنصور : قم يا عُمارَة ، فاقعد مع خصمك ، فقال عُمارَة : ما هو لي بخصم ؟ فقال له : كيف ؟ قال : إن كانت الضيعة له فلست أنازعها فيها ؛ وإن كانت لي فهي له ، ولا أقوم من مجلس شرفني . به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة .

وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة : سألني حاجتك ، فقال : لا أسأل في بيت الله غير الله .

[ ١٤ ]      وهرب سليمان بن عبد الملك من الطّاعون فقيل له : إن الله تعالى / يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛  
١٥ [ الأحزاب : ١٦ ] ، فقال : ذلك القليل نطلب .

وقيل إنَّ الجعديّ بن درهم جعل في قارورة تراباً وماءً ، فاستحال دوداً وهواماً ، فقال لأصحابه : أنا خلقت ذلك ، لأنني كنتُ سبب كونه . فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال : إن كان خلقه فليقل : كم هو ؟ وكم الدُّكران منه والإناث ؟ وكم وزن كل واحدة منهن ؟ وليأمر الذي يسعى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره . فانقطع وهرب .

وقال المأمون للفضل بن سهل: إني أخافُ عليك أقواماً يعادونك، فلا تركب إليَّ إلّا في جيش، فقال الفضل: ما أخاف غيرك، فإن أمنتني من<sup>(١)</sup> نفسك لم يضرني إنسان.

وقيل لأبي ثور: ما تقولُ في حمّاد بن زيد بن درهم، وحمّاد بن سلمة بن دينار؟ فقال: بينهما في العلم كقيمة ما بين أبيهما في الصرف.

وأراد المأمون تقبيل السّواد<sup>(٢)</sup>، وجلس ينظر العمّال على ذلك، فقام إليه رجلٌ ه من الدّهّاقين فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله عز وجل ولّاك علينا بالأمانة، فلا تقبلنا، فأضرب عن ذلك.

وقال رجل لابن عباس: زوجني من فلانة<sup>(٣)</sup> - وكانت يتيمة في حجره - فقال: لا أرضاها لك، لأنّها تتشرّف، فقال الرجل: قد رضيت أنا، فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها.

١٠

<sup>(٤)</sup> ويشبه هذا الخبر من وجه ما رواه<sup>(٥)</sup> المدائني قال: أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المُرّي<sup>(٥)</sup> وبين القاسم بن ربيعة الحَوْشِي<sup>(٦)</sup> من بني عبد الله بن غطفان، فيولّي القضاء أقدمهما<sup>(٧)</sup>، فقدم الرجل البصرة، فجمع بينهما، فقال إياس للشامي: أيّها الرجل، سل عني وعن القاسم فقيهي المِصر: الحسن وابن سيرين، فمن أشارا عليك

(١) من نسخة بحاشيتي ت، ف: « فإن أمنتني نفسك ».

(٢) السواد؛ يراد به رستاق العراق وضياعتها مما امتنحه المسلمون؛ سمي بذلك اسواده بالزروع والخل والأشجار والتقبيل؛ من القبالة؛ وهي السكفالة، قال في اللسان: « يقال قبلت العامل تقبيلًا؛ والاسم القبالة؛ وفي حديث ابن عباس: « إياكم والقبالات؛ فإنها صفار وفضلها ربا؛ وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى؛ فذلك الفضل ربا؛ فإن تقبل وزرع فلا بأس ».

(٣) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): « زوجني فلانة ». (٤-٤) من نسخة بحاشيتي الأصل،

ت: « ويشبه هذا الخبر من وجه بخبر رواه ». (٥) من نسخة بحواشي الأصل، ت، ف: « المزني » وفي حاشية الأصل أيضا: « وهم، هو إياس بن معاوية بن قرة المزني ».

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « الجوشني ». (٧) حاشية ت (من نسخة):

« أقدمهما ».

بتوليته فوله ؛ وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ، ولم يكن إياس يأتيهما ، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به ، فقال للشامي : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالذي لا إله إلا هو إن إياساً أفضل مني وأفقه ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنت عندك ممن يصدق أنه كينبغي أن تقبل مني ، وإن كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب ؛ فقال إياس للشامي : إنك جئت برجل فآفته على شفير جهنم ، فافتدى نفسه من النار<sup>(١)</sup> أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها ، يستغفر [ ٩٤ ] الله منها ، وينجو مما يخاف . / فقال الشامي : أما إذ فطنت لهذا ، فإني أوليك ، فاستقضاه . ط

ولما مضى معاويةبيعة يزيد جعل الناس يقرطونه ، فقال يزيد لأبيه : ما ندرى أنخدع الناس أم يخدعوننا ؟ فقال معاوية : يا بني ، من خدعته فتخدع لك ليخدعك فقد خدعته .  
وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه - وقد سمع صوت قصار - يقول :  
١٠ ليتني كنت غسلاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا نتمنى في الحياة ما هم فيه .

وقال الواثق للجاحظ : يامنانى<sup>(٢)</sup> ، فقال : لو كان الذي أضفتني إليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه ؛ فكيف أكون على دينه<sup>(٣)</sup> ! .

وقال ابن عباس رضى الله عنه للخوارج - وقد أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم :  
١٥ نشدكم الله ، أيما أعلم بالتزويل والتأويل : على أم أنتم ؟ قالوا : على ، قال : أليس تدرون ، لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون ! فرجع أكثرهم .

(١) حاشية ف : « بدل اشتغال من « نفسه » ، أى افتدى قذف نفسه » .

(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « يامانى » ؛ ومانى : منسوب إلى ماني ؛ وهو ماني ابن فاتك الحكيم ؛ وأتباعه يعرفون بالمانوية ؛ وهم يزعمون أن العالم مركب من أصلين قديمين : نور وظلمة ؛ وهما أزليان ، ( وانظر تفصيل مذهبهم في الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣-١٤٦ ) .

(٣) ت : « على ذلك » .

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس : ما مَنَعَ عليّ بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين ؟ فقال : أما والله لو بعثني لاعتزضتُ مدارج<sup>(١)</sup> أنفاسه ، أطيّر إذا أسفَّ وأُسِفَّ<sup>(٢)</sup> إذا طار ، ولعقدت له عقدا لا تنتقض مريرته ، ولا يدرك طرفاه ؛ ولكنه سبق قدرٌ ، ومضى أجلٌ ، والآخرة خير لأمر المؤمنين من الدنيا .

وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام لكثير : امتدحت عبد الملك بن مروان ؟ ه فقال : لم أقل له يا إمام الهدى ، إنما قلتُ : يا شجاع ، والشجاع حيّة ، ويا أسدٌ ، والأسد كلب ، ويا غيثٌ ، والغيث مَوَات ! فتبسّم أبو جعفر عليه السلام .

وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طاحه : ما رأيتُ ألام من أصحابك ، إذا أيسرت لزيموك ، وإذا أعسرت تركوك ! فقال : هذا من كرمهم ؛ يأتوننا في حال القوة مِنّا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف مِنّا عنهم . ١٠

وقيل لإبراهيم النخعي : متى كنت ؟ قال : حيث احتيج إلىّ .

ورُئي رجلٌ يصلي صلاة خفيفة ، فقيل له : ماهذه الصلاة ؟ فقال : صلاة ليس فيها رياء .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحويّ قال : تزعم الرواة أن قُتَيْبَةَ بن مُسلم لما فتح سمرقند<sup>(٣)</sup> أفضى إلى أثاثٍ لم يُرَ مثله ، وآلاتٍ لم يُسمع بمثله ، فأراد أن يرى الناسَ عظيمَ ما فتح ، ويعرفهم أقدار<sup>(٤)</sup> القوم الذين ظهر عليهم ، فأمر بدارٍ ففرشت ، وفي صحنها قدور يرتقى إليها بسلايم ، وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث<sup>(٥)</sup> بن وُغلة الرّقاشيّ قد أقبل ، والناسُ جلوس على مراتبهم ، والحصين شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مُسلم أخو قُتَيْبَةَ قال لِقُتَيْبَةَ : أناذنُ لي في معاتبته ؟

(١) المدارج هنا : جمع مدرجة ؛ وهي ممر النفس .

(٢) يقال : أسف الطائر ؛ إذا دنا من الأرض في طيرانه . (٣) سمرقند : من أكبر مدن موزاء

النهر وحاضرة الصغد ؛ فتحها قتيبة بن مسلم الباهليّ سنة ٩٣ . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ؛ ف : مقدار .

(٥) ت : المنذر بن الحباب .

قال : لا تردّه ، فإنه خبيثُ الجواب ، فأبى عبدُ الله إلا أن يأذنَ له - وكان عبد الله يُضَعِّفُ - وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة قبل ذلك - فأقبل على الحصين وقال : أُمِنَ الباب دخلت يا أبا ساسان ؟ فقال : أجل ، أَسَنَّ عَمَّكَ عن تسوّر الحيطان ، قال : رأيت هذه القدور ؟ قال : هي أعظم من ألا تُرَى ، قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها ، قال : أجل ، ولا عيلان<sup>(١)</sup> ، ولو رآها سُمِّيَ شَبَعان ، ولم يسمَّ عيلان ، فقال له : يا أبا ساسان ، أتعرف الذي يقول<sup>(٢)</sup> :

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرُّ خُصَاهَا تَبْتَغِي مَن تَحَالِفُ  
قال : أعرفه وأعرف الذي يقول :

وَخَيْبَةُ مِنْ يَحْيَبُ عَلَى غَنَى وَبَاهِلَةَ بْنِ يَمْعُزَرَ وَالرَّبَابِ

قال : أتعرف الذي يقول<sup>(٢)</sup> :

كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ وَقَدْ عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ<sup>(٣)</sup>  
قال : أعرفه ، وأعرف الذي يقول :

قَوْمٌ قَتَيْبَةُ أَثْمُهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْ لَا قَتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي جَهْلٍ

قال : أمّا الشعر ، فأراك ترويه ، ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ

١٥ منه الكثير الطيب : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَدَّ كُورًا ۖ ﴾

[ الإنسان : ١ ] ، فأغضبه فقال : والله لقد بلغني أن امرأة الحصين نَحِلَتْ إليه وهي حبلى من غيره ،

قال : فما تحرك الشيخ من هيئته الأولى . ثم قال على رِسله : وما يكون ؟ تَلِدُ غلاما على

[ ١٥ ] فراشى فيقال : ابن الحصين ، كما يقال عبد الله بن مسلم ؛ فأقبل قَتَيْبَةُ على عبد الله فقال : لا يبعدُ اللهُ غيرك .

(١) حاشية ف : « عيلان ، بالرفع على أن يكون مبتدأ ؛ أى ولا عيلان أدركها ؛ والنصب على

أن يكون عطفًا على بكر بن وائل » . وفى حاشية الأصل : « عيلان : قبيلة عبد الله بن مسلم » .

(٢) ف : « من الذى يقول ؟ » . (٣) حاشية ف : « قوله : « وقد عرفت » ، الواو لالحال ؛

شبه أدبار الأزد فى حال ما عرفت بأفواه بكر بن وائل » .

ولقى شريك<sup>(١)</sup> النُمَيْرِيَّ رجلاً من بني تميم ، فقال له التَّمِيمِيُّ : يَمِجِبْنِي مِنَ الْجَوَارِحِ  
الْبَازِي ، فقال له شريك : وَخَاصَّةً إِذَا صَادَ الْقَطَا ؛ أَرَادَ التَّمِيمِيُّ بِقَوْلِ الْبَازِي قَوْلَ جَرِيرٍ :  
أَنَا الْبَازِي الْمَطْلُ عَلَى نُمَيْرٍ أَتِيحَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا أَنْصَابًا<sup>(٢)</sup>

وَأَرَادَ شَرِيكَ بِقَوْلِهِ : « إِذَا صَادَ الْقَطَا » قَوْلَ الطَّرِمَاحِ :

تَمِيمٌ بِطَرَقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ الْمَسْكَرِمِ ضَلَّتْ<sup>(٣)</sup> ٥

وساير<sup>(٤)</sup> شريك النُمَيْرِيَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَجَاوَزَتْ بِغَلَّتَهُ بِرْدُونَ عُمَرَ ،  
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : اغْضُضْ مِنْ لِحَامِهَا ، فَقَالَ شَرِيكَ : إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ ،  
قَالَ شَرِيكَ وَلَا أَنَا أَرَدْتُهُ ؛ ظَنَّ شَرِيكَ أَنَّ عُمَرَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : « اغْضُضْ مِنْ لِحَامِهَا » قَوْلَ  
جَرِيرٍ :

فَغَضَّ الطَّرَفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَنَغْتَ وَلَا كِلَابًا<sup>(٥)</sup> ١٠  
وَعَنَى شَرِيكَ بِقَوْلِهِ : « مَكْتُوبَةٌ » قَوْلَهُ<sup>(٦)</sup> :

لَا تَأْمَنَنَّ فِرَارِيًّا خَاوَتْ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَاكْتُبَهَا<sup>(٧)</sup> بِأَسْيَارٍ  
يَعْنَى : بـ « اكْتُبَهَا » شُدَّهَا .

وَأَنشَدَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِيَّ أَحْمَدَ بْنَ الْمُعْتَصِمِ قَصِيدَتَهُ<sup>(٨)</sup> السَّيْنِيَّةَ الَّتِي يَمْدَحُهُ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ  
إِلَى قَوْلِهِ :

١٥

(١) الخبر في اللآلي ٨٦٢-٨٦٣ ؛ مع اختلاف في الرواية . (٢) ديوانه : ٧٢ ، وروايته :  
« للدل على نمير » . (٣) ديوانه : ١٣٢ ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « طرق المسكارم » .  
(٤) الخبر في الفاضل والفضول : ٥٠ ، واللاكي : ٨٦١-٨٦٢ ، والاقتضاب : ٥٠ ، وكنائيات  
المرجاني : ٧٤ . (٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) هو سالم بن دارة ، من قصيدة هجاءها زميل  
ابن أبي الفزاري ، وأبيات منها في الخزانة ١ : ٥٥٧ . (٧) ت : « معنى اكْتُبَهَا : اشدها » .  
(٨) القصيدة في ديوانه ١٧٣-١٧٥ ، ومطلعها :

مافي وقوفك ساعةً منْ باسٍ تقضي ذمام الأربُوعِ الأدراسِ

في حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي شَجَاعَةِ عَامِرٍ فِي جُودِ حَاتِمٍ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسٍ<sup>(١)</sup>

فَقَالَ لَهُ الْكِنْدِيُّ - وَكَانَ حَاضِرًا - : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ شَعْرَاءَ دَهْرِنَا قَدْ تَجَاوَزُوا بِالْمَدْحِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي الْعَكَّوكِ<sup>(٢)</sup> فِي أَبِي دُلْفٍ :  
رَجُلٌ أَبْرَّ عَلَى شَجَاعَةِ عَامِرٍ      بَأْسًا وَغَبَرًا فِي مُحِبِّ حَاتِمٍ  
فَاطْرُقَ الطَّائِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنْشَدَ :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ      مَثَلًا شَرُّودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ  
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ      مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

وَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِأَبِي دُلَامَةَ - وَكَانَ مَوْلَى لَبْنَى أُمِّهِ لَمَّا ظَهَرَتِ الْمَسْوَدَةُ<sup>(٣)</sup> : لَا تَخْذَنَّ لَكَ مِنْهُمْ عَبْدًا صَالِحًا يَخْدُمُكَ ، فَلَمَّا عَلَتْ كَلِمَتُهُمْ ، وَفَشَتْ دَعْوَتُهُمْ قَالَ أَبُو دُلَامَةَ : لَيْتَ اللَّهُ [ ٩٦ ] قَيَّضَ لِي / مِنْهُمْ مَوْلَى صَالِحًا أَخْدُمُهُ .  
و

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ : إِنَّ خِصَالَكَ كَامِلَةٌ سِوَى حَقْدِ فَيْكٍ ، فَقَالَ : أَمَا خِزَانَةٌ تَحْفَظُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ . وَقَدْ نَظَرَ ابْنُ الرُّومِيِّ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ :

وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوَهُمُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى      وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبُ إِلَى بَعْضِ<sup>(٤)</sup>  
فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ      فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرَضِ  
إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ      مِنْ الْبَذْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ

وَقَالَ الْحُجَّاجُ لِلْخَطِيطِ الْخَارِجِيِّ : مَا تَقُولُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ؟ قَالَ : مَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ أَنْتَ خَطِئُهُ مِنْ خَطَايَاهُ ! قَالَ : فَهَلْ هَمَمْتَ بِى قَطًّا ! قَالَ : نَعَمْ ، وَلَكِنْ حَالُ بَيْنِنَا

(١) رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ ؛ وَفِي الْأَغَانِي وَنَسَكَتِ الْهَمِيَانُ وَابْنُ خُلَسَّانَ : « الْعَكَّوكِ » ؛ وَفِي حَاشِيَةِ

الْأَصْلِ ، ت : « الْعَكَّوكُ فِي الْأَصْلِ : الْفَصِيرُ السَّمِينُ مَعَ صَلَابَةٍ » ، وَهُوَ عَلَى بْنِ جَبَلَةَ الْفَرِيرِ ، تَوَلَّى  
سَنَةَ ٢١٣ . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « الْمَسْوَدَةُ ؛ يَعْنِي بَنِي الْعَبَّاسِ أَصْحَابَ الرِّيَاضَاتِ الْمَسْوَدَةِ » .

(٤) دِيَوَانُهُ : الْوَرَقَةُ ١٥٤



بَيْنُ وَقْدَرٍ ، وقد أعطيتُ الله عهداً إن سألتني لأصدقك ، وَلَئِنْ خُلِّيتَ عني لأطلبنك ،  
وَلَئِنْ عَذَّبْتَنِي لأصبرن لك؛ فأمر بقتله.

وأما « البين » فهي الأرض الواسعة ، قال ابن مقبل<sup>(١)</sup> :

بَسَرُوْهُ حَمِيرَ أَبْوَالِ الْبِغَالِ بِهِ أَنِّي تَسَدَّيْتُ وَهْنًا ذَلِكَ الْبَيْنَا<sup>(٢)</sup>

وقيل لأبي العتاهية لما قال :

عُتِبَ<sup>(٣)</sup> مَا لِلْخِيَالِ خَبَّرَ بَنِي وَمَالِي

خرجت من العروض ، فقال : أنا أكبر من العروض<sup>(٤)</sup> .

وقال عبد الملك بن مروان للهيثم بن الأسود : ما مالك ؟ قال : قِوَامٌ مِنَ الْعِيشِ ، وَغِنًى  
مِنَ النَّاسِ . فقيل له : لِمَ لَمْ تَخْبِرْ بِهِ ؟ فقال : إِنْ كَانَ كَثِيراً حَسَدَنِي ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً  
ازدراَنِي .

واغتتاب الأعمش رجلاً من أصحابه ، فطَلَعَ الرجلُ على هيئة ذلك ، فقال له رجل من أصحابه :  
قُلْ لَهُ مَا قُلْتَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ غِيْبَةً ؛ فقال له : قل له أنت حتى لا تكون نَمِيْمَةً .

وقال معاوية لعمر بن العاص : هَلْ غَشَشْتَنِي مَذْنُوحَتَنِي ؟ قال : لا ، قال : بَلَى يَوْمَ  
أُشْرْتَ عَلَيَّ بِمُبَارَزَةٍ عَلَيَّ ، وَأَنْتَ تَسْلَمُ مِنْهُ هُوَ ! فقال عمرو : دَعَاكَ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَطَرِ إِلَى الْمُبَارَزَةِ ،  
فَكُنْتَ مِنْ مُبَارَزَتِهِ عَلَى إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ؛ إِمَّا إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ قَتَلْتَ الْأَقْرَانَ ، وَازْدَدَتْ<sup>١٥</sup>  
شُرْفًا إِلَى شُرْفِكَ ، وَخَلَوْتَ بِمُلْكِكَ ، وَإِمَّا إِنْ قَتَلَكَ فَتَمَجَّلَ مُرَافَقَةُ الشُّهَدَاءِ وَالصَّدِيقِينَ

(١) من قصيدة في جمهرة الأشعار : ٣٣١-٣٣٥ ، مطلعها :

طَافَ الْخِيَالُ بَنَاءَ رُكْبًا يَمَانِينَا وَدُونِ لَيْلَى عَوَادٍ لَوْ تُعَدِّينَا

(٢) سرو حَمِيرٌ : من منازلهم باليمن . وأبوال البغال يريدون به السراب ؛ قال الأصمعي : يقال لنطف

البغال أبوال البغال ؛ ومنه قيل للسراب أبوال البغال على التشبيه ؛ وإنما شبه بأبوال البغال ؛ لأن بول البغال  
كاذب لا يلقح ، والسراب كذلك . وتسديت : يخاطب الطيف ، ويجوز أن يقرأ : « تسديت » بكسر التاء

يخاطب الحبيبة (وانظر المقاييس ١ : ١ ، ٣ ، واللسان - بين ) . (٣) على الترخيم .

(٤) حاشية ت : « يريد أن عمل الشعر قبل عمل الخليل للعروض » .

والصالحين ؛ قال معاوية : لهذه أشد على من الأولى ، فقال عمرو : أفكنت من جهادك  
[ ٩٦ ] في شك فتكون منه الساعة ! / قال : دغى منك الآن .

وقيل للأحنف بن قيس - وقد رأى مُسَيْلَمَةَ الكذاب : كيف هو ؟ فقال : ماهو بنبيّ  
صادق ، ولا بمتنبيء حاذق .

٥ وروى المبرّد قال : قال زياد لأبي الأسود الدؤليّ : لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك  
في بعض أمورنا ، قال : إن كنت تريدني للصراع فليس عندي ، وإن كنت تريد عقلي  
ورأيي فهما أوفر ما كانا .

وكان أبو الأسود حاضرَ الجواب جيّد الكلام مليح النادرة . وروى عن الشعبيّ أنّه  
قال : قاتل الله أبا الأسود ! ما كان أعفّ أطرافه ، وأحضر جوابه ! دخل على معاوية بالأنخيلة ،  
١٠ فقال له معاوية : أكنت ذكّرت للحكومة ؟ قال : نعم ، قال : فماذا كنت صانعاً ؟ قال :  
كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم ، وألفاً من الأنصار وأبنائهم ، ثم أقول : يا معشر  
من حضر ؛ أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء ؟ فلمنه معاوية ، وقال : الحمد  
لله الذي كفاناك .

وقد روى أن أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة ، وقال لأمير المؤمنين عليه  
١٥ السلام في وقت الحكمين : يا أمير المؤمنين ، لا ترض بأبي موسى ، فإنني قد عجمت الرجل  
وبلوته ، فخلبت أسطره ؛ فوجدته قريب القعر ، مع أنه يمان ، وما أدري ما يبلغ نصحه !  
فابعثني فإنه لا يحلُّ عقدة إلاّ عقدت له أشدّ منها ، وإنهم قد رموك بحجر الأرض ، فإن  
قيل : إنه لا صحبة لي ، فاجماني ثانی اثنين ، فليس صاحبهم إلاّ من تقرّب ، وكان في الخلاف  
عليهم كالنجم ؛ فأبى عليه السلام .

٢٠ وروى محمد بن يزيد النحويّ أن أبا الأسود كان <sup>(١)</sup> نازلاً في بني قُشير ؛ وكانوا يخالفونه  
في المذهب لأن أبا الأسود كان <sup>(١)</sup> شيعياً ، فكانوا يرمونه بالليل ، فإذا أصبح شكوا ذلك .

فشكامة، فقالوا : ما نحن نرميك؛ ولكن الله يرميك، فقال : كذبتُم ، لو كان الله يرميني ما أخطأني .

وقال لهم يوماً : يا بني<sup>(١)</sup> قُشِيرٌ، ما في العرب أحدٌ أحبُّ إلىَّ طولَ بقاء منكم ، قالوا : ولمَ ذاك؟ قال : لأنكم إذا ركبتم أمراً علمت أنه غيٌّ فأجتنبه ، وإذا اجتنبتم أمراً علمت أنه رشد ، فاتبعته فنازعه السكلام ، فأنشأ يقول :

يَقُولُ الْأَرْذَلُونَ بَنُو قُشِيرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ لَا تَنْسَى عَلِيًّا  
أَحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْرَةَ وَالْوَصِيَّا  
/ أَحِبُّهُمْ لِحُبِّ اللَّهِ حَتَّى أَجِيءَ إِذَا بُعِثْتُ عَلَى هَوِيَّا  
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِيبُهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا

[٩٧]  
و

فقالوا له : أشككت يا أبا الأسود ، فقال : ألم تسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، أفترون الله شك !

أما قوله : « هَوِيًّا » فإنه لغة هذيل ؛ يقولون ذلك في كل مقصور<sup>(٢)</sup>؛ مثل الهوى والعصا والتقى والقفا . قال أبو ذؤيب الهذلي :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِسَبِيلِهِمْ فَتَخَرَّموا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ<sup>(٣)</sup>

وروى أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له : أصبحت جميلا يا أبا الأسود ؛ فلو عُلِّقَتْ تَمِيمَةٌ تَدْفَعُ الْعَيْنَ عَنْكَ! فقال أبو الأسود :

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي وَلَّى وَبِهِجَّتُهُ<sup>(٤)</sup> كَرُّ الْجَدِيدِينَ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ  
لَمْ يَتْرُكْ كَالِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَّةَ الْحَدَقِ

(١) الخبر مع الأبيات ورد في الأغاني ١١: ١١٣ ، ونزهة الألباء ٦-٧ ، وأخبار النحوين للسيرافي

١٤- ٢١٥ ، وإنباه الرواة ١ : ١٧ ، يزيد وينقص في بعض الروايات ، ويختلف في بعض الألفاظ وترتيب

الأبيات . (٢) وذلك إذا أضيف إلى ياء التكلم ؛ فيقولون : هوى ؛ أى هوى ، وعصى ؛ أى

عصا ؛ وهكذا . (٣) ديوان الهذليين ١ : ٢ ، والرواية فيه : « لهوام » .

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فارقت بهجته » .

وروى أنه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل : هلمّ أقاربك في هذا الثوب ؛ فقال : إن لم تقاربني باعدتك ، ثم قال له : بكم هو ؟ قال : قد أعطيت به كذا كذا ، قال : إنما تخبرني عما فانتك .

وروى أنه كان ماشياً في طريق ، فقال له راكب : الطريق الطريق ، فقال له : عن الطريق ٥ تَعْدِلْنِي !

ومرض أبو الأسود فقيل له : هو أمر الله ، فقال : ذاك أشدّ له !

وقيل إن امرأة أبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها ، فقالت : أيها الأمير ، إن هذا يغلبني على ولدي ، وقد كان بطني له وعاء ، وثدي له سقاء ، وحجّري له فناء ، فقال أبو الأسود : <sup>(١)</sup> أبهذا تريد أن تغلبيني على ابني ! فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ، ووضعتُه قبل أن تضعيه ، فقالت : ولا سواء ، إنك حملته خفّاً ، وحملته ثِقْلاً ، ووضعتَه شهوةً ، ووضعتَه كرهاً ، فقال له زياد : إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود ، فاذفع ابنها إليها ، فأخلق أن تحسن أدبه .

وقال رجل لأبي الأسود : أنت والله ظريفٌ لفظٍ ، وظرفٌ <sup>(٢)</sup> علمٍ ، ووعاءٌ حلمٍ ، غير أنك بخيل ؛ فقال : وما خيرُ ظرفٍ لا يمسك ما فيه !

وسلم عليه أعرابيٌّ يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أتأذن في الدخول ؟ [ ٩٧ ] قال : وراءك أوسعُ لك ! قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمني ، قال : عيالي أحقُّ منك ، قال : ما رأيت ألامَ منك ، قال : نسيتَ نفسك .

وسأله رجل شيئاً فمنعه قال : ما أصبحت حاتماً <sup>(٣)</sup> قال : بلى ، قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري ، أليس حاتم الذي يقول :

أماويّ إمّا مانعٌ فمبينٌ وإمّا عطاءٌ لا يُبهِنُهُ الرَّجُلُ <sup>(٤)</sup>

(١-١) ت : « إنها تريد أن تغلبني على ابني » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « ظريف »  
بالبناء المجهول . (٣) ت : « حاتمنا » . (٤) ديوانه : ١١٨

## مَجْلِسُ آخِر

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال : لما ولي سليمان بن عبد الملك أبا يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج في جامعة - وكان رجلاً دميماً تقصمهُ<sup>(١)</sup> العين - فلما رآه سليمان قال : لعن الله من أجرك رَسَنَكَ ، وولّي مثلك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتني والأمرُ عني مدبر ، ولو رأيتني وهو عليّ مُقبل لاستعظمت ما استصغرت ، ولا استجَلّمت ما استحقّرت ، فقال له سليمان : أين تُرى الحجاج ؟ ٥ أيهُوي في النار ، أم قد استقرّ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقلّ كذا ، فإن الحجاج قمع لكم الأعداء ، ووطأ لكم المناير ، وزرع لكم الحمية في قلوب الناس ، وبعد ، فإنه يأتي يوم القيامة عن عيني أبيك عبد الملك ، وشمال أخيك الوليد ، فضعه حيث شئت .

وروي أن خالد بن صفوان فآخر رجلاً من بني عبد الدار ، الذين يسكنون اليمامة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ فقال : أنا خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له العبدري : أنت خالد ١٠ ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾ ؛ [محمد : ١٥] ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله عز وجل ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٦٤] ، وأنت ابن الأهم ، والصحيح خير من الأهم . فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلّم وقد هَشَمْتَكَ هاشم ، وأمّتك بنو أمية ، وخزمتك بنو مخزوم ، وجهجتك<sup>(٢)</sup> بنو مجحج ، فأنت عبد دارهم ؛ تفتح إذا دخلوا ، وتغلق إذا خرجوا ؛ فقام العبدري محمّوماً .

١٥

وتقدم الأشعث بن قيس إلى شريح فقال له الأشعث : أتعلّمني بك يا بن أم شريح ! لقد

(١) حاشية (من نسخة) : « تزدرية » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون

أصله : « ججت بك » ؛ غذف حرف الجر ، وأوصل الفعل ؛ ذكره ابن دريد في كتاب الاشتقاق ، ويجوز أن يكون من جامعته فججته » .

عهدتك وإن شأنتك لشوئين ، فقال له شريح : انت امرؤ تعرف النعمة في غيرك ، وتنساها في نفسك .

وروى أبوالميناء عن العتبي قال : دخل الفرزدق إلى سعيد بن العاص ، وعنده الخطيئة ،

فلما مثل بين يديه قال :

[ ٩٨ ] / إليك فررت منك ومن زياد ولم أحسب دمي لكما حلالاً<sup>(١)</sup>  
فإن يكن الهجاء أحل قتل فقد قلنا لشاعركم وقالاً<sup>(٢)</sup>  
ترى الغرّ الجاحجيج من قریش إذا مالاً أمر في الحدّانِ عللاً<sup>(٣)</sup>  
قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالاً<sup>(٤)</sup>

فقال له الخطيئة : هذا والله أيها الأمير الشعر ، لا ما كنّا نعال<sup>(٥)</sup> به منذ اليوم ، يا غلام

١٠ أقدمت أمك الحجاز ؟ فقال : لا ، ولكن قدّمه أبي .

أراد الخطيئة بقوله : إن كانت قدّمت أمك الحجاز ، فقد وقعت بها<sup>(٦)</sup> ، وكنت منّي ، وأراد الفرزدق بقوله : « ولكن قدّمه أبي » أي وقع بأمر فكنّت أنت<sup>(٧)</sup> .

ويشبه ذلك ما روى أن الفرزدق كان ينشد شعره يوماً ، والناس حوله ، إذ مرّ به الكُميت بن

زيد ، فقال له الفرزدق : كيف ترى شعري ؟ فقال الكُميت : حسن بسنّ ، فقال له الفرزدق :

١٥ أيسرّك أني أبوك ، قال : أمّا أبي فلا أريد به بدلاً<sup>(٨)</sup> ، ولكن يسرّني أن لو كنت أُمّي ! فقال له

(١) ديوانه : ٦١٧ ، وبعده :

ولكنني هجوت وقد هجّنتني معاشيرُ قد رضخت لهم سجّالا

(٢) وبعده :

وإن تك في الهجاء تريد قتلي فلم تدرك المنتصر مقالا

(٣) عال : فذح وأنقل ؛ وبعده :

بني عمّ الرسول ورهط عمرو وعثمان الذين علوا فعلا

(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « الهللا » . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « ما كنت

تعال » . (٦) حاشية ت ( من نسخة ) : « وقعت عليها » . (٧) ابن الشجري : « فكنّت

أنت أختي » . (٨) حاشية ت ( من نسخة ) : « بدلا » .

الفرزدق : اكتب هذه على عمك يابن أخى فما مرّ بى مثلها .

وقيل إنّ عبد الملك بن مروان ظفر برجل من بنى مخزوم زبيرى الرأى ، فقال له لما حضر مجلسه : أليس قد ردّك الله على عقبيك ! فقال الرجل : أوّمن ردّ عليك يا أمير المؤمنين فقد ردّ على عقبيّ ! فوجّه عبد الملك ،

وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك : يا أبا عبد الله ، عزلوك عن القضاء ، وما رأينا قاضيا عزل ! فقال شريك : هم الملوك يعزلون ويخلعون - يعرض أن أباه خلع من ولاية العهد .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن المفضل الضبيّ الراوية وهب لبعض جبرانه أيام الأضحى أضحية ، فلما لقيه قال : كيف وجدت أضحيتك ؟ قال : ما وجدت لها دما ، يعرض بقول الشاعر :

١٠

ولو ذبح الضبيّ بالسيف لم تجد من اللوم للضبى لهما ولا دما

وروى عن المأمون أنه قال : ما أعياني جواب أحد قطّ مثل جواب ثلاثة : أحدهم أم الفضل بن سهل ، فإني عزّيتها عن ابنها وقالت : لئن جرّعت على الفضل لأنه وأدك ، فمأنذا ابنك مكانه /، فقالت : وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لى ولدًا . والثاني رجل [ ٩٨ ] أحضرته يزعم أنه نبي الله موسى عليه السلام ، فقلت له : إن الله تعالى أخبرنا عن موسى ١٥ أنه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء ، فقال : متى فعل ذلك موسى ؟ أليس بعد أن لقى فرعون ! فاعمل كما عمل فرعون ، حتى أعمل كما عمل موسى . والثالث أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا إلى يشكون عاملها ، فقلت : ارضوا بواحد أسمع منه ، فرضوا برجل منهم ، فقال فى العامل وأكثر ؛ فقلت له : كذبت ! بل هو العفيف الورع العدل ؛ فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال : صدقت يا أمير المؤمنين ، هو كما ذكرت ، ٢٠ فواس بين رعيّتك فى العدل ، فصرفتّه عنهم .

ودخل عدى بن حاتم بن عبد الله الطائى على معاوية ، فقال له معاوية : ما فعل الطّرفات؟

يعني طَرِيفاً<sup>(١)</sup> وطَرِفاً وطَرَفَةً ، قال : قُتِلُوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : ما أنصفك ابنُ أبي طالب ، قدّم بنيك ، وأخّر بنيّه ، فقال عدّي : ما أنصفته<sup>(٢)</sup> أنا ، أن قُتِلَ<sup>(٣)</sup> وبقيت .

وكتب رجلٌ إلى صديق له يقترض منه شيئاً ، فأجابه يشكو ضيقَ حاله ، فكتب إليه : « إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنتَ صادقاً فجعلك الله كاذباً ، وإن كنتَ معذوراً فجعلك الله ملوماً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلك الله معذوراً » .

وسمِعَ الأحنَفَ رجلاً يقول : ما أحلم معاوية ! فقال : لو كان حليماً ما سَفِهَ الحقّ . ووصفه رجلٌ عند السَّعْبِيِّ بالحلم ، فقال السَّعْبِيُّ : ويحك ! وهل أغمَدَ سيفه وفي قلبه على أحدٍ شيء !

١٠ وقال زياد لرجلٍ حضره : أين منزلك ؟ فقال : وسطَ البصرة ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : تسعة ، فليل لزياد إن داره أقصى البصرة عند المقابر ، وله ابن واحد ، فقال الرجل : دارى بين أهل الدنيا والآخرة ، فهي وسطُ البصرة ، وكان لى عشر بنين فقدّمت تسعة ، فهم لى ، وبقي واحد لا أدري ؛ أهو لى أم أنا له !

وقال رجلٌ لابن سيرين : إنى وقعتُ فيك فاجعلنى فى حلٍّ ، فقال : ما أحبُّ أن أحلّك ١٥ مِمَّ حرّم الله عليك .

وخطب الحجاج يوم الجمعة فأطال ، فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرُك ، وإن الله لا يَمَذِّرك ، فأمرَ به فحبس ، فجاءه أهله فشهدوا أنّه مجنون ، فقال : إن أقرَّ بالجنون أطلقته ، فليل له : اعترف بذلك وتخلّص ، فقال : والله لا أقول / إنّه ابتلانى وقد عافانى . [ ٩٩ ]

وحدث الحسن البصرىّ بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عمّن ؟ فقال : وما تصنع

٢٠ . « عمّن » ؟ أما أنتَ فقد نالتك عظمتُهُ ، وقامتْ عليك حجّته .

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « طريفاً » ، بفتح أوله وكسر ثانيه .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « بل ما أنصفته » . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « إذ قتل » .



وقيل لعبد الله بن جعفر - ونظر إليه بما كس في درهم - فقيل له : أما كس في درهم وأنت تجود بما تجود به ! فقال : ذلك مالى جُدتُ به ، وهذا عقلى بَخِيتُ به .

وروى أن أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدث بعض الزبيريين<sup>(١)</sup> بفضائل أهله<sup>(٢)</sup> فقال له : الزبيرى<sup>(٣)</sup> : أتجلب التمر إلى هجر<sup>(٤)</sup> ! فقال له أبو العيناء : نعم ، إذا أُجِدبتُ أرضيها ، وعاروم<sup>(٥)</sup> نخلها ؛ وكان أبو العيناء من أحضِر الناس جواباً ، وأجودهم بديهة ، وأملحهم نادرة .

وروى<sup>(٦)</sup> الصولى عن أبي العيناء قال : لما دخلتُ<sup>(٧)</sup> على المتوكل دعوتُ له ، وكلمته ، فاستحسن خطابى ، وقال لى : يا محمد ، بلغنى أن فىك شراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشرُّ ذكرَ المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ؛ [ س : ٣٠ - ٤٤ ] ، وقال فى الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٌ ۝ ١٠ نَسِيمٍ ۝ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ ؛ [ الفلم : ١١ - ١٣ ] ، فذمه الله تعالى حتى قذفه<sup>(٨)</sup> ، وقد قال الشاعر :

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتُنْ دَائِبًا      وَلَمْ أَذُمَّ الْجَبْسَ اللَّئِيمَ الْمَذْمُومًا<sup>(٩)</sup>  
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ      وَشَقَّ لَى اللَّهِ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا!

وإن كان الشرُّ كفعل العقرب يكسعُ النبیَّ والذمى يطبّعُ لا يتميز ؛ فقد صان الله ١٥ عبدك عن ذلك .

- (١) حاشية ت ( من نسخة ) : « الزهرين » . (٢) ت : « بمحدث فى فضائل أهله .  
(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « الزهرى » . (٤) هجر : مدينة واقعة على جبال العارض ببلاد العرب ؛ وكانت قاعدة البحرين . (٥) المعاومة : أن تحمل النخلة سنة ولا تحمل أخرى .  
(٦) ت : « لحكى عن الصولى » . (٧) حاشية ( من نسخة ) : « أدخلت » .  
(٨) ت : « قرفه » ، والقذف والغرف : ذكر المرء بالسوء .  
(٩) البيتان فى أملى الغالى ٢ : ١٥٩ ؛ رواهما عن أبى العالية الرياحى .

(١) وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ يَوْمًا : إِلَى كَمْ تَمْدَحُ النَّاسَ وَتَذُمُّهُمْ ؟ فَقَالَ : مَا أَحْسَنُوا وَأَسَاءُوا (١) .

وَرَوَى أَنَّ الْمُتَوَكَّلَ قَالَ لَهُ يَوْمًا : إِنِّي لَأُفَرِّقُ مِنْ لِسَانِكَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الشَّرِيفَ فَرَوَقَةَ ذُو إِحْجَامٍ ، وَإِنَّ اللَّئِيمَ ذُو أَمْنَةٍ وَإِقْدَامٍ .

وَقَالَ لَهُ يَوْمًا — وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ : اشْتَقْتُكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْعِينَاءِ ، فَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدِي ؛ إِنَّمَا يَشْتَدُّ الشَّوْقُ عَلَى الْعَبْدِ لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى مَوْلَاهُ ، فَأَمَّا السَّيِّدُ فَمَتَى أَرَادَ عَبْدَهُ دَعَاهُ .

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ يَوْمًا : مَا بَقِيَ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِي إِلَّا اغْتَابَكَ وَذَمَّكَ — عِنْدَ مَا جَرَى مِنْ (٢) ذِكْرِكَ — غَيْرِي ، فَقَالَ أَبُو الْعِينَاءِ :

[ ٩٩ ] / إِذَا رَضِيتُ عَنْ كِرَامِ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضْبَانًا عَلَى لِيَامَتِهَا ط

وَذَكَرَ أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ : قَالَ لِي الْمُتَوَكَّلُ : كَيْفَ تَرَى دَارِي هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : رَأَيْتُ النَّاسَ بَنَوْا دَوْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ الدُّنْيَا فِي دَارِهِ .

وَقَالَ أَبُو الْعِينَاءِ : قَالَ لِي الْمُتَوَكَّلُ : مَنْ أَسْخَى مَنْ رَأَيْتَ ؟ وَمَنْ أَبْخَلَ مَنْ رَأَيْتَ ؟

فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَسْخَى مِنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ ، وَلَا أَبْخَلَ مِنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛

قَالَ : وَكَيْفَ وَقَفْتَ عَلَى بَخْلِهِ ؟ فَقُلْتُ : رَأَيْتُهُ يَحْرُمُ الْقَرِيبَ كَمَا يَحْرُمُ الْبَعِيدَ ، وَيَعْتَذِرُ مِنَ

الْإِحْسَانِ (٣) ؛ كَمَا يَعْتَذِرُ مِنَ الْإِسَاءَةِ ؛ فَقَالَ : أَجِئْتُ إِلَى مَنْ أَطْرَحَتْهُ فَسَخِيَّتَهُ ، وَإِلَى

١٥ مَنْ أَمْسَكَتَهُ فَبَخَلَّتَهُ ! فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الصَّدَقَ مَا هُوَ فِي مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ

أَنْفَقَ مِنْهُ بِحَضْرَتِكَ ، وَالنَّاسُ يَفْطَنُونَ فَيَمْنُ يَنْسُبُونَهُ إِلَى السَّخَاءِ ؛ فَإِذَا نَسَبَ النَّاسُ

السَّخَاءَ إِلَى الْبِرَامِكَةِ ، فَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ سَخَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ ، وَإِذَا نَسَبَ النَّاسُ الْحَسْنَ

إِبْنِ سَهْلٍ ، وَالْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ إِلَى السَّخَاءِ ، فَإِنَّمَا ذَاكَ سَخَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمُونِ ، وَإِذَا نَسَبُوا

أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَادٍ إِلَى السَّخَاءِ فَذَاكَ سَخَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ ، وَإِذَا نَسَبُوا الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ

(١) ساقط من م . (٢) ف : « عِنْدَ مَا جَرَى ذِكْرُكَ » .

(٣) حاشية ت : « يَعْنِي أَنَّ إِحْسَانَهُ يَكُونُ سَاقِطًا يَحْتَاجُ إِلَى الْعُذْرِ » .

وعُبِيدَ اللهُ بن يحيى إلى السخاء فإنما هو سخاؤك؛ وإلاّ فإبال هؤلاء القوم لم ينسبوا إلى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء<sup>(١)</sup> ! فقال لى : صدقت ، وسرّى<sup>(٢)</sup> عنه .

وقال له المتوكل : ما أشدّ عليك من ذهاب البصر ؟ فقال له : فقد رؤيتك ؛ مع إجماع الناس على جمالك .

وقال له يوماً : أريدك لجالستي ، قال : لا أطيق ذاك ، وما أقول هذا جهلاً بما لى فى هذا المجلس ه من الشرف ، ولكن أنا رجل محبوبٌ ، والمحجوب تختلف إشارته ، ويخفى عليه إيماؤه ، ويجوز على أن أتكلّم بكلام غضبان ووجهك راضٍ ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هاتين<sup>(٣)</sup> هلكت ؛ فقال : صدقت .

وروى أنه قال له : لولا أنّك ضرير لنادمتك ، فقال : إن أعفيتنى من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الخواتيم فإنى أصاح .

١٠

وقال المتوكل : ما تقول فى ابن مكرّم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر ، وإثمهما أكبر من نفعهما ، فقال : بلغنى أنك تؤدّهما ، فقال : لقد ابتعت الضلال بالهدى ، والعذاب بالمغفرة .

وقال له يوماً : بلغنى أن سعيد بن عبد الملك يضحك منك ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين : ٢٩] وقال أبو العيناء : قال لى المنصور : ما أحسن<sup>(٤)</sup> الجواب ؟ فقلت : ما أسكت المبطّل ، وحير المحقّق .

/وقيل لأبى العيناء : إبراهيم بن نوح النصرانى عليك عتاب ، فقال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ [١٠٠] الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢] . ورآه زرقان وهو يضحك

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « للخلفاء » . (٢) حاشية ف : « قوله : سرى عنه ؛ من قولهم : سرت عنى الدرع ، أى كشفتها ، وسرى عنه الثوب : كشفه ، وانسرى عنه الهم ، وسرى عنه الهم » . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « هذين » . (٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « خير الجواب »

نصرانياً فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ ؛ [ المائدة : ٥١ ] ،  
فقال أبو العيناء: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ؛ [ المتحنة : ٢٩ ] .

وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال أخبرنا  
أبو العيناء قال : كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد أن قوماً من أهل البصرة عادوني  
وَادَّعَوْا عَلِيَّ دَعَاوَى كَثِيرَةً ؛ منها أَنِّي رافِضِيّ ، فاحتجت إلى أن خرجتُ عن البصرة إلى  
سُرَّ مَنْ رَأَى ، وألقيت نفسي على ابن أبي دؤاد - وكنت نازلاً في داره ، أجلسه كلَّ يوم -  
وبلغ القوم خبري ، فشخصوا نحوي إلى سُرَّ مَنْ رَأَى ، فقلت له : إنَّ القوم قد قدموا من البصرة  
يداً عليّ ، فقال : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ، فقلت : إنَّ لهم مكرّاً ، فقال : ﴿وَيَمْكُرُونَ  
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ؛ [ الأنفال : ٣٠ ] ، فقلت : هم كثيرون قال :  
١٠ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ؛ [ البقرة : ٢٤٩ ] ، فقلت : لله  
دَرُّ الْقَاضِي ! هو والله كما قال الصَّمُوت الكلابيّ :

لله دَرُّكَ أَيُّ جُنَّةٍ خَائِفٍ وَمَتَاعُ دُنْيَا أَنْتَ لِلْحَدَثَانِ<sup>(١)</sup>  
مُتَخَمِّطٌ تَطَأُ الرِّجَالَ غُلْبَةً وَطَاءُ الْفَنَيْقِ دَوَارِجَ الْقُرْدَانِ<sup>(٢)</sup>  
وَتَرَكْتَهُمْ حَتَّى كَانَ رُءُوسُهُمْ مَأْمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِلْغُرَبَانِ<sup>(٣)</sup>  
وَتُفَرِّجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رِتَاجُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ ١٥

وقال لابنه الوليد : اكتب هذه الأبيات ، فكتبها بين يديه .

- قال الصوليّ : حفظني من أبي العيناء الصَّمُوت الكلابيّ على أنه رجل ، وقال وكيع :  
حفظني أنها للصَّمُوت الكلابية على أنها امرأة -

ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل ، فأثنى عليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال :

(١) ديوان المعاني ١ : ٦٨ . (٢) النخمة : الأخذ والقهر بغلبة ؛ وغلبة مصدر غلب كثير  
الغلبة ، والفنيق الجمل الفحل ، ودوارج : جمع دارج . (٣) د ، ف حاشية ت ( من نسخة ) :  
« ونسكهم » والمأومة : المشجومة .

والله ما أستكثر كثيرك أيها الأمير ، ولا أستقل قليلك ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه ، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك<sup>(١)</sup>.

وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً : اعذرني فأني مشغول<sup>(٢)</sup> ، فقال : إذا فرغت لم أحتج إليك. وقال له يوماً : قد تبينتُ / فيك الغضب يا أبا عبد الله ، فقال له : قد أجلّ [١٠٠] الله قدرك من غضي ، إنما يغضب الرجل على مَنْ دونه ؛ فأما مَنْ فوقه فلا ، ولكن أحزنني تقصيرك ؛ فسميتُ حزني غضباً .

ويقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسن مَنْ أسلم ديناً ، وأكثروا صلاةً وصدقة ، فصار إلى بابهِ أبو العيناء مراتٍ كثيرة بعقب إسلامه فحُجِبَ وقيل له : هو مشغول في صلاته ، فقال أبو العيناء : لكل جديد لذة .

ودخل يوماً إلى أبي إسماعيل الصقر بن بلبل في وزارته ، فقال له : يا أبا عبد الله ،<sup>(٣)</sup> ما أخرك عنا<sup>(٤)</sup> ؟ فقال : سُرقَ حماري ، فقال : وكيف سُرق ؟ قال : لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان ، قال له : هلاً اكرتيت أو استعرت أو اشتريت ؟ قال : قعد بي عن الشراء نَشَبِي<sup>(٥)</sup> ، وكرِهتُ منّة العواري ، وذلة المكارى ، فوهب له حمارا ووصله . وأدناه أبو الصقر يوماً ورفعه فقال : تُدنيني حتى كأني بمضك ، وتُبعدني حتى كأني ضدك .

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان أيضاً - وقد رفعه : إلى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً !<sup>(٦)</sup> وقال له يوماً - وقد سأله عن حاله : أنا معك<sup>(٧)</sup> مغبوط الظاهر ، محروم الباطن .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « نظم البحتري هذا المعنى فقال

كثيرُ نَوَالِكٍ فِي جَنبِ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُودِ نَزَرُ  
وَنَزَرُ نَوَالِكٍ فِي جَنبِ مَا يَجُودُ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ غَمْرُ

(٢) ت : « فأني عنك مشغول » . (٣-٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « يا أبا عيناء ما أخرك

بلته ؟ » . (٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « عدى » . (٥) ت : « أنا بك » .

ويقال : إن أبا عليّ البصير قال لأبي العيناء - وكانت بينهما ملاحاةً معروفة : في أيّ وقتٍ ولِدْتَ ؟ فقال له : قبل طلوع الشمس ، فقال أبو عليّ : لذلك خرجت شحاذاً سائلاً ، لأنه الوقت الذي ينتشر فيه السؤال .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال أخبرني محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثني أبو العيناء • قال : ما رأيت قطُّ أحسنَ شاهداً عند حاجة من ابن عائشة ! قالت له : يوماً كان أبو عمرو المخزوميّ يقصدك ثم جفاك ، فقال :

فإن تَنَأَّ عَنَّا لَا تَصْرُنَا وَإِنْ تَعُدَّ تَجِدُنَا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ  
وقال : والله لا أدرى لمن هذا البيت ، فقلت : إن ابن سلام روى عن يونس ابن الفرزدق لما قال :

١٠ تَصَرَّمْ مِنِّي وَدَّ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَمَا خِلْتُ دَهْرِيَّ وَدَّهْمُ يَتَصَرَّمُ<sup>(١)</sup>  
قَوَارِصُ نَأْتِيَنِي فَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلُّ الْقَطَرُ الْإِنَاءَ فَيُقْفَعُ<sup>(٢)</sup>  
وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد ، فقال جرير بن خرقاء العجليّ<sup>(٣)</sup> يحبيه :  
[١٠١] / لَقَدْ بَوَّأْتُكَ الدَّارَ بِكَرْبْنِ وَائِلٍ وَرَدَّتْ لَكَ الْأَحْشَاءُ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه : ٧٥٦ ، وطبقات الشعراء ٣٠٢ ، والكمال - بشرح المرصفي ، ١ : ١٢٧ ، والمؤتلف والمختلف : ٧١ وتصرم الشيء : تقطع . (٢) قوارص : جمع قارصة ؛ وهي الكلمة المؤذية . فعم الإناء يفعمه فعمما : ملأه وبأنه في مثله . (٣) ذكره ابن سلام في ص ٢٥٩ بنسبة « البكري » ، وفي ص ٣٠٣ بكنية « أبي العطاف » . (٤) في الطبقات : « لقد وسعتك » ، وقبله :

لَعَمْرِي لَنْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ عَاتِباً وَأَخَذْتَ صَرَمًا ، لِلْفَرَزْدَقِ أَظْلَمُ  
وفي حاشية الأصل : « يعني كنت خائفا غاية الخوف فأمنوك » ، ورواية الطبقات :

لَقَدْ وَسَّطْتَكَ الدَّارَ بِكَرْبْنِ وَائِلٍ وَضَمَّتْكَ لِلْأَحْشَاءِ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ

لَيَالٍ تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ سَحَابَةً بِمَكَّةَ يَنْفُشُهَا السَّتَارُ الْحَرَمُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ تَنَأَّ عَنَّا لَا تَضُرُّنَا وَإِنْ تَعُدُّ تَجِدُنَا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ  
فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ مَنْ سَتَصْدُقُ فِي الْعِلْمِ مَخَائِلُهُ ، وَتَكْثُرُ عَلَيْهِ دَلَالَتُهُ .

وَقَالَ أَبُو الْعِينَاءِ يَوْمًا لِأَبِي الصَّقَرِ بْنِ بُلْبُلٍ وَهُوَ زَائِرٌ : أَنْتَ وَاللَّهِ تَقْرُبُ مِنَّا إِذَا احْتَجَجْنَا  
إِلَيْكَ ، وَتَبْعُدُ مِنَّا إِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْنَا .

٥

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ أَدَامُ اللَّهِ عَلَوَّهُ : وَهَذَا يَشْبَهُ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ :

وَلَكِنَّ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ      وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ<sup>(٢)</sup>  
بَطِيءٌ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ      وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخُطُوبِ

وَعَلِمَهُ مَا خُوِذَ مِنْهُ ، فَلَيْسَ يُفَكِّرُ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا وَإِنْ اجْتَمَعَا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ فِي بَعْضِ  
الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنْ أَبَا الْعِينَاءِ بَقِيَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ زَمَانًا طَوِيلًا ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ تَوَفَّى فِي سَنَةِ ثَلَاثِ ١٠  
وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَبَا الْعِينَاءِ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَا حَكَيْنَاهُ عَنْهُ مِنْ  
السَّكَامِ قَالَهُ لِأَبِي الصَّقَرِ فِي وَزَارَتِهِ ، وَكَانَتْ بَعْدَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ بِزَمَانٍ طَوِيلٍ .

وَيُوشِكُ بِيْتَا إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَكُونَا مَأْخُودِينَ مِنْ قَوْلِ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي      يَذُكُّكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا<sup>(٣)</sup>  
وَلَسَكُنَّهُ النَّاسُ إِذَا كُنْتَ آمِنًا      وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا الْخُطْبُ أَغْضَلَا

١٥

وَلِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ مَا يَقَارِبُ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا ، وَهُوَ :

أَسَدٌ نَمَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ      وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا<sup>(٤)</sup>  
يَعْلَمُ الْأَبْعَدُ إِنْ أَثَرَى وَلَا      يَعْلَمُ الْأَذْنَى إِذَا مَا أَقْتَرَا<sup>(٥)</sup>

(١) السَّتَارُ الْحَرَمُ : هُوَ سِتَارُ السَّكْبَةِ . (٢) دِيَوَانُهُ : ١٢٩ (ضَمْنُ مَجْمُوعَةِ الطَّرَائِفِ) .

(٣) دِيَوَانُهُ : ٢٢ (٤) دِيَوَانُهُ : ١٣٣ (ضَمْنُ مَجْمُوعَةِ الطَّرَائِفِ) .

(٥) ت : « افْتَقَرَا » ؛ وَهِيَ رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ .

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول المرّار الفقمسي :

[١٠١] / إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَّارُ لَمْ يَرْ فَقَرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ<sup>(١)</sup> ظ

ومما يشبه قول المرّار بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضاً :

فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَنِ الْعَيْنِ عَرَضُهُ وَلَا مُظْهِرٍ الْبَلَوَى إِذَا النِّعْلُ زَلَّتِ<sup>(٢)</sup> ٥  
رَأَى خَلَّةً مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَدْ ذَى عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

أو من قول المتنخل الهذلي :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشْبِعٌ غِنَاهُ<sup>(٣)</sup>

وهذا البيت الذي روينا للهذلي من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه - وقيل يرثي أخاه، وأولها

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ بَوَّانٍ وَلَا بَضْعِيفٍ قُوَاهُ<sup>(٤)</sup> ١٠  
وَلَا بِالَّذِ لَهُ نَازِعٌ يُغَارِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَبَاهُ<sup>(٥)</sup>

- فمعنى « له نازع » أي خلق سوء ينزعه . ويفاري ، أي يلاحق ويشار .

وَلَكِنَّهُ هَيْنٌ كَيْنٌ كَمَالِيَةِ الرُّمَحِ عَرْدٌ نَسَاهُ

- العرد : الشديد ؛ يقال : وترت عرْدٌ وعُرْدٌ ، وعَرَدَ بالنون ، أي شديد . والنسا

عرق معروف -

١٥ إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاةٌ وَمَهْمَا وَكَكَلَتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

معنى « سدته » من المساودة ، التي هي المسارّة ، والسّواد هو السّرار أيضاً ، كأنه قال :

(١) معجم الشعراء : ٤٠٨ . (٢) ديوانه : ١٣٠ ؛ وانظر تخرّج البيتين في الحواشي .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٩-٣٩ . (٤) شرح ديوان الهذليين : « و يروي : بواه

ولا بضعيف » ، وهو الأجود عند أبي العباس . (٥) ألد : شديد الخصومة ، وفي حواشي الأصل ؛

ت ، ف : « غاريت بين الشيبين ؛ إذا واليت بينهما ، قال كثير :

إِذَا قَلْتُ أَسْلُوفَاضَتِ الْعَيْنُ بِالْبُكَاءِ غِرَاءٌ وَمَدَّتْهَا مَدَامِخُ حُفَلٍ

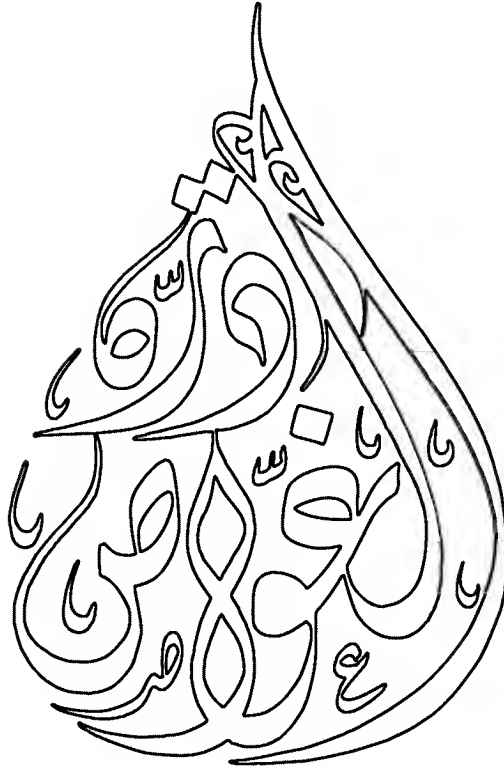
قال أبو عبيد : هو من غرى بالشئ يغرى به . »



إذا ساررتَه طَوعَكَ وسَاعدَكَ . وقال قوم : إنَّه من السيادة ، وكأنَّه أراد : إذا كُنتَ  
فوقه سيداً له أطاعَكَ ولم يحسدَكَ ، وإن وَكَلْتَ إليه شيئاً كفاكَ ، وقوم يُنشدونه :  
\* إذا سُسِّمَتْهُ سُسَّتْ مِطْوَاعَةٌ \*

— ولم أجد ذلك في رواية —

هـ      أَلَا مَنْ يُنَادِي أَبَا مَالِكٍ      أفي أمرنا هُوَ أَمْ في سِوَاهُ ؟  
أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ      على نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ



## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةِ

[١٠٢] / إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

فقَالَ: مَا تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَا يُطَابِقُ الْمَدْلُ؟ فَإِنَّ ظَاهِرَهَا كَأَنَّهُ مُخَالَفٌ لَهُ .

الجواب ، قيل له: في هذه الآية وجوه ؛ منها ما ابتدأناه فيها ، ومنها ما سبقناه فخرناه واحترزنا فيه من الطاعن ، وأجبنا عما لعله يعترض<sup>(١)</sup> فيه من الشبهة .

أولها أن يكون تعالى عَنَى بِذَلِكَ صَرَفَهُمْ عَنْ ثَوَابِ النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ ، وَعَنِ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّهُمَا مَنْ أَدَّى الْوَاجِبَ عَلَيْهِ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَدْلَتَهُ ، وَتَمَسَّكَ بِهَا .  
١٠ وَالْآيَاتُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يَحْتَمِلُ أَنْ تَسْكُونَ سَائِرَ الْأَدْلَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَسْكُونَ مَعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ خَاصَّةً ؛ وَهَذَا التَّأْوِيلُ يُطَابِقُهُ الظَّاهِرُ ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ؛ فَبَيَّنَ أَنَّ صَرَفَهُمْ عَنِ الْآيَاتِ مُسْتَحَقٌّ<sup>(٢)</sup> بِتَكْذِيبِهِمْ ، وَلَا يَلِيقُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا ذَكَرْنَاهُ .

وثانيها أن يصرفهم<sup>(٣)</sup> تعالى عن زيادة المعجزات التي يُظهِرُهَا<sup>(٤)</sup> الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

(١) حاشية ت (من نسخة) « يعرض » . ف (٢) : « يستحق » .

(٣) ت : « أنه أراد صرفهم » . (٤) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « يظهرها »

على الأنبياء » .

بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم ؛ لأنه تعالى إنما يُظهِرُ هذا الضرب من المعجزات إذا عِلِمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ عِنْدَهُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا تَقْدُمُ مِنَ الْآيَاتِ ، فإذا عِلِمَ خِلَافَ ذَلِكَ لَمْ يُظْهِرْهَا ، وصَرَفَ الَّذِينَ عِلِمَ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ عَنْهَا ، ويكون الصَّرْفُ عَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ : إمَّا بِأَلَّا يُظْهِرَهَا جَمَلَةً ، أو بِأَن يَصْرِفَهُمْ عَنْ مَشَاهِدَتِهَا ، وَيُظْهِرَهَا بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بِهَا غَيْرُهُمْ .

فإذا قيل : وما الفرقُ فيما ذكّرتموه بين ابتداء المعجزات ، وبين زيادتها ؟ قلنا : الفرقُ بينهما أَنَّ الْمَعْجَزَ الْأَوَّلَ يَجِبُ إِظْهَارُهُ لِإِزَاحَةِ الْعَلَّةِ فِي التَّكْلِيفِ ؛ وَلِأَنَّ مَا بِهِ نَعْلَمُ صَدَقَ الرَّسُولُ الْمُؤَدَّى إِلَيْنَا مَا فِيهِ لُطْفُنَا وَمَصَاحَتُنَا .

فإذا كَانَ التَّكْلِيفُ يُوجِبُ تَعْرِيفَ<sup>(١)</sup> الْمَصَالِحِ وَالْأَلْطَافِ لِنُزَاحِ الْعِلَّةِ ، وَكَانَ لَا سَبِيلَ

إِلَى مَعْرِفَتِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَكُونُ عَلَيْهِ لُطْفًا إِلَّا مِنْ قَبْلِ الرَّسُولِ ، وَكَانَ لَا سَبِيلَ إِلَى ١٠ الْعِلْمِ بِكَوْنِهِ رَسُولًا إِلَّا مِنْ جِهَةٍ / الْمَعْجَزِ وَجِبَتْ بَعْثَةُ الرَّسُولِ وَتَحْمِيلُهُ مَا فِيهِ . صَلَحَتْهُمَا [١٠٢] ط  
من الشرائع ، وإظهارُ المعجز على يده لتعلّق هذه الأمور ببعضها ببعض ، ولا فرق في هذا الموضع بين أن يُعْلَمَ أَنَّ الْمُبْعُوثَ إِلَيْهِمُ الرَّسُولُ ، أو بَعْضَهُمْ يَطِيعُونَ وَيُؤْمِنُونَ ، وبين أَلَّا يَعْلَمَ ذَلِكَ فِي وَجُوبِ الْبَعْثَةِ ، وما يجب بوجوبها ، لأنَّ تَعْرِيفَ الْمَصَالِحِ مِمَّا يَقْتَضِيهِ التَّكْلِيفُ الْعَقْلِيُّ الَّذِي لَا فَرْقَ فِي حُسْنِهِ بَيْنَ أَنْ يَقَعَ عِنْدَهُ الْإِيمَانُ أَوْ لَا يَقَعَ ؛ وَلَيْسَ هَذِهِ سَبِيلَ مَا يَظْهَرُ مِنْ ١٥ الْمَعْجَزَاتِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ بِمَا تَقْدُمُ مِنْهَا ؛ لِأَنَّهُ مَتَى لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا مَنْتَفِعٌ ، وَيُؤْمِنُ عِنْدَهَا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ لَمْ يَكُنْ فِي إِظْهَارِهَا فَائِدَةٌ ، وَكَانَتْ عِبَثًا ؛ فَافْتَرَقَ الْأَمْرَانِ .

فإن قيل : كيف يطابق هذا التأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، ومن المعلوم أَنَّ صَرْفَهُمْ عَنِ الْآيَاتِ لَا يَكُونُ مُسْتَحَقًّا بِذَلِكَ ؟ قلنا : يمكن أن يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ لَمْ يُرَدِّ بِهِ تَعْلِيلُ قَوْلِهِ : ﴿ سَاءَ صَرِفُ ﴾ ، ٢٠ بل يَكُونُ كَالْتَعْلِيلِ لِمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ فِي تَرْتِيبِ الْكَلَامِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ

آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، لَأَنَّ مَنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ جُلُوعًا وَغَفْلَةً عَنْ تَأْمُلِهَا وَالْإِهْتِدَاءِ بِنُورِهَا رَكِبَ الْغَيَّ ، وَاتَّخَذَهُ سَبِيلًا ، وَحَادَ عَنِ الرُّشْدِ وَضَلَّ ضَالًّا بَعِيدًا . وَرَجُوعَ لَفْظَةِ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَشْبَهُ بِالظَّاهِرِ مِنْ رَجُوعِهَا إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ؛ لَأَنَّ رَجُوعَ اللَّفْظِ (١) فِي اللُّغَةِ إِلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورِينَ إِلَيْهِ أَوْلَى .

ويمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿ كَذَّبُوا ﴾ وإن كان بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ، ويكون وجهه أن التكذيب لما كان معلوما منهم لو أظهرت لهم الآيات جُعل ذلك كأنه (٢) واقع ، فَبُنِيَ الخطاب عليه ؛ ولهذا نظائر في اللغة كثيرة . أو يكون جوابا لمخذوف ؛ كأنه (٣) قال : ذلك بأنه متى ما أظهرنا لهم آياتنا كذبوا بها . ويجرى ما ذكرناه (٣) أولاً بجرى قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ في أنه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال .

وثالثها أن يكون معنى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾، أى لا أوتيها<sup>(٤)</sup> مَنْ هذه صفتُهُ، وإذا صَرَفَهُمْ عنها فقد صرفها عنهم<sup>(٥)</sup>، وكلا اللفظين<sup>(٦)</sup> يفيد معنَى واحدا. وليس لأحد أن يقول هاتَمَ قال: «سَأَصْرِفُ آيَاتِي عَنِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ»؛ والآيات هاهنا هى المعجزات التى تختص بها الأنبياء.

/ فإن قيل : فأى فائدة فى قوله على سبيل التعليل (٧) : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [١٠٣] وأى معنى لتخصيصه الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وهو لا يؤتى الآيات والمعجزات إلا الأنبياء دون غيرهم ، وإن كان ممن لا يتكبر ؟ قلنا : لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح ؛ لأن من كذب بآيات الله لا يؤتى معجزاته (٨) لتكذيبه وكفره ،

(١) ت ، وحاشية ف ( من نسخة ) : « اللفظة » . (٢-٢) ساقط من م .

(٤) ت : « ويجرى ذلك » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « لا أراها » .

(٥٠) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وإذا صرفتهم عنها فقد صرفتها عنهم » .

(٦) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ف : « كلتا اللفظين » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « التخصيص ». (٨) ت ، ف لا يؤتي آياته و... حذانه .

وإن كان قد يكون غير مكذّب، ويمنع من إتيانه الآيات علّة أخرى<sup>(١)</sup>؛ فالتكبر والبغى بغير الحق مانع من إتياء الآيات، وإن منع غيره. ويجرى هذا مجرى قول القائل: أنا لا أودّ فلاناً لفدّره، ولا يلزم إذا لم يكن قادراً أن يودّه، لأنه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودّته. ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجرى مجرى السبب، وأن يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين<sup>(٢)</sup>، فأكذّبهم ٥ الله تعالى بذلك.

ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين؛ ليدلّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر، فيفعلوا بكل واحدٍ منهما ما يستحقّه من التعظيم أو الاستخفاف، كما تأول أهل الحق الطبيع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن؛ فيكون معنى سأصرفهم عنها، أى أعدّل بها عنهم<sup>(٣)</sup>، ١٠ وأخصّ بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي<sup>(٤)</sup>. وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ لأنّ صرفهم عن هذه الآيات كالمستحقّ لتكذيبهم وإعراضهم عن آياته تعالى.

وخامسها أن يريد تعالى: أنى أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغيها؛ لأنّ من الواجب على الله تعالى أن يحول من بين رام ذلك وبينه؛ ولا يمتكّن منه؛ لأنه ينقض الغرض ١٥ في البعثة. ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ فتكون الآيات هاهنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحمّلتها<sup>(٥)</sup> الرسل.

والصرف وإن كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً<sup>(٦)</sup> في الآية / بنفس الآيات، فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها<sup>(٦)</sup> مما هو متعلق بها. فإذا ساغ [١٠٣] ٥

(١) في حاشيتي ت، ف: «بغى وإن كان غير التكذيب أيضاً مانعاً».

(٢) ت: «الذكورين»، ومن نسخة بحاشية ت: «المتكبرين».

(٣) ف، ونسخة بحاشية ت: «أى أعدّل بهم عنها». (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت:

«وبينائي». (٥) ت، وحاشية ف (من نسخة): «تحمّلها». (٦-٦) ساقط من م.

أن نعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساعاً أن نعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها . وعلى هذا التأويل لا نجعل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ راجعاً إلى ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ بل نرُدّه إلى ما هو قبله بلا فصل ؛ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ على ما بيناه في الوجه الثاني ، من تأويل هذه الآية .

وسادسها أن يكون الصرف شاهنا الحُكْمَ والتسمية والشهادة ، ومعلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جازٍ<sup>(١)</sup> أن يقال : صرفه عنه ، كما يقال : <sup>(٢)</sup> أ كُفِرَهِ وَكَذَّبَهُ وَفَسَقَهُ<sup>(٣)</sup> ؛ وكما قال جلّ من قائل : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ وهذا التأويل طابقه قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ؛ لأن الحكم عليهم<sup>(٤)</sup> بما ذكرنا من التسمية موجب تكذيبهم وغفلتهم<sup>(٥)</sup> عن آيات الله وإعراضهم عنها .

وسابعها أنه تعالى لما علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته ، والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله عليهم السلام جاز أن يقول : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه . ويجرى ذلك مجرى قولهم : سأبخل فلاناً وأخطئته ، أى أسأله ما يبخل ، ببذله وأمتحنه بما يُخطئ فيه ، ولا يكون المعنى : سأفعل<sup>(٦)</sup> فيه البخل والخطأ . والآيات على هذا الوجه جاز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى ، وجاز أن تكون جميع الأدلة ؛ ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ غير راجع إلى قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ؛ بل إلى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة .

(١) ف : « جاز » . (٢-٢) ت : « كفره وكذبه وفسقه » ؛ بالتحديد .

(٣-٣) ت ، ف : « والتسمية من موجب تكذيبهم وغفلتهم » .

(٤) ت ، وحاشية ف ( من نسخة ) : « أنى أفعل فيه » .

وثامنها أن يكون الصَّرْفُ هاهنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج، والقَدْحُ فيها بما يُخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً ، فيكون تقدير الكلام : إني بما أؤيده من حُجَجِي ، وأحكمه من آياتي وبيناتي ؛ صارفٌ للمبطلين والكاذبين عن القَدْحِ في الآيات والدلالات ، ومنعٌ لهم مما كانوا لولا / هذا الإحكام والتأييد يفترضونه وينتقمونه من توبيههم الحق ولبسه [١٠٤] بالباطل . ويجرى هذا مجرى قول أحدنا<sup>(١)</sup> : قدمع فلان أعداءه بأفعاله الكريمة ،<sup>(٢)</sup> وطرائقه <sup>و</sup> المهذبة ، وصرفهم عن ذمه<sup>(٣)</sup> ، وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه ؛ وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه .

فإن قيل : أليس في المبطلين من طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبهة فيها مع ذلك ؟ قلنا : لم يرِ الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر ، وإنما أراد ما قدمناه ، وقد يكون الشيء في نفسه مطعوناً عليه ، وإن لم يطعن عليه طاعنٌ ؛ كما قد يكون بريئاً من الطعن ، وإن طعن فيه بما لم يؤثر ؛ ألا ترى أن قولهم : فلان قد أخرس أعداءه عن ذمه ليس يراد به أنه منعهم عن التلفظ بالذم ، وإنما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاً ؛ ويجب على هذا الوجه<sup>(٣)</sup> أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا ﴾ يرجع إلى ما قبله بلا فصل ، ولا يرجع إلى قوله : ﴿ سَاءَ صَرِفُ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وتاسمها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمته إهلاك عدوهم قال : ﴿ سَاءَ صَرِفُ ﴾ ١٥ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِبَغْيٍ الْحَقُّ ﴿ ، وأراد جل وعزّ أنه يهلكهم ويصطلمهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم ؛ بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى ، والردّ لحُجَجِهِ ، والمروق عن طاعته ، وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء

(١) ت : « الغائل » . (٢-٢) ت ، ش : « وطرائقه الممدوحة ، وأخلاقه المهذبة من عيبه ،

وصرفهم عن ذمه » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « الأوّل » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قريب منه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ؛

ويعترض الآية بأن الحسين عليه السلام جند الله ومع ذلك فقد غلبوا ؛ والجواب : لأنهم وإن غلبوا في صورة فإنهم الغالبون حقيقة » .

بها ، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين ، واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته ، من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها ، والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم ، وخروجهم عن صفات أهله .

وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه : إن العقوبة لا تكون إلا مضادة للاستخفاف والإهانة ، كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل والإجلال<sup>(١)</sup> ؛ وإماتة الله تعالى الأمم وما يفعله من بوار وإهلاك لا يفتقرن إليه مالا بد أن يكون مقترنا إلى العقاب من الاستخفاف ، ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار ؛ فكيف يصح ما ذكرتموه ! .

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال : لا يمتنع أن يضم الله تعالى إلى ما يفعله هؤلاء الكفار المكذبين<sup>(٢)</sup> من الإهلاك والبوار اللعن والذم والاستخفاف<sup>(٣)</sup> ، ويأمرنا<sup>(٤)</sup> أن نفعل [١٠٤] ذلك بهم ، فيكون / ما يقع بهم من الإيلاء على وجه العقوبة وبشرطها ، ولا يمتنع أن يكون الله تعالى يتعبد ويأمر بإهلاكهم<sup>(٥)</sup> ، وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ، ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ كأن في التكبر ما يكون بالحق !

قلنا في هذا وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق ، وأن هذه صفة له لازمة غير مفارقة ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [النساء : ١٥٥] ، ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ٤١] ، ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير ، بل

(١) ساقطة من ت . (٢) ت ، حاشيتي الأصل ، ف : « المكذبين المستحقين للبوار

اللعن والذم » . (٣-٣) ساقط من م .



أراد تأكيد القول بأن كلَّ ثمن يؤخذ عنها يكون قليلاً بالإضافة إليها ، ويكون المتعوض به عنها مغبوطاً مبخوساً خاسراً الصفة .

والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون ممدوحاً لأنَّ مَنْ تكبر وتنزَّه عن الفواحش والدنایا وتباعد من فعلها ، وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح ، سالكاً لطريق الحق ؛ وإنما التكبرُ الذموم هو الواقع على وجه النخوة والبُنى والاستطالة على ذوى الضَّعف والفخر عليهم ، والمباهاة لهم ، ومَنْ كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله تعالى إليه ، وأرشد إلى الثواب المستحقَّ عليه ، ويستحق بذلك الذمَّ والمقت ، فلهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق . وقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٣٣] ، يحتمل أيضاً هذين الوجهين اللذين ذكرناهما .

١٠

فإن أريد به البغى المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه ، كان قوله : ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ تأكيداً وإخباراً عن أن هذه صفة ، وإن أريد بالبغى الطلب - وذلك هو أصله في اللغة - كان الشرط في موضعه ؛ لأنَّ الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق .

فإن قيل فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ / وهل الرؤية هاهنا العلم والإدراك بالبصر ؟ وهب [١٠٠] أنها يمكن أن تكون في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ محمولة على رؤية البصر ، لأن الآيات والأدلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم ، وسبيل الرشد إنما هى طريقته ، ولا يصح أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التى لا تجوز عليها رؤية البصر ، فلا بد إذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ؛ ومَنْ علم طريق الرشد لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغي ؛ لأنَّ العقلاء لا يختارون مثل ذلك .

٣٠

قلنا: الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر، ويكون السبيل المذكورة في الآية هى الأدلة ؛ لأنها مما يدرك بالبصر، وتسمى بأنها سبيل إلى

الرشد ، من حيث كانت وُصَلَةً إلى الرُّشد ، وذريعةً إلى حصوله ، ويكون سبيل الغيِّ هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغلون في الدين ؛ ليوقعوا بها الشبهة على أهل الإيمان ، وتسمَّى سبيل الغيِّ ، وإن كان النظر فيها لا يوجب حصول الغيِّ من حيث كان المعلوم ممَّن تشاغل بها ، واغترَّ بأهلها أنه يصير إلى الغيِّ .

وَالوجه الثاني أن يكون المراد بالرؤية العلم ؛ إلا أن العلم لم يتناول كونها سبيلا للرشد ، وكونها سبيلا للغيِّ ؛ بل يتناولها لامن هذا الوجه ؛ ألا ترى أن كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم ؛ إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مُفضية إلى الحق ، فيجتنبونها ؛ وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة ، إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ، ويمتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون إليها ؟ وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به .

وَالوجه الثالث أن يكونوا عالين بسبيل الرشد والغيِّ ، ومميزين بينهما ؛ إلا أنهم للميل إلى أعراض الدنيا ، والدَّهَاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد إلى الغيِّ ، ويجحدون ما يعلمون ، كما أخبر بها عن كثير من أهل الكتاب بأنهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ،

[١٠٠] / والتكذيبُ لا يكون في الحقيقة إلا في الأخبار دون غيرها ؟

قلنا : التكذيب قد يُطلق في الأخبار وغيرها ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان يكذب بكذا إذا كان يعتقد بطلانه ، كما يقولون : يصدق بكذا إذا كان يعتقد صحته ؟ ولو صرفنا التكذيب هاهنا إلى أخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسله عليهم السلام

٢٠ جاز ؛ وتكون الآيات هاهنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات .

فإن قيل : فما معنى ذمه تعالى لهم بأنهم كانوا عن الآيات غافلين ، والغفلة على مذاهبكم

من فعله ، لأنها السهو أو ما جرى مجراه مما يناقى العلوم الضرورية ، ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك ؟ .

قلنا: المراد هاهنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ، ووجه التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى ، والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلاً عنها ، فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى : ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ ؛ [ البقرة : ١٨ ] ، على هذا المعنى ، وكما يقول ٥ أحدنا لمن يستبطئه ويصفه بالإعراض عن التأمل والتبشُّر : أنت ميت وراقد ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، وما أشبه ذلك ، وكل هذا واضح بحمد الله .

مكتبة  
الدكتور محمد رشيد الطهطاوي



## تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر المروى عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يصرف فيها كيف شاء » (١) ثم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك : « اللهم مصرف القلوب ، صرف » (٢) قالوا بنا إلى طاعتك . وعما يرويه أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى ، فإذا شاء أن يُثَبِّتَهُ ثَبَّتَهُ ، وإن شاء أن يقلبهُ قَلَبَهُ . » . وعما يرويه ابن حَوْشَبٍ قال : قيل (٣) لأم سامة زوج النبي صلى الله عليه وآله : ما كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ، ثَبِّتْ قلبي على دينك » ، قالت : قلت : يا رسول الله ، ما أكثر دعائك (٤) : « يا مقلب القلوب ، ثَبِّتْ قلبي على دينك » ! فقال : « يا أم سامة ، ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله ، ما شاء أقام ، وما شاء أزاغ » .

[١٠٦] فقال : ما تأويل / هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه ؟ أو ليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ، ولا تطابق العقول لا يجب ردُّها ، والقطع على كذب رِوَايَتِهَا (٥) إلا بعدالاً يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل ؟ وإن كان لها ذلك فباستكراه أو تعسف ، ولستم ممن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار ، فما تأويلها ؟ .

١٥ الجواب ، إن الذي يعول عليه مَنْ تكلم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول : إن الإصبع في كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن ؛ يقال : لفلان على ماله وإبله إصْبَعٌ حسنة ؛ أى قيام وأثر حسن ؛ قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله :

(١) ف ، حاشية ت ( من نسخة ) : « يشاء » . (٢) ت ، ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) « اصرف » . (٣) ت ، ف : « قلت لأم سامة » . (٤) ت ، د ، ف : « أكثر دعائك » . (٥) ج ، ش : « كذب راويها » ، ت ، ف « كذبها » .

ضَعِيفُ الْعَصَا بِإِدْيِ الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ  
وَقَالَ طَفِيلُ الْغَنَوَى يَصِفُ فَحَلًّا :

كَمَيْتٌ كَرُّ كُنِّ الْبَابِ أَحْيَا بَنَاتِهِ  
وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْمَةَ :

مَنْ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا<sup>(١)</sup> بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأْيٍ أَوْلَمَا  
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذُنُوبًا مُتَرَعَا

وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

أَغْرُ كُلُّونِ الْبَدْرِ فِي كُلِّ مَنْكِبٍ  
وَقَالَ آخَرُ :

وَارْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنُ  
وَقَالَ آخَرُ :

أَكْرَمَ نِزَارًا وَاسْتَمِعَ الْمُشْعَشَمَا  
فَإِنَّ فِيهِ خَصَلَاتٍ أَرْبَعَا  
حَدًّا وَجُودًا وَنَدَى وَإِصْبَعًا<sup>(٢)</sup>

وَالْإِصْبَعُ فِي كُلِّ مَا أوردناه المراد بها الأثرُ الحسنُ والنعمةُ ، فيكون المعنى : ما من

أَدْمَى إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ لِلَّهِ جَلِيلَتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ .

فإن قيل : هذا قد ذكر كما حكيتُمْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَفْصَلْ : ما النعمتان ؟ وما وجه التثنية

هاهنا وَنِعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى ؟

(١) البيت في اللآلئ ٥٠ ، ٧٦٤ ، والاسان ( عصا ) ؛ وضعيف العصا كناية عن الرفق بما يرعاه ،

والعرب تعيب الرعاء بضرب الإبل ؛ لأن ذلك عنف بها وقلة رفق . (٢) ديوانه ٥٢ ، وفي حاشية ت

(من نسخة) : « واستحشمتن » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضا : « الحش : الجمع ، وقد

حش [ بفتح ] ؛ فيمكن أن يكون « استحش » في البيت من هذا ، واستحش ، أى غضب ، غير

متعد « وفي حاشية الأصل أيضا : « استحشمتن : أصلحتن ؛ من قولهم : حشمت الدابة إذا صالحت ؛

عن النضر بن شميل » . (٣) ديوانه ٨ : ٢ . (٤) حاشية ف : « قوله : « حدًّا » ، قيل

به أراد البأس ، وقيل : المنع » ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « جدًّا » .

[١٠٦] / قلنا : يحتَمِلُ أن يكون الوجه في ذلك نِعَمَ الدنيا ونِعَمَ الآخرة ، وثناهما لأنهما كالجنسين أو كالتنوعين ، وإن كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير ؛ لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرّفهم بأدِلته وبراهينه ما أنعم به عليهم ، من نعم الدنيا والآخرة ، وعرّفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل ، والبقاء في النعيم الطويل .

ويمكن أن يكون الوجهُ في تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجاباً به ، وتنبيهاً عليه ؛ وهذه عادتُهم في تسمية الشيء بما يقع عنده ، وبما له به عُقْلَةٌ ، وقد قال قوم في بيتي طُفَيْلٍ والراعى : إنهما أرادوا أن يقولوا « يداً » في مكان « إصبع » ؛ لأن اليد النعمة ، فلم يمكنهما ، فعدلا عن اليد إلى الإصبع ، لأنها من اليد .

١٠ وفي الإصبع الجارحة ثمان لغات : أَصْبَعُ بفتح الألف والباء ، وَأَصْبَعُ ، بفتح الألف وكسر الباء ، وَأَصْبُعُ بضم الألف والباء ، وَأَصْبَعُ بضم الألف وفتح الباء ، وَأَصْبُوعُ ، بضم الألف مع الواو ، وإِصْبَعُ ، بكسر الألف والباء ، وإِصْبَعُ ، بكسر الألف وفتح الباء ، وإِصْبَعُ بكسر الألف وضم الباء .

وفي هذه الأخبار وجه آخر ؛ هو أوضح مما ذُكِرَ ، وأشبهُ بمذاهب العرب في ملاحن كلامها ، وتصرُّف كُنَايَاتِها ؛ وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها ، والفعل فيها عليه جَلَّتْ عِظَمَتُهُ ، ودخول ذلك تحت قدرته . ألا ترى أنهم يقولون : هذا الشيء في خِنَصَرِي وإِصْبَعِي ، وفي يدي وقَبْضَتِي ؛ كل ذلك إذا أرادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة فيه ، والمؤنة <sup>(١)</sup> .

وعلى هذا المعنى يتأَوَّلُ المحققون قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، [ الزمر : ٦٨ ] ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة

في وصفه بالقدرة على تقلب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة - وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ، ولا يَتَمَكَّنُ منه - قال : إنها بين أصابعه ؛ كنايةً عن هذا المعنى ، واختصاراً للفظ الطويل ، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ ؛ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعمداً ؛ لأنه واضح جلي .

ويمكن أن يكون في الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون ، / مِنْ أَنْ [١٠٧] الإصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم ؛ استظهاراً في الحجة ، وإقامة لها على كل وجه : وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين ، يحركه الله تعالى بهما ، ويقال بهما بالفعل فيهما ؛ ويكون وجه تسميتهما بالأصابع مِنْ حيث كانا<sup>(١)</sup> على شكلهما . والوجه في إضافتهما إلى الله تعالى - وإن كانت جميع أفعاله تُضاف إليه بمعنى الملك والقدرة - أنه<sup>(٢)</sup> لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما<sup>(٣)</sup> جاورها غيره . تعالى ؛ فقليل إنهما إصبعان له ؛ من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه ؛ لأن غيره إنما يقدر على تحريك القلب ، وما هو مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ، ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً مما يجاوره غيره تعالى ؛ فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم أن الأصابع هاهنا إذا كانت لحماً ودماً فهي جوارح لله تعالى ! وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد ؛ وعلى التأول أن يورد كل ما يحتمله الكلام ؛ ١٥ مما لا تدفعه حجة ، وإن ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح .

ونحن نعود إلى تفسير ما لعله أن يشتهيه من الأبيات التي استشهدنا بها .  
أما قوله :

\* حَدّاً<sup>(٤)</sup> وَجُوداً وَنَدَى وَإِصْبَعاً \*

٢٠ فمعنى الحد : المضاء والنفاذ .

(١) ت : « من حيث كانتا » . (٢) ت : « فإنه » . (٣) ف ، حاشية ( من نسخة ) : « مما » .

(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « جدا » .

وقول الآخر :

\* وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ ابْنٌ \*

فَلأَرْزَنَاتِ الْعَصَى ، وَالْأَبْنُ الْعَقْد .

فأما قول حميد بن ثور: « في كل مَنْكِبٍ من الناس » ، فالْمَنْكِبُ : الجماعة ، والمَنْكِبُ :

٥ الناحية .

وأما معنى أبيات<sup>(١)</sup> لبيد، فإنه أراد : مَنْ يَسْقِي اللهُ إِلَيْهِ خَيْرًا ، أَوْ يَصْرِفُ عَنْهُ شَرًّا يَهُمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ أَسْبَغَ لَهُ حَتَّى يَنْتَهَى مِنْهَا .

فأما بيت طَفِيلِ الْغَنَوِيِّ ، فمعناه أَنَّ هَذَا الْفَجَلَ الَّذِي وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كُمَيْتٌ ، وَأَنَّهُ كَرُّ كُنِّ الْبَابِ لِمَا وَشَدَّتْهُ لَمَّا ضَرَبَ فِي الْإِبِلِ الَّتِي وَصَفَهَا عَاشَتْ أَوْلَادُهَا الَّتِي هِيَ بَنَاتُهُ ١٠ بَعْدَ أَنْ كُنَّ مَقَالِيَتَ ، وَالْمَقَالِيَتَ : الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ ، فَكَانَ هَذَا مِنْهُ أَثَرًا جَمِيلًا عَلَيْهَا .

فأما بيت الراعي فمعنى قوله : « ضَعِيفَ الْعَصَا » يريد أَنَّهُ قَلِيلُ الضَّرْبِ لَهَا ؛ إِمَّا لِأَنَّهُنَّ لَا يُحَوِّجُنَّهُ سَدَادًا وَتَادِبًا ، أَوْ لِشَفَقَتِهِ عَلَيْهِنَّ ؛ وَهَذِهِ كُنْيَاةٌ فِي نَهَايَةِ الْحُسْنِ ، وَاخْتِصَارٌ شَدِيدٌ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَعِيفَ الْعَصَا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِمَالِهَا /

ط [١٠٧] فِي الضَّرْبِ ، فَيَخْتَارُهَا قَوِيَّةً ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَذَفٌ ، وَأَرَادَ ضَعِيفَ فِعْلِ الْعَصَا . ١٥ وَقَوْلُهُ : « بَادَى الْعُرُوقِ » يَعْنِي عُرُوقَ رِجْلِهِ لِفَسَادِهَا مِنَ السَّمِيِّ فِي أَثَرِ هَذِهِ الْإِبِلِ . وَأَرَادَ « بِالْإِصْبَعِ » أَنَّ لَهُ عَلَيْهَا فِي جَدْبِ النَّاسِ أَثَرًا جَمِيلًا لِحُسْنِ قِيَامِهِ وَتَعَمُّدِهِ .

وقد قيل إنه إنما سُمِّيَ الرَّاعِي لَبِيتَ قَالَهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَعْدَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي أَنشَدْنَاهُ ، وَهُوَ :

لَهَا أَمْرُهَا حَتَّى إِذَا مَا تَبَوَّأَتْ      بِأَخْفَافِهَا مَأْوَى تَبَوَّأَ مَضْجَعًا<sup>(٢)</sup>

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « بيت لبيد » . (٢) الآلى : ٧٦٤ ؛ والرواية هناك :

« لأخفافها » .



وهذا قول الأصمعي . وقال السكري : سُمِّيَ بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضا :

هَدَانُ أَخُو وَطْبٍ وَصَاحِبُ غُلْبَةٍ يَرَى الْمَجْدَ أَنْ يَلْقَى خَلَاءَ وَمَرْتَمًا<sup>(١)</sup>

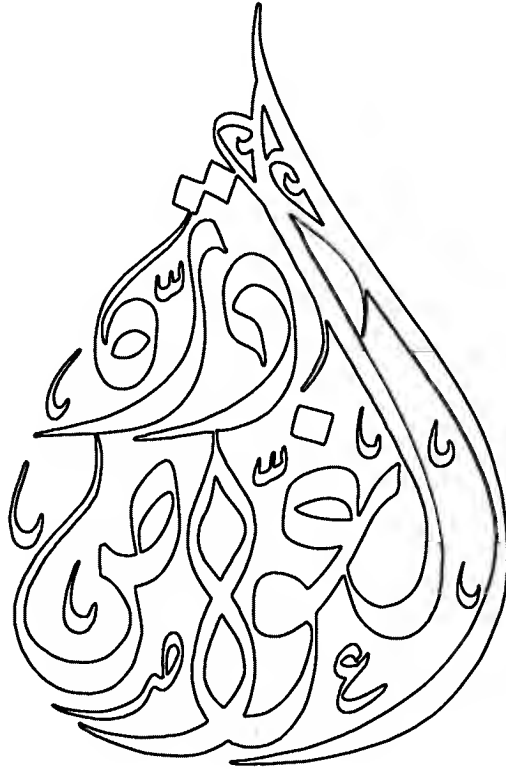
وروى عن بعض بني نُمَيْرٍ أنه قال : إنما سُمِّيَ بذلك لقوله :

بُنَيْتَ مَرَاقِيَهُنَّ فَوْقَ مَزَلَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقُرَاؤُ مَقِيلًا<sup>(٢)</sup>

فقال بعض بني نُمَيْرٍ لَمَّا سَمِعَ هذا البيت : والله ما هو إِلَّا راعى إبل ، فبقيت عليه . هـ

وقال محمد بن سلام : ” إنما<sup>(٣)</sup> سُمِّيَ الراعي لكثرة وصفه الإبل وحسن نعمته لها “ ؛ واسمه عُبَيْدٌ

ابن حُصَيْنٍ بن جَنْدَل ، وكنيته أبو جَنْدَل ، وقيل أبو نُوح .



(١) الهدان : الأحق الثقبيل ، والغلبة : محلب من جلد . (٢) جهرة الأشعار : ٣٥٣ ،

واللسان ( زل ) ، والمزلة : موضع الزل والانزلاق . (٣) طبقات الشعراء : ٢٥٠ .

# مَجْلِسُ آخِرِ

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

بْنِ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ؛  
[ المائدة : ١١٦ ] .

فَقَالَ : مَا الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؟ وَهَلِ الْمَعْنَى فِيهَا كَالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ؛ [ آل عمران : ٢٨ ] أَوْ يَخَالِفُهُ ؟ وَهَلْ يَطَابِقُ مَعْنَى الْآيَتَيْنِ وَالْمُرَادُ بِالنَّفْسِ فِيهِمَا  
• مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدُ لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْئًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا » ، أَوْ لَا يَطَابِقُهُ ؟

الْجَوَابُ ، قَالْنَا : النَّفْسُ فِي اللُّغَةِ لَهَا مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ ، وَوُجُوهٌُ فِي التَّصَرُّفِ مُتَبَايِنَةٌ ؛  
١٠ فَالنَّفْسُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَهِيَ الَّتِي إِذَا فَقَدَهَا خَرَجَ عَنْ كَوْنِهِ حَيًّا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ؛ [ آل عمران : ١٨٥ ] .

[ ١٠٨ ] وَالنَّفْسُ ذَاتُ الشَّيْءِ الَّذِي يُخْبِرُ / عَنْهُ كَقَوْلِهِمْ : فَعَلَ ذَلِكَ فَلَانٌ نَفْسُهُ ؛ إِذَا تَوَلَّى فِعْلَهُ .  
وَالنَّفْسُ : الْأَنْفَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ لَيْسَ لِفُلَانٍ نَفْسٌ ، أَيْ لَا أَنْفَةَ لَهُ .

وَالنَّفْسُ الْإِرَادَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ نَفْسُ فُلَانٍ فِي كَذَا ، أَيْ إِرَادَتُهُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :  
فَنَفْسَايَ نَفْسٌ قَالَتْ ابْنَ بَحْدَلٍ تَجِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ غُمٍّ تَهَايَبُهَا (١)  
وَنَفْسٌ تَقُولُ أَجْهَدُ نَجَاءُكَ لَا تَكُنْ كَخَاضِبَةٍ لَمْ يُغْنِ شَيْئًا خِضَابُهَا (٢)

(١) الْبَيْتَانِ فِي اللِّسَانِ ( نَفْسٌ ) . . (٢) ت : « عَنْهَا خِضَابُهَا » ، وَمِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ،  
ف : « لَمْ يُغْنِ يَوْمًا » .

ومنه أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، لم أحجج قط، فنفس تقول لي: حج، ونفس تقول لي: تزوج، فقال الحسن: إنما النفس واحدة، ولكن لك هم يقول حج، وهم يقول: تزوج، وأمره بالحج.

وقال المزيق<sup>(١)</sup> العبدى - وتروى لمعمر بن حمار البارق:

• ألا من لعين قد نأها حميمها وأرقني بعد المنام همومها  
فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها

وقال النمر بن تولب العكلى:

أما خليلي فإني لست معجلاه حتى يؤامر نفسه كما زعما  
نفس له من نفوس القوم صالحة تعطى الجزيل ونفس ترضع الغما<sup>(٢)</sup>

أراد أنه بين نفسيين: نفس تأمره بالجلود، وأخرى تأمره بالبخل، وكنى برضاع الغنم ١٠  
عن البخل، لأن اللثيم يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها؛ لئلا يسمع الضيف صوت الشخب  
فيهدى إليه، ومنه قيل: لثيم راضع؛ وقال كثير:

فأصبحت ذا نفسيين نفس مريضة من اليأس ما ينفك هم يعودها<sup>(٣)</sup>  
ونفس ترجى وصلها بعد صرمها تجمل كي يزداد غيظاً حسودها

والنفس العين التي تصيب الإنسان، يقال: أصابت فلاناً نفس، أى عين. ورؤى ١٥

(١) حواشى الأصل، ت، ف: «المزيق»، بكسر الزاى وفتحها، كلاهما جائز؛ الكسر لأنه أتى بذكر التزيق في شعره، والمزيق بالفتح؛ لأنه قال: «لما أمزق»، وقال أبو القاسم الأمدى: المزيق، بفتح الزاى هو شأس بن نهار العبدى، الذى قال: «ولما أمزق»، والمزيق، بكسرها هو المزيق الحضرمى، متأخر، وولده المزيق بن المزيق، ذكره في المختلف والمؤتلف.

وانظر ص ١٨٥-١٨٦؛ والبيت الذى يشير إليه هو بتمامه:

فلان كنت ما كولا فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق

من قصيدة يخاطب فيها عمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان، وكان هم بغزو عبد القيس.

(٢) البيتان في الأغاني ١٩: ١٦١. (٣) ديوانه ١: ٧٥.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَرُقِّي فيقول : « بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ هُوَ فِيكَ ؛ مِنْ عَيْنٍ عَائِنٍ ، وَنَفْسٍ نَافِسٍ ، وَحَسَدٍ حَاسِدٍ » .

[١٠٨] وقال ابن الأعرابي : النَّفُّوسُ الَّذِي يُصِيبُ النَّاسَ بِالْعَيْنِ / . وَذَكَرَ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ وَاللَّهُ حَسُودًا نَفُوسًا كَذُوبًا . وَقَالَ عُبيدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الرُّقِّيَّاتُ (١) :

يَتَقَى أَهْلُهَا النَّفُّوسَ عَلَيْهَا فَعَمِلَ نَحْرَهَا الرُّقِّيَّاتِ وَالتَّمِيمُ ٥

وقال مضر بن ربيعة الفقعسي :

وَإِذَا تَمَوْا صُعْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الْخَبَالُ وَلَا نَفُوسُ الْحُسَدِ (٢)

وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك :

فاسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ الْكَارِهِ وَالرَّدَى وَعِثَارِهَا وَوَقِيتَ نَفْسَ الْحُسَدِ

والنفس أيضا من الدِّبَاغِ بِمَقْدَارِ الدَّبْغَةِ ؛ تقول : أُعْطِنِي نَفْسًا مِنْ دِبَاغٍ ، أَيْ قَدَرًا مَا أُدْبِغُ بِهِ مَرَّةً . ١٠

والنفس الغيب ، يقول القائل : إِنِّي لَا أَعْلَمُ نَفْسَ فُلَانٍ ، أَيْ غَيْبَهُ ؛ وَعَلَى هَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ، أَيْ تَعَلَّمْ غَيْبِي وَمَا عِنْدِي ، وَلَا أَعْلَمُ غَيْبَكَ .

١٥ وقيل : إِنَّ النَّفْسَ أَيْضًا الْعُقُوبَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : أَحْذَرُكَ نَفْسِي ؛ أَيْ عُقُوبَتِي ؛ وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ حَمَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ؛ كَأَنَّهُ يُحَذِّرُكُمْ عُقُوبَتَهُ . وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَآخَرُونَ ؛ قَالُوا : مَعْنَى الْآيَةِ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ . وَقَدْ رَوَى عَنِ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّأْوِيلِ بَعِينَهُ .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « قيل له ابن قيس الرقيات ؛ لأنه كان يشبب بجماعة كل واحدة منهن اسمها رقية ؛ وقيل : كانت له جدات ؛ اسم كل واحدة منهن رقية » .  
(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال هذا نبات ينمو صعدا ؛ أَيْ يزداد طولاً » .

فإن قيل : ما وجهُ تسمية الغيب بأنه نفس ؟ قلنا : لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفيّة الموضع نُزِّلَ ما يكتمه ويجهّد في ستره منزلتها ، وسمّي باسمها ، فقيل فيه إنه نفسه ، مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء ؛ وإنما حَسُنَ أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ من حيث تقدم قوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ ؛ ليزدوج الكلام ، ولهذا لا يحسن ابتداء أن يقول : أنا لا أعلم ما في نفس الله تعالى ، وإن حَسُنَ على الوجه الأول ؛ ولهذا نظر في الاستعمال مشهورة مذكورة .

فأما الخبر الذي ذكره السائل فتأويله ظاهر ، وهو خارج على مذهب للعرب في مثل هذا الباب معروف ؛ ومعناه أن مَنْ ذَكَرَنِي في نفسه جازيته على ذكره لي ، وإذا تقرّب إلى شبرا جازيته على تقرّبه إليّ ؛ وكذلك الخبر إلى آخره ، / فسمّي المجازاة على الشيء باسمه [ ١٠٩ ] اتساعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ، [ الشورى : ٤٠ ] ؛ ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ ؛ [ الأنفال : ٤٠ ] ، ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، [ البقرة : ١٥ ] ؛ وكما قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا      فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

ونظر هذا كثيرة في كلام العرب . ولما أراد تعالى المبالغة في وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على تقرّبه بالكثرة والزيادة ؛ كنّى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال : « باعاً ١٥ وذراعاً » ، إشارة إلى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها .

(١) هو عمرو بن كلثوم ؛ والبيت من المعلقة ص ٢٣٨ — بشرح التبريزي .

## مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ: مَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾؟  
[الأحزاب: ١٠].

وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ، ومعلوم أن القلب إذا زال  
عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه ؟ وعن أى شيء زاغت الأبصار ؟ وبأى شيء تعامت  
ظنونهم بالله تعالى ؟ .

الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم ،  
وخافوا من بوائقهم وبوادهم ، ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته ،  
ولهذا يقولون للجبان : انتفخ سحره ، أى رثته ، وليس يمتنع أن تكون الرثة إذا انتفخت  
رفعت القلب ، ونهضت به إلى نحو الحنجرة . وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ، ورواه  
الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

ومنها أن القلوب توصف بالجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع ؛ قال الشاعر:  
كَأَنَّ قُلُوبَ أَدِلَّيْهَا مُعَاتِمَةٌ يَقْرُونَ الظُّبَاءَ<sup>(١)</sup>

(١) الأدلاء : جمع دليل ؛ والبيت في وصف فلاة مخيفة ، ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث  
ص ٤٨٨ ، ونسبه إلى المرار ، وقال في شرحه : « يريد أن القلوب تنزو وتجب ؛ فكأنها معلقة بقرون  
الظباء ؛ لأن الظباء لا تستقر ؛ وما كان على قرونها فهو كذلك » .

وقال امرؤ القيس :

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُدَارَانَ ظَلَّمْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا<sup>(١)</sup>

ويروى : « فِي قُدَارَ ظَلَّمْتُهُ »؛ أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار ؛ وإنما خصَّ الظبي ؛ لأنَّ قرنه أكثرُ تحركاً واضطراباً ؛ [١٠٩] ظ لنشاطه ومَرَحِهِ وَسُرْعَتِهِ .

وقد قال بعض الناس : إن امرأ القيس لم يصف شدةً أصابته في هذا البيت فيليق قوله : « على قرنٍ أغفرا » بالتأويل المذكور ؛ بل وصف أماً كنَّ كان فيها مسروراً متنعماً ؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت بلا فصل :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرُطَرَا<sup>(٢)</sup>

فيكون معنى قوله : « على قرنٍ أغفرا » على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مُشرف ؛ ١٠ شَبَّهَ لارتفاعه وطوله بقرن الظبي ؛ وهذا القول لابن الأعرابي والأول<sup>(٣)</sup> للأصمعي ؛ فأما قول الآخر :

أَلَا قَلَّ خَيْرُ الشَّامِ<sup>(٤)</sup> كَيْفَ تَغَيَّرَا فَأَصْبَحَ يَرْمِي النَّاسَ عَنْ قَرْنٍ أَغْفَرَا

فلا يحتمل إلاَّ الشدة والحال المذمومة ، ويجوز أن يريد أن الناس فيه غير مطمئنين بل هم منزعمون قلقون ؛ كأنهم على قرن ظبي ، ويحتمل أنه يريد أن يطعنهم بقرن ظبي ، كقولك : ١٥ رماه بداهية ، ويكون معنى « عن » هاهنا معنى الباء ، فقال : « عَنْ قَرْنٍ أَغْفَرَا » وهو يريد بقرن أغفرا ، وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معاً ، فيكون معنى الآية على هذا التأويل أن القلوب لما اتصل وجيبتها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق .

(١) ديوانه : ١٠٦ . قداران : قرية بالشام ؛ وأغفر ؛ أراد قرن ظبي أغفر . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « في نسخة الوزير السكامل أبي القاسم المغربي رحمه الله : « قذاران » ، بالنال المعجمة وفتح القاف ، وضب عليه . » (٢) في حاشية ت : « طرطر : قرية بالشام بمنبج ، ولها نهر يقال له نهر طرطر . » وفي شرح الديوان : تاذف وطرطر : موضعان فيهما أوقع بعده . » (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « والآخر . » (٤) ت ، ف : « الشان » .

ومنها أن يكون المعنى: كادت القلوب من شدة الرُّعب والخوف تبلغ الحناجر، وإن لم تبلغ في الحقيقة، فألغى ذكر « كادت » لوضوح الأمر فيها، ولفظة « كادت » هاهنا للمقاربة؛ مثل قول قيس بن الخطيم:

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَاطَرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعْمَرَةً وَخَشًا غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبٍ (١)  
دِيَارِ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِئْتَى تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّكَّابِ  
معناه: قاربت أن تحلّ بنا، وإن لم تحلّ في الحقيقة.

وقوله: « غير موقف راكب » فيه وجهان: أحدهما أنه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوّه من الناس ووحشته، والآخر أن يكون أراد أنه وخش؛ إلا أن راكباً واقف به؛ يعني نفسه. وقال نصيب:

[١١٠] / وَقَدْ كِدْتُ يَوْمَ الْحَزَنِ لِمَا تَرَنْتُ هَتُوفَ الضُّحَى مَحْزُونَةً بِالْتَرْتَمِ  
أَمُوتَ لِمَبْكَاهَا أَسَى إِنَّ لَوْعَتِي (٢)  
وَوَجْدِي بِسُعْدَى شَجْوَهُ غَيْرَ مُنْجِمٍ (٣)  
معنى المنجيم: المقلع.

وقال ذو الرُّمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةٍ نَاقَتِي فَازِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهُ (٤)  
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْتُهُ (٥)  
١٥

(١) ديوانه: ١٠٠، والرسم: ماشخص من آثار الديار بعد البلى، والمذاهب: جمع مذهب؛ وهي جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها في إثر بعض، وأطرادها: تتابعها.  
(٢) ف، حاشية ت (من نسخة): « لوعتي ». (٣) في حواشي الأصل، ت، ف:  
« في ديوانه:

\* وَوَجْدِي بِسُعْدَى قَاتِلٌ لِي فَاعْلَمِي \*

وبعده:

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدَمِ  
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا، فَقُلْتُ: الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ  
(٤) ديوانه: ٣٥. (٥) في حواشي الأصل، ت، ف: « يقال يئنه السر وأئنه ».



وكل هذا معنى « كاد » فيه المقاربة.

ومتى أدخلت العرب على « كاد » جَعَدًا، فقالوا: ما كاد عبد الله يقوم ، ولم يَكْد عبد الله يقوم ؛ كان فيه وجهان :

أجودها: قام عبد الله بعد إبطاء ولأى ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [ البقرة : ٧١ ] ، أى ذبحوها بعد إبطاء وتأخير ، لأنَّ وجدان البقرة عَسُرَ عليهم . ٥  
وروى أنهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها، فاشترَوْها من وليه بملء جلدِها ذهبًا، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، إما لأنهم لم يَقِفُوا عليها ، أو لفلائها وكثرة ثمنها .

والوجه الآخر فى قولهم : ما يكاد عبد الله يقوم ، أى ما يقوم عبد الله ، وتكون لفظه يُكاد على هذا المعنى مُطَرَّحَةً لَا حُكْمَ لَهَا ، وعلى هذا يحْمِلُ أكثر المفسرين قوله تعالى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرَاهَا ﴾ ، أى لم يَرَهَا أصلاً ؛ لأنه جل وعز لما قال : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [ النور : ٤٠ ] ، كأنَّ بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر ؛ ﴿ يَكْدِ ﴾ على هذا التأويل زيدت للتوكيد ، والمعنى : إذا أخرج يده لم يرها .  
وقال قوم : معنى الآية : إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر ؛ لتكاثف الظلمة <sup>(١)</sup> ، وترادف الموانع من الرؤية ؛ ﴿ يَكْدِ ﴾ على هذا الجواب ليست بزائدة . ١٥

وقال آخرون : معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها، لأن الذى شاهده من تكاثف الظلمات أيأسه <sup>(٢)</sup> من تأمل يده ، وقرَّر فى نفسه أنه لا يدركها ببصره . وحكى عن العرب : أولئك أصحابى الذين أكَاد أنزل عليهم ، أى أريد أن أنزل عليهم ؛ قال الشاعر :  
كَادَتْ وَكَدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهَوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى <sup>(٣)</sup>  
/ أى أرادت وأردت ، وقال الأفوه الأودى :

[ ١١٠ ]  
ظ

(١) ف : « الظلمات » ، حاشية ت ( من نسخة ) : « الظلم » . (٢) ت ، حاشية ف ( من نسخة ) : « آيسه » . (٣) ديوانه : ١٠ ( ضمن مجموعة الطرائف ) . (٤) البيت فى اللسان ( كيد ) .

فَإِنْ تَجْمَعُ أَوْتَادُ وَأَعْمِدَةٌ      وَسَاكِنُ بَلَعُوا الْأُمَرَ الَّذِي كَادُوا  
أَيُّ أَرَادُوا .

وقال بعضهم : معنى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ ؛ [ يوسف : ٧٦ ] ،  
أَيُّ أَرَدْنَا لِيُوسُفَ .

٥ وقال السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس : معناه كذلك صنعنا ليوسف .

ومما يشهد لمن جعل لفظة ﴿ يَكْدُ ﴾ زائدة في الآية قول الشاعر :  
سَرِيعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحُهُ      فَمَا إِنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ  
أَيُّ فَمَا إِنْ يَتَنَفَّسُ قِرْنُهُ ، و « يَكَادُ » مزيدة للتوكيد ، وقال حسان :

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيَّ فِرَاشَهَا      فِي جِسْمِ خَرْعَةٍ وَخُسْنِ قَوَامِ  
معناه وتكسل أن تجيئ فِرَاشَهَا ، وقال الآخر :

وَأَلَّا أَلُومُ النَّفْسَ فِيمَا أَصَابَنِي      وَأَلَّا أَكَادُ بِالَّذِي نِلْتُ أَنْجَحُ  
أَيُّ لَا أَنْجَحُ بِالَّذِي نِلْتُ ؛ ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مذحاً .

وروى عبد الصمد بن المعذل بن غيلان عن أبيه عن جدّه غيلان<sup>(١)</sup> قال : قدّم علينا  
ذوالرّمة الكوفة ، فأنشدنا بالكناسة - وهو على راحلته - قصيدته الحائية؛ التي يقول فيها :

١٥ إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ      رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ<sup>(٢)</sup>

فقال له عبد الله بن شبرمة<sup>(٣)</sup> : قد برح ياذا الرّمة ، ففكّر ساعة ثم قال :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجْدُ      رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

قال : فأخبرت أبي بما كان من قول ذي الرّمة واعتراض ابن شبرمة عليه ، فقال :

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « عيلان » ، وفيها : « وفي نسختين صحيحتين من ديوانه : غيلان »

(٢) ديوانه : ٧٨ . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو شبرمة بن الطفيل » بكسر الطاء

وسكون الفاء ، الذي يقول :

ويومٍ كظَلَّ الرُّمَحَ قَصَرَ طَوْلُهُ      دُمُ الزُّرْقِ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ الْمَزَاهِرِ

والبيت من أبيات ثلاثة ، ذكرها أبو تمام في الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٣٦ .

أخطأ ذوالرُمة في رجوعه عن قوله الأول ، وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه ؛ هذا كقوله عز وجل : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا ﴾ ، أى لم يرها .

فأما قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ؛ [ طه : ١٥ ] ، فيحتمل أن يكون المعنى : أريدُ أخفيها لى تجزى كل نفس بما تسعى . ويجوز أن تكون زائدة ويكون / المعنى إن الساعة آتية أخفيها لتجزى كل نفس . وقد قيل فيه وجه آخر ؛ وهو [ ١١١ ] أن يتم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ آتِيَةٌ أَكَادُ ﴾ ، ويكون المعنى : أكاد آتى بها ، ويقع الابتداء بقوله ﴿ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ؛ ومما يشهد لهذا الوجه قول ضاى البرهجي : هَمَمْتُ ولم أفعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَالَهُ (١) أراد : وكدت أقتله ، فحذف الفعل لبيان معناه .

وروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ، فعنى أخفيها على هذا الوجه . ١ . أظهرها ؛ قال عبدة بن الطبيب يصف ثورا :

يَخْفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسْهَنٍ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ (٢)

أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه ، وقال امرؤ القيس :

فَإِنْ تَدَفَّنُوا الدَّاءَ لَا نَخِفْهُ وَإِنْ تَبْعَشُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ (٣)

أى لا نظيره ؛ وقال النابغة :

تَخْفِي بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسَ الْكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرْبُ فَاهْدَمَا (٤)

(١) الشعر والشعراء : ٣١٠ . (٢) من قصيدة مفضلية ٢٦٨-٢٩٣ بشرح ابن الأنبارى .

وفي حاشية الأصل : « يصف شدة عدو الثور ، وأنه يثير الغبار بأظلاف ثمانية وأربع قوائم ؛ مقدار مسهن الأرض تحليل ، أى قول الرجل في يمينه إن شاء الله . » وفي حواشى ، ت ، ف أيضا : « التحليل ضد التحريم ؛ يقال : حللته تحليلا وتحلة ؛ ونقول : لم أفعَلْ ذلك إلا تحلة القسم ؛ أى القدر الذى لأحدث معه ، ولم أبالغ فيه ؛ ثم توسع فيه ؛ فقليل لى شئ لم يبالغ فيه تحليل ؛ يقال : ضربته تحليلا . »

(٣) مختار الشعر الجاهلى : ١٣١ . (٤) البيت ليس في ديوانه ، وفي حاشية ت : « ولا يرى القيس

يصف فرسا أخرج اليرابيع من حجرتها بعدوه :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدَقَّ مِنْ سَحَابِ مُرْكَبٍ

وانظر ديوانه ٨٦ .

وقد روى أهل العربية: أخفيتُ الشيءَ يعني <sup>(١)</sup> سترته ، وأخفيته بمعنى أظهرته ، وكأنَّ القراءة بالضم تحتمل الأمرين : الإظهار والستر ، والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الإظهار ؛ وإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام في «كاد» واحتمالها للوجه الثلاثة التي ذكرناها كالسلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية .

○ فإن قيل : فأى معنى لقوله : إني أسترها لتُجزى كل نفس بما تسعى ، أو أظهرها على الوجهين جميعاً ؟ وأي فائدة في ذلك ؟

قلنا : الوجه في هذا ظاهر ، لأنه تعالى إذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الحسن والتبجح مترددة ، وإذا عرّفنا وقتها بعينه كنّا ملجئين إلى التوبة ، بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به ، فصار ما يريد من المجازاة للمكافئين بسعيهم ، وإبصال ثواب أعمالهم بمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم . ١٠

فأما إذا كانت لفظة ﴿أخفيها﴾ بمعنى الإظهار فوجهه أيضاً واضح ؛ لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ، ويقطع التكليف ليجازى كلّاً باستحقاقه ، ويوفى مستحقّ الثواب ثوابه ، ويعاقب المسيء باستحقاقه ، فوضح وجه قوله تعالى : ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ على المعنيين جميعاً .

١٥ قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أطال الله بقاءه : وجدتُ أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يقطع على جواب مَنْ أجاب في قوله : ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ بأن معناه كادت تبلغ الحناجر ، ويقول : «كاد» لا تضمر ، ولا بدّ من أن يكون منطوقاً بها ، ولو جاز ضميرها لجاز : قام عبدُ الله بمعنى كاد عبد الله يقوم ، فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله ؛ لأن معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم ، وهذا الذي ذكره غير صحيح . ونظنُّ أن الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة ، لأنَّ من شأنه أن يردّ كل ما يأتي به ابن

(١) حاشية ت : « أخفيته إذا كان بمعنى أظهرته كانت الألف للسلب ، والمعنى : سلبته الحفاء ؛ مثل شكاني فأشكيتة » .

قتيبة، وإن تعسّف في الطعن عليه . والذي استبعده غير بعيد ؛ لأن « كاد » قد تضمّر في مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن في صريحه ؛ ألا ترى أنهم يقولون : أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده ، وخرجت نفسه ، ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح ، وما أشبه ذلك . ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ، ولا بد من إضمار « كاد » فيه ، وقال جرير :

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا<sup>(١)</sup>  
وإنما المعنى أنهم كدّوا يقتلنا ؛ وهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره .

فأما قوله : « يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا » فالأظهر في معناه أنهم لم يُزِلْنِ ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك ، وسمّى هذه الأمور حياة كما سمي أضدادها قتلاً ، وقد قيل إن معنى « يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا » أنهم لم يديّن قتلانا ، من الدية ، لأن دية القتل عند العرب ١٠ كالحياة له ، وقد روى : « ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا » ، وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ركيك ضعيف ؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال : قام فلان بمعنى كاد يقوم ، إذا دلت الحال على ذلك ؛ كما يقال : مات بمعنى كاد يموت .

فأما قوله : « فَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ، لَمْ يَقَمْ عَبْدُ اللَّهِ » فخطأ ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم إنه لم يقم / كما ظنّ بل معناه . أنه قارب القيام ودنا منه ، فمن قال : قام عبد الله وأراد كاد يقوم ؛ فقد أفاد ما لا يفيد لم يقم .

(١) ديوانه : ٥٩٥ ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى أنه وقع الخلاف بين هارون الرشيد وزبيدة في هذا البيت ؛ فساكن هارون يقول : « يحيين » ، وزبيدة تقول : هو : « يحجن » ، بالجيم والنون ؛ فتخاطرا على ذلك بألني دينار ، ودعوا مسرورا الخادم ، وأعطياه على أن يخرج فيسأل أفضل من ببغداد من أهل العلم ؛ فإن صوب قول هارون أعطاه ألفا ، وإن صوب قول زبيدة فألفها ، فخرج مسرور بالشموع يطلب من يفتيه في ذلك ؛ فدل على الكسائي ؛ وكان قريب عهد القدوم من الكوفة إلى بغداد ؛ وكان يأوى إلى مسجد ؛ فدخل مسرورا عليه بخيله وحشمه ؛ فتنحّز له الكسائي ؛ فقال : لا بأس ؛ إنه بيت قد أشكل علينا ، واستفتاه في الكلمتين فصوبهما جميعا ؛ فأعطاه الألفين ؛ فأصبح وقد استفاد بكلمة أوضحها ما أغناه ؛ وهذا دليل على حسن تأتبه وإطافه أدبه . »

وأما قوله تعالى : ﴿ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ ﴾ فمعناه زاغت عن النظر إلى كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ، ويجوز أن يكون المراد بـ ﴿ زَاغَتْ ﴾ ، أى جارت <sup>(١)</sup> ومالت عن القصد في النظر دهشا وتحيراً .

- فأما قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ ، معناه أنكم تظنون مرة أنكم تُفْصرون وتَظْهرون على عدوكم ، ومرة أنكم تُبْتَلُونَ وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم .
- ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفت ، فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر ، وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، فظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم في قوله : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .
- ١٠ وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها .

(١) ت وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « حادت » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

« حارت » .

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبا: ٩] .  
فقال: إذا كان السُّبَات هو النوم ؛ فكأنه قال: وجعلنا نومكم نوماً ، وهذا ملاماً فائدة فيه .  
الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بالسُّبَات الراحة والدَّعة ، وقد قال قوم : إنَّ اجتماع الخلق كان في  
يوم الجمعة ، والفراغ منه في يوم السبت ، فسُمِّيَ اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ؛ ولأن الله  
تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال ؛ قيل : وأصل السُّبَات التمدُّد ؛ يقال :  
سَبَتَتِ المرأةُ شعرَها إذا حَلَّتْهُ من العَقَص وأرسلته ، قال الشاعر :  
وإنَّ سَبَّتَهُ مالَ جَثَلًا كأنَّهُ سَدَى واهلَاتٍ مِن نَواسِجٍ خَشَمًا<sup>(١)</sup>  
أراد : إن أرسلته .

ومنها أن يكون المراد بذلك القَطْع ؛ لأن السبَّ القَطْع ، والسبَّ أيضا الخَلْق ؛ يقال : ١٠  
سَبَّتَ شعرَه سَبْتًا إذا حَلَقَه ، وهو يرجع إلى معنى القَطْع ، والنعال السَّبْتِيَّة التي لا شعر  
عليها ؛ قال عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ ، يُحْذِي نَعَالَ السَّبْتِ ، لَيْسَ بِتَوَّءٍ<sup>(٢)</sup>

(١) الجئل من الشعر : ما كشف واسود ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « شبه شعرها في وقت  
الإرسال بسدى ثياب مسترخيات مرسلات . والنواسج : جمع ناسجة ، وخشم : قبيلة » .

(٢) المعلقة : ١٩٩ - بشرح التبريزي ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « السرحة : شجرة طويلة ، يصفه  
بالطول . وأراد بقوله : « يحذى نعال السبت » أنه من الملوك ؛ لأن نعال السبت نعال الملوك . والسبت :  
شيء يشبه القرط ، تدبغ به النعال ؛ ووصفه بالشدة والقوة في قوله : « ليس بتوأم » ، لأنه إذا لم يكن معه توأم  
كان أقوى وأتم خلقه » .

[١١٢]

ط

/ ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة ممّا حولها : سَبْتًا ، وجمعها سَبَاتَى ، فيكون المعنى على هذا الجواب : جعلنا نومكم سُبَاتًا ، أى قَطْعًا لأعمالكم وتصرفكم . ومن أجاب بهذا الجواب يقول : إنما سمى يوم السبت بذلك لأنّ بدء الخلق كان يوم الأحد ؛ وُجِعَ يومَ الجمعة ، وقُطِعَ يوم السبت ، فترجع التسمية إلى معنى القطع .

• وقد اختلف الناس فى ابتداء الخلق فقال أهل التوراة : إنّ الله تعالى ابتدأه فى يوم الأحد ، فكان الخلق فى يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، ثم فرغ فى يوم السبت ؛ وهذا قول أهل التوراة .

وقال آخرون : إن الابتداء كان فى يوم الاثنين إلى السبت ، وفرغ فى يوم الأحد ؛ وهذا قول أهل الإنجيل .

١٠ فأما قول أهل الإسلام فهو أن ابتداء الخلق كان فى يوم السبت ، وانصل إلى الخميس . وجُعِلَت الجمعة عيداً ؛ فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يُسمّى اليوم بالسبت ، من حيث قُطِعَ فيه بعضُ خلق الأرض ، فقد روى أبو هريرة عن النبى عليه السلام أنه قال : « إنّ الله تعالى خلق التُّرْبَةَ <sup>(١)</sup> فى يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد » .

ومنها أن يكون المراد بذلك أنّا جعلنا نومكم سُبَاتًا ليس بموت ؛ لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت ؛ فأراد تعالى أن يمتنّ علينا بأن جعل نومنا الذى تُضاهى فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموت على الحقيقة ، ولا بمخرج لنا عن الحياة والإدراك ؛ فجعل التأكيدَ بذكر المصدر قائماً مقام نفى الموت ، وساداً مسدّ قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ ﴾ ليس بموت .

ويمكن أن يكون فى الآية وجه آخر لم يُذكر فيها ، وهو أن السبات ليس هو كل نوم ؛ وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه ، والسبات هو النوم الممتد الطويل

(١) من نسخة بحاشيت ، ف : و البرية .



السكون<sup>(١)</sup>، ولهذا يقال فيمن وُصِفَ بكثرة النوم إنه مَسْبُوت ، وبه سُبَاتٌ ؛ ولا يقال ذلك في كلِّ نائم ، وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا ﴾ بجرى أن يقول: وجعلنا نومكم نومًا .

والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتدًّا طويلا - ظاهرة ، وهو لما في ذلك لنا من النفعة والراحة ؛ لأن التهويم والنوم الغرار لا يَكْسِبَانِ<sup>(٢)</sup> شيئا من الراحة ؛ بل يصحبهما ٥ في الأكثر التقاطع والازعاج ، والهموم / هي التي تقلل النوم وتزّره ، وفراغ القلب ورخاءُ [١١٣] البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده ؛ وهذا واضح .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على الجواب الذي ذكرناه أولا ، ويقول: إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده ؛ لأنَّ الراحة لا يقال لها: سُبَاتٌ ، ولا يقال : سَبَتَ<sup>(٣)</sup> الرجل بمعنى استراح وأراح ، ويعتمد على ١٠ الجواب الذي ثنينا بذكره ، ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سَبَتِ المرأةُ شعرها: إن معناه أيضا القطع ، لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشَّداد الذي كان مجموعا به وقطعه . والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يَقْدَحُ في جواب ابن قتيبة ؛ لأنه لا يُنْكَرُ أن يكون السباتُ هو الراحة والدعة إذا كانتا عن نومٍ ، وإن لم توصف كل راحة بأنها سُبَاتٌ ، ويكون هذا الاسم يخصُّ<sup>(٤)</sup> الراحة إذا كانت على هذا الوجه ؛ ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء ، ١٥ وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم: سَبَتَ الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أنَّ السُّبَاتَ لا يكون اسما للراحة عند النوم ؛ والذي يَبْقَى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ، ويستشهد على ذلك بشعرٍ أو لغةٍ ، فإن البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال .

(١) حاشية ( من نسخة ) : « السكوت » . (٢) ت ، ف : « لا يكسبان » ، بضم الياء .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « سبت » ، بالبناء للمجهول .

(٤) من نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « يختص بالراحة » .

فإن قيل : فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً ؟ قلنا : الفرق بينهما بين ، لأن ابن قتيبة جعل السُّبَاتَ نفسه راحةً ، وجعله عبارةً عنها ، وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ، ونحن جعلنا السُّبَاتَ من صفات النوم ، والراحة واقعةً عنده للامتداد وطول السكون فيه ؛ فلا يلزمنا أن يقال : سَبَّتَ الرجل بمعنى استراح ؛ لأنَّ الشيء لا يسمَّى بما يقع عنده حقيقة ، والاستراحة تقع على جوابنا عند السُّبَاتِ<sup>(١)</sup> ، وليس السُّبَاتُ إياها بعينها ؛ على أن في الجواب الذي اختاره ابنُ الأنباري ضرباً من الكلام ؛ لأنَّ السَّبَّتَ وإن كان القطع على ما ذكره فلم يُسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السُّبَاتَ ، ويحتاج في إثبات مثل هذا البناء إلى سَمْعٍ<sup>(٢)</sup> عن أهل اللغة ، وقد كان يجب أن يورد من أي وجه ؛ إذا كان [ ١١٣ ] السبت هو القطعُ جاز أن يقال سُبَات على هذا المعنى ؛ ولم نره فعل / ذلك .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

١٠ إن قال قائل : ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله : « إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه » ، وفي رواية أخرى : « إن الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه » ، وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « مَنْ نِيحَ عليه فإنه يعذب بما نِيحَ عليه » .

١٥ الجواب ، إننا إذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبْحَ مؤاخذه أحد بذنب غيره ، وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [ الأنعام : ١٦٤ ] ، فلا بد أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطاقها .

والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها - إن حُتَّ روايتها - أنه إذا أوصى موصٍ بأن ينوح

(١) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال ابن دريد : السبات : السكون ؛ والرجل مسبوت ؛ وقال الجوهري : السبت والسبات : السكون والراحة ؛ وقد سبت يسبت ، بالضم » .

(٢) ت ، د ، حاشية ف ( من نسخة ) : « سماع » .

عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فإنه يعذب بالنياحاة عليه؛ وليس معنى يعذب بها أنه يؤاخذ بفعل النوح ، وإنما معناه أن يؤاخذ بأمره بها ووصيته بفعالها ، وإنما قال صلى الله عليه وآله ذلك لأن الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ، ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم ؛ قال طرفة بن العبد :

فإن مُتْ فأنعمني بما أنا أهلهُ      وشُقِّي على الجيبِ يا أمَّ معبدٍ <sup>(١)</sup>  
وقال بشر بن أبي خازم لابنته عُميرة <sup>(٢)</sup> :

فمن يك سائلاً عن بيتِ بشرٍ      فإن له بجنبِ الرَّدِّ باباً <sup>(٣)</sup>  
ثوى في ملجأ لا بدَّ منه      كفى بالموتِ نأياً واغتراباً <sup>(٤)</sup>  
رهين بلَى وكل فتى سبلى      فأذرى الدَّمعَ وانتحى انتحاباً

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر أنه قال : وهل <sup>(٥)</sup> ابنُ عمر ، إنما مرَّ رسول الله ۱٠ صلى الله عليه وآله على يهودى فقال : « إنكم لتبكون عليه ، وإنه ليعذب في قبره » . وقد روى إنكار هذا الخبر أيضا عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله ، وأنها قالت لما أخبرت بروايته : وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر ، إنما قال عليه السلام : « إن أهل الميت ليكون عليه ، وإنه ليعذب بجُرمه » /

[١١٤]  
و

(١) المعلقة ٩٦ — بشر التبريزى . والرواية فيها :

\* وشُقِّي على الجيبِ يا ابنة معبدٍ \*

(٢) مختارات ابن الشجرى ٢ : ٣٢ ؛ من قصيدة قالها وهو يجود بنفسه بعد أن طعنه غلام من بني وائلة

بسم فأثخنه ، ومطلعا :

أسائلة عُميرة عن أبيها      خلال الجيشِ تعترِفُ الرِّكابا

(٣) الردة : جم ردهة ؛ وهى نقرة فى صخرة يستنقع فيها الماء . (٤) فى مختارات ابن الشجرى :

« هوى فى ملجأ » . (٥) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال أبو زيد : وهلت [ بكسر الهاء ]

فى الشئ » وعنه أوهل وهلا [ بفتحين ] إذا غلظت فيه ، وهلت [ بفتح الهاء ] إلى الشئ أهل وهلا

[ بسكون الهاء ] إذا ذهب وهمك إليه ، وهلت [ بكسر الهاء ] أوهل وهلا [ بفتحين ] : فرغت .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : معنى « وَهَلْ » أى ذهب وهمه إلى غير الصواب ، يقال وَهَتْ إلى الشئ ، فأنا أَهْلٌ وَهَلًا إذا ذهب وهمك إليه ، وَوَهَّلت عنه أَهْلٌ وَهَلًا ، أى نسيتته وغلِطت فيه ، وَوَهَّلَ الرجل بَوَهْلٍ وَهَلًا إذا فزع . والوهل : الفزع .

فأما « الْقَلْبُ » فهى البئر ، والجمع القلوب ، قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من

المشركين :

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَدْ فَنَاهُمْ كَبَا كَبَ فِي الْقَلْبِ<sup>(١)</sup>  
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ  
وقال آخر يبكى على قتلى بدر من المشركين :

فَمَاذَا بِالْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ مِنْ الْقِيَمَاتِ وَالشَّرِّ الْكِرَامِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَاذَا بِالْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ مِنَ الشَّيْزَى يُكَلِّلُ بِالسَّامِ<sup>(٣)</sup>

١٠

ومعنى وَهَلِهِ فى ذكر القلب أنه روى أن النبى صلى الله عليه وآله وقف على قلب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ » ثم قال : « إنهم ليسمعون ما أقول » ، فأنكر ذلك عليه ؛ وقيل إنما قال عليه السلام : « إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق » ، واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ ؛ [ النمل : ٨٠ ] . وأهل القلب جماعة من قريش ؛ منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وغيرهم .

١٥

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قائمًا يصلى بمكة وأناس من قريش فى حلقة ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فقال : ما يمنع أحدكم أن يأتى الجزور التى نحرها آل فلان ، فيأخذ سلاعا ثم يأتى به حتى إذا سجد وضعه على ظهره ؟ قال عبد الله : فأنبت أشقى القوم . وأنا أنظر إليه . فجأوبه حتى وضعه على ظهره ، قال عبد الله : فلو كانت لى يومئذ منعة لمنعته . وجاءت فاطمة عليها السلام عليه ، وهى يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤوسهم فأوسعهم شتمًا ، قال : فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك ، حتى إنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك ، فلما

٢٠

(١) ديوانه : ١١-١٢ . الكباكب : الجماعات . (٢) ت ، د ، حاشية ب (من نسخة) :

• من القتيان • . (٣) الشيزى : شجر عظيم يتخذ منه الجفان ، وهو الآبنوس .

سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَفْلَانٍ وَفُلَانٌ » ، فَلَمَّا رَأَوْا [١١٤] ط  
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ دَعَا عَلَيْهِمْ أَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَوَلَّى اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا سَمَّى النَّبِيُّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ أَخَذَ بِرَجُلِهِ يُجَرُّ إِلَى الْقَلْبِ  
مَقْتُولًا .

وقوله : « فَيَأْخُذُ سَلَاها » أى جَلَدَتْها التى فيها وَلَدُها مادام فى بطنها ، والجميع (١) ٥  
الأسلاء ؛ وقال ابن حبيب (٢) : الأسلاء التى فيها الأولاد ، قال الأخطل :  
وَيَطْرَحُنَ بِالْفَغْرِ السَّخَالَ كَأَنَّمَا يُشَقِّقُنَ بِالْأَسْلَاءِ أُرْدِيَةَ الْعَصَبِ (٣)  
وقال الشماخ :

وَالْعَيْسُ دَامِيَةُ الْمَنَاسِمِ ضَمَرٌ يَقْدِفُنَ بِالْأَسْلَاءِ تَحْتَ الْأَرْكَبِ (٤)  
قال الفرّاء . سَقَطَ فى أَيْدِيهِمْ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَأَسْقَطَ لَغْتَانِ ، وهى بغير ألف أكثر وأجود . ١٠  
ويمكن أن يكون فى قوله : « يَعَذِّبُ بِيكَا ، أَهْلُهُ عَلَيْهِ » وجه آخر ؛ وهو أن يكون المعنى  
أن الله تعالى إذا أعلمه بِيكَا ، أَهْلُهُ وَأَعَزَّائِهِ عَلَيْهِ وما لحقهم بعده من الحزن والهمّ تألم بذلك ؛  
فكان عذاباً له ؛ والعذاب ليس بجارٍ تجرّى العقاب الذى لا يكون إلّا على ذَنْبٍ مُتَقَدِّمٍ ؛  
بل قد يُسْتَعْمَلُ كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر ؛ ألا تَرَى أن القائل قد يقول لمن ابتداء  
بالضرر والألم : قد عَذَّبْتَنِي بِكَذَا وَكَذَا ؛ كما يقول : أَضَرَّرْتَ بِي وَآلَتْنِي ؛ وإنما لم يُسْتَعْمَلْ ١٥  
العقاب حقيقة فى الآلام المبتدأة من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة ، التى لا بد من تقديم  
سبب لها ، وليس هذا فى العذاب .

(١) ف : « الجمع » . (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « محمد بن حبيب الفهرى » ، وحبيب

أُمّه ؛ وكان ولد ملاءنة فلا يندب إلى أبيه . (٣) ديوانه : ٢٠ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف :  
الثغر : موضع الخفاة ؛ ويمكن أن يريد به هاهنا موضعاً بعينه ؛ يصف الإبل بالسكد والجهد ؛ حتى طرحت  
أولادها وأسلاءها مشقوقة ؛ وشبه الأسلاء فى حال انشغالها عن السكد بأرديه من برود اليمن .

(٤) لم يرد البيت فى ديوانه وفى حاشيتى الأصل ، ف : « العيس : الإبل البيض . والمناسم : مقدمة  
الحف . والأركب : جم ركب ، والركب : جم ركبة ؛ ويمكن أن تكون الأركب بمعنى الركبان .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ آخِرٍ

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « مِمَّنْ أَحَدٌ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، وَيُنْجِيهِ مِنَ النَّارِ » ، قيل : « وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ » قال : « وَلَا أَنَا ؛ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » ، يقولها ثلاثاً .

فقال : أو ليس في هذا دلالة على أَنَّ اللَّهَ تعالى يَتَفَضَّلُ بالثواب ، وأنه غيرُ مُسْتَحَقٍّ عليه ؟  
٥ ومذهبيكم بخلاف ذلك .

الجواب ، قلنا : فائدة الخبر ومعناه بيانُ قَرَرِ السَّكَّافِينَ إلى اللَّهِ تعالى ، وحاجَّتِهِمْ إلى أُلَافِهِ وتوفيقاته ومعاوناته ، وأنَّ العبدَ لو أُخْرِجَ إلى نفسه ، وقطعَ اللَّهُ تعالى موادَّ المعونة .  
[ ١١٠ ] واللفظ عنه لم يدخلُ / بعمله الجنة ، ولا نجا من النار ؛ فكأنه عليه السلام أراد أن أحداً لا يدخلُ الجنة بعمله الذي لم يُعِنِّه اللَّهُ تعالى عليه ، ولا لَطَفَ له فيه ، ولا أَرشَدَه إليه ؛ وهذا هو الحق الذي لا شبهةَ فيه ؛ فأما الثواب فما نأبى القولَ بأنه تَفَضَّلَ ؛ بمعنى أَنَّ اللَّهَ تعالى تَفَضَّلَ بسببه الذي هو التكليف ، ولهذا نقول : إنه لا يجب على اللَّهِ تعالى شيء ابتداءً ، وإنما يجب عليه ما أوجبه على نفسه ، فالثواب مما كان أوجبه على نفسه بالتكليف ؛ وكذلك التمكن والإلطف ، وكل ما يجلبه ويوجبُه التكليف ، ولولا إيجابُه له على نفسه بالتكليف لما وجب .  
فإن قيل : فقد سمى الرسول ما يُفَعَّلُ به فضلاً فقال : « إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » ، قلنا هذا يطابق ما ذكرناه ، لأنَّ الرحمة النعمة والثواب نعمة ، وهو يُفَضَّلُ من الوجه الذي ذكرناه ، وإن حملنا قوله عليه السلام : « بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » على ما يُفَعَّلُ به من الألفاظ والمعونات فهي أيضاً فَضْلٌ وتَفَضُّلٌ لأنَّ سببها غير واجب .

فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « يَتَغَمَّدَنِي » فمعناه يسترنى ، يقال غمدت السيف في غمده إذا سترته ، قال الشاعر : هَوَانٌ بَعْدَ كَمَا فِي الْمَايِ الْكَبِيرِ ١١٠٢ / رديوانه

٢٠ نَصَبْنَا رِمَاحًا فَوْقَهَا جَدُّ عَامِرٍ كَظِلِّ السَّمَاءِ ، كُلَّ أَرْضٍ تَغْمَدًا

فالجَدَّ هاهنا : الحظ ، وشبهه ما قسِمَ لعامر من الغابة والظفر بظل السماء الذي يستر كل شيء ، ويظهر عليه .

\*\*\*

أخبرنا أبو القاسم عُبَيْدُ اللَّهِ بن عثمان بن يحيى بن جَنِيْقًا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحَكِيمِيَّ قراءة عليه قال أُمِّي عَلِينَا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الأعرابي قال : يقال للقوم إذا دعوت عليهم : بَهْرَهُمُ الله ، والمبهور هو المكروب ، ٥ وأنشدنا :

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَادِ تَهَادَى      بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ (١)  
مُتَمِّمٌ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا      عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ (٢)

قال سيدنا أدام الله أيامه : وقد قيل في معنى قوله : « بَهْرًا » غير هذا الوجه .  
أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القاسم بن ١٠  
إسماعيل / قال حدثنا التَّوْزِيُّ عن أبي عمرو الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : عمر [ ١١٥ ]  
ابن إِبْرِيْمَةَ حَجَّةً في العربية ، وما أخذ عليه شيء إلا قوله :  
\* ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : بَهْرًا \*

وله فيه عذر إن أراد الخبر لا الاستفهام ، كأنهم قالوا : أنت تحبها ؛ على وجه الإخبار منهم  
لا الاستفهام ، فوكَّد هو إخبارهم بجوابه ، فهذا حسن . و « بَهْرًا » يجوز أن يكون أراد : ١٥  
نعم حبًّا بَهْرَنِي بَهْرًا ، ويكون أيضًا بمعنى « عَقْرًا وَتَعَسًّا » ، دعاء عليهم إذ جهلوا من حبه لها  
مالا يُجْهَل مثله ، وأنشد أبو عمرو :

(١) من قصيدة في الديوان ، مطلعها :

قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ ما بي : أَتُحِبُّ الْقَتْلَ أَمْ أُحِبُّ الرِّبَابَ ؟

(٢) ف ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عدد القطر » ، وفي الديوان : « عدد النجم » . و « بهرا » : مصدر بمعنى الغلبة ؛ وكأنه قال : غلبني حبها واستولى على .

أَحَا اللَّهُ قَوْمِي إِذْ يَسْمَعُونَ مُهْجَتِي بِجَارِيَةٍ ، بَهْرًا لَهْمُ بَعْدَهَا بَهْرًا<sup>(١)</sup>  
قال أبو عمرو: ويكون « بهراً » بمعنى « ظاهراً »؛ يريد حباً ظاهراً، من قولهم: قمرٌ باهرٌ،  
وقد روى بعض الرواة أنه قال :

\* قيل لي: هل تحبها؟ قلت: بهراً \*

والرواية الأولى هي المشهورة ، ولعلَّ مَنْ روى ذلك فَرَّبَ هذه الرواية من اللحن .  
وهذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة الخزومي ، من جملة أبيات منها :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بَأْنِي ضِيقُ ذَرْعًا بِهِجْرِهَا وَالكِتَابِ<sup>(٢)</sup>  
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ  
سَلَبْتَنِي مُجَاوِةُ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَاوَهَا بِمَا يَحْمِلُ اغْتِصَابِي  
أَرْهَقْتُ<sup>(٣)</sup> أُمُّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَانِي مِنْ مَتَابِ  
حِينَ قَالَتْ لَهَا : أَجِيبِي ، فَقَالَتْ : مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ : أَبُو الْخَطَّابِ  
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَاهَةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَثْرَابِ  
ثُمَّ قَالُوا : تُحِبُّهَا ؟ قَالَتْ : بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالْثَرَابِ

والثريَّا هي التي عنها عُمرُ أموية ، وقد اختلف في نسبها ، ف قيل : إنها الثريَّا بنت عبد  
الله بن الحارث بن أمية الأصغر . أبو عبد شمس ، وقيل : إنها الثريَّا بنت علي بن عبد الله بن  
الحارث بن أمية الأصغر . وذكر الزبير بن بكار أن الثريا هي بنت عبد الله بن محمد

(١) البيت لابن ميادة ، وهو في اللسان ( بهر ) ، والرواية فيه :

\* تَفَاقَدَ قَوْمِي إِذْ يَلِيعُونَ مُهْجَتِي \*

وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله : « بهراً لهم بعدها بهراً » يجوز أن يكون الضمير في  
« بعدها » للجارية ؛ ويكون قد كرر « بهراً » ، ويجوز أن يكون الضمير « لبهراً » الأولى ؛ أي بهراً  
لهم بعدها بهراً ؛ وإنما أنت لأنها كلمة ، ونكون الجملة التي هي « بعدها بهراً » في موضع الصفة لبهراً  
الأولى ، ويجوز أن يكون الضمير للفتلة ؛ أي البيعة . (٢) في حاشيتي ت ، ف : « أي امتناعها من  
الكتاب إلى ، وقيل : هو يخلف بالمصنف » . (٣) ت ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أرهقت » .



ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وأُمُّها أخت محمد بن عبد الله المعروف بابي جراب العُبلِيّ<sup>(١)</sup> الذي قتله داود بن عليّ .

وأخبرنا أبو عبيد الله / قال حدثني محمد بن عبد الله<sup>(٢)</sup> قال حدثنا أحمد بن يحيى [١١٦] و  
عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال : أخبرني بلال ، مولى ابن أبي عتيق في  
حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريّا اختصرناه وأوردنا بعضه قال : لما سمع ابنُ أبي  
عتيق قول عمر :

« مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بَأْنِي »

قال : إياي أَرَادَ : وبني نوّه ، لا جرم ! والله لا أذوق أكلا حتى أشخص إليه لأصلح  
بينهما ، فنهض ونهضتُ معه ، فجاء قوماً من بني الدّيل بن بكر ، لم تكن الفجائب تفارقهم  
يسكرونها فاكترى منهم راحلتين ، وأعلى لهم بهما ، فقلت له : استوضّعهما شيئاً ، أو دعني ١٠  
أما كنّهم فقد اشتطّوا ، فقال لي : ويحك ! أما علمت أن الميكاس ليس من خلق الكرام !  
وركب إحداهما ، وركبت الأخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت له : ارفق على نفسك ، فإنّ  
ما تريد لا يفوتك ، فقال : ويحك !

\* أبادر حَبْلُ الْوُدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا \*

وما مَدَحَ الدُّنْيَا إِنْ يَتِمَّ الصَّدْعُ بَيْنَ عُمَرَ وَالثَّرِيَّا ! فقدمنا مكة ليلاً غير محرمين ، فدق على ١٥  
عمر بابهُ ، فخرج إليه فسألم عليه ، فأنزل ابنُ أبي عتيق عن راحلته ، وقال لعمر : اركب أصلح  
بينك وبين الثريّا ، فأنا رسولك الذي سألت عنه ، فركب معه ، فقدمنا الطائف ، فقال ابنُ  
أبي عتيق للثريّا : هذا عمر ، قد جَشَمَنِي إِلَيْكَ سَفَرُ الْمَدِينَةِ ، فجئتُك به ، معترفاً بذنب لم يجزه ،  
معتذراً من إساءتك إليه ، فدعيني من التَّعْدَادِ وَالتَّرَدَادِ ، فإنه من الشعراء الذين يقولون مالا  
يفعلون ؛ فصالحته أحسن صالح ، وكررنا راجعين إلى المدينة ، ولم يُقِمِ ابنُ أبي عتيق بمكة ساعة واحدة .

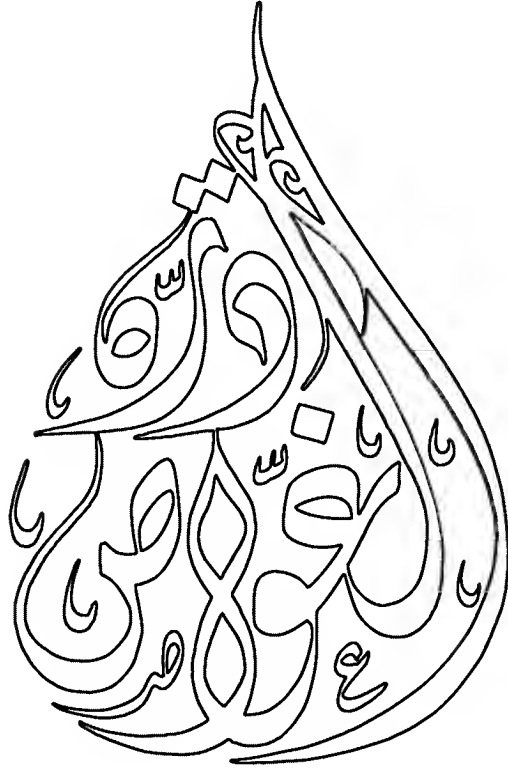
(١) في حاشيتي ت ، ف : « عبلة : اسم جارية ؛ وأمّية الصغرى ، وهم حي من قريش ؛ يقال لهم :  
العبلات ؛ بالتحريك ، والنسبة إليهم عبلي [ بسكون الباء ] رداً إلى الواحد لأن أهم عبلة . »

(٢) ت : « محمد بن إبراهيم » ؛ وهو من رواة المَرْزُبَانِي أيضاً ، وانظر الوشاح : ٤٥ .

وفي الثريا يقول عمر أيضاً لما تزوّجها سُهَيْل بن عبد الرحمن بن عوف؛ المكتنى بأبي

الأبيض ، وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّ سُهَيْلاً      عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَمِيَانِ! (١)  
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ      وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي



# مَجْلِسِ آخِر

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيْهُمْ﴾؛ [ طه : ٧٨ ] .  
فَقَالَ: مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾؛ ، وَقَوْلِهِ: ﴿غَشَّيْهُمْ﴾ لِيَدُلَّ عَلَيْهِ ، وَيُسْتَفْنَى بِهِ  
عَنْهُ ، لِأَنَّ ﴿غَشَّيْهُمْ﴾ لَا يَكُونُ إِلَّا الَّذِي غَشَّيَهُمْ ، وَمَا الْوَجْهَ فِي ذَلِكَ ؟

قُلْنَا : قَدْ ذَكَرَ / فِي هَذَا أَجْوِبَةٌ :

[ ١١٦ ]

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : فَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ الْبَعْضُ الَّذِي غَشَّيَهُمْ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَغَشَّيْهُمْ جَمِيعُ  
مَائِهِ ، بَلْ غَشَّيَهُمْ بَعْضُهُ ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الَّذِي غَرَّقَهُمْ بَعْضُ الْمَاءِ ،  
وَأَنَّهُمْ لَمْ يَغْرَقُوا بِجَمِيعِهِ ؛ وَهَذَا الْوَجْهَ حُكِيَ عَنِ الْفَرَّاءِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ ، وَاعْتَمَدَهُ ،  
وغيره أَوْضَحَ مِنْهُ .

وَالْيَمُّ هُوَ الْبَحْرُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَبَنَى تَبَعٌ عَلَى الْيَمِّ قَصْرًا      عَالِيًا مُشْرِفًا عَلَى الْبُنْيَانِ

١٠

وَتَانِيهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّى مُوسَى وَأَصْحَابَهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ  
السَّلَامُ وَأَصْحَابَهُ ، وَفِرْعَوْنَ وَأَصْحَابَهُ سَلَسَكُوا جَمِيعًا الْبَحْرَ ، وَغَشَّيَهُمْ كُلَّهُمْ ؛ إِلَّا أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ  
لَمَّا غَشَّيَهُمْ غَرَّقَهُمْ ، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ جُعِلَ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ طَرِيقٌ يَبَسُّ ، فَقَالَ تَعَالَى:  
فَفَشَّيْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ مَاءِ الْيَمِّ مَا غَشَّى مُوسَى وَقَوْمَهُ ، فَتَجَا هَؤُلَاءِ ، وَهَلَكَ هَؤُلَاءِ .

وَعَلَى هَذَا الْوَجْهَ وَالتَّأْوِيلَ تَكُونُ الْمَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾ كِنَايَةً عَنْ غَيْرِ مَنْ كُنِّيَ  
عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَغَشَّيْهُمْ﴾؛ لِأَنَّ الْأُولَى كِنَايَةٌ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، وَالثَّانِيَةُ كِنَايَةٌ عَنْ مُوسَى  
وَقَوْمِهِ .

وَتَالِثُهَا أَنَّهُ غَشَّيَهُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ وَإِهْلَاكَ لَهُمْ مَا غَشَّى الْأُمَمَ السَّالِفَةَ مِنَ الْعَذَابِ

والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم ، وإقامتهم على رد أقوالهم والعدول عن إرشادهم ، والأمم السالفة؛ وإن لم يفسدهم العذاب والإهلاك من قبل البحر، فقد غشيتهم عذاب وإهلاك استحقوها بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم ، فشبّه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتغال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب .

٥ ورابعها أن يكون المعنى: فغشيتهم من قبل اليم ما غشيتهم من العطب والهلاك ؛ فتكون لفظة ﴿ غَشِيَتْهُمْ ﴾ الأولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .

ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها، يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ، وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى: ﴿ مَا غَشِيَتْهُمْ ﴾ تعظيم الأمر وتفخيمه ؛ كما يقول القائل: فعل فلان ما فعل ، وأقدم على ما أقدم ، إذا أراد التفخيم وكما قال تعالى: ﴿ وَفَعَلَتْ فَعَلَتَكَ [١١٧] الَّتِي فَعَلَتْ ﴾ ؛ [ الشعراء: ١٩ ] ، وما يجري / هذا المجرى ؛ ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل: هذا هذا، وأنت أنت . وفي القوم: هم هم ؛ قال الهذلي<sup>(١)</sup>:

رَفَوْنِي وَقَالُوا: يَا خُوَيْلِدُ لَا تَرَعُ فَقُلْتُ، وَأُنْكَرْتُ الْوُجُوهُ: هُمُ هُمُ<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو النجم:

\* أَمَا أَبُو النَّجْمِ . وَشِمْرِي شِمْرِي<sup>(٣)</sup> \*

١٥ كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره :

(١) هو أبو خراش الهذلي . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ . ورفوني : سكنوني ، وأصلها :

« رفوني » ، بالهمز . (٣) معاهد النصيص ، وبعده :

\* لِلَّهِ دَرِّي مَا يُجِنُّ صَدْرِي \*

## تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؛ [النحل: ٢٦] فَقَالَ: مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؟ وَهُوَ لَا يَفِيدُ إِلَّا مَا يَفِيدُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾؛ لِأَنَّ مَعَ الْاِقْتِصَارِ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لَا يَذْهَبُ وَهُمْ أَحْسَدٌ إِلَى أَنَّ السَّقْفَ يَخِرُّ مِنْ تَحْتِهِمْ؟

الجواب ، قيل له في ذلك أجوبة :

أولها : أَنْ يَكُونَ « عَلَى » بِمَعْنَى « عَنْ » ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : فَخَرَّ عَنْهُمْ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ؛ أَيْ خَرَّ عَنْ كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ : اسْتَكَى فُلَانٌ عَنْ دَوَاءٍ شَرِبَهُ ، وَعَلَى دَوَاءٍ شَرِبَهُ ، فَيَكُونُ « عَلَى » وَ « عَنْ » بِمَعْنَى مِنْ أَجْلِ الدَّوَاءِ ؛ كَذَلِكَ يَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ فَخَرَّ مِنْ أَجْلِ كُفْرِهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

أَرْمَى عَلَيْهَا وَهِيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ      وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعٍ

أَرَادَ : أَرْمَى عَنْهَا ؛ لِأَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ : رَمَيْتَ عَنْ الْقَوْسِ ، فَأَقَامَ « عَلَى » مَقَامَ « عَنْ » ، وَلَوْ أَنَّهُ قَالَ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْمَعْنَى : ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ ، وَلَمْ يَقُلْ ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ جَازَ أَنْ يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمُ أَنَّ السَّقْفَ خَرَّ وَلَيْسَ هُمْ تَحْتَهُ .

وثانيها : أَنْ يَكُونَ « عَلَى » بِمَعْنَى اللَّامِ ؛ وَالْمُرَادُ : فَخَرَّ لَهُمُ السَّقْفُ ؛ فَإِنْ « عَلَى » قَدْ تَقَامَ

مَقَامَ اللَّامِ ؛ وَحَكَمَى عَنْ الْعَرَبِ : مَا أَغْيَظَكَ عَلَىَّ ! وَمَا أُنْغَمَّكَ عَلَىَّ ! يَرِيدُونَ : مَا أَغْيَظَكَ ، ١٥ وَمَا أُنْغَمَّكَ لِي ! ، قَالَ الطَّرِ مَّاحُ يَصِفُ نَاقَةً :

كَأَنَّ مُخَوَّاهَا عَلَى ثِفَاتِهَا      مُعَرَّسُ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجَنَاحِ (١)

(١) ديوانه : ١٦٨ . يُقَالُ : خَوِيَ الْبَعِيرُ ؛ إِذَا تَجَافَى فِي بَرُوكِهِ وَمَكَانِ لَثْفَاتِهِ ، وَالثَّفَاتُ : جَمْعُ ثَفَةٍ ؛ وَهُوَ مِنَ الْبَعِيرِ رُكْبَتُهُ ، وَمَامَسَ الْأَرْضَ مِنْ كَرَكْرَتِهِ وَأَصُولُ أَفْخَاذِهِ ، وَالْمَعْرَسُ : مَحَلُّ التَّعْرِيسِ ، وَهُوَ النُّزُولُ ٢٢٢

أراد: وَقَعْتُ عَلَى الْجَنَاحِجْنِ ؛ وهى عظام الصدر ، فأقام اللام مقام «على» .

وقد يقول القائل أيضا : تداعتْ على فلان دارُهُ ، واستهدم عليه حائطُهُ ، ولا يريد أنه كان تحتَه ؛ فأخبر تعالى بقوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ عن فائدة ؛ لولاه ما فهمت . ولا جاز أن يتوهم متوهم في قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾ ما يتوهمه من قوله : خرب عليه رُبْعُهُ ، ووقفتْ عليه دابَّتُهُ ، وأشبه ذلك .

[١١٧] ط وللعرب في هذا مذهب ظريف لطيف ؛ / لأنهم لا يستعملون لفظة «على» في مثل هذا الموضع إلا في الشرِّ والأمر المكروه الضارِّ ، ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ؛ ألا ترى أنهم لا يقولون : عَمَرَتْ على فلان ضيعتُهُ ، بدلا من قولهم : خربت عليه ضيعته ، ولا ولدَتْ عليه جاريته ؛ بل يقولون : عَمَرَتْ له ضيعته ، وولدت له جاريته ؛ وهكذا من شأنهم إذا قالوا : «قال على» ؛ و «روى على» ؛ فإنه يقال في الشرِّ والكذب ، وفي الخير والحق ؛ يقولون : «قال عني» و «روى عني» ؛ ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ ﴾ ؛ [ البقرة : ١٠٢ ] ، لأنهم لما أضافوا الشرِّ والكفر إلى مُلْكِ سليمان حَسَنَ أن يقال : «يتلون عليه» ، ولو كان خيرا ل قيل عنه ، ومثله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [ آل عمران : ٧٥ ] ، وقوله : ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالًا تَعْلَمُونَ ﴾ ، [ يونس : ٦٨ ] ؛ وقال الشاعر (١) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنَى لِيحْيَى      فقال : غَشَشْتَنِي ، والنَّصَحُ (٢) مُرٌّ  
ومابى أن أكونَ أَعْيَبُ يَحْيَى      ويحيى طاهرُ الأخلاقِ بَرٌّ

== آخر الليل . وفي حاشية الأصل : « يعنى كأن تجاوب أعضائها المتجافية عند البروك معرس الخمس أنوق » ؛  
والبيت برواية الفاي ( الأماي ٣ : ١٦٥ ) :

لَهَا زَفِرَاتٌ تَحْنَبُهَا وَقَصَارَهَا      عَلَى مَشْرَةٍ لَمْ تَعْتَلِقْ بِالْمُحَاجِنِ

(١) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان رجل من بني حنيفة يقال له يحيى ، يحيى إلى امرأة يقال لها بقاء في قرية من قرى اليمامة ، فنهاه ابن أرواة الأعرجى عنها ، فلم يقبل إلى أن رصد لجرح ، فقال الأعرجى : عرضت ... الأبيات . » (٢) الأبيات في السكامل ١ : ١٥٨ - بشرح المرصني .

وَلَكِنْ قَدْ أَنَانِي أَنْ يَحْيِي يَقَالُ عَلَيْهِ فِي بَقْعَاءَ شَرُّ<sup>(١)</sup>  
فَقُلْتُ لَهُ : تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ ، إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ  
ومثله قول الفرزدق في عَنبَسَةَ بن مَعْدَانَ المعروف بعنْبَسَةَ الفيل — وقد كان يَتَتَبَعُ شعره  
ويَحْطُثُّه ويلجئنه :

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانَ وَالْفِيلِ زَاجِرٌ لِعَنْبَسَةَ الرَّاوِي عَلَى الْقَصَائِدَا ٥  
فَقَالَ : « عَلَى » ولم يقل : « عَنِّي » للمعنى الذى ذكرناه .

وثالث الوجوه أن يكون ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ تَأْكِيداً للكلام وزيادة في البيان ، كما قال تعالى :  
﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ؛ [ الحج : ٦ : ] ، والقلب لا يكون إلا في  
الصدر ؛ ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة<sup>(٢)</sup> .

(١) حواشئ الأصل ، ت ، ف : « بقعاء في البيت : اسم امرأة . وبقعاء : ماء بالبادية ، قالت  
امرأة من العرب :

وَمَنْ يَهْدِي مِنْ مَاءٍ بَقْعَاءَ شَرْبَةً فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءِ لَيْلَةٍ أَرْبَعًا  
لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِبَقْعَاءَ أَنَّنِي رَأَيْتُ مَطَايَا بِلَيْلَةٍ ظُلُمًا  
فَمَنْ مُبْلِغٌ أَخْتِي بِالرَّمْلِ أَنَّنِي بَسَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ بَعِيْنِي مَدَمْعًا !  
— بقعاء مأوها زعاق ، وماء ليلة عذب ، وإنما تشكو ليلة ؛ لأن زوجها حملها إليها وهو عين ،  
فذلك قولها :

رَأَيْتُ مَطَايَا بِلَيْلَةٍ ظُلُمًا \*

ومثله :

تَظَلُّ الْمَطَايَا حَائِدَاتٍ عَنِ الْهَدْيِ إِذَا مَا الْمَطَايَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُقِيمُهَا  
(٢) حواشئ الأصل ، ت ، ف : « من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ،  
وقوله عز من قائل : ﴿ فَصَيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ ، تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر الذى يرويه نافع عن أبى إسحاق الهجرى عن أبى الأحرص،  
عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله،  
فتعلموا مأدبته ما استطعتم ؛ وإن أصفر البيوت لجوف »<sup>(١)</sup> أصفر من كتاب الله تعالى  
فقال : ما تأويله ؟ وكيف بيان غريبه ؟ .

[١١٨] الجواب ؛ قلنا : المأدبة فى كلام العرب هى الطعام ، يصنعه<sup>(٢)</sup> الرجل ويدعو / الناس  
إليه ؛ فشبّه النبى صلى الله عليه وآله ما يكتبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائده عليه  
إذا قرأه وحفظه ؛ بما يناله المدعو من طعام الداعى وانتفاعه به ؛ يقال : قد أدب الرجل يأدب  
فهو أدب ؛ إذا دعا الناس إلى طعامه . ويقال للمأدبة المدعاة ؛ وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضاً :  
مأدبة ، بفتح الدال ؛ قال طرفة :

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ<sup>(٣)</sup> ١٠

ومعنى « الجفلى » أنه عمّ بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم ، والنقري إذا خص  
بها بعضاً دون بعض ، ومعنى « ينتقر » من النقري ؛ قال بعض هذيل :

وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَارُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الثَّرِينِ دَاعِيهَا<sup>(٤)</sup>

لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَلَا تَسْرِى أَفَاعِيهَا

١٥ معنى « يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَارُهَا » أن الجار إذا شقّ فيها الكرش أدخل يده  
لشدة البرد فى الفرث مستدفئاً به . ومعنى : « يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الثَّرِينِ دَاعِيهَا » ؛ أنه يخص  
بدعائه إلى طعامه الأغنياء الذين يطعم من جهتهم فى المكافأة ، وقال الآخر :

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « لبيت » . (٢) ت : « يصنعه » .

(٣) ديوانه : ٦٨ : (٤) البيتان من مقطوعة فى ( ديوان الهذليين ٣ : ١٢٦ ) ، منسوبة إلى جنوب

فى رثاء أخيها عمرو ذى الكلاب .



قَالُوا ثَلَاثَاوُهُ خِصْبٌ وَمَأْدُبَةٌ فَكُلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ  
وقال الهذلي<sup>(١)</sup> يصف عُقَابًا :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفٍ وَكَرَّهَا نَوَى الْقَسْبِ يُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ<sup>(٢)</sup>  
أراد جمع مأدبة .

وقد روى هذا الحديث بفتح الدال «مأدبة» ، وقال الأحمر : المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم .

وقال غيره : المأدبة ، بفتح الدال « مَفْعَلَةٌ » من الأَدَب ؛ معناه أن الله تعالى أنزل القرآن أدباً للخلق ، وتقويماً لهم ، وإنما دخلت الهاء في مأدبة ومأدبة ، والقرآن مذكرٌ ، لمعنى المبالغة ؛ كما قالوا : هذا شراب مطيِّبةٌ للنفس ؛ وكما قال عنتره :

\* وَالْكَفْرُ مَحْبِثَةٌ أَنْفُسِ الْمُنْعِمِ<sup>(٣)</sup> \*

وجرى ذلك مجرى قولهم : رجلٌ علامة ونسابة / في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ، [١١٨] ورجل هلباجة<sup>(٤)</sup> في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة . ويقال لطعام الإملاك : وليمة ، ولطعام الخِتان : العذيرة ، ولطعام الزفاف : العرس ، ولطعام بناء الدار : الوكيرة ، ولطعام حَلَقِ<sup>(٥)</sup> الشعر : العقيقة ، ولطعام القادم من السفر : النقيمة ، ولطعام النفاس : الخرسُ ، والذي تُطعمه النفساء : الخُرْسَة ، قال الشاعر :

١٥

إِذَا النَّفْسَاءُ لَمْ تُخْرَسْ بَبِكْرَهَا غَلَامًا وَلَمْ يُسْكِتْ بِحِثْرِ فَطِيمُهَا<sup>(٦)</sup>  
الحِثْر : الشيء القليل ، وقال آخر :

(١) هو صخر النقى . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ٥٥ ، والقسب : التمر اليابس يتفنت في الفم .

(٣) من المعلقة ، ص ٢٠١ — بشرح التبريزي ؛ وصدره :

\* نَبِئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي \*

(٤) الهلباجة : القدم الضخم الأكل . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « حلق الرأس » .

(٦) ت : « بختر » والبيت للأعلم الهذلي ؛ كما في اللسان ( خرس — حتر ) ، وهو أيضاً في المقاييس

٢ : ١٦٧ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « كأنه يصف سنة ، وأن النفساء النفوسة بالبكر الغلام لانخرس ، ولا يسكت فطيمها بأذن شيء » .

كَلَّ الطَّعَامِ تَشْتَهَى رَبِيعَهُ الْخُرْسُ وَالْإِعْذَارُ وَالنَّقِيعَةُ<sup>(١)</sup>

ويروى: «العُرْسُ». وَيُنْشَدُ أَيْضًا فِي النَّقِيعَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُءُوسَهُمْ ضَرَبَ الْقُدَّارِ نَقِيعَةَ الْقُدَّامِ<sup>(٢)</sup>  
والقُدَّارُ : الْجَزَارُ . وَالْقُدَّامُ : جَمْعُ قَادِمٍ .

٥ وقال أبو زيد : يقال لطعام الإِمْلاكَ : النَّقِيعَةُ ، ولطعام بناء الدار : الْوَكِيرَةُ ، ولطعام الْخِتَانِ : الْإِعْذَارُ وَالْعَذِيرَةُ .

وقال الفراء : الشُّنْدُخِيُّ<sup>(٣)</sup> : طعام الإِمْلاكَ ، والوليمة : طعام العُرْسِ .

وقال أبو زيد : يقال من النَّقِيعَةِ نَقَعْتُ . وقال الفراء : مِنْهَا أَنْقَعْتُ .

وقال ابن السَّكَيْتِ : يقال للطعام الذي يُتَمَلَّلُ بِهِ قُدَّامُ الْغَدَاءِ ؛ السُّافَةُ وَاللَّهُنَّةُ ؛ يقال :  
١٠ الْأَصْمَى : فُلَانٌ لَهْنَوَاضِيْفَكُم ، أَيْ أَطْعَمُوهُ اللَّهُنَّةَ ، قال الشاعر :

عُجِيزٌ عَارِضُهَا مُنْقَلٌ طَعَامُهَا اللَّهُنَّةُ أَوْ أَقْلُ<sup>(٤)</sup>

وقال ابن السَّكَيْتِ : يقال فُلَانٌ يَأْكُلُ الْوَزْمَةَ إِذَا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلَةً فِي الْيَوْمِ . وقال  
يَأْكُلُ الْوَجْبَةَ ، إِذَا كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْمَلَةً ، قال بشار :

فَاسْتَفَنَ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لَأْمَرِيٌّ ذَهَبُهُ

١٥ وقال ابن السَّكَيْتِ : قال الْأَصْمَى لِرَجُلٍ أَسْرَعَ فِي سِيرِهِ : كَيْفَ كَانَ سَيْرُكَ ؟ فَقَالَ :

(١) البَيَانُ فِي الْلسَانِ ( خُرْس ) .

(٢) الْبَيْتُ فِي الْلسَانِ ( قَدَر ) ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْمَهْلَلِ ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « هَذَا مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِمَا يُؤْتَلُ إِلَى » أَيْ اللَّحْمَ الَّذِي يَصِيرُ نَقِيعًا ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنِّي أَرَأَيْتُ أَغْصِرُ خَمْرًا ﴾ .

(٣) ت : « الشُّنْدُخِيُّ » ، بِضَمِّ الشَّيْنِ وَفَتْحِ الدَّالِ ، وَفِي د ، وَحَاشِيَةِ ت ( مِنْ نَسْخَةٍ ) ؛ « الشُّنْدُخِيُّ » ، بِضَمِّ الشَّيْنِ مَعَ الْأَنْفِ الْمَقْصُورَةِ ، وَفِي ج ، ش : الشُّنْدُخِيُّ ، بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَضَمِّ الدَّالِ . وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « رَوَاهُ الْأَزْهَرِيُّ الْهَرَوِيُّ عَنِ الْفَرَّاءِ « الشُّنْدُخِيُّ » ، وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَقَالَ : هُوَ طَعَامُ الْبِنَاءِ » . (٤) الْبَيْتَانِ فِي الْلسَانِ ( فُلَل ) ؛ وَالثَّانِي فِي الْلسَانِ أَيْضًا ( لَهْن ) ، وَنَسَبَهُ إِلَى عَطِيَّةِ الدِّيْبَرِيِّ . الْمَعَارِضُ : السَّنُّ الَّتِي فِي عَرْضِ الْقَمَرِ ، وَاقْتُلَ : تَكَسَّرَ .

كنت آكلُ الوجبة، وأنجو الوَقْعة، وأعرّسُ إذا أفجرتُ، وأرتحل إذا أسفرت، وأسير  
الوضع، واجتنب / المَلْع، فجتسكم لِمُسْنَى سَبْع. [١١٩]  
و

قوله: «أنجو الوَقْعة»، معناه أفضى حاجتى مرة فى اليوم، وهو من النَّجْو.

وقوله: «أسير الوضع»، فالوضع: سيرٌ فيه بعض الإسراع، والمَلْع: سيرٌ أشد منه،  
فأراد أنه يجتنب الشديد من السير؛ كراهة أن يقف ظهره قبل أن يباغ الأرض التى  
يقصد لها؛ ويقال: شرَّ السَّيرِ الحَقَقَة، أى السيرُ الحديد<sup>(١)</sup> الذى يقطع صاحبه عن بلوغ  
بُغيته، قال الشاعر:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْأَرْضَ نَمَّ تَبَاعَدَتْ      عَلَيْكَ فَضْعُ رَحْلِ الْمِطْيَةِ وَانْزِلِ

أى استرح حتى تقوى على السير، فإن جهدت نفسك لم تقطع أرضاً، ولم تُبقِ ظهراً؛  
وهذا من أبيات المعانى التى يُسأل عنها، والذى قيل فيه ما ذكرناه. ويمكن أن يكون معنى  
البيت: إذا بعدت عليك أرضٌ فدعها واسأل عنها؛ كما يقال: دواءٌ ما عزَّ مطلبه الصَّبر؛  
وما جرى مجرى ذلك من ألفاظ التسلية؛ والأمر بالعدول عن تتبُّع ما صعب من الأمور<sup>(٢)</sup>.  
وقال الآخر فى معنى البيت الأول:

نُقَطِّعُ بِالزُّرُولِ الْأَرْضَ عَنَّا      وَبُعْدُ الْأَرْضِ يَقْطَعُهُ الزُّرُولُ

وقوله: «لِمُسْنَى سَبْع»، معناه ل مساء سبع ليال. ١٥

ويقال للذى يحضرُ طعامَ القوم من غير أن يدعوه إليه: الوارِش والورُوش.  
وقول العامة: طُفَيْلٌ مولد لا يوجد فى العتيق من كلام العرب، وأصل ذلك أن رجلاً يقال  
له طُفَيْل، كان بالكوفة لا يُفقد من وليمة من غير أن يدعى إليها، ف قيل للوارش: طُفَيْلٌ؛ تشبيهاً  
بطُفَيْل هذا فى وقته.

(١) ت، د، ف، حاشية الأصل (من نسخة) «الشديد».

(٢) حواشى الأصل، ت، ف: «مثله: أرخص ما يكون النفط إذا غلا؛ يعنى أنه لا يشرى فيكون

رخيصاً».

ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير أن يدعى إليه واغل ؛ قال امرؤ القيس :

فاليوم فاشرب غير مستخقب إنما من الله ولا واغل<sup>(١)</sup>

ويقال لما يشربه الواغل ؛ الواغل ، قال الشاعر :

إن ألك مسكيرا فلا شرب الوغل ولا يسلم متى البعير<sup>(٢)</sup>

وقوله صلى الله عليه وآله : « إن أصفر البيوت لجوف أصفر من كتاب الله » ، معناه :

أخلى البيوت ؛ والصفر عند العرب : الخالى ؛ من الآنية وغيرها . ويمكن فى قوله : « مأدبة » وجه<sup>١١٩</sup>

آخر ؛ وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق إليه ،

وأمرهم بالاجتماع عليه ، فسماه عليه السلام « مأدبة » لهذا الوجه ، لأن المأدبة هى التى

يدعى الناس إليها ، ويجتمعون عليها ؛ وهذا الوجه يخالف الأول ، لأن الأول تضمن أن

وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو إلى المأدبة بما يصيبه

من الطعام . وهذا الوجه الآخر تضمن أن التشبيه وقع لاجتماع الناس فى الدعاء إليه ، والإرشاد

إلى إصابته . وليس يبعد أن يريد عليه السلام بالخبر المعنيين معاً ، فلا تنافى بينهما<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال :

(١) ديوانه : ١٥٠ ، والرواية فيه :

\* فاليوم أسقى غير مستخقب \*

وفى حاشية ت ( من نسخة ) :

\* فاليوم أشرب غير مستخقب \*

(٢) اللسان ( وغل ) ، ونسبه لعمر بن قيس . (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : د ويمكن

أن يكون فى معنى الخبر وجه آخر ، وهو أنه عليه السلام إنما شبه القرآن بالمأدبة لما اشتملت عليه المأدبة

من أنواع الأطعمة ، من الخلو والحامض والمالح وغير ذلك مما لا يكون فى غير المآدب ، فكذلك القرآن

يشتمل على أنواع من العلوم لا توجد فى غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ، وهذا وجه عن الشيخ الإمام جمال الدين أبى الفتح الرازى رحمه الله فى أثناء الدرس

وهو أقرب وأشبه من الوجهين المذكورين .

كُنَّا فِي مَجْلِسِ الْأَصْمَعِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : أَيْنَ عَمِيدُكُمْ ؟ فَأَشْرَنَّا إِلَى الْأَصْمَعِيِّ ، فَقَالَ لَهُ :  
مَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَا مَالَ إِلَّا الْعِطَافُ تُؤْزِرُهُ      أُمُّ ثَلَاثِينَ وَابْنَةُ الْجَبَلِ<sup>(١)</sup>  
لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَاذِلِهِ      وَلَا يُعَدِّي نَعْلَيْهِ مِنْ بَلَلٍ<sup>(٢)</sup>

٥

فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

عُصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضُمُّهَا      لَصِبٌ تَلْقَى مَوَاضِعَ السَّبَلِ  
أَوْ وَجِبَةً مِنْ جَنَافَةِ أَشْكَالَةٍ      إِنْ لَمْ يَرُغْهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تُنَلِّ<sup>(٣)</sup>  
قَالَ : فَأَدْبَرَ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ عُضْلَةً<sup>(٤)</sup> .

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : إِنَّمَا وَصَفَ رَجُلًا خَائِفًا فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ يَقُولُ : لَا مَالَ لَهُ إِلَّا الْعِطَافُ -  
وَهُوَ السَّيْفُ - تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ ؛ يَعْنِي كَثَانَةً فِيهَا ثَلَاثُونَ سَهْمًا . وَابْنَةُ الْجَبَلِ ؛ يَعْنِي الْقَوْسَ ، ١٠  
لأنَّهَا تَعْمَلُ مِنْ شَجَرِ الْجِبَالِ مِثْلَ النَّبْعِ وَغَيْرِهِ .

وَقَوْلُهُ : « لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَاذِلِهِ » ، لِأَنَّهُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ فَلَا نَزَّ هُنَاكَ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَفْضُلُ  
مِنْ ثِيَابِهِ ، وَلَا بَلَلٌ يُعَدِّي نَعْلَيْهِ عَنْهُمَا .

وَالْعُصْرَةُ : الْمَلْجَأُ . وَالنُّطْفَةُ : الْمَاءُ الْمَجْتَمِعُ فِي صَخْرٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ مَاءِ الْمَطَرِ . وَاللَّصِبُ :  
الشَّقُّ فِي الْجَبَلِ أَضْيَقُ مِنَ اللَّهَبِ<sup>(٥)</sup> وَأَوْسَعُ مِنَ الشَّعْبِ . وَالسَّبَلُ : الْمَطَرُ . ١٥

وَالْوَجِبَةُ : أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً . وَالْأَشْكَالُ : السُّدْرُ الْجَبَلِيُّ ، وَاحِدُهُ أَشْكَالَةٌ ؛ يَقُولُ :

(١) الْأَبْيَاتُ فِي اللِّسَانِ ( عَطَفَ ) ، وَرَوَى عَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّهَا فِي وَصْفِ صَمْلُوكٍ . وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ،

ت ، ف : « أَصْلُ الْعِطَافِ الرِّدَاءُ ؛ فَشَبَّهَ بِهِ السَّيْفَ » ، وَتَوَزَّرَهُ : تَعَيْنَهُ .

(٢) النَّزُّ : الْمَاءُ الَّذِي يَتَجَلَّبُ مِنَ الْأَرْضِ وَالذَّلَازِلِ : أَسَافِلُ الْفَمِيمِ الطَّوِيلِ . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ

( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « يَرْغُهَا » بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الرَّاءِ ، وَفِيهَا : « أَرَاغُ مَعْنَاهُ طَلَبٌ ، وَرَاغٌ : مَالٌ ؛ يُقَالُ :

رَاغٌ إِلَيْهِ ؛ لِحَذْفِ حَرَفِ الْجَرِّ ، وَأَوَّصَلَ الْفِعْلَ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ .

(٤) الْعُضْلَةُ : الذَّاهِيَةُ ؛ يُقَالُ : فَلَانٌ عُضْلَةٌ وَعُضْلٌ ، أَيْ شَدِيدٌ دَاهِيَةٌ .

(٥) اللَّهَبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

[١٢٠] فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة/ عُصْرَتَاه . وقوله : « إن لم يُرَغِّها بالقوس »؛ يعني أنها لا تُقال باليد حتى تُحَرِّكَ بالقوس .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإنما جعل الأصمعيّ إنشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها ؛ لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها، والأعرابيّ إنما سأل عن المعنى، فأقام إنشاده لها مقام تفسيرها ، واستغنى الأعرابيّ بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعانيها .

وكان الأصمعيّ كثيرا إذا أنشد شيئا من الشعر يُنشد في معناه في الحال ، فمن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنشده يوما لنفسه :

إذا كانتِ الأحرارُ أصليّ ومَنْصِبِي      وقامَ بنَصْرِي خازِمَ وابنِ خازِمِ  
عَطَسْتُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتُ      يدَايَ الثُّرَيَّا قاعِدًا غيرَ قائِمِ  
قال : فلما فرغتُ من إنشادها أنشد بعقب ذلك :

ألا أيّها السائلِ جاهِلًا      لِيَعْرِفَنِي ، أنا أنفُ الكَرَمِ  
نَمَتُ في الكِرَامِ بنى عامر<sup>(١)</sup>      فرُوعِي وأصلي قُرَيْشُ العِجَمِ<sup>(٢)</sup>  
قال : فجاء والله بالشعر الذي نحوته وعلمتُ بيتي عليه .

وأخبرنا أبو عبيد الله المَرْزَبَانِيّ قال حدثنا محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا عون بن محمد ١٥ قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : ما أنشدت الأصمعيّ شيئا قط إلا أنشدني مثله ؛ كأنه أعدّه لي ، فأنشدته يوما للأعشى :

عُلِّقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا      غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ<sup>(٣)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) :

نَمَتُ فِي الْكِرَامِ بَنُو عَامِرٍ \*

(٢) حاشية الأصل : « يقول : أصلي الذين يسكنون بلاد العجم وفرعي بنو عامر ؛ كأن أباه قرشي وأمه عامرية . » (٣) ديوانه : ٤٣ ، وفي حاشية الأصل : « أى عشتها اعتراضا لافصلا واعتزاما ، ومثله :

جُنُنْتُ بِلَيْلِي وَهِيَ جُنَّتْ بَغَيْرِنَا      وَأُخْرَى بِنَا بِجُنُونَةٍ لَا نُرِيدُهَا

فأنشدني من وقته :

قَتَلْتُكَ أَخْتُ بَنِي لُؤْيٍ إِذْ رَمَتْ      وَأَصَابَ نَبْلُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا<sup>(١)</sup>  
وَأَعَارَهَا الْخَدَّانُ مِنْكَ مَوْدَّةً      وَأَعَارَ غَيْرَكَ وَدَّهَا وَهَوَاهَا

وذكر أبو العيناء قال: كان الأصمعيّ إذا سمع إنساناً يُنشد شعراً في معنى أنشد في ذلك  
اللمعنى من غير أن يُريه أنه أراد ، فأنشده رجل قول القطاميّ :

٥  
[١٢٠]      / وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ      مَا يَشْتَهَى، وَلَا مِ الْخُطِيءِ الْهَبَلِ<sup>(٢)</sup>  
فأنشد هو قول قَعْنَبِ الْفَزَارِيِّ :

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ      وَمَنْ يَفُورَ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَى لَأَمَّا<sup>(٣)</sup>

وروى ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: أنشدت الأصمعيّ قول

١٠      الْأَعَشَى، طلباً أن ينشدني مثله - وكان مع بخله بالعالم لا يضمن بمثل هذا :

إِنْ تَرَهُ كَبُوا فَرَكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتْنَا      أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُهُ نُزُلُ<sup>(٤)</sup>  
فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبيّ .

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا      بِسَلِيمٍ أَوْ ظِفَّةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ<sup>(٥)</sup>  
فَدَعَوْا نَزَالَ ، فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ      وَعَلَامَ أَرُ كَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ !

١٥      وروى عن إسحاق بن إبراهيم أيضاً أنه قال : دخل يوماً إلى الأصمعيّ ، وعندي أخ

(١) البيتان لعدي بن الرقاع ؛ وهما في مجموعة الطرائف ٩٢ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٠٤ .

(٢) جهرة الأشعار : ٣٠٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « يقول : من أصاب مالا قيل له ما يشتهى ولا يخالف ، ومن تجارزه المال خولف في كل شيء ولن » . (٣) كذا ذكره المؤلف ؛ ونسبه الفضل الضبي إلى المرقش الأصغر ، وانظر الفضليات : ٢٤٧ (طبعة المعارف) . (٤) ديوانه : ٤٨ ، وروايته :

« قَالُوا الرُّكُوبَ فَقَلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا »

(٥) خزنة الأدب ٣ : ٥٦٥ . الأوظمة : جمع وظيف ، وهو مستند الذراع والساق من الخيل .  
والهيكل : الضخم المشرف .

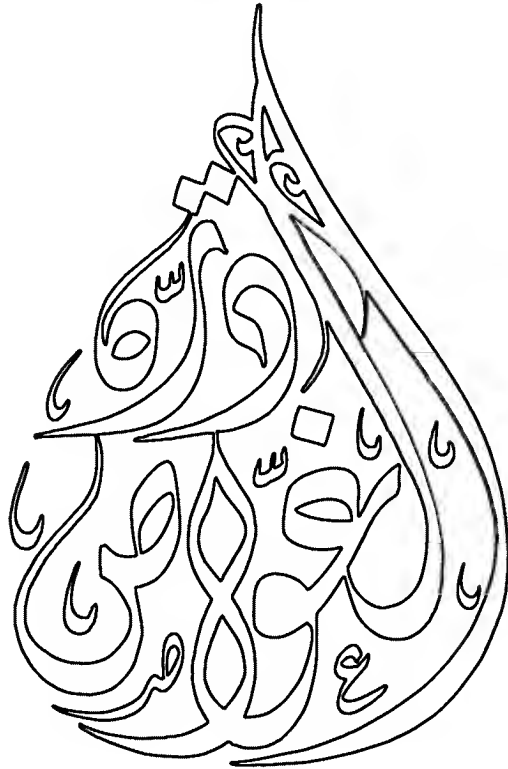
للعمانيّ الراجز، حافظاً راوية ، فلما دخل عبث به أخو العمانيّ<sup>(١)</sup> ، فقال له : من هذا ؟ قال : هو الباهليّ الذي يقول<sup>(٢)</sup> :

فما صَحْفَةٌ مأدُومَةٌ بإهالةٍ بأطيبَ مِن فيها ولا أقيطُ رَطْبُ<sup>(٣)</sup>

فقال له قبل أن يستتم كلامه : هو على كلّ حال أصلح من قول أخيك العمانيّ :

يارُبَّ جاريةٍ حوراءٍ ناعمةٍ كأنَّها عومةٌ في جوفٍ راقودٍ<sup>(٣)</sup>

قال إسحاق : فقلت له : أكنت أعددتَ هذا الجواب ؟ قال : لا ، ولكن ما مرّ بي شيء إلا وأنا أعرف منه طرفاً .



(١-١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فقال : من هذا الباهليّ الذي يقول » .

(٢) الصفحة : قصعة دون الجفنة . وإهالة : الشحم المذاب . والأقيط : شيء يتخذ من الخيض الغنمي .

(٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « العومة : دوية تسبح في الماء ، كأنها فم أسود مدملك .

والعومة : ضرب من السمك معروف » . والراقود : دن كبير .



## مَجْلِسُ آخِرُ<sup>٢٧</sup>

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَفَقَّاتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ ﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿ ٣٠ ﴾ .  
فَقَالَ : أَيْ مَعْنَى لِقَوْلِهِ : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَوْلَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَفْوَاهِ ؟ .

الجواب ، قلنا : الْمَقُولُ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ : أَحَدُهُمَا الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ ، وَالْآخَرُ بِالْقَلْبِ ، فَالْقَوْلُ الَّذِي يُضَافُ إِلَى الْقَلْبِ هُوَ الظَّنُّ وَالْإِعْتِقَادُ ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَتِ الْعَرَبُ بِالْقَوْلِ •  
مَذْهَبَ الظَّنِّ / فَقَالُوا : أَنْقُولُ عَبْدَ اللَّهِ خَارِجًا ؟ وَمَتَى تَقُولُ مُحَمَّدًا مُنْطَلِقًا ؟ يَرِيدُونَ : مَتَى تَظُنُّ ؟ [ ١٢١ ]  
قَالَ الشَّاعِرُ :

أَمَّا الرَّحِيلُ فِدُونِ بَعْدَ غَدٍ      فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا! <sup>(١)</sup>  
أَرَادَ : فَمَتَى تَظُنُّ الدَّارَ ! وَقَالَ الْآخَرُ :

أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ      لَعَمْرُ أَبَيْكَ أَمْ مُتَجَاهِلِينَ! <sup>(٢)</sup>  
أَرَادَ : تَظُنُّ بَنِي لُؤَيٍّ ، وَقَالَ تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ :

أَلَا يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا      لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا <sup>(٣)</sup>

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : ٣٩٤ . (٢) البيت للسكيت بن زيد الأسدي ؛ وهو من ( شواهد ابن عقيل على الألفية ١ : ٣٩٧ ) ، وفي حاشية الأصل : « لا يجوز أن تنصب جهالا تقول إذا جعلته على معنى القول ، لأن القول لا يمتد إلى ما كان مما لا يندرج تحت السمع ، والجهال جثث ، فلا يتأني ذلك فيها ، فلا بد أن يكون قال بمعنى ظن ، ولهذا يصح أن تقول : سمعت زيدا يقرأ ويقول ويتكلم ويشعر ، ولا تقول : سمعت زيدا يضرب ؛ لأن السمع يقع على ما يسمع » .  
(٣) البيتان من قصيدة طويلة ؛ ذكرت بتمامها في تزيين الأسواني ٩٦-٩٨ .

تُخَبِّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتُنْعِمُ لَيْلِي أَوْ يُفَكُّ أَسِيرُهُ<sup>(١)</sup>

أراد : كيف تظنها ؟ فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ قَصَرَ المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ، ولو أطلق القول ، ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يُتوهم المعنى الآخر :

• ومما يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ أَكَاذِبُونَ ﴾ ؛ [ المنافقون : ١ ] ، فلم يكذب الله تعالى قول أسنتهم : لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق ، بل كذب ما يرجع إلى قلوبهم من الاعتقادات .

• ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أن القول لا برهان عليه ، وأنه باطل كذب لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان ؛ لأن الإنسان قد يقول بلسانه الحق والباطل ، وإنما يكون قوله حقاً إذا كان راجعاً إلى قلبه ، فتسكون إضافة القول إلى اللسان تقتضي ما ذكرناه من الفائدة ، وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه : هكذا تقول بلسانك ، وليس الشأن فيما تقوله وتنفوه به وتقلب به لسانك ؛ فكأنهم أرادوا أن يقولوا : هذا قول لا برهان عليه ، فأقاموا قولهم : هكذا تقول بلسانك ، وإنما يقولون ١٥ كذا بأفواههم مقام ذلك ؛ والمعنى أنه قول لا تعضده حجة ولا برهان ، ولا يرجع فيه إلا إلى اللسان .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « في ديوانه : » تجبر وإن شطت » ، يخاطب الشاعر صديقه فيقول : يا صفي نفسي ، كيف تظن ليلى الأخبيلية لو استجار بها مستجير ! ثم استأنف فقال : هي تجبر وإن كانت قد عذبتنا بالغراق ، ثم قال : ستنعيم ليلى أو يفادي أسيرها ، ويعني بالأسير نفسه ، أي ستجود يوماً أو أفتدى نفسي منها ، هذا إذا روى : « تجبر وإن شطت » ، وكذلك هو في ديوانه ، وأما وجه ما رواه السيد : « تجبر » ، فمعناه : تخبرني أنت يا صفي نفسي إن تراءت أنها ستنعيم ، وإن رويت : « أن شطت » بالغتج كان المعنى : لأن تراءت . وعلى ما ذكره السيد رضى الله عنه يمكن أن يذكر للبيت وجه آخر ؛ وهو أنه يقول ويخاطب صديقه له : كيف تظنها لو أتى استجرت بها ! كفى عن نفسه بالخائب المستجير ثم يقول : تخبر يا خليلي ، يعني أتى أعلم أنك تقول : هي إما أن تنعم بالوصول أو أنا أسلو ؛ وهذا معنى : « يفك أسيرها » ، لأنه إذا سلا فقد فك أسره ؛ وهذا الوجه الأخير مستفاد من ملك النجاة .

ووجه آخر ، وهو / أن تكون الفائدة في ذلك التأكيد ، فقد جرت به عادة العرب [١٢١] في كلامها ، وما تقدم من الوجهين أولى ؛ لأنَّ حَمَلَ كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة .

## تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

فقال : أى معنى لرد الأيدي في الأفواه ؟ وأى مدخل لذلك في التكذيب بالرسول عليهم السلام ؟

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه :

أولها أن يكون إخباراً عن القوم بأنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم ، عاضين عليها غيظاً ١٠ وحنقاً على الأنبياء ، كما يفعل المتوعدُّ لغيره ، المبالغ في معاندته ومكايده ؛ وهذه عادة معروفة في المغيظ المحق أنه يعضُّ على أصابعه ، ويفرك أنامله ، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ؛ وما شاكل ذلك من الأفعال .

وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذبين ، والهاء التي في الأفواه للرسول عليهم السلام ؛ فكأنهم لما سمعوا وعظَّ الرسول ودعاهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم إلى ١٤ أفواه الرسول ، مانعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكَّتُ منّا لصاحبه ، الرادُّ لقوله .

وثالثها أن تكون الهاء في الأيدي والتي في الأفواه معاً للرسول ؛ والمعنى أنهم كانوا يأخذون أيدي الرسول فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ، ويقطعوا كلامهم .

ورابعها أن تكون الهاءان جميعاً يَرِ جَعان إلى الكفار<sup>(١)</sup> لا إلى الرسل ؛ فيكون المعنى أنهم إذا سمعوا وعظّمهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم ؛ مشيرين لهم بذلك إلى الكفّ عن الكلام والإمساك عنه ؛ كما يفعل مَنْ يريد منّا أن يسكّت غيره ، ومنعه من الكلام ، من وضع إصبعه على في نفسه .

٥ وخامسها أن يكون المعنى : فردّوا القول بأيدي أنفسهم إلى أفواه الرّسل ، أى أنهم كذبوهم ، ولم يُصغُوا إلى أقوالهم ، فالهاء الأولى للقوم ، والثانية للرسل ؛ والأيدى إنما ذُكرت مثلاً وتأكيداً ؛ كما يقول القائل : أَهْلَكَ فَلانَ نفسه بيده ، أى وَقَعَ الهلاك به من جهته ، لا من جهة غيره .

وسادسها أن المراد بالأيدى النعم ﴿فِي﴾ محمولة على الباء ، والهاء الثانية للقوم المكذبين ١٠ والتي قبلها للرّسل ، والتقدير : فردّوا بأفواههم نِعَم الرّسل ؛ أى ردّوا وعظّمهم وإنذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذى لو قِيلوه لكان نعماً عليهم .

ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التى فى الأيدى للقوم الكفار ، لأنها نِعَم من الله تعالى عليهم ، فيجوز إضافتها إليهم وحمل لفظة ﴿فِي﴾ على معنى الباء جازاً لقيام بعض الصفات مقام بعض ؛ يقولون: رضيتُ عنك ، ورضيتُ عليك وحُكى فى لغة طَيِّ : أدخلك الله بالجنة ، ١٥ يريدون فى الجنة ، فيعبرون بالباء عن معنى « فى » ؛ كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بنى عن الباء ؛ قال الشاعر :

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّى عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

أراد : وأرغب بها فحمل «فى» على الباء .

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يمكن أن يجعل الضميران جميعاً للرسل عليهم السلام ، على معنى أنهم لما لم يقلوا وعظّمهم وإنذارهم رد الرسل بأيديهم إلى أفواه أنفسهم ، إشارة إلى أنّا قد سكّنا ، فافعلوا ما شئتم تهديداتوهيلا . »

وسابحها - وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر، وزعم أنه أولى من غيره - قال " المضمرون في قوله : ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ الرسل ، وكذلك المضمرون في ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، والمراد باليد هاهنا ما نطق به الرسل من الحُجَجِ والبيِّنات التي ذكر الله تعالى أنهم جاءوا بها قومهم ؛ واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضا ، وعلى الملك ، وعلى العهد والعقد ؛ ولكل ذلك شاهد من كلامهم ؛ والذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجة والسلطان ، وهو النعمة ، وهو العهد ، وكل ذلك يقع عليه اسم اليد . ولَمَّا كان ما يعظم به الأنبياء قومهم ويُندرونهم به إنما يخرج من أفواههم ، فردوه وكذبوه قيل : إنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم ، أى أنهم ردُّوا القول من حيث جاء قال : ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للمرسل إليهم كما تأوله بعض المفسرين ، وذكر أن معناه أنهم عضُّوا عليهم أناملهم غيظاً ؛ لأن رافع يده إلى فيه ، والماضٍ عليها لا يسمَّى راداً ليده إلى فيه ، إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردُّها " . ١٠

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وليس ما استنكره أبو مسلم من رد الأيدي إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد ، لأنه قد يقال : ردَّ يده إلى فيه ، وإلى وجهه ، وعاد فلان يقول كذا ، ورجع يفعل كذا ؛ وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه . ولو لم يسَّغ هذا القول تحقيقاً لساغ تجوُّزاً واتساعاً ؛ وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها ؛ فإن تجوُّزها / واستعاراتها [١٢٢] أكثر ، على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شيء ، وتكرَّر منهم ، فلهذا جاز أن يقول : ردُّوا أيديهم في أفواههم ، لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل ، فلما تكرَّر جازت العبارة عنه بالرد ، وهذا يبطل استضعافه للجواب إذا صرنا إلى مراده .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أن مسلماً الخزاعى ثم المصطلقى قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقى (١) :

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أُمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ      إِنَّ الْمَنَابَا بِكَفَى كُلِّ إِنْسَانٍ (٢)  
وَأَسْلُكُ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُحْتَشِعٍ (٣)      حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي  
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ (٤)      وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَانِ  
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ (٥)      بَكْلٌ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو أدركته لأسلم » ، فبكى مسلم ، فقال له ابنه : يَا أَبَهْ ، مَا يُبْكِيكَ مِنْ مُشْرِكٍ مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ! فقال : يَا بَنِيَّ ، لَا تَفْعَلْ فَمَا رَأَيْتَ مُشْرِكَةً تَلَقَّتْ مِنْ مُشْرِكٍ خَيْرًا مِنْ سُوَيْدٍ .

١٠ قوله : « مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي » معناه ما يقدر لك القادر؛ قال الفراء : يقال : مَنَى الله عليه الموت ؛ أى قدر الله عليه الموت . وقال يعقوب : مَنَّاكَ الله بما يسرك ، أى قدر الله لك ما يسرك ، وأنشد :

(١) نسب البيت الأول والثاني والرابع إلى أبي قلادة الهذلي ، من قصيدة أولها :  
يَادَارُ أَعْرِفُهَا وَحُشًّا مَنَازِلُهَا      بَيْنَ الْقَوَائِمِ مِنْ رَهْطِ فَالْبَانَ  
مع اختلاف في روايتها وترتيبها ، وانظر ديوان الهذليين ٣ : ٣٦-٣٩ ، واللسان (من) .  
(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعروف » بجني ، هذا هو الصحيح ، وهى أيضا رواية ديوان الهذليين ؛ يقول : لا تأمنين أن تأتيك منبتك وإن كنت بالحرم حيث يأمن الطير .  
(٣) رواية اللسان :

\* وَأَسْلُكُ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُحْتَشِعٍ \*

ورواية ديوان الهذليين :

\* وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ \*

(٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « مفارقه » . (٥) رواية ديوان الهذليين :

\* إِنَّ الرَّشَادَ وَإِنَّ الْغَىَّ فِي قَرْنٍ \*

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍ وَ لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ<sup>(١)</sup>

وقال ابن الأعرابي : ساقه المَنَى ، أى ساقه القدر ؛ وأنشد ابن الأعرابي :

مَنْتَ لَكَ أَنْ تُتْلَقَيْنِي الْمَنَا أَحَادَ أَحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ<sup>(٢)</sup>

معناه قَدَّرْتُ لَكَ .

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ [النجم : ٤٦] ، معناه إذا تَخَلَّقَ وتَقَدَّرَ . ٥

وقال بعض أهل اللغة : إِنَّمَا سَمِيَ « مَنَى » لما يُمْنَى فيه من ثواب الله تعالى ؛ أى يَقْدَرُ فيه ؛

وقيل أيضاً بما يُمْنَى فيه من الدَّمِ<sup>(٣)</sup> ؛ وقيل : إِنَّمَا سَمِيَ بذلك لأن إبراهيم عليه السلام لما انتهى

إليه قال له الملك : تَمَنَّ ، قال : أَتَمَنَّي الْجَنَّةَ ، فسمي مَنَى لذلك . وَمِنَى يذكر ويؤنث ،

والتذكير أجود ، قال الشاعر في التذكير :

/ سَقَى مَنَى ثُمَّ رَوَّاهُ وَسَاكِنَهُ وَمَنْ تَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَدَقِ مُنْبَعِقُ<sup>(٤)</sup> [١٢٣]

وقال آخر في التأنيث :

لَيَوْمُنَا بِمَنَى إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرُ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرَجِ أَوْ مَلَلِ<sup>(٥)</sup>

(١) البيت مطلع قصيدة لصخر الغي ، يرثي أخاه أبا عمرو بن عبد الله ، وقد نهشته حية فأت ؛ ( ديوان الهذليين

٢ : ٥١ - ٥٧ ) . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يُوْزَى ، من الإزاء ، والإزاء : مصب الماء في

الحوض ، يقال : أَزَيْتَ الحَوْضَ [بالتضعيف] ، وآزَيْتَهُ ، والإزاء للقبر في الحقيقة ؛ إلا أنه على الاستعارة .

ويجوز أن يكون الضمير في « له » للمرثي ؛ أى يهبأ له ؛ هذا إذا همزت « يُوْزَى » ؛ وهو قول الأصمعي ،

فأما إذا لم تهمزه فعنى يُوْزَى ينصب ويشخص ؛ يقال : أَوْزَى ظَهْرَهُ إِلَى الْحَائِطِ ؛ أى أَسْنَدَهُ . ويقال : هَضْبَةٌ

وهَضْبَاتٌ وهَضَابٌ وهَضَابٌ وأَهَاضِبٌ وأَهَاضِيبٌ » . (٢) اللسان ( منى ) ، وفي حاشية الأصل :

« أى قَدَّرْتُ المنايا ملاقاتها إياي لأَجْلِكَ » . (٣) المراد يميني هاهنا : يراني .

(٤) الودق : المطر ، والواهي : المندفع بالماء ، وكذلك المنبثق ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « جعل

للسحاب سقاء ، ثم جعله واهي العقد ، فهو أشد إرسالا ، وهذا مثل » .

(٥) العرج : موضع قريب من الطائف ، وإليه ينسب العرجي الشاعر ، وهو عبد الله بن عمرو بن

عثمان بن عفان . وملل : موضع في طريق مكة .

فأما قوله :

\* والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرْنٍ \*

فالقرْنُ الحبلُ ؛ وأراد أنهما مجموعان لا يفترقان ؛ من حيثُ لا يكاد يُصيب الإنسان في الدنيا خيرٌ صرفٌ لا شرٌّ فيه ؛ فلهذا قال إنهما مقرونان . ويجوز أيضاً أن يريد أن سرعةَ تقلُّب الدنيا وإبدالها الخيرَ بالشرِّ كأن الخيرَ والشرَّ مقرونان مجموعان معاً ، لتقارب ما بينهما .

فأما الجديدان ، فهما الليل والنهار ، وهما أيضاً الأجدان ، والمَّلَوَانِ ، والفتيان ، والرِّدَّان ، والعَصْران ؛ قال الشاعر :

١٠ إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

وَأَمْطَلُهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأَنِي وَبِرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ<sup>(٢)</sup>  
وقال أبو عبيدة : ويقال الليل والنهار ابنا سُبَات ، وأنشد ابنُ الأعرابي :  
وَكُنَّا وَهُمْ كَابْنِي سُبَاتٍ تَفَرَّقَا سِوَى نَمٍّ كَانَا مُنْجِدًا وَتَهَامِيَا<sup>(٣)</sup>  
ويقال للغداة والعشي : القَرَّتَانِ<sup>(٤)</sup> ، والبرْدَان ، والصَّرَّعَان<sup>(٥)</sup> .

\*\*\*

١٥ أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيم قال : أُمْلِى عَلَيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبِ النَّحْوِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِرُفَيْعِ الْوَالِبِيِّ :

كَذَبْتُكَ مَا وَعَدْتُكَ أَمْسٍ صَلاَحٌ وَعَسَى يَكُونُ لِيَا وَعِدَتَ نَجَاحٌ<sup>(٦)</sup>

(١) البيت للخفراء ، ديوانها : ١٥٤ . (٢) الجِوَان ٣ : ٢٤٩ ، وإصلاح المنطق : ٤٣٧ ، من غير عزو . (٣) اللسان ( سبت ) ، ونسبه إلى ابنِ أحر ، وفيه عن ابنِ حبيب : « أن ابني سبات رجلان ، رأى أحدهما صاحبه في المنام ثم انتبه ، وأحدهما بنجد والآخر بتهامة » (٤) ت : « القرنان » . (٥) حاشية الأصل : « أصل الصرع الذي بصارعك » . (٦) صلاح : اسم امرأة ، وفي حاشية الأصل : « كأنها وعدته بالوصال الذي يبرئ سقمه » .



بُرءٌ مِّنَ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَصِحَاحُ  
أَصْلَاحُ إِنْكَ قَدْ رَمَيْتَ نَوَافِذًا وَجَوَائِفًا لَيْسَتْ لَهُنَّ جِرَاحُ<sup>(١)</sup>  
وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ بِالْقَوَادِمِ لِحَّةً وَعَلَى مِّنْ سُدْفِ الْعَشَى رِيَّاحُ<sup>(٢)</sup>

— معنى رِيَّاح هاهنا ، أى على وقت من العَشَى ، ومثله رَوَّاح ؛ وقوم يروونه بالكسر

وليس بشيء —

٥  
[١٢٣] ط / ما كَانَ أَبْصَرَ نِي بِغِرَّاتِ الصَّبَا فَايَوْمَ قَدْ شَفَعْتُ لِي الْأَشْبَاحُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَشَى بِجَنْبِ الشَّخِصِ شَخِصٌ مِّثْلُهُ وَالْأَرْضُ نَائِيَّةُ الشَّخْصِ بَرَّاحُ<sup>(٤)</sup>  
حَلَقَ الْحَوَادِثُ لِمَتَى قَتَرَ كُنَّ لِي رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جُمَاحُ  
وَذَكَا بِأَصْدَاغِي وَقَرْنِ ذُوَابَتِي قَبَسُ الْمَشِيبِ كَأَنَّهُ مِصْبَاحُ

قال : كَأَنَّهُ جُمَاحُ من أمْلَاسه ، وَجُمَاح : سَهْمٌ أو قِصْبَةٌ يُجْعَلُ عَلَيْهِ طِينٌ ، ثُمَّ يُرْمَى بِهِ ١٠  
الطير .

وبهذا الإسناد لبعضهم :

أَرَى النَّاسَ لِلصَّعْلُوكِ حَرَبًا وَلَا أَرَى لَذَى نَشَبٍ إِلَّا خَلِيلًا مُصَافِيَا  
أَرَى الْمَالَ يَغْشَى ذَا الْوُصُومِ فَلَا تُرَى وَيُدْعَى مِنَ الْأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَانِيَا<sup>(٥)</sup>

١٥ الصَّعْلُوكُ : الْفَقِيرُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْقُرْضُوبُ ، وَالشُّبْرُوتُ . وَالْوُصُومُ : الْعِيُوبُ .

وبهذا الإسناد لعقيل بن علفقة :

إِنِّي لَيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا اجْتَدَى مَالِي وَيَكْرَهُنِي ذَوُو الْأَضْغَانِ  
وَأَيَّتُ تَخْلِجُنِي الْهُمُومُ كَأَنَّنِي دَلُّو السُّقَاةَ تُمَدُّ بِالْأَشْطَانِ<sup>(٦)</sup>

(١) نَوَافِذُ : أى سَهَامًا نَافِذَةً ، وَجَوَائِفُ ، أى تِبْلَغُ الْجُوفِ . (٢) الْبَيْتُ فِي الْإِسْنَانِ ( رُوح ) ،

وَرَوَاهُ : « رِيَّاح » بِالْكَسْرِ . وَالْقَوَادِمُ : أَوَائِلُ النَّظَرِ . وَالسُدْفُ : جَمْعُ سُدْفَةٍ ؛ وَهِيَ الظُّلْمَةُ .

(٣) شَفَعْتُ : صَارَتْ شَفْعًا ، أى أَصْبَحَ يَرَى الشَّيْءَ شَيْئِينَ كَمَا يَرَاهُ الْأَحْوَالُ ؛ يَصِفُ ضَعْفَ بَصَرِهِ .

(٤) حَاشِيَةٌ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « نَائِيَّةٌ » . (٥) حَاشِيَةٌ : « غَانِيَا ؛ أى غَنِيَا ؛ وَمَعْنَاهُ

ذَا غَنًى ، كَلَابِنُ وَتَامَرٌ » . (٦) تَخْلِجُنِي : تَشْغَلُنِي ؛ كَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْإِسْنَانِ وَاسْتَشْهَدَ

بِالْبَيْتِ . وَالْأَشْطَانُ الْخَيْالُ .

وَأَعِيشُ بِالْبَلَلِ الْقَلِيلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرُّمُوسَ مَصَارِعَ الْفِتْيَانِ<sup>(١)</sup>

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال: حدثني علي بن منصور قال: أخبرني محمد بن موسى عن دُعبل بن علي قال قال عَقِيل بن عُلفَة: - وذكر الأبيات الثلاثة ، وزاد فيها :  
ولقد عَلِمْتُ لئنْ هَلَكْتُ لَيَذْكُرُنَّ قَوْمِي إِذَا عَلَنَ النَّجِيُّ مَكَانِي<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

٥ قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله تأييده : وكان عَقِيل بن عُلفَة مع قوّة شعره جيّد الكلام حكيم الألفاظ . وروى المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لِعَقِيل بن عُلفَة المرّي: ما أحسن<sup>(٣)</sup> أموالكم ؟ فقال : ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضّلاً ، قال : ثم أيّها ؟ قال : مواريتنا ، قال : فأيتها أشرف ؟ قال : ما استفدناه بوقعة خوّلتُ نعماً ، وأفادتُ عزّاً ، قال : [ ١٢٤ ] فما مبلغُ عزِّكم ؟ قال : ما لم يُطْمَعْ فينا ، ولم / نُؤْمَنْ ، قال : فما مبلغُ جودكم ؟ قال : ما عقّدناه ١٠ مِننًا ، وأبقينا به ذِكْرًا ، قال : فما مبلغُ حفاظكم ؟ قال : يدفع كل رجلٍ منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه ؛ قال عبد الملك : هكذا فليصفِ الرجل قومه .

وروى أنه قيل لِعَقِيل بن عُلفَة : قد عَنَسَتْ<sup>(٤)</sup> بناتك ، أفما تحشي عليهنّ الفساد ؟ قال : كلا ، إني خلّفت عندهن الحافظين ، قيل : وما هما ؟ قال : الجُوع والعُرى ، أجيمن فلا يَأْشُرُنَّ ، وأعرّيهنّ<sup>(٥)</sup> فلا يَظْهَرُنَّ .

١٥ وقال له عبد الله يوماً : مالك تهجّو قومك ؟ قال : لأنهم أشباه النعم ، إذا صيَحَ بها رَفَعَتْ ، وإذا سُكِتَ عنها رَتَعَتْ ، قال : إنما تقول البيتَ والبيتين ، قال : حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق .

(١) البلل في الأصل : مابل الخلق من ماء أو لبن أو غيره .

(٢) حاشية الأصل : « يصف نفسه بحفظ الأسرار ؟ يقول : إذا مت والناس ينجون غيبي فيفشي أسرارهم ؛ يذكرونني عند ذلك ويذكرون مكاني » .

(٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ما أحسن » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عَنَسَتْ بناتك ؛ بقاء الحُضَاب ؛ أي آخرتهن عن الترويح » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « في معناه الحديث : ( اعروا النساء يلزمن الحجال ) » .

فأما معنى « علفّة » اسم أبيه ، فإن ابن الأعرابي قال : العلفّة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهرة من البقل وغيره . وقال أبو سعيد الشكري : العلفّة ضرب من أوعية بزّر بمض النبات مثل قشرة الباقلاء . واللّوبيا ؛ وهو الغلاف الذى يجمع عدّة حبّ .

وقيل : إن عقيلاً كان يُكنّى بأبى الوليد ، وكان رجلاً غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة ، وروى أبو عمرو بن العلاء أنّه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول :

إنى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدانٍ وذودٌ عشرُ<sup>(١)</sup>  
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وذكر الأصمعيّ أن عقيلاً كان لغيرته إذا رأى الرجل يتحدث إلى النساء أخذّه ، ودّهن أرفاغه<sup>(٢)</sup> ومنا بنه بزبد وربطه وطرحه فى قرية النمل ، فلا يعود إلى محادثتهن .

وروى الأصمعيّ قال : كان<sup>(٣)</sup> عقيّل بن علفّة فى بعض سفره ، ومعه ابنه العمّلس وابنته ١٠ الجرباء ، فأنشأ يقول :

قضتَ وطراً من دبرٍ سمّيدٍ وربّما على عجلٍ ناطحنهُ بالجماجمِ<sup>(٤)</sup>  
ثم أقبل على ابنه فقال : أجز يا عمّلس ، فقال :  
وأصبحن بالموامةٍ يحملن فتيةً نشاوى من الإدلاج ميلَ المائمِ<sup>(٥)</sup>

(١) الذود : القطيع من الإبل . (٢) الأرفاغ : جمع رفع ؛ وهو أصل الفخذ ، والمغابن : جمع مغبن ، كمنزل وهو الإبط . (٣) الخبر فى الأغاني ١٢ : ٢٥٦-٢٥٧ ( طبع دار الكتب المصرية ) .

(٤) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وبعده فى رواية الأغاني :

إذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشاً أعطينهم بالخزائم  
والخزائم : جمع خزامة ، وهى حلقة من شعر تجعل فى أحد جانبي منخري البعير لينقاد بها .

(٥) الموامة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى . الإدلاج : السير من أول الليل ، وبعده فى

رواية الأغاني :

إذا علم غادرته بتنوفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسم

— والعلم : شىء ينصب فى الفلوات تهتدى به الضالة . التنوفة : المفازة . تذارعن : سرن ، وأصله أن

ينزع البعير يديه فى سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوه . رسم طاسم : دارس .

ثم أقبل على ابنته ، فقال : أجزري يا جرباء ، فقالت :

كأن الكرى سقاهم صرخديّة عقاراً تمشت في المطا والقوائم<sup>(١)</sup>

[١٢٥] قال : / فأقبل على ابنته يضربها ويقول : والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها ،

فوثب عليه إخوتها فقاتلوه دونها ، ثم رماه أحدهم بسهم فانتظم فخذيّه ، فقال عقيل :

إنّ بنى زملوني بالدم<sup>(٢)</sup> من يلقى أبطال الرجال يكلم<sup>(٣)</sup>

ومن يكن ذا أود يقوم شنشنة أعرفها من أخزم

الشنشنة : الطبيعة والسجية . وقيل الشبه ، وهذا مثل اجتلبه عقيل<sup>(٤)</sup> ، وقد قيل قبله :

ولعقيل :

وللدهر اثواب فكن في لباسه كلبسته يوماً أجداً وأخلاقاً<sup>(٥)</sup>

وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم وإن كنت في الحمقى فكن أنت أحمقاً ١٠

(١) الصرخدية : منسوبة إلى صرخد ، وهو بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . العقار : الخمر . المطا : الظهر . (٢) رواية الأغاني : « سربلوني » ، (٣) رواية اللسان ( شت ) : « آساد الرجال » . (٤) حاشية الأصل : « قال س : قرأت في أمالي ابن الجبان الأصهباني : شنشنة [ بالفتح ] ، وشنشنة [ بالكسر ] ، وشنشنة [ بالفتح ] ، وشنشنة [ بالكسر ] ، قال : قد فسروها بالطبيعة وبالصفة من اللحم وبالحجامة . ضارب هذا المثل حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم ، ونقيل أخلاق جده أخزم في الجود فقال : « شنشنة أعرفها من أخزم » ، وتمثل به عقيل ابن علفة » وفي اللسان عن ابن برى : « كان أخزم غافاً لأبيه ، فأتته وتركه بنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك » .

وانظر ترجمة عقيل وأخباره وأشعاره في ( الأغاني ١١ : ٨١-٨٩ ) .

(٥) حاشية ف : « المعنى : فالبس مع الدهر لبوسه ؛ إن لبس الجديد فالبس أيضاً أنت الجديد ،

وبالعكس » .

## مَجْلِسُ آخِرِ

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٠] فقال : كيف يصحُّ القولُ بأنَّها رجعتُ عليه وهي لم تخرج عن يده ؟ .

الجواب ، قلنا قد ذُكِرَ في ذلك وجوه :

أولُها أنَّ الناسَ في دارِ المحنة والتكليف قد يَغْتَرَّ بِمَعْضِهِمْ بَعْضٌ ، ويمتقدون فيهم أنهم بملكِكون جَرَّ المنافع إليهم وصَرَفَ المضارَّ عنهم ، وقد تَدَخَّلَ عليهم الشُّبُهَةُ لتقصيرِهم في ٥ النظر ، وعدولهم عن وجهه وطريقه ، فيعبدُ قومُ الأصنام وغيرهم المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ، ويعبدُ آخرون البشرَ ، ويجعلونهم شركاءَ لله تعالى في استحقاق العبادة ؛ ويضيفُ كلُّ هؤلاء أفعالَ الله عز وجل فيهم إلى غيره ، فإذا جاءت الآخرةُ ، وانكشف الغطاء واضطربوا إلى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل ، وأيقن الكلُّ أنه لا خالقَ ولا رازقَ ولا ضارَّ ولا نافعَ غيرُ الله تعالى فردوا إليه ١٠ أمورَهم ، وانقطعت آمالُهم من غيره ، وعلموا أنَّ الذي كانوا عليه من عبادةٍ غيره ، وتأمله للضرِّ والنفع غرورٌ وزورٌ ، فقال الله تعالى : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ لهذا المعنى .

والوجه الثاني أن يكونَ معنى الآية في الأمور أنَّ الأمورَ كلَّها لله تعالى ، وفي يده وقبضته

من غير خروج ورجوع حقيقٍ ؛ وقد تقولُ العرب : قدرجع علىَّ من فلان مكروهه ، بمعنى

صار إلىَّ منه ؛ ولم يكن سبق إلىَّ قبلَ هذا الوقت ، وكذلك يقولون : قد/عاد علىَّ من زيدٍ ١٥

[١٢٥]

كذا وكذا وإن وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر :

وإن تكنِ الأيامُ أحسنَ مرَّةً إلىَّ فقد عادتُ لهنَّ ذُنُوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل؛ بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جاز تشبهه اللغة .

والوجه الثالث أننا قد علمنا أن الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أمورا تنقطع بانقطاع التكليف، وإفضاء الأمر إلى الدار الآخرة ، مثل مملكته المولى من العبيد ، ومملكته الحكم من الحكم وغير ذلك ؛ فيجوز أن يريد تعالى برجع الأمر إليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتمليكها إلى أن يكون هو وحده مالكا ومُدبرها .

ويمكن في الآية وجه آخر ؛ وهو أن يكون المراد بها أن الأمر ينتهي إلى ألا يكون موجود قادر غيره ، ويُفضى الأمر في الانتهاء إلى ما كان عليه في الابتداء ، لأن قبل إنشاء الخلق هكذا كانت الصورة ، وبعد إنفائهم هكذا تصير وتكون الكناية برجع الأمر إليه عن هذا المعنى ، وهو رجوع حقيق ، لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدما .

ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك أن إلى قدرته تعود المقدورات ، لأن ما أفناه من مقدراته الباقية كالجواهر والأعراض ترجع إلى قدرته ، ويصح منه تعالى إيجاد عوده إلى ما كان عليه ، وإن كان ذلك لا يصح في مقدرات البشر ، وإن كانت باقية لما دل عليه الدليل ، من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود إليها ، من حيث لم يجز فيها التقديم والتأخير . وهذا أيضاً حكم ، هو تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين ، والله أعلم بما أراد .

### تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ، [ البقرة : ١٨٩ ] .

فقال : أى معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها ؟ وهل المراد بذلك البيوت المسكونة

على الحقيقة ، أو كُنِّي بهذه اللفظة عن غيرها ؟ فإن كان الأول فما الفائدة في إتيانها من أبوابها دون ظهورها ؟ وإن كانت كنايةً فبينوا وجهها ومعناها .

الجواب قيل له في الآية وجوه .

أولها ما ذكر من أن الرجل من العرب كان إذا قصد حاجةً فلم تَقْضَ له ، ولم يُنْجِج فيها رَجَعَ فدخل من مُؤَخَّرِ البيت ، ولم يدخل من بابه تطيُّراً ، فدلَّهم الله تعالى على أن هذا ٥ من فعلهم لا بُرَّ فيه ، وأمرهم من التَّقَى بما ينفَعُهُمْ ويقرَّبُهُمْ إليه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطيُّر وقال : « / لا عِدْوَى ولا طَيْرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ » ؛ أى لا يُعْدَى [١٢٠] ط شئٌ شَيْئاً . وقال عليه السلام : « لا يُورَدُ ذو عاهة على مُصَحَّحٍ » ؛ ومعنى هذا الكلام أن مَنْ لحقَّ إبْلَهُ آفَةٌ أو مرضٌ فلا ينبغي أن يوردها على إبلٍ لغيره صحاح ، لأنه متى لحِقَ الصَّحاح مثلاً هذه العاهة اتفاقاً ، لا لأجلِ العِدْوَى لم يؤمِّنْ من صاحبِ الصَّحاح أن يقول ١٠ إنما لحِقَ إبلِي هذه الآفة من تلك الإبل ، وهى أعدتْ إبلِي ، فنهى النبي صلى الله عليه وآله عن هذا ، لينزول المأثمُ بين الفريقين والظنُّ القبيح .

وثانيها أن العرب إلا قريشاً ومن ولدته قريش كانوا إذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، ودخلوها من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبر ، وإذا كانوا من أهل المدَرِ نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ، ولم يَدْخُلُوا ولم يخرجوا من أبواب ١٥ البيوت ؛ فنهاهم الله تعالى عن ذلك ، وأعلمهم أنه لا معنى له ، وأنه ليس من البرِّ وأن البرَّ غيرُه .

وثالثها - وهو جواب أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى - أن المعنى ليس البرِّ بأن تطلبوا الخيرَ من غير أهله ، وتلتمسوه من غير بابه ، وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، معناه : واطلبُوا الخيرَ من وجهه ، ومن عند أهله .

ورابعها - وهو جواب أبي على الجُبَّاثِي - أن تكون الفائدة في هذا الكلام ضربَ المثل ،

وأراد : ليس البرّ أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته ؛ لأن إتيانه من خلاف جهته يُخرج الفعل عن حصد الصواب والبرّ إلى الإثم والخطأ ، وبين البرّ والتقوى ، وأمر بإتيان الأمور من وجوهها ، وأن تُفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت ، وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً ؛ لأن العادل في الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .

• وخامسها أن تكون البيوت كنايةً عن النساء ، ويكون المعنى : وأتوا النساء من حيث أمركم الله ، والعرب تسمي المرأة بيتاً ؛ قال الشاعر :

مالي إذا أنزعها صأيتُ      أكبرَ غيرَني أم بيتُ<sup>(١)</sup>  
أراد بالبيت : المرأة .

ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي عليّ الجُبائيّ ، والجواب عن [١٢٦] أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم عبيد الله عثمان بن يحيى قال : أخبرنا / أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيميّ قال : أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويّ قال : أنشدنا ابن الأعرابيّ<sup>(٢)</sup> :

إني عَجِبْتُ لَأُمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَزَيْتُ      مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ<sup>(٣)</sup>  
مَا شِقْوَةُ الْمَرْءِ بِالْإِقْتَارِ يُقْتَرُهُ      وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا يَا كَثَارَ  
إِنَّ الشَّقَى الَّذِي فِي النَّارِ مَنَزَلُهُ      وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ  
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يَزْبَنُ لِي      شَمَّ الْعَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِي مِنَ الْعَارِ  
وَحَيْرِ دُنْيَا يُنْسَى أَمْرَ آخِرَةٍ      وَسَوْفَ يُبْدِي لِيَ الْجَبَّارُ أَسْرَارِي<sup>(٤)</sup>

(١) البيان في اللسان ( صأى ) وفي حاشية الأصل : « هذا مستق يستق الماء من البئر وينزع الدلو . والهاء في قوله : « أنزعها » راجعة إلى الدلو ؛ وقبل الضمير للفوس ؛ يقال : « صأى بصأى ، مثل صعى بصعى ؛ إذا صوت » . (٢) أبيات منها في الكامل ٢ : ٥١ - ٥٢ - بشرح المرصفي ؛ عن ابن الأعرابيّ ، ونسبها إلى أحد ابني حنّاء ، قال : « وأحسبه صخرًا » .

(٣) حاشية الأصل : « ويروى : « لأم الغمر - بالغين المعجمة » ، ورواية الكامل :

إِنِّي هَزَيْتُ مِنْ أُمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَزَيْتُ      بِشَيْبِ رَأْسِي ، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ  
(٤) د :

\* وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الْجَبَّارِ أَسْرَارِي \*



لا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحَبُّو مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أَكْسَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي  
فَقُولُهُ :

\* لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحَبُّو مِنْ مُؤَخَّرِهِ \*

يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : إِنِّي لَا آتِي الْأُمُورَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ ، عَلَى أَحَدِ الْأَجُوبَةِ فِي الْآيَةِ ،  
وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ لَا أَطْلُبُ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْ أَهْلِهِ عَلَى جَوَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَيَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ <sup>(١)</sup> ؛  
وهو أَنْ يَرِيدَ أَنِّي لَا أَقْصِدُ الْبَيْتَ لِلرَّبِّيَّةِ وَالْفَسَادِ ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنٍ مَنْ يَسْعَى إِلَى إِفْسَادِ الْحُرْمِ ،  
وَيَقْصِدُ الْبَيْوتَ لِلرَّبِّيَّةِ أَنْ يَعْدِلَ عَنْ أَبْوَابِهَا طَلَبًا لِإِخْفَاءِ أَمْرِهِ ، فَكَأَنَّهُ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ هَذَا  
الْقَوْلَ الْقَبِيحَ ، وَتَنَزَّاهُ عَنْهُ ؛ كَمَا تَنَزَّاهُ بِقَوْلِهِ :

\* وَلَا أَكْسَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي \*

عَنْ مِثْلِهِ ، وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَنْدِي <sup>(٢)</sup> ابْنُ الْعَمِّ مِنْ السُّوءِ ، وَلَا يَتَأَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنْ جَهْتِي ، فَأَكُونُ ١٠  
كَأَنِّي قَدْ جَرَحْتُهُ بِأَظْفَارِي ، وَكَسَرْتَهَا فِي لَحْمِهِ ؛ وَهَذِهِ كُنَايَاتٌ بَلِغَةٌ مَشْهُورَةٌ لِلْعَرَبِ .

\*\*\*

وَيَجْرِي بِجَرَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَيُقَارِبُهَا فِي الْمَعْنَى وَحَسَنِ الْكُنَايَةِ قَوْلُ هِلَالِ بْنِ خَثَمٍ :  
وَإِنِّي كَعَفٍّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي كَمَشْنُوٍّ إِلَى اغْتِيَابِهَا  
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعَاثُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَمُورًا وَلَمْ تَنْبَجْ عَلَى كَلَابِهَا <sup>(٣)</sup>  
وَمَا أَنَا بِالْدَّارِي أَحَادِيثَ بَيْنِهَا وَلَا عَالِمٌ مِنْ أَى حَوْلِكِ ثِيَابِهَا ١٥  
وَإِنَّ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْوُهُ وَيَكْفِيكَ عَوْرَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابِهَا <sup>(٤)</sup>

(١) حَاشِيَةٌ ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « وَوَجْهٌ آخَرٌ » . (٢) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « مِنْ »

حَرَكَاتِهِمْ : مَا بِنْدَكَ مِنْ سُوءٍ ، أَى مَا يَصِيبُكَ ، وَيُقَالُ : مَا نَدَيْتُ هَذَا الْأَمْرَ وَلَا نَطَقْتُ بِهِ ، وَلَا بَلَلْتُ بِهِ ،  
أَى مَا عَلِمْتُهُ وَلَا أَصْبَحْتُهُ ، قَالَ النَّابِغَةُ :

وَلَا نَدَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ إِذَا فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى يَدِي

(٣) يُقَالُ رَجُلٌ زَوَارٌ وَزَعُورٌ ، كَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتِ .

(٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « الْقِرَابُ : مَا دُونَ الْمَلَأِ أَوْ قَرِيبُ مِنْهُ » .

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبة ، وكنياتٍ بليغة ،  
لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلمها ، وخصَّ حال الغيبة لأنها أدنى إلى الرِّيبة  
[١٢٦] وأخصَّ بالهمة فقال / : « ولم تنبَحْ على كلابها » ، أراد : إني لا أطرقها ليلاً مستخفياً<sup>ط</sup>  
متنكراً فتفكرتني كلابها ، وتنبحني ، وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم :  
\* لا أدخل البيت أحبو من مؤخره \*

وقد روى : « ولم تأنس إلى كلابها » وهذا معنى آخر ، كأنه أراد أنه ليس يُكثر  
الطروق لها والغشيان لمنزلها ، فتأنس به كلابها لأن الأنس لا يكون إلاَّ مع الموصلة  
والموارة .

وقوله :

\* وما أنا بالدَّارِى أحاديثَ بيتها \*

أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتها وطروقيها عن نفسه ؛ لأنه إذا أدمن الزيارة عرف  
أحاديث بيتها ، فإذا لم يزرها وصارمها لم يعرف ، ويحتمل أن يريد : إني لأسأل عن أحوالها  
وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول ؛ فنزه نفسه عن ذلك .

وقوله :

\* ولا عالم من أىَّ حَوَكٍ ثيابها \*

كنايةً مليحة عن أنه لا يجتمع معها ، ولا يقرب منها ؛ فيعرف صفة ثيابها .

\*\*\*

وبالإسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني<sup>(١)</sup> .

إِذَا لَهْمٌ أَسَى وَهُوَ دَاةٌ فَأَمِضِهِ وَلَسْتُ بِمُضْمِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ  
وَلَا تُنْزِلُنْ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إِذَا هَمَّ أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَازِلُهُ<sup>(٢)</sup>

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة ؛ من بني يربوع . كان من فرسان بني تميم  
ووجوهها وساداتها ، ولم يكن معدوداً في غول الشعراء ، ولكنه كان يعارض نظراءه في الشعر . ( وانظر  
أخباره وأشعاره في الأغاني ٢١ : ١٣-٣١ ) (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « سوفته عواذله » .

فَمَا كُلُّ مَا حَاوَلْتَهُ الْمَوْتُ دُونَهُ ، وَلَا دُونَهُ أَرْضَادُهُ وَحَبَائِلُهُ  
 وَمَا الْفَتْكُ مَا آمَرْتُ فِيهِ وَلَا الَّذِي تُحَدِّثُ مَنْ لَا قِيَتَ أَنْكَ فَاعِلُهُ (١)  
 وَمَا الْفَتْكُ إِلَّا لَامَرِي ذِي حَفِظَةٍ إِذَا صَالَ لَمْ تُرْعَدْ إِلَيْهِ خَصَائِلُهُ (٢)  
 وَلَا تَجْعَلَنَّ سِرًّا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَتَقَعْدَ إِنْ أَفْشَى عَلَيْكَ تُجَادِلُهُ  
 وَلَا تَسْأَلِ الْمَالَ الْبَخِيلَ تَرَى لَهُ غَنًى بَعْدَ ضُرٍّ أَوْ رَثَّةً أَوْ أَيْلَهُ (٣) •  
 أَرَى الْمَالَ أَفْيَاءَ الظَّلَالِ فَتَارَةً يَتُوبُ ، وَأُخْرَى يَخْتَلُ الْمَالَ خَاتِلَهُ  
 معنى « آمرت » شاورت . والخصائل : كل لحم مجتمع .

وقد روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذى ذكرناه :

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى الحسن بن على قال حدثنا محمد بن العباس  
 قال حدثنى الفضل بن محمد عن أبى المنهال المهلبى قال : من الأبيات السائرة قولُ حارثة ،  
 ابن بدر الغدائى :

لَمَمْرُكَ مَا أَبْقَى لِي الدَّهْرُ مِنْ أَخٍ حَفِيٍّ وَلَا ذِي خُلَّةٍ لِي أَوْاصِلُهُ (٤)  
 / وَلَا مِنْ خَلِيلٍ لَيْسَ فِيهِ غَوَائِلُ فَشَرُّ الْأَخِيَاءِ الْكَثِيرُ غَوَائِلُهُ [١٢٧]  
 وَقُلْ لِفَوَادٍ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةٌ مِنْ الرَّوْعِ أَفْرِخٌ ، أَكْثَرُ الرَّوْعِ بَاطِلُهُ (٥)  
 معنى « أفرخ » أى اسكن ، يقال : أفرخ رَوْعُهُ إِذَا سَكَنَ .  
 ١٠

وَمَا كُلُّ مَا حَاوَلْتَهُ ، الْمَوْتُ دُونَهُ . . . . .

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « ولا الفتك » . وآمرت : شاورت .

(٢) من نسخة بحاشية الأصل : « لم ترعد إليه » . وفيها : « الخصائل : جمع خصلة ، وهى كل لحم مجتمع ، مثل الساقين والغضنين » . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون ضمير المال أو البخل » . (٤) الحفى : الذى يكرم خليله ويبالغ فى إكرامه ، مع إظهار المسرة والفرح .

(٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « إنما نسكر الفؤاد على اعتبار أن له فؤادين ، أحدهما يشجعه والآخر يخبئه ، فقال : لا تطع الحزين ؛ وإنما جعل لنفسه فؤادين ينقسمان للخوف والأمن ، لسكنا يكون فى حال من الأحوال جباناً مطلقاً ، بل يكون مترشحاً بينهما » . وفى حاشية ت ( من نسخة ) : « للفؤاد » .

وذكر البيتين اللذين بعده ، وزاد :  
 وَكُنْ أَنْتَ تَرَعِي سِرَّ نَفْسِكَ وَاعْلَمِي  
 إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فَبُحِّ بِهِ (٢)  
 بَأَنَّ أَقْلَّ النَّاسِ لِلنَّاسِ حَامِلُهُ (١)  
 وَلَا تَقُلِ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ  
 وَمَا يَسْتَحْسَنُ لِحَارِثَةِ بْنِ بَدْرٍ قَوْلُهُ :  
 لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعُهَا  
 وَإِنَّا لَنَسْتَحِلُّ الْمَنَايَا نَفُوسُنَا  
 وَشَيْبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينٍ مَشِيبِهِ  
 وَقَدْ بَلَغَتْ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقُهَا (٣)  
 وَتَرَكْتُ أُخْرَى مُرَّةً لَا تَذُوقُهَا (٤)  
 رَعُودُ الْمَنَايَا يَبْنِنَا وَبُرُوقُهَا  
 قَوْلُهُ :

\* لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعُهَا \*

مَثَلٌ ضَرَبَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ عَشِيرَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ .

وَقَدْ رَوَى هَذِهِ الْآيَاتِ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ ، وَزَادَ فِيهَا :  
 رَأَيْتُ الْمَنَايَا بِأَدْيَاتٍ وَعُودًا إِلَى دَارِنَا سَهْلًا إِلَيْنَا طَرِيقُهَا  
 وَقَدْ قُسِمَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا : فَرِيقٌ مَعَ الْمَوْتِ ، وَعِنْدِي فَرِيقُهَا  
 وَبَيْنَا نُرَجِّي النَفْسُ مَا هُوَ نَارِخٌ مِنَ الْأَمْرِ لَا قَتَ دُونَهَا مَا يَعُوقُهَا

وَرَوَى أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ : أَنْشَدَ الشَّعْبِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةَ الْأُولَى ،

(١) د : « للسر » ، وفي حاشية ت : « نسخة الشجري : « أَقْلُ النَّاسِ لِلْسَّرِ حَامِلُهُ » ، كَأَنَّهُ أَقْلَهُمْ لِحَمْلِهِ . (٢) قَتَلَ الشَّيْءَ عِلْمًا ، أَيْ عَلِمْتَهُ عِلْمًا تَامًا ، وَمِنْ نَسْخَةِ بِحَوَالِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « فَقُلْ بِهِ . (٣) النَّبْعُ : شَجَرٌ يَنْبِتُ فِي قَلَّةِ الْجَبَلِ ، تَتَّخِذُ مِنْهُ الْعَسَى .

(٤) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « مُرَّةً لَا تَذُوقُهَا » ، وَفِي حَاشِيَةِ ف : مِثْلُهُ « قَوْلُ السَّمُوعِ

ابْنِ عَادِيَا الْيَهُودِيِّ :

يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا وَمَا تَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

أَيُّ حُبِّ الْمَوْتِ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَضَافُ الْحُبِّ مِنْ قَوْلِهِ : « حُبُّ الْمَوْتِ » إِلَى الْفَاعِلِ ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى : يَقْرُبُ حُبَّ الْمَوْتِ لَنَا آجَالَنَا ؛ وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ طَرَفَةَ :

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَمُّ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

فقال عبدالله: لمن هذا يا شعبي؟ فقال: لحارثة بن بدر، فقال: نحن أحقّ بهذا، ثم أمر للشعبي بأربعمائة دينار.

ومن مستحسن قول حارثة:

ولقد وليت إمارَةً فرَجَّعْتُهَا      في المالِ سَالِمَةً ولم أَمْوَلِ<sup>(١)</sup>  
واقْدَ مَنَعْتُ النُّصْحَ مِنْ مُتَقَبِّلٍ      ولقد رَفَدْتُ النُّصْحَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ  
/ فَبِأَيِّ أَمْسَةٍ لَمْ يَلْمِ التَّمِيسُ      وبِأَيِّ حِيلَةٍ حَائِلٍ لَمْ أَحْتَلِ<sup>(٢)</sup> [١٢٧] ط  
يَا طَالِبَ الْحَاجَاتِ يَرْجُو نُجْحَهَا      لَيْسَ النِّجَاحُ مَعَ الْأَخْفِ الْأَعْجَلِ  
فَاصْدُقْ إِذَا حَدَّثَتْ تُكْتَبُ صَادِقًا      وَإِذَا حَافَتْ مُمَارِيًا فَتَحَلَّلِ<sup>(٣)</sup>  
- معنى « نكتب صادقًا » ، أى تكون عند الله صادقًا . وقوله : « فتحلل »

أى استثنى - ١٠

وإذا رأيتَ البَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَا      غُبْرًا أَكْفَهُمُ بَرِيثٌ فَاعْجَلِ  
- معنى الباهشين: المادّين أيديهم إلى الشيء المهتئين<sup>(٤)</sup> له -  
وَاحْذَرِ مَكَانَ السُّوءِ لَا تَحُلْ بِهِ<sup>(٥)</sup>      وَإِذَا نَبَا بِكَ مَزَلٌ فَتَحَوَّلِ  
وإذا ابنُ عَمِّكَ آجٍ بَعْضَ لِحَاجَةٍ      فَانْظُرْ بِهِ عِدَّةً وَلَا تَسْتَعْجَلِ  
وإذا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا      تَرْجُو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضِلِ ١٥  
وَاسْتَغْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى      وَإِذَا تَكُونُ خِصَاصَةً فَتَجَمَّلِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد

(١) عجز البيت الخامس والبيت ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ نسبت إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي في قصيدة مفضلية ٧٥٠-٧٥٣ مطالعها :

أَجْبِيلَ إِنْ أَبَاكَ كَارِبُ يَوْمِهِ      فَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الْعِظَائِمِ فَاعْجَلِ

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ف: « خَتَلَةَ خَائِلٍ أَمْ أَخْتَلِ ».

(٣) ماماريا: مجادلا . (٤) ف ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « المشتين » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « لا تنزل به » .

النحوى قال: كان<sup>(١)</sup> حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته ، وكان قد غلب على زياد ، وكان الشراب قد غلب عليه ، فقليل لزياد: إن هذا قد غلب عليك ، وهو مستهتر<sup>(٢)</sup> بالشراب؛ فقال زياد: كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق، لم يصكك ركابي ركابه<sup>(٣)</sup> ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت عنق إليه ، ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ، ولا الروح<sup>(٤)</sup> في صيف قط ، ولا سألته عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره ! فلما مات زياد جفاه ابنه عبيد الله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة<sup>(٥)</sup> ! فقال له عبيد الله : إن أبا المغيرة قد كان برع برؤعا لا يلحقه معه عيب ، وأنا حدث ، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ ، وأنت رجل تديم الشراب ، فمتى قربت بك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظن بي ، فدع الشراب ، وكن أول داخل عليّ ، وآخر خارج ، فقال له حارثة : أنا لا أدعه لمن يملك ضررى ونفعى ، أفدعه للحال عندك ! قال : فاختر<sup>[١٢٨]</sup> من عملي ما شئت . قال : توليني / رامهرمز<sup>(٦)</sup> ، فإنها أرض عذاة<sup>(٧)</sup> ، وسرق<sup>(٨)</sup> ؛ فإن بها شراباً ووصف لي . فولاه إياها ، فلما شيعه الناس قال أنس بن أبي أنيس<sup>(٩)</sup> - وقيل : ابن أبي إلياس الدبليّ :

أحار بن بدر قد وليت إمارة فكن جرّداً فيها تخون وتسرق<sup>(١٠)</sup>  
ولا تحقّقن يا حارٍ شيئاً وجدته فحظك من ملك العراقين سرق

(١) الخبر في السكامل - بشرح الموصفي ٣-١٩١-١٩٢ .

(٢) مستهتر بالشراب : مولع به ؛ من استهتر بكذا ، مبني لما لم يسم فاعله : أولع به لا يفعل غيره ، ولا يتحدث إلا به . (٣) من نسخة بحاشيتي ف ، ت : « بصطك ركابي ركابه » .

(٤) الروح : برد النسيم . (٥) أبو المغيرة : كنية زياد .

(٦) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان من بلاد الفرس .

(٧) الأرض العذاة : الطيبة التربة ، البعيدة من الأنهار والنجود والديابح .

(٨) سرق : لإحدى كور الأهواز . (٩) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ابن أبي أنس » .

وفي الشعر والشعراء : ٧١٤ : « أنس بن أبي أناس » ، من كنانة ، من الدؤل ، رهط أبي الأسود الدؤليّ . (١٠) الأبيات في الشعر والشعراء : ٧١٥ .

وباء تميماً بالغنى إنَّ للغنى  
فإنَّ جميعَ النَّاسِ ؛ إمَّا مَكْذَبٌ<sup>(١)</sup>  
يقول بما يَهْوَى ، وإمَّا مُصَدِّقٌ<sup>(٢)</sup>  
يقولون أقوالاً ولا يعلمونها  
فإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يَحَقِّقُوا  
وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدؤلى ، وأنه كتب بها إلى حارثة لما رُدَّت إليه سُرق ،  
ويزاد فيها :

٥

وكن حازماً في اليوم إنَّ الذي به  
ولا تَعْجِزَنَّ فالعِزُّ أوطأ مَرَكَبٌ  
يحيى غداً يومٌ على الناسِ مُطْبِقٌ<sup>(٣)</sup>  
وما كلُّ مَنْ يَدْعُو إلى الخَيْرِ يُرْزَقُ  
إذا ما دعاكَ القومُ عَدُوَّكَ آ كِلَا  
وكلُّ حارٍ أوجِع ؛ لستَ مِمَّنْ يُحَمَّقُ  
ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إلهُ النَّاسِ خيرَ جزائه  
أشرتَ بأمرٍ لو أشرتَ بغيرِهِ  
فقد قلتَ معروفًا وأوصيتَ كافياً  
لألفيتَنى فيه لرأيك عاصياً<sup>(٤)</sup>

ويقال إن حارثة بن بدر والأحنف بن قيس دخلا على ابن زياد ، فقال لحارثة : أىُّ  
الشراب أطيب ؟ وكان بينهم<sup>(٥)</sup> ، فقال : بُرَّة طاسارية ، وأقطة غنوية ، وسمنة غنوية ، وسكرة  
سوسية ، ونظفة مسرقانية<sup>(٦)</sup> . فقال للأحنف : يا أبا بجر ، ما أطيبُ الشراب ؟ قال :

(١) الهيوبه : الذى يهاب الناس ؛ والهاء فيه لتأكيد المبالغة . (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) :  
« تهوى » . (٣) حاشية الأصل : « يقال غمام مطبق ؛ أى ذو طبق ؛ وقد أطبقت السماء » .  
(٤) البيتان فى الأغاني ٢١ : ٢٣ ، وبعدهما :

سَتَلْقَى أَخَا يُصْفِيكَ بِالوُدِّ حَاضِرًا وَيُؤْلِيكَ حِفْظَ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ نَائِبًا  
(٥) ت ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « وكان بينهم » . (٦) حواشى الأصل ، ت ، ف : « ذكره  
يزيد بن مفرغ الحميرى :

سَقَى هَزِيمُ الْأَوْسَاطِ مُنْبَجِسُ الْعُرَا مِنْ مَسْرُقَانِ فُسْرَقَا  
— هزيم الأوساط ؛ أى مجالجل بالرعد ، وهزيم الرعد : صوته ، وأوساطه ؛ أى أوساط السحاب .

الخمير ، قال : وما يدريك ولست من أهلها ؟ قال : رأيتُ فيها خَصْلَتَيْنِ عرفتُ أنها أطيْبُ  
الشراب بهما ، قال : وما هما ؟ قال : رأيتُ من أَحَلَّتْ له لا يَتَعَدَّها إلى غيرها ، ومن حُرِّمَتْ  
عليه يتناولها ، فعرفتُ أنها أطيْبُ الشراب .

ولحارثة بن بدر يخاطب عبید الله بن زياد لما تَغَيَّرَ عليه بعد اختصاصه كان بأبيه (١) :

[١٢٨] ط  
/ أَهَانُ وَأَقْصَى ثُمَّ تَنَصَّحُونِي وَأَيُّ أَمْرٍ يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا !  
رَأَيْتُ الْأَكْفَ الْمُصْلَتَيْنِ عَلَيْكُم مِلَاءٌ ، وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صِفْرًا  
وإِنِّي مَعَ السَّاعَى إِلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظَمِكُمْ كَسْرًا  
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَىَّ وَتَمَنَّوْا أَلاَّ لَدَى لِي لَا أَسْطِيعُ عَلَى ذَلِكَُمْ صَبْرًا  
وقال يعاتبه :

١٠  
وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرَيْتُ لَهُ الدُّنْيَا بِسِنْفِي فَدَرَّتِ  
إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُؤَادِي أَتَتْ بِهِ دَعَانِي وَلَا أَدْعَى إِذَا مَا أَقْرَتِ  
إِذَا مَا هِيَ أَحْلَوْلَتْ مَحَاقِقَ مَقْسَمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرَّتِ  
زَبَنَتْهُ : أَي دَفَعَتْهُ عَنْ أَنْ يَحْلُبَهَا . والفؤاد : اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين  
ومعنى أقرت : تركته يحلبها .

١٥ ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبدالله بن الزبير الأسدي يعاتب معاوية ومروان وأهل

بيته ؛ من جملة قصيدة ، وهي أبيات قوية جدًا :

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّينَ رِقَابَكُمْ وَنُدْعَى إِذَا مَا كَانَ حَزُّ الْكَرَّاكِ (٢)  
أُنْحِنُ أَخْوَكُمْ فِي الْمَضِيقِ وَسَهْمُنَا إِذَا مَا قَسَمْتُمْ فِي الْخِطَاءِ الْأَصَاغِرِ

— الخطاء : سهام صفار — .

(١) الخبر مبسوط في (الأغاني ٢١ : ١٥) ، والأبيات فيه منسوبة إلى أنس بن زعيم البثي .

(٢) الكراكر : جمع كركرة ؛ وهي صدر البعير . وفي حاشية الأصل : « مثله :

وإذا تكون كريمة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب



وَتَذِيكُمُ الْأَذْنَى إِذَا مَا سَأَلْتُمُ      وَنُلْقَى بَشْدَى حِينَ نَسَأُلُ بِاسِرٍ<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ كَانَ فِينَا الذَّنْبُ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ      أَخَذْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ نَاهٍ وَأَمِيرٍ<sup>(٢)</sup>

— معنى «من قبل ناهٍ وأمر» ، أى من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر به ، أى باجتنابه -

وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْ غَرِيبٍ بِأَرْضِكُمْ      لَوَيْتُمْ لَهُ يَوْمًا جُنُوبَ الْمَنَاحِرِ  
فَهَلْ يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ إِلَّا كِفْمِكُمْ      هَوَانَ السَّرَاةِ وَابْتِغَاءِ الْعَوَازِرِ<sup>(٣)</sup>  
وغيرَ نفسى عنكم ما فعلتم      وَذِكْرُ هَوَانٍ مِنْكُمْ مُتَظَاهِرٍ  
جَفَاؤُكُمْ مِنْ عَالَجِ الْحَرْبِ عَنْكُمْ      وَأَعْدَاؤُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَابٍ وَعَاشِرٍ<sup>(٤)</sup>  
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوَدَّكُمْ      وَقُلْ فِي فَوَادٍ قَدْ تَوَجَّهَ نَافِرٍ<sup>(٥)</sup>

ولحارث يرثى زياداً :

لَهْفَى عَلَيْكَ لِلْمَهْفَةِ مِنْ خَائِفٍ      يَبْنَى جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ  
أَمَّا الْقُبُورُ فَلَيْسَ أَوَانِسُ      بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالذَّيَارُ قُبُورُ  
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ      فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ  
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ      فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنُشُورُ

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وأظن أبا تمام الطائى نظر إلى قول حارثة

ابن بدر « ردت صنائعه إليه حياته » في قوله :

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مُذْ زَمَنْ ؟      فَقَالَ لِي : لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ<sup>(٦)</sup>

وأخبرنا على بن محمد السكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن - يعنى

ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : مرَّ حارثة بن بدر الغداني ، ومعه كعب مولاة ، فجعل لا يمرُّ

(١) باسر : قليل اللبن . (٢) حاشية ت : « أى إن أذنبنا الذنب الذى يذنب الناس مثله أخذنا

به من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر بالانكشاف عنه » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هوان »

بضم النون . (٤) الجابى : الذى يأخذ الجباية ، والعاشر الذى يأخذ العشر .

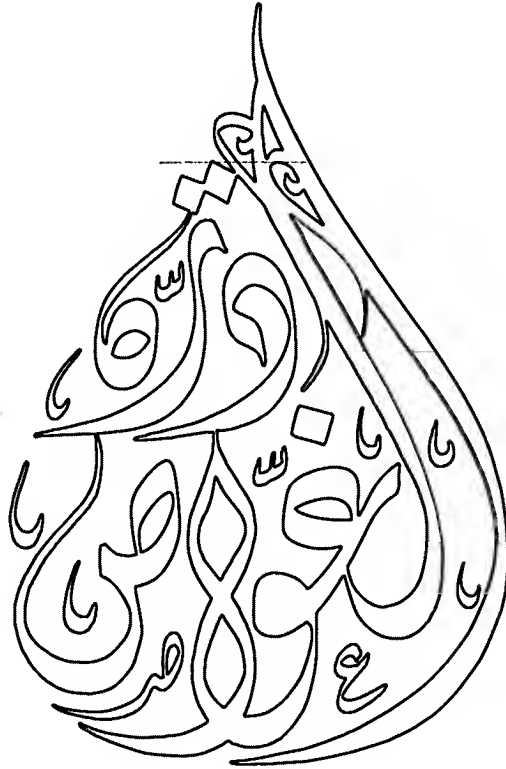
(٥) حاشية الأصل : « أى توجه إلى غيركم ونهر عنكم » . وفى وحاشية الأصل ( من نسخة ) : «

قد توجد » . (٦) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « يا شقيق الجود » .

بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا : مرحباً بسيدنا . فقال كعب : ما سمعت كلاماً قط هو أقرّ  
لعيني ، وألذّ في سمعي مما سمعته اليوم ! فقال حارثة : ولكنني ما سمعت كلاماً قط هو أكره  
إليّ منه ، ثم قال :

ذَهَبَ الرَّجَالُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ<sup>(١)</sup>  
وهذا البيت يقال إنه لحارثة ، لا أنه تمثّل به .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد  
قال قال الكناني : مرّ حارثة بن بدر بالأحنف بن قيس فقال : لولا أنك مستعجل  
لشاورتك ، قال له : أجل ، كانوا يكرهون أن يشاورَ الجائع حتى يشبع ، والظمان حتى  
ينقع ، والمُضِلَّ<sup>(٢)</sup> حتى يجيد ، والغضبان حتى يرضى ، والمحزون حتى يُفريق .



(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « غير مسوده » . (٢) المضل : الذي ذهب بعيره .

# مَجْلِسُ آخِرِ

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا / وَاللَّهُ سَرِيعٌ ﴾ [١٢٩] الْحِسَابِ ؛ [البقرة : ٢٠٢] .

فقال : أى تَمْدُحِ في سرعة الحساب ، وليس بظاهرٍ وجهُ المدحِ فيه ؟ .

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه :

أولها أن يكون المعنى أنه سريع المجازاة<sup>(١)</sup> للعباد على أعمالهم ، وأن وقتَ الجزاء ٥ قريب وإن تأخر ، ويجزى بجزى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [ النحل : ٧٧ ] .

وإنما جاز أن يمتدَّ عن المجازاة أو الجزاء بالحساب ؛ لأن ما يجازى به العبد هو كُفٌّ لفعله ولقداره ، فهو حسابٌ له إذا كان مماثلاً مكافئاً .

ومما يشهد بأن في الحساب معنى الكفاية والمكافأة قوله تعالى : ﴿ جَزَاءُ مِنْ رَبِّكَ ١٠ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ [ النبأ : ٣٦ ] ، أى عطاءٌ كافياً ، ويقال : أَحْسَبَنِي الطَّعَامُ يُحْسِبُنِي إِحْسَابًا إذا كَفَانِي ، قال الشاعر :

وَإِذْ لَا تَرَى فِي النَّاسِ حُسْنَ يَفُوتُهَا      وَفِي النَّاسِ حُسْنَ لَوْ تَأَمَّلْتَ مُحْسِبُ<sup>(٢)</sup>  
معناه كافٍ .

---

(١) ت : « الحساب » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « يصف امرأة بالحسن ويبالغ في وصفها ؛ يقول : مارأينا حسناً فأت هذه المرأة وتعداها مع أن مافي الناس كفاية حسن » .

وثانيها أن يكون المراد أنه عز وجل يحاسب الخلق جميعاً في أوقات يسيرة ، ويقال : إن مقدار ذلك مقدار حلب شاة ؛ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره <sup>(١)</sup> ؛ بل يكلمهم جميعاً ويحاسبهم كلهم على أعمالهم في وقت واحد ؛ وهذا أحد مايدل على أنه تعالى ليس بجسم ، وأنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة ؛ لأنه لو كان بهذه الصفات - تعالى عنها - لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ؛ ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ، ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة ؛ كما أن جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام إلى الآلات .

وثالثها ما ذكره بعضهم من أن المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب ، وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والإحصاء في أكثر أمورهم ؛ أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب ؛ وإنما سمي العلم حساباً لأن الحساب إنما يراد به العلم ؛ وهذا جواب ضعيف ؛ لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ، ولو سمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال إنه سريع العلم بكذا ؛ لأن علمه بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة .

ورابعها أن الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم ؛ وذلك أنه يسأل في وقت واحد [ ١٣٠ ] سؤالات مختلفة / من أمور الدنيا والآخرة ، فيجزى كل عبد بمقدار استحقاقه <sup>و</sup> ١٥ ومصلحته ، فيوصل إليه عند دعائه ومسالته ما يستوجبه بمقدار ؛ فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب ، فأعلمنا تعالى أنه سريع الحساب ، أى سريع القبول للدعاء بغير إحساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي ؛ كما يبحث المخلوقون للحساب والإحصاء ؛ وهذا الجواب مبنى أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع . وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد ٢٠ على ذلك بما يكون حجة فيه ، وإلا فلا طائل فيما ذكره .

ويمكن في الآية وجه آخر ، وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها ، وتكون الفائدة في الإخبار بسرعه الإخبار عن قرب الساعة ؛ كما قال تعالى : ﴿ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ .

وليس لأحد أن يقول : فهذا هو الجواب الأول الذي حكيموه ؛ وذلك أن بينهما فرقاً ؛ لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال ، وفي هذا الجواب ٥ لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة ، والمقابل بالاعمال وترجيحها ، وذلك غير الجزاء الذي يفرض الحساب إليه .

وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي عليّ الجُبَّائِيّ في اعتماده إياه <sup>(١)</sup> بأن قال <sup>(٢)</sup> : مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد ، وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ، ولا هو مما يتوعد بمثله ؛ فيجب أن يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة ١٠ والمجازاة على الأعمال .

وهذا الجواب ليس أبوعليّ هو المبتدئ به ، بل قد حكي عن الحسن البصريّ ، واعتمده أيضاً قُطْرُبُ بن المستنير النحويّ : وذكره الفضل بن سلمة ، وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له ، لأنه اعتمد على أن مخرج الآية مخرج الوعيد ، وليس كذلك ، لأنه تعالى قال : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ . ١٥ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢] ، فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب ، وراجعاً إلى الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ١٣٠ ط حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ، أو يكون راجعاً إلى الجميع ، فيكون المعنى : إن للجميع نصيباً مما كسبوا ؛ فلا يكون وعيداً خالصاً ؛ بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووعداً ، على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ

سَرِيعُ الْحِسَابِ ، على تأويل من أراد قَصْرَ الزمان ، وسرعة الموافقة وجه ، وتعلق بالوعد والوعيد ؛ لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد ، والإحاطة بخيرها وشرها ؛ وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة ؛ وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة ، لأن من علم أنه يحاسب بأعماله ، ويواقف<sup>(١)</sup> على جميعها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب .

فبهذا يُنصَر الجواب ، وإن كننا لاندفع أن في حمل الحساب على قرب المجازاة ، أو قرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن المقتبحات ؛ فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسقى الآية ، إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردول<sup>(٢)</sup> .

### تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؛ [البقرة: ٢١٢] .

١٠ فقال : أيُّ تمدُّح في الإعطاء بغير حساب ، وقد يكون المعطى بحساب أجزل عطية من المعطى بغير حساب ؟ .

الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون الفائدة أنه تعالى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه ، فالحساب هاهنا راجع إلى المرزوق لا إليه تعالى ؛ كما يقول القائل : ما كان كذا وكذا في حسابي ، أي لم أومله ، ولم أقدر أنه يكون ؛ وهذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف ؛ لأن الرزق إذا لم يكن محتسباً كان أهناً له وأحلى ؛ وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية أنه قال : عني بها أموال بني قريظة والنضير ، وأنها تصير إليكم بغير حساب ولا قتال ، على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها .

وثانيها أن الله تعالى يرزق مَنْ يشاء رزقا غير مضمّن ولا ممتّر؛ بل يزيد في السّعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين<sup>(١)</sup>، فيكون نفى الحساب فيه نفيا<sup>(٢)</sup> للتّضييق، ومبالغة في وصفه بالسّعة،

والعرب تسمّى العطاء القليل / محسوباً ، قال قيس بن الخطيم :

[١٣١]

أَتَى سَرِيَتْ وَكَفَتْ غَيْرَ سَرُوبٍ ! وَتُقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ<sup>(٣)</sup>

مَا تَمْنَعِي يَقْطِي فَقَدْ تَوَيْتَنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبٍ<sup>(٤)</sup>

وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق مَنْ يشاء ، أى من غير طاب للمكافأة أو إراغة لفائدة تعود إليه ، أو منفعة ترجع عليه ، لأنّ مَنْ شأن أهل الدنيا أن يُعطَوْا ليُكافئُوا ولينتفعُوا ، ولهذا يقال فيمن يقصد بالمعطية إلى هذه الأمور : فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ، ويناقشهم فيما يوصله إليهم ، وما أشبه ذلك ، فلما انتفت هذه الأمور من عطاياه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب .

ورابعها ما أجاب به قُطْرُب ، قال : معنى الآية يعطى العدد الكثير لا ممّا<sup>(٥)</sup> يضبطه الحساب ، أو يأتي<sup>(٦)</sup> عليه العدد ، لأن مقدوره تعالى لا يتناهى ، وما في خزائنه لا ينحصر ، ولا يصحّ عليه النفاذ ؛ وليس كالمعطى ممّا الألف من الألفين ، والعشرة من المائة ؛ لأن مقدار ما يتّبع له ويتمكّن منه محدود متناهٍ ، ولا تنهى ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه .

وخامسها أنه يعطى عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا ، وأزيد مما وجب لهم ، بحسابته إياهم على طاعتهم كما قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « عطاء للمخلوقين » . (٢) حاشية الأصل ( من نسخة )

« تقيضا » . (٣) ديوانه : ٥ ، وأمالى العالى ٢ : ٢٧٣ ، وحاشية ابن السجري : ١٨٩ ، والآل : ٥٢٤ . وفي حاشية الأصل : « يخاطب خيال امرأة رآها في المنام ؛ يتعجب من سير خيالها إليه وكانت غير معتادة لسير ، والسروب : السارى ، وقيل : السرب سير النهار » . وفي حاشية ت : « أتى سريت ... » . (٤) المصرد : المقطع ؛ وفي حاشية ت : « وبعده :

كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهُمَا فَاهْوَتْ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْذُوبٍ

(٥) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « مما لا يضبطه الحساب » .

(٦) ت : « إذ يأتي عليه العدد » .

حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴿٢٤٥﴾ [البقرة : ٢٤٥] وَكَأَيُّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [التغابن : ١٧] ، وَكَأَيُّ قَالَ تَعَالَى : ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر : ٣٠] .

وسادسها أن يكون المعطى منّا غيرَه شيئاً والرازق سواء رزقا قديكون له ذلك، فيكون فعله حسناً لا يُسأل عنه ، ولا يؤاخذ به ، ولا يُحاسب عليه؛ وربما لم يكن له ذلك، فيكون فعله قبيحاً يؤاخذ به ، ويحاسب عليه ، فنفي الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح، وما ليس له أن يفعله بنفي الحساب عنه ، وأنبأ أنه لا يَرْزُقُ ولا يُعْطَى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذمِّ ؛ وتجري الآية مجرى قوله تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة [١٣٠] غير قبيحة لم يجز أن يُسأل عنها / وإن سُئِلَ العباد عن أفعالهم ، لأنهم يفعلون الحسن ط والقبيح معاً .

وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبدَ وأعطاه من فضله كان الحسابُ عن العبد ساقطاً من جهة الناس ، فليس لأحد أن يقول له : لِمَ رَزَقْتَ؟ ولا يقول لربه : لِمَ رَزَقْتَهُ؟ ولا يسأله ربه عن الرزق ، وإنما يسأله عن إنفاقه في الوجوه التي يُنْفِقُهَا ، فيسْقُطُ (١) الحساب من هذه الوجوه عمّا يرزقه الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : ﴿بَغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

وثامنها أن يكون المرادُ بـ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يرزقه من أهل الجنة ، لأنه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ، ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر : ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر : ٤٠] .



## تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائلٌ عن الخبر الذى يُروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تَوَضَّؤُوا مِمَّا غَيَّرَ النَّارَ » ، فقال : ما المراد بالوضوء هاهنا ومذهبكم أن مَسَّ ما غَيَّرَته النارُ لا يوجب وضوءاً ؟

الجواب ، إن معنى « تَوَضَّؤُوا » أى نظَّفُوا أيديكم من الزُّهُومَةِ ، لأنه رُوِيَ أن جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزُّهُومَةِ ويقولون : فقدُّها أشدُّ علينا من ريحها ، فأمر عليه السلام بتنظيف الأيدي لذلك <sup>(١)</sup> .

فإن قيل : كيف يصح أن تحمِلُوا الخبرَ على اللفظ اللغوى ، مع انتقاله بالعرف الشرعى إلى الأفعال المخصوصة ، بدلالة أن مَنْ غَسَلَ يده أو وجهه لا يقول بالإطلاق : « تَوَضَّأت » ، ومتى سلِمَ لكم أن الوضوء أصلُه من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذى ذكرناه ، وكلامه عليه السلام أَخَصُّ بِالْعُرْفِ الشرعى ، وحمله عليه أولى من كَحْمَلِهِ على اللغة . ١٠

قلنا : ليس يُنْكَرُ <sup>(٢)</sup> أن يكون إطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة إلى عُرْفِ الشرع ، والمختصُّ بالأفعال المميَّنة ، وكذلك المضاف منه إلى الحدث أو الصلاة وما أشبههما <sup>(٣)</sup> . فأما المضافُ إلى الطعام وما جرى مجراه فباقٍ على أصله ؛ ألا ترى أنهم لو قالوا : تَوَضَّأتُ مِنَ الطعام ، ومن الغَمَرِ <sup>(٤)</sup> ، أو تَوَضَّأتُ للطعام لم يفهم منه إلا الغسل والتنظيف ، وإذا قالوا : تَوَضَّأتُ إطلاقاً ، أو تَوَضَّأتُ مِنَ الحدث أو للصلاة فُهِمَ منه / الأفعالُ الشرعية ؛ فليس [١٣٢] يُنْكَرُ ما ذكرناه من اختصاص النقل ، لأنه كما يجوز انتقالُ اللفظة من فائدة في اللغة إلى فائدة في الشرع على كلِّ وجه ، كذلك يجوز أن تنتقل على وجهٍ دون وجه ، وتبقى من الوجه الذى لم تنتقل منه على ما كان عليه في اللغة .

وقد ذهب كثير من الناس إلى أن إطلاق لفظة « مؤمن » منتقل من اللغة إلى عرف

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « عن ذلك » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « ليس تنكر »

(٣) في حاشيتي ت ( من نسخة ) : « وما أشبهها » . (٤) الغمر ، بالتحريك : زنج اللحم .

الدين ومختصّ باستحقاق الثواب ، وإن كان مقيداً بها بافياً على ما كان عليه في اللغة .  
وبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن أنه قال : « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعده ينفي  
اللمم » ؛ وإنما أراد غسل اليدين بغير شك . وروى عن قتادة أنه قال : « غَسْلُ اليد وضوء »  
وروى عكرّاش<sup>(١)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وآله أكل<sup>(٢)</sup> وغسل يده ومسح ببلل يده  
وجبه<sup>(٣)</sup> وذراعيه ورأسه<sup>(٤)</sup> ، وقال : « هكذا الوضوء ممّا مست النار » ، على أنه لو كانت  
هذه اللفظة منتقلة على كل حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصحّ أن نحمله<sup>(٥)</sup> في الخبر  
على خلاف ذلك ، وزدّها إلى أصلها بالأدلة ، وإن كان الأولى لولا الأدلة أن تحمل على  
مقتضى الشرع<sup>(٥)</sup> .

فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله أكل كَتِفَ  
١٠ شاةٍ ، وقام فصلي ولم يتوضأ . وروى عطاء عن أمّ سلمة قالت : قرّبتُ جنباً مشوياً إلى النبي صلى  
الله عليه وآله ، فأكل منه ، وصلي ولم يتوضأ . وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال : كان  
آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء ممّا مست النار<sup>(٦)</sup> .

وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر ، فكيف وقد  
بينّا أنه لا ظاهر له !

١٥ فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي هي الحسن ، فلما كان من غسل يده ونظفها  
قد حسنها قيل وضأها ؛ ويقال : فلان وضى الوجه وقوم وضاء ، قال الشاعر :

(١) هو عكرّاش بن ذؤيب بن حرقوس ، وفي ت ، ف : « عكرمة عن أنس » .

(٢-٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « وغسل يديه ، ومسح ببلل يديه » .

(٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « وبلل ذراعيه رأسه » . (٤) ت ، د ، ومن نسخة بحاشيتي

الأصل ، ف : « نحملها » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما نحمل اللفظة على العرف الشرعي فيما يتعلق بالأحكام

الشرعية حسب » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان في الأول يتوضأ ممّا مسته النار ثم ترك » .

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذُو أُنَاةٍ مَرَّاجِيحٌ وَأَوْجُهُهُمْ وَضَاءٌ<sup>(١)</sup>

والوَضُوءُ ، بضم الواو : المصدر ، وكذلك أيضاً التَّوَضُّؤُ والوَضُوءُ ، بفتح الواو : اسم ما يتوضأ به ، وكذلك الوُقُودُ اسم لما تُوقَدُ به النار : والوُقُودُ ، بالضم : المصدر ، ومثله التَّوَقُّدُ ، [١٣٢] وقد يجوز أن يكون الوُقُودُ ، بفتح الواو : المصدر ، وكذلك الوَضُوءُ بفتح الواو ؛ كما قالوا : حَسَنَ الْقَبُولِ ، فُجِّلُوا الْقَبُولَ مُصَدِّراً ، وهو مفتوح الأول ، ولا يجوز في الوُقُودِ والوَضُوءِ ه بالضم إلا معنى المصدر وحده ، قال جرير .

أَهْوَى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وَقُودَا أُمُّ الْجَنِينَةِ مِنْ مَدَافِعِ أُوْدَا<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر :

إِذَا سُهَيْلٌ لَاحَ كَالْوُقُودِ فَرَدَا كَشَاةَ الْبَقَرِ الْمَطْرُودِ  
وقال آخر :

وَأَجَجْنَا بِكُلِّ يَفَاعٍ أَرْضِ وَقُودَ النَّارِ لِلْمَتَنُورِينَا<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال : أتيتُ عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود<sup>(٤)</sup> يوماً في منزله ، فإذا هو مَغِيظٌ<sup>(٥)</sup> يَنْفُخُ ، فقالت له : مالي أراك هكذا ! ١٥ قال : دخل على<sup>(٦)</sup> عاملكم هذا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان (١) حاشية ف : « السمع : الأجواد والجمع سمحاء ؛ ومساميح ؛ كأنه جمع مسماح . والمراجيح : الخلاء . »

(٢) ديوانه ١٦٩ . ورامة والجنينة وأود : مواضع . والمدافع : جمع مدفع ؛ وهو مسيل الماء إلى الوادي وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : الذي يريك وقود النار بهذه المواضع عشق هذا . »

(٣) اليفاع : المرتفع من الأرض ؛ والمتنور : من ينظر إلى النار من بعيد ؛ قال امرؤ القيس :

تَنْوَرُنِيهَا مِنْ أَدْرِعَاتِ وَأَهْلُهَا بِيَثْرَبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ

(٤) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفي سنة ٩٨ ؛ وكان ضريراً ؛ ذكره الصفدي في نكت الهميان :

١٩٧-١٩٨ ، وانظر ترجمته وأشعاره في الأغاني ٨ : ٨٨-٩٥ . (٥) من نسخة بمواشي الأصل ، ت ، ف : « متغيظ . » (٦) ت : « دخلت على عاملكم . »

فسلمت، فلم يردّا على السلام، فقلت<sup>(١)</sup>:

أَلَا أبلغا عنّي عراكَ بن مالكٍ      فإن أنت لم تفعلْ فأبلغْ أبا بكرٍ<sup>(٢)</sup>  
فقد جمعتُ تبدؤَ شوا كل منكما      فإنكما بي موقرانِ مِنَ الصّخرِ<sup>(٣)</sup>  
وطاوعتما بي غادراً ذا معاكةٍ      لعمري لقد أوري وما مثله يُوري<sup>(٤)</sup>

— يقال : معك به وسدل به<sup>(٥)</sup> إذا تعرض له بشر<sup>(٥)</sup> —

فلولا اتقا الله اتقائي فيكما      لأمثكما لوماً أحرَّ مِنَ الجمرِ<sup>(٦)</sup>  
فمسا تراب الأرض، منها خلقتما      وفيها المعاد والمقام إلى الحشرِ  
ولا تأنفا أن تُغشيا فتكلما      فما حشيت الأقوام شراً مِنَ الكبرِ<sup>(٧)</sup>  
ولو شئت أدلى فيكما غير واحدٍ      علانية أو قال عندى فى السرِّ<sup>(٨)</sup>

/ — معناه : لو شئت اغتابكما عندى غير واحد —

فإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما      ضحكت له حتى يليج ويستشري<sup>(٩)</sup>  
وكيف تريدان ابن سبعين حجةً      على ما أنى وهو ابن عشرين أو عشرين<sup>(١٠)</sup>

(١) الخبر يرويه عن ابن شهاب في (الأغانى ٨ : ٩١-٩٢)، وفيه رواية أخرى أيضاً ص ٩١ عن ابن اديس : « كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زماناً ؛ ثم إن ابن حزم ولى أمرتها ، وولى عراك الغضاء ، وكانا يبران بعبيد الله فلا يسلان عليه ولا يقفان — وكان ضريراً — فأخبر بذلك فأنشأ يقول ... » ، وأورد الأبيات (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « ألا أبان » ، (٣) الشواكل : جمع شاكلة ؛ وهى الخاصرة ، وأراد بها هاهنا أموراً ينسكرها . وبنى ؛ أى بمكانى (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله : « وطاوعتاني » فى حيز التشبيه ؛ يقول : كأنكما موقران ، وكأنكما إذ طاوعتاني طاوعتما غادراً عريضاً . ثم قال : لعمري لقد أوري هذا الفعل منكما ؛ أى فسد من وري جوفه ؛ أو أوقد — يعنى شرا ، أى أثر وكنت لا أنأثر بمثل ذلك »

(٥-٥) ت : « إذا تعرض به لشر » . (٦) حاشية ف : « أى لولا اتقائي بتقى الله لأمثكما ؛ وهو مثل ؛ ويجوز أن يكون قوله : « اتقائي » مفعولاً له ؛ أى للاتقاء . (٧) ت ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « تسكلما » ، بكسر اللام المشددة وفى حاشية الأصل أيضاً ( من نسخة ) : « أن ترجما فتسلما » . (٨) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عندى فى سر » . يقال : أدلى فلان فى فلان إذا قال فيه قولاً قبيحاً . (٩) الضمير فى « له » يعود إلى المفتاب ، واستشمرى فى الأمر : لج فيه ؛ أى يجترى ويظهر ؛ وأصل الكلمة الاستخراج . (١٠) يريد أن يقول : كيف تريداننى على ما امتنعت عنه وأنا صبي !

تَقْد عَلِقَتْ دَلُوا كَمَا دَلَوْ حَوْلَ مِّنَ الْقَوْمِ لَا رِخْوَ الْمَرَّاسِ وَلَا نَزْرٍ<sup>(١)</sup>  
قال ابن شهاب : فقلت له : مثلك يَرَحُّكَ اللهُ مع نُسُكِكَ وَفَضْلِكَ وَفَهْمِكَ<sup>(٢)</sup> يقول  
الشعر ! فقال : إن المصدور إذا نفث بَرِيء .

وإنما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن حزم — وكانا صديقيه — كناية بذكرهما  
عن ذكر غيرهما .

وقد جاءت رواية أخرى أن أبا بكر بن عمر<sup>(٣)</sup> بن حزم وعراك بن مالك كانا يجتازان على  
عبيد الله فلا يستلمان عليه، فقال الأبيات بخاطبهما بها .

وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

إذا كَانَ لِي سِرٌّ فَحَدَّثْتُهُ الْعِدَى وَضَاقَ بِهِ صَدْرِي ، فَلَلْنَّاسُ أَعْدَرُ<sup>(٤)</sup>  
هُوَ السِّرُّ مَا اسْتَوْدَعْتُهُ وَكَيْتَمْتُهُ وَلَيْسَ بِسِرٍّ حِينَ يَفْشُو وَيُظْهِرُ<sup>(٥)</sup>

وأنشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة بن مسعود :

أَوَاخِي رِجَالًا كَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ إِنَّ صَدْرِي وَاسِعُهُ  
إِذَا هِيَ حَلَّتْ وَسَطَ عُودِ ابْنِ غَالِبٍ فَذَلِكَ وَدَّ نَارِخٌ لَا أَطَالِعُهُ<sup>(٦)</sup>  
تَلَاَقَتْ حِيَازِمِي عَلَى قَلْبِ حَازِمٍ كَتُومٍ لِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ أَضَالِعُهُ<sup>(٧)</sup>  
بَنَى لِي عَبْدُ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْعَلَا وَغُتْبَةُ بَجْدًا لَا تُنَالُ مَصَانِعُهُ<sup>(٨)</sup>

والبیت الأول يشبه قول مسكين الدارمي :

وَفِتْيَانٍ صِدْقٍ كَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعِي<sup>(٩)</sup>

(١) حول : شديد الاحتيال ؛ أى أنكما ، وقعتما على من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما .

(٢) من نسخة بجوانش الأصل ، ت ، ف : « وفهيك » . (٣) حاشية ( من نسخة ) :

« عمرو » . (٤) العدى بالكسر : الأجانب ، وباضم الأعداء . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) :

« وحفظته » . (٦) الضمير يعود على المودة ، وعود : جمع عائد ، وهى الحديثة التناج من الإبل وغيرها .

(٧) فى الأغاني : « شددت حيازيمى » . والحيزوم : وسط الصدر . ومن نسخة بجوانش الأصل ،

ت : « ضمت » ، بالبناء للمعلوم (٨) المصانع : الأبنية . (٩) الحماسة — بشرح التبريزى ٣ : ١٢٦ .

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله :

تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي      فَبَادِيهِ مَعَ الْخَلْفَى يَسِيرُ<sup>(١)</sup>  
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ      وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ  
/ شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ      هَوَاكَ فَلْتَأَمَّ الْفُطُورُ<sup>(٢)</sup>  
أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا      أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ  
غَنَى النَّفْسِ أَنْ أُزْدَادَ حُبًّا      وَلَكِنِّي إِلَى وَصْلِ فَقِيرٍ<sup>(٣)</sup>

[١٣٣]  
ط  
٥

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

أَخْلَلْتُ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحِلَّةً      مَاحِلَهَا الْمَشْرُوبُ وَالْمَأْكُولُ<sup>(٤)</sup>  
وأخذه المتنبي في قوله :

وَاللَّسَّرُ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ      نَدِيمٌ وَلَا يَفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ<sup>(٥)</sup>      ١٠  
وَكَنَّ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ أَلَمَّ بِهِ فِي قَوْلِهِ :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي قُرَى وَسَطُهُ      اسْمُكَ وَالتَّوْحِيدُ فِي سَطْرِ  
وقال الصاحب السماعيل بن عباد :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَوْا وَسَطُهُ      سَطْرُ بَيْنِ قَدْ خُطَا بِلا كَاتِبِ  
الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ      وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ      ١٥

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

لَعَمْرُؤُ أَبَى الْمُحْصِينَ أَيَّامَ نَلْتَقَى      لِمَا لَا نَلَا قِيَهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

(١) الأبيات في أمالي القالي ٣ : ٢١٧ ، وذكر صاحب الأغاني أن عثمة روجه .

(٢) الفطور : الشقوق . (٣) حاشية ت : « يعني أنه يستغنى عن ازدياد حب إلى حبه ، لأنه

قد تناهى . وأن ازداد ، يعني : عن أن ازداد » . (٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « المأكول

المشروب » . (٥) ديوانه : ١٩٢ .

يَعْدُونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَتَيْتُهَا وَيَسْوُونَ مَا كَانَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَهْجُرُ  
فَإِنْ يَكُنِ الْوَاشُونَ أَغْرُوا بِهَجْرِنَا (١) فَإِنَّا بِتَجْدِيدِ الْمَوَدَّةِ أَجْدَرُ

ومن مستحسن قوله :

لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بِعُثْمَةَ دَارُهَا لَقَدْ كُنْتُ فِي وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلْبَحُ (٢)  
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَيُحْسَبُ أُنَى فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ  
أخذ هذا المعنى بشار، فقصّر عنه في قوله :  
يُصْبِحُ مُحْزُونًا وَيُمْسِي بِهِ وَلَيْسَ يَدْرِي مَالَهُ عِنْدَكَ



(٢) ت ، وحاشية الأصل من نسخة : « من وشك الفراق » .

(١) م : « بهجرتها » .

والبح : أشفق .

# مَجْلِسُ آخِرِ

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاسِبًا عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۖ ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

[١٣٤] فقال : أليس هذا تصريحاً منه بأنَّ الله تعالى يجوزُ أَنْ يَشَاءَ الكفرَ والقيبحَ ؛ لِأَنَّ مِلَّةَ / قَوْمِهِ كَانَتْ كُفْرًا وَضَلَالًا ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَعُودُ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ؟

الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

أولها أَنْ تَكُونَ الْمِلَّةُ الَّتِي عَنَّاها اللَّهُ إِنَّمَا هِيَ الْعِبَادَاتُ الشَّرْعِيَّاتُ ؛ الَّتِي كَانَ قَوْمُ شُعَيْبٍ مَتَمَسِّكِينَ بِهَا ؛ وَهِيَ مَنْسُوخَةٌ عَنْهُمْ ، وَلَمْ يَعْنِ بِهَا مَا يَرْجِعُ إِلَى الْإِعْتِقَادَاتِ فِي اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ؛ مِمَّا لَا يَجُوزُ أَنْ تَخْتَلِفَ <sup>(١)</sup> الْعِبَادَةُ فِيهِ ، وَالشَّرْعِيَّاتُ يَجُوزُ فِيهَا اخْتِلَافُ الْعِبَادَةِ ؛ مِنْ حَيْثُ تَبَيَّنَتْ <sup>(٢)</sup> الْمَصَالِحُ وَالْأُلُطَافُ وَالْمَعْلُومَ مِنْ أَحْوَالِ الْمَكْلَفِينَ ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِنْ مَلَّتْكُمْ لَا نَعُودُ فِيهَا ؛ مَعَ عَلَمِنَا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ نَسَخَهَا وَأَزَالَ حُكْمَهَا ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتَعَبَّدَنَا بِمِثْلِهَا فَنَعُودَ إِلَيْهَا ؛ وَتِلْكَ الْأَفْعَالُ الَّتِي كَانُوا مَتَمَسِّكِينَ بِهَا ؛ مَعَ نَسْخِهَا عَنْهُمْ وَنَهْيِهِمْ عَنْهَا - وَإِنْ كَانَتْ ضَلَالًا وَكُفْرًا - فَقَدْ كَانَ يَجُوزُ فِيهَا هُوَ مِثْلُهَا أَنْ يَكُونَ إِيمَانًا وَهُدًى ؛ بَلْ فِيهَا أَنْفُسُهَا قَدْ كَانَ يَجُوزُ ذَلِكَ ؛ وَلَيْسَ تَجْرِي هَذِهِ الْأَفْعَالُ بِجَرَى الْجَهْلِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا قَبِيحًا . ١٥

وَقَدْ طَعَنَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَذَا الْجَوَابِ فَقَالَ : كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَبَّدَ اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الْمِلَّةِ مَعَ قَوْلِهِ : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا ۖ ﴾ ؟

(١) ت : « اخْتِلَافُ الْعِبَادَةِ . (٢) حَاشِيَةُ ت ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « تَتَّبِعْ » .



فيقال له : لم ينفِ عَوْدَهُمْ إِلَيْهَا عَلَى كُلِّ وَجْهِ ؛ وَإِنَّمَا نَفَى الْعَوْدَ إِلَيْهَا مَعَ كَوْنِهَا مَنْسُوخَةً مِنْهَا ،  
عنها ؛ وَالَّذِي عَلَّقَهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعَوْدِ إِلَيْهَا هُوَ بَشَرٌ أَنْ يَأْمَرَ بِهَا ، وَيَتَعَبَّدَ بِمَثَلِهَا ،  
وَالْجَوَابُ مُسْتَقِيمٌ لَا خِلَلٌ فِيهِ .

وثَانِيهَا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ أَبَدًا مِنْ حَيْثُ عَلَّقَهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا  
أَنَّهُ لَا يَشَاءُ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ غُلِقَ بِمَا لَا يَكُونُ فَقَدْ نَفَى كَوْنُهُ عَلَى أَبَدِ الْوُجُوهِ ؛ وَتَجْرَى الْآيَةُ ٥  
مَجْرَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ؛ [ الْأَعْرَافُ : ٤٠ ]  
وَكَأَيُّ قَوْلِ الْقَائِلِ : أَنَا لَا أَفْعَلُ كَذَا حَتَّى يَبْيُضَّ الْقَارُ ؛ أَوْ يَشِيبَ الْغَرَابُ ؛ وَكَأَيُّ الشَّاعِرِ :  
وَحَتَّى يَثُوبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيُنْشَرَ فِي الْقَتْلِ كُليْبٌ لَوْ أَثَلُ (١)  
وَالْقَارِظَانِ لَا يَثُوبَانِ أَبَدًا ، وَكُليْبٌ لَا يُنْشَرُ أَبَدًا ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِنْ هَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا .

وَالثَّالِثَا / مَا ذَكَرَهُ قُطْرُبُ بْنُ الْمُسْتَنِيرِ مِنْ أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا ، وَأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ [ ١٣٤ ]  
مِنْ الْكُفَّارِ وَقَعَ لَا مِنْ شُعَيْبٍ ؛ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ حَاكِيًا عَنِ الْكُفَّارِ : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ  
يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾ ؛ [ الْأَعْرَافُ : ٨٨ ] ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ  
تَعُودَ فِي مِلَّتِنَا ؛ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنِ شُعَيْبٍ : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ عَلَى  
كُلِّ حَالٍ .

وَرَابِعُهَا أَنْ تَعُودَ الْهَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ : ﴿ فِيهَا ﴾ إِلَى الْقَرْيَةِ لَا إِلَى الْمِلَّةِ ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ ١٥  
الْقَرْيَةِ قَدْ تَقَدَّمَ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُ الْمِلَّةِ ؛ وَيَكُونُ تَلْخِيصُ الْكَلَامِ : إِنَّا سَنَخْرِجُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ،  
وَلَا نَعُودُ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ بِمَا يُنِيجُزُهُ لَنَا مِنَ الْوَعْدِ فِي الْإِظْهَارِ عَلَيْكُمْ ، وَالظَّفَرُ بِكُمْ ،  
فَنَعُودُ إِلَيْهَا .

وَخَامِسُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، فَتَكُونُ جَمِيعًا عَلَى

(١) الْبَيْتُ لِأَبِي ذُوؤَيْبٍ الْهَذَلِيِّ ، دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ ١ : ١٤٥ . وَالْقَارِظَانِ هُمَا رَجُلَانِ مِنْ عُبَيْرَةٍ ؛ خَرَجَا  
يَنْتَحِيانِ الْقَرْظَ وَيَجْتَنِيَانِهِ ، فَلَمْ يَرْجِعَا ؛ فَضَرَبَ بِهِمَا الْمَثَلُ ؛ وَانْظُرِ اللَّسَانَ ( قَرْظٌ ) ، وَشَرَحَ دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ .

ملة واحدة غير مختلفة ؛ لأنه لما قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ كان معناه : أو لنكوننَّ على ملة واحدة غير مختلفة ، فحسن أن يقول من بعد : إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .

فإن قيل : الاستثناء بالمشيئة إنما كان بعد قوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ ؛ فكأنه قال : ليس نعودُ فيها إلا أن يشاء الله ، فكيف يصح هذا الجواب ؟

قلنا : هو كذلك ؛ إلا أنه لما كان معنى ﴿ أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ ، هو أن نصير ملتناً واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أن نتفق في الله بأن ترجعوا أنتم إلى الحق .

فإن قيل : فكأنَّ الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق !

قلنا : بل قد شاء ذلك ، إلا أنه ما شاءه على كل حال ، بل من وجهٍ دون وجه ، وهو

أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ؛ ليستحقُّوا الثواب الذي أُجِرَى<sup>(١)</sup> بالتكليف إليه ،

ولو شاءه على كل حال لما جاز ألا يقع منهم ؛ فكأن شعيباً عليه السلام قال : إن ملتنا

لا تكون واحدة أبداً ؛ إلا أن يشاء الله أن يلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقنا

في ملتنا ؛ والفائدة في ذلك واضحة ؛ لأنه لو أطلقنا لا نتفق أبداً ، ولا نصير ملتنا واحدة

لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال ؛ فأفاد بتعليقه<sup>(٢)</sup> له بالمشيئة

هذا الوجه ؛ ويجرى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ مجرى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

لَا مَن مِّنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾ ؛ [ يونس : ٩٩ ] .

[ ١٣٥ ] وسادسها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ، / ويخلى

بينكم وبينه ، فنعود إلى<sup>(٣)</sup> إظهارها مكرهين ؛ ويقوى هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَوْ كُنَّا

كَارِهِينَ ﴾ ؛ [ الذعراف : ٨٨ ] .

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « الذي أُجِرَى » بالألف . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « فأفاد

تعليقه » . (٣) حاشية ت ( من نسخة ) : « فنعود في إظهارها » .

وسابغها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه؛ لأن إظهار كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهارها؛ وقوله : ﴿أَوْ أَوْكِنَّا كَارِهِينَ﴾ يقوَّى هذا الوجه أيضاً .

فإن قيل : فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع ؟

قلنا : يجوز أن يكون لم يُرد بالاستثناء نفسه بل قومه ؛ فكأنه قال : وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه ؛ وهذا جائز غير ممتنع .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبْقَتْ غِنًى ، وَالْيَدُ الْعَالِيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السَّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » .

١٠

وقد قيل في قوله : « خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبْقَتْ غِنًى » : قولان :

أحدهما أن خير ما تصدقت به ما فضل عن <sup>(١)</sup> قوت عيالك وكفايتهم ، فإذا خرجت صدقتك عنك إلى مَنْ أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ؛ ومثله في الحديث الآخر : « إِنَّمَا الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنًى » . وقال ابن عباس رحمة الله عليه في قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ ؛ [ البقرة : ٢١٩ ] ؛ قال : ما فضل عن أهلك .

١٥

والجواب الآخر ، أن يكون أراد : خير الصدقة ما أغنيت به مَنْ أعطيت عن المسألة ، أي تجزّل له في العطية ، فيستغنى بها ويكف عن المسألة ؛ وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم ، فيدفعها إلى رجل واحد محتاج ، فيستغنى بها ويكف عن المسألة ، فذلك أفضل من أن يدفعها إلى مائة رجل لا تبين عليهم .

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « ما فضل من قوت عيالك » .

والتأويل الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله : « وأبدأ بمن تعمل » ، ويشهد له الحديث الآخر أيضاً : « إنما الصدقة عن ظهر غنى » .

وقوله : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، قال قوم : يريد أن اليد المعطية خير من الآخذة ، وقال آخرون : إن العليا هي الآخذة ، والسفلى هي المعطية .

وقال ابن قتيبة : ولا أرى هؤلاء إلا قوماً استطابوا السؤال ؛ فهم يحتججون للدناءة ؛ ولو كان هذا يجوز لقليل : إن المولى من فوق هو الذى أعتق ، والمولى من أسفل هو الذى أعتق ، والناس إنما يعملون بالمطايا لا بالسؤال .

قال سيدنا أدام الله علوه : وعندى أن معنى قوله عليه السلام : « اليد العليا خير من اليد السفلى » غير ما ذكر من الوجهين جميعاً ؛ وهو أن تكون اليد هاهنا هي العطية والنعمة ؛ لأن النعمة قد تسمى يداً في مذهب أهل اللسان بغير شك ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله أراد أن العطية الجزيلة خير من العطية القليلة . وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المكارم ، وتحضيض على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً .

ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين<sup>(١)</sup> المتقدمين في قوله : « ما أبت غنى » ، وهذا أشبه وأولى من أن تحمل اليد على الجارحة ؛ لأن من ذهب إلى ذلك وجعل العطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله ؛ لأن فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطى ؛ ولفظة « خير » لا تحمل إلا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب ؛ فأما من جعل الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً ؛ مع أنه قد قال قولاً شنيعاً<sup>(٢)</sup> ، وعكس الأمر على ما ذكر<sup>(٣)</sup> ابن قتيبة .

فإن قيل : كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه السلام : « خير الصدقة ما أبت غنى » ٢ . وهى<sup>(٤)</sup> لا تبقى غنى إلا بعد أن تنقص من غيرها ؛ وإذا كانت العطية التى هى أجزل

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أحد الخبرين » . (٢) م : « شنيعاً » .

(٣) م : « ما قال » . (٤) ت : « فهى » .

أَفْضَلُ فَتِلْكَ لَا تُبْقِي غِنًى ، والتي تَبْقَى غِنًى لَيْسَتْ الْجَزِيلَةُ ، وهذا تناقض .

قلنا : أماتأويلنا لمطابق<sup>(١)</sup> للوجهين المذكورين في قوله : « مَا بَقَّتْ<sup>(٢)</sup> غِنًى » ؛ لَأَنَّ مَنْ تَأَوَّلَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْمَعْطَى ، وَأَنَّ خَيْرَ الْعَطِيَةِ مَا أَغْنَتْهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَالْمُطَابَقَةُ ظَاهِرَةٌ ، وَمَنْ تَأَوَّلَهُ عَلَى الْوَجْهِ الْآخَرِ ، وَحَمَلَ مَا بَقِيَ الْغِنَى عَلَى الْمَعْطَى وَأَهْلَهُ وَأَقَارِبِهِ ؛ فَتَأَوَّلْنَا أَيْضًا مُطَابِقَ لَهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْعَطَايَا الَّتِي يَبْقَى بِعِدهَا الْغِنَى عَلَى الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ جَزِيلٌ وَغَيْرُ جَزِيلٍ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا بَقَّتْ<sup>(٣)</sup> غِنًى » بِعِدِّ إِخْرَاجِهَا ؛ وَالْعَطِيَةُ الْجَزِيلَةُ الَّتِي تُبْقَى بِعِدهَا غِنًى خَيْرٌ مِنَ الْقَلِيلَةِ ، فَمَدَحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعِدِّ إِبْقَاءِ الْغِنَى جَزِيلَ الْعَطِيَةِ ، وَحَثَّ عَلَى الْكَرَمِ وَالْفَضْلِ .

\*\*\*

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَمِيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ جَنَيْقًا قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَمِيدٍ اللَّهُ الْحَكِيمِيُّ قَالَ أُمَلِّئْ عَلَيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ / أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النَّحْوِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لثَابِتٍ قُطْنَةَ [١٣٦] الْعَتَكِيِّ<sup>(٣)</sup> :

يَا هِنْدُ كَيْفَ بَنُصِبَ بَاتَ يُبْكِنِي وَعَاثِرٌ فِي سَوَادِ الْعَيْنِ يُؤْذِنِي<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ لَيْلِي وَالْأَصْدَاءَ هَاجِدَةً لَيْلُ السَّلِيمِ وَأَعْيَا مِنْ يَدَاوِينِي  
لَمَّا حَسَى الدَّهْرُ مِنْ قَوْسِي وَعَذَّرَنِي شَيْبَى وَقَاسَيْتُ أَمْرَ الْغِلَظِ وَاللَّيْنِ<sup>(٥)</sup>

- (١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فيضابق الوجهين » . (٢) ت : « مَا بَقَّتْ » .  
(٣) هو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس ؛ من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، ونقب قطنة ؛ لأنَّ مِمَّا أَصَابَهُ فِي عَيْنِهِ فِي بَعْضِ حُرُوبِ التُّرْكِ . وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ وَأَخْبَارَهُ وَأَشْعَارَهُ فِي ( الْأَغَانِي ١٣ : ٤٧-٤٤ هـ ، وَالْخَزَائِنَةُ ٤ : ١٨٥-١٨٧ هـ ، وَالشَّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٦١٢-٦١٣ ) .  
(٤) القصيدة في رثاء الفضل بن المهلب ؛ وَهِنْْدُ هِيَ بِنْتُ الْمُفَضَّلِ ؛ دَخَلَ عَلَيْهَا ثَابِتٌ ، وَالنَّاسُ حَوْلَهَا جُلُوسٌ يَمْرُؤُنَهَا ؛ فَلَمَّا أَنْشَدَهَا هَذِهِ الْقَصِيدَةَ قَالَتْ : لَيْسَتْ الْمَصِيبَةُ فِي قَتْلِ مَنْ اسْتَشْهَدَ ذَابًا عَنْ دِينِهِ ، مَطِيعًا لِرَبِّهِ ؛ وَلَئِنَّمَا الْمَصِيبَةُ فِيمَنْ قُتِلَتْ بِصِرَتِهِ ، وَخَلَّ ذَكَرَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ؛ وَأَرْجُو أَلَّا يَكُونَ الْمُفَضَّلُ عِنْدَ اللَّهِ خَامِلًا .  
وَالْقَصِيدَةُ فِي ( أُمَلِّئِ الزَّجَاجِي ١٣٠-١٣١ هـ ، وَأَبْيَاتُهَا مِنْهَا فِي الْأَغَانِي ١٣ : ٥١-٥٢ هـ ) . النَّصْبُ : الْبَلَاءُ وَالْعَذَابُ . وَالْعَاثِرُ : الْغَدَى وَالرَّمْدُ ، وَكَذَلِكَ الْعَوَّارُ .  
(٥) عَذَّرَنِي شَيْبَى ؛ أَيْ شَيْبَتْنِي مِنْ جَانِبِي وَجْهِي ؛ مِنَ الْعَذَارِينَ .

- إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا غَسَّانَ ارَّقَنِي هَمٌّ إِذَا عَرَضَ السَّارُونَ يُشْجِينِي<sup>(١)</sup>  
 كَانَ الْمَفْضَلُ عِزًّا فِي ذَوَى يَمَنِ وَعِصْمَةٌ وَثَمَالًا لِلْمَسَاكِينِ<sup>(٢)</sup>  
 غِيثًا لَدَى أَرْزَمَةٍ غِبْرَاءَ شَاتِيَةٍ مِنْ السَّنَنِ وَمَأْوَى كُلِّ مِسْكِينِ<sup>(٣)</sup>  
 إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلَى لَوْ شَهِدْتُهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَا دُونِي  
 لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِذْ لَمْ نَجْنِ بَعْدَهُمْ حَرْبًا تُنِي بِهِمْ قَتْلَى فَتَشْفِينِي  
 لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ، وَغُفَّةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي<sup>(٤)</sup>  
 [ أَنْظُرُ فِي الْأَمْرِ يَعْنِينِي الْجَوَابُ بِهِ وَلَسْتُ أَنْظُرُ فِيمَا لَيْسَ يَعْنِينِي ]<sup>(٥)</sup>  
 لَا أُرْكَبُ الْأَمْرَ تُزْرِي بِي عَوَاقِبُهُ وَلَا يَغِيبُ الْجَهْلُ حَلْمِي عِنْدَ مَقْدَرَةٍ  
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ لَمْ يَأْخُذِ النِّصْفَ مِنِّي حِينَ يَرَمِينِي<sup>(٦)</sup>  
 ١٠

قال سيدنا أدام الله علوه : وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة<sup>(٨)</sup> وتداخل أبياتاً على هذا الوزن ؛ وهي التي يقول فيها :

لقد علمتُ وما الإشرافُ من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأبيني  
 أسمى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

(١) ت : « إذا عرض » ، م : « إذا عرس » . (٢) في ذوى يمن ، أى في اليامين ، وفي حاشية الأصل ( من نسخة ) : « في ذرى يمن » ، جمع ذروة . وثمال المساكين : غياث لهم ، من ثملهم ثملاً إذا أطعمهم وسقاهم وقام بأمرهم . (٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لدى أزيمة » . والأزيمة : الفحط . ويقال : شتا القوم إذا أجذبوا في الشتاء خاصة ، وقال الأزهري : العرب تسمى الفحط شتاء ، لأن الجاعات أكثر ماتنهم في الشتاء البارد . (٤) الغفة : البلغة من العيش . وفي أمالي لزجاجي : « من قليل العيش » . (٥) تسكلة من ت ، ف ، د ، وأمالي لزجاجي . ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف : « وانظر الأمر » (٦) المضيهة : الإنك والبهتان ، أى لأ أكبر إذا عضه ذوالضغن .

(٧) النصف : الانتصاف . (٨) هو عروة بن أذينة بن مالك ، من بني الليث . شاعر غزله مقدم من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود أيضاً في الفقهاء والحدثين . وانظر ترجمته وأشعاره وأخباره في ( الأغاني ٢١ : ١٠٥-١١١ ، والنعر والشعراء ٥٦٠-٥٦٢ ) .

كَمْ قَدْ أَفَدْتُ وَكَمْ أَتَلَفْتُ مِنْ نَسَبٍ  
فَمَا أَشْرَفْتُ عَلَى بَسِيرٍ وَمَا ضَرَعْتُ  
خِيَمِي كَرِيمٍ وَنَفْسِي لَا تُجِدُنِي  
/ وَلَا أَشْتَرَيْتُ بِمَالِي قَطُّ مَكْرُمَةً  
وَلَا دُعَيْتُ إِلَى بَحْدٍ وَمَحْمَدَةً (٢)  
لَا أَبْتَغِي وَصَلَ مَنْ يَبْغِي مُفَارَقَتِي (٣)  
إِنِّي سَمِعْتُ فَنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ  
فَعَطَّنِي جَاهِدًا وَاجْهَدُ عَلَيَّ إِذَا  
سَوْقَوْمٌ يَخْطُونُ (٥) فَيَرُونَنِي قَوْلُهُ :

وَمِنْ مَعَارِبِ رِزْقٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ  
نَفْسِي لِخُلَّةٍ غُسْرٍ جَاءَ يَبْلُونِي (١)  
أَنَّ الْإِلَهَ بِلَا رِزْقٍ يُخَانِنِي  
إِلَّا تَبَقَّنْتُ أَنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ [١٣٧]  
إِلَّا أَجَبْتُ إِلَيْهِ مَنْ يُنَادِينِي  
وَلَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي  
وَلَوْ كَرِهْتُ ، وَأَبْدُو حِينَ يُخَفِّينِي  
لَا قَيْتَ قَوْمَكَ فَاَنْظُرْ هَلْ تُغَطِّينِي (٤)

١٠ \* لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي \*

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : ضرع بضرع [ بالفتح ] زراعة ، وضرع [ بالكسر ]  
بضرع ضرعاً [ بالفتح ] ، فهو ضارع . (٢) ت : « مكرمة » ، وفي حواشي الأصل ت ، ف :  
« يقال : بمحمة ، بفتح الميم ، مثل مذمة ، والفصيحة : المحمدة ، بكسر الميم ، وهو المسموع » .  
(٣) حاشية الأصل : ( من نسخة ) : « مصارعتي » . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف :  
« روى أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة  
فقال له : أأنت القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي      أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي  
أُسْعَى لَهُ فَيُعِينَنِي تَطْلُبُهُ      وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي

وَأَرَأَيْكَ قَدْ جِئْتُ تَضْرِبُ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ! فقال له : لقد وعظت يأمر المؤمنين  
وبالفت في الوعظ ، وأذكرت بما أنسانيه الدهر . وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ، ثم نصها راجعاً نحو  
الحجاز ؛ فكث هشام يومه غافلاً عنه ، فلما كان في الليل تعار على فراشه فذكره وقال في نفسه : رجل  
من قريش قال حكمة ، ووفد إلى جبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول ! فلما  
أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه ، فقال : لاجرم ! ليعلم أن الرزق سيأتيه ، ودعا مولى له وأعطاه ألى  
دينار ، وقال له : الحق ابن أذينة ، فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا قد دخل بيته ، فقرعت الباب عليه ،  
فخرج فأعطيته المال ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام ؛ وقل له : كيف رأيت قولي ! سمعت فأكدت ،  
ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق » . (٥) د ، ومن نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف « يخطون » .

بالسين غير معجمة<sup>(١)</sup>، وذلك خطأ، وإنما أراد بالإشراف أنى لا أستشرف وأتطلع<sup>(٢)</sup> إلى ما فاتنى من أمور الدنيا ومكاسبها، ولا تتبعمها نفسى<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

قال سيدنا أدام الله تأييده: ولى أبيات فى معنى بعض أبيات ثابت قُطْنَة، وغُرُوة بن أذينة التى تقدمت، وهى من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى منذ اثنتى عشرة سنة؛ والأبيات:

٥      تَعَاقَبْنِي بُؤْسُ الزَّمَانِ وَخَفَضُهُ      وَأَدَبْنِي حَرْبُ الزَّمَانِ وَسَلْمُهُ  
وقد عَلمَ المَغْرُورُ بالدَّهْرِ أَنَّهُ      وراءَ سُرُورِ المَرِّءِ فى الدَّهْرِ غَمُّهُ  
وما المَرِّءُ إِلَّا نَهْبُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ      تَحْبُّ بِهِ شُهْبُ الفَنَاءِ وَدُھْمُهُ<sup>(٤)</sup>  
يَعْلَلُهُ بَرْدُ الحَيَاةِ يَمْسُهُ      وَيَغْتَرُّهُ رَوْحُ النَّسِيمِ يَشْمُهُ<sup>(٥)</sup>  
وكانَ بَعِيداً عَنِ مُنَازَعَةِ الرَّدَى      فَأَلْقَتْهُ فى كَفِّ المَنِيَةِ أُمُّهُ<sup>(٦)</sup>  
إِلَّا إِنْ خَيْرَ الرِّأْدِ مَا سَدَّ فَاقَةً      وخَيْرُ تِلَادَى الذى لا أَجْمُهُ<sup>(٧)</sup>  
وإنَّ الطَّوْى بِالْعِزِّ أَحْسَنُ بِالْفَتَى      إِذَا كَانَ مِنَ كَسْبِ المَذَلَّةِ طُعْمُهُ<sup>(٨)</sup>  
وَإِنِّى لَأَنْهَى النَّفْسَ عَنِ كُلِّ لَذَّةٍ      إِذَا مَا ارْتَقَى مِنْهَا إِلَى العَرَضِ وَضْمُهُ  
وَأُغْرِضُ عَنِ نَيْلِ الثَّرَيَّا إِذَا بَدَأَ      وَفى نَيْلِهِ سُوءُ المَقَالِ وَذَمُّهُ  
أَعِفُّ وَمَا الفَحْشَاءُ عَنِّى بَعِيدَةٌ      وَحَسْبِى فى صَدِّ عَنِ الأَمْرِ إِمَامُهُ<sup>(٩)</sup>

(١) حاشية ت (من نسخة): « المعجمة ». (٢) حاشية ت (من نسخة): « وأطلع ». (٣) حواشى الأصل، ت، ف: « العجب من تخطئة السيد رضى الله عنه رواية من روى بالسين المهملة؛ وهو أكثر الروايات، ومعناه واضح ».

(٤) حاشية الأصل: « دهم؛ جمع أدم؛ وهو كناية عن الليل والنهار ».

(٥) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: « بردالنسيم ». (٦) ت، حاشية الأصل (من نسخة) « من منازعة الردى ». (٧) حواشى الأصل، ت، ف: « أى لا أتركه يحجم ويكثر، من جم الماء يحجم جوما؛ إذا كثر واجتمع، ولا يبعد أن يكون من أجمت الفرس، أى أرحته ».

(٨) ت: « كسب المنية ». (٩) حاشية الأصل: « ذكر الفحشاء دليل على شبابه، وكناية عنه ».



وما العَفَّ مَنْ وَلَّى عَنْ الضَّرْبِ سَيْفُهُ وَلَكِنْ مَنْ وَلَّى عَنِ السُّوءِ حَزْمُهُ

[١٣٧]

و

/ ولى فى معنى قوله : « وما الإشراف من خلقى » :

ما خَامَرَ الرِّزْقُ قَلْبِي قَبْلَ فَجَائَتِهِ وَلَا بَسَطْتُ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ يَدِي  
كَمْ قَدْ تَرَادَفَ لَمْ أَحْفِلْ زِيَادَتَهُ وَلَوْ تَجَاوَزَنِي مَا فَتَّ مِنْ عَضْدِي  
إِنْ أَسْخَطَ الْأَمْرَ أَدْرِكْ عَنْهُ مُضْطَرَبًا وَإِنْ أُرِدَ بَدَلًا مِنْ مَذْهَبٍ أَجْدٍ (١)

٥

ومعنى « ما خامر الرزق قلبى » أى لم أتمنَّه ، ولا تطلَّعتُ إلى حضوره ، ولا خطر لى  
ببالٍ تنزَّهاً وتقمعاً ؛ والوجه فى تخصيص نفي بسط اليد بالنوائب ، لأن النوائب (٢) يضرع  
عندها فى الأكثر المتنزَّه ، ويطلب المتعفف ؛ فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة  
فهو الكامل المروءة .

١٠

ومعنى البيت الثانى ظاهر .

فأما الثالث فالمراد به أنى ممن إذا كره شيئاً تمكَّن من مفارقتة والنزوع عنه ، ولست  
ممن تضيق حيلته ، وتقصر قدرته عن استدراك ما يحب بما يكره . وفيه فائدة أخرى ، وهى  
أنى ممن لا تملكه العادات ، وتقواده الأهواء ؛ بل متى أردتُ مفارقة خلق إلى غيره ، وعادة  
إلى سواها لم يكن ذلك على متمذراً ؛ من حيث كان لرأى على هواى السلطان والرجحان .

\*\*\*

١٥ أخبرنا أبو عُبَيْدِ اللَّهِ المَرْزُبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النُّحْوِيُّ

قَالَ أَخْبَرَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُروَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنُ عُروَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : كَانَ عُروَةُ

ابن أذينة نازلاً مع أبى فى قصر عُروَةَ بالعقيق ، فسمعتُه يُنشدُ لنفسه :

إِنَّ اللَّهَ زَعَمَتْ فَوَادَكَ مَلَهَا خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقَتْ هَوَايَ لَهَا (٣)

(١) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « إن أسخط الرزق » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « أن النوائب » . (٣) الأبيات فى زهر الآداب : ١٦٦

( طبعة الحلبي ) ، وبعضها فى أمالى الفالى ١ : ١٥٦ ، والموشح : ٢٣٠ ، وحاشية أبى تمام - بشرح  
التبريزى ٣ : ٢١-٢١٣ . ونسب ابن قتيبة فى الشعراء : ٥٥٤ أبياتا منها اللجنون . والهوى ، بمعنى المهوى .

فَبِكَ الَّذِي زَعَمْتُ لَهَا ، وَكَلَّا كَمَا  
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا  
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ  
بَيْضَاءُ بِاِكْرَاهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا  
لَمَّا عَرَضْتُ مُسْلِمًا لِي حَاجَةً  
/ مَنَعْتُ تَحِيَّتَهَا ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي :  
فَدَنَا ، فَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ  
أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا  
يَوْمًا وَقَدْ ضَحِيَتْ إِذَا لَا ظَلَّهَا  
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا  
بَلْبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا (١)  
أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذِلَّهَا (٢)  
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا !  
فِي بَعْضِ رِقَبَتِنَا ، فَقُلْتُ : لَعَنَهَا !

[١٣٧]  
ظ

قال عُروة بن عبيد الله : فجاءني أبو السائب المخزومي يوماً فسلم وجلس إليّ ، فقلت له  
بعد الرُّحْب به : ألك حاجة يا أبا السائب ؟ فقال : أو كما تكون الحاجة ! أبيات لعروة  
١٠ ابن أذينة ؛ بلغني أنك سمعتها منه ، قلت : أي أبيات ؟ قال : وهل يخفى القمر ! .  
\* إِنَّ أَلَّتِي زَعَمْتُ فُؤَادَكَ مَلَّهَا \*

فأنشدته فقال : ما يروى هذا إلا أهل المعرفة والفضل ، وهذا والله الصادق الوُدّ ،  
الدائم العهد ، لا الهذلي الذي يقول :

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضَنُّ وَأَرْغَبُ  
١٥ لقد عدا الأعرابي طوره ! وإني لأرجو أن يغفر الله لابن أذينة في حُسن الظنِّ بها ،  
وطلب العذر لها . فدعوت له بطعام ، فقال : لا والله حتى أروى هذه الأبيات ، فلمَّا رواها  
وثب ، فقلت له : كما أنت يغفر الله لك ، حتى تأكل ، فقال : والله ما كنت لأخلط بمحبتي  
لها وأخذني إياها غيرها (٣) .

(١) حاشية الأصل : « أي أدق منها ما ينبغي أن يكون دقيقاً ، وأجل منها ما ينبغي أن يكون جليلاً »  
وقال ابن الأعرابي : ومعنى قوله : « فأدقها وأجلها » دق منها حاجباها وأنفها وخصرها ، وجل عضداها  
وساقاها وبوصها ؛ وهذا كما قال آخر :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَّرَتْ وَأَكِمَّتْ فُلُو جُنَّ إِنْسَانٍ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ  
(٢) الذل هنا ، بالضم ويكسر : ضد الصعوبة . (٣) وانظر الخبر أيضاً في زهر الآداب

(طبعة الحلبي) : ١٦٧ ، والموشح : ٢٣٠ .

قال سيدنا أدام الله علوه : والهدلى الذى عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهدلى .

وقول عروة : « باكرها النعيم » أراد أنها لم تعيش إلا فى النعيم ، ولم تعرف إلا الخفض ، وأنها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ، فيؤثر ذلك فى جمالها وتماها ، والبكور هو التقدم فى كل وقت .

وكان عروة بن أذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والزاهة ، <sup>(١)</sup> ورؤى أن سكينه بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تقول :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَبْدِي      أَقْبَاتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْتَرِدُ  
هَبْنِي بَرَدْتُ بَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ      فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَنْقَدُ !  
وأنت القائل :

قالت وأبثثتها وجدى فبُحْتُ به      قد كنت عندي تحب السَّترَ ، فستتر  
/ ألسن تبصر من حولي ؟ فقلت لها :      غطى هوالك وما ألقى على بصري <sup>(٢)</sup> [١٣٨]

قال : نعم ، قالت : هن حرائر - وأشارت إلى جواربها - إن كان هذا خرج من قلب سليم !

وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى <sup>(٣)</sup> لعروة :

كَأَنَّ خُرَامِي طَلَّةً صَابَهَا النَّدَى      وَفَارَةَ مِسْكٍ ضَمَنْهَا مِيَابُهَا <sup>(٤)</sup>  
وَكِدْتُ لِذِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً      وَغَالَبْتُ نَفْسًا زَادَ شَوْقًا غِلَابُهَا

(١) الخبر فى مصارع العشاق : ٣١٣-٣١٤ ، وابن خلكان ١ : ٢١١ .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « بما ألقى على بصري » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى حاشيتي الأصل ، ت ( من نسخة ) : « أبو الحسن على بن أحمد » ،

ومن نسخة أخرى : « أبو الحسن عن أحمد بن يحيى » . (٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « صابها الندى » ؛

الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار رائحة ، والطلّة : الروضة بللها الظل ؛ وهو المطر الخفيف . وفارّة المسك : وعاءه ؛ ويريد به هنا المسك .

إِذَا اقْتَرَبَتْ سُمْدَى لَهَجَتْ بِهَجْرَهَا      وَإِنْ تَغْتَرِبَ يَوْمًا يَرُغِكَ اغْتِرَابُهَا  
فَفِي أَيْ هَذَا رَاحَةٌ لَكَ عِنْدَهَا !      سِوَا لَعَمْرِي نَأْيُهَا وَاقْتِرَابُهَا  
وَعَادَ الْهَوَى فِيهَا كِظْلٌ سَحَابَةٌ      أَلَا حَتَّ بَرَقَ نَمَّ مَرَّ سَحَابُهَا (١)

قال سيدنا أدام الله علوه : وهيئات هذا البيت الأخير من قول كثير :  
وإني وتَهْيَأِي بَعْرَةً بَعْدَ مَا      تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ (٢)  
لِكَالْمُرْتَجَى ظِلَّ الْغَمَامَةِ كَلَّمَا      تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ  
كَأَنِّي وَإِبَاهَا سَحَابَةٌ مُمَجَّلٍ      رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ

وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال : أشعرُ أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة ، فأولها قول الكُمَيْتِ بن زيد (٣) :

١٠      إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُهُمْ      قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا (٤)  
فَدَامَ بِي وَبِهِمْ مَالِي وَمَا لَهُمْ      وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ  
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي خُلُوقِهِمْ      لَا أُرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أُرِدُّ  
لَا يَنْقِصُ اللَّهُ حُسَادِي فَإِنَّهُمْ      أَسْرُ عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدَدُ (٥)

وقال عروة بن أذينة :

١٥      لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ      حَتَّى يَمُوتُوا بَدَاءً فِي مَكْنُونِ  
/ إِنِّي رَأَيْتُهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ      أَجَلَ قَدْرًا مِنَ اللَّائِي يُجْبُونِي [١٣٨]

وقال نصر بن سيار :

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَا بِي وَمَا بِهِمْ      فَمِثْلُ مَا بِي لَعَمْرِي جَرَّ إِلَى الْحَسَدِ

(١) ألاحت : لوح ت . (٢) أمالي القالي ٢ : ١٠٩ .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « الكُميت بن معروف الأسدي » .

(٤) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « غير لائهم » ، والأبيات الثلاثة الأول وردت في معجم

الشعراء : ٣٤٧ ، منسوبة إلى الكُميت بن معروف ، ووردت في عيون الأخبار ٢ : ١٠-١١ ، وأمالي

القالي ٢ : ١٩٨ من غير عزو . (٥) ت : « هم الودد » ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « لهم ودد » .

وقال معن بن زائدة :

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهِ فِي حَسَدِي      لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودٍ  
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ      بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ أَوْ بِالْبَاسِ وَالْجُودِ

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد لحظ البُحْتَرِيُّ بهذا<sup>(١)</sup> المعنى فى قوله :

مُحْسَدٌ بِجَلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ      وَلَيْسَ تَفْتَرِقُ النَّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ<sup>(٢)</sup>

وأظن أبا المتاهية أخذ قوله :

كَمْ عَائِبٍ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ      وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَرْبِيبٍ  
كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يُبْدِي مُحَاسِنَكُمْ      وَصَفًا فِيمَدَحِكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِيبُنِي  
مَا فَوْقَ حُبِّكَ حُبًّا لَسْتُ أَعْلَمُهُ      فَلَا يَضُرُّكَ إِلَّا تَسْتَرِيدُنِي

من قول عروة بن أذينة :

لَا بُعْدُ مُعْدَى مُرِيحِي مِنْ جَوَى سَقَمٍ      يَوْمًا وَلَا قُرْبَهَا إِنْ حُمَّ يَشْفِينِي  
إِذَا الْوُشَاةُ لَحَوْا فِيهَا عَصِيَّتُهُمْ      وَخِلْتُ أَنَّ بَسْمُدَى الْيَوْمِ يُغْرِيبُنِي

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى فى قوله :

مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ      عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مُعْتَابُ  
كَأَنَّهُمْ أَتْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا      عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

ولعروة بن أذينة :

تُرَوِّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ      وَنَلْهُو حِينَ تَخْفَى ذَاهِبَاتٍ<sup>(٣)</sup>  
كَرْوَعَةٍ ثَلَاثَةٍ لِمَغَارِ ذِئْبٍ      فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتٍ

[١٣٩]

و

الثَّلَاة : القطعة من الضأن ؛ وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الأعراب فقال :

وَنُحْدِثُ رَوَاعٍ لَدَى كُلِّ فَرْعَةٍ      وَنُسْرِعُ نِسْيَانًا وَمَا جَاءَنَا أَمْنُ

(١) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « هذا » . (٢) ديوانه ١ : ١٤٠ ، وفى ت ، من

نسخة : « فيه ظاهرة » . (٣) من نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « ونسهو » . والشعر فى الحيوان

٥٠٧ : ٦ وعيون الأخبار ٦٢ : ٣ ، والبيان ٢٠١ : ٣

وإنا - ولا كُفْرانَ لله ربَّنَا - لكالبدين ، لا تدرى متى يومُها البُدنُ !  
أخذه أبو العتاهية في قوله :

إذا ما رأيتم ميتين جزعتم  
وإن غيَّبوا ملتم إلى صَبواتها

وأخذ عروة قوله :

إنَّ الفتيَّ مثلُ الهلالِ له  
يَبلى وتُفنيه الدُّهور كما  
نورٌ لياليٍّ ثمَّ يَمْتَحِقُ<sup>(١)</sup>  
يَبلى وَيَنْضُوا لَجْدَةَ الخلقِ<sup>(٢)</sup>

من قول لبعض شعراء طي :

مهما يكن ربُّ الزمانِ فإننى  
يَهْلُ صَغِيرًا ، ثمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ  
تَقَارَبَ يَحْبُو ضَوْؤُهُ وشُعاعُهُ  
كَذَلِكَ زَيْدُ المرءِ ثمَّ انْتِقَاصُهُ  
أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال :

المرءُ مثلُ هلالٍ عِنْدَ مَطْلَعِهِ  
يَزْدَادُ حتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبُهُ  
يَبْدُو ضَلِيلًا ضَعِيفًا ثمَّ يَنْسِقُ  
كَرُّ الجَدِيدَيْنِ نُقْصَانًا فَيَمْتَحِقُ<sup>(٣)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « احق » ، وفيها : « يمحق وامتحق واحق بمعنى » .

(٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « وينضى الحبرة » . وفي حاشية الأصل أيضا :

« أنضيت الثوب : أبلته وكذلك انتضيته ، ونضوته : خلعته » .

(٣) معجم البلدان ٤ : ١٣٤ ؛ من أبيات نسبها إلى حنظلة بن أبي عفراء الطائي ؛ وكان قد نُسك

في الجاهلية وتنصر ، وبني دبرا عرف باسمه . (٤) حاشية الأصل : « يقال : مصح النبات إذا ولى

لون زهره » . (٥) رواية عجز البيت في معجم البلدان :

\* وتكرارُهُ في إثرِهِ بَعْدَ مامضَى \*

(٦) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « فيمحق » .

# مَجْلِسِ آخِر

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۚ ﴾ [١٣٩] فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَمَا مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

فَقَالَ : كَيْفَ يُنْزِلُ اللَّهُ السِّحْرَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؟ أَمْ كَيْفَ تَعْلَمُ الْمَلَائِكَةُ النَّاسَ السَّحَرِ والتفريقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ؟ وَكَيْفَ نَسَبَ الضَّرَرَ الْوَاقِعَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ بِإِذْنِهِ ، وَهُوَ تَعَالَى قَدْ نَهَى عَنْهُ ، وَحَذَّرَ مِنْ فِعْلِهِ ؟ وَكَيْفَ أَثْبَتَ الْعِلْمَ لَهُمْ وَنَفَاهُ عَنْهُمْ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ ۝ ﴾ ، ثُمَّ قَوْلِهِ : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ ؟ .

١٠

الْجَوَابُ ، قُلْنَا : فِي الْآيَةِ وَجْوهٌ ؛ كُلُّ مِنْهَا يُزِيلُ الشُّبْهَةَ الدَّاخِلَةَ عَلَى مَنْ لَا يَنْعِمُ النَّظَرَ فِيهَا :

أَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا ﴾ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ بِمَعْنَى الَّذِي ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا تَكْذِبُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَتَضَيَّفَهُ إِلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ؛ فَبَرَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَرَفِهِمْ ، وَأَكْذَبَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ بِاسْتِمَالِ السِّحْرِ وَالتَّمْوِيهِ عَلَى النَّاسِ ، ١٥ ثُمَّ قَالَ : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ ، وَأَرَادَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَهُمْ السِّحْرَ

والذى أنزل على الملكين، وإِنَّمَا أنزل على الملكين وصفُ السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ؛ ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه ، كما أَنَّهُ تعالى قد أعلمنا ضرورَ المعاصي، ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لا لنؤقمها؛ لأنَّ الشياطين كانوا إذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه، وأقدموا على فعله ؛ وإن كان غيرهم من المؤمنين لمَّا عرفه اجتنبه وحاذره ٥ وانتفع باطلاعه على كيفيته ، ثم قال : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ بمعنى الملكين ، ومعنى ﴿ يُعَلِّمَانِ ﴾ يُعَلِّمَانِ ، والعرب تستعمل لفظة علَّمه بمعنى أعلمه ، قال القطامي :  
تَعَلَّمُ أَنْ بَعْدَ النَّغَى رُشْدًا وَأَنْ لِّتَانِكَ الْغُبَرُ انْقِشَاعًا<sup>(١)</sup>

وقال كعب بن زهير :

تَعَلَّمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ<sup>(٢)</sup>

[١٤٠] ومعنى « تعلم » في البيتين / معنى « اعلم »<sup>(٣)</sup> ؛ والذي يدلُّ على أن المراد هاهنا الإعلام لا التعليم قوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ، أى أنهما لا يعرفان صفات السحر وكيفيته إلا بعد أن يقولوا إنما نحن فِتْنَةٌ ، لأنَّ الفتنة بمعنى المحنة ؛ وإِنَّمَا كُنَّا مُحْنَةً ، من حيث أُلْقِيََا إِلَى الْمُكَلَّفَيْنِ أَمْرًا لِيَنْزَجِرُوا عنه ، ولِيَتَنَبَّهُوا مِنْ مَوَاقِعَتِهِ ، وهم إذا عَرَفُوهُ أَمَكْنَ أَنْ يَسْتَعْمَلُوهُ وَيَرْتَكِبُوهُ ، فقالا لمن يُطْلِمَانِهِ عَلَى ذَلِكَ : لا تكفروا باستعماله ، ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا إليك ، فإنه إِنَّمَا أُلْقِيََ إِلَيْكَ ، وَأُطْلِمْتَ عَلَيْهِ لِتَجْتَنِبَهُ ؛ لا لتفعله ، ثم قال : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ ، أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب ؛ وإن كان الملكان ما ألقياه إليهم لذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ ؛ لأنهم

(١) ديوانه : ٤٠ ؛ ومن نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لهذه الغمر » ، وهى رواية الديوان

والغمر : جمع غمرة ، وهى الشدة . (٢) ملحقات ديوانه : ٢٥٨ ( عن الغمر ) .

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال ابن السكيت رحمه الله : يقال : تعلمت أن فلانا خارج يعنى

علمت ، وإذا قال لك : اعلم أن زيداً خارج قلت : قد علمت ، وإذا قال : تعلم أن زيداً خارج لم تقل : قد تعلمت ؛ يعنى أنه يقتصر على ماورد عنهم ، ولا يتجاوز إلى غيره » .



لَمَّا قَصَدُوا بِتَعْلَمَهُ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَيَرْكَبُوهُ، لَا أَنْ يَجْتَنِبُوهُ صَارَ ذَلِكَ لِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ .  
 وثانيها أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا أُنْزِلَ ﴾ موضعه موضع جرٍّ ؛ فيكون معطوفاً بالواو على ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ والمعنى : واتبعوا ما كَذَّبَ به الشياطينُ على ملك سليمان ، وعلى ما أُنْزِلَ على الملكين ؛ ومعنى ﴿ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ أى معهما ، وعلى ألسنتهما ؛ كما قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ ؛ [ آل عمران : ١٩٤ ] ، أى على ألسنتهم ومعهم .  
 وليس بمنكر أن يكون ﴿ مَا أُنْزِلَ ﴾ معطوفاً على ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ وإن اعترض بينهما من الكلام ما اعترض ؛ لأن ردَّ الشيء إلى نظيره ، وعطفه على ما هو أوَّلَى هو الواجب ، وإن اعترض بينهما ما ليس منهما ؛ ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيمًا ﴾ ؛ [ الكهف : ٢١ ]  
 و « قِيمٌ » من صفات الكتاب حالٌ منه ، لا من صفة « عِوَج » ، وإن تباعد ما بينهما ،  
 ومثله قوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ؛ [ البقرة : ٢١٧ ] ، فالمسجد هاهنا معطوف به على الشهر الحرام ، أى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعن المسجد الحرام .

وحكى عن بعض علماء أهل اللغة أنه قال : العرب تلف الخبرين المختلفين ، ثم ترمى بتفسيرهما جملة ؛ ثقةً بأن السامع يردُّ إلى كلٍّ خبره ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [ يونس : ٦٧ ] ، وهذا واضح في مذهب العرب ، كثير التظاير .

ثم قال : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ ، والمعنى أنهما لا يعلمان أحداً ، بل ينهيان عنه ، ويبلغ من نهيهما عنه وصدِّهما عن فعله واستعماله أن يقولوا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ باستعمال السحر والإقدام على فعله ، وهذا كما يقول الرجل : ما أمرت فلاناً بكذا ، ولقد بالفتى في نهيه حتى قالت له : إنك إن فعلته أصابك كذا وكذا ؛ وهذا

هو نهاية البلاغة في الكلام ؛ والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة ؛ لأنه استغنى بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ عن بسط الكلام الذي ذكرناه ؛ ولذلك نظائر في القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الزمنون : ٩١] ، فلو لا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، أى : فيقال للذين اسودت وجوههم : ﴿ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ؛ وأمثاله أكثر من أن تُورد .

١٠ ثم قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ ، وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين ؛ وكيف يرجع إليهما وقد نفى عنهما التعليم ! بل يرجع إلى الكفر والسحر ، وقد تقدم ذكر السحر ، وتقدم أيضاً ذكر ما يبدل على الكفر ويقتضيه في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ ؛ فدل ﴿ كَفَرُوا ﴾ على الكفر ، والعطف عليه مع السحر جائز ، وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ؛ ومثل ذلك قوله تعالى : ١٥ ﴿ سَيِّدٌ كَرَّ مِنْ يَحْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ [الأعلى : ١٠-١١] ، أى يتجنب الذكرى الأشقى ، ولم يتقدم تصريح بالذكرى ، لكن دل عليها قوله : ﴿ سَيِّدٌ كَرَّ ﴾ .

ويجوز أيضاً أن يكون معنى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ ، أى بدلا مما علمهم الملكان ، ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهى عن السحر إلى تعلمه واستعماله ؛ كما يقول القائل : ليت لنا من كذا وكذا كذا<sup>(١)</sup> ! أى بدلا منه ، وكما قال الشاعر :

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : و من هذا الباب قوله :

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان

— الطهيان : اسم جبل . —

جَمَعَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَاً وَعُلْبَةً وَصَرَ الْأَخْلَافِ الْمَزْمَةَ الْبَزْلَ <sup>(١)</sup> [١٤٠] ط  
وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ نَمِيمَةً وَسَعِيًّا عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَحَلِّ <sup>(٢)</sup>  
يريد جمعت مكان الخيرات، ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة .

وقوله : « مَا يُفَرِّقُون بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ » فيه وجهان :

أحدهما أن يكونوا يُفَرِّقُونَ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ ، ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى ، ه  
فيكون بذلك قد فارق زوجته الآخرَ المؤمنَ المقيمَ على دينه ، فيفترق بينهما اختلاف النَّحْلَةِ  
والمَلَّةِ .

والوجه الآخر أن يسموا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والإغراء والتغويه بالباطل ؛  
حتى يثوول أمرهما إلى الفرقة والباينة .

وثالث الوجوه في الآية أن يُحْمَلَ ﴿مَا﴾ في قوله : ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ على الجَحْدِ ١٠  
والنفي، فكانه تعالى قال : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ،  
ولا أنزل الله السِّحْرَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾  
بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴿وَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿بِأَبِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي  
معناه التقديم ، ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ، هذان  
اسماهما ؛ وإنما ذكرنا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبييناً ، ويكون المَلَكُ الْمَذْكُورَانِ اللَّذَانِ ١٥

(١) في حاشيتي الأصل ، ب : «الوطب : زق اللبن ، والعلبة : ما يحلب فيه . والصر : شد الضرع .

والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لثافة كاللثدي للمرأة والمزمنة : النوق التي علفت الأزمة عليها ، والبزل :

جمع بازل ؛ وهي النامة السن . وفي د ، م : «المزهمة» ، وهي السمان الكثيرة الشحم .

(٢) المحل : الكذب والحداع .

نفى عنهما السحرَ جبرائيلُ وميكائيلُ عليهما السلام ؛ <sup>(١)</sup> لأنَّ سَحَرَةَ الْيَهُودِ - فيما ذكر - كانت تدعى أن الله تعالى أنزل السحرَ على لسان جبرائيل وميكائيل <sup>(٢)</sup> إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، فأكذبهما الله تعالى بذلك .

ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين ، كأنه قال : ولكن الشياطين : هاروت وماروت كفروا ؛ ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٧٨] ، بمعنى حكم داود وسليمان عليهما السلام .

ويكون قوله تعالى على هذا التأويل : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ راجعاً إلى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين ، أو من الإنس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به . ومعنى قولهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالُع ، كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحاً <sup>(١)</sup> [١٤١] أو قال باطلا : هذا فعل من لا يفلح ، وقول من لا يُنجب ، والله ما حصلت / إلا على الخسران ؛ وليس ذلك منه على سبيل النصيح للناس وتحذيرهم من مثل فعله ، بل على وجه المجون والتهالك .

ويجوز أيضا على هذا التأويل الذي يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ، ونفى عنهما إزال السحر بقوله : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ ويكون قوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يرجع إلى قبيلتين من الجن أو إلى شياطين الجن والإنس ، فتحسن التثنية لهذا .

وقد روى هذا التأويل الأخير في حمل ﴿ مَا ﴾ على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين . وروى عنه أيضا أنه كان يقرأ : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ بكسر اللام ، ويقول : متى كان المَلِجَان مَلَكَيْنِ ! إنما كانا مَلِكَيْنِ ؛ <sup>(٢)</sup> وعلى هذه القراءة لا يفكر أن يرجع قوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ إليهما <sup>(٣)</sup> .

وعلى (١) هذه القراءة في الآية وجه آخر وإن لم يحمل قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ على الجحند والنفي ، وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتدعيه على ملك سليمان ، واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ، ولا يكون الإنزال مضافاً إلى الله تعالى ، وإن أطلق ؛ لأنه جلّ وعز لا يُنزل السحر ؛ بل يكون منزله إليهما بمض الضلال المعصاة ، ويكون معنى ﴿أُنْزِلَ﴾ - وإن كان من الأرض - مُحمل إليهما لا من السماء أنه أني به ٥ به من نجود الأرض وأعليها ؛ فإن من هبط من نجد البلاد إلى غورها يقال : نزل وهبط ، وما جرى هذا المجرى .

فأما قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيحتمل وجوهاً : منها أن يريد بالإذن العلم ، من قولهم : آذنت فلاناً بكذا إذا أعلمته ، وأذنت لكذا إذا استمعتته وعادته ، قال الشاعر :

١٠

فِي سَمَاعٍ يَأْذُنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلٍ مَازِيٍّ مُشَارٍ (٢)

ومنها أن تكون ﴿إِلَّا﴾ زائدة ، فيكون المعنى : وما هم بضارين به من أحدٍ بإذن الله ، ويجرى مجرى قول أحدنا : لقيت زيدا إلا أني أكرمته ، أي لقيت زيدا فأكرمته .

ومنها أن يكون أراد بالإذن التخلية وترك المنع ، فكانه أفاد بذلك أن العباد لن يُعجزوه ،

وما هم بضارين أحداً إلا بأن يخلى الله تعالى بينهم وبينه ، ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر ، زائداً ١٥ على منعهم بالزجر والنهي .

ومنها أن يكون الضرر الذي عني أنه لا يكون إلا بإذنه ، وأضافه إليه هو ما يليق [١٤١] المسحور من الأدوية والأغذية التي يُطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ؛ ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة ؛ لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً ، وإن كان المعرض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم ، وعليه يجب العوض .

(١) ت : « ويمكن على هذه القراءة ... » . (٢) البيت في اللسان (أذن) ، ونسبه إلى عدى

ابن زيد الماذي : العسل الأبيض . والمشار : الحنجر ، ويقال : شرت العسل واشترته وأشرته ، إذاجنته .

ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل عن التفريق بين الأزواج ؛ لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام ؛ والمعنى أنهم إذا أغوا أحد الزوجين ، وكفر فبانت منه زوجته ، فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر ، إلا أن الفرقة لم تكن إلا بإذن الله وحكمه ؛ لأنه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفين الأديان ؛ فلهذا قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ والمعنى أنه لو لا حكم الله وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ؛ ويقوى هذا الوجه ما روى أنه كان من دين سليمان ؛ أنه من <sup>(١)</sup> سحر بانث منه امرأته .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ، ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ماتلوا الشياطين على ملك سليمان ، والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر ، وشروا به أنفسهم .

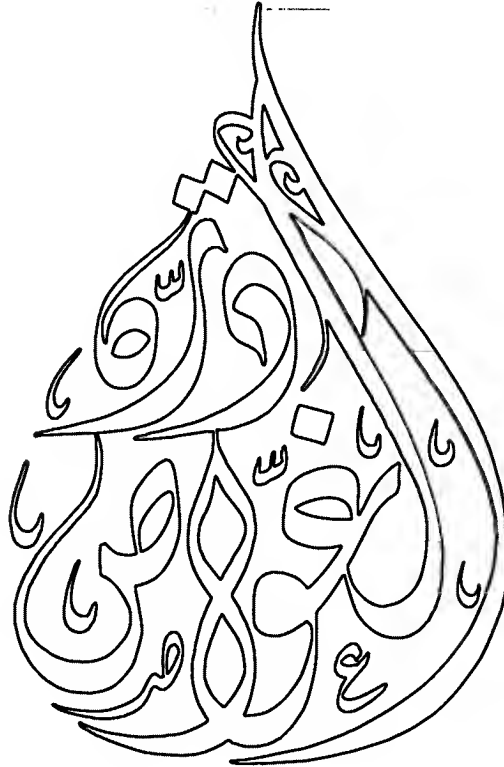
وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا ؛ إلا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره ، فكانه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ، ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من عقاب الله الذي لا نفاد له ولا انقطاع .

وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا ، فكانهم لم يعملوا ، وهذا كما يقول أحدنا لغيره : ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك ؛ لو كنت تعقل وتنظر في العواقب ، وهو يعقل وينظر في العواقب ، إلا أنه لا يعمل بموجب علمه ، فحسب [ ١٤٢ ] أن يقال له / مثل هذا القول ؛ قال كعب بن زهير يصف ذئبا غرابا تبعاه ؛ ليصيبا من زاده :  
إِذَا حَضَرَ أُنَى قُلْتُ : لَوْ تَعَلَّمَانِي أَلَمْ تَعْلَمَا أُنَى مِنْ الزَادِ مُرْمِلٌ <sup>(٢)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « أن من » . (٢) ديوانه : ٥١ . المرمل : الذي تغذاه .

فنفى عنهما العلم ، ثم أثبت به بقوله : « ألم تعلموا » ، وإنما المعنى فى نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملوا بما علماه فكانت لهما لم يعملوا .

ورابعا أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظ لهم فيها مع عملهم القبيح ، إلا أنهم ارتكبوه طمعا فى حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى : ﴿ وَكَبُتْ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الذى آثروه وجماعه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ، ولا يبقى عليهم ، وأنه منقطع زائل ، ومضئ جل باطل ، وأن المال إلى المستحق فى الآخرة ؛ وكل ذلك واضح بحمد الله .



## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ خَبَرِ

روى عَقِبَةُ بْنُ عَامِرٍ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لو كان القرآن في إهاب ما مسَّته النار » .

وقد ذكر متأولوا حديث النبي صلى الله عليه وآله في هذا الخبر وجوهاً كثيرة ، كلها غيرُ صحيحٍ ولا شافي ، وأنا أذكر ما اعتمدته <sup>(١)</sup> ، وأبين ما فيه ، ثم أذكر الوجه الصحيح .

قال ابنُ قتيبة : ذهب الأصمعيُّ إلى أنَّ مَنْ تعلَّم القرآن من المسلمين لو أُلْقِيَ في النار لم تحرقه ، فكُنِيَ بالإهاب - وهو الجلد - عن الشخص والجسم ؛ واحتجَّ على تأويله هذا <sup>(٢)</sup> الحديث بما رُوِيَ عن سليمان بن محمد قال : سمعت أبا أمامة يقول : اقرأوا القرآن ولا تغرَّكم هذه المصاحف المعلقة <sup>(٣)</sup> ؛ فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن .

١٠ قال ابن قتيبة: وفي الحديث تأويل آخر ، وهو أنَّ القرآن لو كُتِبَ في جلدٍ ، ثم أُلْقِيَ في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار ؛ على وجه الدلالة على صحة أمر النبي عليه وآله السلام ، ثم انقطع ذلك بعده ، قال : وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام .

قال : وفيه تأويل ثالث ؛ وهو أن يكون الإحراق <sup>(٤)</sup> إنما نفى عن القرآن لا عن الإهاب ؛ ويكون معنى الحديث : لو جُمِعَ القرآن في إهاب ثم أُلْقِيَ في النار ما احترق القرآن ؛

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ما ذكروه » .

(٢-٢) ت : « بالحديث عن سليمان » . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعلقة ؛ يجوز

أن يكون معناها السكتب ؛ لأن التعليق السكتب » . (٤) حاشية ف ( من نسخة ) : « الاحتراق » .



فَكَانَ النَّارُ تُحْرِقُ الْجِلْدَ وَالْمَدَادَ وَلَا تُحْرِقُ الْقُرْآنَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْسَخُهُ وَيَرْفَعُهُ مِنَ الْجِلْدِ، صِيَانَةً لَهُ عَنِ الْإِحْرَاقِ .

وقال أبو بكر / محمد بن القاسم الأنباري ردّاً على ابن قتيبة ، ومعتزلاً عليه : اعتبرتُ [١٤٢] <sup>ط</sup> ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله ، فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً .

أما قوله الأول فيردّه ما روى عنه عليه السلام من قوله : يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ بَعْدَ مَا يُخْرِقُونَ <sup>(١)</sup> فيها فيقال : هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل . قال : وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إِذْ دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : انظُرُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ <sup>(٢)</sup> فَأَخْرَجُوهُ مِنْهَا » ؛ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَكَيْفَ يَصِحُّ قَوْلُ ابْنِ قَتِيْبَةَ فِي زَعْمِهِ أَنَّ النَّارَ لَا تُحْرِقُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ؛ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْخَوَارِجَ وَغَيْرَهُمْ مَنْ يُكَلِّدُ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ أَنْ تُحْرِقَهُمُ النَّارُ بَغَيْرِ شَكٍّ ؛ وَاحْتِجَاجُهُ بِخَبَرِ أَبِي أُمَامَةَ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَمْدُبُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ » مَعْنَاهُ : قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ ؛ فَأَمَّا مَنْ حَفِظَ أَلْفَاظَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ وَاعٍ لَهُ .

قال : فأما قوله إنه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده ، فأروى هذا الحديث أحداً أنه كان في دلائله عليه السلام ؛ ولو أراد ذلك دليلاً لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن في إهاب ثم يُلقِيهِ فِي النَّارِ فَلَا يَحْتَرِقُ

قال : وقول ابن قتيبة الثالث : « لَا حَتَرَقُ الْجِلْدَ وَالْمَدَادَ ، وَلَمْ يَحْتَرَقِ الْقُرْآنَ » غَيْرُ ١٥ صَحِيحٍ ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَصَحُّ هَذَا الْقَوْلُ يَوْجِبُ أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ الْمَكْتُوبِ ؛ وَهَذَا مُحَالٌ ؛ لِأَنَّ الْمَكْتُوبَ فِي الْمَصْحَفِ هُوَ الْقُرْآنُ . وَالِدَلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؛ [ الْوَاقِعَةُ : ٧٩ - ٨١ ] ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : « لَا تَسَافَرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ » ؛ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْمَصْحَفَ .

قال أبو بكر : والقول عندنا في تأويل هذا الحديث أنه أراد : لو كان القرآن في جلد ٢٠

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « يَحْتَرِقُونَ » .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « إِيْمَانًا » .

ثم ألقى في النار ما أبطنته ؛ لأنها وإن أحرقتة فإنها لا تدرسه ؛ إذ كان الله قد ضمَّه قلوب الأخيار من عباده ؛ والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله فيما روى عنه : إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرأ نائماً ويقظان ؛ فلم يرد تعالى أن القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم يغسل ؛ وإنما أراد أن الماء لا يبطله ولا يدرسه إذا كانت القلوب تميّه وتحفظه .

قال : ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وفي لغة العرب ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا / وَعَصُوا الرَّسُولَ أَوْ تَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ؛ [النساء : ٤٢] ، فهم قد كتموا الله تعالى لعمَّا قالوا : ﴿ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] ، وإنما أراد تعالى : ولا يكتُمون الله حديثاً في حقيقة الأمر ؛ لأنهم وإن كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الأنباري جميعاً ، وهو أن هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والإخبار عن جلالة قدره وعظم خطره ، والمعنى أنه لو كتب في إهاب ، وألقى في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .

ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمذاهبهم ، وتصرُّف كلامهم .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ؛ [الحشر : ٢١] .  
٢٠ ومعنى الكلام : إننا لو أنزلنا القرآن على جبل ، وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شيء ؛ أو خشية لأمرٍ لتصدع مع صلابته وقوته ؛ فكيف بكم يا معاشر الكافرين ، مع ضعفكم وقتلتكم ! وأنتم أولى بالخشية والإشفاق ؛ وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج

المثل بقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ؛ ومثله قوله تعالى :  
﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ ؛ [ مريم : ٩٠ ] .

ومثله قول الشاعر :

أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرِيَنِي      كَذِ كَرَاكِ مَا نَهَنَتْ لِلْعَيْنِ مَدَمَا  
فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ      تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا <sup>(١)</sup> ٥

ومثله :

فلو أن مابى بالخصى فلق الخصى      وبالريح لم يُسمع لهن هُبوب <sup>(٢)</sup>

ومثله :

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمِئَةٍ نَاقِي      فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ <sup>(٣)</sup>  
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْثُهُ      تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَا عِبُهُ <sup>(٤)</sup> ١٠

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة ؛ يقولون : هذا كلام يَفْلُقُ الصَّخْرَ ، ويَهْدُ  
الجبال / ويصرع الطير ، ويستنزِلُ الوُعُولَ ؛ وليس ذلك بكذب منهم ؛ بل المعنى أَنَّهُ لحسنه [ ١٤٣ ]  
وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ؛ ولو كانت مما يسهل <sup>(٥)</sup> ويتيسر لشيء  
من الأشياء لتسهلت به من أجله .

فأما الجواب الأول المحكى عن ابن قتيبة فالذى يفسده <sup>(٦)</sup> زائداً على ماردّه ابن الأنبارى ١٥  
أنه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي لكان النبي صلى الله عليه وآله  
قد أغرانا بالذنوب ؛ لأنه إذا أَمِنَ حافظ القرآن ومعلمه من النار والعذاب فيها رَكْن <sup>(٧)</sup>

(١) الصفا : جمع الصفاة ؛ وهو الخجر الصلد الضخم لا يذبت . (٢) ت : فلق الخصى .

(٣) ديوانه : ٣٨ . (٤) أسقيه : أدعوله بالسقى . (٥) من نسخة بحاشيتي ت ،

الأصل : « يتسهل » . (٦) ت : « يبطله » .

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : يقال : ركن [ يفتح الكاف ] يركن ، [ بكسرها ] . وركن

[ بكسر الكاف ] يركن [ يفتح الكاف ] ؛ لغتان إلا أنهم أخذوا الماضي من هذا والمضارع من ذاك ،  
فقالوا : « ركن يركن » بالفتح فيها .

المكلفون إلى تعلّم القرآن والإقدام على القبائح آمينين غير خائفين ؛ وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى في قول أبي أمامة أن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنباري .

فأما جواب ابن قتيبة الثاني ، فمن أين له أن ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وآله ، وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه ! وأقوى ما يُبطله أنه لو كان كذاً كر لما جاز أن يُخفى ٥ على جماعة المسلمين الذين رَوَوْا جميع معجزاته عليه وآله السلام وضبطوها . وفي وجداننا مَنْ روى ذلك وجمعه وعُنِيَ به غير عارفٍ بهذه الدلالة والآية إبطال لما توهمه .

فأما جوابه الثالث فباطل ؛ لأنّ القرآن في الحقيقة ليس يحلُّ الجلد ، ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق إلى الجلد دونه ؛ وإذا كان الأمر على هذا لم يكن في قوله : إن الإهاب ١٠ هو المحترق دون القرآن فائدة ؛ لأنّ هذه سبيل كلِّ كلام كتب في إهاب أو غيره إذا احترق الإهاب لم يُضف الاحتراق إلى الكلام لاستحالة هذه القضية<sup>(١)</sup> عليه .

ومن عجيب الأمور قول ابن الأنباري : « وهذا يوجب أن القرآن غير المكتوب » ؛ لأنّ كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنّه ؛ بل يوجب ضده من أن المكتوب هو القرآن ؛ ولهذا علّق الإحراق<sup>(٢)</sup> بالكتابة والجلد دون المكتوب ؛ الذي هو القرآن ؛ وإذا كان المكتوب ١٥ في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباري ، فما المانع من قول ابن قتيبة أنّ الجلد يحترق دونه ؟ لأنّ أحداً لا يقول إن الجلد هو القرآن ؛ وإنما يقول قومٌ إنه مكتوب فيه ؛ وإذا [١٤٣] كان غيره لم يمتنع إضافة الاحتراق إلى أحدهما / دون الآخر ؛ وهذا كله تخليط من الرجلين ؛ لأنّ القرآن غير حالٍ في الجلد على الحقيقة ؛ وليست الكتابة غير المكتوب ؛ وإنما الكتابة أمانة للحروف ؛ فأما أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فحال .

فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله : « لا تسافروا بالقرآن » فذلك تجوز وتوسّع ،

وليس يجب أن يُجمل إطلاق الألفاظ المحتملة دليلاً على إثبات الأحكام والمعاني، ومعتضة على أدلة العقول؛ وقد تجوز القوم بأكثر من هذا فقالوا: في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان، ولم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في دفتر. وقد بين الكلام، في هذا الباب في مواضع هي أولى به.

فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه، فلا طائل أيضاً فيه، لأنه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم، لأننا نعلم أن الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال إذا كتبت في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب مافي الصدور. منه؛ بل يكون ثابتاً بحاله، فأى مزية للقرآن في هذا على غيره؟ وأى فضيلة؟ فإن قال: وجه المزية أن غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار؛ والقرآن إذا كان هو تعالى هو المتولى لإيداعه الصدور لا يتم ذلك فيه؟

١٠

قلنا: الكل سواء لأن غير القرآن إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور، ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد؛ وهكذا القرآن لو لم يُحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق؛ وإمكانه لا يبطل بهذا الشرط؛ فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وإثباته، فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من أن النار لا تمسه، وهذا يبين أنه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر؛ وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه.

\*\*\*

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأسمعي - عن عمه للحسين بن مطير الأسدي (١) - وقال عبد الرحمن قال عمي: لو كان شعر العرب هكذا ما أتم منشدته:

(١) هو الحسين بن مطير بن مكل؛ مولى لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد؛ شاعر متقدم من شعراء الدولتين؛ ومذهبه في الشعر يشبه كلام الأعراب ومذاهبهم؛ (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٤: ١١٠-١١٤، والخزانة ٢: ٤٨٥-٤٨٩).

- أَلَا حَبَّ (١) بِالْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ  
لَا نَتَّكَ مِنْ بَيْتٍ لَعَيْنِي مُعْجِبٌ (٢)  
أُصَدُّ حَيَاءً أَنْ يَلْجَأَ بِي الْهُوَى  
وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ (٣)  
فَإِنْ آتَاهُ لَمْ أَنْجُ إِلَّا بِطَنَّةٍ  
وَكَانَ حَبِيبُ النَّفْسِ لِلْقَلْبِ وَارِثًا  
وَإِنْ تَكُنِ الْأَعْدَاءُ أَحْمَوْا كَلَامَهُ  
أُحِبُّكَ يَا سَلَمَى عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ  
وَيَا عَاذِلِي لَوْ لَا نَفَاسُهُ حَبَّهَا  
بِنَفْسِي مَنْ لَا بَدَّ أُنِّي هَاجِرُهُ  
وَمَنْ قَدْ لَحَاهُ النَّاسُ حَتَّى اتَّقَاهُمْ  
أُحِبُّكَ حَبًّا لَنْ أَعْنَفَ بَعْدَهُ  
لَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلُ الْحُبِّ فَانْقَضَى  
كَلَامُكَ يَا سَلَمَى وَإِنْ قَلَّ نَافِعِي  
أَلَا لَا أَبَالِي أَىَّ حَسِيٍّ تَحْمَلُوا
- وَأَنْتَ بَتَّلَمَاحٍ مِنَ الطَّرْفِ نَاطِرُهُ (٤)  
وَأَمْلَحُ فِي عَيْنِي مِنَ الْبَيْتِ عَامِرُهُ  
وَفِيكَ الْاُنَى لَوْلَا عَدُوٌّ أُحَاذِرُهُ (٥)  
لَمَاتَ الْهُوَى وَالشَّوْقُ حِينَ تَجَاوِرُهُ (٦)  
وَإِنْ يَأْتِيهِ غَيْرِي تُنْطَبُ بِي جِرَائِرُهُ  
وَكَيْفَ يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ هُوَ وَارِثُهُ !  
عَلَيْنَا فَلَنْ تُحْمَى عَلَيْنَا مَنَاطِرُهُ  
وَلَا بَأْسَ فِي حَبِّ تَعَفُّ سَرَائِرُهُ  
عَلَيْكَ لَمَّا بَالَيْتُ أَنْكَ خَابِرُهُ  
وَمَنْ أَنَا فِي الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ ذَا كِرُهُ  
يَبْغِضُنِي إِلَّا مَا تُجِنُّ ضَمَائِرُهُ  
حَبِّيًا وَلَكِنِّي إِذَا لَيْمَ عَاذِرُهُ  
وَلَوْ مَتَّ أَضْحَى الْحَبُّ قَدَمَاتِ آخِرُهُ (٧)  
وَلَا تَحْسَبِي أُنِّي وَإِنْ قَلَّ حَاقِرُهُ (٨)  
إِذَا تَمَدُّ الْبَرِّقَاءِ لَمْ يَجْلُ حَاضِرُهُ (٩)

(١) وردت هذه المقطوعة في أمالي النفاي ١ : ٧٨ ، وأمالي ابن الجعفي : ١٥٠ . مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات . (٢) ت : « زائرته » . (٣) هـ : « إلى لمعجب » .

(٤) م : « أن يلعج بي الهوى » . (٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « استطيعه » .

(٦) ت : « تجاوره » ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « تجاوره » .

(٧) في حاشية الأصل ، ت : « بهنا يدعى أنه أحيا الحب ، وأن الحب كان قبله ميتا . وسموت بعده » .

(٨) الحفر : التحقيق . (٩) تحملوا : ارتحلوا ؛ والتمد : الماء القليل . والبرقاء : موضع بالجزيرة .

وأنشد ابن الأعرابي لابن مطير :

لَعَمْرُكَ لِلْبَيْتِ الَّذِي لَا نَطُورُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ بِلَادِ نَطُورُهَا<sup>(١)</sup>  
تَقَلَّبْتُ فِي الْإِخْوَانِ حَتَّى عَرَقْتُهُمْ وَلَا يَعْرِفُ الْإِخْوَانُ إِلَّا خَيْرُهَا  
فَلَا أَصِرُّمُ الْخِلَآنَ حَتَّى يُصَارِمُوا وَحَتَّى يَسِيرُوا سِيرَةً لَا أُسِيرُهَا  
فَإِنَّكَ بَعْدَ الشَّرِّ مَا أَنْتَ وَاجِدُهُ خَلِيلًا مُدِيمًا شِيمَةً لَا يُدِيرُهَا

٥

[١٤٥]

/ — معنى يديرها، يقلبها مرة هاهنا، ومرة هاهنا —

و

وَإِنَّكَ فِي غَيْرِ الْأَخْلَاءِ عَالِمٌ بِأَنَّ الَّذِي يَخْفَى عَلَيْكَ ضَمِيرُهَا<sup>(٢)</sup>  
فَلَا تَكُ مَعْرُورًا بِمَسْحَةِ صَاحِبٍ مِنَ الْوَدِّ لَا تَدْرِي عِلَامَ مَصِيرُهَا<sup>(٣)</sup>  
وَمَا الْجُودُ عَنْ فَقْرِ الرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنَّهُ خَيْمُ الرِّجَالِ وَخَيْرُهَا  
وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِيهَا فَقِيرًا وَيَعْنَى بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا<sup>(٤)</sup>  
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ حَالِ دُنْيَا تَغَيَّرَتْ وَحَالٍ صَفَا بَعْدَ اكْتِدَارٍ غَدِيرُهَا  
وَمِنْ طَامِعٍ فِي حَاجَةِ بَنٍ يَنَالُهَا وَمِنْ يَأْسٍ مِنْهَا أَنَاهُ بَشِيرُهَا  
وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَا يَزَلْ مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلٍ شَيْءٍ يَضِيرُهَا<sup>(٥)</sup>  
فَنَفْسُكَ أَكْرَمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَالِكَ نَفْسٍ بَعْدَهَا تَسْتَمِيرُهَا

قال سيدنا أدام الله علوه : ولي في معنى قول ابن مطير : « وقد تغدر الدنيا » ، والبيت ١٥

الذي بعده من جملة قصيدة :

وَكَيْفَ آنَسُ بِالْدُّنْيَا وَلَسْتُ أَرَى إِلَّا أَمْرًا قَدْ تَعَرَّى مِنْ عَوَارِيهَا<sup>(٥)</sup>

(١) حساسة ابن الشجري : ١٦٣ . ونطورها : نقرها . (٢) ف ، حاشية ت (من نسخة) « في عين الأخلاء » . (٣) المسحة : الأثر الظاهر ؛ ونقل صاحب اللسان عن شمر : أن العرب تقول : هذا رجل عليه مسحة جمال ، ومسحة عتق وكرم ؛ ولا يقال ذلك إلا في المدح . وفي ت : « مسحة » ، بكسر الميم . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « في كل شيء » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « وكيف أنفس بالدنيا » .

نَصْبُو إِلَيْهَا بِأَمَالٍ مُخَيَّبَةٍ كَأَنَّهَا مَا نَرَى عُقْبَى أُمَانِهَا  
 فِي وَحْشَةِ الدَّارِ مَنْ كَانَ يَسْكُنُهَا كُلُّ اعْتِبَارٍ لَمَنْ قَدْ ظَلَّ بِأَوِيهَا  
 لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا قَلْبِي لَهَا وَطَنًا وَقَدْ رَأَيْتُ طُلُولًا مِنْ مَعَانِهَا  
 وَأَخْبَرَنَا أَبُو عبيد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن  
 يحيى ثعلب للحسين بن مطير:

لقد كنتُ جَدًّا قَبْلَ أَنْ يوقِدَ الهَوَى عَلَى كَيْدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا (١)  
 وَلَوْ تَرَكْتُ نَارُ الهَوَى لَتَضَرَّمتُ وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا (٢)  
 وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدُمْتُ أَحْزَانُهَا وَعَهْدُهَا (٣)  
 / فَقَدْ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا عَهَادَ الهَوَى تُؤَلِّي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا (٤) [١٤٥] ط  
 ١٠ بُمُرْتَجَّةِ الْأَرْدَفِ هَيْفِ خُصُورُهَا عَذَابِ ثَنَائِهَا عِجَافٍ قِيُودُهَا (٥)

— يعني أنها عجاف اللثات وأصول الأسنان ، وهي قيودها . قال أبو العباس ثعلب :  
 « عِجَاف » ، بالخفض لَحْنٌ ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون نصباً ؛ لأنه  
 حال من الثنايا (٦) . —

(١) أبيات منها في أمالي الزجاجي : ١٢٤-١٢٥ ، وأمالى القالي ١ : ١٦٥ ، والجماسة بشرح  
 التبريزي ٣ : ٢٠٦-٢٠٧ وفي م : « توقد النوى » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أى لو  
 تركت نار الهوى ولم يزد فيها الشوق لكانت كافية ؛ فكيف والشوق كل يوم يزيدها ويذكيها ! » .  
 (٣) ت ، د ، ف : « أيامها وعهودها » . (٤) العهد : جمع عهدة ؛ وهو المطر الأول ، والولى ؛  
 المطر الثاني ، شبه أول الشوق بالعهد ، وما وليه بالولى ؛ فأول المطر إذا لحقه المطر الثاني كثر الريحيم والخصب .  
 (٥) هيف : جمع هيفاء ؛ وهو الدقيقة الحصر ، الضامرة البطن وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « عجافا » .  
 (٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير في « قيودها » لثنائيا » . وفيها  
 أيضا : « هذا الذى ذكره أحمد بن يحيى عجب ، وباب جريان الصفة على غير من هوله واسم . وقوله :  
 « مرتجة الأرداف » ، وإن كان لا يحتمل أن يريد به جماعة النساء فإنه يحتمل أن يريد به واحدة ،  
 وتسكون « خصوصها » جما بما يقارب الحصر ، ويكون قوله : « هيف » دون « هيفاء » من باب قوله :  
 فيا ليلة خُرس الدجاج طويلةً يبعداد ما كادت عن الصبح تنجلي  
 وإنما جمع الحرس ، لأنها في الحقيقة صفة الدجاج ، لا الليل ، فكذلك هاهنا .



مُخَصَّرَةُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عَقُودَهَا      بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا  
وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٌ أَكْفُفُهَا      وَسُودٌ نَوَاصِيهَا وَبَيْضٌ خُدُودُهَا  
- وصف التراقي بالصفرة<sup>(١)</sup> من الطيب، وحمرة أكفها من الخضاب -

يُمْنَيْنِنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا      رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا<sup>(٢)</sup>

أخذ قوله: «مُخَصَّرَةُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ...»، البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة: ٥

وَتَزِيدُنِي أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا      - إِنَّ تَمَسِّيهِ - أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا!  
وَإِذَا الدَّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجْهِهِ      كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير .

وروى له أيضاً<sup>(٣)</sup> - ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة :

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءُ      فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا ١٠  
خَلِيلِي مَا بِالْعَيْشِ عَيْبٌ لَوْ أَنَّنا      وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الصَّبَا مَنْ يُعِيدُهَا

وروى أبو تمام أيضاً لغيره<sup>(٤)</sup> ، وبعض الرواة يرونها لابن مُطَيْر :

وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصَّدُودِ مِنَ الْجَوَى      كَنَظْرَةِ تَسْكِلِي قَدْ أَصِيبَ وَلِيدُهَا  
هَلْ اللَّهُ عَافٍ عَنِ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ!      أَمْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا!<sup>(٥)</sup>

وَأَنشَدَ أَبُو حَاحَمٍ لَابْنَ مُطَيْرٍ : ١٥

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ أَسْتُ بَارِحًا      أَحْبَبْتُكَ حَتَّى يُفَمِّضَ الْعَيْنَ مُفَمِّضُ<sup>(٦)</sup>

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد ذكر في صفرة التراقي أنها من الحلى .

(٢) حاشية الأصل : « يقال : رف النبات إذا مطر فاهتز بالندى .

(٣) الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ٣٠٢-٣٠٣ . (٤) الذي في ديوان الحماسة بشرح التبريزي

أن الأبيات الأربعة منسوبة للحسين بن مطير . (٥) حاشية الأصل : « الضمير للمرأة التي يجوى لها » .

(٦) الزهرة : ٢٤ ؛ وفي حاشية الأصل : « أغمض وغمض [بالتضعيف] بمعنى واحد ، أى بغمض عينه

وليه بعد الموت » .

[١٤٦]

/ وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ الْأَيَّامِ نِيَّ / وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنْتَى لَكَ مُبْغِضٌ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا أَنَارُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبٍّ غَيْرِهَا / أَتَى حُبُّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَعَرَّضُ  
 فَيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا<sup>(٢)</sup> صَبَابَتِي / وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّوْقِ مُقْرِضُ  
 ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

\* إِذَا أَنَا رُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبٍّ غَيْرِهَا \*

من قول رجل من أفرارة :

وَأَعْرِضْ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ أَنَّمَا / بِي الْهَجْرُ لَا هَا لِلَّهِ مَا بِي لَكَ الْهَجْرُ  
 وَلَكِنْ أَرَوْضُ النَّفْسَ أَنْظُرْ هَلْ لَهَا / إِذَا فَارَقْتُ يَوْمًا أَحِبَّتْهَا - صَبْرُ !  
 أو من قول نُصَيْب :

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي كَثِيرًا وَأَنْتَى / عِيُونًا<sup>(٣)</sup> وَأُسْتَبْقَى الْمَوَدَّةَ بِالْهَجْرِ  
 وَأُنْذِرُ بِالْهَجْرِ أَنْفُسَ أَرَوْضُهَا / لَتَعْلَمَ عِنْدَ الْهَجْرِ هَلْ لِي مِنْ صَبْرٍ !  
 ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

\* فَيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي ... \* الْبَيْت

من قول بعض العرب :

رَمَى قَلْبَهُ الْبَرْقُ الْمُلْأَى رَمِيَّةً / بِحَنْبِ الْحِمَى وَهَنَا فَكَادَ يَبْهِمُ<sup>(٤)</sup>  
 فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ / فَإِنْ سَانُ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمُ  
 وللحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد :

وَلِي كَبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبْغِي / بِهَا كَبْدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ<sup>(٥)</sup>

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « وإن كان دأى » . (٢) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف :  
 « غبرى » - (٣) ف : « غيورا » ، م : « عدوا » . (٤) حاشية ت ( من نسخة ) : « البرق الملالى رمية » .  
 (٥) حواشى الأصل ، ت ، ف : « رواهما غير المبرد لابن الدمينه ، وقبلهما :

أَلَا يَأْجَمِي وَادِي الْمِيَاهِ قَتَلْتَنِي أَبَا حَكَّ لِي قَبْلَ الْمَاتِ مُبْسِحُ =

أَبِي النَّاسِ، وَيَبِ النَّاسِ لَا يَشْتَرُ وَنَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عُرَّةٍ بِصَحِيحٍ! (١)  
وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال :  
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا! أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ! (٢)

\*\*\*

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيم قال حدثني يموت بن المزرع قال  
حدثنا محمد بن حميد قال: كنا عند الأصمعي؛ فأنشدني رجل أبيات دِعْبِل :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلَكَا! لَا، أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكَا! (٣)

[١٤٦] لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مَنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

يَا سَلَمُ مَا بِالْمَشِيبِ مَنَقَصَةٌ لَا سَوْقَةً يُبْقَى وَلَا مَلِكَا

قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرَكَا

يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوْمُكُمْ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمَى سَفِكََا! ١٠

لَا تَأْخُذْ بِظِلَامَتِي أَحَدَا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمَى اشْتَرَكَا

قال: فاستحسنها كلُّ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَكْثَرُوا التَّعْجِبَ مِنْ قَوْلِهِ :

\* ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى \*

= وبعدها :

أَنْ مِنْ الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِحِي أَنْيْنَ عَضِيضٍ بِالسَّلَاحِ جَرِيحٍ «

وفي معجم البلدان ٨ : ٣٧٧ أبيات خمسة نسبها إلى ابن الدمينية ، يتفق البيت الأول والرابع والخامس مع هذه الأبيات ، والبيت الثاني والثالث هناك :

رَأَيْتُكَ غَضَّ النَّبْتِ مَرْتَبَطِ التَّرَى يَحْوُطُكَ شَجَاعٌ عَلَيْكَ شَحِيحٌ

كَأَنَّ مَدُوفَ الزَّعْفَرَانِ بِجَنْبِهِ دَمٌ مِنْ ظِبَاءِ الْوَادِيْنَ ذَبِيحٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ذاعلة » . (٢) حاشية الأصل : قبله :

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعَرُ عَيْنًا لِغَيْرِكَ دُمُعَهَا مِدْرَارُ

والبيتان في ديوانه : ٦٨ . (٣) الأبيات في العقد ٥ : ٣٧٥ والخزانة ٣ : ٤٨٧ .

فقال الأصمعي : إنما أخذ قوله هذا من ابن مُطِيرِ الأسدَى في قوله :

أَيْنَ أَهْلُ الْقِيَابِ بِالْدهْناءِ ! أَيْنَ جيراننا على الأَحْساءِ !<sup>(١)</sup>  
جَوْرُونَا والأَرْضُ مُلبَّسةٌ نَوْرَ الأَقاحي تُجَادُ بالأَنْواءِ  
كلَّ يَوْمٍ عن أَفْحوانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الأَرْضُ مِنْ بُكاءِ السَّماءِ<sup>(٢)</sup>

٥ وقد أخذه مسلم صريح الغواني في قوله :

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي على دِمْنَةٍ ورَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ المَشِيبُ<sup>(٣)</sup>

قال سيدنا أدام الله علوه : ولأبي الحِجْلاء نُصِيبُ الأصغر مثلُ هذا المعنى ، وهو قوله :

يَبْكِي الغَمَامُ بِهِ فَأَصْبَحَ رَوْضُهُ جَدْلانَ يَضْحَكُ بِالْجَمِيمِ وَيُزْهَرُ<sup>(٤)</sup>  
ولابن المعتز مثله :

١٠ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَخِيَاءٍ دِيمَةٍ إِذَا مَابَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِكَ الرَّهْرِ<sup>(٥)</sup>

ولابن دريد مثله :

تَبَسَّمَ المَزْنُ وَاَنْهَلَتْ مَدَامِعُهُ فَأَضْحَكَ الرَّوْضُ جَفْنُ الضَّاحِكِ الْبَاكِ<sup>(٦)</sup>  
وغازَلَ الشَّمْسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلْحَقُهَا<sup>(٧)</sup> بَعَيْنٌ مُسْتَعْبِرٌ بِالْدمْعِ ضَحَّاكٌ

وروى عن أبي العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مُطِيرِ قوله :

١٥ \* تَضْحَكُ الأَرْضُ مِنْ بُكاءِ السَّماءِ \*

[١٤٧] / من قول دُكَيْنِ الراجز :

جُنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكَ<sup>(٨)</sup> وَضَحِكَ المَزْنُ بِهِ حَتَّى بَكَى

(١) الحزانة ٢ : ٤٨٧ ، عن الفرر . وفي حاشية الأصل : « الأحساء : جمع حسي ، وهو الموضع الذي استنقع فيه الماء » . والدهناء : أرض من منازل تميم بنجد . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بأفحوان » . (٣) ديوانه : ٣٦٧ ، الوساطة : ٤٤ : (٤) ت : « يبكي الغمام » . الجميم : الكلا الكثير . (٥) ديوانه : ١ : ٣٣ (٦) ديوانه : ٩٨ ، والحزانة ٢ : ٤٨٧ — ٤٨٨ وكلاهما عن الفرر . وفي حاشية ت (من نسخة) : « دم الضاحك الباكي » . (٧) ت : « يلحظها » (٨) الحزانة ٢ : ٤٨٨ : عن الفرر .

# مَجْلِسٌ آخِرُ

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

الجواب ، قلنا : ذكر في هذه الآية وجهان مطابقان للحق :

أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى ؛ فكأنه قال : وما يعلم ٥ تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم ، وإنهم مع علمهم به ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ؛ فوقع قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ في موقع الحال ؛ والمعنى أنهم يعلمونه قائلين : ﴿ آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ وهذا غاية المدح لهم ؛ لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم ، وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم .

والحجة - لمن ذهب إلى ما بيناه ، والردُّ على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون ١٠ قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ على هذا التأويل لا ابتداء له ، - قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ ؛ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ؛ [ الحشر : ٧ ] ، فذكر جملة ، ثم تلاها بالتفصيل ، وتسمية من يستحق هذا الفاء فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ الصَّادِقُونَ ﴾ ؛ [ الحشر : ٨ ] . وقال في الذين تبوءوا الدار والإيمان - ١٥ وهم الأنصار : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ؛ [ الحشر : ٩ ] . وقال فيمن جاء بعدهم : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴿١٠﴾ ؛ [الحشر : ١٠] ، فهذه الآيات تدلّ على أنه لا يُفكرُ في آية « الراسخين في العلم » أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ حالاً لهم ؛ مع العلم بتأويل التشابه ؛ ولو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾ في أنه موافق لقوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ وأن الصورتين واحدة .

[١٤٧] ومما يُستشهد به / على ذلك من الشعر قول يزيد بن (١) مفرّغ في عبدٍ له كان يُسمّى <sup>ظ</sup> بُرداً بآءه ثم ندم عليه :

وَشَرِيتُ بُرْدًا لِبَنِي      مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً (٢)  
هَامَةً تَدْعُو صَدَى      بَيْنَ الْمُشَقَّرِ فَالِيمَامَةِ (٣)  
الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهُ      وَالْبَرْقُ يَلْعُجُ فِي الْغَمَامَةِ (٤)

١٠

فمطف البرق على الريح ، ثم أتبعه بقوله : « يلمع » ؛ كأنه قال : والبرق أيضاً يبيكه لامعاً غمامة ؛ أى في حال لمعانه ؛ ولولم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .

ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف « الراسخين » على ما تقدّم ، وإثبات العلم بالتشابه لهم أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ استئناف جملة ، واستغنى فيه عن حرف العطف ؛ كما استغنى في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَوْهُمْ كِلْبُهُمْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٢] ، ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباسٌ بالجملة الأولى ، فيُستغنى به عن حرف العطف ، ولو عطف بحرف العطف كان حسناً ، يُنزَلُ المتأبّس منزلةً غير المتأبّس .

والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف

(١) هو يزيد بن زريعة بن مفرغ ؛ وخبر بيعه برداً ، مع الأبيات في الأغاني ١٧ : ٥٣-٥٥ .  
(٢) شريت : بعث ، والهامة والصدى ، كلاهما كناية عما تزعم العرب أنه يطير من رأس الميت .  
(٣) المشقر : حصن بين البحرين ونجران . (٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « في غمامة » .

على ما تقدم، ثم أخبر عنهم بأنهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب التأويل، لأنه قد يسمى تأويلاً، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾، [الأعراف: ٥٣] والمراد بذلك لا محالة التأويل، والتأويل الذى لا يعلمه العلماء؛ وإن كان الله عز وجل عالماً به، كنفخ وقت قيام الساعة، ومقادير الثواب والعقاب، وصفة الحساب، وتعيين الصغار؛ إلى غير ذلك؛ فكأنه قال: وما يعلم تأويل جميعه. على المعنى الذى ذكرناه إلا الله؛ ٥ والعلماء يقولون آمنا به.

وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه، وقواه، وضعف الأول بأن قال: قول الراسخين فى العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ دلالة على استسلامهم؛ لأنهم لا يعرفون تأويل التشابه، كما يعرفون تأويل المحكم، ولأن ما ذكرناه من وقت القيامة، ومن التمييز بين الصغار والكبار هو من تأويل القرآن؛ إذا كان داخلاً فى خبر الله؛ والراسخون فى العلم / لا يملكون [١٤٨] ذلك.

وليس الذى ذكره بشيء؛ لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالتشابه: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ على الوجه الذى قدمنا ذكره؛ فكيف يُظَنّ أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به! وما المنكر من أن يُظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويتحققه! فأما قوله: «ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن» فذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حُمِلَتْ هذه اللفظة على التأويل، لا على الفائدة والمعنى. ١٥ وأما إذا حُمِلَتْ على أنه: وما يعلم معنى التشابه وفائدته إلا الله، فلا بد من دخول العلماء فيه. وليس يمكنه أن يقول: إنَّ حملَ التأويل على التأويل أظهر من حمله على المعنى والفائدة؛ لأن الأمر بالعكس من ذلك؛ بل حمله على المعنى أظهر وأكثر فى الاستعمال، وأشبه بالحقيقة؛ على أنه لو قيل: إنَّ الجواب الأول أقوى من الثانى لكان أولى من قوله من قبل: إنه لو كان المراد بالتأويل التأويل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم ٢٠ معنى؛ لأن فى متأويل المحكم؛ كما خبره عن الثواب والعقاب والحساب؛ مما لا شبهة فى كونه

محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه إلا الله تعالى ؛ فأى معنى لتخصيص التشابه بذلك والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه ! ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ! فخص التشابه بالذكر .

والأولى أيضا أن يكون المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلُهُ ﴾ الثانية هو المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلِهِ ﴾ الأولى ، وقد علمنا أن الذين في قلوبهم زَيْغٌ إنما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الذى هو متاويله ؛ فالوجه الأول أقوى وأرجح .

ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكره ، على أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف ، ويكون المعنى : وما يعلم تأويل التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله ؛ وهذا صحيح لأن أكثر التشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق ، الموافقة لأدلة العقول ؛ فيذكر المتأول جميعها ، ولا يقطع على مراد الله منها بعينه ، لأن الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم فى الجملة أنه لم يُرد من المعنى ما يخالف الأدلة ؛ وأنه قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية فى الجواز ، والوافقة للحق . وليس من تكليفنا أن نعلم المراد / بعينه ؛ وهذا مثل الضلال والهدى اللذين نبين احتمالهما لوجوه كثيرة ؛ منها ما يخالف الحق فيقطع على أنه تعالى لم يرده ، ومنها وجوه تطابق الحق ، فيعلم فى الجملة أنه قد أراد أحدها ، ولا يعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى التشابهية ؛ فإن أكثرها يحتمل وجوها ، والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ؛ ويكون قوله تعالى من بعد : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، أى صدقنا بما نعلمه مفصلاً ومجماً من المحكم والتشابه ؛ وأن الكل من عند ربنا ؛ وهذا وجه واضح .

\*\*\*

٢٠ أخبرنا أبو عبيد الله الرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حية<sup>(١)</sup> التميمي - وهى أبيات مختارة :

(١) هو أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة ، ينتهى نسبه إلى ضر بن نزار . من مخضرمي الدولتين ، =



وخبَّرَكَ الواشونَ ألاَّ أُحِبَّكُمْ      بلى وستورِ الله<sup>(١)</sup> ذاتِ المحارمِ<sup>(٢)</sup>  
أُصِدُّ ، وما الصَّدُّ الذى تعرِّفينهُ      عزاءٌ بنا إلاَّ اجتراعُ العلاقمِ<sup>(٣)</sup>  
حياءٌ وبُقياءُ أنْ تشيعَ نيمتهُ      بنا وبِكمْ ؛ أفٍ لأهلِ النِّمائِمِ<sup>(٤)</sup>  
وإنَّ دَمًا لوْ تعلمينَ جَنيتِهِ      على الحىِّ ، جانى مثلهُ غيرُ سالمِ<sup>(٥)</sup>  
أما إنَّه لو كانَ غيرُكَ أرَقَلْتُ      صِعَادُ القَنَا بالزَّاعفاتِ اللِّهَازِمِ<sup>(٦)</sup> ٥  
ولكنه والله ما طَلَّ مُسْلِمًا      كَبِيسُ الثَّنَايا واضِحَاتِ المِلاغمِ

— قال ثعلب: المِلاغم، ماحول الفم، وقال المبرد: «واضحَاتِ المِلاغم»، يريد العوارض، وقوله: «ما طَلَّ مسلمًا»، أى أبطل دمه —

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ حَسِبْتُهُ<sup>(٧)</sup>      سُقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ سِلْكٍ نَاطِمٍ  
— ويروى: «ساقطن الأحاديث للفتى». ويروى أيضا: «ساقطن الحديث كأنه» — ١٠  
رَمَيْنَ فَأَقْصَدَنَ الْقُلُوبَ فَلَا تَرَى      دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوَّى فِي الْحَيَازِمِ<sup>(٨)</sup>

من ساكنى البصرة، وكان شاعرا راجزا مقصدا، (وانظر ترجمته وأخباره فى الأغاني ١٥ : ٦١-٦٢ والشعر والشعراء ٧٤٩-٧٥٠، والخزانة ٤ : ٢٨٣-٢٨٥).

(١) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «ستور البيت».

(٢) السكامل — بشرح الموصى ١ : ٢٣١-٢٣٥، وأمالى الفالى ٢ : ٢٨٠، ومختارات ابن

الشجرى ١٥٣. (٣) اجتراع: مصدر اجتزع الماء إذا ابتلعه. والعلاقم: واحدها العلقم، جمع العلقمة، وهى القطعة من كل شىء مر. (٤) حاشية ت (من نسخة): «لذى النائم».

(٥) حاشية ت (من نسخة): «غير نادم». (٦) فى حاشيتى الأصل، ف: «الإرقال»:

ضرب من السير السريع؛ وهو هنا استعارة، والصعداء: جمع صعدة، والرافعات: الأسنة التى يعرفن، والليهازم: جمع لهزم؛ وهن القواطع». (٧) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «كأنه»؛ وهى رواية السكامل، وفى حاشية ت (من نسخة): «ساقطن الأحاديث بيننا».

(٨) أقصدن القلوب: رمينها؛ من قولهم: قصدت الرجل إذا طعنته أو رميته؛ فلم تخطىء مقاتله.

والدم المائر: السائل. والحيازم: الحيازيم؛ وهى ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. وفى حاشية الأصل (من نسخة): «فأصمن القلوب».

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مُستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله :

كأن لم أبرح بالغيور وأقتتلُ      بتفتير أبصار الصّحاح السّقامِ (١)  
/ ولم ألهُ بالحديث الألف الذي لهُ      غداً لم يُحرَم من فار اللّطائمِ (٢)  
إذا اللّهُ يطبيني وإذا أستميلهُ      بمخلولك الفودين وحف المقادِمِ (٣)  
وإذا أنا مُنقاد لكلّ مُقوّد      إلى اللّهُ حلاف البطالاتِ آثمِ

[١٤٩]

— وروى ابن حبيب : « مُقوّد ». ومعنى « حلاف البطالات »، أى حلاف في البطالات.

مُهينُ المطايا مُتلفٌ غير أننى      على هُلك ما أتلفته غير نادِمِ (٤)  
أرى خيرَ يومىّ الخسيس وإن غلا      بى اللّوم لم أحفل ملامه لاثمِ

— معنى « خير يومىّ الخسيس »، أى أحبُّ يومىّ إلى الذى هو أخسّ عند أهل

١٠ الرأى والعقل .

وأنشد أبو إسحاق إبراهيم بن سيف بن الزيّادى لأبى حية - واسمه هيثم بن الربيع :

ترحل بالشباب الشيبُ عنّا      فليت الشيب كان به الرّحيلُ  
وقد كان الشبابُ لنا خليلاً      فقد قضى ما ربه الخليلُ  
لعمرك أبى، الشبابُ لقد تولى      حميدا ما يرادُ به بديلُ

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أى كأن لم أعذب بعذاب شديد ؟ ويعنى بالغيور زوجها أو

أخاها . ومعنى أقتتل أقتل . والأعراف فى الحب أن يقال : اقتتله الحب ؟ قال ذو الرمة :

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتتلنه      بلا إحنة بين النفوس ولا زحل

(٢) الحدث : الحادث . والألف : عظيم انقخذ ؛ ويقال : امرأة لفاء ؛ إذا كانت ضخمة الفخذين

مكتنزة باللحم . والفار : نافجة المسك . واللطائم : جم لطيمة ؛ وهى الغافلة التى يكون فيها المسك .

(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « إذا أستميله » . طباه : دعاه . والمخلولك : الحالك الأسود .

والفودان : مثنى فود ؛ وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس . والوحف : الشعر الكثير

الأسود . والمقاد : مقدمات الرأس . (٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « على ردما أتلفته » ، أى على

اكتساب ؛ والنقدير : غير أنى غير نادم ؛ مع أنى قادر على رد ما أتلفت واكتساب مثله .

إِذِ الْيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا      وَظِلُّ أَرَاكِ الدُّنْيَا ظَلِيلٌ

وأنشد المبرّد ، قال أنشدنا أبو عثمان المازني لأبي حيّة :

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا      رَجَعْنَ لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقِصَارَا <sup>(١)</sup>

زَمَانٌ عَلَى غُرَابٍ غُدَافٌ      فَطِيرَهُ الدَّهْرُ عَنِ فَطَارَا

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابِ      وَإِنْ هُوَ لَمْ يُبْقِ إِلَّا أَدَّ كَارَا

كَأَنَّ الشَّبَابَ وَلَذَاتِهِ      وَرَيْقَ الصَّبَا كَانَ يَوْمًا مُعَارَا <sup>(٢)</sup>

— رَيْقُ الصَّبَا وَرَيْقُهُ وَرَوْنَقُهُ : أَوَّلُهُ —

وَهَازِئَةٍ أَنْ رَأَتْ لِمَتِّي      تَلَفَعَ شَيْبٌ بِهَا فَاسْتَدَارَا <sup>(٣)</sup>

وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخِطَامِ      عِذَا رَا فَمَا اسْتَطِيعَ اعْتِدَارَا <sup>(٤)</sup>

/ أَجَارَتْنَا إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ      قَبْلِي نَالَ الرَّجَالَ الْخِيَارَا <sup>(٥)</sup>

فَإِمَّا تَرَى لِمَتِّي هَكَذَا      فَاسْرَعْتُ فِيهَا لِشَيْبِي النَّفَارَا <sup>(٦)</sup>

فَقَدْ أُرْتَدَى وَخَفَةَ طَلَّةٌ      وَقَدْ أُبْرِزُ الْفَتَيَاتِ الْخِفَارَا

أما قوله : « عَلَى غُرَابٍ غُدَافٌ » فأراد به الشَّبَابَ والشَّعْرَ الْأَسْوَدَ ، وَيُشَبِّهُهُ أَنْ يَكُونَ

مَأْخُوذًا مِنْ قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ :

وَمَا طِلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ تُدْرِكُهُ      إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدَوْعَمَا! <sup>(٧)</sup>

وَلَأَبَى حَيَّةٌ مِنْ قَصِيدَةِ أَوَّلِهَا :

\* أَلَا يَا اسْلَمَى أَطْلَالَ خَنْسَاءَ وَانْعَمَى <sup>(٨)</sup> \*

(١) حاشية ت : « يحتمل أن تكون « الصالحات » مفعول « رجعن ، ويحتمل أن يكون نصبا على

اللدح . (٢) ت ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ثوبا معاراً . (٣) من نسخة بمحواشي الأصل ،

ت ، ف : « أهازئة » . وتلفع الشيب به ، أي شمله . (٤) حاشية ت : « جعل ظهور الشيب في

شاربه وعنفته خطاما ، وشيب ماعلى لحية من الشعر عذاراً ؛ وهذا من حسن التشبيه » .

(٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « غال الرجال » . (٦) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « منها

لشيبى » . ومن نسخة أخرى : « فأسرعت منى » . وفي حاشية ت ( من نسخة ) : « لشيب نفارا » .

(٧) ديوانه : ٧٣ . (٨) أبيات منها في زهر الآداب : ١٩٠ ( طبعة الحلبي ) والحامسة — بشرح

التبريزي ٣ : ٣٠٨ — ٣١٠ .

وَحَنَسَاءُ مِخْمَاصُ الْوِشَاحِينَ مَشِيهَا  
إِلَى الرُّوحِ أَفْنَانُ خُطَا الْمُتَجَشَّمِ (١)  
أَلِمَّا بِسَلَمَى قَبْلَ أَنْ تَرْمِيَ النَّوَى  
بِنَافِذَةٍ نَبْضَ الْفُؤَادِ الْمُتَيَّمِ  
يَقِفُ عَاشِقًا لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ  
وَلَا عَقْلِهِ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ  
فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا: فَدَيْنَاكِ! لَا يَرُحُ  
صَحِيحًا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَمَى (٢)  
فَأَلَقْتُ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ  
بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ: كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْدِ إِسْقَاطُهُ  
فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ (٣)

ولقوله : « وَقَانْ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُح » خبره ، وهو ما أخبرنا به أبو الحسن  
على بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولى قال حدثني الباقراني قال : اتصل  
بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمرُ علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين  
القاسم ابنه ، وسمع شيئا من أهاجيه ، فقال لأبي الحسين : قد أحببتُ أن أرى ابنَ روميِّك  
هذا ؛ فدخل يوماً عبيد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده ، فاستنشدته من شعره  
فأنشده ، وخاطبه ، فرآه مضطربَ العقل جاهلاً ، فقال لأبي الحسين - بينه  
وبينه - : إنَّ لسان هذا أطول من عقله ، وَمَنْ هذه صورته لا تُؤمِّن عقاربُه عند أول  
عَتَبٍ ، ولا يفكِّر في عاقبةٍ ، فأخبره عنك ، فقال : أخاف حينئذ أن يُعلن ما يكتمه في  
[١٤٣] دولتنا ، ويُذيعه في تمكِّنا ، فقال : يا بني / لم أَرِدْ بإخراجك له طرده ، فاستعمل فيه بيت  
أبي حيَّه النُميري :

فَقُلْنَا: لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ! لَا يَرُحُ صَحِيحًا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَمَى

(١) مخماس الوشاحين، كناية عن أنها هيفاء . والوشاح : أديم عريض ترصعه المرأة بالجواهر ونشده  
على عاتقها . ووشيا إلى الروح ؛ أى حين تخرج من خباياها تطلب الروح . وأفنان : جمع فن؛ أى أنواع؛  
وفت : « إقتار خطا المتجشم » (٢) ألمى : اشرعى فى مبادئ قتله . (٣) ديوانه : ٣٠ ؛ والنصيف :  
الحمار ، أو نصفه .

فحدث القاسم بن فراس بما جرى ، وكان أعدى الناس لابن الرومي ؛ وقد هجاه بأهاج<sup>(١)</sup> قبيحة ، فقال له الوزير أعزه الله : أشار بأن يُغتال حتى يُستراح منه وأنا أ كفيك ذلك قال : فسمه في الخُسكَنانج ، فمات .

قال الباقراني : والناس يقولون ما قتل ابن فراس ، وإنما قتل عبيد الله<sup>(٢)</sup> .

وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال : ” مما يُفَضَّلُ<sup>(٣)</sup> لتخلّصه من التكفّف ، وسلامته من التزيّد \* وبعده من الاستعانة قول أبي حيّة :

رَمَتْنِي - وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا - عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ<sup>(٤)</sup>  
أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ، وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ<sup>(٥)</sup>

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد روى هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرّد . قال المبرّد يقول : ” رمتني وأصابني بمحاسنها ، ولو كنت شابا لرميتُ كما رُميتُ ، وفُتنتُ كما فُتنتُ ؛ ولكن عهدي قد تطاول بالشباب ، وهذا كلام واضح ؛ ” وأما الاستعانة فهي أن يُدخل في الكلام مالا حاجة بالمستمع إليه ليُصحح نظما أو وزنا<sup>(٥)</sup> .

ومما يختار من قول أبي حيّة أيضا :

(١) حاشية الأصل : \* يقال بينهم أهجوة وأهجية ، ، والجمع الأهاجي ، وقد يخفف كالأثافي .  
(٢) في ت : \* قال ابن الرومي لما رجم ، وقد دب السم في أعضائه :

أشرب الماء إذا ما التهبْتُ نَارُ أَحْشَائِي لِإِطْفَاءِ اللَّهْبِ  
فأراه زائدا في حُرْقَتِي فَكَأَنَّ الْمَاءَ لِلنَّارِ حَطْبٌ

(٣) السكامل - بشرح المصنف ١ : ١٢٩-١٣٠ ، وهما أيضا في الحماسة - بشرح النبربزي ٣ : ٢٦٩-٢٧٠ وآرام : جمع إرم ، مثل غنب ؛ وهي الحجارة تنصب علما في المفازة يهتدى بها . رميم : اسم امرأة . وستر الله : الإسلام ، وفيل الشيب ؛ وقيل ما حرم الله عليهما . (٤) ومن زبادات السكامل بعد هذا البيت :

يرى الناسُ أنّي قد سَكَوْتُ وإنّني لمرمىُ أحناء الضلوع سَقِيمُ  
(٥) بقية عبارة المبرّد : \* . ، إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام مشهور .

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا      لَبَسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا<sup>(١)</sup>  
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ      تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمِلُّ التَّقَاضِيَا

ويقال: إن أحسن ما وُصفَ به المسواك قول أبي حية :

لَقَدْ طَالَمَا عَنَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا      وَعَلَلْتُ شَيْطَانَ الْغَوَى الْمُشَوِّقِ<sup>(٢)</sup>  
وَدَاوَيْتُ قَرْحَ الْقَلْبِ مِنْهُنَّ بِالْمُنَى      وَبِالْخُطْرِ - لَوْ يَبْذُلْنَهُ - الْمُتَسَرِّقِ  
وَسَاقَيْتَنِي كَأْسَ الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا      رِقَاقَ الثَّنَائِيَا عَذْبَةً التَّرِيقِ<sup>(٣)</sup>  
وَحُمُصَانَةً تَفْتَرُّ عَنْ مَتَنَضِّدٍ      كَنْوَرَ الْأَقَاحِي طَيِّبِ الْمُتَدَوِّقِ

[١٥٠] - ويروى: «عن متنسق»، يعنى تفرأ على نسق واحد لا اختلاف فيه -

إِذَا مَضَعْتُ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضُّحَى      أَنَا يَبَّ مِنْ عُودِ الْأَرَاكِ الْمُخَلَّقِ  
- الامتناع: الارتفاع ، يقال متع النهار وأمتع إذا طال - والمخلق: الذى علق به المخلوق  
والطيب من يدها؛ وقال بعضهم : عنى بالمخلق المملس -

سَقَتْ شَعَثَ الْمِسْوَاكِ مَاءُ غَمَامَةٍ      فَضِيضًا بِخُرْطُومِ الْمُدَامِ الْمُرَوِّقِ<sup>(٤)</sup>  
- والفضيض : الذى حينَ سال من الغمامة ، أى كما فُضَّ<sup>(٥)</sup> ، والخُرْطُوم : سُلَافُ الْخَمْرِ ،

وهو أول ما يخرج من غير عَصْرِ ولا دَوْسٍ -

وَأِنْ ذُقْتَ فَاهَا بَعْدَ مَا سَقَطَ النَّدى      بَعْطْفَى بِخَنْدَاةٍ رَدَّاحِ الْمُنْطَقِ

- الْبَخَنْدَاةُ : الضَّخْمَةُ . وَالرَّدَّاحُ : الْعَظِيمَةُ الْأُرْدَاةُ .

شَمِمْتُ الْعَرَارَ الطَّلَّ غِبَّ هَمِيمَةٍ      وَنَوَّرَ الْخُزَامَى فِي النَّدى الْمُتَرَقِّقِ<sup>(٦)</sup>

(١) السكامل - بشرح المرفى ٣ : ٢٥ .

(٢) زهر الآداب : ٢٢٧ ( طبعة الحاي ) ، شرح المختار من شعر بشار : ٢٣٨ .

(٣) حاشية ت : « راق السراب يريق ريقا ، وتريق ، إذا لمع ؛ كأنه قال : عذبة موضع التريق » .

ويجوز أن يكون مشتقا من الريق الذى هو الرضاب ؛ أى عذبة مترشف الريق » .

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « بخرطوم المدام المروق » . (٥) كما فُضَّ ؛ أى كما تفرق

من السحابة ؛ ولم تصل إليه غبرة . (٦) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ونور الأقاحى » .

— العَرَّار: بَهَارِ الْبَرِّ، وَالطَّلَّ: الْغَضَّ الطَّرِىَّ، وَالْهَمِيمَةُ: مَطَرٌ لَيْلٍ<sup>(١)</sup> :

وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي — وَقَدْ ذَكَرَ قَوْلَ

أَبِي حِيَّةَ :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ<sup>(٢)</sup>

بَعَيْنَيْنِ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُسْكَ فَأَعَشَى، وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَابْصِرُ<sup>(٣)</sup> .

فَقَالَ: لَوْ اعْتَرَضَنِي مُمْلَكٌ تَجِبُ طَاعَتَهُ، وَيُلْزِمُ الْإِنْقِيَادَ لِأَمْرِهِ فَقَالَ: أَيُّ شَعْرِ أَجُودُ

وَأَوَّلِي بَأَن يُسْتَحْسَنَ؟ وَلَمْ يَفْسَحْ لِي فِي أَنْ أُمِيزَ الْمَدْحَ مِنَ الْفَخْرِ، وَالْهَجَاءَ مِنَ التَّشْيِيبِ،

وَسَائِرِ أَصْنَافِ الشَّعْرِ وَمِزَاجِ الشُّعْرَاءِ فِيهِ لَمَّا عَدَلْتُ عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ .

وَيَقَالُ إِنَّ أَبَا أَحْمَدَ عَمِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَجَازَ بَيْتِي أَبِي حِيَّةَ هَذَيْنِ بِقَوْلِهِ :

فَلَا مَقْلَتِي مِنْ غَامِرِ الْمَاءِ تَنْجَلِي وَلَا دَمْعَتِي مِنْ مُكْمَدِ الْوَجْدِ تَقْطُرُ<sup>(٤)</sup> ١٠

وَلَأَبِي حِيَّةَ :

مِنْ الْمُبْكِيَّاتِ الْجَلْدَ حَتَّى كَأَنَّمَا تَسُحُّ بِعَيْنَيْهِ الدُّمُوعَ شَعِيبُ

— الشَّعِيبُ: مَزَادَةٌ مِنْ أَدِيمَيْنِ، يُشْعَبُ<sup>(٥)</sup> أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ —

(١) حاشية الأصل: «في نسخة س: أَخْبَرَنَا الْبَارِعُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي الرَّئِيسُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ بَارِي الْوَاسِطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كَمَا عِنْدَ

الْمَلِكِ الْعَزِيزِ فِي مَجْلَسِ أَنْسِهِ، وَأَنْشَدَ مَنَشِدَ بَيْتِي أَبِي حِيَّةَ: «إِذَا مَضَتْ . . .»، وَلَدَى يَلِيهِ، فَسَأَلَنِي الْمَلِكُ

الْعَزِيزُ أَنْ أَجِيزَهُمَا فَقُلْتُ:

هَنِيئًا عَلَى رُغْمِي لِعُودِ أَرَاكَ تَسُوكُ بِهِ الذَّلْفَاءَ مَبْسَمَهَا الْعَذْبَا

لَيْنٍ شَفِيتُ مِنْهُ لَقَدْ زَانَ ثَغْرَهَا أَرَاكَ كَأَيِّمِيسًا، وَأَنْتَنِي مَنَدَلًا رَطْبَا

(٢) أُمَالِي الْغَالِي ١: ٢٠٨ بلا عزو. وفي: «من ماء الصبابة» (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «فعياي

طورا». وتحسران، أي تنقشعان وتنكشفان. (٤) حاشية ت. من نسخة: «من مكمد الشوق تقطر»،

وفي حاشيتي الأصل، ف: «في الأصل: بين البيت والبينتين بعيد». (٥) يشعب: يخط. ويسح: يصب

[١٥١]

لِيَالِي أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوَّلْنَا<sup>(١)</sup> سَوَائِمُ مِنْهَا رَائِحٌ وَغَرِيبٌ  
وَإِذْ يَتَجَنَّبِينَ الذُّنُوبَ وَمَالَنَا إِلَيْهِنَّ<sup>(٢)</sup> إِلَّا<sup>(٣)</sup> وَدَّهْنٌ ذُنُوبٌ<sup>(٤)</sup>

وَلَأَبَى حَيَّة :

أَصْدُ عَنْ الْبَيْتِ الْحَبِيبِ وَإِنِّي أَزُورُ بُيُوتًا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلُهُ  
وَقَطَعَ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ مَعَشَرٌ<sup>(٥)</sup> وَالْأَتْنَى يَأْمٌ عَمْرٍ وَنَعِيمَةٌ<sup>(٦)</sup>  
وَمَا يَبْنِنَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا حَدِيثٌ إِذَا لَمْ تَخْشَ عَيْنًا كَأَنَّهُ  
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ ١٠ وَقُلْتُ لَهَا : مَا تَأْمُرِينَ ؟ فَإِنِّي  
لَأُصْنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ عَلَى مَاعَدَا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ  
غَضَابِي، وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مَغْضَبٌ<sup>(٧)</sup> تَدِبُ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَقْرَبُ  
بِذَلِكَ الْأَلَى يُولُونَ مَا يَتَرْتَّبُ<sup>(٨)</sup> إِذَا سَاقَطَتَهُ الشَّهْدُ ، بَلْ هُوَ أَطِيبُ  
مِنَ الْمَوْتِ كَانَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ<sup>(٩)</sup> أَرَى الْبَيْنَ أَذْنَى رَوْعَةٍ تُتَرَقَّبُ<sup>(١٠)</sup>

قال محمد بن يحيى الصولي : ولا أحسبه في قوله :

\* لو أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ \*

إِلَّا تَمِيعُ قَوْلِ تَوْبَةِ بْنِ الْحُمَيْرِ :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ ، وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ<sup>(١١)</sup> ١٥  
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ ، أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

(١) حاشية ت ( من نسخة ) : « أَهْلَانَا جَمِيع » ،

(٢-٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لَوْلَا وَدَّهْنُ ذُنُوب » .

(٣) من نسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ » ، وفي د « غَضَاب » .

(٤) حاشية ت : « قَوْلُهُ : « وَالْأَتْنَى : عَطْفٌ عَلَى مَعَشَرٍ » . (٥) حاشية ت : « يُولُونَ :

يُحْلِفُونَ عَلَيْنَا » وَمِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « يُؤْذُونَ » . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت :

« كَادَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ » . (٧) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « مَا تَأْمُرِينَ » .

(٨) دِيوَانُ الْحَمَاسَةِ - بَشْرَحُ التَّبْرِيزِيِّ ٣ : ٢١٧ . الصَّفَائِحُ : الْحِجَارَةُ الْعَرَّاضُ تَكُونُ عَلَى الْقُبُورِ .



قال سيدنا أدام الله علوه : وأولُ مَنْ سبق إلى هذا المعنى فأحسن الأعشى في قوله :

عَمْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ دُرِّعْتُ      صَفْرَاءَ مِثْلِ الْمُهْرِ الضَّامِرِ<sup>(١)</sup>  
لَوْ أَسْنَدْتُ مَمِيَّتًا إِلَى نَجْرِهَا      عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ  
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا      يَعْجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ!

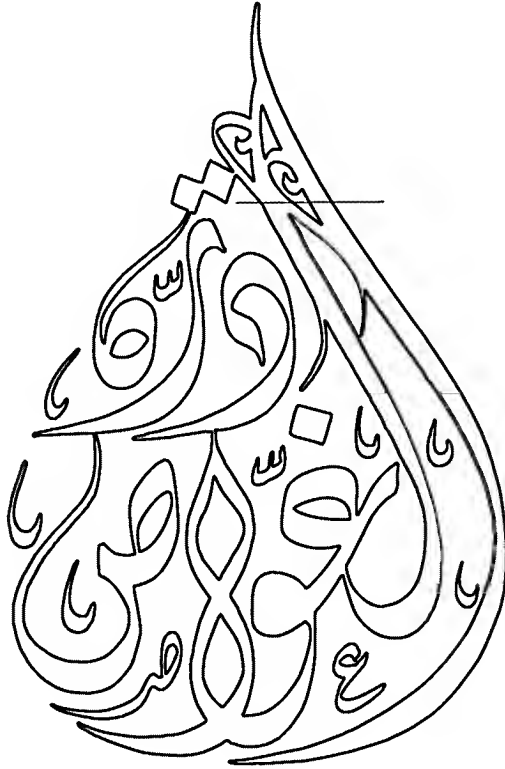
ومعنى الناشر : المنشور ، يقال : نَشَرَ اللهُ المَيِّتَ فَنَشَرَ ، وهو ناشر بمعنى منشور ؛

مثل ماء دافق فهو مدفوق .

وقال بعض أصحاب المعاني : إنَّ الجاريةَ التي وصفها أيضاً هي ميمّة بمعنى أنها ستموت ،

فيكون المعنى : إنَّ الناسَ عجبوا من أن يكون مَنْ يموت يَنْشُرُ الموتى ، ومن قال هذا

أجاز : نَشَرَ اللهُ الموتى / بمعنى أنشر ؛ والقولُ الأولُ أظهر ، وما نظن الأعشى عني غيره . [١٥١] ط



(١) ديوانه ١٠٤ - ١٠٥ ، وفي حاشية الأصل : ( من نسخة ) : « قد روعت » ، وفي حاشية ت

(من نسخة) : « قد أبرزت » ، وفي الديوان : « قد سربت » .

## مَجْلِسُ ٣٤ خَر تَأْوِيلُ خَبَرِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ [يوسف : ٩٢] ، حَاضِرًا عَنْ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .  
فَقَالَ : لِمَ خَصَّ «الْيَوْمَ» بِالْقَوْلِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْعَفْوُ عَنْهُمْ فِي جَمِيعِ مُسْتَقْبَلِ أَوْقَاتِهِمْ ؟  
الْجَوَابُ ، قُلْنَا : فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجُوهٌ أَرْبَعَةٌ :

- ٥ أولها أنه لما كان هذا الوقتُ الذي أشار إليه <sup>(١)</sup> هو أولُ أوقاته التي كشف فيها نفسه، وأطلعهم على ما كان يستره <sup>(٢)</sup> عنهم من أمره؛ أشار إلى الوقت الذي لو أراد الانتقامَ لابتدأ به فيه ؛ والذي متى عفا فيه عنهم <sup>(٣)</sup> لم يراجع الانتقام .
- وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم، وعدّد عليهم قبائحَ ما فعلوه ، وعظيمَ ما ارتكبوه ؛ وهو مع ذلك يسترُ عليهم <sup>(٤)</sup> نفسه ، ولا يُفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم : ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ﴾ ؛ أي قد انقطعَ عنكم توبيخي ، ومضى عذلي ولائمتي عند اعترافكم بالذنب، وكان ذكرُ «اليوم» دلالةً على انقطاع المعاقبة والتوبيخ؛ وعلى أن الأوقات المتصلةَ باليوم تجري مجراه في زوال الغضب، وتام العفو ، وسقوط الموافقة لهم على ما سلف منهم .

- وثالثها أن ذكرَ «اليوم» المرادُ به الزمان والحينُ، فوضع «اليوم» موضعَ الزمان كله، المشتملِ على الليالي والأيام والشهور والسنين ؛ كما يقول العربي لغيره : قد كنتَ تستحسِن شرب الخمر فاليوم قد وُفِّقْتَ لتركها ومقمتها ؛ يريد في هذا الزمان ، ولا يريد يوماً واحداً بعينه ؛ ومثله :

\* في الأصل : « هذا المجلس نصف الكتاب » .

(١) ت : « أشار الله إليه » . (٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « ستره » .

(٣) ساقطة من ت . (٤) ت : « عنهم » .

قد كنتَ تقصّر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما تُعجزك مسألة ، ولا تتوقّف عن مُشكلة ؛  
يريد باليوم باقي الزمان كله ، وقال امرؤ القيس :

حَلَّتْ لِيَ الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ <sup>(١)</sup>  
فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ <sup>(٢)</sup>  
لم يقصد يوماً بعينه؛ ومثله :

[١٥٢] /اليَوْمَ يَرَحْمُنَا مَنْ كَانَ يَغِيظُنَا واليَوْمَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا  
وقال لبيد :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حُلُوهَا ، وَغَدَوًا بِلَا قَمَرٍ <sup>(٣)</sup>  
كل ذلك لا يُراد بذلك اليوم أو الغد فيه إلا جميع الأوقات المستقبلة .

ورابعها أن يكون المراد : لاثريب عليكم البتّة ، ثم قال : ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ؛ ١٠  
فتعلّق « اليوم » بالغفران ، وكان المعنى غفر الله لكم اليوم <sup>(٤)</sup> .

وقد ضعف قومٌ هذا الجواب من جهة أن الدعاء لا ينصب ما قبله .

فأما التثريب فإن أبا عبيدة قال : معناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد <sup>(٥)</sup> .

وقال الشاعر :

١٥ فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوًا غَيْرَ مُثَرَّبٍ وَتَرَكَتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ سَرْمَدٍ

(١) ديوانه : ١٥٠ . وفي شرح الديوان : « كات حلف ألا يشرب خمرًا ، ولا يأكل لحماً ، ولا يفسل رأساً ؛ حتى يدرك بثأر أبيه ؛ وكذلك كانت العرب تفعل ؛ فلما أخذ بثأر أبيه شربها فبرت عيینه .  
(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « أشرب » بسكون الباء ؛ ورواية الديوان :

\* فاليوم أسقى غير مُسْتَحَقِّبٍ \*

المستحقب : المكتسب لللاثم الحامل له . والواغل : الذى يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة . (٣) ديوانه ٢٢:٢ . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لم لا يكون لإخباراً محضاً بالغفران حتى لا يمتزى بذلك ! وله وجه آخر وهو أن المعنى : اليوم أقول لكم هذا القول الذى هو يغفر الله لكم فاختصر » . (٥) حاشية ت ( من نسخة ) : « فساد » .

وقال أبو العباس ثعلب: يقال: ثَرَّبَ فلان على فلان إذا عَدَّ عليه ذنوبه. وقال بعضهم<sup>(١)</sup>:  
التثريب مأخوذ من لفظ التَّربُّ ، وهو شحم الجوف ، فكأنَّه موضوع للمبالغة في اللوم  
والتعنيف والتقصى إلى أبعد غايتيهما<sup>(٢)</sup> .

## تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ حَجَّاجٍ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ ،  
وَحَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَى عَنْ كَسْبِ  
الزَّمَّارَةِ .

وقال أبو عبيد: قال حَجَّاجُ : الزَّمَّارَةُ الزَّانِيَةُ ، وقال: هذا مثلُ حديثِهِ الآخرُ أَنَّهُ نَهَى عَنْ  
كَسْبِ الْبَغْيِ .

وقال أبو عبيد: وقال غير حَجَّاجِ : هِيَ الزَّمَّارَةُ ، بِتَقْدِيمِ الرَّاءِ ، قال : وقول حَجَّاجٍ أَثْبَتُ  
عِنْدَنَا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكْرِهُونَ إِمَاءَهُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ  
عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [ النور : ٣٣ ] ، قال : فالعَرَضُ  
هُوَ كَسْبُ الْبَغْيِ الَّذِي نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْهُ .

قال أبو عبيد : وَلَا أَعْلَمُ مِمَّ أَخَذَتْ « الزَّمَّارَةُ » ؛ غَيْرَ أَنِّي وَجَدْتُهَا مَفْسَّرَةً فِي الْحَدِيثِ .  
وقال ابن قتيبة : الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ ، إِلَّا مَا أَنْكَرَهُ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا  
الزَّمَّارَةُ ؛ لِأَنَّ الزَّمَّارَةَ هِيَ الْفَاجِرَةُ ، سَمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَرْمِزُ ، أَيْ تُؤْمِئُ بِعَيْنَيْهَا وَجَاجِبِهَا  
وَشَفَتَيْهَا .

قال الفراء : وَأَكْثَرُ الرَّمْزِ بِالشَّقَتَيْنِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ  
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [ آل عمران : ٤١ ] ، فَالزَّمَّارَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْفَاجِرَةِ ،  
[ ١٥٢ ] / ثُمَّ صَارَ اسْمًا لَهَا أَوْ كَالِاسْمِ ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهَا : هَلُوكَ ؛ لِأَنَّهَا تَهَالِكُ عَلَى الْفِرَاشِ ، أَوْ عَلَى  
الرجل<sup>ط</sup> ، ثُمَّ صَارَ اسْمًا لَهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَإِنْ تَهَالَكْتَ عَلَى زَوْجِهَا ، وَقِيلَ لَهَا خَرِيعٌ ،

(١) م : « وهو ابن مسلم » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « غايتهما » .

لِئِنْهَا وَتَغْنِيهَا ، ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ اسماً لَهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَإِنْ لَانَتْ وَتَثَنَّتْ ؛ وَنَحْوُهُ  
قَوْلُهُمْ لِلْبَعِيرِ : أَعْلَمَ ؛ لِلشَّقِّ فِي مِشْفَرِهِ الْأَعْلَى ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لَهُ ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِلذَّنْبِ : أَزَلَّ  
أَرْسَحَ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لَهُ ، وَالْمَرِيَّةُ لَا تَكَادُ تَمْلِكُ بِالْكَلَامِ ، إِنَّمَا تُؤْمِضُ <sup>(٢)</sup> أَوْ تَرْمِزُ  
أَوْ تَصْفِرُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

رَمَزَتْ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُو هُنَاكَ كَلَامُهَا  
وَقَالَ الْأَخْطَلُ :

أَحَادِيثُ سَدَّاهَا ابْنُ حَدَرَاءَ فَرَقَدَتْ وَرَمَازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا <sup>(٣)</sup>  
وَقَالَ الرَّاجِزُ :

يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ وَالْحَوَاجِبِ إِيْمَاضَ بَرْقٍ فِي عَمَاءٍ نَاضِبٍ <sup>(٤)</sup>

١٠ - وَالْعَمَاءُ : السَّحَابُ ، وَالنَّاضِبُ : الْبَعِيدُ -

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا قِيلَ لِلْفَاجِرَةِ قَجْبَةٌ ، مِنَ الْقُحَابِ وَهُوَ الشَّمَالُ ؛ قَالَ : وَأَحْسِبُهُ أَرَادَ  
أَنَّهُ تَتَنَحَنَجُ أَوْ تَسْعَلُ تَرْمِزُ بِذَلِكَ .

قَالَ : وَبَلَّغَنِي عَنِ الْمَفْضَلِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ النَّاسِ : « أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ » <sup>(٥)</sup> أَنَّهُ الرَّجُلُ  
يَصْفِرُ لِلْفَاجِرَةِ ، فَهُوَ يَخَافُ كُلَّ شَيْءٍ .

وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الصَّافِرُ مَا يَصْفِرُ مِنَ الطَّيْرِ ، وَإِنَّمَا وُصِفَ بِالْجَبَنِ لِأَنَّهُ لَيْسَ  
مِنَ الْجَوَارِحِ .

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : وَلَا أَرَى الْقَوْلَ إِلَّا قَوْلَ الْمَفْضَلِ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ السَّكْمِيِّ بْنِ  
زَيْدِ الْأَسَدِيِّ :

(١) الْأَزَلُ : الْخَفِيفُ الْوَرَكَيْنِ . وَالْأَرْسَحُ : الْقَلِيلُ لَحْمِ الْعِجْزِ .

(٢) تَوَمِضُ ، أَيْ تَعْرِضُ نَفْسَهَا . (٣) دِيْوَانُهُ : ٢٤١ ، وَاللِّسَانُ ( رَمَزَ ) وَالْحَدَرَاءُ : الْمُمَثِّلَةُ

الْفَخْذِ وَالْعِجْزِ . (٤) الْبَيْتَانِ فِي اللِّسَانِ ( زَمَرَ ) ، وَالرِّوَايَةُ فِيهِ : « يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ . . . » .

(٥) الْمَثَلُ فِي تَجْمِيعِ الْأَمْثَالِ لِلْعِيدَانِيِّ ١ : ١٦٨ ؛ وَرَوَى عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ أَنَّ الصَّافِرَ طَائِرٌ يَتَعَلَّقُ مِنْ

الشَّجَرِ بِرَجْلَيْهِ ، وَيَنْكَسُ رَأْسَهُ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنَامَ فَيُؤْخَذَ فَيَصْفَرُ مِنْ كُوسٍ طَوِيلٍ لَيْلَتِهِ .

أَرْجُو لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ      كَلْبًا كَوْرَهَاءَ تَقْلَى كُلَّ صَفَّارٍ<sup>(١)</sup>  
 لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آتِيَهَا      مِنْ قَابِسِ شَيْطَ الْوَجَمَاءِ بِالنَّارِ<sup>(٢)</sup>  
 وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه ، فتمثل زوجها به وصفر لها ، فأنته  
 فشيطها بميسم ، فلما أعاد الصفر<sup>(٣)</sup> قالت : « قد قلينا كل صفار<sup>(٤)</sup> » ، تريد أنا قد عفنا<sup>(٥)</sup>  
 واطرحنا كل فاجر .

قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : والاختيار عندي : « الزمارة » معجمة الزاى على  
 ما قال أبو عبيد ، إحصج ثلاث :

[١٥٣] / إحداهن إجماع أهل الحديث على الزمارة .

والحجة الثانية أن الفاجرة سُميت زمارة ، لأنها تحسن نفسها وكلامها ، والزمر عند العرب  
 ١٠ الحسن ، قال عمرو بن أحمر الباهلي يصف شراباً وغناء :

دَنَانِ حَنَّانٍ يَنْبِهَا      رَجُلٌ أَجَشُّ غَنَائُهُ زَمَرٌ<sup>(٦)</sup>

قال الأصمعي : معناه غناؤه حسن ؛ كأنه من مزامير داود .

والحجة الثالثة أنهم سموا الفاجرة زمارة ، لمهانتها وقلة ما فيها من الخير ؛ من قول العرب<sup>(٧)</sup> :

نمجة زمرة ؛ إذا كانت قليلة الصوف ، ويقال : رجل زمر المروءة ، إذا كان قليلها ، قال

١٥ ابن أحمر :

مُطْلَنَفَتًا لَوْنُ الْحَصَى لَوْنُهُ      يَحْجُزُ عَنْهُ الذَّرَرُ رِيَشُ زَمَرٍ<sup>(٨)</sup>

(١) البيتان في مجمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والثاني في اللسان ( شيط ) . الورهاء : الحفء .

(٢) شيط : أحرق . والوجماء : الدبر . (٣) ت : « الصغير » .

(٤) المثل في مجمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والرواية فيه : « قد قلينا صغيركم » .

(٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « عققنا » . (٦) البيت في اللسان ( زمر ) ، وفي ت ، ف ،

وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « زجل » . والزجل : عود أو معزفة .

(٧) م : « من قولهم » . (٨) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يصف فرخ القطة ؛ وقبله :

تُرْوَى لَقَى الْقَى فِي مَهْمَةٍ      تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهَرُ

المطلنفي : اللاصق بالأرض ، والذر : النمل ، والزمر : القليل ، فسمي البغي<sup>(١)</sup> زمارة ، على وجه الظم لها والتصغير لشأنها ؛ كما قيل لها : فاجرة لميلها عن القصد ، يقال : فاجر الرجل إذا مال ، قال كبيد :

فإن تتقدّم تغشّ منها مُقدّمًا غليظًا، وإن أخّرت فكيفلُ فاجر<sup>(٢)</sup>

أى مائل ، والكيفل : كساءٌ يُوضع على ظهر البعير يُوقى من العرق .

فالسيدنا أدام الله علوه : ولا أرى لإحدى الروایتين على الأخرى رجحانًا ؛ لأنّ كلّ واحدة منهما قد أتت من جهة من يُسكن إلى قوله ، ولكلّ منهما مخرج في اللغة ، وتأويلٌ يرجع إلى معنى واحد ؛ لأن الرّمازة ، بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة إلى معنى الفجور ، ومن رواها بالزاي المعجمة فالمرجعُ في معناها إلى ذلك أيضًا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الأنباري ، والأوّل أن يثبتا<sup>(٣)</sup> متساويين ، ويكون الراوى مخيرًا ١٠ فيهما .

\*\*\*

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانيّ قال أنشدني محمد بن أحمد السكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابيّ للمضرّب<sup>(٤)</sup> ؛ وهو عُقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى :

(١) ف ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فسميت البغي » .

(٢) ديوانه ١ : ٥ ، ومن نسخة في حواشي الأصل ، ت ، ف : « أخّرت » : بالبناء للمجهول .

وفيهما أيضًا : « قبله » :

فأصبحت أنى تأتياً تبتئسُ بها كلاً مركبها تحت رَحْلِكَ شاجرُ

تأتها ، أى تأت هذه الحُصلة والحالة ، وقال الجوهري : « الكفل هو ما اكتفل به الراكب ، وهو أن يدار السكساء حول سنام البعير ثم يركب ؛ ومنه قول إبراهيم : لا تشربوا من ثلثة الإناء ولا من عروته ؛ فإنه كفل الشيطان ؛ وإبراهيم هو التيمى » .

(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « أن يكونا » .

(٤) ذكره المرزباني في المؤلف والمختلف : ٢٨١ ؛ و ضبطه صاحب تاج العروس في مستدرک =

وما زلتُ أَرْجُو نَفْعَ سَلَمَى ووُدَّهَا  
وَحَتَّى رَأَيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلَهُ<sup>(٢)</sup>  
[١٥٣] / عَلَا حَاجِبِي الشَّيْبُ حَتَّى كَأَنَّهُ ظ  
وَهَزَّةَ أَطْعَانٍ عَلَيْهِنَّ بِهِجَّةً  
فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ  
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا  
وَشُدَّتْ عَلَى خُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُهَا  
قَفَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاسِيلِ، وَارْتَمَتْ<sup>(٧)</sup>

وَتَبَعْدُ؛ حَتَّى ابْيَضَّ مِنِّي الْمَسَاحُ<sup>(١)</sup>  
إِلَيْهِ؛ وَحَتَّى نِصْفُ رَأْسِي وَاضِحٌ  
ظِلَاءُ جَرَتْ مِنْهَا سَنِيعٌ وَبَارِحٌ<sup>(٣)</sup>  
طَلَبْتُ، وَرِيعَانُ الصَّبَا بِي جَامِحٌ<sup>(٤)</sup>  
وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ  
وَسَاكَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحُ<sup>(٥)</sup>  
وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ<sup>(٦)</sup>  
بِهِنَّ الصَّحَارَى وَالصَّفَاحُ الصَّحَاصِحُ<sup>(٧)</sup>

\*\*\*

(ضرب) أنه بوزن « محدث » ، « معظم » ، وضبط في اللسان بالكسر فقط ، وفي الأصل : بالفتح ؛ وهو الأولى لما رواه ابن قتيبة في الشعراء : ٩٢ أنه « كان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب ، شاعر ، ولقبه المضرب ؛ وذلك أنه شبب بامرأة من بني أسد فقال :

وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ وَاجِدٌ مَلَأَ قِيَهَا قَدْ دُثِّتْ بِرُكُوبِ

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ، فلم يمت ، وأخذ الدية ، فسمى المضرب « .

(١) ورد البيت الخامس والسادس والسابع من هذه الأبيات في معاهد التنصيص ٢ : ١٣٤ ؛ وقال : « وقيل الأبيات لابن الضرية ، وهي مع بيتين تاليتين في زهر الآداب ٢ : ٥٦ ووردت أيضا في الشعراء والشعر ١١ ، والصناعتين ٥٩ ، وأسرار البلاغة ١٥ ، وورد الخامس والسادس في الخصائص ١ : ٢٨ ، ٢١٨ ، وأمالى الفال ٣ : ١٦٦ ؛ وفيها جميعا من غير عزو مع اختلاف في الترتيب . ونقلها أيضا صاحب المعاهد بنسبتها وروايتها عن الفرر ؛ وهي ضمن ١٨ بيتاً في ديوان كثير : ٧٧-٨٤ والمساح : شعر جوانب الرأس .

(٢) (٢) ت ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « مثله » ، بفتح اللام . (٣) السنيح والمساح : ما أتاك عن يمينك من طي أو طائر أو غير ذلك ، والبارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك . والمساح : أحسن حالا عندهم في التيمن من البارح .

(٤) يعني : ورب طعائن طلبت اهتزازهن وارتياجهن للهو مهن .

(٥) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر . والأباطح : جمع أبطح ؛ وهو المسبل الواسع ، فيه دقاق الخصى . (٦) المهاري : جمع مهريه ؛ وهي المنسوبة إلى مهرة من حيوان ؛ وهي قبيلة تكثر فيها النجائب . ولا ينظر : لا ينظر . (٧) الخوص : الإبل الغائرة العيون . والمراسيل : الممرعات . والصفاح : جمع صفح ؛ وهو مضطجع الجبل ، والصحاصح : جمع صحح ، وهو المسكان المستوى الواسع .



وأنشد ابن الأعرابي :

فَصَدَّتْ بَعِينِي شَادِنٌ وَتَبَسَّمتُ      بِحَمَاءَ عَنْ غُرٍّ لَهْنٌ غُرُوبٌ<sup>(١)</sup>  
جَرَى الْإِسْجَلُ الْأَحْوَى عَلَيْهِنَّ أَوْجَرَى      عَلَيْهِنَّ مِنْ فَرَعِ الْأَرَاكِ قَضِيبٌ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا محمد بن الحسن البلّغىّ قال حدثنا أبو حاتم قال : سمعت الأصمعيّ يقول : سمعت الرشيد يقول : قلب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت له : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عُروّة بن حزام العذريّ لعفراء :

أَرَانِي تَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ رَوْعَةً      لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَرِيبٌ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً      فَأَبْهَتْ حَتَّى لَا أَكَادُ أَجِيبُ<sup>(٤)</sup>  
وَأُصْرَفُ عَنْ دَارِي الَّذِي كُنْتُ أُرْتَبِي<sup>(٥)</sup>      وَيَعْزُبُ عَنِّي عِلْمُهُ وَيَغِيبُ<sup>(٦)</sup>  
وَيُضْمِرُ قَلْبِي غَدَرَهَا وَيُعِينُهَا      عَلَيَّ ، فَمَا لِي فِي الْفُؤَادِ نَصِيبُ  
فقال الرشيد : مَنْ قال هذا وَهَمًا فَإِنِّي أقوله علماً ، ولله دَرَكٌ يا أصمعيّ ! فَإِنِّي أَجِدُ  
عِنْدَكَ مَا تَضِلُّ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ .

قال الصوليّ : فَأَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ فَقَالَ :

يَهِيمُ بِحِرَّانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ      وَفِيهَا غَزَالٌ فَاتَرُ الطَّرْفِ سَاحِرُهُ<sup>(٦)</sup>  
يُؤَاوِزُهُ قَلْبِي عَلَى وَلَيْسَ لِي      يَدَانِ بَيْنَ قَلْبِي عَلَى يُؤَاوِزُهُ

(١) ف ، ومن نسخة بحاشية ت : « تصدت » .

(٢) الإسجل : شجر تتخذ منه أعواد السواك . والأحوى : الأسمر . (٣) ديوانه : ٤٣ : (مخطوطة الشنقيطي بدارالكتب النصرية) ، والشعر والشعراء : ٦٠ ، وخزانة الأدب : ٥٣٤ : ١ ، و ٣ : ٦١٥ - ٦١٧ وفيه : « وإني لتعروني » . (٤) البيت من ( شواهد سيبويه ١ : ٤٣٠ ) ، على جواز الرفع والنصب في « أبهت » ، فالنصب محمول على « أن » ، والرفع على القطع والاستئناف .

(٥) م : « عارفا » . (٦) حران : قصبة ديار مضر بالجزيرة ، بين الرها

والرقة . ومن نسخة بحاشية الأصل : « ساحر الطرف فاتره » .

[١٥٤]

/ وأشار إليه أيضا في قوله :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي      يُكْثِرُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي <sup>(١)</sup>  
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا      كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي <sup>(٢)</sup>

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال :

أَعَانَ طَرْفِي عَلَى جِسْمِي وَأَعْضَائِي      بِنَظَرَةٍ وَقَفْتُ جِسْمِي عَلَى دَائِي  
وَكُنْتُ غِرًّا بِمَا تَجَنَّبَنِي عَلَى يَدِي      لَا عِلْمَ لِي أَنَّ بَعْضِي بَعْضُ أَعْدَائِي  
وقال البحتري :

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عَصِيَانِ قَلْبِكَ لِي      يَوْمًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِيَنِي <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال : قال لنا الأصمعي يوما :

١٠ ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عَجْزَاءَ خَمِيصَةٍ <sup>(٤)</sup> فَأَنْشِدَ قول الأعشى :  
صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِلُّ الدَّرْعِ بَهْكَنَةٍ      إِذَا تَأْتَى يَسْكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ <sup>(٥)</sup>  
وأنشد قول علقمة بن عبدة :

صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِلُّ الدَّرْعِ خَرْعَبَةٌ      كَأَنَّهَا رَشَاءٌ فِي الْبَيْتِ مَلْزُومٌ <sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه : ١٠١ ، وبعده :

وَقَلَمًا أَتَقَى عَلَى مَا أَرَى      يَوْشِكُ أَنْ يَنْعَى بِي النَّاعِي  
أَسْلَمَنِي لِلْوَجْدِ أَشْيَاعِي      لَمَّا سَمِعَ بِهِ عِنْدَهُمُ السَّاعِي

(٢) بعده ؛ كما في الديوان :

مَا أَقْتَلَ الْيَأْسَ لِأَهْلِ الْهَوَى      لَا سِيَّامًا مِنْ بَعْدِ أَطْمَاعِ

(٣) ديوانه : ٢ : ٢٩٥ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « مثله » :

أَنْطَمِعَ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدِي      وَتَرْعُمُ أَنْ قَلْبِكَ قَدْ عَصَاكَ

(٤) م : « خصانة » ، والخصية والخصانة : الضامرة البطن . (٥) ديوانه : ٤٢ . والمعلقات

— بشرح التبريزي : ٢٧٤ . صفر الوشاحين ؛ يعني أنها خيصة البطن دقيقة الخصر ، فوشاحها يعلن عنها  
والبهكنة : الكبيرة الخلق ، وتأني : ترفق في المشي . (٦) ديوانه : ١٣٠ . الحرعبة : الناعمة . الرشأ :  
الظبي الصغير . ملزوم : مربى في البيوت ؛ وهو أحسن له .

وأنشد قولَ ذى الرُّمة :

تَرَى خَافَهَا نِصْفًا قَذَاةً قَوِيمةً وَنِصْفًا نَقًّا يَرْتَجُّ أَوْ يَتَمَرَّمُ<sup>(١)</sup>

فقال : أحسنُ ما قيل فيه قولُ أبي وَجْزَةَ السَّعْدِي :

أُدْمَاءُ فِي وَضَحٍ يَكَادُ إِزَارُهَا<sup>(٢)</sup> يُقْرِوِي<sup>(٣)</sup> وَيَشْبَعُ مَا أَحَبَّ إِزَارُهَا<sup>(٤)</sup>

قال أبو عكرمة : ومثله قولُ الحارث بن خالد المخزومي :

غَرْنَانُ، سِمَطٌ وَشَاحِيهَا قَلِقٌ رَيَّانٌ مِنْ أُرْدَا فِيهَا الْمِرْطُ

\*\*\*

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال :

لما مات / محمد بن سلمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان ، وقد حزن عليه حزناً [ ١٥٤ ]  
شديداً ولم يطعم ثلاثاً ، فأنشدته لابن أراكَةَ الشَّقْفِي<sup>(٥)</sup> :

لَعَمْرِي لَنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَكَ<sup>(٦)</sup> مَا مَضَى مِنْ<sup>(٧)</sup> الدَّهْرِ أَوْ سَاقِ الْجِهَامِ إِلَى الْقَبْرِ ١٠  
لَتَسْتَنْفِدَنَّ مَاءَ الشَّمُونِ بِأَسْرِهِ وَلَوْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ  
فَقُلْتُ لِمَبْدِ اللَّهِ إِذْ خَنَ<sup>(٨)</sup> بَاكِياً تَعَزَّ ، وَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْهِمٌ يَجْرِي  
تَبَيَّنَ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدَّ هَالِكاً عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو  
وَلَا تَبْكُ مِيتاً بَعْدَ مَيِّتٍ أَحِبَّهُ<sup>(٩)</sup> عَلَى وَعْبَاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ

(١) ديوانه : ٢٢٦ يتمرر : يتحرك وهو تحرك دُرِّ الارتجاج . وفي د ، م : « يتمرم » .

(٢) ت ، ش : « رداؤها » والأدمة هنا : لون أشرب بياضا . والوضح : البياض . وفي م :  
« أدماء عيطلة » .

(٣) الإفواء في الأصل : نفاذ الزاد ؛ ويريد هنا دقة خصرها . وفي س : « لعله : يقوى وشاحها » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « مأجن إزارها » ، وفيهما أيضا : « أحب ، فعل الإزار ؛

أى يشبع إزارها ما أحب ، أى ما شاء » . (٥) الخبر والأبيات في حساسة ابن الشجرى : ١٣٨-١٣٩ ،  
بروايته من ابن قدامة عن المرتضى ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات ؛ وهى أيضا في أملى الزجاجى : ٧ .

(٦) حاشية ت ( من نسخة ) « عينك » ؛ وهى رواية ابن الشجرى .

(٧) ت : « به الدهر » ؛ وهى رواية ابن الشجرى . (٨) ت : « حن » ، ومن نسخة

بحاشيتها : « خر » . (٩) ت : « أجنه » .

قال: فأمر فجىء بالطعام فأكل من ساعته .  
قوله: « خن با كياً » معناه رفع صوته بالبكاء ، وقال قوم : الخنين ، بالخاء معجمة من الأنف ، والحنين من الصدر ، وهو صوت يخرج من كل واحد منهما .

\*\*\*

وأخبرنا المربزبانى قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال : سمعتُ التَّوْزِيَّ يقول : دخلنا مع الأَصمى إلى إسماعيل بن جعفر ليلةً في حاجة ، فأنشده الأَصمى أبيات ابن هرمة :

أَتَيْنَاكَ نَزْجِي حَاجَةً وَوَسِيلَةً      إِلَيْكَ ، وَقَدْ تَحْطَى لَدَيْكَ الْوَسَائِلُ<sup>(١)</sup>  
وَنَذْكُرُ وَدًّا شَدَّهُ اللَّهُ بَيْنَنَا      عَلَى الدَّهْرِ لَمْ تَدُبْ إِلَيْهِ الْفَوَائِلُ<sup>(٢)</sup>  
فَأَقْسِمُ مَا أَكْبَى زِنَادَكَ قَادِحُ      وَلَا أَكْذَبْتُ فَيْكَ الرَّجَاءُ الْقَوَائِلُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا رَجَعْتُ ذَا حَاجَةٍ عَنْكَ عِلَّةٌ      وَلَا عَاقَ خَيْرًا عَاجِلًا مِنْكَ آجِلُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَا لَأَمْ فَيْكَ الْبَاذِلُ الْوَجْهَ نَفْسُهُ      وَلَا احْتَكَمْتُ فِي الْجُودِ مِنْكَ الْمَبَاخِلُ<sup>(٥)</sup>

لم يزد على هذه الأبيات ، فقفى حاجته وأجاب مسألته .

قال سيدنا أدام الله علوه : ويشبهه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله :

\* وَلَا كَذَبْتُ فَيْكَ الرَّجَاءُ الْقَوَائِلُ \*

من قول الحزین السکنانی فی زید بن علی بن الحسین علیهم السلام :  
فلما<sup>(٦)</sup> تَرَدَّى بِالْحِمَائِلِ      وَانْتَنَى      يَصُولُ بِأَطْرَافِ الْقُنَى      الذَّوَابِلُ<sup>(٧)</sup>  
/ تَبَيَّنَتْ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سِنَانَهُ      يُطِيلُ حَنِينَ الْأَمْهَاتِ الثَّوَالِ

[١٥٥]

و

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نرجو حاجة » .

(٢) حاشية ت ( من نسخة ) : « العواذل » .

(٣) ما أكبي زنادك ، أى ما وجدك كايا . (٤) حاشية ت ( من نسخة : « عنك آجل » .

(٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « عنك المباحل » .

(٦) حاشية ت ( من نسخة ) : « إذا ما نردى » . (٧) وفي م : « القنا والذوايل » .

تُبَيِّنَ فِيهِ مَيْسَمُ الْعِزِّ وَالتَّقَى وَلِيداً يَفْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

\*\*\*

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلخي قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال الرشيد يوماً : يا أصمعي ، أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ؟ ودع النابغة فإنه يحتج ويعتذر ، فقلت : ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي ؛ فإنه هجا أوس بن حارثة بن لأم ، فأسره بعد ذلك وأراد قتله ، فتمالت له ٥ أمه - وكانت ذات رأي - : والله لا أحيا هجاءه لك إلا مدحه إليك ، فعفا عنه ، فقال بشر <sup>(١)</sup> :

إني على ما كان مِني لَنَادِمٌ      وإني إلى أوسِ بنِ لأمٍ لَتَائِبٌ  
وَإني إلى أوسٍ لِيَقْبَلَ تَوْبَتِي      وَيَعْرِفَ وُدِّي مَا حُيْتُ لِرَاغِبُ  
فَهَبْ لِي حَيَاتِي فَالْحَيَاءُ لِقَائِمٌ      يَسْرُكُ فِيهَا خَيْرُ مَا أَنْتَ وَاهِبُ  
سَأُحِبُّ بَمَدْحِي <sup>(٢)</sup> فَيْكَ إِذَا نَصَادِقُ      كِتَابَ هِجَاءٍ سَارَ إِذْ أَنَا كَاذِبُ ١٠  
فقال الرشيد للأصمعي : إن دولتي لتَحْسُنَ ببقائك فيها .

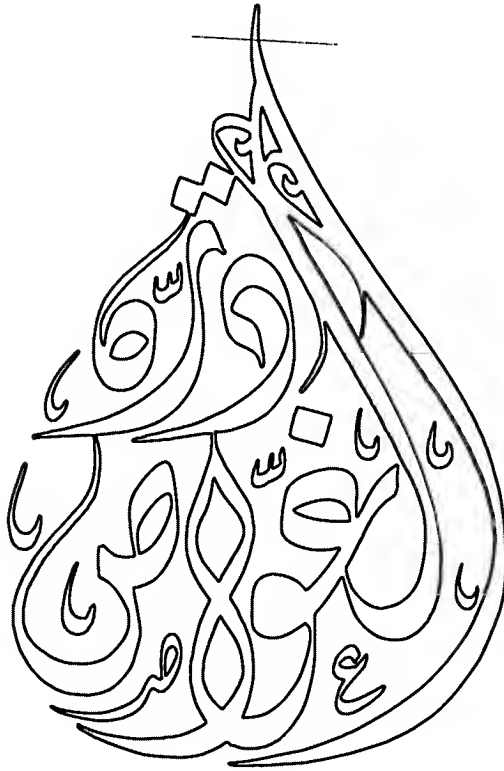
\*\*\*

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دُرَيْدٍ قال حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأصمعي - عن عمه قال : سمعت بيتين لم أحفل بهما ، ثم قال : قلت : هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب ، قال : فإني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر ، فأقبل علي مسرور الكبير ، فقال : يامسرور ، كم في بيت مال السرور ؟ فقال : ما فيه شيء ، قال ١٥ عيسى : هذا بيت مال الحزن ، فاغتم لذلك الرشيد ، وأقبل على عيسى فقال : والله لَتُعْطِيَنَّ الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار ، فوجم عيسى وانكسر ، فقلت في نفسي : جاء موقع <sup>(٣)</sup> البيتين ، وأنشدت الرشيد :

(١) تنسب إلى الأعشى ؛ وهي في ملحقات ديوانه : ٢٣٦ . (٢) ت ، ف ، ونسخة بحاشية

الأصل : « بمدح » . (٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل : ت : « موضع » .

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مُعْبِسًا      وَجَدَّاهُ فِي الْمَاضِينَ كَعَبٍّ وَحَاتِمٍ  
فَكَشَّفَهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ فَأَنَمَّا      تُكْشَفُ أَخْبَارَ الرِّجَالِ الدَّرَاهِمُ<sup>(١)</sup>  
قال: فَتَجَلَّى عَنِ الرَّشِيدِ وَقَالَ لِسُرُورٍ: أَعْطِهِ عَلَى بَيْتِ مَالِ السُّرُورِ أَلْفَيْ دِينَارٍ، فَأَخَذْتُ  
بِالْبَيْتَيْنِ أَلْفَيْ دِينَارٍ، وَمَا كَانَا يَسَاوِيَانِ عِنْدِي دَرَاهِمِينَ<sup>(٢)</sup>!



(١) من نسخة بمحاشي الاصل ، ت ، ف : « احوال الرجال » .  
(٢) بهذا المجلس ينتهى الجزء الأول - وهو ما لدينا من نسخة ت - وجاء في آخره : « تم نصف  
الكتاب بحمد الله ومنه وفضله وحوله وطوله ، ويتلوه في الجزء الثانى أوله : مجلس آخر ، تأويل آية ؛ إن  
سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ،  
إن شاء الله والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والظاهرين وسلم » .

# مَجْلِسُ آخِر

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [ الأنبياء : ٢٧ ] .

الجواب ، قيل له : قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ، ونرجح الأرجح منها :

- ٥ أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لهيج باستدناء ما يحلب<sup>(١)</sup> إليه نفعا ، أو يدفع عنه ضررا ؛ ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ؛ كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خلقت إلا من نومٍ ، وما خلق فلان إلا من شر ؛ إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ؛ وربما قالوا : ما أنت إلا أكل وشرب ، وما أشبه ذلك ، قالت الحنساء تصف بقرة<sup>(٢)</sup> :

- ١٠ تَرَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ<sup>(٣)</sup>
- وإنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها .

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ ، [ الإسراء : ١١ ] ، ويطابقه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؛ لأنه وصفهم بكثرة العجلة وأن من شأنهم فعلها ، توبيخا لهم وتقريرا ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من

---

(١) حاشية ف ( من نسخة ) : « ماجر » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نانة » .

(٣) ديوانها : ٣٨ ، والاسان ( سوا ) ؛ وفي ف ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « مارعت » ؛

وهي رواية الديوان .

حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال ، وقادرين على التثبت والتأيد .

وثانيها ما أجاب به أبو عُبَيْدة وقُطرب بن المستنير وغيرهما من أن في الكلام قلباً ، والمعنى : خلق العَجَل من الإنسان ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ بَلَغْنِي الْكِبَرُ ﴾ ؛ [ آل عمران : ٤٠ ] ، أي قد بلغتُ الكِبَر ، وبقوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ؛ [ النقص : ٧٦ ] ، والمعنى : إن العصبة تنوءُ بها ، وتقول العرب : عرضتُ الناقة على الحوض ، وإنما هو عرضتُ الحوضَ على الناقة ، وقولهم : إذا طلعت الشعري استوى العود على الجِرْبَاء ؛ يريدون استوى الجِرْبَاء على العود ؛ وبقول الأعشى :

[ ١٥٦ ] / لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوقِقٌ<sup>(١)</sup>  
يريد أن الموقق معان .

وبقول الآخر : ١٠

على المياراتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانُ ، أَوْ بَلَغَتْ سَوَاءَ تِهِمْ هَجَرٌ<sup>(٢)</sup>  
والمعنى : أن السواءَ هي التي بلغت هَجَر .  
وبقول خدّاش بن زهير :

وَنَزْكَبُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَيَاطِرَةِ الْحُمْرِ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه : ١٤٩ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قبله :

وإن امرأ أهداك بيني وبينه فَيَا فَيَا : تنوفاتٌ ويَهْمَاءُ خَيْفَقُ

لمحقوقة .. البيت ؛ يخاطب ناقةً أهديت له ، فيقول لها : أنت محقوقة بأن تستجيبى لصوته . تنوفات : جمع تنوفة ؛ وهي المفازة ، وخيفق ، يخفق فيها آل .

(٢) البيت للأخطل ، ديوانه ١٠ ، والهدج : مشى في ارتعاش .

(٣) جمهرة الأسماء : ١٩٣ ، واللسان ( ضطر ) . والضياطة : الضخام الذين لا غناء عندهم ؛ وفي اللسان : « قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشق بهم ؛ أي أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القاب ، أي تشق الضياطة الحمر بالرماح ؛ يعني أنهم يقتلون بها . والهوادة : الصالحة والموادعة » .



يريد تشقى الضيافة بالرمح .

وبقول الآخر :

تَمْشِي بِهِ عُوذُ النَّعَاجِ كَأَنَّهَا عَذَارَى مُلُوكٍ فِي بَيَاضِ ثِيَابٍ<sup>(١)</sup>

يريد في ثياب بيض .

٥

وبقول الآخر :

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرِّ بِأَلِّ أَخْذِهِ<sup>(٢)</sup> فَرْدًا يَحِزُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفِضِينَ<sup>(٣)</sup>  
يريد حَسَرْتُ السَّرِّ بِأَلِّ عَنْ كَفِّي .

وبقول ابن أحرر :

وَجُرِّدِ طَارَ بَاطِلُهَا نَسِيلاً وَأَحْدَثَ قَمُوءُهَا شَمْرًا قِصَارًا<sup>(٤)</sup>

١٠

أراد طار نسيانها باطلا .

وبقول الآخر :

وَقَسُورَةٍ أَكْتَافُهُمْ فِي قِسْيِهِمْ إِذَا مَامَشُوا لَا يَغْمِزُونَ مِنَ النِّسَاءِ<sup>(٥)</sup>  
أى قسيهم في أكتافهم .

وبقول الآخر :

١٥

\* وَهْنٌ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ<sup>(٦)</sup> \*

أى الإخلاف والولعان منهم .

(١) العوذ : جم عائذ ؛ وهى الحديثة التاج ؛ والنعجة هنا : البقرة الوحشية .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « آخذة » . (٣) حاشية الأصل : « فردا ، يعنى

القدح » . يقال أفاض بالقدح : ضرب بها . والبيت لابن مقبل فى الميسر والقدح ١٤١ . (٤) اللسان ( قأ ) .

النسيل : ما ينسل من شعرها . وقوؤها : سمنها . (٥) القسورة : الرماة من الصيادين والعز : الظلع .

(٦) البيت فى اللسان ( ولع ) ، وصدره :

\* خِلَابَةُ الْعَيْنَيْنِ كَذَابَةُ الْمُنَى \*

قال فى اللسان : « أى من أهل الخلف والكذب ، وجعلهن من الأخلاف للآزمتن له » .

ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التفاوض له عن سَحْل كلامه تعالى على القلب أن يقال له : وما المعنى والفائدة في قوله تعالى : « خُلِقَ الْمَجَلُّ مِنَ الْإِنْسَانِ » أتريدون<sup>(١)</sup> بذلك أن الله تعالى خلق في إنسان المجلة؟ وهذا لا يجوز؛ لأن المجلة فعل من أفعال الإنسان، فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ! ولو كان كذلك لما جاز أن ينهائم عن الاستعجال في الآية فيقول :

﴿ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، لأنه لا ينهائم عما خلقه فيهم .  
[١٥٦] فإن قالوا : لم يرد أنه تعالى خلقها ؛ لكنه أراد كثرة فعل الإنسان لها ؛ وأنه لا يزال /  
ظ يستعملها .

قيل لهم : هذا هو الجواب الذي قدّمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم والتأخير ؛ وإذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه .

١٠ وقد ذكر أبو القاسم البلخيّ هذا الجواب في تفسيره، واختاره وقوّاه، وسأل نفسه عليه فقال : كيف جاز أن يقول : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، وهو خلق المجلة فيهم ! وأجاب بأنه قد أعطاهم قُدْرَةً على مغالبة طباعهم وكفّهم ، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت ، قادرٌ على أن يجانب المجلة ، وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح ، وأمره في كثير من الأوقات بالامتناع منه .

١٥ وهذا الذي ذكره البلخيّ تصرّيح بأن المراد بالمجل غيرهِ ، وهو الطبع الداعي إليه ، والشهوة المتناولة له، ويجب أيضاً أن يكون المراد بـ « من » هاهنا « في » ؛ لأن شهوة المجل لا تكون مخلوقة من الإنسان ، وإنما تكون فيه . وهذا تجوّز على تجوّز ، وتوسّع على توسّع ، لأن القلب أولاً مجازٌ ، ثم هو من بعيد المجاز ؛ وذكر المجل والمراد به غيره مجاز آخر ، وإقامة « من » مقام « في » كذلك ؛ على أنه تعالى إذانهاهم عن المجلة بقوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

٢٠ أى معنى لتقديم قوله : إني خلقت شهوة المجلة فيهم ، أو الطبع الداعي إليها ؛ على ما عيّره به البلخيّ . وهذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون حجة عليهم ؛ وأيسر

الأحوالِ ألاَّ يكونَ عذراً ولا احتجاجاً ، فلا يكونَ لتقديمه معنى .

وفي الجواب الأول حَسُنَ تقديم ذلك على طريق الذَّم والتوبيخ والتقريع من غير إضافة له إليه عز وجل ؛ فالجواب الأول أوضح وأصح .

وثالثها جوابٌ روى عن الحسن ، قال : يعنى بقوله : ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، أى من ضَعْفٍ ، وهى النُظْفَةُ المَهْمَةُ الضَّعِيفَةُ ، وهذا قريب إن كان فى اللغة شاهد على أن العَجَلَ يكون عبارة عن الضَّعْفِ أو معناه .

ورابعها ما حُكى أن أبا الحسن الأخفش أجاب به ، وهو : أن يكون المرادُ أن الإنسان خُلِقَ من تعجيل من الأمر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، [ النحل : ٤٠ ] .

فإن قيل : كيف يُطابقُ هذا الجواب قوله من بعد : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؟  
 قلنا : يمكن أن يكون وجهُ المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطنوها أعلمهم تعالى [١٥٧] و أنه ممن لا يُعجزه شيء إذا أرادَه ، ولا يمتنع عليه ؛ وأنَّ مَنْ خَلَقَ الإنسان بلا كلفة ولا مثونةٍ بأن قال له : كُنْ فكان ، مع ما فيه من بدائع الصنعة ، وعجائب الحكمة التى يُعجز عنها كلُّ قادر ، ويحار فيها كل ناظر ، لا يُعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات .

وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العَجَلَ الطين ، فكأنه تعالى قال : خُلِقَ الإنسان من طين ، كما قال تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ؛ [ السجدة : ٧ ] ، واستشهد بقول الشاعر :

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً      وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ<sup>(١)</sup>

ووجدنا قوماً يطعنون فى هذا الجواب ، ويقولون : ليس بمعروف أن العَجَلَ هو الطين ، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العَجَلَ الحُمأة ، ولم يستشهد عليه ، إلا أن

(١) البيت فى اللسان ( عجل ) .

البیت الذی حکیناه یمکن أن یکون شاهداً له ، وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابی ، وخالف فی شیء من ألفاظه فرواه :

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مِنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ  
 وإذا صحَّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾  
 • على نحو ما ذكرناه ، وهو أن مَنْ خَلَقَ الإنسان - مع الحِكم الظاهرة فيه - من الطين ، لا يُعْجِزه إظهار ما استعجلوه من الآيات ؛ أو يكون المعنى أنه لا يجب لمن خُلِقَ من الطين المَهِين ، وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسلِ الله وآياته وشرائمه ؛ لأنه تعالى قال قبل هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُوا نَكَالًا هُزُوا ، أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ ؛ [ الأنبياء : ٣٦ ] .

١٠ وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ، ومعنى ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أى فى سرعة<sup>(١)</sup> من خَلَقَهُ ، لأنه لم يخلقه من نُطْفَةٍ ، ثم من عِلْقَةٍ ، ثم من مُضْغَةٍ كما خلق غيره ، وإنما ابتداء الله تعالى ابتداءً ، وأنشأه إنشاءً ، فكأنه تعالى نبّه بذلك على الآية العجيبة فى خلقه له ، وأنه عزَّ وجل يُرى عباده من آياته وبيناته أولاً أولاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم .

[ ١٥٧ ] / وسابمها ماروى عن مجاهد وغيره أن الله تعالى خاق آدم بعد خلق كل شيء آخر ،  
 ١٥ نهار يوم الجمعة على سرعة ، معاجلا به غروب الشمس .  
 وروى أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت إلى أعلى جسده ، ولم تبلغ أسافله قال : يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

وثامنها ما روى عن ابن عباس والسُّدِّي أن آدم عليه السلام لما خُلِقَ وجعلت الروح فى أكثر جسده وثبَّ عجلان مبادرا إلى أثمار الجنة - وقال قوم بل همَّ بالوثوب - فهذا معنى ٢٠ قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ .

(١) حاشية الأصل ( من نسخة : « من سرعة » .

وهذه الأجوبة المتأخرة مبنية على أن المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره .

\*\*\*

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله <sup>(١)</sup> :

رُبَّ أُمُورٍ قَدْ بَرَيْتُ إِحْوَاءَهَا      وَقَوِّمْتُ مِنْ أَصْلَابِهَا ثُمَّ زُعْتُهَا <sup>(٢)</sup>  
أَقِيمُ بَدَارَ الْحَرْبِ <sup>(٣)</sup> مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا      فَإِنْ خِفْتُ مِنْ دَارِ هَوَانًا تَرَ كُتُهَا  
وَأَصْلِحُ جُلَّ الْمَالِ حَتَّى تَخَالَئِي <sup>(٤)</sup>      سَحِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْنُهَا  
وَلَسْتُ بَوَلَّاجٍ الْبُيُوتِ لِفَاقَةِ      وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا  
أَبَيْتُ عَنِ الْإِذْلَاجِ فِي الْحَيِّ نَائِمًا      وَأَرْضُ بِإِذْلَاجٍ وَهَمٍّ <sup>(٥)</sup> قَطَعْتُهَا  
أَلَا أَيُّهَا الْجَارِي سَنِيحًا وَبَارِحًا      تُعَرِّضُ نَفْسًا لَوْ أَشَاءَ قَتَلْتُهَا  
تُعَارِضُ فَخَرَ الْفَاحِشِينَ بِعَصْبَةٍ      وَلَوْ وُضِعَتْ لِي فِي إِيْنَاءٍ أُكَلَّتْهَا  
وَإِنَّ لَنَا رُبْعِيَّةَ الْمَجْدِ كُلَّهَا      مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرِثْتُهَا <sup>(٦)</sup>  
إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي الرَّجَالِ عَنِ الْعُلَا      مَدَدْتُ يَدِي بَاعًا عَلَيْهِمْ فَنِلْتُهَا  
وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْعُلَا فَأَجَبْتُهُ      وَدَعْوَةَ دَاعٍ فِي الصَّدِيقِ خَذَلْتُهَا  
وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ رِعَايَةً وَالِدِي      فَعَلَّمْنِيهَا وَالِدِي فَفَعَلْتُهَا <sup>(٧)</sup>

(١) هو ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهي نسبه إلى مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر شريف من سادات قومه ( واطر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٨ : ٦٨ - ٧٢ ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٢٦ - ١٣٢ ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ ، والخزانة ١ : ٤٦٥ - ٤٧٠ ، والالاء ١٨٦ - ١٨٧ ) (٢) ديوان المعاني ١ : ٧٩ . ف ، حاشية الأصل (من نسخة) ، ديوان المعاني : « رشتها » وفي حاشية الأصل (من نسخة أخرى) : « رعتها » . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في الصحاح : زاع بعيره أي حركه إلى قدام يستزيد سيره ؛ قال ذو الرمة :

وَخَافِقِ الرَّأْسِ فَوْقَ الرَّجْلِ قُلْتُ لَهُ      زُعْ بِالزَّمَامِ وَجَوُزُ اللَّيْلِ مَرَكُومُ

ومن رواه « زع » ، [ بفتح الزاي ] فقد أخطأ ؛ لأنه لا يأمره بالكف .

(٣) د ؛ « الحزن » ، ف ، وديوان المعاني : « الحزم » . (٤) ديوان المعاني : « حسبتني » .

(٥) هم ؛ أي همة . (٦) حاشية الأصل : « ربعية المجد : أوله وأجوده ؛ كربعية النتاج خيره »

ومن نسخة بحاشية الأصل : « مواريث آباء » . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فعملتها » .

وعوراء من قيل امرئ ذي قرابة  
 / رَجَاةً غَدٍ<sup>(٢)</sup> أَنْ يَعْطِفَ الرَّحْمُ بَيْنَنَا  
 إِذَا مَا أُمُورُ النَّاسِ رَثَّتْ وَضُيِّعَتْ  
 وَإِنِّي سَأَلْتَنِي اللَّهَ لَمْ أَرْمِ حُرَّةً  
 وَلَا قَازِفَ نَفْسِي وَنَفْسِي بَرِيَّةً  
 تَصَامَمْتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا<sup>(١)</sup>  
 وَمَظْلَمَةٍ مِنْهُ بِجَنَبِي عَرَكَتُهَا  
 وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ رَمَمْتُهَا<sup>(٣)</sup>  
 وَلَمْ تَتَمَنِّ<sup>(٤)</sup> يَوْمَ سِرٍّ فَخُذْتُهَا  
 وَكَيْفَ اعْتَذَارِي بَعْدَ مَا قَدْ قَذَفْتُهَا

[١٥٨]

\*\*\*

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد  
 ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي أن رجلاً من الأنصار حدثه قال قال  
 مسكين الدارمي :

ولست إذا ما سرّني الدهر ضاحكاً  
 وَلَا جَاعِلاً عِرْضِي لِمَالِي وَقَايَةً  
 أَعِفُّ لَدَى عُسْرِي وَأُبْدِي تَجَمُّلاً  
 وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِراً  
 وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالَ عَهْدُهُمْ  
 فَإِنْ يَكُ عَاراً مَا أَتَيْتُ فَرْبُماً  
 وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعْلمَ مَكَانَ صَدِيقِهِ  
 وَلَا خَاشِعاً مَا عِشْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ<sup>(٥)</sup>  
 وَلَكِنْ أَقْبَى عِرْضِي فَيُحْرِزُهُ وَفَرِي  
 وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعِفُّ لَدَى الْعُسْرِ  
 صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بَأَنْ يَعْلمُوا فَقْرِي  
 حَيَاءً وَإِعْرَاضاً، وَمَا بِي مِنْ كِبَرٍ  
 أُنِي الْمَرْءَ يَوْمَ الشُّوْءِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي  
 وَمَنْ يَحْيَى لَا يَمْدُمُ بِلَاءً مِنَ الدَّهْرِ<sup>(٦)</sup>

١٠

١٥

ومن مستحسن قوله :

إِنْ أُدْعَ مَسْكِيناً فَمَا قَصَرْتُ قِدْرِي بُيُوتُ الْحَيِّ وَالْجَدْرِ

(١) العوراء هنا : الكلمة القبيحة . (٢) د ، ف ، وحاشية الأصل ، وديوان المعاني : « رجاء  
 غد » . (٣) رمتها : أصلحتها . (٤) د ، ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « لم تأتمني » .  
 (٥) أبيات منها في معجم الأدباء ١١ : ١٢٩ ، واللائي : ١٨٦ ، وكنيات الجرجاني : ١٠ ، ٥٧ .  
 (٦) حاشية الأصل : ( من نسخة ) : « ومن يغن » .

وقيل : إن مسكيننا ليس باسمه ، وإنما اسمه ربيعة ، وإنما سمى بذلك لقوله :

وَسُمِّيتُ مِسْكِينًا وَكَانَتْ لَجَاجَةً وَإِنِّي لِمِسْكِينٌ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ <sup>(١)</sup>

— ومعنى : قصرت قدرى ، أى : سترت ، يريد أنها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان.

مَا مَسَّ رَحْلِي الْعَنْكَبُوتُ وَلَا جَدَّيَاتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُبْرُ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن ، لأن العنكبوت إنما تنسج على

ملا تناله / الأيدى ولا يكثر استعماله ، والجديات : جمع جدية ، وهى باطن دقة الرحل . <sup>[١٥٨]</sup> ط

لَا آخِذُ الصَّبَّانَ الثَّمَمِ وَالْأَمْرُ قَدْ يُغَيِّرُ <sup>(٢)</sup> بِهِ الْأَمْرُ

— يقول : لا أقبل الصبي ؛ وأنا أريد التعريض بأمه .

ومثله لغيره :

وَلَا أَلْقَى لَدَى الْوَدَعَاتِ سَوْطِي <sup>(٣)</sup> الْأَعْبَهُ <sup>(٤)</sup> وَرَبِيبَتَهُ <sup>(٥)</sup> أُرِيدُ ١٠

وأنشد ابن الأعرابي مثله :

إِذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَلْتَمُهُ

ضَخْمُ الْمَنَاقِبِ لَا عَمَّ وَلَا خَالُ

فَاحْفَظْ صَبِيَّكَ مِنْهُ أَنْ يُدْنِسَهُ

وَلَا يَغُرَّنْكَ يَوْمًا قَلَّةُ الْمَالِ <sup>(٦)</sup>

— رجع إلى تمام القصيدة —

وَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكْتُ وَمَا

بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ سِتْرُ

وَمُخَاصَمٌ <sup>(٧)</sup> قَاوَمْتُ فِي كَيْدِ

مِثْلِ الدَّهَانِ فَكَانَ لِي الْعُذْرُ <sup>(٨)</sup>

(١) الشعر والشعراء : ٥٢٩ . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « يعزى » .

(٣) م : « صوتى » . (٤) د : « لألثمه » ، ومن نسخة بحاشية ف : « لألثمه » .

(٥) د ، ف ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « وربته » ، أى أمه التى تربته . والودعات :

الحُرَزَات . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كثرة المال » .

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ومقام » . (٨) فى حاشيتي الأصل ، ف : « إنما

يكون العذر إذا كان ثم ظلم ، فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متعدى عليه ، وإذا كان كذلك ، فيجب الاعتذار على الظالم ؛ ويكون العذر لى ، كقوله :

فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاعْذِرْنِي عَلَى الْهَوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكَ الْعُذْرُ

— ويروى : « القَمَر » ، والكَبَد : المنزلة التي لا تثبت فيها الأرجل ، والدهان

الأديم الأحمر —

مَاعِلَتِي<sup>(١)</sup> ! قَوْمِي بَنُو عُدُسٍ  
وَأَبِي الذِّى حُدَّتْهُ عَمْرُو  
فِي الْمَجْدِ غُرَّتْنَا مَبِينَةٌ  
لَا يَرْهَبُ الْجِيرَانُ غُدْرَتَنَا  
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَلَّحَتْ  
وَهُمُ الْمُلُوكُ وَخَالِي الْبَشَرِ<sup>(٢)</sup>  
وَأَبِي الذِّى حُدَّتْهُ عَمْرُو  
لِلنَّاطِرِينَ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ  
حَتَّى يُوَارِيَ ذِكْرَنَا الْقَبْرُ  
إِحْدَى السَّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمُرُّ

— أَى يَسْتَحْلِي النَّدْرَ بِهِ كَمَا يُسْتَحْلَى التَّمْرُ —

مَوْلَاهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَضَمٍ  
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ  
يُقَالُ : إِنَّهُ كَانَ لَهُ امْرَأَةٌ تَمَازَلُهُ ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ : أَجَلٌ ؛ إِنَّمَا نَارُهُ وَنَارُكَ وَاحِدَةٌ ، لِأَنَّهُ  
أَوْقَدَ وَلَمْ تَوْقَدْ ، وَالْقِدْرُ تَنْزُلُ إِلَيْهِ قَبْلَكَ ؛ لِأَنَّهُ طَبَخَ وَلَمْ تَطْبَخِ ، وَأَنْتِ تَسْتَطْعِمُهُ .

مَاضَرَ جَارِيٍّ إِذْ أُجَاوِرُهُ  
أَنْ لَا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ  
— قَالَ : وَيُقَالُ إِنَّهَا قَالَتْ لَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَيْضًا : أَجَلٌ إِنْ كَانَ لَهُ سِتْرُهُ هَتَكَتُهُ —

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ  
وَيَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا  
حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ  
سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرُّ

وَأُنْشَدَ عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ لِمَسْكِينٍ أَيْضًا :

لَا تَجْمَلَنِي كَأَقْوَامٍ عَلِمَتْهُمْ<sup>(٣)</sup> لَمْ يَظْلَمُوا لَبَةً يَوْمًا وَلَا وَدَجًا<sup>(٤)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ماعاني » . (٢) من نسخة في حاشيتي الأصل ، ف : « هو مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ فهذا عدس وعدس أبو زرارة ، مثل قثم ؛ وقال ابن دريد : يقال عدس وعدس » ، بضم الدال وفتحها .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « لا تجعليني كأقوام علمتهم » .

(٤) حاشية الأصل : « أَى لم ينحروا للأضياف فيطعنوا في لبة أو ودج » .



إِنِّي لِأَغْلَاهُمُ بِاللَّحْمِ قَدْ عَلِمُوا  
أَنَا ابْنُ قَاتِلِ جَوْعِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا  
يَارُبَّ أُمَرَيْنِ قَدْ فَرَجْتُ بَيْنَهُمَا  
أَدِيمُ خُلُقِي لِمَنْ دَامَتْ خَلِيقَتُهُ  
وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً  
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَأَكْرَهُهُ  
مَا مَدَّ قَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى شَرَفٍ  
وَأُنْشِدُ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ لَهُ :

أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ  
أَحَدْتُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى  
وَمِثْلُهُ لغيره :

أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ  
وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى  
وَمَعْنَى :

\* أَحَدْتُهُ إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقَرَى \*

أَيُّ أَصْبَرَ عَلَى حَدِيثِهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَوْفَ يَنَامُ ، وَلَا أَعْرِضُ بِمِحَادَثَتِهِ / فَأَكُونُ قَدْ مَحَقْتُ [١٥٩] ط  
قِرَايَ ؛ وَالْحَدِيثُ الْحَسَنُ مِنْ تَمَامِ الْقَرَى .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْغَيْرَةِ قَوْلُ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ :  
أَلَا أَيُّهَا النَّائِرُ الْمُسْتَشِيطُ عَلَامَ تَفَارُ إِذَا لَمْ تُقَرَّ

(١) الرهج : الغبار . (٢) اعتلج . اضطرب .

(٣) الحزن : المفازة الواسعة ، والخرقاء : الناقة السريعة .

فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خِفَتْهَا      وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُبَزَّرْ<sup>(١)</sup>  
تَمَارُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا      وَهَلْ يَفْنِي الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ  
فَإِنِّي سَأَخْلِي لَهَا بَيْتَهَا      فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ  
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا      فَانْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطُ مُمْرٍ  
وَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عَرْسَهُ      إِذَا ضَمَّهُ وَالْمَطَى السَّفَرُ !

قال المرتضى رضى الله عنه: وكان مسكين كثير الألهج بالقول في هذا المعنى ، فمن ذلك قوله:

وَإِنِّي أَمْرُو لَا آلفُ الْبَيْتَ قَاعِدًا      إِلَى جَنْبِ عَرْسِي لَا أَفْرُطُهَا شِبْرًا  
وَلَا مَقْسِمٌ لَا أَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا      لِأَجْعَلُهُ قَبْلَ الْمَاتِ لَهَا قَبْرًا  
إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصِنْ أَمَامَ فَنَائِهَا      فَلَيْسَ بِمُنْجِيهَا إِنَّمَا لَهَا قَصْرًا  
وَلَا حَامِلِي ظَنِّي وَلَا قَبِيلُ قَائِلٍ<sup>(٢)</sup>      عَلَى غِيْرَةٍ حَتَّى أُحِيطَ بِهَا خُبْرًا  
فَهَبْنِي أَمْرًا رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِدًا      فَكَيْفَ إِذَا مَا سِرْتُ مِنْ بَيْتِهَا شَهْرًا

وأنشد أبو العباس<sup>(٣)</sup> عن أبي العالية لمسكين :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا      وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ<sup>(٤)</sup>  
مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَمِّمًا عَرْسَهُ      مُنَاصِبًا فِيهَا لَوْ هُمُ الظُّنُونُ  
بُوشِكُ أَنْ يَغْرِيَهَا بِالذِّى      يَخَافُ ، أَوْ يَنْصَبَهَا لِلْعُمُودِ  
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا ضَمُّهَا      مِنْكَ إِلَى خُلُقٍ كَرِيمٍ وَدِينٍ  
لَا تَظْهَرَنَّ مِنْكَ عَلَى عَوْرَةٍ      فَيَتَّبِعَ الْمُقْرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ<sup>(٥)</sup>

(١) حاشية الأصل : « للسؤال » . (٢) حاشية الأصل ( من نسخته ) : « وإن قال قائل »

(٣) ف : « أبو العباس » . (٤) حاشية الأصل ( من نسخته ) : « غير حين » .

(٥) حاشية الأصل : « أى إياك أن تطلع المرأة منك على زنا وريبة ؛ فإنها أياضاً تترى أو تفعل كما فعلت »

## مَجْلِسُ آخِرِ

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

/إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [١٦٠]   
لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا   
الْمُخَاصِّينَ﴾ [يوسف : ٢٤] .

فقال : هل يسوغُ ما تأوَّل بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسفَ عليه السلام عزمَ   
على المعصية وأرادَها ، وأنه جلسَ مجلسَ الرجل من المرأة ، ثم انصرفَ عن ذلك بأن رأى   
صورةَ أبيه يعقوبَ عليه السلام عاضاً على إصبعه ، متوعداً له على مواجهة المعصية، أو بأن نُودِيَ   
له بالنهي والزَّجر في الحال على ما ورد به الحديث ؟

الجواب ، قلنا : إذا ثبت بأدلة العقول التي لا يدُخلها الاحتمالُ والمجاز ووجوه التأويلات   
أنَّ المعاصيَ لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ماورد ظاهرُه بخلاف ذلك من   
كتابٍ أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها ، كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهرُه مخالفاً لما   
تدل عليه العقول من صفاته تعالى ، وما يجوز عليه أو لا يجوز .

ولهذه الآية وجوه من التأويل ؛ كلُّ واحدٍ منها يقتضي نزاهة نبي الله تعالى من العزم على   
الفاحشة وإرادة المعصية .

أولها أنَّ الهمَّ في ظاهر الآية متعلِّق بما لا يصح أن يعلِّق به العزم أو الإرادة على الحقيقة ؛   
لأنه تعالى قال : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ ، فعلق الهمَّ بهما ، وذاتهما لا يجوز أن يُراد   
أو يعزم عليهما ؛ لأنَّ الوجود الباقي لا يصحَّ ذلك فيه ، فلا بدَّ من تقدير محذوفٍ يتعلَّق   
العزم به ؛ وقد يمكن أن يكون ما تعلَّق به همُّه إنما هو ضربُها أو دفعُها عن نفسه ، كما

يقول القائل : كنت همت بفلان ، وقد همّ فلان بفلان ؛ أى بأن يوقع به ضرباً أو مكروها .

فإن قيل : فأى معنى لقوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها ؟

٥ قلنا : يمكن أن يكون الوجه في ذلك أنه لما همّ بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه إن أقدم على ما همّ به أهلكه أهلها وقتلوه ، أو أنها تدعى عليه المراودة على القبيح وتقذفه [١٦٠] بأنه دعاها إليه ، وأنّ ضرّته لا تتنازعها ، فيظنّ به ذلك من لا تأمل له ، ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه ، فأخبر الله تعالى بأنه صرّف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ، ويعنى بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به ، لأنهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح ، أو ١٠ يعنى بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك .

فإن قيل : هذا الجواب يقتضى أن جواب ﴿لَوْلَا﴾ يتقدّمها ، ويكون التقدير : لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بضربها ودفعها ، وتقدّم جواب ﴿لَوْلَا﴾ قبيح غير مستعمل ، أو يقتضى أن تكون ﴿لَوْلَا﴾ بغير جواب .

١٥ قلنا : أما تقدّم جواب ﴿لَوْلَا﴾ فجائز ، وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك ، غير أنّنا لا نحتاج إليه في هذا الجواب ، لأنّ الهمّ بالضرب قد وقع ، إلا أنه انصرف عنه بالبرهان ؛ والتقدير : ولقد همت به وهمّ بدفعها لولا أن رأى برهان ربّه كفعل ذلك ، فالجواب في الحقيقة محذوف ، والكلام يقتضيه ، كما حذف الجواب في قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ؛ [النور : ٢٠] ، معناه : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ، ومثله : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ؛ [التكاثر : ٥ ، ٦] ، معناه : لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا في الدنيا ، وتفاخروا بها ؛ وقال أمرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا<sup>(١)</sup>

أراد : فلو أَنَّهَا نفسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً لَا نَقَضَتْ وَفَنِيَتْ ، فحذف الجواب ؛ على أَنَّ مَنْ تَأَوَّلَ هذه الآية على الوجه الذى لا يليق بنبيِّ الله تعالى ، وأضاف العزم على المصيبة إليه لا بدله من تقدير جواب محذوف ، ويكون التقدير عنده : ولقد هَمَّتْ بِالزَّنا وَهَمَّ بِهِ ؛ لولا أَنَّ رَأى برهان ربه لَفَعَلَهُ .

فإن قيل قوله : ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ كقوله : ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ فلم جعلتم هَمَّهَا به متعلقًا بالقبيح وهَمَّهَا بها متعلقًا بما ذكرتم من الضرب وغيره ؟

قلنا : أما الظاهر فلا يدلُّ على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعًا ، وإنما أثبتنا هَمَّهَا به متعلقًا بالقبيح ، لشهادة الكتاب والآثار ؛ وهى ممن يجوز عليه فعل القبيح ، ولم يُؤْمَنْ دليلٌ من امتناعه عليها ؛ كما أُمِنَ ذلك فيه عليه السلام .

والموضع الذى يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، [ يوسف : ٣٠ ] ، وقوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [ يوسف : ٢٣ ] ، وقوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ <sup>(٢)</sup> وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [ يوسف : ٥١ ] ، وفى موضع آخر : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [ يوسف : ٢٢ ] .

(١) ديوانه : ١٤٠ ، وروايته : « تَمُوتُ جَمِيعَةً » . وفى حاشية الأصل : « ويروى : « تساقط » [ بضم التاء ] ، وساقط بوزن فاعل متعد ؛ ويكون « أنفسا » مفعولا ؛ وإذا روى : « تساقط » [ بفتح التاء ] جاز أن يكون « تفاعل » متعديا ؛ والمعنى : أسقط . ويجوز أن يكون غير متعد أيضا ؛ و « أنفسا » نصبت على الحال ، كقوله تعالى : ﴿ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ ، أى تساقط عليك ثمر النخلة رطبا ، وقال الفراء : هو تمييز ، وكلاهما حسن . ويجوز إذا كان حالا أن يفيد كثرة الرطب على الخدع فكأنها إذا تساقطت رطبا .

(٢) حاشية الأصل : « معنى ﴿ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ؛ أى طلبت منه أن ينزل عن نفسه فيسلها منى ؛ هذا هو حقيقة هذه الكلمة ؛ فاختصر » .

والآثار واردة بإطباق مفسري القرآن ومتأوليه على أنها همت بالفاحشة والمعصية .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يُحمل الكلام على التقديم والتأخير ، ويكون تلخيصه :  
ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ؛ ويجرى ذلك بجري قولهم : قد كنتَ  
هَلَكْتَ لولا أنى تداركتك ، وقُتِلْتَ لولا أنى خلصتُك ، والمعنى : لولا تداركى لهلك ،  
ولولا تخليصى لقتلت ، وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل ؛ قال الشاعر :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا إِحْرَةً لِّئِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا ، وَيَسْلَمَ عَامِرُ<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا إِحْرَةً لِّئِنْ لَمْ أُعْجَلْ طَعْمَةً أَوْ أُعْجَلْ<sup>(٢)</sup>

فقدم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ في البيتين جميعاً ، وقد استشهد عليه أيضاً بقوله تعالى : ﴿لَوْ لَا  
فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ ، والهم لم يقع لمكان فضل  
الله ورحمته .

ومما يشهد لهذا التأويل أن في الكلام شرطاً ، وهو قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى  
بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ؛ فكيف يحتمل على الإطلاق ، مع حصول الشرط ؟ وليس لهم أن يجعلوا  
جواب ﴿لَوْ لَا﴾ محذوفاً مقدراً لأن جعل جوابها موجوداً أولى .

وقد استبعد قوم تقديم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ عليها ، قالوا : ولو جاز ذلك لجاز : « قام زيدٌ  
لولا عمرو » ، و« قصدتك لولا بكرٌ » وقد بينّا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز  
تقديم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ ، والذي ذكره لا يشبه ما أجزناه .

وقد يجوز أن يقول القائل : « قد كان زيد قام لولا كذا وكذا » ، و« قد كنت قصدتك لولا

أن صدّنى فلان » ، وإن لم يقع قيام ولا قصد ؛ وهذا هو الذى يشبه الآية ؛ وليس تقديمُ

(١) صريحاً : خالص النسب . (٢) م :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ لِّئِنْ لَمْ أُجَلَّ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجَلْ

وفي حاشية الأصل : « في نسخة من البيت الثانى مقدم على الاول » .

جواب ﴿أَوَلَا﴾ بِأَبْعَدَ من حذف جواب ﴿لَوْ لَا﴾ جُمْلَةً من الكلام . وإذا جاز عندهم الحذف - لثلا يلزمهم تقديمُ الجواب - جاز لغيرهم تقديمُ الجواب حتى لا يلزم الحذف .

والجواب الثالث ما اختاره أبو عليّ الجبائيّ - وإن كان غيرُهُ قد تقدمه إلى معناه - وهو أن يكون معنى ﴿هَمْ بِهَا﴾ اشتهاها، ومنال طبعه إلى مادعته إليه . وقد يجوز أن تسمّى الشهوة في مجاز اللنة هَمًّا ؛ كما يقول القائل فيما لا يشتميه : ليس هذا من همّي ، وهذا أحمُّ الأشياء إلى ؛ ٥ ولا قبسَ في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى فيه ؛ وإنما يتعلق القُبْحُ بتناول المشتهى . وقد روى هذا التأويل عن الحسن البصريّ قال : أما همُّها فكان أخبثَ الهمِّ ، وأما همُّها فما طُبِعَ عليه الرجال من شهوة النساء ، ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، متعلق بمحذوف ؛ كأنه قال : لولا أن رأى برهان ربه لَعَزَمَ أَوْ فَعَلَ .

١٠

والجواب الرابع ، أن من عادة العرب أن يسمّوا الشيء باسم ما يقع عنده في الأكثر ، وعلى هذا لا يُنكَر أن يكون المراد بـ ﴿هَمْ بِهَا﴾ خطرَ بباله أمرُها<sup>(١)</sup> ، ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها ؛ من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ ، فسمّي الخطور بالبال هَمًّا من حيث كان الهمُّ يقع في الأكثر عنده ، والعزم في الأغلب يتبعه .

وإنما أنكرنا ما ادّعاه جهلة المفسرين ومُخرِّفو القصص ، وقرءوا به نبي الله عليه السلام ، لما ١٥ في المقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام ؛ من حيث كان منفراً عنهم ، وقادحاً في الغرض الجريّ إليه بإرسالهم ؛ والقصة تشهد بذلك ؛ لأنه تعالى قال : ﴿كَذَلِكَ لَنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ ؛ ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ، ثم الأخذ فيه ، والشروع في مقدماته ؛ وقوله تعالى أيضاً : ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يقتضى تنزيهه

(١) س : « ما خطر بباله أمرها » .

عن الهمّ بالزّنا ، والعزم عليه . وحكايته عن النسوة قولهن : ﴿ حَاشَ لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ [ يوسف : ٥١ ] ، تدل أيضا على براءته من القبيح .

فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفًا لطف الله له به في تلك الحال أو قبلها ، اختار عنده الانصراف عن المعاصي ، والتنزه عنها .

[١٦٢] ويحتمل أيضا / ما ذكره أبو علي ، وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه ، وعلى أن من فعله يستحق العقاب . وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنّه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعدًا له ، أو النداء له بالزجر والتخويف ، لأنّ ذلك يُنافي المحنة ، وينقض الغرض بالتكليف ، ويقتضي ألا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحًا ولا ثوابًا ؛ وهذا سوء ثناء على الأنبياء ، وإقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ، ونحمد الله على حسن التوفيق . ١٠

\*\*\*

روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصوليّ الملقب بطماسٍ قال : كنت يوماً عند عمّي إبراهيم بن العباس<sup>(١)</sup> ، فدخل عليه رجل فرمعه حتى جلس إلى جانبه ، أو قريباً من ذلك ، ثم حادثه إلى أن قال عمي : يا أبا تمام ؛ ومن بقي ممن يُعتصم به ويلجأ إليه ؟ قال : أنت لا عُدِمْتَ - وكان إبراهيم طويلاً - أنت والله كما قيل :

يَمْدُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ      بِأَعْلَى سَنَامِي فَالَجِ يَتَطَوَّحُ  
وَيُدِلُّجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ      وَيُورِي كَرِيَمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ  
إِذَا اعْتَمَّ بِالْبُرْدِ الْيَمَانِي خِلَتُهُ      هَلَالاً بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلِجُ  
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً      وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، شاعر مجيد ؛ توفي سنة ٢٤٣ ، وله ديوان شعر ، نشره الأستاذ عبد العزيز الميعني ؛ ضمن مجموعة الطرائف سنة ١٩٣٧ م . (وانظر ترجمته في الأغاني ( ٢٠٩ - ٣٣ ، وابن خلسكات ١ : ٩ - ١١ ، ومعجم الأدباء ، ١ : ١٦٤ - ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١١٧ ) .



فقال له إبراهيم: أنت تحسن قائلًا، وراويًا، ومتمثلًا؛ فلما خرج تبعته وقلت له: أكتبني الأبيات، فقال: هي لأبي الجويرية العبدى<sup>(١)</sup> نخذها من شعره .

\*\*\*

وروى عن يحيى بن البختري قال: رأيت أبي يُذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بعمان من الشعر، فمرّ فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه، فأنشدوا إنشادات كثيرة، فقال لهم أبي: قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال:

أَحْسِبُ النُّوْمَ حَكَاكَ      إِذْ رَأَى مِنْكَ جَفَاكَ<sup>(٢)</sup>  
مَنَى الصَّبْرُ وَمِنْكَ أَا      هَجَرُ فَا بُلُغْ بِي مَدَاكَ  
بَعْدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ      طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَاكَ  
أَوْ مَا خَطَّ لِعَيْنِي      أَنْ تَرَى مَنْ قَدَرَاكَ  
لَيْتَ حَطَّيْتُ مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاكَ

قال أبي: /إنه تصرّف في معاني من الشعر في هذه الأبيات، قال: وكتبها عنه جماعة من<sup>[١٥٨]</sup> حضر؛ والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولى .

\*\*\*

وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال: لما بايع المأمون لعلّ ابن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد، وأمر الناس بلبس الخضرة صار إليه دُعبل<sup>(٣)</sup> بن على

(١) اسمه عيسى بن أوس بن عصبية؛ أبو جويرية العبدى؛ شاعر محسن متمكن؛ ذكره الأمدى في المؤلفات والمختلف: ٧٩، والمرزبانى في المعجم: ٢٥٨ .

(٢) ديوان إبراهيم بن العباس: ١٤٨ .

(٣) هو دُعبل بن على الخزاعى، شاعر مطبوع؛ كان هجاء خبيث اللسان؛ ولم يسلم من لسانه أحد ممن عاصره من الخلفاء والوزراء ولا من أولادهم وأولاد أولادهم؛ ولا ذو نباهة؛ أحسن إليه أو لم يحسن، وكان من مشاهير الشيعة؛ قال ياقوت « وقصيدته النائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح، قصدها على بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وخلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم فلم يبهما؛ فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: لأنها تراد لله =

وإبراهيم بن العباس الصولي - وكانا صديقين لا يفتقان ، فأنشده دعبل :  
مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحْيٍ مُتَقَرُّ الْعَرَصَاتِ (١)

وأنشده إبراهيم بن العباس على مذهبها قصيدة ، أولها :

أَزَالَتْ عَزَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِغُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

٥ قال : فوهب لها عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه ، وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت ؛ فأما دعبل بن علي فصار بالشطر منها إلى قم ، فاشتري أهلها منه كل درهم بعشرة ، فباع حصته بمائة ألف درهم .

= عزوجل ؛ وهي محرمة عليكم ؛ فدفعوا له ثلاثين ألف درهم ، فحلب ألا يبيعها أو يعطوه مضها يسكون في كفته ، فأعطوه كما واحدا ؛ فكان في أكمائه ؛ ويقال : إنه كتب القصيدة في نوب وأحرم فيه ؛ وأوصى بأن يكون في أكمائه ، ونسخ هذه القصيدة مختلفة ، في بعضها زيادات ؛ يظن أنها مصنوعة ، وتوفي دعبل سنة ٢٤٦ .

( وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١١ : ١٩ : ١١٢ ، وابن خلدون ١ : ١٧٩ - ١٨٠ ، والأغاني ١٨ : ٢٩ - ٣٢ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢ ) .

(١) القصيدة في معجم الأدباء ، وتنوير الأبصار : ١٤١ ، ١٤٢ ؛ ومطلعها فيه :

ذَكَرْتُ مَحَلَّ الرَّبْعِ مِنْ عَرَافَاتٍ وَأَجْرِيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْمِعْرَاتِ  
وَفَكَعَرِّي صَبْرِي وَهَاجَتْ صَبَابَتِي رَسُومُ دِيَارٍ أَقْفَرَتْ وَعِرَاتِ  
مَدَارِسُ آيَاتٍ . . . . .

وفيه يقول :

|  |  |
|--|--|
| أَلَمْ تَرَ أَنِي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً          | أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ  |
| أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مَتَقَسَّمًا          | وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيهِمْ صَفَرَاتِ     |
| فَالرَّسُولِ اللَّهِ نُحِفُ جَسُومُهُمْ            | وَالْزِيَادِ حُفْلُ الْقَصَرَاتِ         |
| بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ           | وَالرَّسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ    |
| إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ     | أَكْفَأَ عَنِ الْأَوْتَارِ مَنْقِبُضَاتِ |
| فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغِدِ | لَقُطِّعَ قَلْبِي إِزْرَهُمْ حَسَرَاتِ   |

وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضُها حتى مات؛ قال الصوليّ: ولم أقف من قصيدة إبراهيم على غير هذا البيت .

قال: وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني به أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات والحسين بن عليّ الباقطاني<sup>(١)</sup> قالا: كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزّمن، فأنسخه شعره في عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام، وقد انصرف من خراسان، ودفع إليه شيئاً بخطّه منه، وكانت النسخة عنده إلى أن ولي المتوكل، وولي إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان، فعزله عن ضياع كانت في يده بمخولان وغيرهما وطالبه بمالٍ وألحّ عليه، وأساء مطاكبته، فدعا إسحاق بعض من يثق به من إخوانه، وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس، فأعلمه أنّ شعره في عليّ بن موسى بخطّه عندي، وبغير خطّه، والله لئن استمرّ على ظلمي<sup>(٢)</sup>، ولم يُزل عني المطالبة لأوصان الشعر ١٠ إلى المتوكل؛ قال: فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس، فأخبره بذلك، فاضطرب اضطراباً شديداً، وجعل الأمر / في ذلك إلى الوساطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به، وأخذ [١٦٣] الشعر منه، وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء، فلما حصل عنده أحرقه بحضرته .

وذكر أبو أحمد يحيى بن عليّ المنجم أنّ أباه عليّ بن يحيى كان الوساطة بينهما .  
قال الصوليّ: وما عرفت من شعر إبراهيم في هذا المعنى شيئاً إلاّ أبياتاً؛ وجدتُها بخط أبي ١٥  
قال: أنشدني أخى لعمه في عليّ بن موسى من قصيدة :

كفى بفعّالٍ امرئٍ عالمٍ      على أهله عادلاً شاهداً<sup>(٣)</sup>  
أرى لهم طارفاً مؤنفاً      ولا يُشبهه الطّارفُ التّالداً  
يُمنُّ عليكم بأموالكم      وتُظَوّنَ من مائةٍ واحداً

(١) حاشية الأصل : الباقطان : قرية بالعراق ، والنسبة إليها باقطانى ؛ وثم أيضاً قرية يقال لها

باقطينا ؛ والنسبة إليها باقطينى . (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ظلمه » .

(٣) ديوانه : ١٧٢ ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « على قومه عادلاً » .

فلا حمَدَ اللهُ مستنصرًا<sup>(١)</sup> يكونُ لأعدائكمُ حامدا  
فضلتَ قسيمك في قعدُد<sup>(٢)</sup> كما فضلَ الوالدُ الوالدا

قال الصوليّ : فنظرت في قوله :

\* فضلتَ قسيمك في قعدُد \*

٥ فوجدت عليّ بن موسى عليهما السلام والمأمون متساويين في قعدُد النسب، وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً .

وروى الصوليّ أنّ منشدًا أنشد إبراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع :

ربّما تكرهُ النفوسُ من الأُم رِله فرجةٌ كحلّ العقال<sup>(٣)</sup>

قال : فكنت بقلبه ساعة ثم قال :

١٠ ولربّ نازلةٍ يضيّقُ بها الفتى ذرعًا وعندَ اللهٍ منها مخرجُ<sup>(٤)</sup>  
كملتَ فلما استحكمت حلقاتها فرجتُ وكانَ يظنُّها لا تفرجُ

فمجب من جودة بديهته .

وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني

القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية قال : كنت بالأهواز أيام الواثق، وإبراهيم بن العباس

١٥ يلى معونتها وخراجها ، فوصفت له بالأدب فأمر بإحضاري ، فلما دخلت عليه قرّب مجلسي

[١٦٣] وقال : تسلف<sup>(٥)</sup> أنس المطاولة؛ فإن الاستمتاع لا يتم إلاّ به، فانبسطت وتساءلنا / عن الأشعار،

ظ فما رأيت أحدا قط أعلم بالشعر منه، فقال لي : ما عندك في قول النابغة :

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : ✽ فلا حمَدَ اللهُ مُستنصِرٌ ✽

(٢) حاشية الأصل : « في قعدُد » تتعلق بقسيمك ، وانقعدد : الأقرب إلى الأب الأكبر ، وفلان أفعد

من فلان نسباً إذا كان أقرب إلى الأب الأكبر . (٣) البيت لأمية بن أبي الصلت ؛ وهو في شعراء

النصرانية : ٢٠٣ ، واللسان ( فرج ) . والفرجة ؛ بالفتح مصدر ؛ وبالضم اسم ، والرواية بالفتح .

(٤) ديوانه : ١٧١ . (٥) حاشية الأصل : تسلف ؛ أى خذه سلفاً ؛ يني أنك ستنبسط

إلىّ بعد المطاولة ؛ فخذ ذلك سلفاً وانبسط .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ

فقلت : أَرَادَ تَفْضِيلَهُ عَلَى الْمُلُوكِ ، فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ فِي الشَّعْرِ حَبٌّ<sup>(٢)</sup> ، وَهُوَ أَنَّهُ اعْتَذَرَ إِلَى النِّعْمَانِ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى آلِ جَفْنَةَ إِلَى الشَّامِ ، وَمَدَحِهِ لَهُمْ ، وَقَالَ : إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِجَفَائِكَ بِي ، فَإِذَا صَلَحْتُ لِي لَمْ أَرِدْ غَيْرَكَ ، كَمَا أَنَّ مَنْ أَضَاعَتْ لَهُ الشَّمْسُ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى ضَوْءِ الْكَوَاكِبِ ؛ ٥  
فَأَتَى بِعَمِينِينَ : بِهِذَا ، وَبِتَفْضِيلِهِ ، قَالَ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ ، فَعَتَبَ عَلَى ابْنِهِ أَبِي الْوَلِيدِ مِنْ شَيْءٍ قَدَّمَهُ ، وَمَدَحَ أَبَاهُ وَأَحْسَنَ فِي التَّخَلُّصِ كُلِّ الْإِحْسَانِ فَقَالَ :

عَفَتْ مَسَاوِي تَبَدَّتْ مِنْكَ وَاضِحَةً عَلَى مُحَاسِنَ بَقَّاهَا أَبُوكَ لَكَ<sup>(٣)</sup>  
لَنْ تَقْدَّمَ أَبْنَاءُ الْكَرَامِ بِهِ لَقَدْ تَقْدَّمَ أَبْنَاءُ اللَّثَامِ بِكَ ١٠

وَلِإِبْرَاهِيمَ :

تَمَرُ الصَّبَا صَفْحًا بَسَا كُنْ ذِي الْفَضَا وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَّ هُبُوبُهَا<sup>(٤)</sup>  
قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا  
تَطْلَعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعٌ عَوَارِفُ أَنْ الْيَأْسَ مِنْكَ نَصِيبُهَا  
وَأَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ آلٌ مَيَّ هَاجَ شَوْقِي هُبُوبُهَا<sup>(٥)</sup>  
هَوَى تَذْرِفُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا  
وَلِإِبْرَاهِيمَ :

دَنْتُ بِأَنْاسٍ عَنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَنْ دَنَوٍ مَزَارُهَا<sup>(٦)</sup>  
وَإِنَّ مَقِيمَاتٍ بِمَنْقَطَعِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا ٢٠

(١) ديوانه : ١٣ . (٢) الحبء : ما خبي واستتر ، كالخبي . (٣) ديوانه : ١٦٢ .

(٤) ديوانه : ١٣٩ . (٥) ديوانه : ٦٥ - ٦٦ .

(٦) ديوانه : ١٤٥ ، وفي حاشية الأصل : « يروى البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات » .

[١٦٤]

/ وأخذ ذلك من قول النظار الفقمسي :

يقولون هَذِي أُمُّ عَمْرِو قَرِيبَةٌ      دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ  
أَلَا إِنَّمَا بُعِدَ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهُ      إِذَا هُوَ لَمْ يَوْصَلْ إِلَيْهِ سَوَاءُ

ووجدت بعض أهل الأدب يظن أن إبراهيم بن العباس سبق إلى هذا المعنى في قوله :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَتَى تَشَا      وَأَبْرَقَ يَمِينًا وَأَرَعَدَ شِمَالًا<sup>(١)</sup>  
نِجَابَكَ لَوْ مُكَّ مَنْجَى الذُّبَابِ      حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا<sup>(٢)</sup>

حتى رأيت مُسلم بن الوليد قد سبق إلى هذا المعنى ، فأحسن غاية الإحسان فقال :  
أَمَّا الْمَهْجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ      وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ<sup>(٣)</sup>  
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ      عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

(١) ديوانه : ١٦٣ . (٢) من نسخة بمحاشية الأصل : « مقاذيره » .

(٣) ملحقات ديوانه : ٢٤٢ .

## مَجْلِسُ آخِرِ

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًّا عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، [ يوسف : ٢٣ ] .

فَقَالَ : إِذَا كَانَتْ الْحُبَّةُ عِنْدَكُمْ هِيَ الْإِرَادَةُ ، فَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِرَادَةِ الْمَعْصِيَةِ ؛ لِأَنَّ حَبْسَهُ فِي السِّجْنِ ، وَقَطْعَهُ عَنِ التَّصْرِيفِ مَعْصِيَةٌ مِنْ فَاعِلِهِ ؛ وَقَبِيحٌ مِنَ الْمَقْدِمِ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ فِي الْقُبْحِ يَجْرِي مَجْرَى مَا دُعِيَ إِلَيْهِ مِنَ الزَّانَا . وَقَوْلُهُ مِنْ بَعْدِ : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ امْتِنَاعَهُ مِنَ الْقَبِيحِ <sup>(١)</sup> مُشْرُوطٌ بِمَنْعِهِنَّ وَصَرُّهُنَّ <sup>(٢)</sup> عَنْ كَيْدِهِ ؛ وَهَذَا بِخِلَافِ مَذْهَبِكُمْ ، لِأَنَّكُمْ تَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَقَعُ مِنْهُ ؛ صَرَفَ النِّسْوَةَ عَنْ كَيْدِهِ ، أَوْ لَمْ يَصْرِفْهُنَّ .

الْجَوَابُ ، قُلْنَا : أَمَا قَوْلُهُ : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ فَبِفِيهِ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ : ١

أَوَّلُهُمَا أَنَّ الْحُبَّةَ مُتَعَلِّقَةٌ فِي ظَاهِرِ الْكَلَامِ بِمَا لَا يَصِحُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ يَكُونَ مُحْبُوبًا مُرَادًا ؛ لِأَنَّ السِّجْنَ إِنَّمَا هُوَ الْجَسْمُ ، وَالْأَجْسَامُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَهَا ؛ وَإِنَّمَا يَرِيدُ الْفِعْلَ فِيهَا ، أَوِ الْمُتَعَلِّقَ بِهَا ؛ وَالسِّجْنَ نَفْسُهُ <sup>(٢)</sup> لَيْسَ / بِطَاعَةٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ ، وَإِنَّمَا الْأَفْعَالُ فِيهِ قَدْ تَكُونُ طَاعَاتٍ [ ١٦٤ ] ط وَمَعَاصِيَ بِحَسَبِ الْوَجْهِ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا ؛ وَإِدْخَالُ الْقَوْمِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَبْسَ ، أَوْ إِكْرَاهَهُمْ لَهُ عَلَى دُخُولِهِ مَعْصِيَةٌ مِنْهُمْ ؛ وَكَوْنُهُ فِيهِ وَصَبْرُهُ عَلَى مَلَازِمَتِهِ ، وَالْمَشَاقُّ الَّتِي تَنَالُهُ بِاسْتِطْلَاقِهِ ١٥ طَاعَةً مِنْهُ وَقَرَبَةً ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ ظَالِمًا لَوْ أَكْرَهَ مُؤْمِنًا عَلَى مَلَازِمَةِ بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ، وَتَرَكَ

(١-١) د ، ف : « مُشْرُوطٌ بِمَنْعِهِمْ وَصَرُّهُمْ » .

(٢) حَاشِيَةُ ف ( مِنْ نَسْخَةٍ ) : « وَحْدَهُ » .

التصرف في غيره لكان فعلُ المُكرَه حسناً، وإن كان فعلُ المُكرَه قبيحاً. وهذه الجملة تبين  
الأظهرَ في الآية<sup>(١)</sup> يقتضى ما عنده؛ وأنه لا بدّ من تقدير محذوف يتعلق بالسّجن؛ وليس  
لهم أن يقدّروا ما يرجع إلى الحابس من الأفعال؛ إلّا ولنا أن تقدّر ما يرجع إلى المحبوس؛  
وإذا احتمل الكلام الأمرين، ودلّ الدليل على أن النّبيّ عليه السلام لا يجوز أن يريد المعاصي  
والقبائح اختصّ المحذوف التقدير بما يرجع إليه مما ذكرناه، وذلك طاعة لا لوم على مریده  
ومحبّه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقول: ﴿السّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، وهو لا يحبّ  
ما يدعوّه جملةً؛ ومن شأن هذه اللفظة أن تدخل بين ما وقع<sup>(٢)</sup> فيه اشتراك في معناها؛ وإن  
فضّل البعض على البعض؟

١٠ قلنا: قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع؛ وإن لم يكن في معناها اشتراكٌ على  
الحقيقة، ألا ترى أن من خير بين ما يحبه وما يكرهه جاز أن يقول: هذا أحبُّ إليّ  
من هذا، وإن لم يجوز مبتدئاً أن يقول من غير أن يُخير: هذا أحبُّ إليّ من هذا، إذا كان  
لا يحبُّ أحدهما جملة!

وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر؛ من حيث كان الحير بين الشيئين لا يُخير  
١٥ بينهما إلّا وهما مرادان له، أو مما يصح أن يريدتهما، فموضوع التخيير يقتضى ذلك،  
وإن حصل فيما ليس هذه صفته، والمجيب على<sup>(٣)</sup> هذا متى قال: كذا أحبُّ إليّ من  
كذا كان مجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير، وإن لم يكن الأمران يشتركان في تناول  
محبه.

وما يقارب ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾؛ [الفرقان . ١٥]، ونحن  
٢٠ نعلمُ ألاّ خيرَ في العقاب؛ وإنما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقرير على اختيار

(١) حاشية ف (من نسخة): «للاية». (٢) حاشية ف (من نسخة): «يقع».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «عن هذا».



المعاصي على الطاعات ، وأنهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لاعتقادهم<sup>(١)</sup> أن فيها خيرا / ونفعا ، فقيل : أذلك خير على ما تظنونونه وتعتدونه ، أم كذا وكذا ؟ [١٦٥]  
وقد قال قوم في قوله تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ إنما حسن ذلك لاشتراك  
الحالين في باب المنزلة ، وإن لم يشتركا في الخير والنفع ، كما قال تعالى : ﴿ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ  
مَقِيلًا ﴾ ؛ [ الفرقان : ٢٤ ] ، ومثل هذا يتأتى في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾  
لأنَّ الأمرين - يعني المعصية ودخول السجن - مشتركان في أن لكل منهما داعيا ، وعليه  
باعثا ، وإن لم يشتركا في تناول المحبة ، فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها  
وأجرى اللفظ على ذلك .

ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضا ما ذكرناه ؛ لأن «السَّجْنِ» المصدر ، فيحتمل أن  
يريد : أن سَجَنِي لهم نفسي ، وصبري على حبسهم أحبُّ إليَّ من مواجهة المعصية ؛ ولا يرجع  
بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله .

والوجه الثاني أن يكون معنى ﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ أى أهون عندي وأسهل على ؛ وهذا كما  
يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معا : إن فعلت كذا وإلا ففعل بك كذا وكذا ؛ فيقول : بل  
كذا أحبُّ إليَّ ، أى بمعنى أسهل وأخف ، وإن كان لا يريد واحدا منهما ؛ وعلى هذا الجواب  
لا يمتنع أن يكون إنما عَنِي فعلهم به دون فعله ، لأنه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الإرادة ؛  
وإنما وضع ﴿ أَحَبُّ ﴾ موضع أخف ، والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .

وأما قوله : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ فليس المعنى فيه على ما ظنّه  
السائل ؛ بل المراد : متى لم تلطف لي مما يدعوني إلى مجانبة المعصية ، ويثني على تركها  
ومفارقتها صوبت ؛ وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى ، والتسليم لأمره ،  
وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ؛ ولا شبهة في أن النبي عليه السلام إنما يكون  
٢٠

(١) حاشية ف ( من نسخة ) : « لاعتقادهم » .

معصوماً من القبايح بعصمة الله تعالى له وبلطفه وتوفيقه .

فإن قيل: الظاهر خلاف ذلك لأنه قال: ﴿وَالْإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾<sup>(١)</sup> فيجب أن يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويرفعه ؛ والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضى ارتفاع الكيد والانصراف عنه .

[١٦٥] قلنا: معنى الكلام: وإلا تصرف/ عني ضرر كيدهن والغرض به ؛ لأنهن إنما أجرين بكيدهن إلى مساعدته لهن على المعصية ، فإذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها؛ فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به ، من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به إليه ، ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه إلى غرض لم يقع: ما قلت شيئاً ، ولمن فعل مالا تأثير له: ما فعلت شيئاً ، وهذا بين بحمد الله ومنه .

## تأويل خبر

١٠ إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عُقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في خطبة طويلة خطبها: « من يتبع المشمة يشمّع الله به » .

والجواب ، إن المشمة هي الضحك والمزاح واللعب ، يقال: شمّع الرجل يشمّع شموعاً ، وامرأة شموع إذا كانت كثيرة المزاح والضحك : قال أبو ذؤيب يصف الحمير :

بقرار قيمان سقاها وإبل<sup>(١)</sup> وإه فأنجم برهة لا يقلع<sup>(٢)</sup>  
فلبن حيناً يعتلجن بروضة<sup>(٣)</sup> فيجد حيناً في العلاج ويشمّع<sup>(٤)</sup>

١٥

أراد أن هذا الحمار الذي وصف حاله مع الآن ، وأنه معهن في بعض القيمان يُبارك هذه الآن .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٥ . الفرار : مستقر الماء . والقيمان : مناقع الماء في حر الطين ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ب : « سقاها ، أى سقى القيمان وإه ؛ أى سحاب كثير المطر ؛ وهذه استمارة ؛ أى كأن هذا السحاب ضعيف فينهل عنه الماء انهلالاً . وأنجم : أقام برهة ؛ أى مدة من الزمان لا يقلع ولا يذهب .  
(٢) حاشية الأصل : « يروى ، « بروضة » ، والضمير للبعير الذى بصفه ، أو للقرار ، أو للوابل .

ومعنى « يَمْتَلِجُنْ » يُعَاضُّ بعضها بعضاً ، ويتراخض من النشاط فيجدُّ الفحل معهنَّ مرّةً ، وأخرى يأخذ معهنَّ في اللعب فيسمع ، وفي يجدّ لغتان : يَجِدُّ وَيُجِدُّ ، والفتوح لغة هذيل ؛ ويقال فلان جادٌّ مُجدِّ على اللغتين معاً .

وقيل إن معنى يَشْمَعُ الحمار أنه يَتَشَمَّعُ ، ثم يرفع رأسه فيكثُر عن أسنانه ، فجعل ذلك بمنزلة الضحك ، قال الشماخ :

ولو أنى أشاءُ كَنَنْتُ نَفْسِي إِلَى لَبَّاتِ بَهْكَنَةٍ شَوْعٍ<sup>(١)</sup>

وقال المتنخل الهذلي :

وَلَا وَاللَّهِ نَادَى الْحَيُّ ضَيْفِي هَدَوْءًا بِالْمَسَاءَةِ وَالْعِلَاطِ<sup>(٢)</sup>  
سَأَبْدُوهُمْ بِشَمْعَةٍ وَأَنْتَى بِجَهْدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بَسَاطِ

أراد بقوله « نادى الحى ضيفى » أى لا ينادونه ، من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما لا يؤثر / . والعِلَاط : من أَعْلَطَه واعتلط به ؛ إذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر ؛ وأصله من [ ١٦٦ ]  
عِلَاط البعير ، وهو وَسَمٌ في عنقه .

وقيل إن معنى « نادى الحى » من النادى ؛ أى لا يجالسونه بالمكروه والسوء .

ومعنى « سأبدوهم بشمعة » أى بلعب وضحك ، لأن ذلك من علامات الكرم والسرور

بالضيف ، والقصد إلى إيناسه وبسطه ، ومنه قول الآخر :

وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى  
إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقَرَى<sup>(٣)</sup>

وروى الأصمعى عن خاف الأحرار قال : سُنَّةُ الْأَعْرَابِ أَنَّهُمْ إِذَا حَدَّثُوا الرَّجُلَ الْغَرِيبَ

(١) ديوانه : ١٧ ؛ وروايته : « هيكلة » ؛ وهى الضغمة . وكنت نفسى : سترتها . ولبات :

جمع لبة ؛ وهى موضع الفلاة ؛ والبهكنة : الغضة الحسنة الخلق .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٢١ . (٣) الأبيات للشماخ يقولها فى عبد الله بن جعفر ، وقبلها :

إِنَّكَ يَا بْنَ جَعْفَرٍ نَعَمْ الْفَتَى وَنَعَمْ مَاوَى طَارِقٍ إِذَا أَنْى

وانظر الأغاني ٩ : ١٦٨ ( طبع دار الكتب المصرية ) .

وهشّوا إليه ومازحوه أيقن بالقري ، وإذا أعرضوا عنه عرفَ الحرمان .

ومعنى : « أثني \* بجهدى من طعامٍ أو بساطٍ » ، أى أتبع ذلك بهذا .

ومعنى الخبر على هذا أن مَنْ كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم ، والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يُعبث به فيها ، ويستَهزأ منه .

٥ ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر ؛ وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله : « من يُسمّع الناس بعمله يُسمّع الله به » ؛ والمعنى : مَنْ يراى<sup>(١)</sup> بأعماله ويظهرها تقرباً إلى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم ؛ يشهره<sup>(٢)</sup> الله بالرياء ويفضحه ويهتكه .

ويمكن أيضا فى الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه ؛ وهو أن من عادة العرب أن يسمّوا الجزاء على الشيء باسمه ؛ ولذلك نظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة ، فلا يُنكر أن يكون المعنى : مَنْ يتَّبَع اللهَ بالناس ، والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه ؛ فسمى الجزاء على الفعل باسمه ؛ وهذا الوجه أيضا ممكن فى الخبر الثانى .

\*\*\*

أخبرنا أبو عبيد الله المرباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال : إني لفي سوق ضريبة<sup>(٣)</sup> ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بنى كلاب كان متزوجا بالبصرة ، وكان له ابن بضريبة ، إذ أقبلتُ عجوزٌ على ناقة لها ، حسنة اليزّة ، فيها بقايا جمالٍ ، فأنأختُ<sup>ط</sup> ١٥ وعقلتُ ناقةها ، وأقبلت تتوكأ على محجنٍ<sup>(٤)</sup> لها فجلست قريبا منّا ، وقالت : هل من منشد ؟ فقلت للكلابي : أيحضرك شيء ؟ قال : لا ، قال : فأنشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الأنصاري :  
وقصيرة الأيام ودّ جليسها لو باع مجلسها بفقد حميم<sup>(٥)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « من براء » .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « يشهره » ، بالجزم . (٣) ضريبة : قرية بنجد في طريق مكة

من البصرة . (٤) المحجن : عصا معوجة معقفة الرأس ؛ في رأسها حديدة كالمغلاق .

(٥) الأبيات في الحماسة — بشرح التبريزي ٣ : ٣٠١ ، وأمالى القالي . ١ : ٢٠٣ ، من غير عزو مع اختلاف

في الترتيب . والبيت الأول منها في اللسان ( ردع ) منسوب إلى قيس بن معاذ مجنون بنى عامر . وفي الحماسة :

« لو نال مجلسها » ، وفي أمالى القالي : « لو دام مجلسها » .

« مِنْ مُحَذِّياتِ أَخِي الْهَوَىٰ غَصَصَ الْجَوَىٰ »<sup>(١)</sup> بدلالٍ غانيةٍ ومُقلّةٍ ريمٍ  
 صَفَرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا رُدَاعُ سَقِيمٍ<sup>(٢)</sup>  
 قال : فُجئت على رُكبتَيْهَا وأقبلت تحرش<sup>(٣)</sup> الأرض بمحجّجِهَا ، وأنشأت تقول<sup>(٤)</sup> :  
 قَفِي يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ<sup>(٥)</sup> تَقْرَأُ تَحِيَّةً ونَشْكُ الْهَوَى ، ثم افعلى ما بدا لَكَ<sup>(٦)</sup>  
 فَلَوْ قُلْتَ : طَأْفِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ<sup>(٧)</sup> هَوَى لَكَ ، أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ  
 لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا<sup>(٨)</sup> هُدًى مِنْكَ لِي ، أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ<sup>(٩)</sup>  
 « سَلَى الْبَانَةُ الْعَلِيَّامِنْ الْأَجْرِعِ »<sup>(١٠)</sup> الذي بهِ الْبَانُ : « أَهْلُ حَيَّتْ أَطْلَالِ دَارِكَ »<sup>(١١)</sup>  
 وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهنَّ عَشْبَةً<sup>(١٢)</sup> مَقَامَ سَقِيمِ الْقَلْبِ<sup>(١٣)</sup> ، واخترتُ ذَلِكَ

(١-١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

\* مِنْ مُحَذِّياتِ أَخِي الْأَسَى غَصَصَ الْهَوَى \*

(٢) الجواء : موضع بعثات . (٣) تحرش : تضرب عليها ؛ من حرش الضب ، والحرش

كالحرش وهو الحدش .

(٤) الأبيات لابن الدمينه ؛ ديوانه : ١٥ ، وأمالى الزجاجي ١١٠ عن ابن الأعرابي ، وأمالى

القالى ٢ : ٣٣ عن ابن دريد ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٥٩ ؛ وهى أيضا فى الحماسة - بشرح التبريزي

٣ : ٢٦٣ ، من غير عزو . (٥) حاشية الأصل : « أضانها إلى القلب كرامة لها وإعجاباً بها » .

(٦) فى حاشيتي الأصل ف : « الأحسن أن يقال : « بدالك » بكسر اللام لتوازن القوافي ،

والعلة فيه مجاورة كسرة السكاف كقراءة من قرأ : « مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ » ، وكقوله تعالى : « عَتِيًّا » ، و« صِلِيًّا » .

(٧) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « أنها » .

( ٨ - ٨ ) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

\* سُرُورًا لِأَنِّي قَدْ خَطَرْتُ بِبَالِكَ \*

( ٩ - ٩ ) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « سلى البانة الغيناء بالأجرع » ، وهى رواية

الحماسة . والغيناء : الشجرة العظيمة الواسعة الظل . والأجرع : السهل المختلط بالرمل .

( ١٠ - ١٠ ) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « هل حيت أطلال ضالك » ، والضال : شجر .

( ١١ - ١١ ) من نسخة بحاشية الأصل ، ف : « قيام سقيم البال » .

لِيَهْنِكَ<sup>(١)</sup> إِمْسَاكِ بَكَفِّي عَلَى الْحِشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي<sup>(٢)</sup> رَهْبَةً<sup>(٣)</sup> مِنْ زِيَالِكَ<sup>(٤)</sup>  
قال الأصمعي: فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقها، وفصاحة لهجتها؛ فدنوت منها  
فقلت: نَشْدُ نَكَ اللهُ لَمَّا زَوَّدْتَنِي<sup>(٥)</sup> من هذا! فرأيت الضحك في عينها، وأنشدت:  
وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَا يُسَجِّنُ<sup>(٦)</sup> أَذْيَالِ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ<sup>(٧)</sup>  
جَمْعُ<sup>(٨)</sup> الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَهُ نَزَعَنْ، وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ  
مَرِيضَاتٍ رَجَعَ الْقَوْلُ<sup>(٩)</sup> خُرْسٍ عَنِ الْخَنَا

تَأْلَفْنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَذَلٍ  
مَوَارِقُ مِنْ خَتَلِ الْحَبِّ، عَوَاطِفُ بَحْتَلِ ذَوَى الْأَلْبَابِ بِالْجِدِّ وَالْهَزْلِ<sup>(١٠)</sup>  
يُعْنِفُنِي الْعَدَالُ فِيهِنَّ، وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوَى الْعَدْلِ

١٠. أما قول الأنصاري «وقصيرة الأيام» فأراد بذلك أن السرور يتكامل بحضورها لحسنها  
[١٦٧] / وطيب حديثها فتقصر أيام جلسها، لأن أيام السرور موصوفة بالقصر.

ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضا حدائة سنّها وقُرْب عهد مولدها؛ وإن كان الأول  
أشبه بما أتى في آخر البيت.

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «ليهنك»؛ وهي رواية الحماسة.

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «ورقراق دمع».

(٣) بعد هذا البيت في ف:

لَنْ سَاعَنِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَنِي أُنِّي خَطَرْتُ بِيَالِكَ  
وهو أيضا في حاشية الأصل.

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «زودتني» ومن نسخة أخرى: «زدتني».

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «ويسجن».

(٦) الأبيات في أمالي الفالي ٢: ٢٨٧ غير منسوبة (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل: الأصل:

«بلغن» (٨) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «الطرف».

(٩) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لا يختلنن الحب، بل يختلن ذوى الألباب».

ومعنى:

\* لوباعَ مجالسها بفقد حميم \*

أى ابتاعه ، وهذا اللفظ من الأضداد؛ لأنه يستعمل فى البائع والمشتري معاً ، قال الفراء:

سمعت أعرابيا يقول : بَعُ لى تمرّاً بدرهم ، أى اشترى تمرّاً بدرهم ، وقال الشاعر :

فَيَا عَزُّ لَيْتَ النَّأْيَ إِذْ حَالَ بَيْنَنَا      وَبَيْنَكَ بَاعَ الْوُدَّ لِي مِنْكَ تَاَجِرُ<sup>(١)</sup>

أى ابتاع .

وقوله : « من مُحْذِيَاتِ أَخِي الْمَهْزُومِ » أى من مُعْطِيَاتِ ، يقال : أخذت الرجل من

العطية<sup>(٢)</sup> والغنيمة أُخْذِيهِ إِذَا أُعْطِيَتْهُ ، والاسم الْحَذِيَّةُ وَالْحِذْوَةُ وَالْحُذْيَا ؛ كل ذلك العطية .

وقوله :

١٠ \* كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا رُدَّاعٌ سَقِيمٌ \*

فالرُدَّاع هو الوجع فى الجسد ؛ فكأنه أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم ،

أو يريد تَغَيَّرَ لَوْنُهَا وَصَفَرَتْهَا<sup>(٣)</sup> كما يتغير لون السقيم ؛ ويجرى ذلك مجرى قول ليلى الأخيلية :

وَمُخْرِقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالُهُ      بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

أخبرنا الرزبانى قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمى قال حدثنى ميمون بن هارون الكاتب

قال: حدثنا ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : لقيت أعرابيا بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، ١٥  
فأرشدنى وأنشدنى :

(١) البيت لكثير ؛ وهى فى ديوانه ١ : ٩١

(٢) ساقطة من م .

(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « صفرته » . (٤) من أبيات فى الحماسة - يشرح التبريزى

٤ : ١٥٥ ؛ والعينى ٢ : ٤٧ ، وأمالى القالى ١ : ٢٤٨ وفى م بعد هذا البيت :

حَتَّى إِذَا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأْيَتَهُ      تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الْخَلِيسِ زَعِيماً

لَيْسَ الْعَمَى طُولُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ  
 ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَسَكَتَ بِهَا حِينًا ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْبَادِيَةَ ، فَإِذَا بِالْأَعْرَابِيِّ جَالِسًا  
 بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٌ ؛ وَهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ، فَمَا رَأَيْتُ قَضِيَّةَ أَخْطَأْتُ قَضِيَّةَ الصَّالِحِينَ مِنْ قَضِيَّتِهِ ؛  
 فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَمَا مِنْ رَشْوَةٍ ؟ أَمَا مِنْ هَدِيَّةٍ ؟ أَمَا مِنْ صَلَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا إِذَا  
 جَاءَ هَذَا ذَهَبَ التَّوْفِيقُ ؛ فَسَكَوتُ إِلَيْهِ مَا أَلْقَى مِنْ عَذْلٍ حَلِيلَةٍ لِي إِيَّايَ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ ،  
 فَقَالَ : لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ، وَإِنِّي لَشَرِيكَكَ ، وَلَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ شَعْرًا ، فَقُلْتُ : أَنْشُدْنِي ،  
 فَأَنْشَدَنِي :

[١٦٧] ط / بَاتَتْ تُعِيرُنِي الْإِقْتَارَ وَالْمَدَمَا  
 ١٠ عُنْفُ لِرَأْيِكَ ! مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ جَلَدٍ ،  
 يَا أَمَةَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَدْعُ طَلِبًا  
 وَكُلُّ (١) ذَلِكَ بِالْإِجْمَالِ فِي طَلَبٍ  
 لَوْ كَانَ مِنْ جَلَدٍ ذَا الْمَالِ أَوْ أَدَبٍ  
 ارْضَى مِنَ الْعَيْشِ مَا لَمْ تُخَوِّجْنِي مَعَهُ  
 وَاسْتَشْمَرِي الصَّبْرَ عَلَى اللَّهِ خَالِقِنَا  
 ١٥ لَا تُخَوِّجِينِي (٢) إِلَى مَا لَوْ بَدَلْتُ لَهُ  
 بِاللَّهِ سِرَّكَ أَنَّ اللَّهَ خَوَّلَنِي  
 مَا سَرَّنِي أَنَّنِي خَوَّلْتُ ذَاكَ وَلَا  
 وَأَنْنِي لَمْ أُحْزَ (٣) عَقْلًا وَلَا أَدَبًا  
 فَعُسْرَةُ الْمَرْءِ (٤) أُخْرَى فِي مَعَاشِكَ مِنْ

لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَا  
 وَلَا مِنَ الْمَجْزُ ؛ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسْمَا  
 لِلرِّزْقِ - قَدْ تَعَلَّمِينَ - الشَّرْقَ وَالشَّامَا  
 لَمْ أُرِدْ عِرْضًا ، وَلَمْ أُسْفِكْ لِدَاكَ دَمَا  
 لَكُنْتُ أَكْثَرَ مِنْ نَمْلِ الْقَرْيَةِ نَعْمَا  
 أَنْ تَفْتَحَنِي لِسُؤَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَمَا  
 يَوْمًا سَيَكْشِفُ عَنَّا الْفَقْرَ وَالْمَدَمَا (٥)  
 نَفْسِي لِأَعْقَبِكَ التَّهْمَامَ وَالنَّدَمَا  
 مَا كَانَ خَوَّلُهُ الْأَعْرَابَ وَالْمَجَمَا  
 إِلَّا أَقُولُ لِبَاغِي حَاجَةً نَعْمَا  
 وَلَمْ أَرُثْ وَالِدِي بَحْدًا وَلَا كَرَمًا  
 أَمْرٍ يَجْرُ عَلَيْكَ الْهَمُّ وَالْأَلَمَا

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فكل » .  
 (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « لا تخوِّجني » مع نون التوكيد .  
 (٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « لم أفد عقلا » .  
 (٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فمسرّة المال » .  
 (٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) :



قال : فوالله ما أنشدتها حتى حلفت ألا تمذلني أبداً .

\*\*\*

حدثنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال : رأيت بقاء شاباً من بني عامر ؛ فما رأيت بدويّاً أفصح منه ، ولا أظرف ؛ فوالله لكانه شواطئ يتلظى ، فاستنشدته فأنشدني :

فَلَمْ أَنْسَكُمْ يَوْمَ اللَّوَى إِذْ تَعَرَّضْتُ      لَنَا أُمُّ طِفْلٍ خَاذِلًا قَدْ تَحَلَّتْ<sup>(١)</sup> ٥  
وَقَالَتْ سَأُنْسِيكَ الْعَشِيَّةَ مَامَضَى      وَأَصْرِفُ مِنْكَ النَّفْسَ عَمَّا أَجَنَّتِ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا<sup>(٣)</sup> فَعَلْتُ - لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ -      عَلَى مَابَدَا مِنْ حُسْنِهَا إِذْ أَدَلَّتْ  
أَبْتُ سَابِقَاتُ الْحُبِّ إِلَّا مَقَرَّهَا      إِلَيْكَ ، وَمَا تُثْنِي إِذَا مَا اسْتَقَرَّتْ  
هَوَاكَ الَّذِي فِي النَّفْسِ أُمْسَى دَخِيلُهَا      عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَحْشَاؤُهَا وَاسْتَمَرَّتْ

وأنشدني أيضاً :

١٠

دِيَارُ لَلَّتِي طَرَقَتْكَ وَهْنًا      بَرِيًّا رَوْضَةً وَذَكَاءٍ رَنْدٍ<sup>(٤)</sup>  
نُسَائِلُنِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ      وَتُثْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ  
فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ :      فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كَانَ وَجْدِي  
وَلَكِنْ حَالُ دُونِكَ ذُو شَذَاةٍ      أَسْرُ بِفَقْدِهِ وَيَهْرُ فَقْدِي<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال : قعدت إلى أعرابي يقال له إسماعيل بن عمار ، وإذا ١٥  
هو يفتل أصابعه ويتلف ، فقلت له : علامَ تتلف ؟ فأنشأ يقول :

عَيْنَايَ مَشْمُومَتَانِ وَيُحْهِمَا !      وَالْقَلْبُ حَيْرَانٌ<sup>(٦)</sup> مُبْتَلَى بِهِمَا

(١) الخاذل من الظباء : التي تتغلف عن صواحبها . (٢) حاشية الأصل : « أي أصرف نفسي عنك عما أجنته » . (٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فلا فعلت » .

(٤) الدهن : الليل ساعة يدبر . والرند : شجر طيب الرائحة .

(٥) الشذاة : الحدة ، ويهر : يكره . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « حران » .

عَرَفْتَاهُ الْهُوَى بِظُلْمِهِمَا يَالَيْتَنِي قَبْلَهَا عَدِمْتُهَا  
هَـمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهَـمَا دَلَّ عَلَى مَا أَجَنُّ دَمْعُهُمَا  
سَاعَدُرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ فَمَا سَبَّبَ هَذَا الْبَلَاءَ غَيْرُهُمَا

\*\*\*

وبهذا<sup>(١)</sup> الإسناد عن الأصمعيّ قال : نزلتُ ذات ليلة في وادي بني العنبر ، وهو إذ ذاك  
هـ مَمان<sup>(٢)</sup> بأهله - أي أهل - فإذا فتية يريدون البصرة ؛ فأحببتُ صحبتهم ، فأقتُ ليلتي تلك  
عليهم ؛ وإني لَوَصِبتُ محموم ؛ أخاف ألا أستمسك على راحلتي ؛ فلما أقاموا ليرحلوا  
أيقظوني ؛ فلما رأوا حالي رحلوا وحملوني ؛ وركب أحدهم ورأى يُمسِكُنِي ؛ فلما أَمَعَنَ السيرُ  
تنادوا أَلَا فَتَى يَحْدُو بِنَا أَوْ يُنْشِدُنَا ! فإذا منشد في سواد الليل بصوتٍ نَدٍ حزين يُنْشِدُ :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أُمْتَ خُفَانًا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ  
غَدَاةَ الْمُنْقَى إِذْ رَمَيْتُ بِنَظْرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ<sup>(٣)</sup>

فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَى وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُنَّ يَطِيرُ<sup>(٤)</sup>

فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَّ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ

/ وَأَصْبَحَ أَغْلَامُ الْأَحِبَّةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَازِحٌ وَمَسِيرُ

وَأَصْبَحْتُ نَجْدِي الْهُوَى مُتَهَمِ الثَّوَى أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَتَحَنَّنَ بَعِيرُ

عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى وَيُجْمَعُ شَمْلُهُ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال : فسكنتُ والله الحمى عني ، حتى ما أحسُّ بها ، فقلت لرفيقي : انزلْ رحمك الله  
إلى راحلتك ، فإني متماسك ؛ وجزاك الله عن حُسن الصُّحبة خيراً .

\*\*\*

(١) الخبر والأبيات في حسانة ابن الشجرى ١٦٢-١٦١ بروايته عن ابن قدامة عن المرتضى ، وهو  
أيضا في أمالي القالي ٢ : ٢٦٧ بروايته عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٢) في ابن الشجرى : « مغان آهله » . (٣) المنقى : موضع بين أحد والمدينة .

(٤) اللئى : اللزوم اللقيم ، وفي س : « المبر » .

أخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النجوي قال حدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي قال: كان<sup>(١)</sup> بالبصرة أعرابي من بني تميم؛ يتطفل على الناس، فعاتبته على ذلك فقال: والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل، ولا وضع الطعام إلا ليؤكل؛ وما قدمت هدية فأتوقع رسولاً؛ وما أكره أن أكون ثِقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً؛ أتقحم عليه مستأنساً، فأضحك إن رأيته عابساً، فأكل برغمه، وأدعاه بغمه؛ وما اخترق اللهوات طعاماً أطيب من طعام ٥ لا ينفق فيه درهم، ولا يمضي إليه خادم، ثم أنشد:

كُلَّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرِصَةِ الْحِجَا      يُّ أَشْمُ الْقُتَارَ شَمَّ الذُّنَابِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِذَا مَا رَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ      أَوْ خِتَانٍ أَوْ مَجْمَعِ الْأَصْحَابِ<sup>(٣)</sup>  
لَمْ أُرَوْعْ دُونَ التَّقَحُّمِ لَا أُرُ      هَبْ دَفْعاً وَلَكَزَةَ الْبَوَابِ<sup>(٤)</sup>  
مُسْتَهِيناً بِمَا هَجَمْتُ عَلَيْهِ      غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ ، وَلَا هَيَّابِ  
فَتَرَانِي أَلْفٌ بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ      كُلَّ مَا قَدَمُوهُ لَفَّ الْعُقَابِ<sup>(٥)</sup>  
ذَلِكَ أَدْنَى مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْغُرُ      مِ وَغِيظِ الْبَقَالِ وَالْقَصَابِ<sup>(٦)</sup>

١٠

(١) الخبر في التطفيل للخطيب البغدادي ٧٣ - ٧٤ يرويه عن الحسن بن أبي العباس عن أبي الفرج عن جعفر بن قدامة عن أبي هفان .

(٢) في التطفيل: « عرصة الباب » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف: « شم الذباب » .

(٣) في التطفيل: « أو دعوة لصحاب » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف: « لم أروع » ، ورواية الخطيب في هذا البيت وتاليه :

لَمْ أَعْرِجْ دُونَ التَّقَحُّمِ فِيهَا      غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابِ  
مُسْتَخْفًا بِمَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ      لَسْتُ أَخْشَى تَجَهُّمِ الْبَوَابِ  
(٥) رواية البيت في حاشيتي الأصل ( من نسخة ) :

فَتَرَانِي أَلْفٌ مَا قَدَّمَ الْقَوُ      مُ عَلَى رَغْمِهِمْ كَلَفَ الْعُقَابِ  
(٦) زاد الخطيب بعد هذا البيت :

قَابِلٌ إِنْ جَرَى عَلَى امْتِهَانٍ      فِي سَبِيلِ الْحُلُوءِ وَالْجُودَابِ

## مَجْلِسُ آخِرِ

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هود : ٤٥ ، ٤٦] .

[١٦٩] فقال: ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ يقتضى تكذيب / قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ والنبي لا يجوزُ عليه الكذب ، فما الوجه في ذلك ؟ وكيف يصح أن يخبر عن ابنه بأنه ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؟ وما المراد به ؟  
الجواب ، قلنا: في هذه الآية وجوه :

أولها أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول نفي النسب ، وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم؛ لأنه عز وجل كان وعدنوحاً عليه السلام بأن ينجي أهله، ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود : ٤٠] ، فاستثنى تعالى من أهله من أراد إهلاكه بالفرق! ويدل عليه أيضا قول نوح: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ ، وعلى هذا الوجه يتطابق الأمران <sup>(١)</sup> ولا يتنافيان ؛ وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين .

١٥ والجواب الثاني ، أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أى أنه ليس على دينك ؛ وأراد تعالى أنه كان كافراً مخالفاً لأبيه ؛ فكان كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام

أَهْلِهِ؛ ويشهد لهذا التأويل قوله عز وجل على طريق التعليل: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فبين أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره وسبب عمله، وقد روى هذا التأويل أيضا عن جماعة من المفسرين؛ وحكى عن ابن جريج أنه سئل عن ابن نوح فسبح طويلاً ثم قال لا إله إلا الله! يقول الله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾؛ وتقول: ليس منه! ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن.

وروى عن عكرمة أنه قال: كان ابنه ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل؛ فمن ثم قيل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

والوجه الثالث أنه لم يكن ابنه على الحقيقة؛ وإنما ولد على فراشه، فقال عليه السلام: إنه ابني على ظاهر الأمر؛ فأعلمه الله أن الأمر بخلاف الظاهر، ونبهه على خيانة امرأته؛ وليس في ذلك تكذيب لخبره، لأنه إنما أخبر عن ظنه، وعمّا يقتضيه الحكم الشرعي، فأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره؛ وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره.

وروى قتادة عن الحسن قال: كنت عنده؛ فقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ لعمري الله ما هو ابنه، قال: فقلت: يا أبا سعيد؛ يقول الله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ وتقول: ليس بابنه! قال: أفرأيت قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾؟ قال: قلت معناه: / ليس من أهلك الذين [١٦٩] وعدت أن أنجيهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه، فقال: أهل الكتاب يكذبون؛ ١٥ وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك.

وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾، فأطلق عليه اسم النبوة؛ ولأنه أيضا استثناه من جملة أهله بقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام يجب أن يُنزهوا عن مثل هذه الحال؛ لأنها تُعزُّ وتُشِين وتُغَضُّ من القدر؛ وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ما هو دون ذلك؛ تعظيماً لهم وتوقيراً، ونفيًا لكل ما ينفّر عن القبول منهم؛ وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على أن تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿فَخَا تَاهُمَا﴾ على أن الخيانة

لم تكن منهما بالزنا، بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون؛ والأخرى تدل على الأضياف؛ والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان.

فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فالقراءه المشهورة بالرفع، وقد روى عن جماعة من المتقدمين أنهم قرءوا: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾ بنصب اللام وكسر الميم ونصب «غير»؛ ولكل وجه.

فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير أن ابنك ذو عمل غير صالح؛ وصاحب عمل غير صالح؛ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه؛ وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء:

ما أُمُّ سَقْبٍ عَلَى بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ      قد ساعدتها على التَّحْنَانِ أَظَارُ<sup>(١)</sup>  
تَرْتَعُ مَارَتَمْتُ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتُ      فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ<sup>(٢)</sup>

أرادت إنما هي ذات إقبال وإدبار.

وقال قوم: إن المعنى أصلُ ابنك هذا الذي ولدَ على فراشك وليس بابنك في الحقيقة<sup>(٣)</sup> عمل غير صالح، يعني الخيانة من امرأته، وهذا جواب مَنْ ذهب إلى أنه لم يكن ابنه على الحقيقة<sup>(٣)</sup> والذي اخترناه خلاف ذلك.

وقال آخرون إن الهاء في قوله: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ راجعة إلى السؤال؛ والمعنى:

(١) ديوانها: ٧٨؛ وروايته:

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَرٍّ تُطِيفُ بِهِ      لَهَا حَنِينَانُ: إِصْغَارٌ وَإِكْبَارٌ  
والسقب: الذكر من ولد الناقة. والبو: أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيجشى ويدنى من أمه  
فترأه والتحنان: الحنين. والأظفار: جمع ظئر؛ وهي التي تعطف على ولد غيرها.

(٢) بعدها:

لَا تَسْمَنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبَعَتْ      فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارٌ  
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي      صَخْرٌ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ

(٣-٣) ساقط من م.

إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم عملٌ غير صالح لأنه قد رقع من نوح دليل<sup>(١)</sup> السؤال والرغبة في قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ / ومعنى ذلك أى نَجَّة كُنْجِيَّتِهِمْ، ومن [١٧٠] و  
يجيب بهذا الجواب يقول : إن ذلك صغيرة من النبي ؛ لأن الصغائر تجوز عليهم ، ومن يمنع أن يقع<sup>(٢)</sup> من الأنبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ؛ ولا يجعل الهاء راجعة إلى السؤال بل إلى الابن ، ويكون تقدير الكلام ما تقدم .  
٥

فإذا قيل له: فَلِمَ قَالَ: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ؟ وكيف قال نوح عليه السلام من بعد: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ؟ .

قال : لا يمتنع أن يكون نهى عن سؤال ما ليس له به علم ؛ وإن لم يقع منه وأن يكون تعود من ذلك وإن لم يوافق ؛ ألا ترى أن الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر ؛ وإن لم يكن ذلك قد وقع منه ؛ فقال: ﴿لَيْسَ أَشْرَكَكَ لِيَجْزِيَنَّ عَمَلُكَ﴾ [ الزمر : ٥٦ ، وكذلك لا يمتنع أن يكون نهى في هذا الموضع عما لم يقع منه ، ويكون عليه السلام إنما سأله نجاته ابنة باشرط المصلحة لا على سبيل القطع ؛ وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء .

فأما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا : كان يجب أن يقال : إنه عمل عملا غير صالح ؛ لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن ، حتى يقولوا : عملا غير حسن ، وليس ١٥ وجهها بضعيف في العربية ؛ لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس ؛ فيقول القائل : قد فعلت صواباً ، وقلت حسناً ، بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً ؛ وقال عمر بن أبي ربيعة الخزومي :

أَيُّهَا النَّائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ      أَخْرِ النَّصْحَ وَأَقْلِلْ عِتَابِي<sup>(٣)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « دليل في السؤال » ، وحاشية ف من نسخة : « دليل على

السؤال » . (٢) ف : « على الأنبياء » . (٣) ديوانه : ٤٢٥ .

وقال أيضاً :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَايَ بِهِ دَمٌ      وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنٍ إِذَا لَفَّهُ مِنْى <sup>(١)</sup>  
وَمِنْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ      إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى <sup>(٢)</sup>  
أراد : وكم إنسان قتيل ! وأنشد أبو عبيدة لرجل من بجيلة :

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُنْتَكِثِ الْقُوَى      مَا إِنْ لَهُ نَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ  
/ مَالَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا      فَعَلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ  
وَمُشَيِّعٍ جَلْدٍ أَمِينٍ حَازِمٍ      مَرَسٍ لَهُ فِيهَا يَرُومُ مَرَامُ  
أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ <sup>(٣)</sup> فَكَأَنَّهُ      فِيهَا يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ  
أراد : كم من إنسان ضعيف القوى .

\*\*\*

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل إلى الأصمعي ويفضله ، ويقوم بأمره قال : فجئته يوماً بعد موت محمد ، وعنده عبد كان لمحمد أسود ، وقد ترك الناس ، وأقبل عليه وساءله وتحفّى به وحادثه ، فلما خرج لُمته على ذلك وقلت : مَنْ هذا حتى أفنيتَ عمرَ يومك به ؟ فقال : هذا غلام ابن منصور ،  
١٥ ثم أنشدني :

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوها      فَقُلْتُ : أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ <sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه : ٤٥١ لا يباي به دم ، أى ليس من يكائنه فيقتل به . وغلق الرهن إذا صار لاسيلاً إلى سكاكه ، وفي حاشية ( من نسخة ) : « ومن غلق رهننا إذا ضمه » .  
(٢) حاشية ف ( من نسخة ) :

✽ إذا راح نحو الحيرة البيض كالدُّمَى ✽

(٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « سبيله » بضم اللام .

(٤) حاشية ف : « صفة الحبيب » ، أى الذى هو أخو الحبيب .



أُحِبُّكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدٌ لَّأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةً مِنْ قَرِيبٍ  
فقلت له - وكنت أفعل هذا كثيراً به لأستجر كلامه وعلمه - : يا أباسعيد، ذاك أخوها،  
وهذا غلامها<sup>(١)</sup> فضحك، وقال : أنشد أبو عمرو - أو قال غيره :

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ<sup>(٢)</sup> أَوْطَنْتَهَا وَإِنْ خَلْتُ لَهَا حِجَجٌ تَنْدَى بِمِسْكٍ تَرَاهَا  
وَأَقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى تَبَعًا لَهَا<sup>(٣)</sup> ذُنَابَ الْغُضَى حُبَّتْ إِلَى ذُنَابِهَا ٥  
قال : فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجادة حفظه له متى أراد .

\*\*\*

وبهذا الإسناد عن إسحاق الموصلي قال قرأت على الأصمعيّ شعراً امرئ القيس ، فلما  
بلغت إلى هذا البيت :

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بَرَوْضِ الشَّرَى عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ<sup>(٤)</sup>  
فقال لي أتعرف في هذا البيت خبيثاً باطناً غير ظاهر ؟ قلت : لا ، فسكت عني ، فقلت : ١٠  
إن كان فيه شيء فأفدنيه ، فقال : نعم ، أما يد لك البيت على أنه لفظ مَلِكٍ مُسْتَهِينٍ ذِي قُدْرَةٍ  
على ما يريد ؟ / قال إسحاق : وما رأيت قطّ مثل الأصمعيّ بالعلم بالشعر .  
[١٧١]

و

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « غلامه » . (٢) ف : « كل دار » .

(٣) حاشية الأصل من نسخة : « حلفت لو أني » ، ومن نسخة أخرى : « حلفت إلهي » ، ومن نسخة

أخرى :

حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبَعًا لَهَا\*

(٤) ديوانه : ١٢٤ ؛ وروايته :

أَمِنْ ذِكْرِ نَبْهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِجَزَعِ الْمَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ !

قال شارحه : « نبهانية : امرأة من نبهان ، ونبهان من طي » ، وكان امرؤ القيس نازلاً فيهم ثم  
ارتحل عنهم ، والجزع : منعطف الوادي ، والملا : ما استوى من الأرض ؛ ومعنى تبتدران تستبقان بالدمع ؛  
أي أنه لما أبدع به الشوق وغلبه البكاء لام نفسه على ذلك . وفي حاشية الأصل : « قبله :

فَدَمَعَهُمَا سَحٌّ وَسَكْبٌ وَدِيمَةٌ وَرَشٌّ وَتَوَكَّافٌ وَنَهْمَلَانِ

وروى عن إسحاق أيضا أنه قال : قال لي الأصمعيّ : ما يعنى امرؤ القيس بقوله :  
فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعٌ فَأَلْهِمْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُجَوِّلٍ<sup>(١)</sup>  
فقلت : تخبرنى ، فقال : كان مَفَرًّا<sup>(٢)</sup> فيقول : ألهيتُ هؤلاء عن كراهتهم للرجال ،  
فكيف أنا عند المحبات لهم .

\*\*\*

د وروى أن السبب الذى هاج التنافر بين الأصمعيّ وابن الأعرابيّ أن الأصمعيّ دخل  
ذات يوم على سعيد بن سلم وابن الأعرابيّ حينئذ يؤدب ولده - فقال لبعضهم : أنشدأ بسعيد ،  
فأنشد الغلام أبياتا لرجل من بنى كلاب ، رواه إياها ابن الأعرابيّ ، وهى :

رَأَتْ نِضْوَ أَسْفَارٍ أُمَيْمَةٍ قَاعِدًا      عَلَى نِضْوِ أَسْفَارٍ فَجَنَّ جُنُونُهَا<sup>(٣)</sup>  
فَقَالَتْ : مِنْ أَى النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ ؟      فَإِنَّكَ رَاعَى صِرْمَةً لَا يَزِينُهَا<sup>(٤)</sup>  
فَقُلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى      بَعَارٍ ، وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا  
عَلَيْكَ بِرَاعَى ثَلَاثَةَ مُسْلَحِيَّةٍ      يَرُوحُ عَلَيْهَا مَحْضُهَا وَحَقِيقُهَا<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه : ٢٤ . وفى حاشية الأصل . « روى أن النبي صلى الله عليه وآله استنشد هذه القصيدة ،  
فلما سمع البيت الذى قبله هذا قال : لاتنشد البيت الذى بعده ، وهذا دليل على أنه عليه السلام كان يعرف  
الشعر . ولما سمع قوله :

﴿ قَفَا نَبَيْكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

قال : وقف واستوقف ، وكى وأبكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ؟ فقالوا : يا رسول الله ؟  
فدينك ! أنت فى هذا الغد أشعر منه . » (٢) المفرق : الذى تبغضه النساء .

(٣) الخبر بتمامه فى اللسان ( ضجا ) ، والمزمر ٢ : ٣٧٩ ، والمجالس المذكورة للعلماء ٩ ، وإنباه  
الرواة ٣ : ١٣٣-١٣٤ ؟ والأبيات وردت متفرقة فى اللسان ( ضجا ) ، جنن ، حقن ، نعم ) .  
النضو : الدابة التى أهرتها الأسفار وأذهبت لحمها . وفى اللسان : « أيممة شاحبا » .

(٤) الصرمة : القطعة من الإبل ؛ ما بين العشرين إلى الثلاثين . ورواية اللسان :

﴿ فَإِنَّكَ مَوَلَى أَسْرَةٍ لَا يَدِينُهَا ﴾

(٥) الذلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمسليحة : الممتدة ؛ وأصله فى الطريق . والمحض : اللبن الخالص ،  
والحقين : اللبن الحليس فى الوطى ؛ وقد ورد البيت فى اللسان ( حقن ) ونسبه للمخبل ، والرواية فيه :

وفى إبلٍ ستينَ حسبٍ ظمينةٌ      يروحُ عليها محضُها وحقيقتها

وفى حاشية الأصل : « أى لست بالراعى فاطلبى غيرى لو كنت تطلبين راعى » .

سَمِينُ الضَّوَاحِي لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الْهَمُومِ وَعَوْنُهَا  
ورفع «ليلة» فقال الأصمعي: مَنْ رَوَّاكَ هَذَا؟ فَنَالَ مُؤَدَّبِي؛ فَأَحْضَرَهُ فَاسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ،  
ورفع «ليلة»، فَأَخَذَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ وَفَسَّرَ الْبَيْتَ فَقَالَ: إِنَّمَا أَرَادَ: لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ أَبْكَارُ الْهَمُومِ  
وعَوْنُهَا، وَأَنْعَمَ، أَيْ زَادَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

وقوله: «سَمِينُ الضَّوَاحِي» أَيْ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَبَدَأَ سَمِينٌ، ثُمَّ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِابْنِ سَلَمٍ: ٥  
مَنْ لَمْ يُحَسِّنْ هَذَا الْمَقْدَارَ فَلَيْسَ مَوْضِعًا لِتَأْدِيبِ وَلَدِ الْمَلُوكِ.

\*\*\*

وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُسَكِّيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ  
قَالَ: وَلِدَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ أَوْ كَمَهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا قَطًّا وَكَانَ ذَافِطِنَةً فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: مَنْ أَيْنَ  
لَكَ هَذَا الذِّكَا؟ قَالَ: مَنْ قَدِمَ الْعَمَى؛ وَعَدِمَ الْغَوَاطِرَ يَمْنَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمَذْهِلَةِ فَيَكْسِبُ  
فِرَاقَ الذِّهْنِ؛ وَصَحَّةَ الذِّكَا، وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ يَفْخَرُ بِالْعَمَى:

١٠

[١٧١] جَفَّتْ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْتًا (١)  
وَعَمِيَتْ جَنِينًا وَالذِّكَا مَنْ الْعَمَى  
وَقَلْبُ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا  
وَعَمِيَتْ كَنُورِ الرَّوْضِ لَا أَمَّتْ بَيْنَهُ  
بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَمَهَلًا

\*\*\*

وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا  
الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: أَنْشَدَ رَجُلٌ وَأَنَا حَاضِرٌ بَشَارًا قَوْلَ الشَّاعِرِ:

١: وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعَيُونُ (٢)  
أَلَا إِنَّمَا كَيْلَى عَصَا خَيْرُ رَأْنَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

فَقَالَ بَشَارٌ: وَاللَّهِ لَوْ جَعَلَهَا عَصَا مَخٍ أَوْ زُبْدٍ لَمَا كَانَ إِلَّا مَخْطُئًا مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا! أَلَا قَالَ

كَمَا قُلْتُ:

وَحَوْرَاءِ الْمَدَامِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْحَفَانِ  
إِذَا قَامَتْ لِسَبْحَتِهَا تَذَنَّتْ كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرُ رَانَ  
مُنْذَسِيكَ الْمُنَى نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمَانِ

\*\*\*

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن  
شبة قال قال لي أبو عبيدة : رحل بشار إلى الشام ، فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك ،  
وكان مقياً بجران ، ؛ فقال قصيدة طويلة أولها :

نَأْتِكَ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ وَمَعَلِمَتُ أَنْ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ<sup>(١)</sup>  
وكان سليمان بخيلاً فأعطاه خمسة آلاف درهم ، ولم يصب غيرها بعد أن طال مقامه ، فقال :  
إِنْ أُمِسَ مُنْشَنِجَ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى وَعَنِ الْعَدُوِّ مُحْبَسَ الشَّيْطَانِ<sup>(٢)</sup>  
فَلَقَدْ أَرْوَحُ عَلَى اللَّثَامِ مُسَلِّطًا نَلِجَ الْقَيْلِ<sup>(٣)</sup> مُنْعَمَ النَّدْمَانِ  
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ تَنْدَى يَدِي ، وَيَخَافُ فَرَطَ لِسَانِي  
أَزْمَانَ سِرْبَالُ الشَّبَابِ مُذَيَّلٌ وَإِذِ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ مِنْ جِرَانِي  
رَيْمٌ بِأُخْوَةِ الْعِرَاقِ إِذَا بَدَأَ بَرَاقَتُهُ عَلَيْهِ أَكِلَّةَ الْمَرْجَانِ<sup>(٤)</sup> [١٧٢]  
و  
فَاكْحَلْ بَعْبَدَةَ مُقْلَتَيْكَ مِنَ الْقَدَى وَبَوَشَكَ رُؤْيَيْهَا مِنَ الْهَمَلَانِ  
فَلَقُرْبُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مُتَمِّمٌ أَشْفَى لِدَائِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ ١٥

فلما رجع إلى العراق برّه ابن هبيرة ووصله ، وكان ابن هبيرة يتمدّمه ويؤثره لمدحه  
قيساً وافتخاره بها ، فلما جاءت دولة خراسان عظم شأنه .

(١) الأغاني ٣ : ٥٦ ؛ ويشعب : يفرق ، وبعده :

يرى الناس ما تلقى بزَيْنَبِ إِذْ نَأَتْ عَجَبِيَا ، وَمَا تَخْفَى بِزَيْنَبِ أَعْجَبُ

(٢) الخبر والشعر في الأغاني ٣ : ٥٦ . ومن نسخة بمحاشية الأصل : « محبس الشيطان » .

(٣) م : « نلج القام » . (٤) أخوية جمع حواء ؛ والحواء : جماعة البيوت المتدانية .

والأكلة : جم لكليل ؛ وهو الناج ؛ أو شبه عصابة ترين بالجواهر .

وأخبرني المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي  
قال قال الأصمعي : ما وصف أحدُ الثَّغَرِ إِلَّا احتاج إلى قول بشر بن أبي خازم :

يُفَلِّجَنَّ الشِّفَاةَ عَنْ أَفْجَوَانٍ جَلَاهُ غِيبٌ سَارِيَةٌ قِطَارُ

ولا وصف أحدُ اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة :

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ <sup>(١)</sup>

شَفَّ مِنْهَا مُحَقَّقٌ جَنْدِيٌّ فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ <sup>(٢)</sup>

ولا وصف أحدُ عيني امرأةٍ إِلَّا احتاج إلى قول عدي بن الرِّقَاع :

لَوْ لَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ بَدَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْفَاسِمِ <sup>(٣)</sup>

وَكَأَنَّهَا وَسُطَ النِّسَاءُ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَخَوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ <sup>(٤)</sup>

وَسَنَانُ أَقْصَدِهِ النُّعَاسُ فَرَنْقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ <sup>(٥)</sup>

ولا وصف أحدُ نجيباً إِلَّا احتاج إلى قول مُحمَّد بن ثور :

مُحَلَّى بِأَطَوَاقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّانِ لَوْ يَتَقَوَّفُ <sup>(٦)</sup>

ولا وصف أحدُ ظليماً إِلَّا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة :

(١) ديوانه : ٤٢٣ . (٢) ثوب محقق محكم الفسج ، وجند : بلد باليمن .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٤ ، واللائق ٥٢١ ، وفي حاشية الأصل ( من نسخة ) : « قدفشا » ،

ومن نسخة أخرى : « قد غشا » . (٤) الجاذر : جمع جؤذر ، بضم الدال وفتحها ، وهو ولد

البقرة الوحشي . جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . (٥) أقصده : صرعه . رنقت : خالطت ،

والبيت أيضا في اللسان ( رنق ) . (٦) ديوانه ١١١ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يصف بعيرا

وحلي ؛ أي عليه نجار العنق ، وإذا رآه صاحب الضأن الذي لا بصيرة له عرف عتقه ونجابهته على مامسه من

الضر . لم يتقوف ، من الفيافة ، وىروى : « لو يتعيف » . شبه ما يبين من عتقه بأطوق تظهر لمن رآها

وىروى : « يبينه » أى البعير ، وقبل هذا البيت :

فَظَرْتُ إِلَى عَارِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ شَقَا ابْنَ ثَلَاثٍ ظَهَرَهُ مُتَجَرِّفُ

طَوْتُهُ الْفَلَا حَتَّى كَأَنَّ عِظَامَهُ مَآسِيرَ عِيدَانٍ تَمُوجُ وَتُرْجَفُ

فَنَارَ وَمَا يُمَسِّي فَوْيُقَ عِظَامِهِ بَرَمَ وَلَكِنْ عَارِفٌ مُتَكَلِّفُ =

هَيْقُ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُؤُجُوهُ بَيْتُ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءَ مَهْجُومٌ<sup>(١)</sup>

ولا اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة :

[١٧٢] / فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَاتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ<sup>(٢)</sup> ط

قال سـيدنا أدام الله علوه : أما قول مُحمّد بن ثور : « محلى بأطواق عتاق » فإنه يريد أن عليه نِجار الكرم والعِتق ، فصارت دلالتهما وسماتهما حلية له من حيث كان موسوماً بهما .

ومعنى : « يبينها على الضراء » يتبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم أنه كريم ، والتعوّف : من القيافة .

فأما قول علقمة « هَيْقُ... » فالهَيْقُ : ذكر النعام . ومعنى : « أطافت به خرقاء » ، أى عملته وابتنته ، وقيل : إن خرقاء هاهنا هى الحاذقة ، وأن هذه اللفظة تستعمل على طريق الأضداد فى الحاذقة ١٠ وغير الحاذقة ، ومعنى « مهجوم » : أى مهدوم ، وقال الأصمعى : معنى « أطافت به » ، أى عملته فخرقت فى عمله ، يقول : قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء ، كما رفعت ناحية استرخت أخرى ؛ والوجه الثانى أشبه وأملح .

فأما قول بشر فى وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء قول النابغة :

= قوله : « عارى العظام » أى بعير مهزول ، وشقا ابن ثلاث أى هلال ابن ثلاث . وماء أسير عيدان ويروى « ماء أسر عيدان » ، أى عيدان مأسورة مشدودة . والرم . المنخ ، يريد أنه ليس يسمى برم ، أى ليس فى عظامه مخ ؛ ولكنه عارف ؛ أى معترف بالسير ، ذليل متكاف يتكاف السير على جهد .  
(١) حاشية الأصل : « هَيْقُ ، أى ظليم ، وهو اسم له ، والجؤجؤ : الصدر ؛ وأراد بالبيت بيتان الشعر أو الوبر . الخرقاء : المرأة التى ليست بصناع . ومهجوم : مصروع ساقط ، يقول : أنت البيت هذه الخرقاء لتصلحه فلم تحسن ، واستخرجت عيدانه وأطنابه ، فشبه الظالم به ، لاسترخاء جناحيه ونشره إيها . وقال المازنى : إذا بنت الخرقاء بيتا تهدم سريما . وقال غيره : خرقاء هنا : ربح لا تدوم على جهة واحدة . » والبيت فى ديوانه ١٣٠ ، والمفضليات : ٤٠٠ ، ( طبعة المعارف ) وروايته فيهما :

(٢) ديوانه :

\* صَعْلُ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُؤُجُوهُ \*

كَلَّا قَحْوَانٍ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأُسْفَلُهُ نَدٍ<sup>(١)</sup>

فإنما وصف أعالیه بالجُفوف ؛ ليكون متفرقاً متنضداً غير متابداً ولا مجتمع ؛ فيشبه حينئذ الثغور ، ثم قال : « وأسفله ندٍ » حتى لا يكون قَحْلاً يابساً ، بل يكون فيه الغضاضة والصقالة ، فيشبه غروب الأسنان التي تلمع وتبرق .

وروى الرياشي قال : سمعت الأصمعي يقول : أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذى الرمة :

وَتَجَلَّوْا بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ  
ذُرّاً أَقْحَوَانٍ وَاجَهَ اللَّيْلَ وَارْتَقَى  
مِنْ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبَحُ<sup>(٢)</sup>  
إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمَرْوَحِ<sup>(٣)</sup>  
هَجَانِ الثَّنَايَا مُغْرَباً لَوْ تَبَسَّمْتُ  
لَا خَرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصِحُ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه : ٣١ . الأقحوان : نبت له نوار أصفر ، حواليه ورق أبيض وفي حاشيتي الأصل ، ف : « ضمن اللجام الحرائي هذا البيت في هجو فجعله آبدة من الأوابد فقال :

ياسائلي عن جعفر ، علمي به رَطْبُ الْمَجَانِ وَكَفَّهُ كَالْجَلْمَدِ

كَلَّا قَحْوَانٍ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأُسْفَلُهُ نَدٍ

والبيتان في خاص الحاص : ١٤٤ . (٢) ديوانه : ٨٣ . يصبح : يسقى وقت الصباح .

(٣) في الديوان : « راحة الليل » ، بالرفع . رامة : رملة بعينها . المروح : الذي جاء رواحا . وبعد هذا البيت في رواية الديوان :

تَحْفُفُ بِرُبِّ الرُّوضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ نَسِيمٌ كَفَّارِ الْمِسْكِ حِينَ يَفْتَحُ

(٤) المغرب : الأبيض من كل شيء .

## مجلس آخر

### تأويل آية

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ / الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [١٧٣] .  
[ التوبة : ٥٥ ] .

فقال : كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ، ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة؟ وما تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ وظاهره يقتضي أنه أراد كفرهم من حيث أراد أن ترهق أنفسهم ٥ في حال كفرهم ، لأن القائل إذا قال : أريد أن يلقاني فلان وهو لابس أُر على صفة كذا وكذا ، فالظاهر أنه أراد كونه على تلك الصفة ؟

الجواب ، قلنا : أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه :

أولها ما روى عن ابن عباس وقتادة ، وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون التقدير : فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ١٠ ولا أولادهم في الحياة الدنيا ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها ؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [ النمل : ٢٨ ] ، والمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ وأنشد في ذلك قول الشاعر :

عشية أبدت جيد أدماء مُغزِلٍ      وطرفاً يُريك الإئتمد الجون أحورا<sup>(١)</sup> ١٥  
يريد : وطرفاً أحور يُريك الإئتمد الجون ؛ وقد اعتمد هذا الوجه أيضاً أبو علي قُطْرُب ، وذكره أبو القاسم البلخي والزجاج .



وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جمعه للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ؛ وفي ذلك لا محالة إيلام لهم ، واستخفاف بهم ، وإنما أراد تعالى بذلك إعلام نبيه عليه السلام والمؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ؛ ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ، ورضاً عنهم ؛ بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه ، فلا يجب أن يُغبطوا ،<sup>٥</sup> ويُحسدوا عليها ؛ إذ كانت هذه عاجلتهم ، والعقاب الأليم في النار آجلتهم ؛ وهذا جواب أبي عليّ الجبائيّ .

وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال : كيف يصح هذا التأويل ، مع أنا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدي / المسامين ، ولا يقدرّون على غنيمة أموالهم ، ونجد أهل [١٧٣] الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لكان الذمة والعهد ؟ وليس هذا الاعتراض بشيء ،<sup>١٠</sup> لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ؛ ممن أوجب الله تعالى محاربتهم ؛ فأما الذين لا تنالهم الأيدي ، أو هم من القوة على حدّ لا يتم معه غنيمة أموالهم ؛ فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يُسبي ويغنم ، ويجاهد ويغلب ؛ وإن لم يقع ذلك ؛ وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على أنه غير مراد .

وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلّ ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب<sup>١٥</sup> بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للمعوض وللنفع .

ويجوز أيضاً أن يراد به ما يندّر به الكافر قبل موته ، وعند احتضاره ، وانقطاع التكليف عنه مع أنه حيّ ، من العذاب الدائم الذي قد أعدّ له ، وإعلامه أنه صائر إليه ، ومنتهقل إلى قراره ؛<sup>٢٠</sup> وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين<sup>(١)</sup> ، وذكره أبو عليّ الجبائيّ أيضاً .

(١) حاشية الأصل : « نسخة الشجرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري » .

ورابعها [جواب] <sup>(١)</sup> يحكى عن الحسن البصرى ، واختاره الطبرى وقدمه على غيره ، وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم ؛ لأن ذلك يؤخذ منهم على كره ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة ؛ فتفسير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً .

٥ قال السيد قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ؛ لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ؛ ومحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العقاب والجزاء ؛ لأن ذلك لا يقتضى وجوبه عليه <sup>(٢)</sup> ؛ والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللاطف في التكليف .

ولا يجرى ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذى قبل هذا ؛ من أن المصائب والغنوم قد تكون للمؤمنين محنة ، وللكافرين عقوبة ؛ لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها العقوبة والمحنة جميعاً ؛ ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد ، وهو المصلحة في الدين ، فافترق الأمران .

[١٧٤] وليس لهم أن يقولوا : / ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم ؛ <sup>(٣)</sup> وإنما هو لإخراجهم أموالهم على وجه التكره والاستئثار <sup>(٤)</sup> ؛ وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره خرج ١٥ من أن يكون مراد الله تعالى ؛ لأنه جلّ وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه ، بل على الوجه الذى هو طاعة وقربة ؛ فإذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يُرَد ذلك ؛ فكيف يقول : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا** ! ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .

وجميع هذه الوجوه التى حكيناها في الآية - إلا جواب التقديم والتأخير - مبنية على أن

(١) من ف . (٢-٢) ساقط من الأصل ، وما أثبتته عن ف .

(٣-٣) ف : « وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على وجه التكره والاستئثار » .

الحياة الدنيا ظرف للعذاب؛ فتحَمَل<sup>(١)</sup> كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ؛ طابق<sup>(٢)</sup> ذلك .

وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه، ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم تُجَمَل<sup>(٣)</sup> الحياة ظرفاً للمقاب ، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد ؛ والمتعلق بهما؛ لأننا قد علمنا أولاً أن قوله : ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ رَبُّهَا﴾ لا بد من الانصراف عن ظاهره ؛ لأن الأموال والأولاد • أنفسها لا تكون عذاباً ؛ والمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلق بها والمضاف إليها ؛ سواء كان إنفاقها والمصيبة بها والغم عليها، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها؛ فكان تقدير<sup>(٤)</sup> الآية : إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بكذا وكذا؛ مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ، ويتصل بها ؛ وإذا صحّ هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتُسَخِّطه ؛ كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي ، وحملهم الأولاد على ١٠ الكفر، وإلزامهم الموافقة لهم في النجاسة، ويكون تقدير الكلام: إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بفعلهم في أموالهم وأولادهم ؛ الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا ؛ وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتأخير ؛ وسائر ما ذكره من الوجوه .

فأما قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ فمعناه تبطل وتخرج ؛ أي أنهم يموتون على الكفر؛ وليس يجب إذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال ١٥ نفسها على ما ظنوه؛ لأن الواحد منّا قد يأمر / غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغي وهم [١٧٤] محاربون ، ولا يقاتلهم وهم منهزمون ، ولا يكون مريداً لحرب أهل البغي للمؤمنين؛ وإن أراد قتالهم على هذه الحالة ، وكذلك قد يقول لغلامه: أريد أن تواظب على المصير إلى في السجّين وأنا محبوس ، وللطبيب: صِرْ إلى ولازمي وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ولا

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فتحمل » . (٢) ف : « يطابق » .

(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « لم نجعل الحياة » .

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فكان تقدير الكلام » .

الحبس ؛ وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين .

وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ألا يكون قوله : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ حالاً لزهوق أنفسهم ؛ بل يكون كأنه كلام مستأنف ، والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا؛ وتزَهَقْ أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرون إلى النار؛  
 ٥ وتكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة؛ ويكون معنى ﴿ تَزَهَقْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة ، بل المشقة الشديدة والكلف<sup>(١)</sup> الصعبة ، كما يقال: ضربت فلانا حتى مات وتلّفت نفسه ، وخرجت روحه ، وما أشبه ذلك .

\*\*\*

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ذاكرني قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم  
 ١٠ وانتهوا إلى مروان بن يحيى بن أبي حفصة<sup>(٢)</sup> ؛ فأفرط بعضهم في وصفه وتقريضه ، وآخرون في ذمه وتهجينه والإزراء على شعره وطريقته؛ واستخبروا عما اعتقده فيه، فقلت لهم: كان مروان متساوياً الكلام ، متشابه الألفاظ ، غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق لها ؛ فلذلك قلت النظر في شعره ، ومدائح مكررة الألفاظ والمعاني ، وهو غزير الشعر قليل المعنى ؛ إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق ، وهو أشعر من كثير من  
 ١٥ أهل زمانه وطبقته ، وأشعر شعراء أهله ؛ ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني ، وحسن الألفاظ ، ووقوع التشبيهات ، ودون بشار بن برد في الأبيات النادرة السائرة ، فكأنه طبقة بينهما ؛ وليس بمقصر دونهما شديداً ، ولا منحط عنهما بعيداً .

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم ، وكذلك أبو عمرو الشيباني

(١) ف : « والكلفة » . (٢) هو أبو السمط - وقيل أبو الهندام . مروان بن أبي حفصة ؛ ولد سنة ١٠٥ ، وهلك في أيام الرشيد سنة ١٨٢ . ( وانظر ترجمته وأشعاره في الشعر والشعراء ٧٣٩-٧٤١ ، وابن خلكان ٢ : ٧٩-٨١ ) .

وكان الأصمعي يقول : مروان / مولد<sup>(١)</sup> ، وليس له علم باللغة . واختلافُ الناس في اختيار الشعر [١٧٥]  
بحسب اختلافهم في التنبيه على معانيه ؛ وبحسب ما يشترطونه من مذهب وطرائقه .  
فسئلت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع إلى من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر  
شعره ، وأن أملي ذلك في خلال المجالس وأثنائها .

فما يختاره من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدي أولها :  
أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ ! أَجَلُ ، وَاسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ الْبَوَائِدُ  
يقول فيها :

|   |   |
|---|---|
| تَذَكَّرْتُ مِنْ تَهْوَى فَأَبْكَاكَ ذِكْرُهُ     | فَلَا الذِّكْرُ مَنَسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ جَامِدُ           |
| تَحْنُ وَيَأْبَى أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى        | وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ                |
| أَلَا طَالَمَا أَنْهَيْتَ دَمْعَكَ طَائِماً       | وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآنِسَاتُ النَّوَاهِدُ ١٠              |
| تَذَكَّرْنَا أَبْصَارُهَا مُقَلَّ الْمَهَا        | وَاعْنَاقُهَا أَدُمُ الظُّبَاءِ الْعَوَاقِدُ <sup>(٢)</sup> |
| تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةٌ         | تَسَاقَطُ دُرٌّ أَسْلَمَتْهُ الْمَعَاقِدُ                   |
| إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَاذَبْتُ       | بِنَا اللَّيْلَ خُوصٌ كَالْقَسِيِّ شَوَارِدُ                |
| يَمَانِيَّةٌ يَنْأَى الْقَرِيبُ مَحَلَّةٌ         | بِهِنَّ ، وَبَدَنُ الشَّاحِطِ الْمُتَبَاعِدُ                |
| تَجَلَّى الشَّرَى عَنْهَا ، وَلِلْعَيْسِ أَعْيُنُ | سَوَامٍ وَأَعْنَاقُ إِلَيْكَ قَوَاصِدُ ١٥                   |
| إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى        | بِنَائِلٍ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ                   |

(١) ف : « المولدون الذين بعد المخضرين » وفي حاشية الأصل ( من نسخة ) : « مولد » بكسر اللام ؛ أي يولد الكلام . (٢) العاقِد : هو الظبي الذي عطف عنقه إلى ناحية عجزه ؛ وقيل إن الصفائر تفعل ذلك كثيرا ؛ قال ساعدة :

وَكَأَنَّمَا وَاوَاكَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا  
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ عَاقِدٍ مُتَرَبِّبٍ

ولا يبعد أن يكون العواقد اللأئي يأوين إلى عقدات الرمل ، أو يكون معناه أنها عقدت أعناقها ملتفة إلى أذنانها ، وذلك معهود من عاداتها .

لهُ فَوْقَ مَجْدِ النَّاسِ مَجْدَانِ مِنْهُمَا طَرِيفٌ وَعَادِيٌّ الْجَرَائِمِ تَالِدُ  
وَأَحْوَاضُ عِزٍّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَنْهُمْ ذَائِدُ  
أَيَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَيْضٌ سَوَابِغُ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتُ عَوَائِدُ  
هُمْ يَمْدِلُونَ السَّمَكَ مِنْ قُبَّةِ الْهَدْيِ كَمَا تَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ  
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا ٥  
[١٧٥] / يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ  
كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لَرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ  
أما قوله :

تساقط منهنَّ الأحاديثُ غَضَّةٌ تساقطَ دُرٌّ أَسْلَمَتْهُ المَعَادِي

١٠ فكثير في الشعر ، وأظن أن الأصل فيه أبو حية النمري في قوله :  
إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصَى الرَّجَانِ مِنْ كَفِّ نَاطِمِ  
وَإِنَّمَا عَنَى بِالرَّجَانِ صَفَارَ اللَّوْلُو ، وعلى هذا يُتَأَوَّلُ قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُو ﴾  
وَالْمَرْجَانُ ؛ [ الرحمن : ٢٢ ] .

ومثله قول الآخر :

١٥ هِيَ الدُّرُّ مَنُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتُ وَكَالدُّرِّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ  
ومثله :

مِنْ تَغْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيرُ مُمْ وَلَفْظُهَا الدُّرُّ النَّشِيرُ

ونظيره قول البحتری - وأحسن غاية الإحسان :

وَلَمَّا التَّمِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدُّرُّ حُسْنًا وَلَا قِطْعُهُ  
فَمِنْ لَوْلُو تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

ومثله قول الأَخِطِلُ<sup>(١)</sup>.

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجَفُ اللَّيْلِ مُلْقَى      وَقَدْ أَصْنَتْ إِلَى الْغَرْبِ النَّجُومُ  
كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَشِيرٌ      وَرَوْنَقٌ ثَغْرِهَا دُرٌّ نَظِيمٌ

ولغيره :

تَبَسَّمتُ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَظِماً      وَحَدَّثْتُ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَبِراً ٥

ولآخر :

وَتُحْفَظُ لَا مِنْ رِيبةٍ يَحْذَرُونَهَا      وَلَكِنِهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تُحْفَظُ  
وَتَلْفِظُ دُرّاً فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى      وَلَمْ تَرَ دُرّاً قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفِظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا :

أَظْهَرَنَ وَصْلاً إِذْ رَحِمَنَ مُتَيْماً      وَأَرَبَنَ هَجْراً إِذْ خَشِينَ مُرَاقِباً ١٠  
/ فَتَنْظَمَنَّ مِنْ دُرِّ الْمَبَاسِمِ جَامِداً      وَتَثْرَنَنَّ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِعِ ذَائِباً [١٧٦] و

قال قدس الله روحه : وليس قول أبي دهب في صفة الحديث<sup>(٢)</sup> :

كَتَسَاقُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنْ الـ أَقْنَاءِ لَا ثَرّاً وَلَا نَزْراً

من هذا الباب في شيء ، لأن جميع ما تقدم هو في وصف الثَّغَرِ ؛ وهذا في وصف حسن

الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة ، لازم للقصد كالتنثار الرُّطْبِ من الأقْنَاءِ ؛ ويشبهه ١٥

أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ، ثم إنه غَضٌّ طَرِيٌّ

غير مَكْرَرٍ ولا معاد ؛ لقوله : « الرطب الجنى » فتجتمع له أغراض : الوصف بالاعتقاد في القلة

والكثرة ، ثم وصفه بالحلاوة ، ثم الفصاحة ، ثم الغضاضة .

(١) في م : « الأخطل » خطأ ؛ وفي حاشية الأصل : « الأهوازي ، يقال له برقونا » ؛ وهو

محمد بن عبد الله ، شاعر مجيد من أهل الأهواز .

(٢) من نسخة بمحاشني الأصل ، ف : « في وصف حسن الحديث والثغر » .

ونظير قول أبي دَهبل قول ذى الرِّمَّة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَائِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ<sup>(١)</sup>

فأما قول مروان :

إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى بَنَائِلَ كَفَّيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

فمثل قول أبي حنشل النيرى فى يحيى بن خالد البرمكى :

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنَّنِي إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ<sup>(٢)</sup> مَالِي

لَوْ يَمَسُّ الْبَخِيلُ رَاحَةَ يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَذْلِ النَّوَالِ

ومثله قول ابن الحياط<sup>(٣)</sup> المدنى فى المهدى :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَتَبَغَى الْغَنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُمْدِي<sup>(٤)</sup>

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغَنَى أَفَدْتُ ، وَأُعْدَانِي فَاتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

وقد قيل إن هذا الشاعر كأنه مُصَرِّحٌ بالهجاء ؛ لأنه زعم أن الذى لمسَ كَفَّهُ لم يفِده

شيئاً بل أعدهاه جوده ، فأتلفَ ماله ، ولم يُردِّ الشاعر إلا المدح ؛ ولقوله وجه ، وهو

أنَّ ذَوِي الْغَنَى هم الذين تستقر الأموال فى أيديهم وتلبثُ تحت أيمانهم ؛ ومنَّ أخرج ما يملكه

حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غنى ، فأراد الشاعر أننى لم أفِدْ منه ما بقى فى يدي واستقرَّ

١٥ تحت ملكى ؛ فلهذا قال : لم أفِدْ ما أفادَ ذَوُو الْغَنَى .

ومن هذا المعنى قول مسلم :

/ إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافَحَ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَمَا كَانَ حَيٌّ فِي الْبَرِيَّةِ يَبْخَلُ

[١٧٦]  
ظ

ومثله قول العكوك :

لَوْ لَمَسَ النَّاسُ رَاحَتِيهِ مَا بَخِلَ النَّاسُ بِالْعَطَاءِ

(١) ديوانه ٢١٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « أتلف » .

(٣) حاشية الأصل : « ابن الحياط ، هو عبد الله بن محمد ، ويعرف بابن الحياط ؛ ذكر ذلك

أبو الفرج الأصبهاني رحمه الله » وترجمته فى الأغاني ١٨ : ٩٤-١٠٠ .

(٤) الأغاني ١٨ : ٩٤ .



وأحسن من هذا كله وأشبهه بالمدح ، وأدخل في طريقته قولُ البحترى :  
 مَنْ شَاكَرْتُ عَنِّي الْخَلِيفَةَ بِالَّذِي      أَوْلَاهُ مِنْ طَوْلِ وَمِنْ إِحْسَانِ<sup>(١)</sup>  
 مَلَأْتُ يَدَاهُ يَدَيَّ وَشَرَّدَ جُودُهُ      بُخْلِي ، فَأَفْقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي  
 حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ      وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي  
 وَوَثَّقْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مُعْجَلًا      مِنْهُ ، فَأَعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي ٥

ومن هذا قولُ الآخر :

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَافِقَةً      إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخْلُقًا  
 وَلَوْ جُزَّتْ فِي أَيْيَاتِهِمْ<sup>(٢)</sup> لَتَعَلَّمْتُ      يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحْتُ مُمْلِكًا  
 ولابن الرومي :

يَجُودُ الْبَخِيلُ إِذَا مَارَاكَ      وَيَسْطُو الْجَبَانُ إِذَا عَايَنَاكَ ١٠  
 فأما قوله :

وَأَحْوَاضُ عَزٍّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا      وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ ذَائِدُ

فيشبهه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذ في قوله :

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا      وَتَفْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا<sup>(٣)</sup>  
 فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا      وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا ١٥  
 حِمَى وَقَرَى فَلَمُوتُ دُونَ مَرَامِهَا      وَأَيُّسَرُ خَطْبٍ عِنْدَ حَقِّ فَنَاؤُهَا

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في أبياته كل الإحسان .

فأما قوله :

يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِدَارِهِ      عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ

/ فكثير متداول ، ومن حسنه قولُ محمد بن عبد الملك الزيات :

[١٧٧]

و

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « في أنثائهم » .

(٣) ديوانه : ١٥٣ ، والأغاني ١٠ : ٥٩ (طبع دار الكتب المصرية) . السكوم : الإبل الضخمة

العظيمة السنام ؛ الواحد أ كوم والأثنى كوما .

نِعَمَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّعِيَّةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكَرَى لَمْ يَرْقُدِ  
ومثله :

وَيَظَلُّ يَحْفَظُنَا وَنَحْنُ بِغَفْلَةٍ وَبَيْتُ يَكْلُونَا وَنَحْنُ نِيَامُ  
ومثله للبحترى :

٥ أَرْبِيعَةَ الْفَرَسِ اشْكُرِي يَدَ مُنْعِمٍ وَهَبَ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيءِ الْجَانِبِ (١)  
رَوَّعْتُمُو جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمُو مِنْهُ حَمِيَّةَ آئِفٍ غَيْرَانِ  
لَمْ تَكْرَرْ عَنْ قَاصِي الرِّعِيَةِ عَيْنُهُ فَتَنَامَ عَنْ وَثْرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي

فأما قوله :

كُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ

١٠ فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكى :

أَحْيَا لَنَا يَحْيَى فَعَالَ خَالِدٍ فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَثِيرَ الْحَامِدِ  
يَسْخُو بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدٍ عَلَى بَعِيدٍ غَائِبٍ وَشَاهِدِ  
النَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ كَوَاحِدٍ وَهُوَ لَهُمْ أَجْمَعِهِمْ كَالْوَالِدِ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها :

١٥ خَلَتْ بَعْدَنَا مِنْ آلٍ لَيْلَى الْمَصَانِعُ وَهَاجَتْ لَنَا الشُّوقَ الدِّيَارُ الْبَلَاقِعُ

يقول فيها :

وَمَالِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُذْنِبًا سِوَى حِلْمِهِ الضَّافِي عَلَى النَّاسِ شَافِعُ  
وَلَا هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا بَغِيرِ الَّتِي يَرْضَى بِهَا اللَّهُ وَاقِعُ (٢)  
تَغْضُّ لَهُ الطَّرْفَ الْعُمُونَ وَطَرْفُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . وفي حاشية الأصل : « ربيعة رجل ورث أباه دوابه ، فقبل له ربيعة

الفرس ؛ وسميت القبيلة باسم ربيعة وهي التي تذكر مع مضر » .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ولا هو » وفيها ( من نسخة ) : « فائع » .

أما قوله :

\* ولا هو عند السخط منه ولا الرضا \*... البيت

فمثل قول أشجع :

وَلَسْتُ بِخَائِفٍ لِأَبِي عَلَىَّ وَمَنْ خَافَ إِلَهَ فَلَنْ يُخَافَا

[١٧٧]

ط

/ومثله:

أَمَّنِّي مِنْهُ وَمَنْ خَوْفِهِ خِيفَتْهُ مِنْ خَشْيَةِ الْبَارِي

ولأبي نوحاس :

قَدْ كُنْتُ خَفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنِي مَنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ اللَّهُ<sup>(١)</sup>

ويُشبه هذا المعنى ماروى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه دعا غلاماً مراراً

فلم يجبه ، فخرج فوجده على الباب<sup>(٢)</sup> فقال له : ماحملك على تركِ إجابتي ؟ قال : كسيت

عن إجابتك ، وأمنت عقوبتك ، فقال : عليه السلام : الحمد لله الذى جعلنى ممن يأمنه خلقه .

فأما قوله : « تَغُضُّ لَهُ الطَّرَفَ الْعَيُونَ » فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق ، أو ممن

تنسب إليه هذه الأبيات :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ١٠٩ ؛ من أبيات بحث بها إلى الفضل بن الربيع .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « على باب البيت » .

(٣) ينسب هذا البيت مع غيره أيضاً للعزير السكناني ؛ وانظر مامر من حواشى ص ٦٨ .

# مَجْلِسُ خَزْر

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [ الأنفال : ٢٤ ] .  
فقال : ما معنى الحَوْل بين المرء وقلبه ؟ وهل يصح ما تأوله قومٌ مِنْ أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الكافر وبين الإيمان ؟ وما معنى قوله : ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ؟ وكيف تكون الحياة في إجابته ؟

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يريد بذلك أَنَّهُ تعالى يَحُولُ بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت ، وهذا حثٌّ من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف ، وتمنُّر مايسوفُ به المكلف نفسه من التوبة والإقلاع ؛ فكأنه تعالى قال : بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول مِنْ قبل أن يَأْتِيَكُم الموت فيحولَ بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ، ويتعذَّرَ عليكم ماتسوفون به <sup>(١)</sup> نفوسكم من التوبة بقلوبكم . ويقوَّى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وثانيها أن يحولَ بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه ، وإن كان حيًّا ، وقد يقال لمن فقد عقله وسُلِبَ تمييزه : إِنَّهُ بغير عقل <sup>(٣)</sup> ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ﴾ [ ف : ٣٧ ] .

وقال الشاعر :

وَلَكِنْ بَلَاقِلِبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ !

١٥

[ ١٧٨ ]

وهذا الوجه يقربُ مِنَ الأول ؛ لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم ،

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) « فيه » . (٢) بقية الآية السابقة

(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « بغير قلب » .

والحث لهم<sup>(١)</sup> على الطاعات قبل فَوَّتها ، لأنه لا فرق بين تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بإزالة العقل .

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قُرْبِهِ من عبادِهِ وعلمِهِ بما يبطنون ويخفون ؛ وأن الضمائر المكنونة<sup>(٢)</sup> له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ؛ [ ف : ١٦ ] ، ونحن نعلم أنه لم تعالى يُرِدْ بذلك ٥ قرب المسافة ، بل المعنى الذي ذكرناه .

وإذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا ، وكان ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه ، ونسبوه عنه ، ونَضِلَّ عن علمه — وكل ذلك لا يجوز عليه — جاز أن يقول : إنه يحول بيننا وبين قلوبنا ؛ لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما .

ولما أراد تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف ؛ وإن كان القرب الذي عناه ١٠ جلت عظمتُهُ لم يُرِدْ به المسافة ، والعرب تضع كثيراً لفظة القُرْب على غير معنى المسافة ؛ فيقولون : فلان أقرب إلى قلبي من فلان ، وزيد منى قريب ، وعمرو منى بعيد ؛ ولا يريدون المسافة .

ورابعها — ما أجاب به بعضهم — من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فيدخل قلوبهم الخوف ، فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه ، بأن يبدله بالخوف ١٥ الأمن ؛ ويبدل عدوهم — بظنهم أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم — الجبن والخور .

ويمكن في الآية وجه خامس ؛ وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوهُ إليه قَلْبُهُ من القبايح ؛ بالأمر والنهي والوعد والوعيد ؛ لأننا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ؛ ولا عن مواقعه رادع ؛ فكان التكليف حائل بينه وبينه ؛ من حيث زجر عن فعله ، وصرف عن مواقعه ؛

(١) ساقطة من ف . (٢) حاشية ف ( من نسخة ) : « المكنونة » .

[١٧٨] وليس يجب في الحائل / أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل ؛ لأننا نعلم أن المشير منا<sup>ط</sup> على غيره في أمر كان قد همَّ به وعزم على فعله أن يجتنبه. والنبه له على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال : منعه<sup>(١)</sup> ، وحال بينه وبين فعله ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات<sup>(٢)</sup> :

حَالَ دُونََ الْهَوَى وَدَوَّ      نَ سُرَى اللَّيْلِ مُضْعَبُ  
وَسَيَّاطُ عَلَى أَكُفِّ رِجَالِ      تُقَلِّبُ

ونحن نعلم أنه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرها .

فإن قيل : كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية ؟

قلنا : وجه المطابقة ظاهر<sup>٣</sup> ، لأنه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعون<sup>٤</sup> إليه من فعل الطاعات ، والامتناع من المقتضات ، وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار وما يجري<sup>(٣)</sup>

١٠ مجراهما يحول بين المرء وبين ما تدعوه إليه نفسه من المعاصي ؛ ثم إن المآب بعدهذا كله إليه والمنقلب إلى ما عنده ؛ فيجازى كلاً باستحقاقه .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم<sup>(٤)</sup> والثواب ، لأن تلك هي الحياة الطيبة الدائمة التي يؤمن من تغيرها ، ولا يخاف انتقلها ، فكأنه تعالى حث على إجابته التي تكسب

١٥ هذه الحال .

وثانيها أنه يختص<sup>(٥)</sup> ذلك بالدعاء إلى الجهاد وقتال العدو ، فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم<sup>(٦)</sup> ؛ ودفعهم عن حوزة الإسلام

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : «منه منه» . (٢) حاشية الأصل : «كان جده شاعرا يشب

بجماعة من النساء ، اسم كل واحدة منهن رقية ؛ فأضيف إليهن » .

(٣) حاشية ف (من نسخة) : «وما جرى» . (٤) حاشية ف (من نسخة) : «النعم» .

(٥) ش : «أن يختص» . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف «الأعداء» .

وأعلمهم أن ذلك يحبيهم من حيث كان فيه قهرٌ للمشركين، وتقليل لمددهم، وفلٌ لحدّهم؛ وحسّم لأطاعهم، لأنهم متى كثروا وقوّوا استلّانوا جانبَ المؤمنين؛ وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المسكاره؛ فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلام في القتال تقتضي الحياة والبقاء؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾؛ [البقرة: ١٧٩].

وثالثها ما قاله قوم من أن كلّ طاعة حياة، ويوصف فاعلها بأنه حيّ، كما أن المعاصي<sup>٥</sup> يوصف فاعلها بأنه ميت، والوجه في ذلك / أن الطائع لما كان<sup>(١)</sup> منتفعاً بحياته، وكانت تؤديه [١٧٩] إلى الثواب الدائم قيل: إن الطاعة حياة؛ ولما كان الكافر المعاصي لا ينتفع بحياته؛ من حيث كان مصيره إلى العقاب الدائم كان في حكم الميت؛ ولهذا يقال لمن كان منغصاً<sup>(٢)</sup> الحياة، غير منتفع بها: فلان بلا عيش ولا حياة، وما جرى مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته.

ويمكن في الآية وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة بالحكم لا في الفعل؛ ١٠ لأننا قد علمنا أنه عليه السلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتلهم، وإن كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شرطها؛ فكأنه تعالى قال: استجيبوا للرسول ولا تخالفوه، فإنكم إذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء، من حيث تعبد عليه السلام بقتالكم وقتلكم، فإذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾؛ [آل عمران: ٩٧]؛ وإنما أراد تعالى أنه يجب أن يكون آمناً؛ ١٥ وهذا<sup>(٣)</sup> حكمه، ولم يخبر بأن ذلك لا محالة واقع.

فأما المجبرة فلا شبهة لهم في الآية، ولا متملق بها؛ لأنه تعالى لم يقل: إنه يحول بين المرء وبين الإيمان، بل ظاهر الآية يقتضي أنه يحول بينه وبين أفعاله، وإنما يقتضي ظاهرها أنه يحول بينه وبين قابه؛ وليس للإيمان ولا للكفر ذكر، ولو كان للآية ظاهر يقتضي

(١) ش: «إذا كان». (٢) حاشية ف (من نسخة): «متكدر».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «وهكذا حكمه».

ماظنوه - وليس لها ذلك - لا نصرفنا عنه بأدلة العقل الموجبة أنه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما أمره به ، وأراد منه ، وكلفه فعله ؛ لأن ذلك قبيح ، والقبايح عنه منفية .

\*\*\*

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران الرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليّ المزني قال حدثنا أحمد بن عمرو بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عوف قال حدثني محمد بن خالد<sup>(١)</sup> بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال : لما اشتد بحضن ابن حذيفة بن بدر وجعه من طمعة كرز<sup>(٢)</sup> بن عامر إياه يوم بني عُقَيْل دعا ولده فقال : إن الموت أهون مما أجد ، فأبكم يُطيعني ؟ قالوا : كلنا نطيعك ؛ فبدأ بأكبرهم فقال : قم فخذ سيفي واطعن به حيث أمرك ، ولا تمجّل ؛ قال : يا ابتاه : أبتل المرء<sup>(٣)</sup> أباه ! فأتى على [١٧٩] القوم كلهم / ، فأجابوه جواب<sup>(٤)</sup> الأول ؛ حتى انتهى إلى عُيَيْنَة فقال : يا ابتاه ، ألبس لك فيما تأمرني به راحة ، ولي بذلك طاعة ؛ وهو هواك ؟ قال : بلى ، قال : فمرني كيف أصنع ، قال : قم فخذ سيفي فضعه حيث أمرك<sup>(٥)</sup> ، ولا تمجّل ، فقام فأخذ سيفه ، ووضع على قلبه ، ثم قال : يا ابتاه ، كيف أصنع ؟ قال : ألق السيف ؛ إنما أردت أن أعلم : أيكم أمضى لما أمر به ؛ فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدى ، فقال القوم : إنه<sup>(٦)</sup> سيقول فيما كان بيتاً ، فاحضروه<sup>(٧)</sup> فلما أمسى قال :

١٥      وَلَوْ أَعْيَنَ مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ      وَاسْتَيْقَنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ  
إِذَا هَلَكْتُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ      عِزَّ الْحَيَاةِ بِمَا قَدَّمْتُ قُدَامِي  
وَاسْتَوْسِقُوا لِتِلْكَ فِيهَا مَرُوءُكُمْ      قَوْدَ الْجِيَادِ ، وَضَرَبَ الْقَوْمَ فِي الْهَامِ<sup>(٧)</sup>

(١) ش : « عمر بن خالد » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كرز » .

(٣) ش : « الرجل » . (٤) ف : « بجواب الأول » . حاشية الأصل ( من نسخة ) : -

« الجواب الأول » . (٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « كما أمرت به » .

(٦-٦) م : « إنه سيقول في ذلك شيئاً فيما بيننا ، فاحضروه » . (٧) استوسقوا : انضموا واجتمعوا ،

وفي حاشية الأصل : « نصب » قود الجياد ، على تقدير فعل مضمّر ؛ كأنه قال : أعني قود الجياد .



وَالْقُرْبَ مِنْ قَوْمِكُمْ - وَالْقُرْبَ يُنْفَعُكُمْ -  
 وَلِيَّ حُدَيْفَةُ إِذْ وَلَّى وَخَلَفَنِي  
 لَا أَرْفَعُ الطَّرْفَ ذُلًّا عِنْدَ مُهْلَكَةٍ  
 حَتَّى اعْتَقَدْتُ لِوَأَقَوْمِي فَقُمْتُ بِهِ  
 لِمَا قَضَى مَا قَضَى مِنْ حَقِّ زَائِرِهِ  
 أَسْمُو لِمَا كَانَتْ الْآبَاءُ تَطْلُبُهُ  
 وَالذَّهْرُ آخِرُهُ شَبَهُ لَأَوَّلِهِ  
 فَابْنُوا وَلَا تَهْدِمُوا فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ  
 وَالْبُعْدَ إِنْ بَاعَدُوا ، وَالرَّيَّ لِلرَّأْيِ  
 يَوْمَ الْهَبَاةِ يَتِيًّا وَسَطًا أَيْتَامَ  
 أَلْقَى الْمَدْوَّ بِوَجْهِ خَذُّهُ دَائِي  
 ثُمَّ ارْتَحَلْتُ إِلَى الْجَفْنَى بِالشَّامِ  
 عُجْتُ الْمَطَى إِلَى النُّعْمَانِ مِنْ عَامِي ٥  
 عِنْدَ الْمُلُوكِ فَطَرَفِي عِنْدَهُمْ سَامِي  
 قَوْمٌ كَقَوْمٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ  
 مِنْ بَيْنِ بَانٍ إِلَى الْعَلِيَا وَهَدَّامِ

قال : ثم أصبح ودعا بني بدر ، فقال : لو أئى ورياستى لعمينة ؛ واسمعوا منى ما أوصيكم به :

- ١٠ لَا يَتَكَلَّ آخِرَكُمْ عَلَى أُولَكُمْ ؛ فَإِنَّمَا يَدْرِكُ الْآخِرُ<sup>(١)</sup> مَا دُرِكَ الْأَوَّلُ ؛ وَأَنْكِحُوا الْكَفَّ<sup>(٢)</sup> .  
 الْغَرِيبَ ؛ فَإِنَّهُ عَزُّ حَادِثٌ ؛ وَإِذَا حَضَرَ كَمْ أَمْرَانِ نَفَخُوا بِخَيْرِ هَامِصَدْرَا ؛ فَإِنْ كُلُّ مُورِدٍ مَعْرُوفٌ ؛ وَاصْبَحُوا  
 قَوْمَكُمْ بِأَجْلِ أَخْلَاقِكُمْ ؛ وَلَا تَخَالَفُوا فِي مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ الْخِلَافُ يُزِرُّ بِالرَّئِيسِ الْمَطَاعِ ؛  
 وَإِذَا حَارَبْتُمْ فَأَوْقِعُوا ثُمَّ قُولُوا صَدَقَا ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ ، وَصُونُوا الْخِيُولَ ، فَإِنَّهَا حِصُونُ  
 الرِّجَالِ ؛ وَأَطِيبُوا الرِّمَاحَ ؛ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَيْلِ ؛ وَأَعِزُّوا<sup>(٣)</sup> الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ؛ فَإِنِّي بِذَلِكَ كُنْتُ  
 أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَفْزُوا إِلَّا بِالْعَمِيونَ ؛ وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْمِنُوا الصَّبَاحَ ؛ وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ ١٥  
 الْمَالِ ، وَأَعْجَلُوا الضَّيْفَ بِالْقَرَى ؛ فَإِنْ خَيْرُهُ أَعْجَلُهُ ، وَاتَّقُوا فَضَحَاتِ الْبَنَى ، وَفَلَتَاتِ الْمِزَاحِ ، وَلَا  
 تَجْتَرِّثُوا عَلَى الْمُلُوكِ ؛ فَإِنْ أَيْدِيَهُمْ أَطُولَ مِنْ أَيْدِيكُمْ ؛ وَاقْتُلُوا كُرُزَ بْنَ عَامِرٍ .

ومات حصن فأخذ عيينة الرياسة ، وقال :

أَطَعْتُ أَبَا عُمَيْيَةَ فِي هَوَاهُ فَلَمْ تَخْلُجْ صَرِيمَتِي الظَّنُونُ<sup>(٤)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « الأخير » . (٢) ف ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) :

« الكنى » . (٣) س : « واغزو » . (٤) الصريمة : العزيمة والرأى . وفي حاشية

الأصل : « يقال : اختلجته الظنون وتخالجته وخلجته ، أى ظن ، والشاعر يقول : لم تأخذنى الظنون مأخذها إلى طعنه ، ولم أظن ظنا » .

وَقَدْ عَرَضَ الرَّئِيسُ عَلَى بَنِيهِ فَقَالَ الْقَوْمُ : هَذَا لَا يَكُونُ  
سَتَحْيَا أَوْ تَمُوتُ ، فطاولوه<sup>(١)</sup> وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونُ  
فَلَمْ أَقْتُلْ بِمَحْمَدٍ اللَّهِ حِصْنًا وَكُلُّ فِتْيَ سُدْرِكُهُ الْمَنُونُ  
وَلَمْ أُنْكُلْ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا هَوْنَتْهُ يَوْمًا يَهُونُ  
فَإِنْ يَكُ بَدْءُ هَذَا الْأَمْرِ غَنًّا فَأَخْرَجُهُ بَنِي بَدْرِ سَمِينُ ٥

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حُدَيْفَةُ، وإنما أصابته اللقوة<sup>(٢)</sup>  
فحظت عينه ؛ وزال فكُّه ، فسمى لذلك عُيَيْنَةَ ؛ وإذا عظمت عين الإنسان لقبوه أبا عينته،  
وأبا عَيْنَاء .

وروى قيس بن أبي حازم أن عُيَيْنَةَ بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله  
١٠ فقال : « هذا أحمق مطاع » .

وروى أيضاً أنه كان يدلع<sup>(٣)</sup> لسانه للحسين بن عليّ عليهما السلام وهو صبيّ، فبرى  
[الصبيّ]<sup>(٤)</sup> لسانه، فبهش له، فقال له عيينة : ألا أراك<sup>(٥)</sup> تصنع هذا بهذا، فوالله إنه ليكون  
لى الابن رجلاً قد خرج وجهه، ما قبلته قطّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنه  
مَنْ لَمْ يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ<sup>(٦)</sup> » .

\*\*\*

١٥ ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فمما يختار من شعره قوله من  
قصيدة أولها :

صَحًّا بَعْدَ جَهْلٍ فَاسْتَرَا حَتَّ عَوَاذِلُهُ وَأَقْصَرْنَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ  
/ وَمَنْ مُدًّا فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ مَنِيَّتُهُ ، فَالشَّيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ [١٨٠]

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) :

\* سَيَحْيَا أَوْ يَمُوتُ فطاولوه \*

(٢) اللقوة : داء في الوجه يعوج منه الشدق . (٣) يقال دلع لسانه وأدله إذا أخرجه .

(٤) تسكلمة من ش . (٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « لا أراك » .

(٦-٦) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « مَنْ لَمْ يَرْحَمْ لَا يَرْحَمْ » .

يقول في المديح فيها :

هُوَ الْمَرْءُ ؛ أَمَادِينُهُ فَهُوَ مَانِعٌ  
أَمَرٌ وَأَحْلَى مَا بَلَى النَّاسُ طَعْمَهُ  
أَبَى لَمَّا يَأْبَى ذَوُو الْحَزَمِ وَالتَّقَى  
تَرُوكُ الْهُوَى ، لَا السَّخَطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا  
يَرَى أَنَّ مُرَّ الْحَقِّ أَحْلَى مَغْبَةً  
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مَنْ هُوَ مُطْلِقٌ  
وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي

صُتُونُ<sup>(١)</sup> ، وَأَمَّا مَالُهُ فَهُوَ بَاذِلُهُ  
عِقَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ  
فَعُولٌ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعِلُهُ  
لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
وَأُنْجَى وَلَوْ كَانَتْ زُعَافًا مَنَاهِلُهُ  
وَإِنَّ قَتِيلَ اللَّهِ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ  
تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ

أما قوله :

وَمَنْ مُدَّةً فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ  
فَمَاخُذُ مَنْ قَوْلِ طَرِيحِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّقَفِيِّ :  
وَالشَّيْبُ غَايَةُ مَنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ  
لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مَنْ يَجْزَعُ  
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :  
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا  
وَالْمَوْتُ كَأْسٌ ، وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا<sup>(٣)</sup>  
وَيُشَبِّهُ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :

قُلْ لِعِرْسِي لَيْسَ شَيْبِي بِعَجَبٍ  
مَنْ يَعْشُ يَا أُمَّ عَمَّارٍ يَشِبُ  
وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ يَعْشُ يَهْرَمُ ، وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتُ  
وَالْمَنَايَا لَا تُبَالِي مَنْ أَنْتَ<sup>(٤)</sup>

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مصون » . (٢) حاشية الأصل : « أي لا يحمد السخط ولا الرضا إلا على الحق » .

(٣) عبطة : أي شابا صحيحا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان ( في عبط ) ، واستشهد بالبيت . وفي

نسخة ش : « فالمرء ذائقها » . (٤) ديوانه : ٣٩ .

يشبهه قول البحترى :

ولا بُدَّ من تركِ إحدى اثنتينِ / ويقاربه أيضا قوله :  
فإمّا الشبابُ وإمّا العمرُ<sup>(١)</sup>

[١٨١]  
و

والشَّيبُ مَهْرَبُ مَنْ جَارَى مَنِيَّتَهُ / ولا نَجَاءَ لَهُ منْ ذَلِكَ الْمَهْرَبِ<sup>(٢)</sup>  
وقريب منه قول ابن المعتز :

وقالتِ كِبَرَتِ وانتُضيت من الصِّبَا / فقلتُ لها: ماعِشتُ إلَّا لأَ كَبَرًا<sup>(٣)</sup>  
ولبعضهم :

ولا بُدَّ منْ مَوْتٍ ؛ فإمّا شَبِيهٌ / وإمّا مَشِيْبٌ ، والشَّيْبَةُ أَصْلَحُ  
معنى قوله : « والشَّيْبَةُ أَصْلَحُ » أنَّ الإنسان إذا مات شابًّا كان أكثرَ للحزن عليه  
١٠ والأسف على مفارقتة ، فإذا أَسْنَّ بِرَمَ به أهله ، وهان عليهم فقدُّه .

فأما قوله :

هُوَ الْمَرْءُ ، أَمَّا دِينُهُ فَهُوَ مَانِعٌ / صُئُونٌ ، وَأَمَّا مَالُهُ فَهُوَ بَاذِلٌ  
فمعناه متكرر في الشعر كثير جداً .

وأحسن شعر جمع بين وصف المدوح ؛ بمنع ما يجب منعه ، وبذل ما يجب بذله قول  
١٥ مسلم بن الوليد :

يَذَكِّرُنِيكَ الْجُودُ وَالْبُخْلُ وَالنَّهْيُ / وَقَوْلُ الْخَنَاءِ وَالْحِلْمِ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ<sup>(٤)</sup>  
فَأَلْقَاكَ عَنْ مَذْمُومِهَا مُتَنَزِّهَا / وَأَلْقَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ  
وَأَحْمَدُ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْبَخْلُ إِنَّهُ / بِمِرْضِكَ لَا بِالْمَالِ حَاشَا لَكَ - الْبَخْلُ

(٢) ديوانه ١ : ٣٠

(١) ديوانه ١ : ٢١٩

(٣) ديوانه ١ : ٣١ ، وانتضيت من الصبا ، أى خلع عنك صباك .

وقد أحسن البحترى في قوله :

بَلُونَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى      فَمَا إِزْ وَجَدْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيْبَا<sup>(١)</sup>  
تَنْقَلُ فِي سَلَفِي<sup>(٢)</sup> سُوْدُودٍ      سَمَاحًا مُرَجِي وَبَاسًا مَهِيَا  
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا      وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَثِيْبَا

فأما قوله :

تَرُوكُ الْهَوَى، لَا السَّخْطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا      لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

فمعنى متداول<sup>(٣)</sup> مطروق في الشعر ، وقد كرّره هو في قوله :

إِذَا هُنَّ الْأُمَيْنَ الرَّحَالَ بِيَايِهِ      حَطَطْنَ بِهِ ثُقُلًا، وَأَدَرَ كُنَّ مَغْنَمًا<sup>(٤)</sup>  
/ إِلَى طَاهِرِ الْأَخْلَاقِ، مَا نَالَ فِي رِضَا      وَلَا غَضَبٍ مَالًا حَرَامًا وَلَا دِمَا<sup>(٥)</sup>

[١٨١]  
ظ

١٠

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك :

ثَبَّتُ الْخَطَابَ إِذَا اصْطَلَكْتَ بِمَظْلَمَةٍ      فِي رَحْلِهِ أَلْسُنُ الْأَقْوَامِ وَالرُّكْبُ<sup>(٦)</sup>  
لَا الْمَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزُكُو فِي مَقَاوِمِهِ      يَوْمًا، وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ  
كَأَنَّمَا هُوَ فِي نَادَى قَبِيلَتِهِ      لَا الْقَلْبُ يَهْفُو وَلَا الْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ  
وَتَحْتَ ذَاكَ قَضَاءُ حَزْ شَفَرَتِهِ      كَمَا يَعْصُ بَظْهِرِ الْغَارِبِ الْقَتَبُ<sup>(٧)</sup>  
لَا سَوْرَةٌ تُتَقَى مِنْهُ وَلَا بَلَةٌ      وَلَا يُخَافُ<sup>(٨)</sup> رِضَا مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

١٥

(١) ديوانه ١ : ٥١ ، من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان وزير المتوكل وبعاتبه، ومطلعها :

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانَا خَضِيْبَا      وَلِحَظَا يَشُوْقُ الْفُؤَادَ الطَّرُوْبَا

ومن نسخة بحاشية الأصل : « فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيْبَا » . (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) :

« خَلَقِي سُوْدُودٍ » ؛ وهى رواية الديوان . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فَبِذُولِ » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وَأَدْرَيْنَ مَغْنَمًا » ،

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « طَاهِرُ الْأَنْوَابِ » . (٦) ديوانه : ٤٨-٤٩ . وفى م :

« ثَبَّتَ الْجَنَانَ » . (٧) الغارب : السكاهل . القتب : ما يوضع على ظهر الرحل .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وَلَا يَخِيفُ » .

ومثله قول البحترى فى ابن الزيات أيضا :

وَجَّهَ الْحَقَّ بَيْنَ أَخْذٍ وَإِعْطَا  
وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ قَرِيبٌ  
لَا يَمِيلُ الْهَوَىٰ بِهِ حِينَ يَمْضَىٰ  
وَسَوَاءٌ لَدَيْهِ أَبْنَاءُ إِبْرَا  
مُسْتَرِيحُ الْأَحْشَاءِ مِنْ كُلِّ ضِغْنٍ  
وَقَصْدٌ فِي الْجَمْعِ وَالتَّبْدِيدِ<sup>(١)</sup>  
عِنْدَهُ ، وَالْبَعِيدُ غَيْرُ بَعِيدٍ  
أَمْرَ بَيْنَ الْمَقْلَىٰ وَالْمُودِدِ  
هِيمَ فِي حُكْمِهِ وَأَبْنَاءُ هُودِ<sup>(٢)</sup>  
بَارِدُ الصَّدْرِ مِنْ غَلِيلِ الْحُقُودِ  
فَأَمَّا قَوْلُهُ :

\* وَإِنْ قَتَلَ اللَّهُ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ \*

فيشبهه أن يكون مأخوذا من قول يزيد بن مفرغ فى عبيد الله بن زياد :

إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَرًا بِدَمِّهِ وَمَاتَ عَبْدًا قَتَلَ اللَّهُ بِالزَّابِ<sup>(٣)</sup> ١٠  
أَمَّا قَوْلُهُ :

وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مِفَاصِلُهُ

فيشبهه قول أبى تمام يصف القلم ، من قصيدة يمدح بها ابن الزيات ، وأجمع العلماء أن هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَفَاصِلِ<sup>(٤)</sup> ١٥  
[١٨٢] / لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّائِي لَوْ لَا نَجِيهَا لَمَا احْتَفَلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ

(١) ديوانه ١ : ٢٠٥ .

(٢) أبناء إبراهيم : العدنانيون ، وأبناء هود : الفحطانيون .

(٣) الزاب : موضع قرب من أذربيجان ؛ وقتيل الزاب هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه ؛ قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد ؛ ويقال : إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتبه فانهزموا ، واتى عبيد الله فضر به فقتله ؛ والبيت فى الأغاني ١٧ : ٦٨ ، وبعده :

الْعَبْدُ لِلْعَبْدِ ، لَا أَصْلَ وَلَا طَرْفَ أَلُوتُ بِهِ ذَاتُ أَظْفَارٍ وَأَنْيَابِ

(٤) ديوانه : ٢٥٧ . الشبابة هنا : حد القلم ، والسكى : جمع كلية أو كلوة .

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ  
 لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنَّ وَقْعَهَا  
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ،  
 إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأُفْرِغَتْ  
 أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا ، وَتَقَوَّضَتْ  
 إِذَا اسْتَغْزَرَ الدَّهْنَ الذِّكْيَّ وَأَقْبَلَتْ  
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصَرَانِ وَسَدَّدَتْ<sup>(٤)</sup>  
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ  
 وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ<sup>(١)</sup>  
 بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ  
 عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ<sup>(٣)</sup>  
 لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ ٥  
 أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ  
 ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ  
 ضَعْنِي ، وَصَمِينَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ

(١) الأرى : العسل . اشتارته : استخرجته . عواسل : جمع عاسلة ؛ والاماسل : مستخرج العسل .

(٢) الطل في الأصل : المطر القليل . والوابل : المطر الكثير .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « جعل القلم ممطيا الأنامل ؛ لأنهن يحملنه وإن علونه ؛ ولو جعل القلم مطية للأنامل لأنها تعلوه لجاز وحسن . وقوله : « أفرغت عليه شعاب الفكر » دلالة قوية على أن للفكر مطية ؛ وبعد فهو منقول من قول أحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة : « الأفلام مطايا الفطن » .

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « شددت » .

## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ. إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ [التكوير: ٢٦-٢٩]. فقال: ما تأويل هذه الآية؟ أوليس ظاهرها يقتضي أننا لا نشاء شيئاً إلا والله تعالى شاء له، ولم يخص إيماناً من كفر، ولا طاعةً من معصية؟

الجواب، قلنا: الوجه المذكور في هذه الآية، أن الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة؛ لأنه تعالى قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾؟ ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي لا تشاءون الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها؛ ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات؛ وإنما أنكرنا إرادته المعاصي؛ وليس لهم أن يقولوا: تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها؛ ولا يمنع من عمومها؛ كما أن السبب ١٠ لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه؛ وذلك أن الذي ذكره إنما يجب فيم يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لا ذكر للمراد فيه؛ فهو غير مستقل [١٨٢] بنفسه؛ وإذا علق بما تقدم من / ذكر الاستقامة استقل؛ على أنه لو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه - وليس لها ذلك - لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة؛ على أن الله تعالى لا يريد المعاصي ١٥ ولا القبائح؛ على أن مخالفتها في هذه المسألة لا يمكنهم حمل الآية على العموم؛ لأن العباد قد يشاءون عندهم ما لا يشاؤه الله تعالى؛ بأن يريدوا الشيء ويعزموا عليه، فلا يقع لمنع أو غيره؛ وكذلك قد يريد النبي عليه السلام من الكفار الإيمان، وتعبدنا بأن نريد من المقدم على القبيح تركه؛ وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك إذا كان المعلوم أنه لا يقع؛ فلا بد لهم



من تخصيص الآية؛ فإذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة؛ وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾؛ [الزمل: ١٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، [المدثر: ٥٦]، في تعلق الكلام بما قبله.

فإن قالوا: فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم<sup>(١)</sup> من وجه آخر؛ وهو أنه عز وجل قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ وذلك يقتضي أنه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها؛ لأن «أن» الخفيفة إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال؛ وهذا يوجب أنه يشاء أفعال العباد في كل حال، ويُبطل ما تذهبون إليه من أنه إنما يريد الطاعات في حال الأمر.

قلنا: ليس في ظاهر الآية ألاّ نشاء إلاّ ماشاء الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم؛ ١٠ وإنما يقتضي حصول مشيئته لما نشأه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر؛ ويجري ذلك مجرى قول القائل: ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو؛ ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولها في حال واحدة؛ بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو، ويتلوه دخول زيد، و«أن» الخفيفة وإن كانت للاستقبال على ما ذكرناه، فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها؛ لأن تقدير الكلام: وما تشاءون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى، ومشيئته ١٥ تعالى قد كانت لها حال الاستقبال<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي إلى أنه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال؛ وإن كان قد أرادها في حال الأمر؛ كما يصح أن يأمر بها أمرا بعد أمر؛ قال: / لأنه قد يصح أن يتعلّق بإرادته ذلك منا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة؛ ويعلم [١٨٣] و تعالى أننا نكون متى علمنا ذلك كنا إلى فعل الطاعات أقرب، وعلى هذا المذهب لا يمترض بما ذكرناه.

(١) حاشية ف (من نسخة): «مذاهبكم». (٢) حاشية ف (من نسخة): «حال استقبال».

والجواب الأول واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبي عليّ في هذا الباب ؛ على أن اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم ؛ لأن الكلام إذا اقتضى حدوث الشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم : إنه يريد لنفسه ، أو يريد بإرادة قديمة ، وصحّ مانقوله من إن إرادته متجددة محدثة .

ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم ؛ من غير أن نخصها بماتقدم ذكره من الاستقامة ؛ ويكون المعنى : وماتشاءون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئته ، وإقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها ؛ وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار إلى الله تعالى ؛ وأنه لا قدرة للعبد على ما لم يُقدِّره الله تعالى عزّ وجلّ ، وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه ؛ لأن ما تعلق به الشيئة في الآية محذوف غير مذكور ؛ وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ بالأفعال دون تعلقه بالقدرة ؛ لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور ، وكل هذا واضح بحمد الله .

\*\*\*

ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار قوله من قصيدة أولها :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ ، خَفِيَ خَيَالُهَا  
بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالُهَا

يقول فيها : ١٥

مَالَتْ (١) بِقَلْبِكَ فَاسْتَعَادَ وَمِثْلُهَا  
وَكَاثِمًا طَرَقَتْ بِنَفْحَةٍ رَوْضَةٍ  
بَاتَتْ تُسَائِلُ فِي الْمَنَامِ مُعَرِّسًا (٢)  
فِي فِتْيَةٍ هَجَعُوا غِرَارًا بَعْدَمَا  
قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَّا لَهَا  
سَحَّتْ بِهَا دَيْمُ الرَّبِيعِ ظِلَالُهَا  
بِالْمَيْدِ أَشْعَتْ لَا يَمَلُّ سَوَالُهَا  
سَمِعُوا مُرَاعِشَةَ الشَّرَى وَمِطَالُهَا

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ملكت » .

(٢) التعريس : الذول في آخر الليل .

فَكَأَنَّ حَشَوَ ثِيَابِهِمْ هِنْدِيَّةً نَحَلَتْ وَأَغْفَلَتِ الْعِيُونَ صِقَالَهَا

[١٨٣]  
ظ

/ المراجعة<sup>(١)</sup> : تحريك الرأس في السَّير من النوم .

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف ؛ فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ؛ ولا لفظ مستعذب ؛ وقد قال الناس في الطَّيْف والخيال فأكثرُوا ، وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى ؛ كلُّ الناس فيه عيال عليه ، وهو قوله :

أَتَى سُرْبَتٍ وَكُنْتُ غَيْرَ سُرُوبٍ !      وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ<sup>(٢)</sup>  
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تَوَيْتَنَهُ      فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مُحْسُوبٍ  
كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا      فَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْدُوبٍ

وقد أحسن جرير في قوله :

١٠      أَنْتَسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمَى      بَفَرَعٍ بِشَامَةٍ سُقَى الْبَشَامُ<sup>(٣)</sup>  
بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّنِيهِ<sup>(٤)</sup> عَزِيزٌ      عَلَيَّ ، وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامٌ  
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحُ لَا أَرَاهُ      وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب ، فلم تخل من لفظ مستعذب .

ولأبي عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ؛ فإنه تغفل في

(١) حاشية الأصل : « في نسخة الشجري : قال السيد المرتضى رضى الله عنه : المراجعة في الأصل :

تحريك الرأس في السير من النوم » وفيها أيضا : « الرعش : المشى الضعيف ، من الإعياء وغيره » .

(٢) ديوانه : ٥ ، وحامسة ابن الشجري ١٨٩ ، والآلى : ٥٢٤ . وانظر ص ٣٩٣ من هذا الجزء .

(٣) ديوانه : ٥١٢ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات . والبشامة : واحدة البشام ؛ وهو شجر

ذو أفنان وورق صغير ؛ إذا قصفت غصونه سال منها سائل أبيض كاللبن ؛ يتخذ منه سواك ؛ يريد أنها

أشارت بسواكها تودعه ؛ ولم تنسكلم مخافة الرقاء . (٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « تجنبه »

وهي رواية الديوان . ولما : قليل .

أوصافه، واهتدى من معانيه إلى مالا يوجد لغيره، وكان مشغولا بتكرار القول فيه لهجاً بدياً وإعادته؛ وإن كان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يحفل فضلها، ومحاسن لا يُبلغ شأوها؛ فما لأبي تمام قوله:

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا، لَا بَلْ أَزَارَ كَهْ      فِكْرُهُ إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنْمِ<sup>(١)</sup>  
ظَبْيٌ تَقَنَّصَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ      مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَ مِنَ الْحُلُمِ  
نَمَّ اغْتَدَى، وَبْنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ      بَاقٍ، وَإِنْ كَانَ مَشْغُولاً<sup>(٢)</sup> مِنَ السَّقَمِ

وقوله:

عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمٍ      لَمَّةَ بَيْنِ الْحِمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِ<sup>(٣)</sup>  
ثُمَّ مَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّكَ      كَبَالَفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ

وقوله:

اللَّيَالَى أَحْفَى بَقَلْبِي إِذَا مَا      جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَامِ  
/ يَا لَهَا لَذَّةٌ تَنَزَّهَتْ الْأَرْ      وَاحٌ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ  
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ      غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ

فأما البحتريّ فقولُه في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه هاهنا؛ غير أنا نشير إلى

١٥ نادره، فمن ذلك قوله:

فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفُ خَيَالُهَا      بِنَا تَحْتَ جُوشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعُ<sup>(٤)</sup>  
أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ فَسَاحَتْ      بَوَصَلَ مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الْجَدِّ تَمْنَعُ  
وَمَا بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى      وَأَعْجَلَهَا دَاعِيَ الصَّبَاحِ الْمَلَمَعُ  
فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَهَا      أَوَانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَأَضْلَعِي<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه : ٢٦٨ . (٢) د؛ ومن نسخة بمحاشيني الأصل ، ف : « معسولا ؛ أى وإن

كان ذلك السقم حلوا كالعمل » . (٣) المطالي : موضع .

(٤) ديوانه : ٢ : ٧٨ . وفي حاشية الأصل : « الجُوشُوش : الصدر ؛ وكذلك الجوش والجوشن .

أسفع : أسود » . (٥) حاشية الأصل : « الخُلج : الجذب ؛ يقول : كأن البين يخلجها من حشاي

وأضلى » .

وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرْقَةٍ  
أَرَانِي لَا أَنْفَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ  
أَسْرُ بِقُرْبٍ مِنْ مُلَمٍّ مُسْلَمٍ  
فَكَأَنَّ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ  
وَقَوْلُهُ :

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بُودِّهَا  
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا  
فَكَمْ غُلَّةٌ لِلشَّوْقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا  
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفْنَ عَيْنِي تَمَلُّقًا  
وَقَوْلُهُ :

بَلَى وَخَيَالٍ مِنْ أَثِيلَةٍ كَلَّمَا  
إِذَا زُورَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى  
تَرَى مُقَلَّتِي مَالًا تَرَى فِي لِقَائِهِ  
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بَاطِلٍ  
وَقَوْلُهُ :

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ  
إِذَا انْتَزَعَتْهُ مِنْ يَدِي اتِّبَاهَةً  
وَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا وَلَا مِثْلَ شَانِنَا  
وَقَوْلُهُ :

فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ  
يُجِلُّ لَنَا جُدُوكَ وَهِيَ حَرَامٌ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه : ٢ : ١٢٢ . (٢) ديوانه ٢ : ٨٧ ؛ وفيه : « وخيال من فتيلة » .

(٣) ديوانه ١ : ١٧٤ . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤٩ .

إِذَا مَا تَبَاذَلْنَا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا      مِنْ الْجَدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ <sup>(١)</sup>  
وقوله :

وَلَيْكَةَ هَوَمْنَا عَلَى الْعِيسِ أَرْسَلْتُ      بِطَيْفٍ خَيَالٍ يُشَبِّهُهُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ <sup>(٢)</sup>  
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّثِي      بِعِطْفَى غَزَالٍ بَتُّ وَهْنًا أَغَازِلُهُ  
وقوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ      حَبِيبٌ جَاءَ يُهْدِي مِنْ حَبِيبِ <sup>(٣)</sup>  
تَخْطِي رِقَبَةَ الْوَاشِينَ كُرْهَا <sup>(٤)</sup>      وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْخَرْقِ الْمَجُوبِ  
يُكَاذِبُنِي وَأَصْدُقُهُ وَدَادًا      وَمِنْ كَافٍ مُصَادَقَةُ الْكَذُوبِ  
وقوله :

مَا تُقْضَى أُبَانُهُ عِنْدَ لُبْنَى      وَالْمَعْنَى بِالْفَانِيَاتِ مُعْنَى <sup>(٥)</sup>  
هَجَرَتْنَا يَقْطِي وَكَادَتْ عَلَى مَذْ      هَبْهَا <sup>(٦)</sup> فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى  
بَعْدَ لَا أَيْ وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْهَا      طَائِفٌ عَرَّجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهْنَا

قال المرتضى رضى الله عنه : ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى مع ميله إلى  
البحترى وأخطأه في شعبه، واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم أن البحترى  
١٥ أخطأ في قوله :

هَجَرَتْنَا يَقْطِي وَكَادَتْ عَلَى مَذْ      هَبْهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى  
قال: "لأن <sup>(٧)</sup> خيالها يتمثل له في كل أحوالها ؛ يقضى كانت أو وسنى". قال: "ولكن  
الجيد في هذا المعنى قوله :

(١) حاشية الأصل : « في نسخة س : قرأت في ديوانه على شيعى : « خلطنا » ، بضم التاء .

(٢) ديوانه ٢ : ١٦٢ . (٣) ديوانه ١ : ٨٤ .

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « وهنا » ؛ وهى رواية الديوان .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٩٠ . (٦) في الديوان : « عادت » :

(٧) الموازنة بين أبى تمام والبحترى : ١٨٨ .

أَرَدْتُ دَوْنَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانَا

قال : ”والذى أوقع البحتريّ في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم :

[١٨٥] / مَا تَمْنَعِي يَتَمَظَى فَقَدْ تَوُتِنِنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ

وكان الأجود أن يقول : مَا تَمْنَعِي فِي الْيَقْظَةِ فَقَدْ تَوُتِنِنَهُ فِي النَّوْمِ ، أَيْ مَا تَمْنَعِينِي فِي يَقْظَتِي

فقد تَوُتِنِنَهُ فِي حَالِ نَوْمِي ؛ حَتَّى يَكُونَ النَّوْمُ وَالْيَقْظَةُ مُنْسُوبِينَ إِلَيْهِ ؛ لِأَنِّ خِيَالَ الْمَحْبُوبِ يَتَمَثَّلُ ٥  
فِي حَالِ نَوْمِهِ وَيَتَمَثَّلُهُ جَمِيعاً ، قَالَ : إِلَّا أَنَّهُ يَتَّسِعُ مِنَ التَّأْوِيلِ فِي هَذَا لَقَيْسٍ مَا لَا يَتَّسِعُ لِلْبَحْتَرِيِّ  
لِأَنِّ قَيْسًا قَالَ : « فَقَدْ تَوُتِنِنَهُ فِي النَّوْمِ » وَلَمْ يَقُلْ نَائِمَةً ؛ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ :  
مَا تَمْنَعِي يَقْظِي وَأَنَا يَقْظَانُ ؛ فَقَدْ تَوُتِنِنَهُ فِي النَّوْمِ ، أَيْ فِي نَوْمِي ؛ وَلَا يَسُوعُ مِثْلَ هَذَا فِي بَيْتِ  
الْبَحْتَرِيِّ لِأَنَّهُ قَالَ : « وَسَنِي » وَلَمْ يَقُلْ فِي الْوَسَنِ .

١٠ قَالَ سَيِّدُنَا آدَامُ اللَّهُ عَلَوُّهُ : وَقَدْ يُمْكِنُ مِنَ التَّأْوِيلِ لِلْبَحْتَرِيِّ مَا أُمْكِنُ مِثْلُهُ لَقَيْسٍ ؛ لَكِنَّ  
الْأَمْدِيَّ قَدْ ذَهَبَ عَنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنِّ الْبَحْتَرِيَّ لَمَّا قَالَ : « وَسَنِي » دَلَّ عَلَى حَالِ الْوَسَنِ ؛ وَالْحَالُ  
الْمَعْهُودَةُ لِلْوَسَنِ حَالٌ يَشْتَرِكُ النَّاسُ فِيهَا فِي النَّوْمِ بِالْعَادَةِ ، كَمَا أَنَّ الْحَالِ الْمَعْهُودَةَ لِلْيَقْظَةِ حَالٌ  
مَشْتَرَكٌ بِالْعَادَةِ ؛ فَقَوْلُهُ : « وَسَنِي » يُنْبِئُ عَنْ كَوْنِهِ هُوَ أَيْضاً نَائِماً ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمَقَابَلَةَ فِي زِينَةِ  
الْأَلْفَظِ بَيْنَ يَتَمَظَى وَوَسَنِي .

١٥ وَقَوْلُهُ : « يَقْظِي » مَتَى لَمْ يُحْمَلْ أَيْضاً عَلَى هَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَصِحَّ ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ :  
هَجَرْتَنَا فِي أَحْوَالِ الْيَقْظَةِ ؛ وَيَكُونُ مَعْنَى « يَتَمَظَى » يَتَمَدَّى إِلَيْهِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَمْدِيَّ كَحَمَلِ  
قَوْلِ قَيْسٍ : « يَقْظِي » عَلَى مَعْنَى : « وَأَنَا يَقْظَانُ » وَإِنْ لَمْ يَبَيِّنِ الْوَجْهَ ! ؛ فَكَيْفَ ذَهَبَ عَلَيْهِ  
مِثْلُ ذَلِكَ فِي قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ !

وقوله : « وسنى » و« يقظى » مثل قول قيس : « يقظى » ، ولو مكن قيساً وزن الشعر من أن

يقول ؛ « وسنى » في مقابلة : « يقظى » لقاله وما عدل عنه إلى النوم ؛ لأنه لم يكن عليه في « وسنى »  
إلا ما عليه في « يقظى » ، وما يُتَأَوَّلُ لَهُ فِي أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ يُتَأَوَّلُ لَهُ فِي الْآخَرِ .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ولى فى الخيال وطروقه معننى ما علمت أنه سبق إليه ، من

جملة قصيدة :

وَزَوْرٍ تَخَطَّى جُنُوبَ الْمَلَا      فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِذَا الزَّائِرِ  
أَنَايْ هُدُوءًا وَعَيْنُ الرَّقِيعِ      بِمَطَرُوفَةٍ بِالْكَرَى الْعَامِرِ  
فَأَعْجَبَ بِهِ يُسْعِفُ الْمَاجِمِينَ      وَتُخْرِمُهُ مُقْلَةُ السَّاهِرِ  
/ وَعَهْدِي بِتَمُوءِهِ عَيْنِ الْحَبِّ      نَيْمٌ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ  
فَلَمَّا التَّقِينَا بَرَغَمَ الرُّفَا      دِمُوءَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

٥

[١٨٥]  
ط

ومعنى البيت الآخر أن الأحلام إنما هى اعتقادات تحسّل فى القلب لاحقيقة لأكثرها؛

لأن الإنسان يمتد أنه راء لما لا يراه على الحقيقة ، ومدرك لما ليس بمدركه على الحقيقة ؛

١٠ فالقلب يخيّل فى النوم للعين مالا حقيقة له ؛ كما أن العين تخيّل فى كثير من الأحوال للقلب

مالا حقيقة له .

فأما قول مروان :

\* فكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضَةٍ \* . . البيت

فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن حرّى<sup>(١)</sup> :

طَرَقَتْ أَسْيَاءُ الرَّحَالِ وَدُونَهَا      ثُنْيَانٍ مِنْ كَيْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَقَاوِزُ وَصَلَ الْفَلَاةَ جُنُوبَهَا      بِجُنُوبٍ أُخْرَى ، غَيْرَ أَنْ لَمْ تُعْقَدِ

١٥

(١) حاشية الأصل : « منسوب إلى الحرة ؛ موضع فيه حجارة سود » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الثنى : واحد أثناء الشئ أى تضاعفه ، وثنى الوادى والجبل :

منعطفه » . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « بينان » ؛ وهو مثنى بين ؛ والبين : القطعة من الأرض على مد البصر . ومن نسخة أيضا :

\* نَقْيَانٍ مِنْ رَمْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ \*

وفى حاشيتى الأصل ، ف : « يقال : ولد المولود لتمام ، وقر تمام [ بفتح التاء وكسرهما ] ، وليل

التمام ، بالكسر لاغير ؛ وهى أطول ليلة فى السنة » .



رَمَلٌ إِذَا أُبْدِيَ الرَّكَّابُ قَطَعَنَهُ      قَرَعَتْ مَنَاسِمُهَا بِقَفٍّ قَرْدَدٍ<sup>(١)</sup>  
وَكَأَنَّ رِيحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ      وَذَكَى جَادِيَّ بِنَصْعٍ مُجْسَدٍ<sup>(٢)</sup>  
وَنَدَى خُزَامَى الْجَوِّ، جَوْ سُوَيْقَةٍ      طَرَقَ الْخَيَالُ بِهِ بُعِيدَ الْمَرْقَدِ<sup>(٣)</sup>

أو من قول الآخر :

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ      بِمَنَى وَنَحْنُ مُعَرَّسُونَ هُجُودُ<sup>(٤)</sup>  
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِرِيًّا رَوْضَةً      أَنْفٌ يُسَخِّسُحُ مُزْنُهَا وَيَجُودُ<sup>(٥)</sup>  
وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً.

فأما قوله :

\* باتت تسائل في المنام معرّساً \*

البيت، والبيتان اللذان بعده؛ فقد قال الناس في وصف قلة النوم، ومواصلة السرى، والإدلاج،<sup>١٠</sup>  
وشعث السارين فأكثرُوا، فمن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد :  
وَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى      عَاطِفِ النَّمْرِقِ صَدَقِ الْمُبْتَذَلِ<sup>(٦)</sup>

(١) الركاب : الإبل ؛ والمناسم : جمع منسم كجلس : خف البعير . والقف : ما ارتفع من الأرض  
وغلظ . والقردد : الغليظ المرتفع . (٢) اللطيمة : الهير التي تحمل الطيب والمسك . والجادي :  
الزعفران . والنصع : الثوب الأبيض . والمجسد : المصبوغ بالزعفران .  
(٣) الخزامى : نبت طيب الريح . وجو سويقة : موضع بالصمان .  
(٤) يقال : عرس القوم بالمسكان وأعرسوا ؛ إذا نزلوا في آخر الليل للاستراحة .  
(٥) روضة أنف : لم ترع . ويسخسح : يسيل . والجود : المطر الغزير .

(٦) ديوانه ٢: ١٣ . المجود : الذي يجهد من العناء ؛ كذا ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت .  
وفي حاشية الأصل : « المجود الذي سقى الجود ؛ وهو المطر ؛ والمعنى هنا على التشبيه ؛ كأن النوم جاده ؛  
أي مطره . والصبايات : جمع صباية ؛ وهي البقية . والثرقة ، مثلثة : الطنفسة فوق الرجل . وصدق  
المبتذل : جلد قوى لا يتغير عند ابتذله نفسه ولا يسقط ؛ والمبتذل : مصدر بمعنى الابتذال ؛ وهو ضد الصيانة . »

[١٨٦] / قَالَ هَجَدْنَا فَقَدْ طَالَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفْلًا<sup>(١)</sup>  
 قَلَمًا عَرَّسَ حَتَّى هِجَّتْهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ<sup>(٢)</sup>  
 يَلْمَسُ الْأَخْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ<sup>(٣)</sup>  
 يَتَمَارَى فِي الذِّى قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلًا<sup>(٤)</sup>

ومن ذلك قول ذى الرمة :

وَلَيْلٍ كَأَنَّاءَ الرُّؤْيَى جُبَّتُهُ بَارَبَعَةً، وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ<sup>(٥)</sup>  
 - والرُّؤْيَى ، هو الطيلسان . وقد روى أيضاً : « كجلباب العروس ادرَعَتْهُ » ؛ وكل ذلك وَصَفَ لَهُ بالسواد ؛ لأن الطيلسان أسود ، وجلباب العروس أخضر ، والعرب تجمع بين الخضرة والسواد -

١٠ أَحْمُ عِلَافٍ ، وَأَبْيَضُ صَارِمٍ ، وَأَعْيَسُ مَهْرِيٍّ ، وَأَشَعْتُ مَا جَدُّ<sup>(٦)</sup>

(١) هَجَدْنَا : من التهجد ؛ وهو هنا بمعنى النوم ؛ أى دعنا ننام . والسرى : سير عامة الليل وقد رنا ، أى وقد رنا على ورود الماء ، أو قد رنا على التهجد ، أو على السير . وخنى الدهر : آفته وفساده ؛ أى إن غفل عنا فساد الدهر فلم يعفنا . (٢) قلما ؛ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل ؛ وتجملها بمنزلة ما النافية فى الأغلب ؛ وهنا لإثبات الغلة . والتعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة ؛ وهجته : أيقظته من النوم ، وهاج يهيج : يحى لازماً ومتعدياً . وبالتباشير ، أى بظهورها . والتباشير : أوائل الصبح ، جمع تبشير . وأُأَوَّلُ : صفة التبشير ؛ وهو جمع أولى مؤنث الأول .

(٣) يلمس الأخلاس ؛ يطلبها ، والأخلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله . وقوله : « كاليهودى المصل » ؛ قال فى حاشية الأصل : « شبهه باليهودى لأنه يسجد على شق وجهه ، وأصل ذلك أنهم لما نثق الجبل فوقهم قيل لهم : إما أن تسجدوا وإما أن يلقى عليكم ، فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل ؛ فصار عندهم سنة إلى اليوم » . وكذا جاء فى شرح الطوسى .

(٤) التمارى : المجادلة . وحيهل : اسم فعل بمعنى أسرع وهجل ؛ وهذه الأبيات أوردتها صاحب الحزانة ( ٢ : ٢٨ ) تفاعن الفرر .

(٥) ديوانه : ١٢٩ . أى لاتفاوت الشخص والألوان فيه لظلمته .

(٦) يقول : جبت الليل بأربعة ؛ ثم فسر الأربعة فقال : أحمر أسود ؛ ويعنى به الرجل ، وعلافٍ : منسوب إلى علاف ؛ وهو رجل من قضاة . والأبيض الصارم : السيف الفاطم . والأعيس : الأبيض ، يعنى بعيره . والماجد : الكثير المفاخر ؛ وفى حاشية الأصل : « الإبل المهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، =

- أُخُو شُقَّةٍ جَابَ الْفَلَاةَ بِنَفْسِهِ  
وَأَشَعَتْ مِثْلَ السَّيْفِ قِدْلَاحَ جِسْمِهِ  
سَقَاهُ الْكَرَى كَأْسَ النَّعَاسِ فَرَأْسُهُ  
أَقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الْمِطْيِ فَمَا دَرَى  
تَرَى النَّاشِيَّ الْغَرِيدَ يُضْحِي كَأَنَّهُ  
ومن ذلك قول أبي حية النميري :
- وَأَغْيَدَ مِنْ طُولِ السُّرَى بَرَّحَتْ بِهِ  
سَرَيْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَمَزَّقَتْ  
أَنْخَنَا فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ فِي دِمَاعِهِ  
فَمَا قَامَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدٍ تُقِيمُهُ  
خَطَا الْكُرَّةَ مَغْلُوبًا كَأَنَّ لِسَانَهُ  
وَوَدَّ بَوْسَطَى الْخَمْسِ مِنْهُ لَوَانَنَا
- على المَوَلِ حَتَّى طَوَّحَتْهُ الْمَطَارِدُ<sup>(١)</sup>  
وَجِيفُ الْمَهَارَى وَالْهُمُومُ الْأَبَاعِدُ<sup>(٢)</sup>  
لَدِينِ الْكَرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ  
أَجَائِرَةٍ أَغْنَاهَا أُمُّ قَوَاصِدُ!  
على الرَّحْلِ مِمَّا مِنْهُ السَّيْرُ عَاصِدُ<sup>(٣)</sup> ٥
- أَفَانِينَ نَهَاضٍ عَلَى الْأَبْنِ مِرْجَمِ<sup>(٤)</sup>  
تَوَالِي الدُّجَى عَنْ وَاصِحِ اللَّوْنِ مُعَلَمَ  
وَعَيْنِيهِ كَأْسُ النَّوْمِ قُلْتُ لَهُ: قُمْ  
كَمَا عَطَفْتُ رِيحُ الصَّبَا خُوطَ سَاسَمِ<sup>(٥)</sup> ١٠  
لِمَا رَدَّ مِنْ رَجْعِ لِسَانِ الْمُبْلَسَمِ  
رَحَلْنَا وَقُلْنَا فِي الْمُنَاحِ لَهُ: نَهْمِ<sup>(٦)</sup>

= والجمع المهارى، ثم تخفف فيقال: مهاري، ونفتح الراء فيقال: مهاري، تشبها بصحاري وعذارى، وأصله صحاري وعذارى، ففهم من يحذف الياء فيقول صحاري [بالكسر]، ومنهم من يحذف الأولى ويجعل الثانية ألفا فيقول صحاري [بالتفتح] لتسلم الألف من الحذف عند التنوين، ومن يحذف الثانية يقول: صحار كجوار .

(١) جاب الفلاة: قطعها . وطوحته: أبعده . وفي الديوان: « لوحته » . وفي حاشية الأصل: « المطارد: المواضع التي يطرد فيها . ويجوز أن يكون جمع مطرد » . وفي الديوان: « المطاود » .

وفي شرحه: « المطاود: الذهاب في الأسفار » . (٢) أشعت، بمعنى صاحبه، يشبهه بالسيف في ضموره ودقته؛ والجيف: نوع من السير .

(٣) الناشي: الشاب . والغريد: ذو الصوت الحسن . وفي حاشية الأصل: « العاصد من الإبل: الذي يلوى عنقه إلى حاركه عند الموت . والعصد: إلى » .

(٤) المرجم: الرجل الشديد، كأنه يرمى به معاديه .

(٥) الساسم: نوع من الشجر؛ قيل هو الآبنوس . (٦) بوسطى الخمس: أى بدل قطع الوسطى؛ وفي حاشية الأصل: « يروى: « يجدع الأنف » ، ويروى: « بقطع الخمس » .

## مَجْلِسِ آخِر

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

[١٨٦] ط إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ؛ [هود : ٢٠] .

فقال: أى معنى الاختصاص «الأرض» بالذكر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يُعْجِزونه، ولا يخرجون عن قبضته على كل حالٍ ، وفى كل مكان ؟ ولم نفى الأولياء عنهم ، وقد نجد أهل الكفر يقولون بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره ؟ وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار ، وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه ؟

الجواب ، قلنا : أمّا الوجه فى اختصاص الذكر بالأرض ، فلأنّ عادة العرب جارية بقولهم للمتوعدّ : لا مهرب لك منى ، ولا وِزَرَ ، ولا نفق ، والوزير : الجبل ، والنفق : السّرْب ، وكلّ ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلب ، فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ، ومانع من عذابه ؛ وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم ؛ كما أنها تحجز عن كثير من أفعال البشر ؛ لأنّ معاقل الأرض هى التى يهرب إليها البشر من المكاره ؛ ويلجئون إلى الاعتصام بها عند المخاوف ؛ فإذا نفى تعالى أن يكون لهم فى الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .

١٥ فأما قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ فمعناه أنه لاولى لهم ، ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم فى الآخرة ؛ ولا مما يريد أيضا إيقاعه بهم فى الدنيا ، وإن كان لهم من يحميهم من مكرهه البشر وينصرونهم ممن أرادهم بسوء ؛ وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر ، وإن كان مخرجه مخرج الخبر ؛ ويكون التقدير : وليس لهم أن يتخذوا أولياء

من دون الله، بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ، ولا يعوّلوا على غيره .  
فأما قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ففيه وجوه:

أحدها أن يكون المعنى : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون ؛  
وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون ؛ عِناداً للحق ، وذهاباً عن سبيله ؛ فأسقط الباء ٥  
من الكلام، وذلك جائز كما جاز في قولهم : لأجزيتك بما عملت ، ولأجزيتك ما عملت ؛ ولأحدثتك  
بما عملت ، ولأحدثتك ما عملت ؛ وكما قال الشاعر :

نُعَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نَيْثًا      وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقَدِيرُ<sup>(١)</sup>  
فأراد : نغالي باللحم .

والوجه الثاني أنهم لاستمعة لهم استماع آيات الله تعالى ، وكراهيتهم<sup>(٢)</sup> تذكرها وتفهمها ١٠  
جروا تجرى من لا يستطيع السمع ، كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة  
عداوته إلى فلان ، وما يقدر على أن يكلمه ؛ وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستتقال  
لاستماع الحجج والبيّنات : ما تستطيع أن تسمع الحق ؛ وما تطيق أن يُذكَرَكَ ؛ وكما قال  
الأعشى :

وَدَّعْ هَرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ      وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ<sup>(٣)</sup> ! ١٥  
ونحن نعلم أنه قادرٌ على الدواع ؛ وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستتقال .  
ومعنى : ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أى أن إبصارهم لم يكن نافعا لهم ؛ ولا مُجْدِيًا عليهم ؛ مع  
الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها ؛ فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي  
عنهم الإبصار نفسه ؛ كما يقال للمعرض عن الحق ، العادل عن تأمله : مالك لا تبصر ، ولا تسمع ؛  
ولا تعقل ؟ وما أشبه ذلك .

(١) البيت في اللسان ( غلا ) : قال في شرحه : « نغالي اللحم ، نشتره غالبا ، ثم نبذله ونطعمه فإذا

نضج في قدورنا » . والفدير : ما يطبخ من اللحم بتوالي . (٣) ديوانه : ٤١ .

والوجه الثالث <sup>(١)</sup> أن يكون معنى نفى السمع والبصر <sup>(٢)</sup> راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم؛ وتقدير الكلام : أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب؛ ثم قال مخبراً عن الآلهة : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ، وهذا الوجه يُروى <sup>(٣)</sup> عن ابن عباس رحمة الله عليه ، وفيه أدنى بعد .

ويمكن في الآية وجه رابع ، وهو أن يكون مافى قوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ليست للنفي ؛ بل تجرى مجرى قولهم : لأواصلنك ملاح نجم؛ ولأقيمَنَّ على مودتك ما طلعت شمس ؛ ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ؛ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ؛ أى أنهم معذبون ما كانوا أحياء .

فإن قيل : كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار ؛ وقد يكون حياً ١٠ من لا يكون كذلك ؟

[١٨٧] قلنا : للعرب في مثل هذا / عادة ؛ لأنهم يقولون : والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني، ومشت قدحى ؛ وهم ، يريدون : ما بقيت وحييت ؛ لأن الأغلب من أحوال الحى أن تنظر عينه ، وتمشى قدمه ؛ فجعلوا الأغلب كالواجب ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

وما أنس من شئ تقادم عهده      فلست بناس ما هدت قدحى نعلنى  
عشية قالت والدُّمُوعُ تُمِينُهَا : <sup>(٣)</sup>      هَنِيتاً لِقَلْبٍ عَنْكَ لَمْ يُسَلِّهِ مُسَلِّى <sup>(٤)</sup> ١٥

وإنما أراد : أتى لا أنسى ذلك ما حييت ؛ وكذلك لا يمتنع أن يعلق على هذا المذهب دوامُ العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والإبصار؛ ويعودُ المعنى إلى تعلُّقه ببقائهم، وبكونهم أحياء ؛ والمرجع في ذلك إلى التأييد ؛ لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وإحيائهم وعلمنا أن الآخرة لا موت فيها، ولا خروج عن الحياة ، علمنا تأييد العذاب .

\*\*\*

(١-١) حاشية ف ( من نسخة ) : « أن يكون نفى السمع والبصر » .

(٢) م : « مروى » . (٣) د ، ف : « بعينها » .

(٤) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مسل » .

ونعود إلى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار له من القصيدة التي مضى أولها وتكلمنا عليها :

وَضَعُوا الْخُدُودَ لَدَى سَوَاهِمِ جُنَحٍ      تَشْكُو كُلوْمَ صِفَاحِهَا وَكَلَالِهَا  
 طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ      بَعْدَ السَّرَى بَعْدُوهَا آصَالَهَا  
 نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ      تَطْوِي الْفَلَاةَ حُزُونَهَا وَرِمَالَهَا (١) ٥  
 يَتَّبِعُنَ نَاجِيَةً يَهْزُ مِرَاحُهَا      بَعْدَ النَّجُولِ تَلِيلَهَا وَقَدَالَهَا (٢)  
 هُوَ جَاءَ تَدَرُّعُ الرُّبَا وَتَشَقُّهَا      شَقَّ الشَّمُوسِ إِذَا تُرَاعُ جِلَالُهَا (٣)  
 تَنْجُو إِذَا رُفِعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ      خَرَجَاهُ بَادَرَتْ الظَّلَامَ رِثَالَهَا (٤)  
 كَالْقَوْسِ سَاهِمَةً أَتَتْكَ وَقَدْ تُرَى      كَالْبُرْجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَجِبَالَهَا

هذه الأبيات في وصف الرواحل بالسرعة والنَّجُولِ، جيِّدة الألفاظ، مطرّدة النسيج، ١٠

وقد سبق الناسُ في هذا المعنى إلى ضروب من الإحسان ؛ فمن ذلك قول الأخطل :

يُحْوِصُ كَأَعْطَالِ الْقِسِيِّ تَقَلَّقَلْتُ      أَجْنَتْهُ مِنْ شَقَّةٍ وَدُءٍ وَبِ (٥)

(١) نزعت : اشتاقت . صواديا : عطاشا . تقاذفت : تسارعت . (٢) التلبلل : العنق .

(٣) الشموس : الفجور .

(٤) الخرج ، بالتحريك : لوان ؛ سوادوياس ؛ يقال : نامة خرجاء وظليم أخرج والريال : جمع

رأل ؛ وهو ولد النعام ، وبادرت الظلام رثالها ؛ أى بدرت الظلام إلى رثالها .

(٥) ديوانه ١٧٩-١٨٠ وفي حاشية الأصل : « هذه الأبيات من قصيدة يمدح الأخطل فيها

عياد بن زياد بن أبيه : أولها :

خَلِيلِي قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَإِنِّي      وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ غَيْرَ قَرِيبِ

— يعني عمير بن الحباب ورهطه — :

وَأُسْفَهْتُ إِذْ مَنَيْتُ نَفْسِي ابْنَ وَاسِعِ      مُنَى ذَهَبْتُ لَمْ تَسْقِنِي بَدْنُوبِ

فَإِنْ تَنْزِلَا بِابْنِ الْحَلَّاقِ تَنْزِلَا      بَدْنَى عَذْرَةٍ يَبْدَا كَمَا بَلْغُوبِ

— الحلاق : عبد العزيز بن حنم —

لِهَا اللَّهُ أَرْمَاكَ بِدِجْلَةٍ لَا تَقَى      أَذَاةَ أَمْرِي عَضْبِ اللِّسَانِ شَعُوبِ

/إِذَا مُعْجَلٌ غَادَرَتْهُ عِنْدَ مَبْرَكٍ<sup>(١)</sup> أُنِيجَ لِجَوَابِ الْفَلَاةِ كَسُوبِ

— المعجل : الملقى من الأجنة لغير تمام، وجواب الفلاة : الذئب —

وَهُنَّ بَنَّا عُوجٌ كَانَ عِيُونَهَا      بَقَايَا قِلَاتٍ قَلَصَتْ لِنُضُوبِ<sup>(٢)</sup>  
مَسَانِفٌ يَطْوِيهَا مَعَ الْقَيْظِ وَالسَّرَى      تَكَالَيْفُ طَلَّاعِ النَّجَادِ رَكُوبِ<sup>(٣)</sup>  
قَدِيمٌ تَرَى الْأَصْوَاءَ فِيهِ كَانَتْهَا      رَجَالٌ قِيَامٌ عُصَبُوا بِسُبُوبِ<sup>(٤)</sup>  
يَعْمَنُ بَنَّا عَوْمَ السَّفِينِ إِذَا انْجَلَتْ      سَحَابَةٌ وَضَّاحِ السَّرَابِ جَنُوبِ<sup>(٥)</sup>

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحُلِنَا      خُلِقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظِلْمَانِ<sup>(٦)</sup>  
كَأَنَّ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا      إِفْلَاتٌ صَادِرَةٌ عَنْ قَوْسِ حُسْبَانِ<sup>(٧)</sup>

وقال بشار : ١٠

وَإِذَا الْمَطِيُّ سَبَّحَنَ فِي أَعْطَافِهِ      فَاتَ الْمَطِيُّ بِكَاهِلٍ وَتَلِيلِ<sup>(٨)</sup>

= إِذَا نَحْنُ وَدَّعْنَا بِلَادًا هُمْ بِهَا      فَبَعْدًا لِحِرَّاتِهَا وَشُهُوبِ !  
نَسِيرُ إِلَى مَنْ لَا يُغِبُّ نَوَالَهُ      وَلَا مُسْلِمٌ أَعْرَاضَهُ لِسُبُوبِ

بمخوص . . .

أعطال : جمع عطل ؛ وهو الفوس الذي لا وتر له . ونقلت أجنحتها : تحركت في بطونها من سرعة السير .

(١) في الديوان : « منزل » . (٢) بنا ، أى بحملنا ؛ أو حمل أعياننا . والعوج : جمع أعوج

وعوجاء . والفلات : جمع قلت ؛ وهو النقرة في الجبل : والتقليب : الاتزواء ، والنضوب : غثور الماء .

(٣) المسانيف هنا : الإبل المقدمات والنجاد : جمع نجد ؛ وهو المرتفع من الأرض . والركوب .

المذلل . (٤) قديم ؛ أى طريق قديم . والأصواء : الأعلام . والسبوب : جمع سب ؛ وهو الثوب

الأيض الرقيق ؛ وقيل هو العمامة . (٥) ف : « تعوم » . « خبوب » . وهى رواية الديوان .

(٦) ديوانه : ١٠٣ . والتهادى : المشى الضعيف يتسكى صاحبه على اثنين يميناً وشمالاً . والظلمان :

جمع ظلم ؛ وهو الذكر من النعام . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « خلق من الزنج » .

(٧) إفلاتها ؛ أى سرعتها . صادرة ، أى إفلات سهام صادرة . والحسان : سهام يرمى بها الرجل

في جوف قصبة ، ينزع في القوس ثم يرمى بعشرين منها فلا تمر بشيء إلا عقرته ؛ والواحد حسبانه .

(٨) حاشية الأصل ( من نسخة ) « سنجن » أى ظهرن . وأعطافه : جوانبه . وفات : سبق ؛

والتليل : العنق ؛ يقول : « إذا بدا يسير مع المطايا جاوزهن بكاهل وعنق » .



فَكَأَنَّهٗ وَالنَّاعِجَاتُ<sup>(١)</sup> يُرْدُّنَهُ قَدْخُ تَطَلَّعَ مِنْ قِدَاحٍ مُجْبِلٍ

ولبعض الحارثيين :

نَهَشَ الْهَجَارُ وَالظَّهَارُ لَحْمَهَا      حَتَّى تَحْدَدَ لَحْمَهَا الْمُتَضَارُ<sup>(٢)</sup>  
حَرْفٌ تُنَاهِبُهَا النَّجَاءُ قَلَائِصُ      مِمَّا تَنْخَلُ<sup>(٣)</sup> شَدَقَمٌ أَوْ دَاعِرُ<sup>(٤)</sup>  
صُبْرٌ إِذَا عَطَفَتْ سَوَالِفَهَا الْبُرَى      سَمِعَتْ لَهُنَّ كَشَاكِشٌ وَجَرَا جِرُ<sup>(٥)</sup>  
وَيُخَلِّنَ مِنْ عِزِّ النَّفُوسِ وَجَدَّهَا<sup>(٦)</sup>      جِنًّا ، وَهُنَّ إِذَا اخْتَبِرْنَ أَبَاعِرُ  
أَمَّا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فَكَأَنَّهَا      ذُعُرٌ تَهَادَتْهَا الْفَلَاةُ نَوَافِرُ<sup>(٧)</sup>  
أَمَّا إِذَا مَا أَعْرَضَتْ فَكَأَنَّهَا      كُدْرُ تَوَرَّدَنَّ الْمَطَافُ صَوَادِرُ<sup>(٨)</sup>  
أَمَّا إِذَا مَا أُبْرِكَتْ فَكَأَنَّهَا      صُرُخٌ مُشِيدَةٌ وَهَنَّ ضَوَاوِرُ<sup>(٩)</sup>

\*\*\*

/وإني لأستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة<sup>(١٠)</sup> :  
ط [ ١٨٨ ]

(١) الناعجات هنا : الخفاف من الإبل ؛ ومنه قوله :

\* والناعجات المسرعات للنجا \*

(٢) اللحم المتضارب : المتراكم المكتنز ، وفي حاشية الأصل ( من نسخة ) : « المتضار » . ومن نسخة  
أخرى « المتضار » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « منجل » .  
(٤) الحرف : الناقة الضامر : الصلبة . وتنَاهِبُهَا : تباريها في الجري . والنَجَاءُ : السير السريع .  
والقَلَائِصُ : جمع قَلُوس ؛ وهي الفتية من الإبل . وشَدَقَمٌ ودَاعِرُ : اسمان لفحلين منجيين من فحول الإبل ،  
تنسب إليهما الإبل الشدقيات والإبل الداعرية . (٥) السوَالِفُ : جمع سَالِفَةٌ ؛ وهي أعلى العنق ، والبرى :  
جمع برة ، وهي الحلقة في الزمام . والكَشَاكِشُ والجَرَا جِرُ : أصوات تخرج من جوف الإبل .  
(٦) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « وحدها » . (٧) ذُعُرٌ ؛ أي وحش مذعورة ؛ ويجوز  
أن يريد بلذعر النعام ؛ وهي توصف بذلك . (٨) الكُدْرُ : قضا ألوانها كلون الرماد . والنطاف :  
جمع نطفة ؛ وهي الماء القليل . (٩) في حاشيتي الأصل ، ف : « صرح : جمع صرح ؛ وهو القصر ،  
وأصله صروح فقصره ؛ وقد قيل في أسد ، جمع أسد أنه أسود ، فقصر ثم خفف بتسكين السين » .  
(١٠) الأبيات من قصيدة في المفضليات ٧٩-٩١ ، ومختارات ابن الشجري ١٤-١٦ ، وأبيات منها  
في حماسه ٢٠٥-٢٠٦ ، ومجموعة المعاني ٥٢ ، وأبيات منها أيضا في الأغاني ١١ : ٨٧ ، ونسبها العقيل بن علفة .

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أَرُقَّتْ      وَقَدْ جُرْنَ ثُمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلَ (١)  
 يَدَا سَابِحٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ      وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)  
 إِذَا أَقْبَلَتْ قَلْتَ مَشْحُونَةً      أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قَلَمًا جَفُولًا (٣)  
 وَإِنْ أَدْبَرْتَ قَلْتَ مَذْعُورَةً      مِنَ الرُّبْدِ تَتَّبِعُ هَيْقًا ذُمُولًا (٤)

و معنى قوله :

\* وقد جرن ثم اهتدين السبيلًا \*

يعنى المطايا ؛ يقول : كن نشيطاتٍ يمرحن فلا يلزمن لقم (٥) الطريق ؛ بل يأخذن عيمًا  
 وشمالًا ؛ فلما عضن الكلال استقمن على المحجة ، فكأنه وصف ناقتة ببقاء النشاط مع كلال  
 المطى ؛ وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة .

ومثله قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا      يَدَا سَابِحٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَذَرَعُ (٦)  
 ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَلَّةٍ      بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْدَّرَا (٧)  
 مُمَجَّدَةُ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ ضَرَّةٍ      عَلَيْهَا كَلَامًا جَارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا

(١) أرقلت : أسرعت . وجرن : عدان عن محجة الطريق .

(٢) الغمرة : الماء الكثير ؛ ورواية ابن الشجرى :

يَدَا عَائِمٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ      فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَلِيلًا

(٣) المشحونة : المملوءة ، وهو من وصف السفينة . والجفول : الذى تستخفه الريح ثم تحركه .

(٤) الربد : جمع ربداء ؛ وهى فى السوداء المنقطة بحمرة ؛ من وصف النعام . والهبق : ذكر النعام

والذمول : وصف لسير الظليم ، ورواية المفضل :

إِذَا أَقْبَلْتَ قَلْتَ مَذْعُورَةً      مِنَ الرُّمْدِ تَلْحَقُ هَيْقًا ذُمُولًا

(٥) لقم الطريق معظمه ؛ وقال الليث : لقم الطريق منفرجه ، تقول : عليك بلقم الطريق فالزمه .

(٦) يقال : ذرع السابح ، إذا حرك يديه للسبح . (٧) من قصيدة طويلة فى ديوانه :

٢٦-٣٤ ، وأولها :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا دَارِسًا قَدْ تَعِيرَا      بِذُرْوَةِ أَقْوَى بَعْدَ لَبْلَى وَأَقْفَرَا

شبه ذراعها وهي تقذرع في مشيها<sup>(١)</sup> بذراعى امرأة مُدلة على أهلها ببراءة ساحتها ، وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجر فيه ؛ أى أخش ، فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذرو وتحلف وتنصح عن نفسها .

وقد قيل إن معنى قوله : « مُدلة » أنها ندل بحسن ذراعيها ، فهي تدمن إظهارها لترى<sup>(٢)</sup> حسنهما .

وقوله : « بُعِدَ السَّبَاب » أى فى عقيب المسابة قامت تعتذر إلى الناس ؛ وقوم يروونه « بعيد السباب » ؛ ومعنى هذه الرواية أنها نصف من النساء ، فهي أقوم بحجتها من الحدة الغرة ؛ ويشهد لهذه الرواية الأخيرة قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَقْلَقُ ضَفْرُهَا      يَدَا نَصَفٍ غَيْرَى تَعْذَرُ مِنْ جُرْمِ<sup>(٣)</sup>  
و / قوله : « حِينَ يَقْلَقُ ضَفْرُهَا » فيه سرٌّ وفائدة ؛ لأن الضفر هو الأنساع<sup>(٤)</sup> ؛ [١٨٩]  
و إنما تقلق إذا جهدها السير فضمرت ، فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ؛  
ومثله :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَذِيَّةٍ      مَفْجَعَةٌ لَاقَتْ ضَرَائِرَ عَنْ عُفْرِ<sup>(٥)</sup>  
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَمَعَلَتْ فِي كَلَامِهَا      فَلَا شَيْءَ يَفْرِى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِى<sup>(٦)</sup>

ويقاربه قول الآخر :

أَلَا هَلْ تُبْلِغْنِيهِمْ عَلَى اللَّأَوَاءِ وَالظَّنَّةِ  
وَأَوَّاحِصَى الْمَعَزَا      ۞ فِي أَخْفَافِهَا رَنَّةٌ<sup>(٧)</sup>  
إِذَا مَا عَسَفَتْ قُلَّتْ      سَحَابَةٌ فَاضَحَتْ كَنَّةٌ<sup>(٨)</sup>

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فى سيرها » . (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) :  
« ابرى حسنهما » بالبناء للمجهول . (٣) النصف : المرأة التى ذهب نصف عمرها ، ويقال للرجل أيضا .  
(٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو السير المضفور يحمل زماما للبعير وغيره .  
(٥) عن عفر ، أى بعد حين . وفى حاشيتي الأصل ، ف : ويروى « عن عفر » . أى بعد كونها عاقرا .  
(٦) يفرى ، أى يأتى بالعجب . (٧) الوآة : النجبية من الإبل . والمعزاء : المسكان  
الصلب الكثير الحصى : (٨) الحماة : أم الزوجة . والكنة : امرأة الولد :

وممن شبه سرعة أيدي الإبل بأيدي النوايح كعب بن زهير فقال<sup>(١)</sup> :

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ      وَقَدْ تَلَفَّحَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلْتُ      أُرْقُ الْجَنَادِبَ يَرْكُضْنَ الْحَصَى: قِيلُوا<sup>(٣)</sup>  
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ      قَامَتْ لِحَاوِبِهَا نُكْدٌ مَئَاكِيلُ<sup>(٤)</sup>  
نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبَمَيْنِ لَيْسَ لَهَا      لَمَّا نَعَى بَكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ<sup>(٥)</sup>

المساقيل : أوائل السراب ؛ ولا واحد لها من لفظها . وأخبر أن ناقته في شدة الحر واتقاد الظهيرة تمرح في سيرها وتتذرع ببديها ؛ وشبه ذراعها بذراعى امرأة نصف تنوح على ابنها ، وقد نعى إليها ؛ فهي تشير ببديها وتوالى تحريكهما . والعيطل : الطويلة العنق ، وجعلها نصفاً لأنها قد كادت تئأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه ، والقور : جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل ؛ وأراد أن يقول : كما تلفعت القور بالمساقيل ، فلم يمكنه فقلب .

(١) ديوانه : ١٦-١٨ ، من قصيدته المشهورة : « بانت سعاد » .

(٢) رواية الديوان : « وقد عرقت » . وأوب : رجع . وتلفح : تلحف ، وفي حاشية الأصل :

« قريب منه قول المار الفقهسي يصف ناقته :

كَأَنَّ أَوْبُ يَدَيْهَا إِلَى حَيْرُومِهَا فَوْقَ حَصَى الْجَدِّ جَدٍ  
نَوْحُ ابْنَةِ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكٍ تَنْدِبُهُ رَافِعَةُ الْمِجْلَدِ

— الجدد : الأرض الصلبة . ابنة الجون : نواحة معروفة . والمجلد : قطعة جلد تضرب بها الماتحة على صدرها . (٣) حاشية ف (من نسخة) : « ورق » ، والورق والأرق : جمع أورق ؛ وهو الأخضر المائل إلى السواد . أو ما كان على لون الرماد وقيلوا ؛ من الفائلة .

(٤) شد النهار : ارتفاع النهار ؛ وهو ظرف ، أى وقت ارتفاع النهار . والعيطل : الطويلة ، ونكد : قليلات الأولاد . والنصف ، هي التي قامت تنوح ، شبه يدي ناقته يدي هذه المرأة . والنكد : جمع نكداء ، وهي التي لا يصيبها خير . (٥) نواحة ، بمعنى هذه النصف ، وقوله : « رخوة الضبمين » يريد أنها شديدة الحركة والاندفاع . والضبعان هما المضدان ، والواحد ضبع . وبكرها : أول ولدها . والمعقول : العقل ، يقال : مالمعان معقول ، وماله مجلود .

ومثله :

وَكأنَّمَا رَفَعَتْ يَدَى نَوَّاحَةٍ شَمِطَاءَ قَامَتْ غَيْرَ ذَاتِ خِمَارِ

[١٨٩]  
ط

/ وإنما خص الشَّمِطَاءَ لما ذكرناه من اليأس من الولد، كما قال عمرو بن كلثوم :

وَلَا شَمِطَاءَ لَمْ يَتْرِكْ شَقَّاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينًا<sup>(١)</sup>

وقد قيل في بيت عمرو : بل شبه الناقةَ بشمطاء، لما على رأسها من اللغام<sup>(٢)</sup> .

ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ ! هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا أَمْرِي مُجْمَعُ !

وَتَحْتَ رَحْلِي زَفْيَانٌ مَيْلَعُ كأنَّهَا نَائِمَةٌ تَفْجَعُ

تَبْكِي لِمَيِّتٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجَعُ

— الزَفْيَانُ : الناقة الخفيفة ، والمَيْلَعُ : السريمة ؛ وشبه رجع يديها في السير لنشاطها ١٠

بيدي نائمة تنوح لقوم على ميئتهم بأجرة ، فهي تزيد في الإشارة بيديها ليرى مكانها .

ومثله بعينه قول ذى الرمة :

بِجَانِيقٍ تُضْحِي وَهِيَ عَوْجُ كأنَّهَا بِجَوْزِ الْفَلَا مُسْتَأْجَرَاتُ نَوَاحٍ<sup>(٣)</sup>

(١) من المعلقة : ٢١٥ — بشرح التبريزي ؛ وقوله :

فَمَا وَجَدْتُ كَوْجِدِي أَمْ سَقَبِ أَضَلَّتْهُ فَرَجَعَتْ الْحَنِينَا

والسقب : ولد الناقة الذكر .

(٢) اللغام : الزبد الذي يعلو شفاه الإبل إذا احتاجت

(٣) ديوانه : ١٠٤ . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة ، كأنها عجفت فاعوج ظهرها .

وقبل هذا البيت :

وَمَسِيرِي وَأَعْرَاءِ الْمَتَانِ كأنَّهَا إِضَاءُ أَحْسَتْ نَفَحَ رِيحٍ ضَحَاضِحُ

عَلَى حِمِيرِيَّاتٍ كَأَنَّ عَيُونَهَا ذِمَامُ الرِّكَايَا أَنْكَرَتْهَا الْمَوَاحُ

— الأعراء : الخالية من النبات . والمتان : ما ارتفع من الأرض . والإضاء : جمع أضاء ، وهو الغدير .

والضحاضح : قليلة الماء . والحميريات : إبل منسوبة إلى حمير . وركية ذمة : قليلة الماء . ونكرت الركبة :

قل ماؤها ، وأنكرتها أنا .

المجانيق : التي ضَمَرْنَ بعد سَمَن ؛ وخصَّ المستأجرات من النوائح للمعنى الذى ذكرناه .

وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى :

كَأَنَّ أُوبَ يَدِيهَا حِينَ أَعْجَلَهَا      أُوبُ الْمَرَّاحِ وَقَدْ نَادَوْا بِرَّحَالِ  
مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَكْنُوسَةٍ زَلَقٍ      فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ النَّيْرِ بْنِ مَغْوَالِ

— معنى : « أُوبُ ذراعُها » أى رَجَمَها - وأوبُ المَرَّاحِ ، إذا أراح القوم عازبَ

أموالهم ليرحلوا ، وقدروى : « أُوبُ المَرَّاحِ » بالكسر ؛ ومعناه رجوع المَرَّاحِ والنشاط . والمَقْطُ :

اللعب بالكرة . والكُرَيْنِ : جمع كرة . والمنكوسة : الأرض البرَّاحِ التى لا شىء فيها .

والزَّلَقُ : المستوية من الأرض . والحنانة : الريح . والنيران : جانباً هذه الأرض . ومغوال ،

١٠ قيل : إنه من صفات الريح ؛ وقيل : من صفات الأرض ؛ وإن كان من صفات الريح فمعناه

أنَّ الريح تَغُولُ الأرض بأسرها ؛ أى تملؤها ، وإذا كان للأرض فالمعنى أنها تَغُولُ من

[١٩٠] سَلَكَهَا أى تُهْلِكُها ؛ وتلخيص معنى البيت أنه شبه يدي ناقته بيدي ضاربٍ / بكُرةٍ فى

أرض واسعة فى يوم ريح عاصف ؛ وهذا من دقيق المعانى وحسن التشبيه والمبالغة .

ومثل بيتى الشماخ قول المسيَّب بن عَلس<sup>(١)</sup> :

مَرِيحَتْ يَدَاها لِلنَّجَاءِ كَأَنَّمَا      تَكْرُوْ بِكَفِّى مَاقِطٍ فى قَاعِ<sup>(٢)</sup>  
فَعَلَ السَّرِيْعَةَ بِأَدْرَتْ جُدَادَهَا      قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : قال س : « وجدت بخط القاضى أبى عبد الله محمد بن سلامة القضاى :

رحم الله : « علس » بفتح العين مضبوطاً كأنه يجعله فعلاً ماضياً ، والعلس : حب كالعدس .

(٢) من قصيدة فى المفضليات ٦٠-٦٣ ( طبعة المعارف ) أولها :

أرحلت من سلمى بغير متاعٍ      قبل العطاس ورعتها بوداعٍ

والمقاط : الضارب ، ورواية المفضليات :

\* تَكْرُوْ بِكَفِّى لَاعِبٍ فى صَاعِ \*

معنى: «تَكْرُو» أى كأنها تلاعب بِكُرَّةٍ . والسريعة ، يعنى نَسَاجَةٌ . والجُدَاد: الغزل الضعيف، فأراد أنها تُسرِع الضرب بالحَفِّ<sup>(١)</sup> والنسج قبل المساء ؛ وما دامت تبصر ؛ فشبه يدي ناقته في تذرعها بيدي هذه النساجة .

وقال الأصمعيّ الجُدَاد : هُدْبُ الثوب ؛ فيعنى أن هذه النساجة قد قاربت الفراغ من

الثوب ، وبلغت إلى هُدْبِهِ ؛ فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء .

وقريب منه قول الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ<sup>(٢)</sup> أَيْدِي جَوَارٍ<sup>(٣)</sup> يَتَعَاطِينَ الْوَرِقَ

فالقَرِيقُ الخَشْنُ الذى فيه الحصى ؛ وشبهه خَذَفٌ<sup>(٤)</sup> مناسبٌ<sup>(٥)</sup> له بخَذَفِ جَوَارٍ يلعبن بدراهم، وخصّ الجوارى لأنهن أخفُّ يداً من النساء .

وقال آخرون : القَرِيقُ هاهنا: المستوى من الأرض، الواسع؛ وإنما خصّ بالوصف لأن أيدى ١٠

الإبل إذا أسرعَت فى المستوى فهو أَحْمَدُ لها ؛ وإذا أبطأتْ فى غيره فهو أَحْمَدُ لها .

ومن أحسن ما قيل فى الإسراع قول المرّار بن سعيد :

فَتَنَاوَلُوا شُعَبَ الرَّحَالِ فَقَلَّصَتْ سُودُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَنَمِّسِ

ذَكَرْ قَوْمًا سَفَرًا هَبُّوا مِنْ رَقْدَتِهِمْ إِلَى رَحْلِهِمْ لِيَسِيرُوا ؛ ويعنى بسود البطون الإبل ؛

والتنمّس: الصائد الذق اتخذ ناموساً، وهو ما يستتر به ليختلّ الصيد، فشبه المطايا فى سرعتها ١٥

بقطاً قد صاد الصائد بعضها ، وأقلت بعضها ؛ فهنَّ يَطْرُنَ طيراناً شديداً .

ومثل هذا - وإن كان فى صفة الخيل - قول النابغة :

(١) الحف : النسج . (٢) البتان فى اللسان ( قرق ) .

(٣) اللسان : « أيدى نساء » . (٤) الحذف : الرمى بالحصى الصغار .

(٥) م « مناسبةها » .

\* كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبِ ذِي الْبَرَدِ \* (١)

وأما قول مروان :

... يَهْزُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النَّحُولِ تَلِيَّاهَا وَقَدْ آلَهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السَّامة والجهد ماضى .

[١٩٠] وأحسن من قول مروان / وأشدُّ إفصاحاً بالمعنى وإعراباً عنه قولُ الهذليّ :

ومن سيرها العَنَقُ الْمُسَبِّطُ رُ وَالْعَجْرَفِيَّةُ بِعَدَالِكَلَالِ (٢)

وإنما كان هذا أحسنَ لأنه صريح بنشاطها بعد كلالها . وقول مروان : « بعد النحول »

لا يجرى هذا المجرى ؛ لأن النحول قد يكون عن جَهد السفر والتعب ، ويكون عن غيره .

وأما قوله :

\* كَالْقَوْسِ سَاهِمَةٌ أَتَتْكَ وَقَدْ تُرِي \* ١٠

فقد أ كثر العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسيّ وغيرها ؛ وقد أحسن

كثير في قوله :

نَفَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ دَاءٍ إِقَامَةً فَهَنْ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَايَكَ (٣)

وَمَحَلَّتِ الْحَاجَاتِ خُوصاً كَأَنَّهَا - وَقَدْ ضَمَرَتْ - صُفْرُ الْقَسِيِّ الْعَوَاتِكَ (٤)

وقال سلم بن عمرو الخاسر (٥) :

١٥

وَكَأَنَّهِنَّ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ أَوْ مِثْلُهُنَّ عَطَائِفُ الْأَقْوَاسِ (٦)

(١) ديوانه : ٢٣ ، وصدره :

\* وَالْخَيْلُ تَمَزَعُ غَرْباً فِي أَعْنَتِهَا \*

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٧٥ ، والبيت لأمية بن عائذ العنق : السير المنبسط . والمسبطر : المسترسل .

السهل . والعجريفه : الشديّد . (٣) ديوانه : ٢ : ١٣٦ ؛ الرذايا : جمع رذية ؛ وهى الناقة المهزولة من السير .

والترايك : المتروكة لضعفها . (٤) العواتك : جمع عاتكة ؛ وهى القوس إذا قدمت واحترت .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قيل لئلاسمى عمرو خاسرا لأنه ورث عن أبيه مصحف قرآن ، فاشترى

به عوداً » . (٦) القوس العظيفة : المعطوفة ؛ وهى المنجنية .



قُوْدٌ طَوَّاهَا مَا طَوَّتْ مِنْ مَهْمِهِ      نَأَى الصَّوَى وَمَنَاهَجٍ أَدْرَاسٍ<sup>(١)</sup>  
وقال أبو تمام يصف ناقة :

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَرْنُو      إِلَى بَعَيْنِ شَيْطَانٍ رَحِيمٍ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا بَلَغَتْ بَنَا عُسْفَانَ حَتَّى      رَنْتُ بِلِحَاطِ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ  
وَبَدَّ لَهَا الشَّرَى بِالْجَهْلِ حِلْمًا      وَقَدْ أَدِيمَهَا قَدْ الْأَدِيمِ  
أَذَابَ سَنَامَهَا قَطْعُ الْفِيَاثِ      وَمَزَّقَ جِلْدَهَا نَضْحُ الْعَصِيمِ<sup>(٣)</sup>  
بَدَتْ كَالْبَدْرِ وَاقِي لَيْلٍ سَعِيدٍ      وَآبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحتري :

وَحَدَانُ الْقَلَّاصِ حَوْلًا إِذَا قَا      بَلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ<sup>(٤)</sup>  
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ—نَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي  
/ كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَلَاتِ، بَلِ الْأَسْ      هَمٍّ مَبْرِيَّةً ، بَلِ الْأَوْتَارِ  
[١٩١]

(١) قود : جمع أقود ؛ وهو من الإبل الطويل العنق . الصوى : جمع صوة ؛ وهى الأعلام فى الطريق .  
وفى حاشية الأصل : « ومثله بعينه للمتنبى :

فَتَبَّيْتُ تُسْتَدُّ مُسْتَدًّا فِي نِيهَا      إِسْتَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءُ

الإستاد : لإسراع السير فى الليل . والنى : الشحم . والمهمه : الأرض الواسعة البعيدة . والإنضاء :  
مصدر أنضاء ينضيه إذا هزله . قال العكبرى : « والمعنى أن المهمة ينضيتها كما تنضيه » .

(٢) ديوانه : ٤٢٣ ؛ من قصيدة يصف حجة حجها ؛ وأولها :

لَمَلَكَ ذَا كِرُ الطَّلَلِ الْقَدِيمِ      وَمَوْفٍ بِالْمُهْودِ عَلَى الرُّسُومِ  
وَوَاصِفُ نَاقَةٍ تَذَرُ الْمَهَارَى      مَوْكَلَةً بِوُخْدٍ أَوْرَسِيمِ  
وَقَدْ أُمْتُ بَيْتَ اللَّهِ نِضْوًا      عَلَى عَيْرَانَةٍ حَرْفِ سَعُومِ  
أَتَيْتِ الْقَادِسِيَّةَ . . .

(٣) النضح : الرشح . والعصيم : العرق . (٤) ديوانه : ٢ : ٢٤ ؛ من قصيدة يمدح فيها  
أبا جعفر بن حميد . وخدان القلاس : إسرأها . وحول : جمع حائل ، وحول الثانية جمع أحول .

وله أيضاً :

وَهِيَ الْعَيْسُ، دَهْرَهَا فِي ارْتِحَالٍ      مِنْ حُلُولٍ، أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعِ<sup>(١)</sup>  
 رَبِّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تُجَاذِبُ قُطْرِي      سَرَابًا كَالْمَنْهَلِ الْمَشْرُوعِ<sup>(٢)</sup>  
 وَسُرِّي تَنْتَجِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى      تَصْدَعُ اللَّيْلَ عَنْ بِياضِ الصَّدِيعِ<sup>(٣)</sup>  
 كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسِنُ أَحْيَا      نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فِي نُسُوعِ<sup>(٤)</sup>

٥



(١) ديوانه ٢ : ٩١؛ من قصيدة يمدح فيها محمد بن محمد الواثق .  
 (٢) المَرْت : الأرض القفر . (٣) الصديع : الفجر .  
 (٤) البرى : جمع برة ؛ وهى الحلقة . والنسوع : الجبال .

## مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾  
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [س : ٧٥] .

فقال : كيف أضافُ إلى نفسه اليد ؛ وهو ممن يتعالى عن الجوارح ؟

الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوهٌ :

أولها أن يكون قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ جارياً مجرى قوله : « لما خلقت أنا » ،  
وذلك مشهور في لغة العرب ، يقول أحدهم : هذا ما كسبتُ يداك ؛ وما جرّت عليك يداك ؛  
وإذا أرادوا نفيَ الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون : فلان  
لا تمشي قدمه ، ولا ينطق لسانه ، ولا تكتب يده ؛ وكذلك في الإثبات ، ولا يكون للفعل  
رجوع إلى الجوارح في الحقيقة ؛ بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل .

وثانيها أن يكون معنى اليد هاهنا النعمة ، ولا إشكال في أن أحدَ احتمالات لفظة اليد ١٠  
النعمة .

فأما الوجه في ثنيتها فقد قيل فيه إن المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة ، فكأنه تعالى  
قال : ما منمك أن تسجدَ لما خلقتُ لنعمتي ؛ وأراد بالباء اللام .

وثالثها أن يكون معنى اليد هاهنا القدرة ؛ وذلك أيضا من احتمالات اللفظة ؛  
يقول القائل : مالي بهذا الأمر يدٌ ولا يدان ، وما يجري مجرى ذلك ؛ والمعنى : أني لأقدر ١٥  
عليه ولا أطيقه ؛ وليس المراد بذلك إثباتُ قدرة على الحقيقة ؛ بل إثبات كون القادر قادرا ، ونفي

كونه قادراً ، فكأنه تعالى قال : ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خلقه ؛ فعبّر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة ؛ وكل ذلك واضح في تأويل الآية .

\*\*\*

[١٩١] ونعود إلى ما كنا ابتدأناه من الكلام على شعر مروان .

فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله :

أخيا أمير المؤمنين محمد  
سُنن النبي حرامها وحلالها  
مَدَّ الإلهُ على الأنامِ ظلالها  
رَادَى جبالَ عدوِّها فأزالها<sup>(١)</sup>  
لم تَفْشَهَا مِمَّا تَخَافُ عَظِيمَةً  
إِلَّا أَجَالَ لها الأمورَ مجالها  
حَتَّى يُفَرِّجَهَا أغرُّ مَبَارِكُ<sup>(٢)</sup>  
أَلْفَى أباهُ مُفَرِّجًا أُمثَالها  
نَبَتْ عَلَى زَلَلِ الحَوَادِثِ رَاكِبُ<sup>(٣)</sup>  
مِنْ صَرْفِ هِنٍّ لِكُلِّ حَالٍ حَالها  
كِلْتَا يَدَيْكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالها  
لِلْمُسْلِمِينَ ، وَفِي العَدُوِّ وَبَالها<sup>(٤)</sup>  
وَقَعْتَ مَوَاقِعَهَا بِعَفْوِكَ أَنْفُسُ  
أَذْهَبْتَ بِعَدِّ مَخَافَةٍ أَوْجَالها  
أَمَنْتَ غَيْرَ مُعَاقِبٍ طُرَادها  
وَفَكَكْتَ مِنْ أَسْرَائِهَا أَغْلَالها  
وَنَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونها  
وَجَعَلْتَ مَالَكَ وَاقِيًا أُمُوالها<sup>(٥)</sup>

١٥ أما قوله :

أخيا أمير المؤمنين محمد  
سُنن النبي حرامها وحلالها

فقد عابه عليه بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال : كيف يكون في سنن النبي عليه

(١) في حاشيتي الأصل ؛ ف « رادى » فاعل « من المرادة » ؛ وهى مرأمة الحجر ؛ أصله من المردى

وهو الحجر الذى يكسر به الحجارة ، يستعمل فى المفاخرة والمناجزة . (٢) م : « مهذب » .

(٣) أى راكب من الصروف لىكل حال حالها . (٤) ش : « وللعديو وبالها » .

(٥) حاشية ف : « بخط عبد السلام بن الحسين البصرى رحمه الله : صياها » .

السلام حرام ! وما ذلك بعميب ؛ لأنه أراد بقوله : « حلالها وحرامها » التحليل والتحريم ؛  
ومن سننه تحريمُ الحرام ، وتحليل الحلال ؛ وإنما العميب من هذا قول ابن الرِّقاع العامليّ :  
ولقد أراد الله إذْ ولاَّ كَها من أُمَّةٍ إِصلاحَها وَفسادَها<sup>(١)</sup>  
ومثل قول مروان قولُ سلم الخاسر :

ولما وليتَ ذكرتُ النبيَّ بتحليله وتحريره ٥  
فأما قوله :

\* حتى يفرَّجها أغرُّ مبارك \* ... البيت

فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين ؛ والأصل فيه قول زهير :  
وما كانَ منْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارِثُهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ<sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ يُنْزِيتُ الْخَطِيئَ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ!<sup>(٣)</sup> ١٠  
ومثله قول الآخر :

/ وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ<sup>(٤)</sup> [١٩٢]  
ومثله للرَّبيع بن أبي الحَقِيقِ اليهودي :  
إِذْ مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ لَهُ خَلْفٌ يَكْفِي السَّيَادَةَ بَارِعُ

(١) الطرائف الأدبية : ٩٠ ؛ والرواية هناك : « إِصلاحها ورشادها » ، وهي أيضاً رواية المؤلف  
في المجلس التاسع والأربعين . وفي الحاشية : « عدى قال : « فسادها » ، والأصمعيّ أنشد : « رشادها » ؛ والبيت  
من قصيدته التي أولها :

عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما درس البلى أبلادها

وانظر روايتها وتخرج أبياتها في الطرائف الأدبية ٨٧-٩١ .

(٢) ديوانه : ١١٥ ؛ وتوارثه ؛ أى ورثوه كابرا عن كابرا ؛ كناية عن مجدهم القديم .

(٣) الخطي : الرماح ؛ منسوبة إلى الخط ؛ وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح . والوشيج :

القنا الملتف في منبته ، واحدها وشيجة . (٤) حاشية الأصل : « ومثله للعتبي :

فإن كان سيارُ بن مكرمٍ انقضَى فإنك ماء الورد إن ذهب الوردُ

من أبنائه والعرقُ ينصُرُ فرعه على أصله، والعرقُ للعرقِ نازع<sup>(١)</sup>  
ومثله له:

ترجو الغلامَ وقد أعياكَ والدُه وفي أرومتِه ما ينبُتُ العودُ  
وأخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميّ فقال :

٥ تجرى أصاغِرُهُمْ تجرى أكارِهِمْ وفي أرومتِه ما ينبُتُ الشَّجَرُ  
ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرُّقيات:

يخلفُكُ البيضُ من بَنِيكَ كما يخلفُ عودُ النَّضَارِ في شُعْبِهِ<sup>(٢)</sup>  
ومنه قول نهشل بن حرّى:

أرى كلَّ عودٍ نابتا في أرومةِ أبى نَسَبُ العِيدانِ أن يَتَغَيَّرَا<sup>(٣)</sup>  
١٠ بنو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَوَالِدٍ سَوْءٌ يَلْقَاهُ حَيْثُ سِيرَا<sup>(٤)</sup>  
ومثله لسلم بن الوليد الأنصاري :

ألحَّ على الأيَّامِ يَفْرِى خُطوبُهَا على مَهَجٍ ألقى أباهُ بهِ قَبْلُ<sup>(٥)</sup>  
ولبشار:

\* على أعراقِها تجرى الجيادُ \*

(١) نازع ؛ أى ينزع إليه في الشبه . (٢) النضار : شجر الأثل ؛ وقيل : النضار : كل شجرة ناضرة . (٣) ف : « ناميا في أرومة » . (٤) نسب هذا البيت في حماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ١ : ٣٠٠ إلى جميل بن عبد الله بن معمر ؛ ضمن أبيات ثلاثة ؛ وهى :

أبوك حبابٌ سارقُ الضيفِ بُردُه وَجَدَّيَ ياحجَّاجَ فارسَ شَمْرَا  
بنو الصالحين الصالحون وَمَنْ يَكُنْ لآباءِ صدق بَلَقَهُمْ حَيْثُ سِيرَا  
فإن تفضبوا من قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهِ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرَا

وهى في الحماسة - بشرح المرزوقى ٣١٥-٣١٦ من غير نسبة .

(٥) ديوانه : ٢٠٣

ومثله :

وَمَا فِيَّ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنِّهَا  
هُمْ الْقَوْمُ فَرَعَى مِنْهُمْ مُتَفَرِّعٌ  
وَعُودُهُمْ عِنْدَ الْحَوَاثِ عُودِي

وللبحتري :

وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَعَارَ سَجِيَّةً  
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ  
لِلْمَكْرُمَاتِ فَمِنْ أَبِي يَمْقُوبٍ<sup>(١)</sup>  
كَالرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبِ  
لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابْنِ نَجِيبِ  
وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا

/ وله أيضاً :

مَا سَمَوْا يَخْلُفُونَ غَيْرَ أَبِيهِمْ  
كُلُّ سَاعٍ مِنَّا يُرِيدُ نِصَابَهُ<sup>(٢)</sup>

وله أيضاً :

وَمَا تَابِعٌ فِي الْمَجْدِ نَهْجَ عَدُوِّهِ  
كَمُتَّبِعٍ فِي الْمَجْدِ نَهْجِ أَبِيهِ<sup>(٣)</sup>

وفي هذه القصيدة يقول مروان :

هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ  
طَلَعَ الدُّرُوبَ مُشَمَّرًا عَنْ سَاقِهِ  
أَجْرَى لِنَايَتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا  
بِالْخَيْلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نَعَالَهَا<sup>(٤)</sup>  
قُودًا تَرِبَعُ إِلَى أَغْرَ لَوْجِهِ  
قَصُرَتْ سَحَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَصَتْ  
نُورٌ يُضِيءُ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا<sup>(٥)</sup>  
وَلَقَدْ نَحَقَّظَ قَيْنُهَا فَاطَا لَهَا  
جَيْحَانٌ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رِعَالَهَا<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه ١ : ٥٧ ؛ من قصيدة يمدح فيها يعقوب بن إسحاق النوبختي .

(٢) ديوانه ١ : ٩٠ ؛ من قصيدة يمدح فيها أبا ثوبة .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٢٨ ؛ من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر .

(٤) الدروب ، بريد بها دروب الروم . والمنصلت : الماضي في الأمر .

(٥) قود : جمع أقود ، وهو الذلول من الخيل . وتربع : ترجع .

(٦) جيحان : اسم نهر . والرعال : جمع رعل ؛ وهو القطعة من الخيل تتقدم العسكر .

أَحْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ      وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا  
أَدُمْتُ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا      غَارَاتُهُنَّ وَالْحَقَّتْ أَطَالُهَا<sup>(١)</sup>  
لَمْ تُبْقِ بَعْدَ<sup>(٢)</sup> مَقَادِهَا وَطِرَادِهَا      إِلَّا نَحَائِزَهَا وَإِلَّا آلَهَا<sup>(٣)</sup>  
رَفَعَ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِيَّ وَرَاشِنِي      بَيْدَ مُبَارَكَةٍ شَكَرْتُ نَوَالَهَا  
وَحَسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا      فِي الشَّيْءِ مُتَرَفٍّ شِيمَةٍ مُخْتَالَهَا<sup>(٤)</sup>  
وَلَقَدْ حَدَّثْتُ لَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى      نَمَلًا وَرِثَتْ عَنِ النَّبِيِّ مِثَالَهَا<sup>(٥)</sup>

أما قوله : « قَصَرَتْ سَمَايُلُهُ » فالأصل فيه قول عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ      يُحْدَى نِمَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوْعَمٍ<sup>(٦)</sup>  
أو قول الأعشى :

إِلَى مَا جِدَّ كِهْلَالِ السَّمَاءِ      أَزَكَّى وَفَاءً وَبِحُدَا وَخَيْرًا<sup>(٧)</sup>  
طَوِيلِ النَّجَادِ ، رَفِيعِ الْعِمَا      دِ ، يَحْمِي الْمُضَافَ ، وَيُغْنِي الْفَقِيرَا<sup>(٨)</sup>

[١٩٣] / ومثله :

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عَارِ جَبِينُهُ      كَنَصْلِ الْيَمَانِي أَخْلَصَتُهُ صِيَا قَلْبُهُ  
إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرِ طَيْرُهُ      نُحُوسًا ، وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاهَ عَوَازِلُهُ

(١) الدوابر: جمع دابرة ، وهى الموضع الذى يقع عليه مؤخر السرج . والحقت : ضمرت . والأطال : جمع إطل ؛ وهى الحاصرة . (٢) ش : « لَمْ يُبْقِ بَعْدُ » .

(٣) نحائزها : طباعها . وآلها : يريد شخصها . (٤) المترف : المبق فى الملك والنعمة .

(٥) حاشية الأصل : « يعنى أنه اقتدى عن النبى عليه السلام فى أفعاله حذو النمل بالنمل » .

(٦) المعلقة — بشرح التبريزى : ١٩٩ ؛ أى هو بطل . والسرحه : الشجرة الكبيرة الطويلة ؛ يستظل بها . ونمال السبت : المدبوغه بالقرط ، وكانت الملوك تلبسها وليس بتوعم : لم يولد معه آخر فيكون ضعيفا . (٧) ديوانه : ٧٠ . والرواية فيه : « لى ملك » .

(٨) رواية الديوان : « ويعطى الفقيرا » . والمضاف : الملجأ ، من قولهم : أضاف ظهره إلى الحائط أى استند إليها .



ومثله قول طريح بن إسماعيل الثقفي :

وأشعثَ طلاعَ الثنايا مباركٍ  
ولأبي جويرية العبدى :

يعدُّ نجادَ السيفِ حتى كأنه  
بأعلى سنامي فالج يتطوح  
إذا اهتزَّ في البرد اليماني خلته  
هلالاً بدا في جانب الأفق يلمح  
ولأبي عطاء السندي :

وأزهر من بني عمرو بن عمرو  
ولبعضهم في آل المهلب :

رأيتكم أعزَّ الناس جارا  
وأمنهم إذا عُدوا ذمارا<sup>(١)</sup>  
سمائلكم وإن كانت طوالا  
نراها عن شمائلكم قصارا<sup>١٠</sup>

ولبعض بني العنبر في معنى الطول :

فجاءت به عبل العظام كأنما  
عمامته بين الرجال لواء<sup>(٢)</sup>

ولآخر:

أشم طويل الساعدين كأنما  
تناط إلى جذع طويل سمائله<sup>(٤)</sup>

ولابن هرمة:

تناط سمائل الهندي منه  
ولكن تستقل به قواه  
بماتق ، لا ألف ولا ضئيل<sup>١٥</sup>  
على ماضٍ بقائه نبيل

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « يطول » .

(٢) الدمار : الذمة والمهد .

(٣) عبل العظام : ضخمها ، والبيت من أبيات ثلاثة في الحماسة - بشرح المرزوقي ٢٦٩-٢٧٠ ،

والرواية هناك : « سبط العظام » . (٤) حاشية ف ( من نسخة ) : « طول الساعدين » .

ولسلم الخاسر :

يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيَّ قَائِمًا وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ  
وللخشمي :

يُوزِي الرُّدَيْنِيَّ فِي طَوْلِهِ وَيَقْصُرُ عَنْهُ نِجَادُ الْحُسَامِ

وللوالبي :

[١٩٣]  
ظ

طَوْلٌ وَطُولٌ فَتَرَى كَفَّهُ  
يَنْهَلُ بِالطَّوْلِ انْهَالَ الْغَمَامِ  
وَطُولُهُ يَفْتَالُ يَوْمَ الْوَعَى  
وغيره فَضْلَ نِجَادِ الْحُسَامِ

فأما قوله :

ولقد حَدَوْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى نَعْلًا وَرِثَتْ عَنْ النَّبِيِّ مِثَالَهَا

فقد ردّد مروان معناه في مواضع من شعره فقال :

١٠

شَبِيهُ أَبِيهِ مَنْظَرًا وَخَلِيقَةً  
كَمَا حُدِثَتْ يَوْمًا عَلَى أَخْتِهَا النَّعْلُ

وقال في موضع آخر :

أَحْيَا لَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ سَمِيَّةُ<sup>(١)</sup>  
قَدَّ الشَّرَاكِ بِهِ قَرَنْتَ شِرَاكًا<sup>(٢)</sup>

وقال أيضا :

صَحِيحُ الضَّمِيرِ ، سِرُّهُ مِثْلُ جَهْرِهِ  
قِيَاسَ الشَّرَاكِ بِالشَّرَاكِ تُقَابِلُهُ

١٥

وقال أيضا :

تَشَابَهْتُمَا حِلْمًا وَعَدْلًا وَنَائِلًا  
تَنَازَعْتُمَا نَفْسَيْنِ ؛ هَذِي كَهَذِهِ  
كَمَا قَاسَ نَعْلًا حَضْرَمِيٌّ فَقَدَّهَا  
وَحَزَمًا إِذَا أَمَرْتُ أَقَامَ وَأَقْعَدَا  
عَلَى أَصْلِ عِرْقٍ كَانَ أَفْخَرَ مُتَلَدَا  
عَلَى أَخْتِهَا لَمْ يَأْلُ أَنْ يَتَجَوَّدَا

(١) م : د محمد . (٢) حاشية ف : « قد الشراك : مصدر في موضع الحال ، أى قادا » .

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ قَاتَفَقَا خَلَقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدَّ الشَّرَّاءُ كَانَ<sup>(١)</sup>

والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة :

فَلَمَّا تَوَافَقْنَا عَرَفْتُ الَّذِي رِيهَا كَمِثْلِ الَّذِي بِي، حَدُّوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ<sup>(٢)</sup>

ومثله للسَّيد بن محمد الحميري رحمه الله تعالى :

يَتَلَوْنَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفَعْلَهُ فَالنَّعْلُ تُشَبِّهُ فِي الْمِثَالِ طِرَاقَهَا<sup>(٣)</sup>

وقد تقدّم إلى هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبة بن سيّار العجليّ بقوله في يوم ذى قار،

يحرّض قومه على القتال :

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ<sup>(٤)</sup> وَجَارِهِ ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

[١٩٤]  
و

/ أَنَا بَنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ<sup>(٥)</sup> مِثْلُ الشَّرَّاءِ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ

\* وَكُلُّهُمْ يُجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ \*

فأما قوله :

\* وَحُسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيًا \* . . . البيت

ففي معناه قول البحترى :

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَاتَبْتَ لِي دَهْرِي الْمُسَىءَ فَأَعْتَبَا<sup>(٦)</sup>

١٥

وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرْتُ أَخِي عَلَى فَأَمْسَى نَارِحَ الْوُدِّ أَجْنَبَا

\*\*\*

ومما يختار لمرئوان قوله :

(١) حاشية الأصل : « أى ينزعان في الشبه ، كل منهما إلى صاحبه في الشبه ، ويجوز أن يكون

تنازع ، من النزاع الذى هو السلب » . (٢) ديوانه : ٣٢٦ .

(٣) طراق النعل : ما أطبق عليه فخرزت به . (٤) الأبيات في تاريخ الطبرى ٢ : ١٥٤ .

وفي حاشية الأصل : من نسخة « منكم » . (٥) شكيمه : طبعه وعادته . (٦) ديوانه ١ : ٥٦ .

مَوْفَّقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ      يَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ  
تَسْمُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ كَلَّمَا انْفَرَجَتْ      لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ  
لَهُ خَلَائِقُ بَيْضٌ لَا يُغَيِّرُهَا      صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينتقد<sup>(١)</sup> الشعر يقول: ليس في شعر مروان بيت يُتمثل به غير هذا البيت  
الآخر من الثلاثة الأبيات. وكان ابن منذر<sup>(٢)</sup> إياه أراد بقوله، وقد سأل وهو مجاور بمكة:  
عمن ببغداد من الشعراء؟ ف قيل له: العباس بن الأحنف؛ فقال: أنشدوني له، فأنشدوه:  
لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكَنْتَ عَبْرَتِي      أَمَلِي رِضَاكَ، وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبٍ<sup>(٣)</sup>  
لَكِنْ مَلَيْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً،      صَدُّ الْمَلُولِ خِلَافُ صَدِّ الْعَاتِبِ<sup>(٤)</sup>  
فقال ابن منذر: أَخْلِقْ بِنِ أَدَامَ بِحَثِّ التَّرَابِ أَنْ يَصِيبَ خَرَزَةَ.

١٠ قال سيدنا أدام الله تمكينه: ولا شك في قلة الأمثال في شعر مروان؛ ولكن ليس إلى  
هذا الحد؛ وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق إليه أيضا، قال طَرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ:  
جَوَادٌ إِذَا جِئْتَهُ رَاجِيًا      كَفَاكَ السُّوَالُ وَإِنْ عُذَّتْ عَادَا  
خَلَائِقُهُ كَسِيكَ النَّضَا      رِ لَا يَعْمَلُ الدَّهْرُ فِيهَا فَسَادَا  
ومثله قول الخُرَيْمِيِّ:

[١٩٤]      /رَأَيْتَكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدَى      وَزَيْدَ الْفَخَارِ وَزَيْدَ الْكَرَمِ  
تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخُطُو      بَ بَدَلًا وَفِي سَائِبَاتِ النَّعْمِ  
كَذَا الْخَمْرُ وَالذَّهَبُ الْمَعْدِنُ      يُجَوِّدُ هَذَا وَذَاكَ الْقَدَمُ

وفي قوله: «الذهب المعدني» فائدة؛ لأنه إذا خلص الذهب وصفاً لم يفسد؛ وإذا امتزج

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ينتقد ». (٢) حاشية الأصل : « ابن منذر ، بضم الميم ، ومنهم من يفتح الميم ، ذهابا إلى أن له آباء اسم كل منهم اللندر ، وليس هذا بشيء . وقبل له : يابن منذر ، فقال : منذر الصغرى أم الكبرى ؟ وهما ناحيتان بالأهواز ، بل أنا ابن منذر ، بضم الميم » .  
(٣) ديوانه : ٢ : ٢٢ . (٤) رواية الديوان : « لكن مللت » .

بغيره لم يكن هذا حكمه ؛ ومثله للأُموي<sup>(١)</sup> :

يَاوِي إِلَى خُلُقٍ لَمْ يُصْدِهِ طَبَعٌ      كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

ولبعضهم :

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بِالْعَلَا      كَسِيكَةِ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلِفُ<sup>(٢)</sup>

وقد أخذ الخبزارزي هذا المعنى في قوله :

فَلَا تَعَنَّ لِتَحْدِيفٍ تَكْلَفُهُ      لِصُورَةٍ حُسْنِهَا الْأَصْلَى تَكْفِيهَا  
إِنَّ الدَّانِيَرَ لَا تُجَلَّى وَإِنْ عُتِقَتْ      وَلَا تَزَادُ عَلَى النَّقْشِ الَّذِي فِيهَا

ولحظة مثله :

١٠      صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ      صَدَاقَةٌ مِثْلُهُ حَسَبُ  
رَعَى لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى      وَأَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ  
وَلَوْ نَقِدَتْ خَلَاتِقُهُ      لَبُهِرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : «الأسدي» (٢) لانكلف : لانصدأ ؛ من الكلف ؛ وهو

لون يخالف لون الوجه .

## مَجْلِسُ آخِرِ

### تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سائل سائل عن قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ  
نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا﴾؛ [الإسراء: ٤٧] .  
فقال: لم وحد ﴿نَجْوَى﴾ وهو خبر عن جمع ؟ وما معنى ﴿مَسْجُورًا﴾ وما جرت  
عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، بل عادتهم جارية بقرنه  
بأنه ساحر ؟

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ فإن « نَجْوَى » مصدر يوصف  
به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ، وهو مُقَرَّرٌ على لفظه . وبجري ذلك تجرى  
[١٩٥] / قولهم : الرجال صوم ، والمنازل صم ، بمعنى بصوم صائمون ، وبمحمد محمودون .

وقد قال قوم : إن معناه : وإذ هم أصحاب نجوى ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ،  
١٠ ويقال : القوم نجى والقوم أنجىة ، فن وحد بنى على مذهب المصدر ، ومن جمع جعله منقولاً  
عن المصادر ، ملحقاً برغيف وأرغفة ، وما أشبه ذلك .  
وقد قال الشاعر (١) :

أَتَانِي نَجِيِّي بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ      وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ (٢)

(١) ف : « وقال الشاعر في التوحيد » ؛ وهو سواد بن قارب السدوسي ؛ صحابي ذكره ابن حجر  
في الإصابة ٣ : ١٤٨-١٤٩ . (٢) من أبيات أنشدها عند الرسول عليه السلام ، ذكرت مع  
خبر له في مقدمة جبهة الأشعار ٢٤-٢٦ . والرواية هناك :

وأنشد الفراء في الجمع:

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ أَنْجِيَّةٌ يُعْمَدَى إِلَيْهَا كَمَا يُعْمَدَى عَلَى الْغَنَمِ<sup>(١)</sup>

فأما قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ففيه وجوه:

أولها أن يكون المراد: إن تتبعون إلا رجلاً متغيّر العقل؛ لأن الشرّكين كان من مذهبهم عيبُ النبي صلى الله عليه وآله، وتضعيفُ أمره وتوهينُ رأيه، وكانوا في وقت ينسُبونه إلى أنه ساحر، ٥ وفي آخر يرمونه بالجنون، وأنه مسحور مُغيّر العقل<sup>(٢)</sup>، وربما قذفوه بأنه شاعر حُوشِي من ذلك كله. وقد جرت عادة الناس أن يصفوا مَنْ يُضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور.

وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع المملّل؛ لأن ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة،

١٠

قال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِحِثْمٍ غَيْبٍ وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ<sup>(٣)</sup>

وقال أمية بن أبي الصلت:

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّنَا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ<sup>(٤)</sup>

(١) البيت في اللسان (نجا)، ونسبه لسجيم، ولم يذكر في ديوانه. وفي ف، وحاشية الأصل

(من نسخة): «يعدى عليها». (٢) د، ف، حاشية الأصل من نسخة: «متغير العقل».

(٣) ديوانه: ١٣٢. موضعين: مسرعين، والإبضاع: نوع من السير. والحثم: الإيجاب؛ وبعده:

عصافيرٌ وذبانٌ ودودٌ وأجراً من مجلحة الذئاب

فبعض اللوم عاذلتني فأني ستكفيني التجارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

(٤) البيت في اللسان (سحر)، ونسبه إلى أبيد؛ وهو أيضاً في ديوانه ١: ٨١

وثالثها أن السِّحْرَ في لغة العرب الرُّثَّة وما تعلق بها ، فيها ثلاث لغات: سِحْرٌ وسِحْرٌ وسُحْرٌ ، وقيل السِّحْرُ ما لصق بالخلقوم والمرى من أعلى الجوف ؛ وقيل إنه الكبد ؛ فكأن المعنى على هذا : إن تبعمون إلا رجلا ذا سِحْرٍ ؛ خلقه الله بشرا كخلقكم .

ورابعها أن يكون معنى مسحور أى ساحر ، وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل ؛ قال الله [ ١٩٥ ] تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ / جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [ الإسراء : ٤٥ ] ، أى ساترا ، والعرب تقول للمعسر : مُلْفَج ، ومعناه مُلْفَج ؛ لأن ماضيه أَلْفَجَ<sup>(١)</sup> ، فجاءوا بلفظ المفعول وهو الفاعل ؛ ومن ذلك قولهم : فلان مشثوم على فلان وميمون ؛ وهم يريدون شائم له ويأمن ؛ لأنه من شائمهم<sup>(٢)</sup> ويمنهم .

ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول : العرب لا تعرف «فلان مشثوم على فلان» ؛ وإنما هذا من كلام أهل الأمصار ؛ وإنما تسمى العرب من لحقه الشؤم مشثوما ؛ قال عاقمة بن عبدة :

ومن تعرّض للغربان يزجرها على سلامته لا بدّ مشثوم<sup>(٣)</sup>  
والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبهه .

\*\*\*

ومما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني ، أولها :  
أرى القلب أمسى بالأوانيس مولعا وإن كان من عهد الصبا قد تمتعا<sup>(٤)</sup>  
يقول فيها :

ولما مرى الهم الغريب قرينه قرى من أزال الشك عنه وأزما

(١) حاشية الأصل : « يقال : أَلْفَج ؛ فهو ملفج ، وأسهب إذا ذهب عقله فهو مسهب ، وأحصن فهو محصن » . (٢) شائمهم : أصحابهم بشؤم . (٣) ديوانه : ١٣١ ، الفضليات : ١٢٠ (طبعة المعارف) . (٤) الأوانيس : جمع آنسة ؛ وهى الفتاة الطيبة الحديث والنفس .



عَزَمْتُ فَعَجَّلْتُ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ  
فَأَمْتُ رِكَابِي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ  
نَجَائِبُ لَوْلَا أَنَّهَا سَخَّرَتْ لَنَا  
كَسُونَنَا رِحَالِ الْمَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبًا  
فَمَا بَلَغْتُ صَنَمَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتُ  
وَمَا الْغَيْثُ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْبِهِ  
يقول فيها :

تَدَارَكَ مَعْنٍ قَبَّةَ الدِّينِ بَعْدَمَا  
أَقَامَ عَلَى الثَّغْرِ الْمَخُوفِ ، وَهَاشِمٌ  
مُقَامَ امْرِئٍ يَأْتِي سِوَى الْخُطَّةِ الَّتِي  
وَمَا أُحْجِمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً  
رَأَوْا مُخْذِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا  
/ وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى  
لَهُ رَاحَتَانِ : الْحَتْفُ وَالْغَيْثُ فِيهِمَا  
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءُ مَعْنٍ فَاصْبَحُوا  
تَجِيبُ مَنْاجِيْبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ  
لَبَّانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأَكْمَلَتْ  
خَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تُنَزَّعَا  
تَسَاقَى سِمَامًا بِالْأَسِنَّةِ مُنْقَمَا  
تَكُونُ لَدَى غِبِّ الْأَحَادِيثِ أَرْفَعَا  
عَلَيْكَ ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعَا  
لَدَى غِيْلِهِ مِنْهُمْ بَجْرًا وَمَصْرَعَا<sup>(٤)</sup>  
لَدَى نَحْرِهِ زُرْقَ الْأَسِنَّةِ شُرْعَا  
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَضُرَّأَ وَتَنْفَعَا  
وَأَمْنَعُهُمْ لَا يَدْفَعُ الدَّلَّ مَدْفَعَا  
ذُرَا الْمَجْدِ مِنْ فَرْعَى نِزَارٍ تَفَرَّعَا  
وَمَا كَمَلْتُ خَمْسَ سِنُوهُ وَأَرْبَعَا<sup>(٥)</sup>

(١) نزعا ، أى مشتاقين . (٢) الميس : خشبة الرحل ، والغوارب : أعلى السنام . والنبي : الشعير .

(٣) ذراها : جمع ذروة ؛ وهى الأعلى ؛ ويعنى هنا الأسنمة .

(٤) المخدر : الأسد فى خدره وهو غيله ؛ ويعنى بالخدر الأجمة . (٥) فى حاشيتى الأصل ، ف :

ومثله لآخر :

لَنْ فَرِحْتُ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي      لَقَدْ فَرِحْتُ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ

لقد أصبحت في كلِّ شرقيٍّ ومغربٍ      بِسَيْفِكَ أَعْنَقُ الرُّبَيْينَ خُضْمًا  
وَطِئْتَ خُدُودَ الْحَضَرَمِيِّينَ وَطَاءَةً      لَهَا هُدًى رُكْنَا عِزَّهُمْ <sup>(١)</sup> فَتَضَعُضَمَا  
فَأَقْعَمُوا عَلَى الْأَذْنَابِ إِقْعَاءَ مَعْشَرٍ      بَرَوْنَ لَزُومَ السَّلَمِ أَبْقَى وَأَوْدَعَا  
فَلَوْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا      لَكَنُفُوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إِصْبَعَا

٥ أَمَاقوله:

فَمَا بَلَغَتْ صَنَمَاءُ حَتَّى تَوَاضَعَتْ      ذُرَاهَا ، فزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا فَأَقْلَمَا  
فَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى سَحَاها كَلَالُهَا      إِذَا عُرِّيَتْ أَصْلَابُهَا أَنْ تُقَيَّدَا  
وهذا المعنى <sup>(٢)</sup> كثير في الشعر القديم والمحدث <sup>(٢)</sup> ، فنه قول جرير :

١٠ إِذَا بَلَّغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيَّدْ      وَفِي طَوْلِ الْكَلَالِ لَهَا قُيُودُ <sup>(٣)</sup>

وروى أنه قيل لنُصَيْب : لك بيت نازعك فيه جرير ؛ أَيُّكُما فيه أشعر ؟ فقال : ما هو ؟

فقيل قولك :

أَضَرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَتْهَا      بَقَايَا سُلَالٍ لَمْ يَدْعُهَا سُلَالُهَا <sup>(٤)</sup>

وَأَنشَدَ بَيْتَ جَرِيرِ الَّذِي تَقَدَّمَ ، فَقَالَ : قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ الْخَطَفِيِّ ! فَقِيلَ لَهُ : قَدْ فَضَّلْتَهُ

١٥ عَلَيْكَ ، فَقَالَ : هُوَ ذَاكَ .

وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الْمُؤْمِلُ بْنُ أُمَيْلٍ الْحَارَبِيُّ فَقَالَ :

كَانَتْ تُقَيَّدُ حِينَ تَنْزِلُ مِنْزِلًا      فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قُيُودَا

وَلَأَبَى نَخِيلَةَ :

/ قَيَّدَهَا الْجَهْدُ وَلَمْ تُقَيَّدِ      فَهِيَ سَوَامٍ كَالْقَنَاءِ الْمُسْنَدِ

[١٩٦]  
ظ

(١) حاشية ف (من نسخة) : « عزمهم » . (٢-٢) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف :

« كثير في شعر القدماء والمحدثين » . (٣) ديوانه : ١٤٨ . (٤) السلال : السل .

ومالها مُعلِّلٌ<sup>(١)</sup> من مِرْزُودٍ<sup>(٢)</sup> منها<sup>(٣)</sup> ولا من شاحِطٍ مُسْتَبْعَدٍ

ومعنى قوله : « سَوَامٍ » أى هى رافعة رءوسها ، وشبهها بالقنا ، لأن القنا إذا ركز

مال قليلا مع الريح<sup>(٤)</sup> ، فيقول : فى أعناقها ميل من الضعف ، كما قال الشماخ :

فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسُّتَارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاها وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ<sup>(٥)</sup>

وكما قال حميد بن ثور الهلالي :

بِمَثْوًى حَرَامٍ وَالْمَطَى كَأَنَّهُ قَنَّا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيْقٌ<sup>(٥)</sup>

(١) ش « معلل » ، بكسر اللام المشددة . وهو على هذا كناية عن العلف الذى تجتره من جوفها .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « منها ، متعلق بالمرزود ؛ أى من مرزود منها ، أى من نفسها ، يعنى

كرشها » . (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « من الرع » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « وهذا البيت آخر زائتة ؛ وقبله :

فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْحِقْفِ حِقْفٌ تَبَالَهَ لَهُ مَرَكْدٌ فِى مَسْتَوِى الْجَبَلِ بَارِزٌ

فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسُّتَارِ كَأَنَّهَا . . .

يصف حميرا وصائدا ، والحقف : ما اعوج من الرمل ، والمركد : المقام والجبل : المعتد من الرمل .

وقوله : « تَفَالَى » أى تدخل رءوسها بعضها فى بعض . والستار : موضع ؛ وشبهها فى دقتها وطولها

بالرماح ونحاهما : جعلها فى ناحية الريح ؛ وشبهها منخرقة إلى ناحية الريح تستنشى ؛ فإن حملت الريح ربح الصائدا ليها

تركت ذلك المورد وأنت غيره ؛ ولا تقدمت بالرماح والفصيصة فى ديوانه : ٤٣-٥٣ ؛ ورواية البيهقي فيه :

وَأَصْبَحَ فَوْقَ الدَّشْرِ نَشْرٌ حَمَامَةٌ لَهُ مَرَكْضٌ فِى مَسْتَوِى الْأَرْضِ بَارِزٌ

وظَلَّتْ تَفَالَى بِالْيَفَاعِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاها وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ

(٥) ديوانه : ٣٤ ، من قصيدة طويلة ؛ أولها :

نَأَتْ أُمُّ عَمْرٍو فَالْفَوَادُ مَشُوقُ يَحْنُ إِلَيْهَا وَالْهَاءُ وَيَتُوقُ

وهو أيضا فى السكامل - بشرح المصنفى ٦ : ١٩٣ ، واللسان (خرق) ، وفى حاشيتى الأصل ، ف :

نسخة س : « مَثْوًى حَرَامٍ : مَنًى » ، وقبل هذا البيت :

فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا فِى الزِّيَارَةِ أَتَقَى وَذُو اللَّبِّ بِالنَّقْوَى هُنَاكَ حَقِيقُ

وهذا البيت لم يرد فى ديوانه ؛ والذى ورد قبل البيت المذكور :

أَلَا طَرَقَتْ صَحْبِي عَمِيرَةٌ إِلَيْهَا لَنَا بِالْمَرُورَةِ الْمُطِلُّ طَرُوقُ

والمروراة هنا : الأرض أو المغارة لاشئ فيها .

فالخريق ریحٌ شديدة تنخرقُ من كل جهة .

ومعنى قول أبي نخيلة : « من مزود » أى من ثميلة<sup>(١)</sup> تجترها، من الاجترار، وأراد أنه لا شيء فى أجوافها تتعملل<sup>(٢)</sup> به . والمستبعد : ما بُعد من المرعى .

وأنشد أبو العباس ثعلب :

إذا بلغوا المنازل لم تُقَيِّدْ      ركايبهم ولم تُشَدِّدْ بِعَقْلٍ  
فَهَنَّ مُنْمِدَاتٌ مُطْلَقَاتٌ      نَقَضَ مَا تُشَدِّرُ فِي الْمَحَلِّ<sup>(٣)</sup>

والأصل فى هذا قول امرئ القيس :

مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيئَهُمْ      وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ<sup>(٤)</sup>

ولعباد بن أنف الكلب الصيداوى :

فَتُمْسِي لَا أَقِيْدُهَا بِجَبَلٍ      بِهَا طُولُ الضَّرَاوَةِ وَالْكَلَالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الإبل :

بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِ رَمَلٍ كَهَيْلَةٍ      وَفِيهَا نَشَاطٌ مِنْ مِرَاحٍ وَعَجْرَفُ<sup>(٥)</sup>

(١) الثميلة : بقية العلف .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فتعملل به » . (٣) تشدر : تفرق ؛ وفى د ، ف :

« تشذب » ، وهى بمعنى تفرق أيضا . (٤) ديوانه : ١٢٩ . مطوت بهم ؛ أى مددت بهم فى السير ، ما يقدن بأرسان ؛ أى أعيت فلا تحتاج إلى أرسان . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « قبله :

وَجَرَّ كَغَلَانِ الْأَنْعَمِ بِالْعِ ديار العدو ذى زهاء وأركان

الحجر : الجيش الكبير الثقيل . والغلان : الأودية ؛ واحدا غال ، وهو الوادى الكثير الشجر . وذوذها ؛ أى لا يحصون لكثرتهم . (٥) ديوانه ٢ : ٥٥١-٥٥٨ ؛ من نقائض المشهورة ، وأولها :

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزفُ      وأنكرت من حدراء ما كنت تعرفُ

وأصل السيف شاطىء البحر ، وكهيلة : موضع . والعجرف : سير فيه نشاط . وفى حاشيتى الأصل ، ف :

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى تَقَارِبَ خَطُوهَا وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَامِيمُ رُعْفُ<sup>(١)</sup>  
 وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغُودِرَتْ إِذَا مَا أُنِيخَتْ وَالْمَدَامِعُ ذُرْفُ<sup>(٢)</sup>  
 / وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِيءُ يُسَوِّفُهَا لَهَا بِخَصِّ دَامٍ وَدَائِي مُجْلَفُ [١٩٧]  
 - البَخَصُ : لَحْمُ الْجَفِّ الَّذِي تَطَأُ عَلَيْهِ . وَالدَّائِي : فَقَارُ الظَّهْرِ . وَالْمُجْلَفُ : الْمُقْشُورُ -  
 وَحَتَّى بَعَثْنَاهَا وَمَا فِي يَدِ لَهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رُمَّةٌ وَهِيَ رُسْفُ ٥  
 - الرُّمَّةُ : الْحَبْلُ ؛ وَأَرَادَ أَنَّهَا تَرُسْفُ كَمَا يَرُسْفُ الْمَقِيدُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهَا قِيدٌ -  
 إِذَا مَا نَزَلْنَا قَاتَلَتْ عَنْ ظُهُورِهَا حَرَاجِيحُ أُمَمَالُ الْأَهْلَةِ شُسْفُ  
 - الْحَرَاجِيحُ : الطَّوَالُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالشُّسْفُ : الْيَابِسَةُ مِنَ الْجُحْدِ وَالْكَلَالِ . وَمَعْنَى  
 قَاتَلَهَا لِلْغُرَبَانِ أَنَّهَا إِذَا عَرَّيَتْ ظُهُورَهَا تَقَعُ الْغُرَبَانُ عَلَيْهَا لِتَأْكُلَ دَبْرَهَا ؛ فَالْإِبِلُ تُدَافِعُ  
 الْغُرَبَانَ بِأَفْوَاهِهَا عَنْ ظُهُورِهَا وَذَلِكَ قَاتَلَهَا - ١٠

= إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بَنَاءُ هُمُومِ الْمَيِّ وَالْهُوجَلُ الْمُتَعَسِّفُ  
 وَعَضُّ زَمَانٍ يَابِنِ مَرَوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْجِحَةً أَوْ مَجْرَفُ  
 وَمَائِرَةَ الْأَعْضَادِ صُهْبٍ كَأَنَّمَا عَلَيْهَا مِنَ الْإِثْنِ الْجِسَادُ الْمُدَوَّفُ  
 بِدَأْنِهَا مِنْ سَيْفِ رَمْلِ كَهَيْلَةٍ ...

- الْهُوجَلُ : الْبَطْنُ الْوَاسِعُ فِي الْأُرْسِ . الْمُتَعَسِفُ : الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ . وَيُرْوَى : « إِلَّا مَسَحَتْ » ،  
 بِالرَّفْعِ ؛ وَمَعْنَى : لَمْ يَدَعْ ، مِنَ الدَّعَةِ ؛ أَيْ « لَمْ يَدَعْ » مَعَ هَذَا الزَّمَانِ إِلَّا مَسَحَتْ مُسْتَأْصِلٌ . قَالَ سُوَيْدٌ :

أَرَقَّ الْعَيْنَ خَيْالٌ لَمْ يَدَعْ مِنْ سُلَيْمَى فَفُؤَادِي مُنْتَزِعٌ

وَالْمَجْرَفُ : الَّذِي أَخَذَ مَا دُونَ الْجَمِيعِ ؛ وَقَالَ ثَعْلَبٌ : « مَسَحَتْ » نَصَبٌ بِوُقُوعِ الْفِعْلِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ وَلِيَهُ  
 الْفِعْلُ ، وَلَمْ يَلِ الْفِعْلُ « مَجْرَفٌ » فَاسْتَوْفَّ بِهِ فَرَفَعَ ، قَالَ : التَّقْدِيرُ : « هُوَ مَجْرَفٌ » . وَمَائِرَةُ الْأَعْضَادِ :  
 الَّتِي تَمُورُ بِيَدِهَا دُونَ رِجَالِهَا ، وَذَلِكَ مِمَّا يَسْتَجِبُ فِي الْإِبِلِ . وَالْجِسَادُ : الْعِرْقُ ؛ وَهُوَ مَا أَصْفَرُ ، يُضْرَبُ إِلَى  
 الْحُمْرَةِ .

(١) بَاءَتْ : هَلَكْتَ أَسْنَمْتَهَا . وَالْمَنَامِيمُ : أَظْفَارُ الْإِبِلِ . وَرَعْفٌ : دَامِيَةٌ مِنَ الْخَفَاءِ .

(٢) نَسِجَةُ الشَّجَرِ : « قَتَلْنَا جَهْلَهَا ؛ وَهُوَ مَرْحَبُهَا وَنَشَاطُهَا بِالْكَلَالِ » . وَيُرْوَى : « وَغُورَتْ ،

مِنَ الْغُورِ ، وَهُوَ تَزُولُ الْغَائِثَةُ ؛ وَالْغَائِثَةُ نِصْفُ النَّهَارِ » .

إذا ما أريناها الأزمنة أقبكت إينا بحرات الخدود تصدق  
فأفنى مراح الداعرية<sup>(١)</sup> خوضها بنا الليل إذ نام الدثور الملف<sup>(٢)</sup>

ومن أحسن ما قيل في وصف الإبل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول  
الشاعر:

وذا مائين قد غيضت مجتها بحيث تستمسك الأرواح بالحجر  
ردت عواري غيطان الفلا ونجت بمثل إيبالة من حائل العشر<sup>(٣)</sup>

قوله : « ذات مائين » معنى سمناً على سمن ؛ وقيل : بل عني أنها رعت كلاً عامين .  
وقوله « قد غيضت مجتها » يعنى أنه أتعها بالسير حتى ردها هزلاً بعد سمن ؛ فكأنه  
غيض بذلك ماءها .

١٠ ومعنى :

\* بحيث تستمسك الأرواح بالحجر \*

يعنى الفلاة ؛ حيث لا يكون فيها الماء ، فيقسم الركب الماء الذى يكون معهم بالحجر الذى  
يقال له القلة<sup>(٣)</sup> فتمسك أرقامهم .

وقوله :

\* ردت عواري غيطان الفلا ونجت \*

١٥

أى مارعت من كلاً هذه الأماكن وسمت عنه كان كمارية عندها ، فردته حيث جهدها  
السير وأهزلها<sup>(٤)</sup> . والإيبالة : الحزمة من الحطب اليابس .

(١) الداعرية : إبل منسوبة إلى فعل يقال له : داعر ، معروفة بالنجاة والسكرم . وخوضها : سيرها  
بالليل . والدثور : الرجل الثقيل البدن ، الذى لا يبرح مكانه . الملف ، أى فى ثيابه .  
(٢) العشر : شجر له صمغ ، وفى حاشيتي الأصل ، ف : « يعنى بجائل العشر ما يابس من هذا  
الشجر ، وأصل الجائل فى الإبل إذا لم تحمل » .

(٣) القلة ، بالفتح : حصاة القسم ؛ توضع فى الإناء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم ؛ وذلك عند  
قلة الماء فى المفاوز . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « هزلها » .

وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال :

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً  
فَكَمْ جَزَعٌ وَإِدْجَبٌ ذِرْوَةَ غَارِبٍ  
رَعَاهَا، وَمَاءُ الْمُزْنِ يَنْهَلُ سَاكِبَهُ<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ قَبْلِ كَانَتْ أَتَمَكَّتُهُ مَذَابِهُ<sup>(٢)</sup>  
فَأَمَّا قَوْلُهُ/ :

فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بَقِيَّةً  
فَمَا خُذْ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ<sup>(٣)</sup> :  
عَلَيْكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا

فَمَا بَقِيَا عَلَى تَرَكَتُمَانِي  
وَقَرِيبَ مِنْهُ قَوْلِ الْآخِرِ :  
وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالَ<sup>(٤)</sup>

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَتْنَوْا عَلَيْكَ  
وَلَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْمَعًا  
إِلَى أَنْ يُعَيِّبُوكَ مَا أَحْجَمُوا  
إِلَى أَنْ يُجِلُّوْا وَأَنْ يُعْظَمُوا  
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَلْجَأْتَهُمْ

(١) ديوانه : ٤٤ : من قصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر ؛ وأولها :

أَهْنَى عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ  
فَمَرْمًا فَقَدَمَا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ  
وفي الديوان : « وماء الروض ينهل ساكبه » . وبعده :

فَأُضْحِي الْفَلَاقَ دَجْدَ فِي بَرَى نَحْضُهُ  
وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَاكَ يَلَاغِبُهُ  
النَّحْضُ : اللحم المكتنز .

(٢) جب : قطع . أتمكته : أتمنته المذائب : مجارى الماء . ورواية الديوان :

\* وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَتَمَكَّتُهُ مَذَابِهُ \*

(٣) هو اللعين المقرئ ؛ وكان قد تعرض لجرير والفرزدق فقال :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كَلِيبٍ  
وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عَقَالٍ  
بَأَنَّ الْكَلْبَ مَرْتَعَهُ وَخَيْمُهُ  
وَأَنَّ الْقَيْنَ يَمْعَلُ فِي سَفَالٍ  
فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمَا ؛ فقال :

فَمَا بَقِيَا عَلَى تَرَكَتُمَانِي ، وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالَ

(٤) البقا : الرحمة والشفقة . وصرد السمهم : نفذ أو نسل ؛ وهو من الأضداد ؛ والمعنى على الأول :

أنكما خفتما أن تنفذ سهمي فيكما ، أي هجائي ، وعلى الثاني : أنكما خفتما ألا تنفذ سهامكما ، فعجزتما عن الرد عليّ .

ومثله وقريب منه :

أَمَا لَوْ رَأَى فِيكَ الْعَدُوَّ نَقِصَةً      نَلْبَ بَتَّصُرِ يَفِ الْعُيُوبِ وَأَوْضَاعًا  
وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَاكَ مَبْرَأً      مِنْ الْعَيْبِ غَطَّى رَأْسَهُ وَتَقَبَّعًا

ومثله :

قَدْ طَلَبَ الْعَاذِلُ عَيْبًا فَمَا      أَصَابَ عَيْبًا فَانْثَنَى عَاذِرًا

وللبجترى في معنى قول مروان :

\* فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً \*

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاء الأسد :

غَدَاةَ لَقِيتَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ      يُحَدِّدُ نَابًا لِلِقَاءِ وَغَلَبًا<sup>(١)</sup>  
شَهِدْتُ ، لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي      لَهُ مُصْلِتًا عَضْبًا مِنَ الْبَيْضِ مِثْمَبًا<sup>(٢)</sup>  
فَلَمْ أَرَ ضِرْغَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمَا      عِرَاكَ إِذَا الْهَيَاةُ النِّكْسُ كَذَبًا<sup>(٣)</sup>  
هَزَبْرٌ مَشَى يَبْغِي هَزَبْرًا ، وَأَغْلَبُ      مِنَ الْقَوْمِ يَغْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبًا<sup>(٤)</sup>  
أَدَلَّ بِشَنْبٍ نَمَّ هَالَتُهُ صَوْلَةٌ      رَأَاكَ لَهَا أَمْضَى جَنَانًا وَأَشْغَبًا  
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا      وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا  
فَلَمْ يَغْنِهِ أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلًا ،      وَلَمْ يُنْجِهْ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبًا  
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفُ لَا عَزْمُكَ أَنْثَنَى ،      وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ ، وَلَا حُدَّ نَبَا  
/ وَكُنْتُ مَتَى تَجْمَعُ يَمِينِيكَ<sup>(٥)</sup> تَهْتِكُ الْخُ      مَرِيبةً ، أَوْ لَا تُبْقِ لِلْسَّيْفِ مَضْرِبًا

١٠

١٥

[١٩٨]

و

ومن صافي كلام مروان ورائقه ، ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسيج

قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥٦ . (٢) يقال : أصلت السيف إذا جردته . والعضب : السيف القاطم .

والفضيب : القطع أيضا . (٣) أي كذب الظن فيه ؛ ومن نسخة بحاشية الأصل : « نكبا » .

(٤) الأغلب : الأسد إذا كان غليظ الرقبة . (٥) جمل كلتايديه يميننا .



بنو مطرَ يومَ اللقاء كأنهم  
هم ينعمون الجارَ حتى كأنما  
لهايم في الإسلام سادوا ولم يكن  
هم القوم إن قالوا أصابوا، وإن دُعوا  
وما يستطيعُ الفاعلونُ فعالمهم  
ثلاثُ بأمثالِ الجبالِ حباهم  
أسودُّ لها في غيلِ خفانِ أشبل<sup>(١)</sup>  
لجارهم بين السماكين منزلُ  
كأولهم في الجاهلية أولُ  
أجابوا، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا  
وإن أحسنوا في النَّائبِ وأجملوا  
وأحلامهم منها لدى الوزنِ أثقلُ

ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنًا :

ما من عدوٍّ يرى معنًا بساحته  
يلقى إذا الخيلُ لم تُقدِّم فوارسها  
أغرَّ يُحسبُ يومَ الرّوعِ ذا لبدٍ  
إلاَّ يظنُّ المنايا تسبقُ القدرًا  
كاللّيث يزُدادُ إقدامًا إذا زُجرًا  
ورداً ويحسبُ فوق المنبرِ القمرا<sup>(٢)</sup>

وله من قصيدة يصف يوماً حارًّا :

ويومٍ عسول الآلِ حامٍ كأنما  
نصبنا له منّا الوجوهَ وكنّا  
لظى شمسِهِ مشبُوبُ نارٍ تلهبُ<sup>(٣)</sup>  
عصائبُ أسهلٍ بها تنعصبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى :

ويومٍ من الشمرى يذوبُ لعابه  
نصبتُ له وجهي ولكنَّ دونهُ  
أفاعيه في رمضائه تتممَلُ<sup>(٤)</sup>  
— ولا سترَ — إلاَّ الأنحى المرعبُ<sup>(٥)</sup>

(١) حماسة ابن الشجرى : ١٠٩ - ١١٠ ، وأبيات منها في باب الآداب ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٢) لبد : جمع لبدة ؛ وهو ما اجتمع من الشعر على قفا الأسد فتلبد .

(٣) عسول : جار ؛ وأصله في الذئب والتملب . وحام : حار . (٤) لامية العرب — بشرح الرخمى :

١٢٨ - ١٢٩ . الشعرى : من السكواكب الفيزية . (٥) الأنحى : نوع من البرود . والمرعب :

المقطعة .

ولمروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ، ويذكر نخلها وشجرها  
أجاد فيها :

نواصر غلباً قد تدانت رءوسها من النبت حتى ما يطير غرابها<sup>(١)</sup>  
ترى الباسقات العم فيها كأنها ظمائن مضر وب عليها قبابها  
[١٩٨] / ترى بابها سهلاً لكل مدفع إذا أينعت نخل فأغلق بابها<sup>(٢)</sup>  
يكون لنا مانجتي من ثمارها ربيعاً إذا الآفاق قل سحابها  
حظائر لم يخلط بأمانها الربا ولم يك من أخذ الديات اكتسابها  
ولكن عطاء الله من كل مدحة جزيل من المستخلفين ثوابها  
ومن ركضنا بالخليل في كل غارة حلال بأرض المشركين نهابها<sup>(٣)</sup>  
١٠ حوت غنمها آباؤنا وجدودنا بصم العوالي والدماء خضابها

أما قوله :

حظائر لم يخلط بأمانها الربا ولم يك من أخذ الديات اكتسابها  
فكان ابن المعتز نظر إليه في قوله :  
لنا إبل ما وفرتها دماؤنا ولا ذعرتها في الصباح الصواب<sup>(٤)</sup>  
١٥ وفي ضد هذا قول أبي تمام :

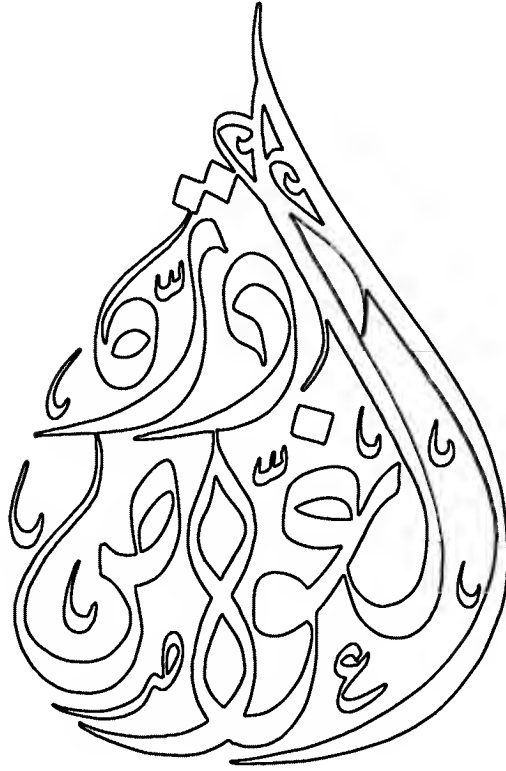
(١) ف : « نواصر عليا » .  
(٢) يريد أنه إذا أغلق الآخرون الأبواب على نخيلهم ؛  
فإن نخل هذه الروضة لا يفلق بابه .

(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « للخل » . (٤) ديوانه : ٢٢ ؛ والرواية فيه :

\* لنا وفرّة ما وفرتها دماؤنا \*

وفي نسخة ش : « الصوائح » ؛ والمعنى أنه لم تأخذ عوضاً عن دمائنا .

كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَسَارِحُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ مَنَاجِحٍ وَدِيَاتٍ<sup>(١)</sup>  
ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قریش :  
وما لَكُمْ لَأَمِنْ طَرَادٍ فَوَارِسٍ وَلَكِنْ مِنَ التَّرْقِيحِ يَا آلَ مَالِكٍ<sup>(٢)</sup>



(١) ف ، حاشية الأصل من نسخة : « المواشى » ؛ وفي حاشيتيهما أيضا : إذا سكنت الياء . من  
« المواشى » ؛ كان البيت مشعث العروض ؛ والتشعيت في العروض غير مألوف وإنما هو في الضرب الأول  
من الخفيف . والتشعيت : أن تقطع وتد فاعلاتن فتحذف ألفه وتسكن لآمه فتصير : « فاعاتن » ، فتصير :  
« مفولان » . (٢) الترقيح : لإصلاح المال .

# مَجْلِسُ آخِرِ

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص : ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان : ٩]. وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧]. وما شا كل ذلك من آى القرآن المتضمنة لذكر الوجه .

الجواب ، قلنا : الوجه فى اللغة العربية ينقسم إلى أقسام :

فالوجه المعروف المركب فيه العيان من كل حيوان .

والوجه أيضا أولُ الشىء وصدره ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَافَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران : ٧٢] أى أول النهار ؛ ومنه قول الربيع بن زياد :

[١٩٩] / مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ<sup>(١)</sup>

أى غداة كل يوم . وقال قوم : وجه نهار : موضع .

والوجه القصد بالفعل ؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛

[ لقمان : ٢٢ ] ؛ معناه : من قصد بأمره وفعله إلى الله سبحانه ، وأراد بهما . وكذلك

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ ، [ النساء : ١٢٥ ] ؛ وقال

الفرزدق :

(١) الحماسة — بشرح المرزوق ٩٩٥ ؛ وفى نسخة بجاشيتى الأصل ، ف : « فليأت ساحتنا » ؛

وهى رواية الحماسة ؛ وهو مالك بن زهير العبسى قتل فى بنى فزارة ؛ فرائه الربيع بأبيات من هذا البيت .

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَابِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بُنَاةَ الْمَكَارِمِ  
 أَيْ جَعَلْتُ قَصْدِي وَإِرَادَتِي لَهُمْ ، وَأَنْشُدُ الْفَرَاءَ :  
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخَصِّصَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ  
 أَيْ الْقَصْدُ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الصَّلَاةِ : وَجَّهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ أَيْ  
 قَصَدْتُ قَصْدِي بِصَلَاتِي وَعَمَلِي ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ ٥  
 [ الرُّومُ : ٤٣ ] .

وَالْوَجْهُ الْإِحْتِيَالُ لِلْأَمْرَيْنِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ كَيْفَ الْوَجْهَ لِهَذَا الْأَمْرِ ؟ وَمَا الْوَجْهَ فِيهِ ؟ أَيْ  
 مَا الْحِيلَةُ ؟

وَالْوَجْهَ الْمَذْهَبَ وَالْجِهَةَ وَالنَّاحِيَةَ ، قَالَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضِ الْخَنْفِيِّ :  
 ١٠ أَيْ الْوُجُوهِ اتَّجَعَتْ ؟ قُلْتُ لَهُمْ : لَا أَيْ وَجْهٍ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ<sup>(١)</sup> !  
 مَتَى يَقُولُ صَاحِبًا سُرَادِقِهِ : هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَبْتَسِمُ

وَالْوَجْهَ : الْقَدْرَ وَالْمَنْزِلَةَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِفُلَانٍ وَجْهٌ عَرِيضٌ ، وَفُلَانٌ أَوْجَهُ مِنْ فُلَانٍ ،  
 أَيْ أَعْظَمَ قَدْرًا وَجَاهًا ، وَيُقَالُ : أَوْجَهَهُ السُّلْطَانُ إِذَا جَعَلَ لَهُ جَاهًا ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :  
 وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكَبْتُ الْبَرِيدَ<sup>(٢)</sup>

وَالْوَجْهَ الرَّئِيسَ الْمَنْظُورَ إِلَيْهِ ؛ يُقَالُ : فُلَانٌ وَجَهُ الْقَوْمِ ، وَهُوَ وَجْهٌ عَشِيرَتِهِ ؛ وَوَجْهٌ ١٥  
 الشَّيْءِ نَفْسُهُ وَذَاتُهُ ؛ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَنْدَلٍ السَّعْدِيُّ :

(١) الْأَغَانِي ١٥ : ١٤ . (٢) اللِّسَانُ ( وَجْهٌ ) ؛ وَهُوَ مِنْ آيَاتِ أَرْبَعَةٍ فِي الْأَغَانِي ٨ : ١٩٦

( طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْمِصْرِيَّةِ ) ، وَفِي حَاشِيَةِ ف : « يُقَالُ : حَمَلُ فُلَانٍ عَلَى الْبَرِيدِ إِذَا هَيَّأَ لَهُ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ  
 مَرْكُوبَ لِيَرْكَبَهُ ؛ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَرَحَلَةِ الْأُخْرَى نَزَلَ عَنِ الْمَعْيِ وَرَكَبَ الْمَرْفَهَ ؛ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الْحَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ فَأُفْلَتَ مِنْهَا وَجْهَهُ عَتِدَتْ نَهْدٌ<sup>(١)</sup>

أراد أفلته ونجّاه ومنه قولهم : إنما أفعل ذلك لوجهك ، وبدل أيضا على أن الوجه يُعبر به/عن الذات قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۚ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ ﴾ [القبامة : ٢٢ - ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۚ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۖ ﴾ [الغاشية : ٨ ، ٩] ، لأن جميع ما أُضيف إلى الوجوه في ظاهر الآي ؛ من النظر ، والظن ، والرضا لا يصحُّ إضافته في الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة ، فمعنى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۖ ﴾ ؛ أى كل شيء هالك إلا هو ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۖ ﴾ ؛ لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل « ذى الجلال » كما قال : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۖ ﴾ ؛ [ الرحمن : ٧٨ ] : لما كان اسمه غيره .

ويمكن في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۖ ﴾ وجه آخر ؛ وقد روى عن بعض المتقدمين ، وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به إلى الله تعالى ويوجّه ؛ نحو القربة إليه أجلت عظمته ؛ فيقول : لا تُشرك بالله ، ولا تدعُ إلها غيره ؛ فإن كل فعل يُتقرب به إلى غيره ، ويُقصد به سواء فهو هالك باطل ؛ وكيف يسوغ للمشبّه أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر ! أوليس ذلك يوجب أنه تعالى يَفَنِي ويبقى وجهه : وهذا كفر وجهل من قائله .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ۖ ﴾ ، [ الإنسان : ٩ ] ، وقوله : ﴿ إِلَّا

(١) حفزنا : طعنا . ويقال فرس عتد ، بفتح التاء وكسرهما : إذا كان شديدا تام الخلق سريع الونة ؛ ليس فيه اضطراب ولا رخاوة والنهد من نعت الخيل : الجسم المشرف . والحوفزان هو الحارث بن شريك طعنه قيس بن عاصم يوم جدود ؛ والمفهور في ذلك قول سوار بن حبان المنقرى :

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الْحَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ      سَقْتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الْجُوفِ أَشْكَالًا  
وَحِرَانَ قَسْرًا أَزْلَتَهُ رَمَاحُنَا      فَعَالَجَ غُلًّا فِي ذِرَاعَيْهِ مُقْفَلًا

ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ ؛ [ الليل : ٢٠ ] ، وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ، [ الروم : ٣٩ ] ؛ فمعلوم أن هذه الأفعال مفعولة له ؛ ومقصود بها ثوابه ، والقربة إليه ، والزلفة عنده .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ [ البقرة : ١١٥ ] ، فيحتمل أن يُراد به : فَمَّ اللَّهُ ، لا على معنى الحلول ، ولكن على معنى التدبير والعلم ، ويحتمل أن يُراد به : فَمَّ رضا الله وثوابه والقربة إليه .

ويحتمل أن يُراد بالوجه الجهة ، وتكون الإضافة بمعنى الملك والخلق والإنشاء والإحداث ؛ لأنه عز وجل قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ أى أن الجهات كلها لله تعالى وتحت ملكه ؛ وهذا واضح بين بحمد الله .

\*\*\*

أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال : أنحدرنا <sup>١٠</sup> مع المكتفي بالله في آخر سفرة سافر لها للصيد من الموضع المعروف بمحنة إلى تكريت في حرّاقة <sup>(١)</sup> فكانت تجنح كثيراً ، فيشتد فزع مَنْ معه من الجلساء / لذلك ؛ وكنت أشدهم <sup>[ ٢٠٠ ]</sup> فزعاً ، وكان في الحرّاقة سواى من الجلساء يحيى بن علي المنجم ، ومتوِّج بن محمود بن مروان ، والقاسم المعروف بابن حبابة ، وكان يضحك لفزعنا ويقول : لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلاً ، فقلت له : إن البحتري يقول شعراً يصف فيه مثلَ حالنا ، ويمدح به أحمد بن <sup>١٥</sup> دينار بن عبد الله - وقد غزا الروم في مراكب - أوله :

أَلَمْ تَرَ تَغْلِيَسَ الرَّبِيعَ الْمَبَكِّرَ      وما حاك من وشى الرِّياضِ الْمُنَشَّرِ <sup>(٢)</sup>

(١) الحرّاقة : اسم لسفينة ؛ وأصل الحرّاقات : سفن كانت بالبصرة ، فيها مرامي نيران يرمى بها العدو .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٢ - ٢٤ .

فقال له : أنشدني الموضع الذي ذكر هذا فيه منها - وكان جيّد العلم بالأشعار ، حافظاً  
للاخبار - فأنشده :

- غَدَوْتُ عَلَى الْمَيْمُونِ صُبْحًا ، وَإِنَّمَا      غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيْمُونُ تَحْتَ الْمُنْظَرِ (١)  
إِذَا زَمَجَرَ النُّوتَى فَوْقَ عَلَانِهِ      رَأَيْتَ خَطِيمًا فِي ذُوَابَةِ مِنْبَرِ (٢)  
يَقْضُونَ دُونَ الْإِسْتِيَامِ عُيُونَهُمْ      وَفَوْقَ السَّمَاءِ نَلْعَظِمِ الْمُؤَمَّرِ (٣)  
إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ      جَنَاحًا عُمَاقِ فِي السَّمَاءِ مُهَجَّرِ (٤)  
وَإِذَا مَا انْكَفَأَ فِي هَبْوَةِ النَّارِ خِلْتَهُ      تَلَفَعَ فِي أَثْنَاءِ بُرْدِ مُجَبَّرِ (٥)  
وَحَوْلَكَ رَكَابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقِرُوا      كَوْدَسِ الرَّدَى مِنْ دَارِ عَيْنٍ وَخُسَّرِ (٦)  
تَمِيلُ الْمَنَازِلُ حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ      إِذَا أَصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمَذْكَرِ  
إِذَا أَرَشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رِشْقُهُمْ      لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءٍ مُقْتَرِ (٧)

(١) قبله :

وَلَمَّا تَوَلَّى الْبَحْرُ وَالْجُودُ صِنْوُهُ      غَدَا الْبَحْرُ مِنْ أَغْلَاقِهِ بَيْنَ أَبْحُرِ  
أَضَافَ إِلَى التَّدْبِيرِ فَضْلَ شِجَاعَةِ      وَلَا عَزَمَ إِلَّا لِلشَّجَاعِ الْمَدْبَرِ  
إِذَا شَجَرُوهُ بِالرَّمَاكِ تَكَسَّرَتْ      عَوَامِلُهَا فِي صَدْرِ لَيْثٍ غَضَنْفَرِ

والميمون ، يريد به السفينة ؛ وفي حاشية الأصل : « هو اسم حراقة » .

(٢) حاشية الأصل : « العلاء : الموضع الذي يركب فيه الملاح من السفينة » .

(٣) حاشية الأصل : « يقال وقفوا دونهم سماءاً ؛ أي امظفوا ؛ وفي شعره : « وقفوا السماط » ؛ قال

س : « وهو الصواب ؛ وكذا قرأت على مشايخي . والإشتيام : رئيس المركب ؛ كلمة نبطية » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إذا عصفت فيه » ؛ وهي رواية الديوان ومهجر ؛ أي

يخلق في الهاجرة . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « انكفا الميمون ؛ أي تمايل ؛ وأراد بهوة

النار ما كانوا يرمون به من النار إلى العدو من الحراقة التي اسمها ميمون ، وشبه مواد الحراقة وحرارة النار

وبياض الماء بلون البرد . وانكفا ، أصله الهمز نفث ؛ يقال : انكفأت المرأة وتكفأت ؛ إذا تمايلت في

سيرها » وفي م : والديوان : « هبوة الماء » تصحيف . (٦) المعاقرة : الملازمة .

(٧) الرشق : الرمي من جهة واحدة . والشواء المقتر : الذي يصعد منه القنار ؛ والقنار عند العرب :

ريح الشواء إذا ضهب على الجمر .



صَدَمَتْ بِهِمْ صُحُبَ الْعُمَانِ دُونَهُمْ  
يَسْؤِفُونَ أَسْطُولًا كَأَنَّ سَهْمِيْنَهُ  
كَأَنَّ ضَجِيْجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ  
تُقَارِبُ مَنْ زَحَفِيْهِمْ فَكَأَنَّمَا  
فَارَمَتْ حَتَّى أَجَلَتْ الْحَرْبُ عَنْ طُلَى  
عَلَى حَيْنَ لَا تَنْقَعُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا  
وَكُنْتُ ابْنَ كِسْرَى قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ  
/ جَدَحْتُ لَهُ الْمَوْتَ الدُّعَا فَعَاْفَهُ  
مَضَى وَهُوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا

ضِرَابٌ كِلَابِقَادِ اللَّطَى الْمُتَسَمِّرِ  
سِحَابٌ صَيْفٍ مِنْ جَهَامٍ وَمُمْطِرٍ (١)  
إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيْعُ عَوْدٍ مُبْجَرَجٍ (٢)  
تَوَلَّى مِنْ أَعْنَاقٍ وَخَشٍ مُنْفَرٍ  
مُقَصَّصَةٍ فِيْهِمْ ، وَهَامٍ مُطِيرٍ (٣)  
وَلَا أَرْضَ تَلْقَى لِلصَّرِيْعِ الْمُقْطَرِ (٤)  
مَلِيًّا بَأَنْ تُوْهِى صَفَاةُ ابْنِ قَيْصَرٍ  
وَطَارَ عَلَى الْوَاَحِ شَطْبٌ مُسَمَّرٍ (٥)  
عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُوَلِّ الصَّنِيْعَةَ يَشْكُرُ

٥

[٢٠٠]

ط

١٠ قال : فاستجداد المكتفى قوله :

\* عَلَى حَيْنَ لَا تَنْقَعُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا \*

فقال له يحيى بن علي : أنشدني ابن الرومي شعرا له في هذا المعنى :

وَلَمْ أَنْكَلَمْ قَطُّ مِنْ ذِي سِبَاخَةٍ  
سِوَى الْغَوْصِ ، وَالْمَضْعُوفِ غَيْرِ مُغَالِبِ (٦)  
وَلَمْ لَا؟ وَلَوْ أُلْقِيْتُ فِيهَا وَصَخْرَةً  
لَوَافَيْتُ مِنْهَا الْقَمَرِ أَوَّلَ رَاسِبِ  
وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْبَى  
أَمْرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّةَ الْمَجَانِبِ ١٥  
وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ  
فَكَئِيفَ بِأَمْنِيْهِ عَلَى كُلِّ رَاكِبٍ !

(١) الأسطول : جماعات السفن . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال ش : ذكر لي أستاذي عند قراءة شعر البحتري عليه بأصبهان أن الأسطول لغة مصرية ؛ وهي عندهم عبارة عن جماعة العسكر الذين يتوجهون إلى البحر بحوانيجهم ؛ فهم بمجموع مراكبهم وحرقاتهم وشباراتهم وتجارهم أسطول ؛ ويشتكى أهل مصر فيقولون : ما جاءنا العام أسطول » . وفي حاشية الأصل أيضا : « الشبارات : نوع من المراكب البحرية » .

(٢) العود : المسن من الإبل . (٣) الطلى : جمع طلية ؛ وهي صفحة العنق ؛ ومقصصة :

مقطعة . ورواية الديوان : « طلى مقطعة » . (٤) يقال : طعنه فقطره ؛ أي ألقاه على قطره ، أي

جانبه ، فتنطر . (٥) جدحت : خلطت ؛ والشطب في الأصل : الفرس الطويل ؛ وجعل المركب

شطبا على التشبيه لمراكبه ونجا . (٦) ديوانه الورقة ٢٣ ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

فقلت له : إنما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس ؛ فقال المكتفي بالله : فما قال ؟ قلت : حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني إبراهيم بن الحبيب قال : وقف أبو نواس بمصر على النيل ؛ فرأى رجلاً قد أخذه التمساح فقال :

٥ أضمرت للنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِبَةً      مُدْقِلَ لِي : إِنَّمَا التَّمْسَاحُ فِي النَّيْلِ  
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ      فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِلِ  
قال الصولي : والبواقل سُفْنُ صغار .

ثم أجرى المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب ، فقال : العرب تقول أظلم من شيب ، وقد شِبت ، وظلمني المشيب ؛ وشبت يا صولي ، فقلت : جواب عبدك في هذا جوابُ معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له : كبرت يا معن ، فقال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك لتتجأد ، قال : علي أعدائك ، قال : وفيك بحمد الله بقيّة ، قال : لخدّمتك . فنزع المكتفي عمامته ، فإذا شيبتان في مقدّم رأسه ، فقال : لقد غمّنى طلوع هاتين الشيبتين ، فقلت له : إنما يعمش الناس في الشيب ؛ فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من [٢٠١] أربعين سنة إلى الخمسين / ، وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة . وأنشده يحيى ١٥ ابن علي في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنُوءَةً      وَبَعْدَ الْمَشَيْبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلَبَسًا<sup>(١)</sup>  
وأنشدته أنا أيضاً أحياناً أنشدها إسحاق بن إبراهيم الموصلی لبعض القديسين :  
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْي الْمَشَيْبُ قُلَامَةً      الْآنَ حِينَ بَدَأَ الْبُ وَأَكْبَسُ  
وَالشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ      عُمْرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ

٢٠ قال سيدنا أدام الله تمكينه : أما قول البحترى : « مضى وهو مولى الريح » فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثعري :

أَشْلَى عَلَى مَنْوِيلَ أَطْرَافِ الْقَنَا      فَنَجَا عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاءٍ<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ أَنَّهُ أَبْطَأَ لَهُنَّ هُنَيْهَةً      لَصَدَرْنَ عَنْهُ ، وَهُنَّ غَيْرُ ظَاهِرٍ  
فَلَنْنُ تَبَقَاءَهُ الْقَضَاءُ لَوْ قَتِهَ      فَاقْتَدُ عَمَمَتْ جُنُودُهُ بِفَنَاءٍ

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر فتح

الحرمية<sup>(٢)</sup>.

٥

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقُلَّةٌ عَلِقُوا بِهَا      بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ<sup>(٣)</sup>  
فَلَيْشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا      فَهُمْ لِدَرُوزٍ وَالظَّلَامِ مَوَالِي<sup>(٤)</sup>

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سُفْنُ صغار ؛ لأن البواقيل

جمع بوقال ؛ وهو آلة على هيئة الكوز معروفة ؛ تُعمل من الزجاج وغيره ؛ وهذا مثل قول ابن

١٠

الرومي :

\* أَمْرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْمَجَانِبِ \*

وإنما أراد أنني لا أمرّ بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال .

وأظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله : « فما أرى النيل » وصرف ذلك إلى

أنه أراد النيل على الحقيقة ؛ وإنما أراد ماء النيل ؛ وماعلمت أن السفن الصغار يقال لها بواقيل

إلا من قول الصولي ، هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان ١٥

بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه / وأليق وأدخل في معنى الشعر ؛ وكيف تدخل الشبهة في [٢٠١]

ظ

ذلك مع قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥ ؛ أشلى : أغرى . ومنوِيل : اسم فلعة والعتيقة هنا : الفرس .

(٢) الحرمية : فرق تنسب إلى بابك الحرمي ؛ خرج من كورة بفارس تدعى البذء ، وأثار فتنه على الخليفة

سنة ٢١٠ ؛ وامتدت زمن المأمون والمعتصم ؛ إلى أن قتل بعد حوادث دامية في أزمان متطاولة ؛ على يد

الأفشين قائد المعتصم سنة ٢٢٣ . (٣) ديوانه : ٢٦٢ . (٤) دروز : موضع في نهر

أذربيجان ؛ كذا ذكره ياقوت وأورد بيتي أبي تمام .

\* فمن رأى النيل رأى العين من كَشَبٍ \*

ومن رأى النيل فى السفن فقد رآه من كَشَبٍ، ومن رأى ماءه فى الآنية على بُعد لا يكون رائيًا له من كَشَبٍ .

\*\*\*

فأمامدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فأكثرُوا؛ فمما تقدم من ذلك

٥ قول رُؤبة بن المعجاج ؛ ويقال إن رُؤبة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالشَّيْءِ      بِ أَقْلَنِّ الشَّبَابِ انْتِخَارًا  
قَدْ لَبَسْتُ الشَّبَابَ غَضًّا جَدِيدًا      فوجدتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارًا

والمعلّى بن جبلة :

جفا طربَ النَّمِيانِ وهوَ طُرُوبُ      وأَعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبُ  
تَجَافَتْ عُيُونُ الْبَيْضِ عَنْهُ ، وَرُبَّمَا      مَدَدْنَ إِلَيْهِ الْوَصْلَ وَهُوَ حَبِيبُ  
لَعَمْرِي لَنِعْمَ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ وَأَعْظَا      وَإِنْ كَانَ مِنْهُ لِلْعِيونِ نُكُوبُ  
خَلِيطُ نُهَى ، مُنْتَابُ حِلْمٍ ؛ وَإِنَّهُ      عَلَى ذَاكَ مَكْرُوهُ الْخِلَاطِ مُرِيبُ

١٠

ولآخر :

وَتَنَكَّرْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا :      لَيْسَ الْمَشِيبُ بِنَاقِصٍ عُمَرِي  
سَيَّانِ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا      مَا كُنْتُ مِنْ عُمَرِي عَلَى قَدَرٍ

١٥

ولآخر :

إِنْ أَكُنْ قَدَرُزِيَّتُ أَسْوَدَ كَالْفَحَّ      وَأَعْقَبْتُ مِثْلَ لَوْنِ الثُّغَامَةِ (١)  
فَلَمَّذْتُ أَسِيفُ الْكَرِيمِ وَأَحْبُو      أَهْلَهُ بِالْفَدَى وَآبِي الضَّلَامَةِ

(١) الثغامة : نبت أبيض يشبه به الشيب .

غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ كَانَ رِدَاءً خَانَنَا فَيَوْهُ كَفَىءَ الْغَمَامَةِ  
وَلَا خَر :

إِنَّ الْمَشِيبَ رِدَاءَ الْحِلْمِ وَالْأَدَبِ  
تَعَجَّبْتُ إِذْ رَأْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا :  
كَمَا الشَّبَابُ رِدَاءُ الْإِيمَانِ وَاللَّعِبِ  
لَا تَعَجَّبِي، مَنْ يَطْلُ مُعَمَّرٌ بِهِ يَشِبُ<sup>(١)</sup>

، لابن الجهم :

حَسَرْتُ عَنِّي الْقَنَاعَ ظُلُومُ  
/ أَنْكَرْتُ مَا رَأْتُ بِرَأْسِي فَقَالَ :  
قُلْتُ : شَيْبٌ وَلَيْسَ عَيْبًا ، فَأَنْتِ  
شَدَّ مَا أَنْكَرْتُ تَصْرُفُ عَيْنِي  
وَتَوَلَّتْ وَدَمَعُهَا مَسْجُومُ<sup>(٢)</sup>  
أَمْشِيبُ أَمْ أُؤْلُو مَنْظُومُ !  
أَنَّهَ يَسْتَشِيرُهَا الْمَهْمُومُ  
لَمْ يَدُمْ لِي ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَدُومُ !

[٢٠٢] و

وَلَأَبِي هِفَان :

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا :  
وَزَادَهَا عَجَبًا لَمَّا رَأْتُ سَمَكِي  
لَا تَعَجَّبِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ فِي الصَّدَفِ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا دَرْتُ دُرٌّ أَنَّ الدُّرَّ فِي الصَّدَفِ<sup>(٤)</sup>

وقد أحسن أبو تمام غاية الإحسان في قوله :

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتَنِي<sup>(٥)</sup> مُخْجَاسَ الْقَصَبِ<sup>(٦)</sup>      وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ<sup>(٧)</sup>

(١) د ، ف ، حاشية الأمل من نسخة : « تعجبت. أن رأيت شيبى » ، (٢) ديوانه : ١٧٦-١٧٧ ؛ وظلوم : اسم امرأة .  
(٣) حساسة ابن الشجرى : ٢٤٥ ؛ والصدف : الظلمات .  
(٤) السمل ، محرّكة : الثوب الخلقى البالى ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « أن رحت في سمل » ؛ وهى رواية الحماصة . (٥) ديوانه : ١٥ ، والشهاب ١٠ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « إذ رأيتنى » ، وهى رواية الشهاب والديوان . (٦) يقال : أخاس النبات ؛ إذا جفأ أعلاه وابيض ، وفي حاشية الأصل : « الفصب : الذوائب المفصبة ؛ الواحدة قصبه وتجمع قصائب ، يقال : قصب ، فيسكن » . وبخط الشجرى : « النصب » ، بضم ففتح . (٧) حاشية الأصل : « أى كانت تعجب بنى فصارت تعجب من شيبى » . وفي الشهاب : « أم ، قوله : « من عجب إلى عجب » فن البلاغة الحسنة والاختصار السديد البارع » .

سِتِّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتِبْهَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحْبِ (١)  
فَلَا يُؤَرْفَكَ إِمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرِّأْيِ وَالْأَدَبِ (٢)

وللبحتري :

عَيَّرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهِيَ رَمَتْهُ فِي عِذَارِي بِالْصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ (٣)  
لَا تُرَبُّهُ عَارًا فَاهْوَ بِالشَّيْبِ بَ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ (٤)  
وَبِيَاضُ الْبَارِئِ أَصْدَقُ حُسْنًا إِنَّ تَأَمَّاتٍ مِنْ سَوَادِ الْعُرَابِ

وله :

هَا هُوَ الشَّيْبُ لَا ئِمَّا فَأَفِيقِي وَاتَرُكِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ (٥)  
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى (٦) وَتَلَفَنِي مِنْ اشْتِيَاقِ الْمَشُوقِ

(١) لم تحب : لم تأثم ؛ والحبوب : الإثم ، وبعده في الديوان :

يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مُشْتَهَرٌ عَزَمًا وَحَزَمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحَقْبِ  
فَأَصْغِرِي أَنْ شَيْبًا لَاحَ بِي حَدَثًا وَأَكْبِرِي أَنْفِي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشِبْ

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « فلا يفرئك » . والفتير : الشيب ، أو أوله . وفي الشهاب

للمرئضي : « وقوله :

\* فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرِّأْيِ وَالْأَدَبِ \*

يريد أن الرأى والأدب والحام إنما يجتمع ويتكامل في أوان الكبر والشيب دون زمان الشباب ، وقد  
تصف الشعراء أبدا الشيب بأنه تبسم في الشعر لبياضه ؛ إلا أن هذه من أبي تمام تسلي عن الشيب وتنبه على منفعة « .

(٣) ديوانه ١ : ٧ ، والشهاب : ٢٥ . وفي حاشية الأصل :

\* عَيَّرَتْنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَنُهُ \*

وهي رواية الديوان ؛ وبدنه ، مخفف من بدأته بالهمز . وفي حاشية الأصل أيضا ( من نسخة ) :

« جنته » . (٤) لآثره : لا تظنه . وفي حاشية الأصل : « جعل سواد الشباب وسخا وصدا على الشخص  
والشيب جلاء له » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ ، والشهاب : ٢٥ ، وحاسة ابن الشجرى : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وفي حاشيتي

الأصل ، ف : « يقول : أيتها العاذلة ، أفبقي من عذله وملامته ، فقد أقبل الشيب يلومه ويعذله ، ولأحاجة إلى  
عذلك وإن لم يفق فآثر كيه » . (٦) د ، والحاسة والشهاب . « عن عناء المعنى » .

عَذَلْتَنَّا فِي عَشَقِهَا أُمَّ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَازِلِ الْمَعْشُوقِ<sup>(١)</sup>  
 وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَ بِهَا الشَّيْبُ — بُفْرِيتْ مِنْ ظِلْمَةٍ فِي شُرُوقِ  
 وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَفَاحِي لَا بَصَرَ تِ أَنْيَقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنْيَقِ  
 وَسَوَادُ الْعُيُونِ لَوْلَمْ يَكْمَلْ بِبَيَاضٍ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ<sup>(٢)</sup>  
 / وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أَمَلِي<sup>(٣)</sup> بَصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغَبُوقِ  
 أَيْ لَيْلٍ يَبْهَى بَغَيْرِ نَجُومٍ أَوْ سَمَاءٍ تَنْدَى بَغَيْرِ بَرُوقِ!

[٢٠٢  
ط

ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

\* أَيْ لَيْلٍ يَبْهَى بَغَيْرِ نَجُومِ \*

من قول الشاعر :

أَشْيَبُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حُقُوقَهُ وَلَمْ يَمُضْ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ<sup>(٤)</sup>  
 رَأَتْ وَضَحًا فِي مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعِيَا وَشَتَانِ مُبْيَضُّ بِهِ وَبِهِمُ  
 تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعُ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومُ!

ولحمود الوراق في مثل هذا المعنى وهو قوله :

مَا الدُّرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ شَيْبٍ يُجَكِّلُ هَامَةَ الْكَهْلِ  
 وَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا جَدَّ الْمَسِيرُ بِهَا عَلَى مَهْلِ  
 لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا يَبْكِي الْجَهْلُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ  
 وَاشْكُرْ لَشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةُ الْفَضْلِ

(١) حاشية الأصل : « إنما عذلتها لأنه شاخ والعشق مع الشيخوخة لا يستحسن » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بالرموق » ؛ (٣) في حاشيتي الأصل : « أملى ،

محذف من أملا ؛ أَيْ أوثق ؛ يقال : ماؤ فلان بذلك ؛ إذا كان ثقة به ، وفلان أملا ؛ بكذا من فلان » .

(٤) البيت الأول والثالث في حاشية ابن الشجري : ٢٤٤ ، من غير نسبة .

ولآخر في مدح الشيب :

لَا يَرُوكُ الْمَشِيبُ يَا بَنَةَ عَبْدِ اللَّهِ      فَالْشَّيْبُ حَلِيَّةٌ وَوَقَارُ<sup>(١)</sup>  
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا      ضَحِكْتُ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارِ

ولى في هذا المعنى من قصيدة :

جَزَعْتُ لَوْحُطَاتِ الْمَشِيبِ وَإِنَّمَا      بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَى السَّكَالِ فَنَوَّرَا  
وَالشَّيْبُ إِن فَكَّرْتُ فِيهِ مَوْرِدٌ      لَا بُدَّ يُورِدُهُ الْفَتَى إِنْ عُمَّرَا  
يَبْيِضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي      إِنْ لَمْ يَزُرْهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ النَّثَرَى

وممن عدل بين الشيب والشباب ، ومدح كل واحد منهما طريق بن إسماعيل النخعي فقال :

وَالشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَهِ الصَّبَا      بَدَلٌ يَكُونُ لَدَى الْفَضِيلَةِ مَقْنَعٌ  
/ وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرِ حَيْثُهُ      لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعُهُ مَنْ يَجْزَعُ  
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةٌ جَدَّةٌ      وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَغْبَةِ أَنْفَعُ  
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ فَهَرُحْبَا      بِالشَّيْبِ حِينَ أَوَى إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ

[٢٠٣]

ومثله لآخر :

وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ لِي فِيهِ لَذَّةٌ      فَوَقَّرَنِي عَنْهُ الْمَشِيبُ وَأَدْبَا  
فَسَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى      وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالشَّيْبِ وَمَرْحَبَا

(١) حماسة ابن الشجري : ونسبهما إلى علي بن الجهم .



## مَجْلِسُ خَر تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة : ١٨٦] فقال : كيف ضَمِنَ الإجابة وتكفل بها ، وقد نرى مَنْ يدعو فلا يجاب ؟ .

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه .

أولها أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي﴾ أى أسمع دعوته ؛ ولهذا يقال للرجل : دعوتُ مَنْ لا يجيب أى دعوتُ مَنْ لا يسمع . وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب ؛ كما كان يجيب بمعنى يسمع ؛ يقال : سمع الله لِمَنْ حمده ؛ يراد به : أجاب الله مَنْ حمده وأنشد ابن الأعرابي :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ الْآثَ      يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

١٠

أراد يجيب ما أقول .

وثانيها أنه تعالى لم يُردْ بقوله : ﴿قَرِيبٌ﴾ من قُرب المسافة ؛ بل أراد أنى قريب بإجابتي ومعاونتي ونعمتي ، أو بعلمى بما يأتى العبد ويذَر ، وما يُسرّ ويَجْهَر ، تشبيهاً بقرب المسافة ؛ لأن مَنْ قرب من غيره عرف أحواله ولم تحف عليه ؛ ويكون قوله : ﴿أُجِيبُ﴾ على هذا تأكيداً للقرب ؛ فسكانه أراد : إننى قريب قريباً شديداً ، وإننى بحيث لا يخفى على أحوال العباد ؛ كما يقول القائل إذا وصفَ نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله : أنا بحيث أسمع كلامك ، وأجيب نداءك ، وما جرى هذا الجرى . وقد روى أن قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا / له : أربُّنا قريب فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأَنزل الله تعالى هذه الآية . [٢٠٣] ط

وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنى أجيب دعوة الداعى إذا دعانى على الوجه الصحيح، وبالشرط الذى يجب أن يقارن الدعاء ؛ وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ؛ ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ؛ ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال ؛ لأنه إن كان صلاحاً فعمل مادعا به ؛ وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه ، فهو أيضاً مجاب إلى دعائه .

ورابعها أن يكون معنى ﴿ دَعَانِي ﴾ أى عبدنى ، وتكون الإجابة هى الثواب والجزاء على ذلك ؛ فكأنه قال : إننى أثيبُ العباد على دعائهم لى ؛ وهذا مما لا اختصاص فيه .

وخامسها ما قاله قومٌ من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئاً فى إعطائه صلاحٌ فعمله به وأجابه إليه ، وإن لم يكن فى إعطائه إياه فى الدنيا صلاحٌ وخيرة لم يعطه ذلك فى الدنيا ، وأعطاه إياه فى الآخرة ، فهو مجيب لدعائه على كل حال .

وسادسها أنه إذا دعاه العبد لم يخلُ من أحد أمرين : إمّا أن يُجاب دعاؤه ، وإمّا أن يخار له بصرفه عما سأل ودعا ، فحسنُ اختيار الله له يقوم مقام الإجابة ، فكأنه يجاب على كل حال .

وهذا الجواب يضمف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاحٌ ومنفعة له فى الدنيا ، وإن كان فيه فساد فى الدين لغيره فلا يعطى ذلك ، لأمر يرجع إليه ، لكن لما فيه<sup>(١)</sup> من فساد غيره ، فكيف يكون مجاباً مع المنع الذى<sup>(٢)</sup> لا يرجع إليه منه شيء من الصلاح ! اللهم إلّا أن يقال : إنه دعا؛ مشروط بأن يكون صلاحاً ، ولا يكون فساداً ، وهذا مما تقدم .

ومعنى قوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ ، أى فليجيبونى وليصدقوا رسلى ، قال الشاعر :

وَدَاعٍ دَعَا يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى      فلمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ<sup>(٣)</sup>

(١-١) ساقط من الأصل، وتكملته من د ، ف . (٢) مطامع قصيدة كعب بن سعد الغنوى ؛

وهى فى أمالى الغالى ٢ : ١٤٨ - ١٥١ .

أى لم يجبه .

\*\*\*

قال سيدنا أدام الله علوه : وإذ كنا قد ذكرنا فى المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديمه ، والتمزى عنه ، والتسالى عن نزوله ؛ فنحن متبعوه بطرف مما قيل فى ذمه والتألم به والجزع منه .

فمن ذلك قول أبى حية النيرى :

[٢٠٤]      فليت الشيبَ كان به الرّحيل<sup>(١)</sup>      / ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عَنَّا  
وَقَدْ كَانَ الشَّبابُ لَنَا خَلِيلاً<sup>و</sup>      لَعَمْرُؤُا أَبَى الشَّبابُ نَقْدَ تَوَلَّى  
حَمِيداً مَا يُرَادُ بِهِ بَدِيل<sup>(٢)</sup>      إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا  
وَوَظِلُّ أَرَاكَ الدُّنْيَا ظِلِيلُ

وقال الفرزدق :

أَرَى الدَّهْرَ ، أَيَّامُ الشَّيْبِ أَمْرُهُ      عَلَيْنَا ، وَأَيَّامُ الشَّبابِ أَطَايِبُهُ<sup>(٣)</sup>  
وَفِي الشَّيْبِ لَذَاتٌ وَقُرَّةُ أَعْيُنٍ      وَمِنْ قَبْلِهِ عَيْشٌ تَعَلَّلَ جَادِبُهُ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا نَازَلَ الشَّيْبُ الشَّابَّ فَأَصَلَّتَا      بِسَيَفَيْهِمَا ، فَالشَّيْبُ لَا بَدَّ غَالِبُهُ  
فِيَا خَيْرَ مَهْزُومٍ ، وَيَاشَرَ هَازِمٍ      إِذَا الشَّيْبُ وَافَتْ لِلشَّابِّ كِتَابُهُ  
وَلَيْسَ شَبَابٌ بَعْدَ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ      مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يُرْجَعَ الدَّرَّ حَالُهُ  
وَمَا الْمَرْءُ مَنفُوعًا بِتَجْرِبٍ وَاعِظٍ      إِذَا لَمْ تَعْظُهُ نَفْسُهُ وَتَجَارِبُهُ

وأنشد إسحاق الموصلى :

- (١) حماسة ابن الشجرى : ٢٣٩ ، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .  
(٢) الحماسة : « لا يراد به بديل » . (٣) ديوانه : ١ : ٥٢ .  
(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : جادبه : عائبه ، أى لم يجد عيباً فتعلل وجهاً يتمجّل به باطلاً ومنه قول  
ذى الرمة :

فيا لك من خد أسيلٍ ، ومنطقٍ رخيمٍ ، ومن خلقٍ تعلل جادبه

لَعَمْرِي لَنْ حُلْتُ عَنْ مَهْلِ الصَّبَا      لَقَدْ كُنْتُ وَرَادًا لِمَشْرِبِهِ الْعَذْبِ<sup>(١)</sup>  
 لِيَا لِي أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَى لَاهِيَا      أَمِيسُ كَغُصْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ  
 سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ      وَوَصَلَ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ  
 سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ      سِوَى مَنْظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ<sup>(٢)</sup>

ولنصور النمرى :

مَا تَنْقَضِي حُسْرَةَ مَنِي وَلَا جَزَعُ      إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ<sup>(٣)</sup>  
 بَانَ الشَّبَابُ فَفَاتَنِي بِشَرَّتِهِ      صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٍ لَهَا خُدَعُ  
 مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ      حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ<sup>(٤)</sup>

ولمحمد بن أبي حازم :

عَهْدَ الشَّبَابِ ، لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَزَنًا      ١٠      مَا جَدَّ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدَّ لِي تُكُلُّ<sup>(٥)</sup>  
 سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَإِنْ      لَمْ يَبْقَ مِنْكَ لَهُ رُسْمٌ وَلَا طَلَلُ  
 جَرَّ الزَّمَانُ ذُيُولًا فِي مَفَارِقِهِ      وَلِلزَّمَانِ عَلَى إِحْسَانِهِ عِلَلُ<sup>(٦)</sup>  
 وَرَبَّمَا جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا مَرَحًا      وَبَيْنَ بُرْدَيْهِ غُصْنٌ نَاعِمٌ خَضِلُ  
 لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا      مِنْ الشَّبَابِ يَوْمٌ وَاحِدٌ بَدَلُ  
 كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عِيًّا عِنْدَ غَايَةِ      ١٥      وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

(١) حُتَّ : طردت ومنعت . (٢) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نظر العينين » .

(٣) حماسة ابن الشجري : ٢٣٩ (٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) :

مَا كِدْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهَ شَرَّتِهِ      حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهَا تَبَعُ

(٥) من أبيات في الأغاني ١٢ : ١٥٢ - ١٥٣ مجموعها ثلاثة عشرة بيتا ؛ وأبيات منها في الورقة :

١١٠ ، وحماسة ابن الشجري : ٢٣٩ . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي للزمان علل على تركه

الإحسان ؛ ويجوز أن يكون المعنى : له مع إحسانه علل » .

ولأبي نواس :

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ      وَمُحَسِّنَ الضَّحَكَاتِ وَالْمَزَلِ<sup>(١)</sup>  
كَانَ الْجَمِيلُ إِذَا ارْتَدَيْتُ بِهِ<sup>(٢)</sup>      وَمَشَيْتُ أَخْطَرُ صَيِّتِ النَّعْلِ  
كَانَ الْبَلِيغُ إِذَا نَطَقْتُ بِهِ      وَأَصَاخَتِ الْآذَانُ لِلْمُغْلَى  
كَانَ الْمُشَفَّعُ فِي مَآرِبِهِ      عِنْدَ الْحِسَانِ وَمُدْرِكِ التَّبَلِ  
وَالْبَاعِثُ وَالنَّاسُ قَدْ هَجَمُوا      حَتَّى أَيْتَ خَلِيفَةَ الْبَعْلِ  
وَالْأَمْرِي حَتَّى إِذَا عَزَمْتُ      نَفْسِي أَعَانَ عَلَى الْفَعْلِ  
فَالآنَ صَرْتُ إِلَى مَقَارِبَةٍ      وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي

قال سيدنا رضى الله عنه : وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من أعرابية ليستا لغيره .

ولبشار :

الشَّيْبُ كُرُهُ ، وَكُرُهُ أَنْ يَفَارِقَنِي      أُعْجِبُ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ<sup>(٣)</sup>  
يَمْضِي الشَّبَابُ وَيَأْتِي بَعْدَهُ خَلْفٌ      وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا بِمَفْقُودِ  
وهذا البيت الأخير يُروى لمسلم بن الوليد الأنصارى .

ومما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله :

طَرَفْتُ عُيُونََ الْغَايَاتِ وَرَبِّمَا      أَمَانَ إِلَى الطَّرَفِ كُلِّ مَمِيلِ<sup>(٤)</sup>  
/وما الشَّيْبُ إِلَّا شَعْرَةٌ، غير أنه<sup>(٥)</sup>      قَلِيلُ قِذَاةِ الْمَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ  
[٢٠٥]

(١) ديوانه : ٣١١ . (٢) ديوانه : « كان الجمال » .

(٣) البنتان في حماسة ابن الشجرى : ٢٤٥ ، ونسبهما إلى مسلم .

(٤) البنتان في حماسة ابن الشجرى : ٢٤٢ ، ونسبهما لابن الرومى ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« يقال : فلان مطروف العين فلان ؛ أى يحبه . والمعنى أنه وقم في عينه ، يقال : طرفت عينه بشوكة وبخاشية ثوب ؛ وأصله من طرفته إذا أصبت طرفه ، ورأسه إذا أصبت رأسه » . (٥) الحماسة :

\* وما شبتُ إِلَّا شَيْبَةً غَيْرَ أَنَّهُ \*

وله :

أَهْلًا بَوَافِدَةً لِلشَّيْبِ وَاحِدَةً      وَإِنْ تَرَاءَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مُؤَدُّودٍ  
لَا أَجْمَعُ الْحِلْمَ وَالصَّبْرَاءَ قَدْ سَكَنْتُ      نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ  
لَمْ يَنْهَنِي كِبَرُهَا وَلَا فَنَدُ      لَكِنْ صَحَّوتُ وَغُصْنِي غَيْرِ مَخْضُودٍ  
أَوْفَى بِي الْحِلْمُ وَافْتَادَ النَّهْيَ طَلَقًا      شَأْوَى وَعِفْتُ الصَّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدٍ<sup>(١)</sup>

٥

وقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب :

كَانَ كَحَلَاٍّ لَمَّا قِيَهَا فَقَدْ      صَارَ بِالشَّيْبِ لَعَيْنِيهَا قَدَى

ولغيره :

رَأَتْ طَالِعًا لِلشَّيْبِ أَغْفَلْتُ أَمْرَهُ      فَلَمْ تَتَعَاهَدَهُ أَكْفُ الْخَوَاضِبِ<sup>(٢)</sup>  
فَقَالَتْ: أَشَيْبٌ مَا أَرَى؟ قُلْتُ: شَامَةٌ      فَقَالَتْ: لَقَدْ شَانَتْكَ بَيْنَ الْحَبَابِ<sup>(٣)</sup>

١٠

ولحمود الوراق - ويروى لمحمد بن حازم<sup>(٤)</sup> :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بَأَنَّ الْفَتَى      يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ  
فَمِنْ بَيْنِ بَالِكٍ لَهُ مُوَجَعٌ      وَبَيْنَ مُعَزٍّ مُغْدٍ إِلَيْهِ  
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شُرْخَ الشَّبَابِ      فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ<sup>(٥)</sup>

ولأبي دُلَف :

١٥

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيِّضَاءَ طَالِعَةٍ      كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي أَسْوَدِ الْبَصْرِ  
لَئِنْ قَصَصْتُكَ بِالْقِرَاضِ عَنْ بَصْرِي      لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكْرِي

(١) حاشية الأصل : « يقال عدا طلقا وشأوا إذا عدا عدوا شديدا إلى غاية » .

(٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « تتعاهده » . (٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) « شامتك » .

(٤) في الأصل : « محمد بن أبي حازم » ، وصوابه من ف . (٥) حاشية الأصل : « يقول : عجبت

من الناس يعزى بعضهم بضاً على فوت المال ، ولا يعزى على فوت الشباب » .

وليحيي بن خالد بن برمك<sup>(١)</sup> - ويروى لغيره :  
 اللَّيْلُ شَيْبَ والنَّهَارُ كَلَاهَا رَأْسِي بَكَرَّةٍ مَا تَدُورُ رَحَاهَا  
 يَتَنَاهَبَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا وَلُحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ نَرَاهَا  
 وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيِّتَتَيْنِ نَقَدَّمَتْ أُولَاهَا وَتَأَخَّرَتْ أَخْرَاهَا

/ وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادَةَ في هذا المعنى بكل غريب عجيب . [٢٠٥]

فمن ذلك قول أبي تمام :

غَدَا الهمُّ مُخْتَطًّا بِفَوْدَيَّ خِطَّةً طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْمَعٌ<sup>(٢)</sup>  
 هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى ، وَالْعَاشِرُ يُجْتَوَى وَذُو الْإِلْفِ يُقْلَى ، وَالْجَدِيدُ يُرَقَّعُ  
 لَهُ مَنَظَرَةٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ  
 وَنَحْنُ نُرَجِّيه عَلَى الْكَرْهِ وَالرِّضَا وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ<sup>(٣)</sup> ١٠

وله :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْفُؤَادِ مُكَلًّا صَمِيمًا<sup>(٤)</sup>  
 تَسْتَشِيرُ الهمُّومُ مَا اكْتَنَّ مِنْهَا صُعْدًا وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الهمُّومَا  
 غُرَّةً<sup>(٥)</sup> مُرَّةً إِلَّا إِنَّمَا كُنْ تَأْغَرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بَيْنَهُمَا

(١) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « البرمكي » . (٢) ديوانه : ١٩٠ ، والشهاب : ٦ ؛  
 وحامسة ابن الشجري : ٢٤١ - ٢٤٢ . وفي م قبل هذا البيت :

لَنْ جَزَعَ الْوَحْشَى مِنْهَا لِرُؤْيِي لَا نَسِيَهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجْزَعُ  
 وفي حماسة ابن الشجري : « غدا الشيب » ، وفي م : « غدا العمر » . وفي حاشية الأصل ( من

نسخة ) : « إلى النفس مهيع » ، وهي رواية الديوان ؛ ومهيع : واسع .

(٣) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « يجدع » .

(٤) ديوانه : ٢٩١ ، وحامسة ابن الشجري : ٢٤١ ، والشهاب : ٧ .

(٥) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « عرة » أي عيب .

دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالاً      مَثَلِ مَا سُمِّيَ اللَّدِيعُ سَلِيماً<sup>(١)</sup>  
حَلَمْتُنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي      قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِماً  
وله :

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَابْكِي مُتَمَاضِراً وَلَعُوباً<sup>(٢)</sup>  
خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُؤِ الْعِقَّةِ      دِمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيْبَا  
كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ      لَا الْفُطَيْعَيْنِ : مَيِّتَةً وَمَشِيْبَا  
بِأَنْسِيبِ الثُّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى      حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبَا  
وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَزْكَرَنَ      مُسْتَنْكَراً وَعَيْنَ مَعِيْبَا  
أَوْتَصَدَّعْنَ عَنْ قَلْبِي لَكُنِي بِأَلْشَّيْبِ يَبْنِي      وَيَنْهِنَنَّ حَسِيْبَا  
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلاً      جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبَا

قال سيدنا أدام الله علوه : وجدت الأمدى يذكر أن قوما ادَّعوا المناقضة على أبي تمام  
في هذه الأبيات بقوله :

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَابْكِي مُتَمَاضِراً وَلَعُوباً \*  
وقوله :

خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُؤِ الْعِقَّةِ      دِمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيْبَا  
يَأْنَسِيبُ الثُّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى      حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبَا

[٢٠٦] / وقوله :

وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَزْكَرَنَ      مُسْتَنْكَراً وَعَيْنَ مَعِيْبَا

(١) حاشية الأصل : « مثل ، بنى لإضافته إلى « ما » ، ويجوز أن يكون صفة لمُحْذَرَف ، أي تدعى جلالاً دعوة  
مثل تسمية اللديع سليماً » . (٢) ديوانه : ٢٥ ، ٢٦ ، والشهاب : ٩ .



قالوا: كيف يبيكين دماً على شيبه ثم يعبنه !

قال الآمدى: "وليس هذا يتناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى ثمأخر ولعوب أسفاً على شبابه ، والحسان اللواتى عبّنه غير هاتين المرأتين ، فيكون مَنْ أشفق عليه من الشيب منهن وأسِفَ على شبابه بـكى ؛ كما قال الأخطل :

لَمَّا رَأَتْ بِدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ      إِنَّ الشَّيْبَ لَأَرْذَلُ الْأَبْدَالِ<sup>(١)</sup>  
ولم يكن هذه حال من عابه . قال : " وهذا مستقيم صحيح " .

قال سيدنا أدام الله علوه : وليس يحتاج في الاعتذار لأبى تمام إلى ما تكلفه الآمدى ؛ بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وإن كان مَنْ قد بكى شبابه ، وتلف عليه من النساء هُنَّ اللواتى أنكرن شيبه ، وعبّنه به ، وما المنكر من ذلك ! وكيف يتناقض أن يبكى على شبابه ونزول شيبه منهن مَنْ رأينَ الشيب ذنباً وعيباً منكراً ! وفى هذا غاية المطابقة ؛ لأنه ١٠ لا يبكى الشيب ، ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا مَنْ رآه منكراً ومعيباً .

وقال أبو تمام :

رَاحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيَا      يَلْبَسْنَ نَائِيَا تَارَةً وَصُدُودَا<sup>(٢)</sup>  
مِنْ كُلِّ سَابِقَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ  
أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ الْغَطَارِفِ بُدْنَا      غَيِّدَا أَلْفَهُمُ لِدَانَا غَيِّدَا  
أَحْلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِمَا      مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ يَهِنَ خُدُودَا

وقوله : « أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ » من أرب بالشئ إذا لزمه ، وأقام عليه ، يقال : أرب وألب بالمكان إذا لزمه : يريد أنهم لزموا هوى المرد وأقمن عليهم . ورواه قوم « أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ » من الرّبّ الذى معناه الزيادة ، يقال : قد أربى الرجل إذا ازداد ؛ فيقول : أربين بالمرد ، أى زدنا علينا بهم ، وجعلنا للمرد زيادة اخترناها علينا<sup>(٣)</sup> .

(٣) انظر الشهاب : ١٠ .

(٢) ديوانه : ٨٧ - ٨٨ .

(١) ديوانه ١٥٨

ويقال<sup>(١)</sup> : إنه أخذ قوله :

\* أحلى الرجال من النساء موقعا \* . . . البيت

من قول الأعشى :

وَأَرَى الْغَوَانِي لَا يُوَاصِلُنَّ امْرَأً فَقَدَّ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصْلُنَّ الْأُمْرَدَا<sup>(٢)</sup>

[٢٠٦] / ولمنصور النمري مثله :

كَرِهْنِ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي لَوْ رَأَيْتَهُ  
بِهِنَّ رَأَيْنَ الطَّرْفَ عَنْهُنَّ أَزُورَا  
ونحوه قول الآخر :

أَرَى شَيْبَ الرَّجَالِ مِنَ الْغَوَانِي كَوَقْعِ مَشْيِهِنَّ مِنَ الرَّجَالِ

وقال أبو تمام :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشْيَبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْغَوَادِ<sup>(٣)</sup> ١٠

وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ وَنَعِيمٍ طَلَائِعُ الْأَجْسَادِ

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمَرْتُ شَيْبًا أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ<sup>(٤)</sup>

زَادَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَمِيمٍ عَمَرْتُ مَجْلِسِي مِنَ الْعَوَادِ

نَالَ رَأْسِي مِنْ ثَغْرَةِ الْهَمِّ لَمَّا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثَغْرَةِ الْمِيلَادِ<sup>(٥)</sup>

١٥ ومعنى هذا البيت الأخير أن «الثغر» هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ؛ ولذلك سُمِّيَ

كل بلد جاور عدواً ثغراً ؛ كأن معناه مكشوف للعدو . ويجوز أن يكون أصله من ثغر الإنسان ،

لأنه أول ما يقابلك من أسنانه ، وأول ما يظهر عند الكلام ، وأول ما يسقط فيرى مثلوماً ،

فيشبه الثغر الذي هو البلد ؛ يقال اثغر الصبي واثغر ؛ وتسمى تلك الفرجة في موضع

(١) الموازنة : ٣٠ . (٢) ديوانه : ١٥١ ؛ والرواية : « وأرى الغواني » .

(٣) ديوانه : ٧٥ . (٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ولوعمرت شيئاً » أى تعبيرا ،

وهي رواية الديوان . (٥) حاشية الأصل : يروى : « من ثغرة الهم مالم \* تشتملة » .

السن ثُغرة وفي كل موضع منفرج ؛ ومنه ثُغرة النَّحْر .

وأراد بقوله :

\* نال رأسي من ثُغرة الهم لَمَّا \*

أى وجد الشيبُ من الهم فرجة دخل على رأسي منها ؛ لأن الهمَّ يُشيب لا محالة .

وقوله :

\* مالم ينلْهُ من ثُغرة الميلاد \*

أراد بثُغرة الميلاد الوقت الذى يهجم عليه فيه الشيب من عمره ؛ لأنه يجد السبيل فى ذلك الوقت إلى الحلول برأسه ؛ فجعله ثُغرة من هذا الوجه ؛ فأراد أن الشيب حلَّ برأسه من جهة همومه وأحزانه لَمَّا لم يبلغ السن التى تُوجب حلوله به من حيث كبره .

١٠ ورأيت الآمدى يطعن على قوله :

\* عمرت مجلسى من العوَاد \*

ويقول : "لاحقيقة لذلك ولا معنى ، لأننا مارأينا ولا سمعنا أحدا / جاءه عوَادٌ يعودونه من [٢٠٧] المشيب ؛ ولا أن أحدا أمرضه الشيب ، ولا عزَّاه المعزون عن الشباب " ؛ وهذا من الآمدى قلة نقد للشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاق الشعراء ؛ ولم يرد أبوتمام

بقوله :

\* عمرت مجلسى من العوَاد \*

العيادة الحقيقية التى يغشى فيها العوَاد مجالس المرضى وذوى الأوجاع ، وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارنى كثير المتوجعون لى ، والمتأسفون على شبابى ، والمتوحشون<sup>(١)</sup> من مفارقتة ؛ فكأنهم فى مجلسى عوَاد لى ، لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع .

٢٠

(١) حاشية الأصل (من نسخة ) : « والمتفجعون » .

وكنى بقوله :

✽ عمرت مجلسي من العواد ✽

عن كثرة مَنْ تفجع له وتوجّع من مشيبه؛ وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن؛  
وما المغيّب إلا مَنْ عابه وطعن عليه ؛ ونحن نذكر في المجلس الآتي بمشيئة الله ما للبحترى  
في هذا المعنى إن شاء الله . ٥



# مَجْلِسُ آخِرِ

## تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [ النحل : ١٠ ] .

فَقَالَ : إِذَا كَانَ الشَّجَرُ لَيْسَ بِبَعْضِ الْمَاءِ كَمَا كَانَ الشَّرَابُ بَعْضًا لَهُ ؛ فَكَيْفَ جَازَأَن يَقُولُ :

﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ بِمَدِّ قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ شَرَابٌ ﴾ ؟ وَمَا مَعْنَى ﴿ تُسِيمُونَ ﴾ ؟ وَهَلِ الْفَائِدَةُ فِي هَذِهِ

الْأَفْظَةُ هِيَ الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ [ آل عمران : ١٤ ] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [ هود : ٨٢ ، ٨٣ ] ؟ .

الْحَوَاب ، قُلْنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ وَجْهَان :

أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ سَقَى شَجَرٍ ، وَشَرَبَ شَجَرٍ ؛ فَخَذَفَ الْمُضَافُ ، وَأَقَامَ الْمُضَافُ

إِلَيْهِ مَقَامَهُ ؛ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ ﴾

١٠

[ البقرة : ٩٣ ] ، أَيْ حَبَّ الْعِجْلِ .

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : وَمِنْ جِهَةِ الْمَاءِ شَجَرٌ ، وَمِنْ سَقِيهِ وَإِنْبَاتِهِ شَجَرٌ ؛ فَخَذَفَ

الْأَوَّلُ وَخَلَفَهُ الثَّانِي ؛ كَمَا قَالَ عَوْفُ بْنُ الْخَرِيعِ :

أَمِنْ آلِ كَيْلَى عَرَفَتِ الدِّيَارَا بِجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا<sup>(١)</sup>

أَرَادَ : مِنْ نَاحِيَةِ آلِ لَيْلَى .

(١) الْمَفْضَلِيَّاتُ ٤١٢ ( طَبْعَةُ الْمَعَارِفِ ) ، وَالرَّوَايَةُ هُنَاكَ :

أَمِنْ آلِ مَيِّ عَرَفَتِ الدِّيَارَا بِحَيْثِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا  
وَالشَّقِيقُ : مَاءُ لَبْنَى أَسِيدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ .

وقال زهير :

[٢٠٧] / أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْتَشَلَّمْ<sup>(١)</sup> ظ  
أَرَادَ : مِنْ نَاحِيَةِ أُمِّ أَوْفَى .

وقال أبو ذؤيب :

٥ أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقُبُهُ فَهَاجَا فَيَتُ إِخَالُهُ دُهُمًا خِلَاجًا<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً :

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مِصْبَاحُ<sup>(٣)</sup>

وقال الجعدي :

لِمَنْ الدِّيَارُ عَفْوُونَ بِالتَّهْطَالِ بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

١٠ أَرَادَ بَقِيَتْ عَلَى مَرٍّ حَجَجٍ ، وَتَكَرَّرَ حَجَجٍ .

فأما قوله تعالى : ﴿ فِيهِ تَسْمِيُونَ ﴾ فمعناه ترعون ، وترسلون أنعامكم ؛ يقال : أسام الإبل يُسِيمُهَا إِسَامَةً ؛ إِذَا أَرَعَاهَا وَأَطْلَقَهَا فَرَعَتْ مِنْصَرَفَةً حَيْثُ شَاءَتْ ؛ وَسَوَّمَهَا أَيْضًا يُسَوِّمُهَا مِنْ ذَلِكَ ؛ وَسَامَتْ هِيَ إِذَا رَعَتْ ؛ فَهِيَ تَسُومُ ، وَهِيَ إِبِلٌ سَاعَةٌ ؛ وَيُقَالُ : سَمْتَهَا إِذَا قَصَرَتْهَا عَلَى مَرْعَى بَعِينَةٍ ؛ وَسَمَّمْتُهَا الْخُسْفَ ؛ إِذَا تَرَكْتُهَا عَلَى غَيْرِ مَرْعَى ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِمَنْ أَذِلَّ وَاهْتَضَمَ : سِيمَ فُلَانٍ الْخُسْفَ ؛ وَسِيمَ خُطَّةَ الضَّيْمِ ؛ قَالَ السَّكْمِيْتُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْإِسَامَةِ الَّتِي هِيَ الْإِطْلَاقُ فِي الرَّعَى<sup>(٤)</sup> :

(١) أول المعلة ، ديوانه : ٤ . الدمنة آثار الناس وما سودوا من الرماد وغيره . ولم تبين : لم تسلم . وحومانة الدراج والمثلث : موضعان .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٦٤ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « شبه السحاب بإبل سود ، وصوت الرعد بحنينها ؛ ولم يذكر السحاب إلا أن البرق دل عليه ، وخلاج : جمع خلوج ؛ وهي الناقة التي خليج ولدها ؛ وهو فعول في معنى مفعول ، كالركوب والحلوب » .

(٣) ديوان الهذليين ١ : ٤٧ ، واللسان (عرض) ؛ وعراض الشام نواحيه ؛ الواحد عرض .

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « المرعى » .

رَاعِيَا كَانَ مُسَجِّحًا فَقَقَدْنَا هُوَ فَقَقَدَ الْمُسِيمَ هُكَ السَّوَامِ<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

وَأَسْكُنْ مَاسَكَنْتَ بِبَطْنٍ وَاِدٍ وَأُظْعَنْ إِنْ ظَعَنْتَ فَلَا أُسِيمُ<sup>(٢)</sup>

وذهب قوم إلى أَنَّ السَّوَمَ في البيع من هذا ؛ لأن كل واحدٍ من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه ، كما تذهب سوائهم المواشى حيث شاءت .

وقد جاء في الحديث : « لا سوّم قبل طلوع الشمس » لحمله قوم على أن الإبل وغيرها لا تُسام قبل طلوع الشمس ؛ لئلا تنتشر وتفوت الراعى ويخفى عليه مقاصدها .

وحمله آخرون على أَنَّ السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه ، لأن السّلمة المبيعة تستر عيوبها أو بعضها ، فيدخل ذلك / في بيع الغرر المنهى عنها .  
[٢٠٨]

فأما الخيل المسوّمة ، فقد قيل : إنها المكلّمة بعلامات ؛ مأخوذ من السّياء وهى العلامة . ١٠

وروى عن الحسن البصرى في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : سوّم نواصبها

وأذناها بالصوف .

وقيل أيضا : إن المسوّمة هى الحسان .

وروى عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : هى المطهّمة الحسان .

وقال آخرون : بل هى الراعية ؛ روى ذلك عن سعيد بن جبير ؛ وكلّ يرجع إلى ١٥

أصل واحد ، وهو معنى العلامة ، لأن تحسين الخيل يجرى مجرى العلامة فيها ؛ التى تُعرف بها وتتميز لمكانها ؛ وقد قيل : إن السّوم من الرّعى يرجع إلى هذا المعنى أيضا ، لأن الراعى يجعل في المواضع التى يرعاها علامات أو كالملاحظات بما يزيله من نباتها ، ويمحوه من آثارها ؛ فكان الأصل فى الكلّ متفق غير مختلف .

(١) مسججاً: رفيقا سهلا ، وفى م : « مسيما » (٢) د ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « ماظنت » .

وقال لبيد في التسويم الذى هو التعليم:

وَعَدَاةَ قَاعِ الْقَرْنَتَيْنِ أَتَيْنَهُمْ رَهْوَ يَلُوحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ<sup>(١)</sup>  
أَرَادَ التَّعْلِيمَ .

وأما قوله في الملائكة: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾؛ فالمراد به المعلمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً

مِنْ سَجِيلٍ مَنضُودٍ . مُسَوِّمَةً﴾ أى مُعَلِّمَةً؛ وقيل: إنه كان عليها كأمثال الخواتيم .

\*\*\*

قال سيدنا أدام الله علوه: ونعود إلى ما كنا وعدنا به من ذكر ما للبحترى في ذمّ الشيب والتألم من فقد الشباب؛ فمن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

وَكُنْتُ أَرْجَى فِي الشَّبَابِ شَفَاعَةً فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةً بِشَفِيعِهِ<sup>(٣)</sup>  
مَشِيبٌ كُنْتُ السَّرَّ عَنِّي بِحَمَلِهِ مُحَدِّثُهُ ، أَوْضَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ<sup>(٤)</sup>  
تَلَاَحَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَتَى سِرِّيعِهِ ١٠  
وما أحسن هذا من كلام! وأبلغه وأطبعه<sup>(٥)</sup>!

(١) ديوانه: ١: ١٠٤ وفي حاشية الأصل: « بعد هذا البيت :

بِكُتَابٍ رُجِحَ تَعَوَّدُ كِبَشُهَا نَطَحَ الْكِبَاشِ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ

والقرنتان: موضع، ورها في السير رهوا أى رفق، قال الفطامى:

يَمْشِينَ رَهْوَ، فَلَا الْأَعْجَازَ خَاذِلَةً وَلَا الصَّدُورَ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ

(٢) ديوانه ٢: ٩٠، والشهاب: ١٣، وفي حاشيتي الأصل، ف: « يقول: كنت أرجى أن

يكون الشباب شفيعى. ويجوز أن يكون المعنى: كنت أرجى في شبابى شفاعته إلى الحسان من طراوتى وحسنى .

(٣) في حاشيتي الأصل، ف: « يعنى أنه جد محتاج إلى الشفيعى؛ وإسكنه ولى وذهب .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: « كبث السر . وفيهما أيضا: « أى أنه كان كالسر تبرم

به صاحبه فأشاه . » (٥) ذكر المرتضى في الشهاب تعليقا على هذه الأبيات: « وهذا والله أبلغ

كلام وأحسنه وأحلاه وأسلمه وأجمعه لحسن اللفظ وجودة المعنى؛ وما أحسن ماشبه تسكانر الشيب وتلاحقه

بيت السر عن ضيق صدر صاحبه وإعياؤه بحمله وعجزه عن طيه! ويشبه بعض الشبه قوله:

\* تَلَاَحَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ \*



وقال أيضاً :

رُدِّيْ عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتَ فَاعِلَةً  
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرَ مُلْتَفِتًا  
/ وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِبَتَهُ  
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشُّعْرَى لَهُ وَطَنًا  
إِنْ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَانِي وَلَا أَرِي<sup>(١)</sup>  
إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلَبِي<sup>(٢)</sup>  
وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ<sup>[٢٠٨]</sup>  
صُبْتُ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثَبِ<sup>(٣)</sup> ٥

وقال أيضاً :

لَا بَسَ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضٍ  
وَإِذَا مَا امْتَعَضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبِ  
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرَوٍ  
وَالْبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا  
نَا كَرْتُ لِمَتِّي وَنَا كَرْتُ مِنْهَا  
وَمُلِيحٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ رَاضِي<sup>(٤)</sup>  
يَبِ بِرَأْسِي لَمْ يَثْنِ ذَاكَ امْتِعَاضِي<sup>(٥)</sup>  
فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضٍ<sup>(٦)</sup>  
لَفَنَ شَيْئًا فَشَبَّهَاتُ الْمَوَاضِي<sup>(٧)</sup> ١٠  
سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ

= قولي من أبيات :

سَبَقَ احْتِرَاسِي مِنْ أَذَاهُ بِطِيئُهُ حَتَّى تَجَلَّلَنِي ، فَكَيْفَ عَجَوْلُهُ !  
وفي البيت ملحمة بعيدة من بيت البحتري وليس بنظير له على التحقيق ؛ ومعنى البيت الذي يخصني أدخل في الصحة والتحقيق ؛ لأنني خبرت بأن بطيء الشيب سبق وغلب احتراسي وحذري ؛ فكيف عجله ! ومن سبقه البطيء كيف لا يسبقه السريع ! والبحتري قال : إن البطيء كاد أن يسبق السريع ؛ وهذا على ظاهره لا يصح ؛ لأنه يجعل البطيء هو السريع ؛ بل أسرع منه ؛ لكن المعنى : أنه متداول متواتر فيكاد البطيء له يسبق السريع ؛ وهذا في غاية الملاحظة .

(١) ديوانه : ٢٩ ، ٣٠ ، والشهاب : ١٤ . (٢) حاشية الأصل : « في نسخة س : قرأت في شعره على شيخني : إلى بنات الردي » . (٣) د ، ف ، حاشية الأصل ( من نسخة ) : « من صلب » أي حدور ؛ وهو الموضع الذي ينحدر فيه . وفي م : « ويروي : حطت عليه صروف الدهر من كشب » .

(٤) ناض : خالع ، ومليح : مشفق ؛ يخاطب نفسه فيقول : ألبس أنت برد الشباب أم خالعه ؟ .

(٥) في م : « لم يثن ذلك » وفي الديوان : « لم يعد » . (٦) مرو : مفكر .

(٧) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مشبهات » ؛ وفي حاشية الأصل : « ويروي : شبهة بالمواضي وهو أحسن . قال س : فمشبهات ، لأبأس به ، والذي حسن الغاء طول الكلام وإن الشرطية فيه » .

شَعَرَاتٌ أَقْصَهُنَّ وَبَرَّجَهُ      نَ رُجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ<sup>(١)</sup>  
وَأَبَتْ تَرَكِيَّ الْغُدَيَّاتِ وَالْآ      صَالُ حَتَّى خَضَبْتُ بِالْمَقْرَاضِ<sup>(٢)</sup>  
غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّمَلُّلَ مِنْ شَخْ      صِ عَدُوٍّ لَمْ يَعْدُهُ إِبْغَاضِي  
وَرُوءَاءُ الْمَشِيبِ كَالْبَخْصِ فِي عِي      سِنِي قَقْلٍ فِيهِ فِي الْعِيُونِ الْمِرَاضِ<sup>(٣)</sup>  
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سَ      دَ مِنْ صُبْنٍ بَرْدِهِ الْفَضْفَاضِ  
فَهَلِ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوفٍ      تَارِكَاتِي وَلُبْسَ هَذَا الْبَيَاضِ !  
وقال أيضاً :

تَعِيبُ الْغَانِيَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي      وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ !<sup>(٤)</sup>  
وَوَجْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى      حَمِيداً دُونَ وَجْدِي بِالْمَشِيبِ  
وقال أيضاً :

أَرَأَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَثَلٍ فَحِمٍ      جَوْنَ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيباً<sup>(٥)</sup>  
فَعَجَبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا      صَرَفَ الزَّمَانِ وَمَا رَأَيْتُ عَجِيباً

(١) حاشية الأصل : « من شأن الغرض أن تنزع السهام منه ثم تعود إليه في الحال » .  
(٢) قال المرتضى في الشهاب تعليقا على هذا البيت والذي قبله : « قوله : خضبت بالمقراض في غاية الملاحه والرشاقة . ومعنى قوله : رجوع السهام في الأغراض أنه لا يملك ردا لطلوع الشيب في شعره ولا تلافيا لحلوله ، فيجرب في ذلك مجرى رجوع السهام إلى الغرض في أنه لا يملك مرسل السهم صده عنه ولا رده عن إصابته . ويمكن في ذلك وجه آخر ؛ وإن كان الأول أشرف ؛ وهو أن يريد بالأغراض المقاتل والمواضع الشرفه من الأعضاء ؛ فسكانه يشبه رجوع الشيب بعد قصه له وطلوعه في شدة إيلاجه وإجماعه بإصابة السهام للمقاتل والفرائص . ويحتمل وجهها آخر ؛ وهو أن السهام تنزع من الأغراض ، ثم ترجع بالرمي إليها أبداً ، فأشبهت في ذلك الشيب في قصه ثم طلوعه ورجوعه إلى موضعه » .

(٣) حاشية الأصل : الرؤاء يهمز ولا يهمز ؛ فإذا لم يهمز كان من الرى وإذا همز كان من الرؤية .  
والبخس : لحم نأى فوق العينين أو تحتها كهيئة النفخة . وفي حاشية الأصل أيضا : « مثله لابن الرومي :  
إِذَا سَدَّتْ عَيْنُ الْفَتَى عَيْبَ نَفْسِهِ      فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّهَادَةِ أَجْدَرُ

(٤) ديوانه : ٢ : ٨٤ .

(٥) ديوانه : ١ : ٧٥ . الجثل من الشعر : الكثير . والجون هنا : الأسود ؛ وهو من الأضداد ، يطلق على الأسود والأبيض . وفي حاشية الأصل : « جعل النهار خضابا لأنه شيء قدشاع وتمرن عليه » .

[٢٠٦] / إِنَّ الزَّمانَ إِذا تَتابَعَ خَطوهُ      سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَدْرَكَ المَطْلُوبَ  
وقال أيضاً :

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فابْتَسَمَتْ لَهَا      وَقَالَتْ : نُجُومٌ لو طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ<sup>(١)</sup>  
أَعَانِكَ ما كانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي      إِلَيْكَ ، فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ كانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً :

عَنْتُ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكَ ما إِنْ      تَزَالَ تُجَدِّدُ فِيها نُدُوباً<sup>(٢)</sup>  
وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ<sup>(٣)</sup> ذَنْبَ المَشْرِ      بِ حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ المَشِيْباً  
وَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ الأَرْبَعِينَ      يُحَيِّى مِنَ الشَّيْبِ شَخْصاً<sup>(٤)</sup> غَرِيباً

قال المرتضى رضى الله عنه : ولى فى هذا المعنى :

قُلْنَ لَمَّا رَأَيْنَ وَخْطاً مِنَ الشَّيْبِ      بِ برأسى أَعْيَا على مَجْهُودِي  
كَسَمْنَا بَارِقٍ تَعَرَّضَ وَهْناً      فى حَواشِي بَعْضِ النِّبَالِى السُّودِ  
أَبْيَاضٌ مُجَدِّدٌ مِنْ سَوَادِ      كانَ قَدْما ! لا مَرَحَباً بِالْجَدِيدِ  
يَالْحَا كُنَّ مِنْ رَمَا كُنَّ بِالْحُسِّ      نَ لَتَنَهَرْنَا بَنيرَ جُنُودِ  
لَيْسَ بِيضِي مَنِ فَأُجْزَى عَلَيْهِمْ      نَّ صُدُوداً أَوْ لَيْسَ فَيَكُنَّ سُودِي  
قَلَّ ماضٍ كُنَّ مِنْ شَعْرَاتِ      كُنَّ بوماً على الوَقَارِ شُهُودِي

وقال البيهقى أيضاً :

خَلِيَّاهُ وَجِدَّةَ اللّهُوَ ماداً      مَ رِدْأَهُ الشَّبَابِ غَضّاً جَدِيداً

(١) الشهاب : ١٧ . (٢) دبرانه ١ : ٥١ ، والشهاب : ١٨ عنت : قصدت

والندوب : آثار المراحات . وفى حاشية الأصل : « نسخة ج : ما تزال هو حسن ؛ لتكون عروض البيت محذوفة ؛ والفصيدة بأسرها محذوفة العروض إلا البيت المصرع فى أولها ؛ وإذا روعيت : « ما إن تزال » فالعروض سالمة ، فعولان » .

(٣) حاشية الأصل : « س : روى « حملت عبك » ؛ كأنه تصحيف ، ولكنه حسن » .

(٤) فى حاشيتي الأصل ، ف : « يروى : زورا » . (١) دبرانه ١ : ١٨٢ ، الشهاب : ١٩ .

إِنَّ أَبَامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَارَأَيْنَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سُودًا

وقال أيضاً :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْإِسِيهِ وَبَيْضًا      وَنَضًا مِنْ السَّيِّئِ عَنْهُ مَا نَضًا<sup>(١)</sup>  
وَشَاهَ أَغِيدُ فِي تَصْرِفٍ لِحَظِهِ      مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْفُلُوبَ وَأَمْرَضًا<sup>(٢)</sup>  
وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ      دَبْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى  
أُسَيَّانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ      وَأَسَافَ مَنْ وَصَلَ الْحِسَانَ وَأَنْفَضَا<sup>(٣)</sup>

٥

وقال أيضاً :

هَلْ أَنْتَ صَارِفُ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَسَتْ      فِي الْوَقْتِ أَوْ عَجَلَتْ عَنِ الْمِعَادِ<sup>(٤)</sup>  
جَاءَتْ مُتَقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَالِحِ      هَذِي تَرَاوِحُنِي وَتِلْكَ تُعَادِي  
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَّةٍ      يَشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ<sup>(٥)</sup>  
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصَّبَا بِمُخْلَفٍ      لَهَا وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمُعَادِ

١٠

(١) ديوانه ٢ : ٧٠ ، الشهاب : ١٩ . وفي حاشية الأصل : « أَى خَلَعَ لِإِيَّانِ السَّيِّئِ عَلَيْهِ الْمَسْرَةَ وَالنَّشَاطَ » . (٢) شَاهَ : غَلَبَهُ ، وَفُومَ : « سَبَاهَ » . (٣) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « أُسْوَانٌ » ، وَهُوَ الْحَزِينُ ، وَأَسَافَ الرَّجُلُ : ذَهَبَ مَالُهُ ، وَكَذَلِكَ أَنْفَضَ ، وَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّهُ ذَهَبَ مِنْ يَدِهِ وَصَلَ الْحِسَانَ وَمِيلَهُنَّ إِلَيْهِ . (٤) ديوانه ١ : ١٤٤ ، الشهاب ٢٠ - ٢١ . (٥) قَالَ الرَّتَضَى فِي الشَّهَابِ تَعْلِيقًا عَلَى هَذَا الْبَيْتِ : وَوَجَدْتُ الْآمِدَى قَدْ نَزَلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ :

\* يَشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ \*

لأنه قال : معنى يَشْرِي يَبِيعُ ؛ وَأَرَادَ : أَنَّ الْغَيْبِينَ مِنْ بَاعٍ جَدِيدٍ بَيَاضُهُ بِالسَّوَادِ ، وَأَرَادَ بِالسَّوَادِ الْخَضَابَ ؛ فَكَأَنَّهُ ذَمَّ الْخَضَابَ . وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ مَا ذَكَرَهُ ، وَمَا جَرَى لِلْخَضَابِ ذِكْرٌ ، وَلَهَا هُنَا مَوْضِعٌ لِلتَّكْيَاةِ عَنْهُ ؛ وَمَعْنَى : « يَشْرِي » هَاهُنَا يَبْتَاعُ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ : شَرِيتُ يَسْتَعْمَلُ فِي الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ جَمِيعًا ؛ وَهَذَا مِنَ الْأَضْدَادِ ، نَصَّ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى هَذَا فِي كِتَابِهِمْ ؛ فَكَأَنَّهُ شَهِدَ بِالْغَيْبِ لِمَنْ يَبْتَاعُ الشَّيْءَ بِالشَّبَابِ وَيَتَعَوَّضُ عَنْهُ بِهِ ؛ وَإِنَّمَا ذَهَبَ عَلَى الْآمِدَى أَنَّ لَفْظَةَ « يَشْرِي » تَقَعُ عَلَى الْأَمْرَيْنِ الْمُضَادَّيْنِ ؛ فَتَعَجَّلَ ذِكْرَ الْخَضَابِ الَّذِي لَا مَعْنَى لَهُ هَاهُنَا .

وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ وَكَأَلِهِ عَدَدًا مِنْ الْأَعْدَادِ<sup>(١)</sup>

[٢٠٩]

/ وقال أيضا :

أَيْتَنَى الشَّبَابُ أُمَّ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَاتَعُودُ<sup>(٢)</sup>  
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بَيْضُ<sup>٥</sup> أَسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ  
وَأَعْدُ الشَّقَى جَدًّا وَلَوْ أَعُ<sup>٥</sup> طَى غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَمِيدُ  
مَنْ عَدَّتْهُ الْعُمُورُ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ<sup>٥</sup> الْتِفَاتًا إِلَى سِوَاهِ الْخُدُودُ

وقال أيضا :

قَدْ كُفِّ مَنِي فَمَا جَرَى السُّقْمُ إِلَّا<sup>١٠</sup> فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الْحَبِّ نَجْنَى<sup>(٣)</sup>  
لُورَاتُ حَادِثِ الْخِضَابِ لَأَنْتَ<sup>١٠</sup> وَأَرَنْتَ مِنْ احْمَرَارِ الْبِرْنَا<sup>(٤)</sup>  
كَكَلَفُ الْبَيْضِ بِالْمُعَمَّرِ قَدْرًا<sup>١٠</sup> حِينَ يَكْلَفُنَ وَالْمَصْفَرِّ سِنًا<sup>(٥)</sup>  
يَتَشَاغَفُنَ بِالْغَرِيرِ الْمُسَمَّى<sup>١٠</sup> مِنْ تَصَابِ دُونَ الْجَلِيلِ الْمَكْنَى<sup>(٦)</sup>

(١) قال المرتضى في الشهاب أيضا : « وقال الأمدى في قوله : عددا من الأعداد » أنه أراد : عددا قليلا ؛ وقد أصاب في ذلك ؛ إلا أنه ما ذكر شامده ووجهه ؛ والعرب تقول في الشيء القليل إنه معدود ؛ لما أرادوا الإخبار عن قلته ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ وقال جل اسمه في موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ وأظنهم ذهبوا في وصف القليل بأنه معدود من حيث كان العد والحصر لا يقع إلا على القليل والكثير ؛ ولكن كثرت لا ينضب ولا ينحصر . (٢) ديوانه ١ : ٢٠٨ ، الشهاب : ١٨ ؛ وبرده : جمع برد ؛ وهو كساء مربع مخطط . (٣) ديوانه ٢ : ٢٩٠ ، الشهاب : ١٩ . (٤) البرنا ، بضم الباء وفتحها ، مقصورة مشددة النون ، والبرناء ، بالضم والمد : الحناء ؛ ويرنأ صبغ به ، كحنأ ؛ وهو من غريب الأفعال . (٥) في حاشية الأصل ف : الكلف : المحبة ؛ وهذا كما قال أبو الشيس :

شيثان لاتصبو النساء إليهما حَلَلُ الشَّيْبِ وَحُلَّةُ الْإِنْفَاضِ

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : والكبير .

وقال أيضاً :

أُخِيَّ إِنَّ الصَّبَا اسْتَمَرَّ بِهِ      سِيرُ اللَّيَالِي فَأَنْهَجَتْ بُرْدُهُ<sup>(١)</sup>  
تَصُدُّ عَنِّي الْحِسَانُ مُبْعِدَةً      إِذْ أَنَا لَا قُرْبُهُ وَلَا صَدْدُهُ  
شَيْبٌ عَلَى الْمَفْرَقَيْنِ بَارِضُهُ      يَكْثُرُنِي أَنْ أَبِينَهُ عَدَدُهُ<sup>(٢)</sup>  
تَطْلُبُ مِنِّي الشَّبَابَ ظَالِمَةً      بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ  
لَا عَجَبٌ إِنْ مَلَلْتُ خُلَّتْنَا      فَافْتَمَدَ الْوَصْلَ مِنْكَ مُفْتَقِدُهُ  
مَنْ يَتَطَاوَلُ عَلَى مُطَاوَلَةٍ أَوْ      مَيْشُ تَقَعَّقِعْ مَنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ورأيت الآمدى قد أخطأ في معنى البيت الأخير ، لأنه قال : "معنى «تَقَعَّقِعْ مَنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ» أى عظامه ، يحى لها صوت إذا قام وقعد من كبره وضعفه"  
١٠ قال : "وقوله : « من مَلَّة » أى من تملأ العيش ؛ يريد طولَه ودوامه ؛ ومنه تَمَلَّيْتُ حَبِيبَكَ" والأمر بخلاف مانوهمه ، ومعنى «تَقَعَّقِعْ مَنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ» أَنَّ مَنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ تَعَجَّلَ [٢١٠] تَرَحُّلُهُ وانتقاله عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك / بتقعقع العمْد ؛ وهذا مثلٌ معروف للعرب ، يقولون : « مَنْ يَتَجَمَّعُ يَتَقَعَّقِعْ عَمْدَهُ » ؛ يريدون أَنَّ التَّجَمُّعَ داعى التفرق ؛ وأنَّ الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتقعقع معه العمْد .

والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقيب على علوم العرب إن كان لم يعرف  
١٥ هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف .

فأما قوله : « من مَلَّة » فإنما أراد به من مَلَل ؛ ومَلَّة « فَعْلَمَةٌ » من المَلَل ، وكيف يكون

(١) ديوانه ١ : ١٤٥ ، الشهاب ٢٠ . (٢) حاشية الأصل : « البارض : النبت أول ما يبدو من الهمى ، وهو شوك . أبينه : أزيله . يكثرني : يغلبني بالكثرة » .

من تملّى العيش، ولم يسمع في تملّيت «مَلَّة» ! وهذا خطأ على خطأ<sup>(١)</sup> .

وقال البحرى :

مَا كَانَ شَوْقِي بِيَدْعِ يَوْمَ ذَاكَ وَلَا دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سُفْحًا<sup>(٢)</sup>  
وَلِمَّةٍ كُنْتُ مَشْغُوفًا بِجَدَّتِهَا فَمَا عَفَا الشَّيْبُ لِي عَنْهَا وَلَا صَفْحًا

وقال أيضاً :

وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلَوَةَ إِذْ عَيَّرَتْنِي الْكِبَرُ<sup>(٣)</sup>  
كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصَّبَا فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرُ  
وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلَا تُكْذِبَنَّ سَوَادَ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعَرِ  
وَلَا بَدَّ مِنْ تَرَكٍ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرُ

قال الآمدى : ” وعليه في قوله :

ولا بدَّ من تَرَكٍ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرُ  
معارضة ، وهو أن يقال له : إنَّ مَنْ مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر أيضاً ،  
فهو تارك لها معاً ، وَمَنْ شاب فارق الشباب ، وهو مفارق للعمر لا محالة ؛ فهو أيضاً تارك  
لها جميعاً “ .

(١) وعاد المرتضى فبسط هذا النقد مرة ثانية في كتابه الشهاب فقال : ” وقد نبهنا في كتاب الفرر على

هفوة الآمدى في قول البحرى : « تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ » ؛ لأنه ظن أن معناه أن عظام الكبير  
المن ينحى لها صوت إذا قام وقعد ، وتسمع لها قعقة ؛ وماسمنا بهذا الذى ظنه في وصف ذوى الأسنان  
والكبر ؛ والمعنى أظهر من أن يخفى على أحد ؛ لأنه أراد : من عمر وأسن وطاول العيش تعجل رحيله وانتقاله  
عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك بتقعق العمدة ؛ لأن ذوى الأطناب والخيام إذا انتقلوا من محل إلى غيره وقوضوا  
عمدخيائهم ، وسارت بها الإبل سمعت لها قعقة ، ومن أمثال العرب المعروفة : « من يتجمع يتقعق عمده » ،  
يريدون أن التجمع يعقب التفرق والرحيل الذى تتقعق معه العمدة . ومعنى قوله : « من ملّة » يريد من السأم  
واللال دون ما ظنه الآمدى من أنه تملّى العيش “ . (٢) ديوانه ١ : ١١٤ . (٣) ديوانه ١ : ٢١٩ .

”وقوله : «إما وإمّا» لا نوجب إلا إحداها“ قال : ”والعذر للبحترى أن يقال : إن مَنْ مات شاباً فقد فارق الشباب وحده لأنه لم يعمر ، فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى أنهم يقولون : عمر فلان إذا أسنّ ، وفلان لم يعمر إذا مات شاباً ، ومنْ شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب في حال موته ؛ لأنه قد قطع أيام الشباب ، وتقدمت مفارقتُهُ له ، وإنما يكون في حال موته مفارقاً للعمر وحده ، فإلى هذا ذهب البحتري ، وهو صحيح / ولم يُردْ بالعمر المدّة القصيرة التي يعمرها الإنسان ، وإنما أراد بالعمر هاهنا الكبير ، كما قال زهير :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبُ ثُمَّتُهُ ، وَمَنْ تَخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ (١)

قال رضى الله عنه : وما رأيت أشدّ تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسّره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ! ومعنى البيت غير ما توهمه ؛ وهو أظهر من أن يخفى ؛ حتى يحتاج فيه إلى هذا التغلغل والتعسف ؛ وإنما أراد البحتري أن الإنسان بين حالين : إما أن يفارق الشباب بالشَّيب ، أو العمر بالموت ؛ فمن مات شاباً - وإن كان قد خرج من العمر ، وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما - فإنه لم يفارق الشباب وحده ؛ وإنما فارق العمر الذى فارق بمفارقتة الشباب وغيره . وقِسْمة الرجل تناولت أحد الأمرين : إمّا مفارقة الشباب وحده بلا واسطة - ولنْ يكون ذلك إلا بالشَّيب - أو مفارقة العمر بالموت . وتلخيص كلامه : أنه لا بدّ للحى من شيب أو موت ، فكأن الشيب والموت متعاقبان ؛ والبحتري إنما جعل قوله : «العمر» مقام الحياة والبقاء ، وإنما قال : «العمر» لأجل القافية ؛ مع أنه مُنبى عن مراده ؛ ولو أنه قال : ولا بدّ من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله : «العمر» .

\*\*\*

أخبرنا أبو عبيد الله المَرْزَبَانِيّ قال حدثني على بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال : من معاني ابن الروميّ التي فتها قوله يذمّ مَنْ جمل مصيبةً غيره مُنْسِيَةً له مصيبتَهُ ، وعاب

(١) من المعلقة ، ديوانه : ٢٩ ؛ خبط عشواء ؛ أى تسير على غير قصد ؛ يقال : عشا يعشوا عشا إذا أصابه المشاء ؛ وهو السير على غير بصر .



مَنْ تَمَلَّ بِالتَّاسَى بِمَا نَالَ غَيْرَهُ، وَهُوَ يَرْتِي شَبَابَهُ، وَأَحْسَنُ :

يَا شَبَابِي وَأَيْنَ مَنِّي شَبَابِي !      آذَنْتَنِي أَيَّامُهُ بِانْقِضَابِ<sup>(١)</sup>  
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَعِيمِي وَلَهْوِي !      تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّدَانِ الرَّطَابِ  
وَمُعْزٍّ عَنِ الشَّبَابِ مُؤَسِّ      بِمَشِيبِ اللَّدَاتِ وَالْأَصْحَابِ  
قُلْتُ لَمَّا انْتَحَى يَمَدُّ أَسَاهُ<sup>(٢)</sup>      مِنْ مَصَابِ شَبَابِهِ كَمَصَابِ  
لَيْسَ تَأْسُو كُلُّهُمْ غَيْرِي كُلُّوْمِي      مَا بِهِ مَا بِهِ، وَمَا بِي مَا بِي

ولابن الرومي :

[٢١١] / لَهْفِي عَلَى الدُّنْيَا وَهَلْ لَهْفَةٌ      تَنْصِفُ مِنْهَا إِنْ تَلَهَّفْتُهَا<sup>(٣)</sup>  
قُبْحًا لَهَا قُبْحًا عَلَى أَنَّهَا      أَقْبَحُ شَيْءٍ حِينَ كَشَفْتُهَا  
وَقَدْ يَعْزِي شَبَابٌ مَضَى      وَمَدَّةٌ لِلْعَيْشِ اسْلَقْتُهَا  
فَكَّرْتُ فِي خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ      كَانَتْ أُمَامِي ثُمَّ خَلَقْتُهَا  
أُجْهِلْتُهَا إِذْ هِيَ مَوْفُورَةٌ      ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فَعُرِّقْتُهَا  
فَفَرَحَةٌ الْمَوْهوبِ أُعْذِمْتُهَا      وَتَرْحَةُ الْمَسْلُوبِ الْخِفْتُهَا  
لَوْ أَنَّ عَمْرِي مَائَةٌ هَدَّتَنِي      تَذَكَّرِي أَنِّي تَنْصَفْتُهَا

وله في هذا المعنى ، وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالى السالفة ، وقد أحسن في معناها كل ١٥

الإحسان :

كَفَى بَسْرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا      إِلَى مَنْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَا لِيَا<sup>(٤)</sup>  
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مِقَاتِلِي      لِأَمِي الْمَنَايَا تَحْسِينِي نَاجِيَا !  
غَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ      لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصِبْنَ سَوَادِيَا  
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلَا يَرَى      فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا ٢٠

(١) ديوانه، الورقة ٤٢ (٢) أساة : جمع أسوة ؛ وهو القدوة . (٣) ديوانه ، الورقة ٤٤

(٤) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « لمن قد أضلته » .

## مَجْلِسٌ آخِرٌ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ؛ [آل عمران : ١٢٨] :

فقال : كيف جاءت ﴿أَوْ﴾ بعد مالا يجوز أن يعطف عليه ؟ وما الناصب لقوله تعالى : ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وليس في الكلام ما يقتضى نصبه ؟

الجواب ، قلنا : قد ذكر في ذلك وجوه :

٥

أولها أن يكون قوله : ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معطوفاً على قوله : ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ والمعنى أنه تعالى عَجَّلَ لَكُمْ هذا النصر ، وَمَنْحَكُمُ بِهِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا من الذين كفروا ، أَى قِطْعَةً مِنْهُمْ ، وطائفة من جمعهم أَوْ يكتبهم ؛ أَى يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ، وَيُكَذِّبُ فِيكُمْ ظُنُوفَهُمْ ، أَوْ يعظمهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى ، الموجبة لتصديق [٢١١] / نبيه صلى الله عليه وآله ، فيتوبوا ويؤمنوا ، فيقبلُ الله تعالى ذلك منهم ، ويتوب عليهم ، أَوْ يكفروا بعد قيام الحجج ، وتأكيد البينات والدلائل ، فيموتوا أَوْ يُقْتَلُوا كافرين ؛ فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ؛ ويكون على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ معطوفاً على قوله تعالى : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ؛ أَى ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء ؛ وإنما هو من الله تعالى .

والجواب الثانى أن يكون ﴿أَوْ﴾ بمعنى «حتى» ، أَوْ «إِلَّا أَنْ» ؛ والتقدير : ليس لك من الأمر

١٥

شيء حتى يتوب عليهم ؛ أَوْ إِلَّا أَنْ يتوب عليهم ، كما قال امرؤ القيس :

بِكى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لَاحِقَانِ بَقِيصَرَا<sup>(١)</sup>  
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنِكَ إِنَّمَا نَحْوِلُ مُلْكًا ، أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا  
أَرَادَ : إِلَّا أَنْ نَمُوتَ

وهذا الجواب يَضَعُفُ من طريق المعنى ؛ لأن لقائل أن يقول : إنَّ أمر الخلق ليس إلى  
أحدٍ سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم بعد ذلك ؛ فكيف يصحُّ أن يقول : ليس  
٥ لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم ؛ حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان  
إليه من الأمر شيء !

ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال : قد يصحُّ الكلام إذا أُجْمِلَ على المعنى ؛ وذلك أن قوله :  
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ معناه : ليس يقع ما تريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم ، أو  
ما تريده من استئصالهم وعذابهم ، على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها ؛ إلاَّ بأنَّ  
١٠ يُلَطِّفُ الله لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم ؛ وتقدير الكلام : ليس ما تريده من توبتهم  
أو عذابهم بك ، وإنما يكون ذلك بالله تعالى .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ليس لك من الأمر شيء أو مِن أن يتوب الله عليهم ؛  
فأضمر « من » اكتفاءً بالأولى ، وأضمر « أن » بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائها لها ، وهي  
مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر ؛ وتقدير الكلام : ليس لك من الأمر شيء وَمِن توبتهم  
١٥ وعذابهم .

ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على هذا الجواب ويستبعده ، قال : لأنَّ الفعل  
لا يكون محمولا على إعراب الاسم الجامد ، الذي لا نصرُفَ له على إضمار « أن » مع الفعل / [٤١٢]  
لأنَّه ليس من كلام العرب : « عجبت من أخيك ويقوم » ، على معنى : « عجبت من أخيك ومن  
و

(١) ديوانه : ١٠٠ . الدرب : باب السكة الواسع ؛ وهو هنا كل مدخل إلى الروم فهو درب ؛  
وصاحبه عمرو بن قتيبة الشاعر ؛ وكان رفيق امرئ القيس في رحلته .

أن يقوم» ، لأن أخاك اسمٌ جامدٌ محضٌ ، لا يمطف عليه إلا ما شاكله . وقال : وهذا إذا يستقيم ويصلح في ردّ الفعل على المصدر ، كقولهم : «كرهت غضبك وأن يغضب أبوك» ؛ على معنى : «كرهت غضبك وأن يغضب أبوك» ، فيطرد هذا في المصادر ، لأنها تتأول بـ «أن» فيقول النحويون : «يعجبني قيامك» ، وتأويله : «يعجبني أن تقوم» ، قال : والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه . ٥

وليس الذي ذكره ابن الأنباري مستبعداً ، وإن لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعيف ؛ وذلك أن فيما امتنع منه مثل الذي أجازه ؛ لأنه قد أجاز ذلك في المصادر ، وإن لم يجزه في غيرها .

وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فيه دلالة الفعل ، لأن «الأمر» مصدر أمرت أمراً ؛ فكأنه تعالى قال : ليس لك من أن أمرهم أو تأمرهم شيء ، ولا من أن يتوبوا ، ١٠ وجرى ذلك مجرى قولهم : «كرهت غضبك ويغضب أبوك» ، في رد الفعل على المصدر ؛ والوجه الأول أقوى الوجوه ؛ والله أعلم بمراده .

## تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «لأننا جشوا ولا تدأبروا ، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وعرضه» .

الجواب ، قيل له : أما النجش فهو المدح والإطراء ، قال نابغة بنى شيبان يذكر الخمر :  
وَتُرَحَّى بِالْ مَنْ يَشْرَبُهَا وَيُفْتَدَى كَرَمَهَا عِنْدَ النَّجَشِ<sup>(١)</sup>

١٥

أى عند مدحها ، ومنه النجش في البيع ؛ وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير إرادة لشرائها ؛ بل ليقتمد بالزائد في زيادته غيره ؛ وأصل النجش استخراج الشيء والتنقيز عنه ، قال بعض الفقهاء :  
عن

أَجْرَسُ لَهَا يَابْنَ أَبِي كِبَاشٍ<sup>(١)</sup> فَمَا لَهَا اللَّيْلَةَ مِنْ إِنْفَاشٍ<sup>(٢)</sup>  
غَيْرَ الشَّرَى وَسَائِقٍ نَجَّاشٍ أَسْمَرَ مِثْلَ الْحَيَّةِ انْطَشَخَاشٍ

والنجاش : هو المستثير لسيرها ، والمستخرج لما عندها منه ، ومعنى : أَجْرَسُ لَهَا ، أى  
أَحْدُ لَهَا لتسمع / الجداء فتسير ، وهو مأخوذ من الجرُس وهو الصوت ؛ ومعنى : [٢١٢]  
الإنفَاش ، أراد أنها لا تُترك ترعى ليلاً ، والنفش أن ترعى الإبل ليلاً ، وقد أنفشتها إذا أرسلتها  
بالليل ترعى .

والخشخاش : الخفيف الحركة السريع القلب .

والنجش في البيوع يرجع معناه إلى هذا أيضاً ؛ لأن الناجش يستثير بزيادته في الثمن ،  
ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها ؛ فيكون معنى الخبر على هذا : لا تناجشوا ، أى لا يمدح  
أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها ، وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده . ١٠

وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك : لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعى  
منفعته ، ويستثير فائدته ؛ وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه السلام ، لأن قوله : « ولا تدابروا »  
أشدُّ مطابقة له .

ومعنى : « لا تدابروا » أى لا تهاجروا ويوتئ كل واحد صاحبه دُبْرَ وجهه ، قال  
الشاعر : ١٥

وَأَوْصَى أَبُو قَيْسٍ بَأَنْ تَتَوَاصَلُوا وَأَوْصَى أَبُو كُثَيْبٍ ، وَيَحْكُمُ ! أَنْ تَدَابَرُوا<sup>(٣)</sup>  
فَكَأَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لا تهادحوا وتتواصلوا بالمدح الذى ليس بمستحق ، ولا تهاجروا  
وتتقاطعوا .

(١) اللسان (جرس) ؛ وفي حاشية الأصل : « صوت الجرس ؛ وروى ابن السكيت : « أجرس » ،  
وأنكروا عليه : أجرشت الشيء إذا لم تنعم دقه » .

(٢) حاشية الأصل : « نفشت الإبل : تفرقت في المرعى ، وأنفشتها أنا ، أى ليس لها الليلة استراحة » .

(٣) اللسان (دبر) ، من غير نسبة .

فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه»، فقد ذهب قوم إلى أن عَرَضَ الرجل إنما هو سلفه من آبائه وأمهاته؛ ومن جرى مجراهم.

وذهب ابن قتيبة إلى أن عَرَضَ الرجل نفسه، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين ذكر أهل الجنة فقال: «لا يبولون ولا يتغوطون؛ إنما هو عَرَقٌ يجري من أعراضهم مثل المسك»؛ أي من أبدانهم؛ قال: ومنه قول أبي الدرداء: «أقرض من عَرَضِكَ ليوم فقرك» أراد مَنْ شتمك فلا تشتمه، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به، ودع ذلك قرضاً عليه ليوم الجزاء والقصاص.

واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضَمُضَم! كان إذا خرج من منزله قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك»؛ قال: فمعناه قد تصدقت بنفسي وأحلت من يفتابني، فلو كان العرض الأسلاف ماجازاً يُحِلُّ مَنْ سَبَّ الموتى؛ لأن ذلك إليهم لا إليه.

قال: ويدل على ذلك أيضاً حديثُ سفیان بن عيينة: «لو أن رجلاً أصاب / من عرض رجل شتماً ثم تورع من بعد؛ فجاء إلى ورثته بعد موته فأحلقوه له، ولم يكن ذلك كفارة له، ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه إلى ورثته؛ لكننا نرى أن ذلك كفارة له».

قال: ويدل على أن عرض الرجل نفسه قول حسان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ      وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي      لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

(١) ديوانه: ٩؛ يخاطب أباسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ويهجوّه؛ وقوله:

أَلَا أبلغُ أبا سفيانَ عَنِّي      فَأَنْتَ مجوّفٌ نخبٌ هَوَاءُ  
بأن سيوفنا تركتك عبداً      وعبدُ الدار سادتها الإماءُ

والآيات في الانتصاب: ٣٠٠؛ ونقل عن محمد بن الحسن بن دريد بسنده: «وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته التي أولها:

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ      إِلَى عِذْرَاءٍ مِنْهَا خَلَاءُ

أراد : فإنَّ أبى وجدِّى ونفسى وقالا لنفس محمد، صلى الله عليه وآله .  
 وقال آخرون—وهو الصحيح : العَرَض موضع المدح والذم من الإنسان ، فإذا قيل : ذَكَرَ  
 عَرَضُ فلان ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ، ويُمدح أو يذم به ، وقد يدخل  
 فى ذلك ذكر الرجل نفسه ، وذكر آبائه وأسلافه ؛ لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم ؛ والذى  
 يدل على هذا أن أهل اللغة لا يفرقون فى قولهم : «شتم فلان عَرَضُ فلان» بين أن يكون  
 ذكره فى نفسه بقبيح الأفعال ، أو شتم سلفه وآبائه ؛ ويدل عليه قول مسكين الدارمى :  
 رَبُّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عَرَضُهُ وَسَمِينِ الْجَسْمِ مَهْزُولِ الْحَسَبِ<sup>(١)</sup>  
 فلو كان العرض نفس الإنسان لكان الكلام متناقضاً ؛ لأن السمين والهزال يرجعان إلى  
 شىء واحد ؛ وإنما أراد : رَبُّ مَهْزُولٍ كريمة أفعاله ، أو كريم آبائه وأسلافه ؛ وقد قال ابن  
 عبدل الأسدى<sup>(٢)</sup> :

١٠

= حتى انتهى إلى قوله :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جزاؤك على الله الجنة يا حسان ؛ فلما انتهى إلى قوله :

فإنَّ أبى ووالده وعِرْضى لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قال رسول الله صلى الله عليه : وقاك الله يا حسان النار ؛ فلما قال :

أَمْهَجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِنِدٍّ فَشَرُّكُمْ خَيْرُكُمْ الْفِدَاءُ

فقال من حضر : هذا أنصف بيت قاله العرب . (١) بعده :

كَسَبَتْهُ الْوَرَقُ الْبَيْضُ أَبَاً وَلَقَدْ كَانَ وَمَا يُدْعَى لِأَبٍ

وانظر الأغاني ١٨ : ٧٠ ، وأمالى الفالى ١ : ١١٨ ، والآلى ٣٥٢ .

(٢) من مقطوعة فى أمالى الفالى ٢ : ٢٦١ ، عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً ؛ ومنها فى حماسة أبى تمام — بشرح

المرزوقى ١١٦٣ — ١١٦٤ ستة أبيات ؛ وذكر الفالى من خبر هذه الأبيات أنه "اجتمع الشعراء بباب

الحجاج ؛ وغيرهم الحكم بن عبدل الأسدى فقالوا : أصالح الله الأمير ! إنما شعر هذا فى الفأر وما أشبهه ،

قال : ما يقول هؤلاء يابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير ، قال : هات ، فأنشده الأبيات ؛ حتى انتهى

إلى قوله :

ولستُ بذى وجهين فيمنُ عرفته ولا البخلُ فأعلمُ من سمائى ولا أرضى

وَأَبْطَرُ لَأَسْتَعْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى ، وَأَبْذُلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي <sup>(١)</sup>  
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأَذْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي  
ولا يابق ذلك إلا بما ذكرناه .

قال سيدنا أدام الله تأييده: وجدت أبا بكر بن الأنباري قد ردّ علي ابن قتيبة قوله هذا  
هـ وطمعن على ما احتج به ، فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف أهل الجنة : إن  
المراد بالأعراض مغاير <sup>(٢)</sup> الجسد .

وحكى عن الأموي أنه قال : الأعراض المغاير التي تعرق من الجسد ؛ نحو الإبطيين  
[٢١٣] وغيرهما، وقال في حديث أبي الدرداء : معناه : مَنْ عابك / ، وذكر أسلافك ، فلا تجازيه ؛ ليكون  
ظ الله تعالى هو المثيب لك .

١٠ وقال في قول أبي ضَمُضَمَ : معناه أنه أحلّ من أوصل إليه أذى بذكره وذكر آبائه فلم  
يُحَلِّ إِلَّا مِنْ أَمْرِ إِلَيْهِ .

وقال في قول حسان : المراد بعرضه أيضاً أسلافه ؛ كأنه قال : إن أبي ووالده وجميع  
أسلاف الذين أمدح وأذم من جهةهم وقاء له عليه السلام ، فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ كما  
قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ؛ ر : ٨٧ ] ،  
١٥ فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ ولم أجده ذكر في خبر سفيان بن عيينة شيئاً ؛ وتأويله يقرب  
من تأويل خبر أبي ضَمُضَمَ ، لأن من آذى رجلاً بسببه في نفسه ، أوسب سلفه وأدخل عليه  
بذلك وضعا ونقصا لم يكن إلى ورثته بعد موته الإحلال من ذلك ، لأن الأذى لم يدخل  
عليهم ، ولو كان داخلا عليهم أيضا مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم  
لا يصح ؛ على أن في الإحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه ، وهل يسقط بإسقاط  
٢٠ مستحقه أم لا ؟ فيه كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في مواضع .

= فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم في كل مرة يعطيهم .

(١) أبطر الغنى ، أى أبطر في الغنى حتى أذهب عن سنن الشكر . وأعرض ميسوري ؛ يريد يسرى ؛

وضع اسم المفعول موضع المصدر . (٢) المغاير : معاطف الجلد ؛ جمع مغير .



وبعد، فلو سلّم لابن قتيبة أن المراد بالعرض في كلّ المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف، أو سلّم له ذلك في بيت حسان خاصة؛ فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه؛ لأننا لم نقل: إن العرض مقصور على سلف الإنسان، بل ذكرنا أنه موضع الدم والمدح من الإنسان، ولا فرق بين سلفه ونفسه؛ فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طمناً علينا، وإنما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدلّ على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف، وكل شيء فيما المراد بالعرض فيه النفس، أو المراد به السلف فهو مؤكّد لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الدم والمدح من الإنسان؛ وإنما يكون ما استشهدنا به، وما جرى مجراه؛ مما يدلّ على استعمال لفظ «العرض» في السلف حجة على ابن قتيبة؛ لأنه قصر معناها على النفس والذات، دون السلف؛ وهذا واضح بين بحمد الله.

\*\*\*

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم ١٠ قال: كان أبو عبيدة / معمر بن المثنى صُفْرِيَا<sup>(١)</sup>، وكان يكتم ذلك؛ فأنشدني لعمران بن حِطّان<sup>(٢)</sup>: [٢١٤]

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «الصفريّة: جنس من الخوارج، سمو بذلك لاصفرار وجوههم؛ وقيل: نسبوا إلى رجل اسمه صفار».

(٢) هو أبو سماك عمران بن حِطّان بن ذبيان السدوسي؛ رأس القمعة من الصفريّة، وخطيبهم وشاعرهم، أدرك جماعة من الصحابة ورؤي عنهم، ثم لحق بالشرأة، فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام، فطلبه عبيد الملك بن مروان ففر إلى عمان، ولما طال عمره قعد عن الحرب، واكتفى بالتخريض والدعوة بشعره؛ وتوفي سنة ٨٤. وهذه الأبيات يقولها في رثاء أبي بلال مرداس بن أديّة؛ وكان قد قتل في لمارة عبيد الله بن زياد، سنة ٦١؛ وهي برواية أبي العباس المبرد:

|                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| ياعينُ بكّي لمرداسٍ ومصرعه     | ياربّ مرداسٍ اجعلني كمرداسٍ    |
| تركنتي هائماً أبكي لمرزاتي     | في منزلٍ موحشٍ من بعد إيناسٍ   |
| أنكرتُ بعدك ما قد كنتُ أعرفه،  | ما الناس بعدك يامرداسٍ بالناسٍ |
| إمّا شربتُ بكأسٍ دار أوّلها    | على القرون فذاقوا جرعة الكاس   |
| فكلّ مَنْ لم يذقها شاربٌ عجلًا | منها بأنفاسٍ وردي بعد أنفاسٍ   |

وانظر الإصابة ٨١: ٥، والسكامل - بشرح المرصني ٧: ٨٣.

أُنْكَرْتُ بِمَدِّكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أُعْرِفُهُ،      ما الناسُ بعدَكَ يا مِرْدَاسُ بالناسِ  
إِذَا تَكُنْ ذُقْتَ كَأْسًا دَارَ أَوَّلُهَا      على القُرُونِ فذَاقُوا نَهْلَةَ الكَاسِ  
قَدْ كُنْتُ أَبْكِيكَ حِينًا قَدْ يَبُتُّ      نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عَبْرَتِي يَاسِي

\*\*\*

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال حدثنا الأشناداني قال قال  
التوزي : كنت إذا أردت أن أنشط أبا عبيدة سألته عن أخبار الخوارج فأبعج منه ثبج  
بحرٍ ؛ فجئته يوماً وهو مطرق ينكت الأرض في صحن المسجد ؛ وقد قربت منه الشمس ،  
فسلمت عليه فلم ير دد<sup>(١)</sup> ، فتمثلت :

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ      إِذَا مَاعُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

— والبيت لقطري بن الفجاءة — فنظر إلى وقال : ويحك ! أتدري مَنْ يقوله ؟ قلت :

١٠ قطري ، فقال : اسكت ، رَضَ<sup>(٢)</sup> الله فاك ! فالأقلت : أمير المؤمنين أبو نعامه<sup>(٣)</sup> ! ثم انتبه  
فقال : اكنتمها على ياتوزي ، فقلت : هي ابنة الأرض ، فأنشدني :

أَقُولُ<sup>(٤)</sup> لَهَا إِذَا جَاشَتْ حَيَاءٌ      مِنَ الْإِبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي<sup>(٥)</sup>  
فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ      عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِ<sup>(٦)</sup>  
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا      فَمَا نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

(١) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف ، : « فلم يرد » (٢) حاشية الأصل ( من نسخة ) :  
« فض الله فاك » . (٣) هي كنية قطري بن الفجاءة بن مازن الخارجي ؛ كان زعيماً من زعماء الخوارج ؛ خرج  
زمن مصعب بن الزبير سنة ٦٦ ، وبقى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ؛ وكان الحجاج يسير إليه  
جيشاً ، وهو يستظهر عليه ، إلى أن توجه إليه سفيان بن أبرد السكلي ، فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ ، ( ابن  
خلسكان ١ : ٤٣٠ ) . (٤) الأبيات في الحماسة — بشرح التبريزي ١ : ٩٦ — ٩٧ .

(٥) د ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « وقد جاشت » . وفي حاشية الأصل ( من نسخة ) :  
« وقد طارت حياء » ، ورواية الحماسة : « وقد طارت شعاعاً » ؛ الشعاع : التفرق ، والخطاب لنفسه ؛  
ولن تراعي ، من الروع ، وهو الفزع . (٦) الحماسة : « بقاء يوم » .

وَمَا طُولُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ مَجْدٍ      فَيُطَوَى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ<sup>(١)</sup>  
 سَبِيلُ الْمَوْتِ مِنْهُجٌ كُلُّ حَيٍّ      وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَنْ لَا يُعْتَبَطُ بِسَأْمٍ وَيَهْمٍ      وَتُقْضَى بِهِ النُّونُ إِلَى انْقِطَاعِ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ      إِذَا مَاعِدَةٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

٥

فكتبته وقت لأنصرف ؛ فقال : افعد ، ثم أنشدني :

إِلَى كَمْ تَعَارِبُنِي السُّيُوفُ وَلَا أَرَى      مُغَارَاتِهَا تَدْعُو إِلَى حِمَامِيَا<sup>(٤)</sup>  
 أَفَارِعُ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ وَلَا أَرَى      بَقَاءً عَلَى حَالٍ لِمَا لَيْسَ بَاقِيَا  
 / وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ لَقَدْ أَنَى      لِمَوْتِي أَنْ يَدْنُو لَطُولِ قِرَاعِيَا  
 أَغَادِي جَلَادَ الْعَالَمِينَ كَأَنِّي<sup>(٥)</sup>      عَلَى الْعَسَلِ الْمَازِيٍّ أَصْبَحُ مُغَادِيَا<sup>(٦)</sup>

[٢١٤]  
ظ

(١) الحماسة : « ثوب عز » . الخنع : الجنب ، والبراع : الجبان الضعيف .

(٢) حاشية ف ( من نسخة ) : « غاية كل حي » ، وهي رواية الحماسة .

(٣) ف :

\* وَيُقْضَى بِهِ الْبَقَاءُ إِلَى انْقِطَاعِ \*

ورواية الحماسة :

\* وَتُسَلِّمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ \*

والاعتباط : أن الحي يموت من غير علة ؛ أي من لم يمت شاباً مات هرمًا

(٤) د ، وحاشية الأصل ( من نسخة ) : « تعاريني » ، وفي حاشية الأصل ، ف : « المعارة » ، بالعين

المهملة : من العرى ، أي تلقاني السيوف عارية ، وبالعين المعجمة : من غرى به إذا أوقع ، والمعاراة أيضا :  
 المتابعة بين الشيعين ، يقال غاربت بين الشيعين ، وإذا والبت بينهما » . وفيه : « تغاربتني » ، تحريف .

(٥) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « المملعين » ، بكسر اللام ، والمعلم : الفارس الذي علم

مكانه في ساحة الحرب بعلامة أعلمها ؛ ومنه قول الشاعر :

فتعرفوني أننى أنا ذا كُفُّ      شالكِ سلاحي في الحوادث معلِم

وقول الأخطل :

ما زال فينا رباط الخليل معلِمَةً      وفي كليبٍ رباط اللؤم والعارِ

(٦) الماذي : العسل الأبيض .

وَأَدْعُوا الْكِمَاةَ لِلزَّالِ إِذَا الْقَنَا تَحَطَّمَ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ طِمَاحِنَا  
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسًا تَمُوتُ وَإِنْ دَنْتُ مِنَ الْمَوْتِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ دَاعِيَا<sup>(١)</sup>  
فَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : وَهَذَا الشَّعْرُ أَيْضًا لِقَطْرَى بْنِ الْفُجَاءَةِ .

\*\*\*

- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّكَّابِ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ دُرَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ :
- ٥ جُئْتُ<sup>(٢)</sup> أَبَا عُبَيْدَةَ يَوْمًا ، وَمَعِيَ شَعْرُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ ، فَقَالَ . فَارْغُ حَمَلُ شَعْرٍ فَقِيرٍ لِيَقْرَأَهُ عَلَى فَقِيرٍ ، فَقُلْتُ : مَامَعِيَ غَيْرُهُ ، فَأَنْشِدْنِي أَنْتَ مَا شِئْتَ ، فَأَنْشَدَنِي :
- يَارُبَّ ظِلِّ حِمَارٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهِ مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ ، وَالْأَبْطَالُ تَجَنَّدُ<sup>(٣)</sup>  
وَرُبَّ يَوْمٍ حَمَى أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ خَيْلِي اقْتِسَارًا ، وَأَطْرَافُ الْقَنَا قَصْدُ<sup>(٤)</sup>  
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَغَا وَنَارُهُ تَقْدِ<sup>(٥)</sup>  
مُشَهَّرًا مَوْفَى وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبَحْرُ الْمَوْتِ يَطْرِدُ  
وَرُبَّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَا جِلْهَا نَحَرْتُهَا بِمِطَابَا غَارَةٍ تَخِذُ<sup>(٦)</sup>  
تَجْتَابُ أَوْدِيَةَ الْأَفْزَاعِ آمِنَةً كَأَنَّهَا أُسْدٌ يَقْتَادُهَا أُسْدُ<sup>(٧)</sup>  
فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ نَفْسِي لَا أُمْتُ كَمَا عَلَى الطَّعَانِ وَقَصْرُ الْعَاجِزِ الْكَمْدُ  
وَلَمْ أَقْلُ لَمْ أُسَاقِ الْقَتْلَ شَارِبَهُ<sup>(٨)</sup> فِي كَأْسِهِ وَالْمَنَابَا تُرْعَغُ وَرُدُّ  
ثم قال له : هذا الشعر ! ؛ لا ماتعللون به نفوسكم من أشعار المخنثين . والشعر  
لِقَطْرَى .

\*\*\*

(١) حاشية الأصل : « أَى مَلَسَا يَقْبِضُ رُوحَهُ وَيَدْعُوهُ » .  
(٢) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ١ : ٢٦٥ - ٢٦٦ ، وزهر الآداب - طبعة الحلبي ١٠٢٧ -  
١٠٢٨ . (٣) د : « ظل عقاب » وفى حاشية الأصل : « روى ظل عقاب ، يريد بها الراية » .  
(٤) العقوة : الساحة ، والفصد : الفطع ؛ واحده قصدة . (٥) د ، ف ، وحاشية الأصل  
( من نسخة ) : « إذ ناره » . (٦) د : « منحرتها » . وتخذ : تسرع . (٧) الأفزاع :  
المخاوف ، وفى زهر الآداب : « بصطادها » . (٨) حاشية الأصل ( من نسخة ) : « ساقيه » .

أخبرنا علي بن محمد الكاتب قال قال أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : كان أبو عبيدة يأنس إلى في أول ما اختلفت إليه ، لأنه كان يظنني على رأيهم ويسألني عن خوارج سيجستان - لأنه كان يظنني على رأيهم - وكنت أوهه أني على رأيهم ، فنالتني منه لذلك عناية خاصة ، فكان كثيرا ما ينشدني أشعارهم ، ثم يتمثل :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنو البنى وإن عاهدوا أوفوا ، وإن عقّدوا شدّوا (١) ٥

/ قال : وأنشدني يوما لرجل من طي من الخوارج :

لا كابن ملحان من شارٍ أخى ثقةٍ أو كابن علقمة المستشهد الشاري (٢) ٩  
من صادقٍ كنت أصفيه مُخالصتي فباع دارى بأعلى صفقة الدار (٣)  
إخوان صدقٍ أرجيهم وأحذرهم أشكو إلى الله إخواني وإحذاري  
فصرتُ صاحبَ دنيا لست أملكها وصار صاحبَ جناتٍ وأنهارٍ ١٠

تم القسم الأول من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى ، ويليه القسم الثاني إن شاء الله تعالى ، وأوله : تأويل آية : إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَكَالَتْ يَهُودُ ... ﴾

(١) البيت للحطيفة ، ديوانه : ٢٠ . (٢) الشاري : واحد الشراة ؛ والخوارج تسمى نفسها بذلك ؛ كأنهم شروا أنفسهم لله ؛ أى باعوها ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ أى يبيعها . وقال قطرى في هذا المعنى :

رَأَتْ فِئَةً بَاعُوا إِلَاهَهُ نَفُوسَهُمْ بِجَنَاتٍ عَدَنَ عِنْدَهُ وَنَعِيمِ (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « دارى ، بمعنى الدنيا التى كانت داره ؛ وهو فى قيد الحياة ؛ يعنى أنه باعها بصفقة رابحة ؛ أراد أنه استشهد وقتل ، فباع داره بدار فى الجنة » .



### المجلس الأول

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] ٥- ٢  
تأويل الحديث: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم» ٩- ٥  
مسألة في القول بوجوب الأصلح عليه تعالى ١٠- ٩

### المجلس الثاني

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ [الإسراء: ٨٥] ١٢- ١١  
تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...﴾ [الحجر: ١٩] ١٥- ١٣  
تفسير معنى «اللحن» عند العرب ١٦- ١٥  
خبر أسير بني العنبر في بكر بن وائل ورسالته إلى قومه وشرح مافيه من  
كنايات ١٧- ١٦  
تأويل كلام علي بن أبي طالب: «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقير جلبابا  
أو تجففا» ٢٨- ١٧  
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذاهب أهل العدل ٢١- ١٩  
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذهب أهل الجبر ٢١-  
مسألة في الاستدلال على نفى الرؤية بالأبصار ٢٤- ٢٢

### المجلس الثالث

- تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] ٢٧- ٢٥  
وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ...﴾ [القصص: ٣١] ٢١-  
(٤١ - غرر - أول)

تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ،

٣٠- ٢٨

[الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]

٣٦- ٣١

تأويل الحديث : « ليس منا مَنْ لم يتغنّ بالقرآن » .

الكلام على قوله تعالى : ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

٣٨- ٣٦

[الفاتحة: ٢٢، ٢٣]

### المجلس الرابع

تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

٤٢- ٣٨

[يونس: ١٠٠]

تأويل قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ...﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤] ٤٣- ٤٥

وقوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]

وقوله تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧]

٤٦- ٤٥

تأويل الحديث : « لاتسبوا الدهر فإن الدهر هو الله » .

٤٨- ٤٧

مسألة في ذكر المنافع التي عرض الله الأحياء لها

### المجلس الخامس

تأويل قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨، ٢٩] ٤٩- ٥٥

٥٧- ٥٥

تأويل الحديث : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » .

٥٨

خبر حسد الفرزدق لليلي الأخيلية على أبيات قالتها

٥٩

خبره ، مع الكميت حين عرض عليه أبياتا له من قصيدة

٦٢- ٦٠

خبره عند سليمان بن عبد الملك

٦٥- ٦٣

خبر تنسكه في آخر عمره وما قاله من شعر في ذلك

٦٧- ٦٦

عود إلى خبره مع الكميت

٦٩- ٦٧

خبر مديحه لعل بن الحسين بن علي



### المجلس السادس

تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[هود: ١١٨، ١١٩] ٧٥- ٧٠

تأويل الحديث: «مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت». ٧٦- ٧٥

خبر علي بن أبي طالب ومارية القبطية ، وتفسير ماورد فيه من غريب ٨١- ٧٧

ما قالته العرب في أحوال القمر، وتفسير ماورد في ذلك من الغريب ٨٦- ٨١

### المجلس السابع

تأويل قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٧٢] ٩٤- ٨٧

تأويل الحديث: «تقئ الأرض أفلاذاً كبادها مثل الأسطوان». ٩٨- ٩٥

أبيات للخنساء في مدح أخيها ، ثم استطراد لذكر أبيات تشبهها ١٠٤- ٩٨

### المجلس الثامن

تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] ١٠٧- ١٠٥

خبر قيس بن عاصم حين وفد على الرسول عليه السلام وشرح ماورد في ذلك من الغريب ١١٢- ١٠٧

بعض أخبار قيس بن عاصم ١١٤- ١١٢

قصيدة للمؤلف أجاز بها بيت أبي دهبيل: ١١٧- ١١٦

وأبرزتها من بطن مكة عند ما أصات المنادى بالصلاة فأعتمأ ١١٥- ١١٢

نسب أبي دهبيل وذكر بعض أشعاره

### المجلس التاسع

تأويل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] ١٢٣- ١٢٠

إيراد طائفة من شعر العرب مما وقع فيه التكرار ١٢٧- ١٢٤

- ١٢٨-١٢٧ فصل في أخبار الدهريين والزنادقة المتهتكين ممن كانوا في صدر الإسلام  
 ١٣٠-١٢٨ أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك  
 ١٣٢-١٣١ أخبار حماد الراوية  
 ١٣٣-١٣٢ أخبار حماد بن الزرقان  
 ١٣٤-١٣٣ أخبار حماد عجرد  
 ١٣٧-١٣٤ أخبار ابن المقفع، وإيراد بعض كلامه  
 ١٣٨-١٣٧ أخبار ابن أبي العوجاء  
 ١٤١-١٣٨ أخبار بشار بن برد

### المجلس العاشر

- ١٤٢- أخبار مطيع بن إلياس  
 ١٤٤-١٤١ أخبار يحيى بن زياد الحارثي  
 ١٤٦-١٤٤ أخبار صالح بن عبد القدوس  
 ١٤٧-١٤٦ أخبار علي بن الخليل  
 ١٤٨- الكلام على أن أصول مذهب أهل العدل مأخوذة من كلام علي بن أبي طالب  
 ١٥٢-١٤٨ فقر من كلام علي بن أبي طالب والأئمة من أبنائه  
 ١٦٢-١٥٢ أخبار الحسن بن أبي الحسن البصريّ وشيء من كلامه

### المجلس الحادي عشر

- ١٦٥-١٦٣ أخبار واصل بن عطاء  
 ١٦٩-١٦٥ مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في القول بالمنزلة بين المنزلتين  
 ١٧٣-١٦٩ أخبار عمرو بن عبيد

### المجلس الثاني عشر

- ١٧٦-١٧٣ عمرو بن عبيد وأبو جعفر المنصور  
١٧٧-١٧٦ عمرو بن عبيد وهشام بن الحكم  
١٧٧- عمرو بن عبيد وسليمان بن علي  
١٧٧- كلام عمرو بن عبيد على القدر  
١٧٨-١٨٣ أخبار أبي الهذيل العلاف وأخباره  
١٨٣-١٨٥ خبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعيّ وحديث الصحيفة

### المجلس الثالث عشر

- ١٨٦-١٨٧ أخبار بشر بن المعتمد وإيراد بعض أشعاره  
١٨٧-١٨٩ أخبار إبراهيم بن إسحاق النظام وبعض أشعاره  
١٨٩-١٩٤ اختبار لبيد بهجائه للبقلة وخبره مع الربيع بن زياد عند النعمان  
١٩٤-١٩٩ أخبار الجاحظ ونقف من كلامه

### المجلس الرابع عشر

- ٢٠٠-٢٠١ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧]  
٢٠٧-٢٠٨ خبر قيس بن زهير العبسي مع النمر بن قاسط  
٢٠٨-٢١١ خير يوم داحس والغبراء وتفسير ما ورد في ذلك من الأمثال  
٢١١-٢١٤ مقتل زهير بن جذيمة العبسي  
٢١٤ خبر يوم الهبأة

### المجلس الخامس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ...﴾ [البقرة: ١٧١] ٢١٩-٢١٥  
 خبر النبي عليه السلام حين دعى إلى مأدبة ومعه الحسين وهو صبي ، وتأويل  
 ماورد من الغريب في ذلك ٢٢٠-٢٢٠  
 من كلام ابنة الخُسّ وتأويل ماورد في ذلك من الغريب ٢٢٢-٢٢٠  
 تأويل قول العرب: « جاءنا بطعام لا يُنادى وليدُهُ » . ٢٢٢  
 أخبار معن بن زائدة ٢٢٢-٢٢٧

### المجلس السادس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ  
 حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] ٢٢٨-٢٣١  
 باب في ذكر المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ٣٣٢  
 أخبار الحارث بن كعب المذحجيّ ووصيته حين الموت وشرح ماورد في ذلك ٢٣٢-٢٣٤  
 أخبار عمرو بن ربيعة المستوغر وإيراد بعض أشعاره ٢٣٤-٢٣٦  
 أخبار دريد بن زيد بن نهد وشرح ما أورده من كلامه ٢٣٦-٢٣٨  
 أخبار زهير بن جناب وإيراد بعض أشعاره ٢٣٨-٢٤٣

### المجلس السابع عشر

- أخبار ذى الإصبع العدواني وحديثه مع بناته الأربع ٢٤٤-٢٤٩  
 خبر عبد الملك بن مروان مع سعيد بن خالد الجدليّ ٢٤٩-٢٥١  
 إيراد شعر لذي الإصبع وشرح ماورد في ذلك من الغريب ٢٥١-٢٥٣  
 ذكر معدى كرب الحميري وبعض شعره ٢٥٣  
 أخبار الربيع بن ضبع الفزاريّ ٢٥٣-٢٥٦

### المجلس الثامن عشر

- أخبار أبي الطمجان القينى وإيراد طائفة من شعره ٢٥٧-٢٦٠  
أخبار عبد المسيح بن بقيلة الغسانى ٢٦٠-٢٦٣  
أخبار النابغة الجعدى وإيراد طائفة من أشعاره ٢٦٣-٢٦٩

### المجلس التاسع عشر

- مسألة تتضمن الرد على منكبرى تطاول الأعمار وامتدادها ٣٧٠-٣٧٢  
باب فى الجوابات الحاضرة المستحسنة ٢٧٣-٢٧٩  
قصيدة لأبى نواس وشرح ما ورد فيها من الغريب ٢٧٩-٢٨٢

### المجلس العشرون

- عود إلى ذكر الجوابات المستحسنة ٢٨٣-٢٨٧  
خبر قتيبة بن مسلم مع الحصين بن المنذر الرقاشى ٢٨٧-٢٨٨  
بعض ما يروى من أجوبة أبى الأسود الدؤلى الحاضرة ٢٩٢-٢٩٤

### المجلس الحادى والعشرون

- خبر سليمان بن عبد الملك مع يزيد بن أبى مسلم ٢٩٥  
خبر صفوان بن الأهمم مع رجل من بنى عبد الدار ٢٩٥  
مادار بين الفرزدق والحطيئة عند سعيد بن العاص ٢٩٦  
من أجوبة أبى العيناء المسكتة ٢٩٩-٣٠٣  
موازنة بين شعر لإبراهيم بن العباس الصولى وأوس بن حجر ٣٠٥-٣٠٦  
أبيات للمتنخل الهذلى وشرح ما ورد فيها من الغريب ٦٠٦-٣٠٧

### المجلس الثاني والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ

٣١٧-٣٠٨

بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

تأويل الحديث : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن... » ٣٢٣-٣١٨

### المجلس الثالث والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]

### المجلس الرابع والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾

٣٣٦-٣٢٨

[الأحزاب: ١٠]

### المجلس الخامس والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبا: ٩]

٣٤٠-٣٣٧

تأويل الحديث : « إن الميت يمدب في قبره بالنياحة عليه » .

٣٤٣-٣٤٠

تأويل الحديث : « مامن أحد يدخله عمله الجنة ويُنجيه من النار... »

٣٤٥-٣٤٤

آيات لعمر بن أبي ربيعة يقولها في الثريا بنت عبد الله

٣٤٧-٣٤٦

خبر عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق والثريا بنت عبد الله

٣٤٨-٣٤٧

### المجلس السادس والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨]

٣٥٠-٣٤٩

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٦]

٣٥٣-٣٥١

تأويل الحديث : « إن هذا القرآن مأدبة الله... »

٣٥٨-٣٥٤

ذكر أنواع المآدب وأسمائها وما ورد في ذلك من الشعر

٣٥٨-٣٥٥

أخبار متفرقة عن الأصمعي وحضور ذهنه عند إنشاء الشعر

٣٦٢-٣٥٨

## المجلس السابع والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِ وَأَنِهَوْدُ عَزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] ٣٦٥-٣٦٣
- تأويل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ﴾ [إبراهيم : ١٤] ٣٦٧-٣٦٥
- خبر النبي عليه السلام حين سمع رجلاً ينشد شعراً لسويد بن عامر وتأويل ماورد فيه الغريب ٣٧٠-٣٦٨
- أبيات لرفيع الوالبي ٣٧١-٣٧٠
- أخبار عقيل بن علفة وإيراد طائفة من شعره ٣٧٤-٣٧١

## المجلس الثامن والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ٣٧٦-٣٧٥
- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ أَلَسَ الْأَنْبِيَاءُ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ... ﴾ [البقرة : ١٨٩] ٣٧٩-٣٧١
- أبيات لهلال بن خثعم وشرح ماورد فيها من الغريب ٣٨٠-٣٧٩
- إيراد مقطعات مختلفة لحارثة بن بدر الغداني ٣٨٣-٣٨٠
- طرف من أخبار حارثة بن بدر وبعض نواتره ٣٨٨-٣٨٣

## المجلس التاسع والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ أَهْمُ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ... ﴾ [البقرة : ٢٠٢] ٣٩٢-٣٨٩
- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة : ٢١٢] ٣٩٤-٣٩٢
- تأويل الحديث : « تَوَضَّعُوا مِمَّا غَيَّرَ النَّارَ » . ٣٩٧-٣٩٥
- بعض أخبار عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وطائفة من شعره ٤٠١-٣٩٧

### المجلس الثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُذُنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾

٤٠٥-٤٠٢

[الأعراف : ٨٩]

٤٠٧-٤٠٥

تأويل الحديث : « خير الصدقة ما بقيت غنى » .

٤١٠-٤٠٧

ذكر أبيات تروى لثابت قطنة وعروة بن أذينة

٤١١-٤١٠

أبيات للسيد المرتضى في معنى أبيات ثابت قطنة وعروة بن أذينة المذكورة

٤١٢-٤١١

خبر عروة بن عبيد الله عن عروة بن أذينة وروايته أبياتا له

-٤١٣

عروة بن أذينة وسكينة بنت الحسين

٤١٤-٤١٣

أبيات لعروة بن أذينة في الغزل

موازنة بين ما قاله الكمي بن زيد وعروة بن أذينة ونصر بن سيار

٤١٥-٤١٤

في الحسد

### المجلس الحادى والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيَّانٍ ... ﴾

٤١٧

[البقرة : ١٠٢]

### المجلس الثانى والثلاثون

٤٣١-٤٢٦

تأويل الحديث : لو كان القرآن في إهابٍ مامستته النارُ .

٤٣٣-٤٣١

من شعر الحسين بن مطير الأسدى

٤٣٤-٤٣٣

أبيات للسيد المرتضى في معنى بيت للحسين بن مطير الأسدى

٤٣٧-٤٣٥

عود إلى شعر الحسين بن مطير الأسدى

### المجلس الثالث والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ... ﴾

٤٤٢-٤٣٩

[آل عمران : ٧]

٤٥١-٤٤٢

إيراد طائفة من محاسن شعر أبى حية النيرى وتفسير ما فيها من الغريب



### المجلس الرابع والثلاثون

- ٤٥٤-٤٥٢ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ... ﴾ [يوسف : ٩٢]
- ٤٥٧-٤٥٤ تأويل ماورد في حديث نهى النبي عليه السلام عن كسب الزمارة
- ٤٥٩-٤٥٧ أبيات للمضرّب بن كعب بن زهير
- ٤٦٠-٤٥٩ موازنة بين قول الرشيد: «قلب العاشق عليه مع معشوقة»، وقول طائفة من الشعراء
- ٤٦١-٤٦٠ أحسن ما قيل من الشعر في صفة امرأة عجزاء خميسة ، عن الأصمعيّ
- خبر جعفر بن سليمان وحزنه على موت أخيه محمد ، واسترواحه لشعر ابن أراكّة
- ٤٦٢-٤٦١ الثقفى
- تلطف الأصمعيّ بإنشاده شعر ابن هرمة عند إسماعيل بن جعفر، وقضاء
- ٤٦٢ حاجته عنده بسبب ذلك
- ٤٦٣ أبيات لبشر بن خازم في الاعتذار، رواها الأصمعيّ للرشيد

### المجلس الخامس والثلاثون

- ٤٧١-٤٦٥ تأويل قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ... ﴾ [الأنبياء : ٢٧]
- ٤٧٦-٤٧١ طائفة من شعر مسكين الدارميّ وذكر بعض أخباره

### المجلس السادس والثلاثون

- ٤٨٢-٤٧٧ تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ... ﴾ [يوسف : ٢٤]
- ٤٨٨-٤٨٢ أخبار متفرقة لإبراهيم بن العباس الصوليّ وذكر طائفة من شعره

### المجلس السابع والثلاثون

- ٤٩٢-٤٨٩ تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ... ﴾ [يوسف : ٣٣]
- ٤٩٤-٤٩٢ تأويل الحديث : «من يتبع المشعة يسمع الله به»
- خبر الأصمعيّ مع عجزوز في سوق ضريبة حينما أنشدها شعر بشر بن عبد الرحمن
- ٤٩٩-٤٩٤ الأنصارى وأنشدته شعر ابن الدمينّة، وتفسير ما ورد في ذلك من الغريب

- ٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع شاب بدوى فصيح من بنى عامر واستنشاده الشعر  
٥٠٠-٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع إسماعيل بن عمار الأعرابيّ  
٥٠٠ خبر الأصمعيّ حين سافر إلى البصرة؛ وسماعه لشعر استحسّنه ورواه  
٥ ١ خبر الأصمعيّ مع أحد الطفيليين وما ورد في ذلك من الشعر

### المجلس الثامن والثلاثون

- ٥٠٦-٥٠٢ تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ...﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]  
٥٠٧-٥٠٦ من أفا كيه الأصمعيّ  
٥٠٨-٥٠٧ تأويل الأصمعيّ لبیت من شعر امرئ القيس  
٥٠٩-٥٠٨ نقد الأصمعيّ لرواية ابن الأعرابيّ أبياتاً رواها وكده سعيد بن سلم  
٥٠٩ حديث الأصمعيّ عن بشار بن برد  
٥١٠-٥٠٩ نقد بشار لشعر سمعه  
٥١٠ أبيات لبشار يمدح فيها سليمان بن هشام بن عبد الملك  
أبيات مختلفة في وصف الثغر واللون والعيون والنجيب والظليم والاعتذار، رواها  
٥١٢-٥١١ الأصمعيّ

### المجلس التاسع والثلاثون

- ٥١٥-٥١٤ تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ...﴾ [التوبة: ٥٥]  
رأى الشريف المرتضى في شعر مروان بن أبي حفصة ومختارات من محاسن شعره  
٥٢٥-٥١٨ وموازنة بين قوله وقول غيره من الشعراء

### المجلس الأربعون

- تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...﴾  
[الأنفال: ٢٤]  
٥٣٠-٥٢٦

خبر حصن بن حذيفة مع أولاده حين طعنه كرز بن عامر ، وما روى له في ذلك

٥٣٢-٥٣٠

من شعر

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من

٥٣٦-٥٣٢

الشعراء

٥٣٧-٥٣٦

أبيات أبي تمام في وصف القلم

### المجلس الحادى والأربعون

٥٤٠-٥٣٨

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦-٢٩]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من الشعراء ٥٤٩-٥٤٠

### المجلس الثانى والأربعون

٥٥٢-٥٥٠

تأويل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ [هود: ٢٠]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره من الشعراء ٥٦٤-٥٥٣

### المجلس الثالث والأربعون

٥٦٦-٥٦٥

تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ... ﴾ [س: ٧٥]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره

٥٧٥-٥٦٦

من الشعراء

### المجلس الرابع والأربعون

٥٧٧-٥٧٦

تأويل قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ... ﴾ [الإسراء: ٤٧]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر

٥٨٩-٥٧٨

غيره من الشعراء

### المجلس الخامس والأربعون

- ٥٩٣-٥٩٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٢٨]  
 وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]  
 وقوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]  
 ٥٩٥-٥٩٣ قصة سفرة للمكتفى بالله في حراقة ؛ مع جماعة من الأدباء ؛  
 واستنشاده شعر البحترى

- ٥٩٦-٥٩٥ أبيات لابن الرومي وموازنتها بشعر غيره من الشعراء  
 ٦٠٢-٥٩٨ طائفة من أقوال الشعراء في مدح الشيب وتفضيله

### المجلس السادس والأربعون

- ٦٠٥-٦٠٣ تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾ [البقرة: ١٨٦]  
 ٦١٤-٦٠٥ طائفة من أقوال الشعراء في ذم الشيب والتألم به والجزع منه

### المجلس السابع والأربعون

- ٦١٨-٦١٥ تأويل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾ [النحل: ١٠]  
 طائفة من أشعار البحترى في ذم الشيب والتألم من  
 ٦٢٧-٦١٨ فقد الشباب

### المجلس الثامن والأربعون

- ٦٣٠-٦٢٨ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ [آل عمران: ٢٨]  
 ٦٣٥-٦٣٠ تأويل حديث : « لاتناجشوا ولا تدابروا ... »  
 ٦٣٥-٦٣٢ ذكر ماورد في اللغة من معاني « العِرض »  
 ٦٣٩-٦٣٥ طائفة من أشعار قطري بن الفجاءة  
 ٦٣٩ أبيات لرجل خارجي من طي

# مكتبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

## تصويبات

| صفحة | سطر | خطاً                              | صواب                       |
|------|-----|-----------------------------------|----------------------------|
| ٤    | ١٩  | ووبينه                            | وبينه                      |
| ٥    | ٧   | البيت                             | الحديث                     |
| ٢١   | ٣   | يكتب البيت هكذا :                 |                            |
|      |     | استأثر الله بالوفاء وبإلا         | مدل وولى الملامة الرجال    |
| ٣٧   | ٥   | ولا يخون إلى                      | ولا يخون إلا               |
| ٥٢   | ١٦  | إياه                              | إياه                       |
| ٥٣   | ٦   | الجازعين                          | الجازعين                   |
| ٥٩   | ٢   | عجاجة                             | عجاجة                      |
| ٨٥   | ٢٢  | صواب ما نقل عن حاشيتي الأصل ، ف : | « مايسير الإنسان ثم يبيت » |
| ٩٧   | ١   | يكتب بيت الخنساء هكذا :           |                            |
|      |     | أبعد ابن عمرٍ ومن آل الشريد       | د حلت به الأرض أثقالها     |
| ١٠٦  | ٢٠  | كذب                               | كذب، بالبدال المهملة       |
| ١١٠  | ١٧  | اللهم                             | اللهم                      |
| ١١١  | ١٥  | كأن                               | كأنه                       |
| ١١٦  | ١   | أعجبا                             | أعجبا                      |
| ١١٦  | ٢   | للوداع                            | للوداع                     |
| ١١٦  | ١٤  | الزمار                            | الذمار                     |
| ١٣٩  | ٧   | القوم                             | القول                      |
| ١٤٢  | —   | يحذف هذا العنوان : « تأويل آية »  |                            |

| صفحة | سطر | خطا                     | صواب            |
|------|-----|-------------------------|-----------------|
| ١٨٧  | ٢   | وإنه                    | وأنه            |
| ١٩٢  | ١٣  | إني                     | وأنى            |
| ٢٠٧  | ١٢  | جاوز                    | جاور            |
| ٢٠٨  | ٥   | إنى                     | أنى             |
| ٢٢٦  | ١٥  | مَعْنُ                  | مَعْنُ          |
| ١٥٦  | ٥   | والآلى                  | والآلى          |
| ٢٥٧  | ١٤  | المضرب                  | المضرب ، بالفتح |
| ٣٨٧  | ٩   | ولحارث                  | ولحارثة         |
| ٣٨٩  | ١٣  | حُسْنًا                 | حُسْنٌ          |
| ٤٠٠  | ١٢  | يكتب الشطر الأول هكذا : |                 |

\* لو شُقَّ عن قلبي قُرَى وسطه \*

|     |    |                |                |
|-----|----|----------------|----------------|
| ٤٣٤ | ٣  | لا تُكْذِبَنَّ | لا تُكْذِبَنَّ |
| ٤٣٦ | ٦  | أفزارة         | فزارة          |
| ٤٤٥ | ٦  | وَرِيقٌ        | وَرِيقٌ        |
| ٤٤٥ | ٧  | وَرِيقُهُ      | وَرِيقُهُ      |
| ٤٦٤ | ٦  | يحب            | يحب            |
| ٤٧١ | ٢٠ | الرَّجُل       | الرَّحْل       |
| ٥٤٤ | ١  | الجَدَّ        | الجَدَّ        |
| ٥٧٨ | ٥  | لا يُؤْمِنُونَ | لا يُؤْمِنُونَ |
| ٥٨٣ | ٥  | باءت           | بادت           |